

العنف الكامن والتكفير المستتر

دراسة حول موقف جماعة الإخوان من التكفير والعنف

بقلم

أحمد الشحات

توزيع

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٥٠١٣١٥١



دار الفتح الإسلامي

الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١١٥٢٢٤١٦٠





اسم الكتاب: العنف الكامن والتكفير المستتر

اسم المؤلف: أحمد الشحات

عدد الصفحات: ٦٤٠

عدد المجلدات: ١

سنة الطبع: ٢٠١٦م - ١٤٣٧هـ

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع



الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ — المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



مقدمة فضيلة الشيخ

الدكتور / ياسر برهامي

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فقد مرت بلادنا بل أمتنا بمحنة عظيمة للعمل الإسلامي بعد ثورات الربيع العربي –كما سميت– وكان من أكبر أسباب ذلك؛ الفترة التي حكم فيها الإخوان مصر ثم ما تلى ذلك من محن عقب سقوطهم، وكان من أشدها بلا شك ما حدث في اعتصامي رابعة والنهضة وما بعد ذلك، وسجن عشرات الألوف من الشباب والرجال والنساء مما يؤلم كل مسلم يرجو أن يرى مجتمعه آمنا وبلاده مستقرة، ويبدو أن هذا لا يزال بعيد المنال.

وكانت طبيعة الأحداث ومجرياتها دافعة لكل عاقل - فضلًا عن داعية مسلم يعرف أن الشرع أمر بمراعاة المصالح والمفاسد، والقوة والضعف، والقدرة والعجز، ويعرف أنه عظم أمر الدماء المعصومة والحرمات تعظيمًا بليغًا- كانت دافعة للتفكير من أين أتى الخلل؟ من أين أوتي العمل الإسلامي حتى صار ينفر منه أكثر الناس؟ من الذي تسبب في تصور أكثر الشباب المسلم الطيب الخلوق، الحريص على مجتمعه، النافع لأبناء وطنه، أنه قد دخل في صراع صفري مع أكثر أبناء وطنه لابد له أن يكسب كل ما

يريد أو يخسر كل ما في يده، بل ما في أحلامه؟! ما الذي تسبب في تشويه صورة المسلم صاحب الهيئة الإسلامية لدى الناس؟

ولا شك أن الخطاب المستخدم في أدبيات وإعلام وتواصلات وخطب الميادين من جماعة الإخوان، ومَنْ تحالف معها كان له أكبر الأثر في اقتناع الشباب بهذه الطريقة في التفكير، والوصول إلى القناعة بجاهلية المجتمع، التي تعني التكفير عند طائفة والتوقف عند آخرين، ثم بضرورة الصدام والعنف مع الأنظمة وما يتضمن ذلك من تدمير للعباد والبلاد -وإن كان التدمير لمن يصادِمِ أضعافًا مضاعفة- بل الصراع محسوب العاقبة عند العقلاء.

كانت هاتان القضيتان التكفير والعنف غير ظاهرة على الإطلاق في خطاب جماعة الإخوان، طيلة أكثر من ثلاثين سنة منذ مشاركتهم في الصحوة الإسلامية، مما استغربه ولا يزال الكثيرون، بل وربما رأوا ذلك من غيرهم، والبعض الآخر يحملهم مسئولية نشوء هذا الفكر في مجتمعنا، وأنهم مصدر جماعات التكفير والعنف المعاصرة.

وكانت هناك حاجة ماسة للبحث المنصف والموضوعي، التاريخي المرتبط بالشرعي لهذه المسألة، ليعالج الأمر من جذوره، ولتتضح الصورة التي حيرت الكثيرين وأوقعتهم في اضطراب في مواقفهم وآرائهم وربما غيروا بسببها قناعات ظلوا عليها عشرات السنين في مناهج الإصلاح.

وجاء هذا البحث للابن العزيز الفاضل المهندس/ أحمد الشحات ليسد هذا الفراغ، وليحث آخرين على مزيد من البحث والدراسة في هذه المسائل، ويجلي لمن لا يزال عنده ضعف في الرؤية حقيقةَ الأمر.

أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والمسلمين في كل مكان، آمين.

كتبه

د/ ياسر برهامي

في ١٠ شعبان ١٤٣٧-١٧ مايو ٢٠١٦

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فأصل هذه المادة عبارة عن دراسة مختصرة نُشرتْ علي موقع أنا السلفي ونُشرتْ أيضًا في جريدة الفتح الأسبوعية، ثم رأيت إعادة تناولها بشيءٍ من التوضيح والتوسع حتى يعمَّ نفعها وتكتملَ الفائدة منها.

ولما كان هذا الأمر -التكفير واستخدام العنف- خطيرًا في دين الله ﷻ، فلا عجب أنْ يرهبنا الشرع من مجرد إطلاق لفظ الكفر علي المسلم فقال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**مَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»[(٢)].

وتقرر في الشرع الحنيف أن من ثبت إسلامه بيقين فلا يُنْفَى عنه إلا بيقين مثله، وأنَّ من ثبت إسلامه بمجرد نطق الشهادتين فقد صار ماله وعرضه ودمه معصومًا كما قال النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَإِنْ قَالُوهَا فَقَدْ**

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله» [١]، وقال ﷺ: «**لا يحل دم امرئ، مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق مِن الدين التارك للجماعة»** [٢].ومما يدل علي ذلك حديث أسامة رضي الله عنه «عندما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله بعدما رأى بارقة السيف فوق رأسه، فَظَنَّ أسامة أنه إنما قالها تَعَوُّذًا من القتل فقتله، فقال له النبي ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَن قَالَهَا؟ كَيْفَ تَصْنَع بِلَا إِلَهَ إِلَّا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»** [٣].

وبالغ الشرع أيضًا في التحذير من حرمة الدماء، فقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ** ﴾ [الإسراء: ٣٣]، ويقول النبي ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون عند الله مِن قتل رجل مسلم**» [٤]. وقال ﷺ: «**أول ما يُقضى بين الناس في الدماء**»، وقال: «**لا يزال المؤمن في فسحة مِن دينه ما لم يُصِب دمًا حرامًا**»، وقال النبي ﷺ: «**لو أن أهل السماوات والأرض اشتركوا في دم امرئ مسلم لأكبَّهم الله في النار**».

ونهى الشرع عن ترويع المسلم أو تخويفه فقال ﷺ: «**مَنْ أَخَافَ مُؤْمِنًا كَانَ حَقًا عَلَى الله أَن لَا يُؤَمِّنَهُ مِنْ أَفْزَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» [٥]، ومن أجل ذلك نهى ﷺ عن الإشارة بالسلاح حتى ولو على سبيل المزاح فقال: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يدعها وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**» [٦]، ومن ذلك قوله ﷺ: «**إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَأَرَادَ أَن يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ فَلْيُغْمِدْهُ ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ**» [٧].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي والنسائي، وصححه الألباني.

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٣٦٢).

(٦) رواه مسلم.

(٧) رواه أحمد والطبراني.

هذا من حيث الحكم الشرعي، أما من حيث الواقع فلا يماري أحد أن بلادنا تعرضت –في الفترة الأخيرة– لموجات حادة من التكفير والعنف عمت السهل والوادي، ولا يخفى ما لهذه الموجات من الأثر السيء علي البلاد والعباد وعلى انتشار الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وعلى معاداة المجتمعات وتنفيرها عن الدين وعن الالتزام، فضلًا عن الصدام مع الحكومات والأنظمة والذي لا ينتهي غالبًا إلا بمحنٍ ومآسٍ ذاقتْ بلادنا منها شرورًا كثيرة في تجاربَ معروفةٍ قبل ذلك.

أما عن مسئولية جماعة الإخوان عن التكفير والعنف، فهذه قضية لها جانبان في الدراسة، الأول يتعلق بمدى المسئولية التاريخية لجماعة الإخوان عن هذا الأمر، لأن هناك وقائع عنف تورطت فيها الجماعة عبر تاريخها ولا يستطيع أحد أنكارها، بل غاية ما يفعله البعض هو التبرير والتأويل، بالإضافة إلي وجود كتابات عديدة لرموز الجماعة علي قدر كبير من الخطورة، إذ يمكن اعتبارها تأصيلًا وتنظيرًا لهذه الأعمال والوقائع.

أما الجانب الآخر فهو الجانب التطبيقي الواقعي الذي اتضح في الفترة الأخيرة، حيث ظهرت الجماعة في مظهر من يتبني الصدام ويحرض عليه، ويمارس العنف ويزكيه، وإثبات هذا الجانب لمن عاصروا الأحداث الأخيرة من أيسر ما يكون، حيث حرصت الجماعة علي إظهار هذا النهج من خلال بيانات رسمية، ومقالات لقادة الجماعة وشيوخها، فضلًا عما تمتلأ به صفحات الفيس ومواقع التواصل الاجتماعي من حث علي التدمير والعنف والقسوة، وهي كاشفة عن حجم الكارثة التي وصل إليها كثير من شباب الجماعة ومحبيها.

وأخيرًا، قد تكون أخي القاريء من محبي الجماعة ومناصريها، وربما شعرت – في باديء الأمر – أني متحامل عليهم بعض الشيء، والحقيقة أنى ما تجشمت عناء كتابة هذه الكلمات إلا حبًّا في شباب الحركات الإسلامية بوجه عام، وحرصًا علي حاضرهم ومستقبلهم، وعلى دينهم ودنياهم، فطريق العنف محكوم عليه بالفشل المحقق، ثم هو يقضي على خيرة شباب الأمة إما بالهرب أو القتل أو النسيان خلف القضبان، وفي كل هذه الحالات يفقد أهله ووطنه ودعوته وآماله في الحياة.

هذا من حيث الناحية الوجدانية، أما من حيث الموضوعية فأزعم أنني ما تصدرت للحديث في هذا الموضوع الشائك إلا بعد أن قرأت معظم ما كتبه مؤرخوا الجماعة ومنظروها، وما لم يتيسر لي قراءته فقد اطلعت عليه وتصفحته، ثم أعرضت إعراضًا كاملًا عما كتبه خصوم الجماعة ومناوئوها، حتى لا نُتَّهم بالانحياز والتجني، ولأن كتب الخصوم لا جديد فيها من حيث الوقائع والأحداث، إنما الفائدة منها محصورة في التأويل والتحليل والاستنباط، ولسنا في حاجة كبيرة إلى ذلك.

لذا فأتمني أن تكون قراءتنا لهذه الورقات قراءة مجردة عن العاطفة، مفعمة بالإنصاف، فالحق أحق أن يتبع، والتاريخ شاهد لنا وعلينا، ولنا رب سنقف جميعًا أمامه يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولن يغني عنا وقتها إلا ما كسبته أيدينا، ووعته صدورنا.

فندعو الله في عليائه أن نلقاه غير متورطين في التعدي على دماء محرمة، أو انتهاك أنفس معصومة، سواء في ذلك الفعلُ أو التحريضُ أو التأييدُ. آمين.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة كما يلي:

الفصل الأول: موقف جماعة الإخوان من قضية التكفير.

الفصل الثاني: موقف جماعة الإخوان من قضية العنف.

الفصل الثالث: موقف الجماعة من العنف بعد رحيل البنا: تراجع أم تطور؟

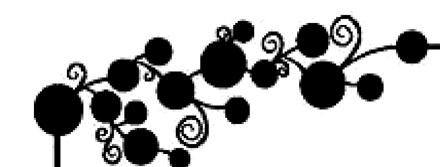
الفصل الرابع: دلالات واقعية على تورط الجماعة في التكفير والعنف.

الفصل الخامس: إذًا: لماذا يتوجه النقد إلي جماعة الإخوان؟

الإسكندرية

الخميس ٧ شوال ١٤٣٦هـ - ٢٣ يوليو ٢٠١٥ م





الفصل الأول

موقف جماعة الإخوان من قضية التكفير



الفصل الأول:
موقف جماعة الإخوان من قضية التكفير

من يطلع على تاريخ جماعات التكفير والعنف، ويتعرض لكيفية نشأتها وبدايات تكونها، يتأكد لديه أن المدارس التكفيرية بكافة أطيافها وتنوعاتها قد خرجت من رحم جماعة الإخوان، وبشكل أو بآخر فإن سيد قطب ﷺ يعتبر هو الأب الروحي لكل جماعات التكفير المعاصرة على اختلاف توجهاتها واختياراتها الفكرية والفقهية التي استقرت عليها في نهاية المطاف، ومن المعلوم أن سيدًا قام بالتنظير لهذه الأفكار وقت أنْ كان من أحد القيادات البارزة في جماعة الإخوان[١].

والسؤال الذي يجب البحث عن إجابة شافية له؛ هل كان لأفكار سيد أصول وجذور في فكر الإخوان وفي فكر حسن البنا ذاته، أم أن هذه الأفكار ما هي إلا نقلة نوعية جديدة تُنسب لسيد فقط دون غيره من الإخوان؟

☜ **في الواقع لدينا ثلاث احتمالات:**

❍ إما أنْ يكون كلًا من البنا وقطب على نفس المنهج في التكفير وتبني العنف، ويكون الجديد الذي أضافه سيد هو جودة الصياغة وصراحة العبارات.

❍ وإما أنْ لا يكون كلًا من البنا وقطب على نفس المنهج في التكفير وتبني العنف، وبالتالي يكون هذا الفكر الذي أتى به سيد دخيلًا على الإخوان.

❍ وإما أن يكون الفكر له أصل وأساس عند البنا – على الأقل في آخر مرحلة من مراحل دعوته– ويكون دور سيد هو التنظير له وتحديد قوالبه مع وضع لمسات وزيادات تعبر عنه وعن تجربته.

---

(١) تناولنا شرح هذه الفكرة بالتفصيل في كتابنا «ثورة قلم».

وحتى نستطيع تحديد أيًّا من هذه الاحتمالات أقرب إلى الصواب علينا أنْ نتأمل في المسيرة الدعوية والحركية للأستاذ حسن البنا، وأن نتعرض كذلك إلى كتبه ورسائله، بالإضافة إلى دراسة تاريخ الجماعة بعد رحيله وما آلت إليه بعد ذلك، وهذا ما سنعرفه من خلال المباحث التالية:

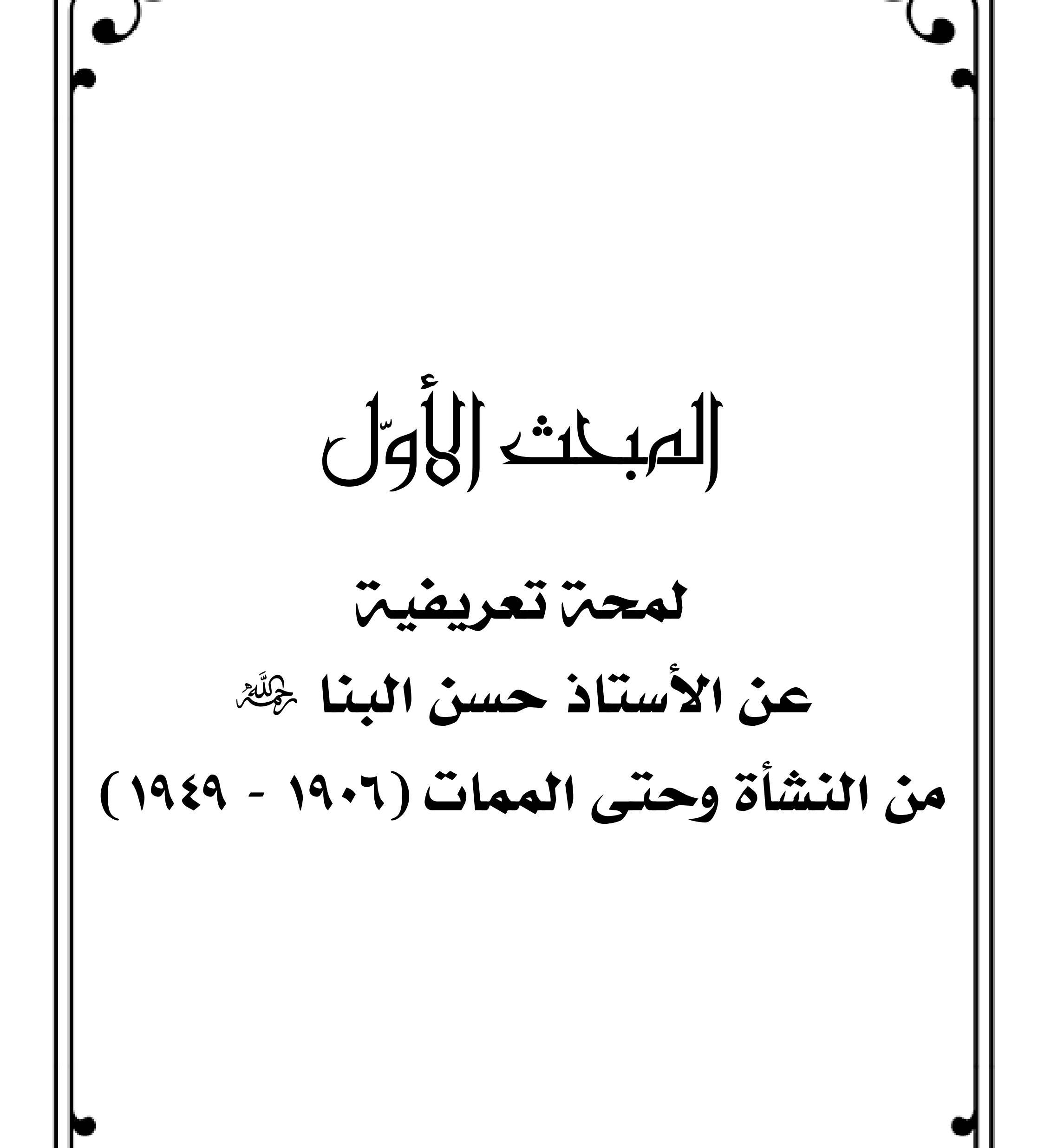
المبحث الأول: لمحة تعريفية عن الأستاذ حسن البنا رحمه الله من النشأة وحتى الممات (١٩٠٦ – ١٩٤٩).

المبحث الثاني: قراءة عامة في الأصول الفكرية لحسن البنا قبل تكوين الجماعة.

المبحث الثالث: المحطات الرئيسة التي مر بها حسن البنا بعد تكوين الجماعة.

المبحث الرابع: كيف سارت الجماعة بعد رحيل البنا؟





المبحث الأوّل

لمحة تعريفية
عن الأستاذ حسن البنا رحمه الله
من النشأة وحتى الممات (١٩٠٦ - ١٩٤٩)

المبحث الأول:
لمحة تعريفية عن الأستاذ حسن البنا رحمه الله
من النشأة وحتى الممات (١٩٠٦ - ١٩٤٩) (١)

هو حسن أحمد عبد الرحمن البنا مؤسس الجماعة ومرشدها الأول، ولد في قرية المحمودية بمحافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية في عام ١٩٠٦، نشأ في أسرة متواضعة الحال، وكان هو الابن الأكبر بين إخوته، تدرج في مراحل التعليم المختلفة بداية من «الكُتاب» حتى تخرجه من كلية دار العلوم بالقاهرة عام ١٩٢٧.

وقد قام البنا بتأسيس جماعة الإخوان في عام ١٩٢٨التي سرعان ما انتشرت في ربوع القطر المصري، وفي عام ١٩٣٦ اقتحم البنا الميدان السياسي لأول مرة في تاريخ الجماعة، ثم حدثت بعد ذلك تقلبات حادة في حياة البنا وحياة جماعته، فالجماعة التي بدأت قوية ورائدة ومؤثرة في المجتمع المصري، لم يمض عليها ربع قرن حتى كان غالبية أعضائها في السجون، أما البنا فكان ملء السمع والبصر ومحل تقدير من الملك ومن حكوماته المختلفة -بدرجات متفاوتة- لكن لم تدم هذه العلاقة طويلًا بل ساءت جدًا في آخر مرحلة من مراحل حياته، حتى تم اغتياله في عام ١٩٤٩في فترة حكومة إبراهيم عبد الهادي الذي خلف محمود النقراشي في رئاسة الحكومة عقب اغتياله على يد أحد شباب الجماعة.

أما والده فهو العالم المعروف الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، وذلك نظرًا لعمله في إصلاح الساعات، وكان الشيخ أحمد من علماء الحديث، فقد رتب مسند الإمام أحمد بن حنبل، وخرَّج أحاديثه، وشرح ما يحتاج إلى بيان، وسمّاه «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني».

---

(١) راجع مذكرات الدعوة والداعية للأستاذ حسن البنا.

وفيما يلي سوف نتعرض سريعا للمحطات الرئيسة في حياة حسن البنا، فقد مرت حياته الدراسية بأربع مراحل كما يلي:

- مدرسة الرشاد الدينية.
- المدرسة الإعدادية.
- مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور.
- دار العلوم بالقاهرة.

مدرسة الرشاد الدينية:

التحق البنا بمدرسة الرشاد الدينية وعمره حوالي ثمانية أعوام واستمر فيها لمدة أربع سنوات، وقد تحدث البنا عن تجربته في هذه المدرسة وهو يتكلم عن مؤسسها الشيخ محمد زهران فقال:

«وأنشأ مع ذلك مدرسة الرشاد الدينية سنة ١٩١٥م تقريبًا لتعليم النشء على صورة كتاتيب الإعانة الأهلية المنتشرة في ذلك العهد في القرى والريف، ولكنها في منهج المعاهد الرائعة التي تعتبر دار علم ومعهد تربية على السواء، ممتازة في مادتها وطريقتها وتشتمل مواد الدراسة فيها – زيادة على المواد المعروفة في أمثالها حينذاك – على الأحاديث النبوية حفظًا وفهمًا.

فكان على التلاميذ أن يدرسوا كل أسبوع في نهاية حصص يوم الخميس حديثًا جديدًا يشرح لهم حتى يفقهوه، ويكررونه حتى يحفظوه ثم يستعرضون معه ما سبق أن درسوه، فلا ينتهي العام إلا وقد حصلوا ثروة لا بأس بها من حديث رسول الله ﷺ، وأذكر أن معظم ما أحفظ من الأحاديث بنصه هو مما علق بالذهن منذ ذلك الحين، كما كانت تشتمل كذلك على الإنشاء والقواعد والتطبيق، وطرف من الأدب في المطالعة أو الإملاء، ومحفوظات ممتازة من جيد النظم أو النثر، ولم يكن شيء من هذه المواد معروفًا في الكتاتيب المماثلة».

وقد تأثر البنا بأخلاق شيخه وسلوكه تأثرًا كبيرًا، وأحب مهنة التدريس والتربية من خلال معايشته له، يقول البنا حاكيا عن شيخه:

«وكان للرجل أسلوب في التدريب والتربية مؤثر منتج، رغم أنه لم يدرس علوم التربية ولم يتلق قواعد علم النفس، فكان يعتمد أكثر ما يعتمد على المشاركة الوجدانية

بينه وبين تلامذته، وكان يحاسبهم على تصرفاتهم حسابًا دقيقًا مُشْرِبًا بإشعارهم الثقةَ بهم والاعتماد عليهم، ويجازيهم علي الإحسان أو الإساءة جزاءً أدبيًا يبعث في النفس نشوة الرضا والسرور مع الإحسان، كما يذيقها قوارص الألم والحزن مع الإساءة، وكثيرًا ما يكون في صورة نكتة لاذعة أو دعوة صالحة أو بيت من الشعر.

وقد كان الأستاذ يوصي بكراسة، بأن يكتب الطالب بنفسه ما يمليه عليه لأنه ﵀ كان كفيفًا ولكن في بصيرته نور كثير عن المبصرين ولعلي أدركت منذ تلك اللحظة وإن لم أشعر بهذا الإدراك أثر التجاوب الروحي والمشاركة العاطفية بين التلميذ والأستاذ، فلقد كنا نحب أستاذنا حبًا جمًا رغم ما كان يكلفنا به من مرهقات الأعمال».

المدرسة الإعدادية:

أنهى حسن البنا دراسته الأولية في مدرسة الرشاد ثم التحق بالمدرسة الإعدادية وقد كان دأبه في هذه المرحلة أن يقسم وقته بين الدرس نهارًا وتعلم حرفة الساعات التي أَلَمَّ بها بعد الانصراف من المدرسة إلى العشاء، ويستذكر هذه الدروس بعد ذلك إلى النوم ويحفظ حصة من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح حتى يذهب إلى المدرسة.

مدرسة المعلمين الأولية:

بعد انتهاء المرحلة الإعدادية التحق البنا بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور، يقول البنا حاكيًا عن نمط حياته في هذه المرحلة:

«كنت أمضي الأسبوع المدرسي في دمنهور، وأعود ظهر الخميس إلى المحمودية حيث أمضي ليلة الجمعة وليلة السبت، ثم أعود صباح السبت إلى المدرسة فأدرك الدرس الأول في موعده.

وكان لي في المحمودية مآرب كثيرة تُقْضَى في هذه الفترة غير زيارة الأهل وقضاء الوقت معهم، فقد كانت الصداقة بيني وبين الأخ أحمد أفندي السكري قد توثقت أواصرها إلى درجة أن أحدنا ما كان يصبر أن يغيب عن الآخر طوال هذه الفترة أسبوعًا كاملًا دون لقاء[1].

---

(١) استمرت هذه الصداقة بعد تأسيس الجماعة لما يزيد على عشر سنوات، ثم حصلت مفاصلة كبيرة بينهما =

يضاف إلى ذلك أن ليلة الجمعة في منزل الشيخ «شلبي الرجّال» بعد الحضرة (حيث كنا نتدارس فيها كتب التصوف من الإحياء والياقوت والجواهر وغيرها، ونسمع أحوال الأولياء، ونذكر الله إلى الصباح) وكانت من أقدس مناهج حياتنا، وكنت قد تقدمت في صناعة الساعات وفي صناعة التجليد أيضًا، أقضي فترة النهار في الدكان صانعًا وفترة الليل مع الإخوان الحصافية ذاكرًا».

دار العلوم:

التحق حسن البنا بكلية دار العلوم عام ١٩٢٣ وتخرج منها عام ١٩٢٧، وقد أتاحت له هذه الفترة فرصة كافية للاستفادة من أساتذة الكلية حيث كانوا يمثلون وقتها نجوم العلم والأدب والثقافة، ووفرت له كذلك إمكانية تكوين علاقات وصداقات معهم، مع أنه لم يكن راغبًا في دخولها وكاد أن يقرر ألا يدخلها ويكتفي بحصوله على شهادة مدرسة المعلمين تأثرًا بالرأي القائل إن العلم الواجب هو العلم المحتاج إليه في أداء الفرائض وكسب العيش ثم الانصراف بعد ذلك إلى العمل.

يقول البنا: «كادت هذه الفلسفة تغلب على نفسي بل هي تغلبت فعلًا، ولكن أستاذنا الشيخ فرحات سليم ﷺ وكان يحبني حبًا جمًا ويظهر عطفه عليَّ في كل مناسبة، وينزل من نفسي منزلة كريمة، استطاع بلباقة ولطف أن يدفعني إلى المذاكرة بجد، وإلى التقدم إلى دار العلوم فعلًا، وكان من قوله: إنك الآن على أبواب شهادة الكفاءة والعلم لا يضر، وتقدمك في امتحان دار العلوم تجربة للامتحانات الكبيرة، وهذه فرصة لا تعوض، فتقدم لتحفظ لنفسك حقها، وأنا واثق من نجاحك إن شاء الله، ثم أمامنا بعد ذلك مجال تفكر فيه كما تشاء ولك أن ترفض أو تدخل، وهكذا استطاع بتأثيره القوي أن يدفعني دفعًا إلى التقدم بطلبي مع المتقدمين فتقدمت، وكان الامتحان قبل امتحان شهادة الكفاءة بفترة قليلة».

=في بداية الأربعينيات، على إثرها قام البنا بفصله من الجماعة، ودارت بينهما مساجلات واتهامات علنية ليس هذا موضع بسطها.

في هذه الفترة قرأ البنا للغزالي والزمخشري وفخر الدين الرازي الفيلسوف وأبي الحسن الأشعري بالإضافة إلى كتابات السلف والأئمة الصوفية، كما قرأ لديكارت وإسحاق نيوتن وميشال الفلكي الإنجليزي وهربرت اسبنسر وغيرهم.

كما أنه التقي بكثير من العلماء والمفكرين والأدباء وتأثر ببعضهم، فكانت له لقاءات كثيرة مع الشيخ محب الدين الخطيب والشيخ رشيد رضا والأستاذ محمد الخضر حسين، والأستاذ محمد أحمد الغمراوي، وأحمد باشا تيمور، وعبد العزيز باشا محمد، كما كان يلتقي بالشيخ عبد العزيز الخولي، والشيخ محمد العدوي، وكانت لقاءاته بهم للاستفادة من علمهم وثقافتهم.

كما كان البنا يغشى مجالس الشيخ يوسف الدجوي وكذلك كان كثير اللقاء بالأستاذ محمد فريد وجدي حيث يغشى داره ويجلس للاستفادة من المناقشات التي كانت تتم بينه وبين العلماء من ضيوفه.

يصف البنا حالته في هذه الفترة، فيقول في مذكراته:

«وهكذا كانت حياتي في القاهرة خليطًا عجيبًا من الحضرة في منزل الشيخ أو منزل علي أفندي غالب، إلى المكتبة السلفية حيث السيد محب الدين، إلى دار المنار والسيد رشيد، إلى منزل الشيخ الدجوي، ثم منزل فريد بك وجدي، ودار الكتب أحيانًا، ومسجد شيخون أحيانًا أخرى».

وكما مرت رحلة البنا الدراسية بعدة مراحل، كذلك فإن حياته الدعوية والحركية مرت بعدة مراحل أيضًا، فالمميزون دائمًا ما تبدو عليهم علامات النبوغ المبكر ويسهل لصاحب الفراسة أن يتنبأ لهم بشأن ومكانة في المستقبل، وقد كانت للبنا منذ صغره تجارب دعوية عديدة كما يلي:

جمعية الأخلاق الأدبية:

بدأت التجربة الدعوية لحسن البنا من المرحلة الإعدادية فعندما دخل المدرسة الإعدادية شارك في جمعية الأخلاق الأدبية وبرز فيها، وأصبح رئيسًا لمجلس إدارتها

التي كانت لائحتها تدعو إلى مكارم الأخلاق وتغرم من يخطئ في حق إخوانه مبلغًا من المال ينفق في أوجه الخير، ويذكر البنا ذكرياته مع هذه الجمعية فيقول في كتاب مذكرات الدعوة والداعية:

«وكانت لائحتها الداخلية تتلخص في أن من شتم أخاه غرم مليمًا واحدًا، ومن شتم الوالد غرم مليمين، ومن شتم الأم غرم قرشًا، ومن سب الدين غرم قرشين[1]، ومن تشاجر مع آخر غرم مثل ذلك، وتضاعف هذه العقوبة لأعضاء مجلس الإدارة ورئيسه، ومن توقف عن التنفيذ قاطعه زملاؤه حتى ينفذ، وما يتجمع من هذه الغرامات ينفق في وجوه من البر والخير، وعلى هؤلاء الأعضاء جميعًا أن يتواصوا فيما بينهم بالتمسك بالدين وأداء الصلاة في أوقاتها، والحرص على طاعة الله والوالدين ومن هم أكبر سنًا أو مقامًا».

جمعية منع المحرمات:

بعد تجربة جمعية الأخلاق، أحب البنا أن يمتد هذا النشاط خارج نطاق المدرسة، فأنشأ وأصحابه جمعية منع المحرمات وكانت جمعية تأمر الناس بالمعروف وتنهاهم عن المنكر عن طريق إرسال خطابات إلى كل من يعرف عنه أنه ارتكب منكرًا، يحكي البنا عن هذه التجربة في مذكرات الدعوة والداعية فيقول:

«وقرروا تأليف جمعية إسلامية باسم جمعية منع المحرمات وكان اشتراك العضو فيها يتراوح بين خمسة مليمات وعشرة أسبوعيًا، وكانت أعمالها موزعة على أعضائها، فمنهم من كانت مهنته تحضير النصوص وصوغ الخطابات، وآخر مهنته كتابة هذه

---

(١) التعزير فيما سبق من مخالفات قد يكون مقبولًا من باب حمل النفس علي الطاعة وزجرها عن المعصية، لكن سب الدين أمر مختلف لأن به استهزاء واستخفافًا بالله ﷻ، ويلزم من وقع فيه التوبة النصوح ونطق الشهادتين مرة أخرى، يقول تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة].



الخطابات بالحبر الزفر، وثالث مهنته طبعها، والباقون توزيعها على أصحابها، وأصحابها هم الذين تصل إلى الجمعية أخبارهم بأنهم يرتكبون بعض الآثام أو لا يحسنون أداء العبادات على وجهها خصوصًا الصلاة.

فمن أفطر في رمضان ورآه أحد الأعضاء بلغ عنه فوصله خطاب فيه النهي الشديد عن هذا المنكر، ومن قصر في صلاته ولم يخشع فيها ولم يطمئن وصله خطاب كذلك، ومن تحلى بالذهب وصله خطاب فيه حرمة التحلي بالذهب شرعًا، وأيما امرأة شاهدها أحد الأعضاء تلطم وجهها في مأتم أو تدعو بدعوى الجاهلية وصل زوجها أو وليها خطاب.

وهكذا ما كان أحد من الناس صغيرًا أو كبيرًا يعرف عنه شيء من المآثم إلا وصله خطاب من الجمعية ينهاه أشد النهي عما يفعل، وكان من اليسير على الأعضاء لصغر سنهم وعدم اتجاه الأنظار إليهم أو وقوع الشبهة عليهم أن يعرفوا كل شيء ولا يتحرز الناس منهم، وكان الناس يظنون أن هذا من عمل أستاذنا الشيخ زهران ﷺ ويقابلونه ويلومونه لومًا شديدًا ويطلبون إليه أن يتحدث إليهم فيما يريد بدلًا من هذه الكتابة.

والرجل يتنصل من ذلك ويدفع عن نفسه، وهم لا يكادون يصدقون حتى وصله ذات يوم خطاب من الجمعية يلفت نظره إلى أنه صلى فريضة الظهر بين السواري وذلك مكروه وهو عالم البلد، فيجب عليه أن يبتعد عن المكروهات ليبتعد غيره من العوام عن المحرمات، وأذكر أن الشيخ ﷺ دعاني حينذاك – وقد كانت صلتي مستمرة به في الدروس العامة وإن كنت قد تركت مدرسته أو مكتبته – لنراجع معًا هذا الحكم في كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولا زالت أذكر الموضع كأنه اليوم وكنت أقرأ له وأنا ابتسم وهو يتساءل عن هؤلاء الذين كتبوا له ووجد أن الحق معهم وأنهيت ذلك إلى أعضاء الجمعية فكان سرورهم عظيمًا.

واستمرت الجمعية تؤدي عملها أكثر من ستة أشهر وهي مثار عجب الناس ودهشتهم، حتى اكتشف أمرهم على يد صاحب قهوة استدعى راقصة فوصله خطاب

من الجمعية وكانت الخطابات لا ترسل بالبريد اقتصادًا في النفقات، وإنما يحملها أحد الأعضاء ويضعها في مكان يلفت نظر صاحبها إليه فيستلمها ولا يرى من جاء بها، ولكن المعلم كان يقظان فشعر بحركة حامل الخطاب فقبض عليه بخطابه وعاتبه عتابًا شديدًا أمام من في القهوة، وعرفت الجمعية عن هذا الطريق فرأى أعضاؤها أن يخففوا من نشاطهم ويعملوا بأسلوب آخر لمنع المحرمات».

جمعية الحصافية الخيرية:

كان ذلك إبان المرحلة الإعدادية وبعد أن انتقل إلى مدرسة المعلمين بدمنهور، حيث أسس مع زميله أحمد أفندي السكري «جمعية الحصافية الخيرية» وكان أحمد السكري رئيسًا لها وحسن البنا سكرتيرًا لها. وكانت أهداف هذه الجمعية ومجال عملها في ميادين أوسع وأشمل من الجمعيات الأولى يقول البنا عن هذه الجمعية:

«**وزاولت الجمعية عملها في ميدانين مهمين:**

الميدان الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التي هبطت إلى البلد واستقرت فيها، وكان قوامها ثلاث فتيات رأسهن مسز (وايت)، وأخذت تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب وتعليم التطريز وإيواء الصبية من بنين وبنات، وقد كافحت الجمعية في سبيل رسالتها مكافحة مشكورة وخلفتها في هذا الكفاح جمعية «الإخوان المسلمين» بعد ذلك».

تجربة الدعوة في القاهرة:

ولما انتقل البنا إلى القاهرة عند دخوله دار العلوم وشاهد فيها مظاهر التحلل والفساد، مما لا عهد له به في حياة الريف، وقرأ في الصحف كثيرًا مما ينافي تعاليم الإسلام ورأى جهل العامة بأحكام الدين، ففكر في تكوين مجموعة مِنَ الدعاة من زملائه في الأزهر ودار العلوم للدعوة إلى الله في المساجد والمقاهي والمجتمعات العامة، ويحكي البنا في مذكرات الدعوة والداعية عن هذه التجربة فيقول:

«ففكرت في أن أدعو إلى تكوين فئة من الطلاب الأزهريين وطلاب دار العلوم

للتدريب على الوعظ والإرشاد في المساجد ثم في المقاهي والمجتمعات العامة، ثم تكون منهم بعد ذلك جماعة تنتشر في القرى والريف والمدن المهمة لنشر الدعوة الإسلامية.

وقرنت القول بالعمل فدعوت لفيفًا من الأصدقاء للمشاركة في هذا المشروع الجليل كان منهم الأخ الأستاذ محمد مدكور خريج الأزهر وكان لازال مجاورًا حينذاك، والأخ الأستاذ حامد عسكرية رحمه الله، والأخ الأستاذ أحمد عبد الحميد عضو الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين الآن وغيرهم، كنا نجتمع في مساكن الطلاب في مسجد شيخون بالصليبة، ونتذاكر جلال هذه المهمة وما تستلزمه من استعداد علمي وعملي، وخصصت جزءًا من كتبي كالإحياء للغزالي والأنوار المحمدية للنبهاني وتنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للشيخ الكردي، وبعض كتب المناقب والسير، لتكون مكتبة دورية خاصة بهؤلاء الإخوان يستعيرون أجزاءها، ويُحَضِّرون موضوع الخطب والمحاضرات منها.

وجاء الدور العملي بعد هذا الاستعداد العلمي فعرضت عليهم أن نخرج للوعظ في المقاهي، فاستغربوا ذلك وعجبوا منه وقالوا:

إن أصحاب المقاهي لا يسمحون بذلك ويعارضون فيه لأنه يعطل أشغالهم، وإن جمهور الجالسين على هذه المقاهي هم قوم منصرفون إلى ما هم فيه وليس أثقل عليهم من الوعظ، فكيف نتحدث في الدين والأخلاق لقوم لا يفكرون إلا في هذا اللهو الذي انصرفوا إليه؟

وكنت أخالفهم في هذه النظرة وأعتقد أن الجمهور أكثر استعدادًا لسماع العظات من أي جمهور آخر حتى جمهور المسجد نفسه، لأن هذا شيء طريف وجديد عليه والعبرة بحسن اختيار الموضوع، فلا نتعرض لما يجرح شعورهم، وبطريقة العرض فتعرض بأسلوب شائق جذاب، وبالوقت فلا نطيل عليهم القول.

ولما طال بنا الجدل حول هذا الموضوع قلت لهم:

ولم لا تكون التجربة هي الحد الفاصل في الأمر؟ فقبلوا ذلك وخرجنا فبدأنا بالمقاهي الواقعة بميدان صلاح الدين وأول السيدة عائشة ومنها إلى المقاهي المنتشرة في

أحياء طولون إلى أن وصلنا من طريق الجبل إلى شارع سلامة، والسيدة زينب، وأظنني ألقيت في هذه الليلة أكثر من عشرين خطبة تستغرق الواحدة منها بين خمس دقائق إلى عشر.

ولقد كان شعور السامعين عجيبًا، وكانوا ينصتون في إصغاء ويستمعون في شوق، وكان أصحاب المقاهي ينظرون بغرابة أول القول ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك، وكان بعض هؤلاء يقسم بعد الخطبة أننا لابد أن نشرب شيئًا أو نطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله فلا نريد أن نضيعه في شيء، وكان هذا المعنى يؤثر في أنفسهم كثيرًا.

لقد نجحت التجربة مائة في المائة، وعدنا إلى مقرنا في شيخون ونحن سعداء بهذا النجاح، وعزمنا على استمرار الكفاح في هذه الناحية»[1].

الانتقال إلى الإسماعيلية:

تخرج البنا من دار العلوم، وحصل على الدبلوم في يونية ١٩٢٧، واحتاج إلى البحث عن وظيفة، وكان من تقدير الله ﷻ أن يأتي له التعيين في مدينة بعيدة عن القاهرة، وهي مدينة الإسماعيلية.

يحكي البنا ذكرياته في هذه المدينة، فيقول في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية»:

«وصل القطار إلى الإسماعيلية وتفرق المسافرون كل إلى وجهته، وأشرف صاحبنا على هذا البلد الجميل، الذي كان يبدو كأروع ما يكون إذا نظر إليه المسافر من فوق قنطرة سكة الحديد، واستهوت هذه المناظر قلب القادم الجديد، وأخذت بلبه، فوقف هنيهة، وسبح لحظة في عالم من الخيال أو المناجاة، يحاول أن يقرأ في لوح الغيب ما كتب له في هذا البلد الطيب، ويسأل الله تبارك وتعالى في حرارة وصفاء مناجاة، أن يقدر له

---

(١) الدعوة إلي الله بالكلمة الطيبة والأسلوب الرقيق والسمت الحسن هي مَنْ صنعت لجماعة الإخوان شعبية وجماهيرية لم تتوفر لحزب ولا لشخص ولا لجماعة، ومن يدقق في تاريخ الجماعة يتيقن أن أوسع مراحل الدعوة انتشارًا هي المرحلة التي كانت فيها الصبغة الدعوية هي الموجهة للجماعة والمحركة لأهدافها، وبقدر ما نبتعد عن هذا المنهج بقدر ما نفقد البركة والتوفيق من الله وبقدر ما نخسر من تأييد وحب الناس، فياليت من يقرأون هذا التاريخ ينتبهون إلى ذلك ويتعلمون منه الدرس.



ما فيه الخير، وأن يجنبه ما فيه الشرور والآثام، فإنه يحس من أعماق قلبه أنه لا بد له في هذا البلد من شأن غير شأن هؤلاء الغادين الرائحين من أهله وزائريه.

ويقضي هذا المدرس الجديد وقته بين المسجد والمدرسة والمنزل، لا يحاول أن يختلط بأحد ولا يتعرف إلى غير بيئته الخاصة من زملائه في وقت العمل. أما وقت فراغه فهو مكب فيه على رياضة، أو دراسة لهذا الوطن الجديد، من حيث أهله، ومناظره وخصائصه، أو مطالعة أو تلاوة، لا يزيد على ذلك شيئًا مدى أربعين يومًا كاملة، ولم يزايله لحظة من اللحظات كلمة الصديق المودع.

«إن الرجل الصالح يترك أثرًا صالحًا في كل مكان ينزل فيه، وإنا لنرجو أن يترك صديقنا أثرًا صالحًا في هذا البلد الجديد عليه».

وقد عرف هذا النزيل فيما عرف أن مدرسًا إسلاميًا سبقه في هذا البلد، وطلع على أهله بنظرات في الفكرة الإسلامية، بدت غريبة أمام معظمهم، ونشط لمقاومتها بعض علمائهم، فنتج عن ذلك انقسام بين الناس، وتحيز لآراء وأفكار لا تجتمع عليها القلوب، ولا تنبني معها الوحدة المنشودة التي لا تتحقق بدونها غاية.

فأخذ يفكر فيما يصنع، وكيف يواجه هذا الانقسام، وهو يرى أن كل متكلم في الإسلام، يواجهه كل فريق بفكرته، ويريد أن يضمه إلى جانبه أو أن يعلم على الأقل، أهو من حزبه أو من أعاديه، وهو يريد أن يخاطب الجميع، وأن يتصل بالجميع وأن يلم شتات الجميع؟!.

فكر طويلًا في ذلك، ثم قرر أن يعتزل هذه الفرق كلها، وأن يبتعد ما استطاع عن الحديث إلى الناس في المساجد، فالمسجد وجمهور المسجد هم الذين ما زالوا يذكرون موضوعات الخلاف، ويثيرونها عند كل مناسبة، إذن فليترك هذا النزيل المسجد وأهله، وليفكر في سبيل أخرى يتصل بها بالناس، ولم لا يتحدث إلى جمهور القهوة في القهوة؟!

ساورته هذه الفكرة حينًا، ثم اختمرت في رأسه، وبدأ ينفذها فعلًا، اختار لذلك ثلاث مقاهٍ كبيرة، تجمع ألوفًا من الناس ورتب في كل منها درسين في الأسبوع وأخذ يزاول التدريس بانتظام في هذه الأماكن. وقد بدأ هذا اللون من ألوان الوعظ والتدريس الديني غريبًا في نظر الناس أولًا، ثم ما لبثوا أن ألفوه وأقبلوا عليه.

كان المدرس دقيقًا في أسلوبه الفريد الجديد، فهو يتحرى الموضوع الذي يتحدث فيه جيدًا بحيث لا يتعدى أن يكون وعظًا عامًا: تذكيرًا بالله واليوم الآخر، وترغيبًا وترهيبًا، فلا يعرض لتجريح أو تعريض، ولا يتناول المنكرات والآثام التي يعكف عليها هؤلاء الجالسون بلوم أو تعنيف، ولكنه يقنع بأن يدع شيئًا من التأثير في هذه النفوس وكفى.

وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلًا جذابًا مشوقًا، خليطًا بين العامية أحيانًا، ويمزجه بالمُحَسَّات والأمثال والحكايات، ويحاول أن يجعله خطابيًا مؤثرًا في كثير من الأحيان،وهكذا يتحايل دائما على جذب هذه النفوس باعثا الرغبة والشوق إلى ما يقول، وهو بعد هذا لا يطيل حتى لا يُمِلَّ، ولكنه لا يزيد في الدرس على عشر دقائق، فإذا أطال فربع ساعة، مع الحرص التام على أن يوفي في هذا الوقت معنى خاصًا، يقصد إليه، ويتركه وافيًا واضحًا في نفوس السامعين، وهو حين يعرض – فيما يعرض – لآية أو حديث يتخير تخيرًا مناسبًا، ثم يقرأ قراءة خاشعة، ثم يتجنب التفاسير الاصطلاحية، والتعليقات الفنية، ويكتفي بالمعنى الإجمالي يوضحه، والاستشهاد المقصود يشرحه.

كان لهذا المسلك أثره في الجمهور الإسماعيلي. وأخذ الناس يتحدثون ويتساءلون، وأقبلوا إلى هذه المقاهي ينتظرون، وعمل هذا الوعظ عمله في نفوس المستمعين، وبخاصة المواظبين منهم، فأخذوا يفيقون ويفكرون، ثم تدرجوا من ذلك إلى سؤاله عما يجب أن يفعلوا ليقوموا بحق الله عليهم وليؤدوا واجبهم نحو دينهم وأمتهم، وليضمنوا النجاة من العذاب، والفوز بالنعيم، وابتدأ هو يجيبهم إجابات غير قاطعة جذبًا لانتباههم واسترعاء لقلوبهم، وانتظارًا للفرصة السانحة، وتهيئة للنفوس الجامحة.

وتوالت الأسئلة على المدرس من هذه القلوب المؤمنة الطيبة، ولم يشف غليلها هذا الجواب المقتضب، وألح نفر من الإخوان في وجوب رسم الطريق التي يجب أن يسلكوها، ليكونوا مسلمين ينطبق عليهم بحق وصف الإسلام، فهم يريدون أن يتعلموا أحكام الإسلام بعد أن تحرك وجدانهم بشعور أهل الإسلام، فيشير عليهم المدرس باختيار مكان خاص يجتمعون فيه بعد دروس المقهى أو قبلها ليتدارسوا هذه



الأحكام، ويقع اختيارهم على زاوية نائية في حاجة إلى شيء من الرميم(*) والتصليح للاجتماع ولإقامة الشعائر».

جمعية الشبان المسلمين:

شارك البنا في تأسيس جمعية الشبان المسلمين عام ١٩٢٧، قبل نشأة جماعة الإخوان المسلمين بعام؛ وقد كان ذلك في فترة وجوده بالقاهرة للدراسة في دار العلوم، فشارك مع الشيخ الدجوي، والشيخ محب الدين الخطيب وغيرهما في مراحل التفكير الأولى، وعقدت عدة اجتماعات بهذا الخصوص؛ دُعي فيها لفيفٌ من علماء الأمة ووجهائها المهتمين بحال الإسلام والمسلمين، شارك فيها البنا بانتظام إلى أن تم نقله للعمل إلى الإسماعيلية بعد التخرج من دار العلوم، وقد أسفرت الاجتماعات عن إنشاء جمعية الشبان المسلمين، وكان البنا أول المشتركين فيها، وحرص وهو في الإسماعيلية على المشاركة الإيجابية في جُلِّ أنشطتها.

وكان تشكيل مجلس الإدارة والهيئة التأسيسية من الدكتور عبد الحميد سعيد رئيسًا، والدكتور يحيى الدرديري والشيخ محب الدين الخطيب وأمثالهم أعضاءً، وكان حسن البنا هو العضو الوحيد الذي يمثل الشباب بين أولئك العمالقة.

يقول الأستاذ حسن البنا في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية»:

«ورغم الاهتمام الكامل بتدعيم الفكرة، وتهيئة النفوس لها في الإسماعيلية، فإن ذلك لم يحل بيني وبين الاهتمام بسير التيار الإسلامي الضعيف - حينذاك - واتجاهاته في القاهرة، فكنت على صلة تامة بمجلة الفتح، وكنت أعمل جاهدًا على نشر الدعوة لها في الإسماعيلية، والإكثار من مشتركيها باعتبارها شعاع النور الأول الذي يسير العاملون للحركة الإسلامية في ضوئه».

جماعة الإخوان المسلمين:

وبعد عام واحد من تأسيس الجمعية وفي مارس ١٩٢٨ اجتمع البنا بستة أشخاص

(*) هكذا في الأصل، ولعل الصواب «الترميم».

وأعلنوا أنفسهم جماعة الإخوان المسلمين تحت قيادته حيث كان عمره آنذاك ٢٢ عامًا، يقول البنا في مذكراته عن لقائه مع هؤلاء الستة[1]:

«وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٧هـ مارس سنة ١٩٢٨ م فيما أذكر زارني بالمنزل، أولئك الإخوة الستة: حافظ عبد الحميد، أحمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل عز، زكي المغربي، وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي كنت ألقيها، وجلسوا يتحدثون إلي وفي صوتهم قوة وفي عيونهم بريق، وعلى وجوههم سنا الإيمان والعزم، قالوا: «لقد سمعنا ووعينا، وتأثرنا، ولا ندري ما الطريق العملية إلى عزة الإسلام وخير المسلمين، ولقد سئمنا هذه الحياة: حياة الذلة والقيود، وها أنت ترى العرب والمسلمين في هذا البلد لا حَظَّ لهم من منزلة وكرامة، وأنهم لا يعدون مرتبة الأُجَرَاءِ التابعين لهؤلاء الأجانب.

ونحن لا نملك إلا هذه الدماء تجري حارة بالعزة في عروقنا، وهذه الأرواح تسري مشرقة بالإيمان والكرامة مع أنفاسنا، وهذه الدراهم القليلة من قوت أبنائنا، ولا نستطيع أن ندرك الطريق إلى العمل كما تدرك، أو نتعرف السبيل إلى خدمة الوطن والدين والأمة كما تعرف، وكل الذي نريده الآن أن نقدم ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدي الله، وتكون أنت المسئول بين يديه عنا وعما يجب أن نعمل، وإنَّ جماعةً تعاهد الله مخلصة على أن تحيا لدينه، وتموت في سبيله، لا تبغي بذلك إلا وجهه، لجديرة أن تنتصر، وإن قل عددها وضعفت عُدَدُهَا.

كان لهذا القول المخلص أثره البالغ في نفسي، ولم أستطع أن أتنصل من حمل ما حُمِّلْتُ، وهو ما أدعو إليه وأعمل له، وما أحاول جمع الناس عليه، فقلت لهم في تأثر عميق: «شكر الله لكم وبارك هذه النية الخالصة، ووفقنا إلى عمل صالح يرضي الله

---

(١) المثير للتساؤل في هذه الرواية أن هؤلاء الستة لم يظهر لهم أثر بعد ذلك، ولم يأت لهم ذكر، ولا يعرفهم أحد، رغم أنهم المؤسسون الأوائل لهذه الدعوة، وحتى بعد أن تقرر إنشاء هيئة مكتب الإرشاد العام للجماعة، لم يدخل أحد منهم في هذه الهيئة، كل هذا يلقى بظلال من الشك حول دقة هذه الواقعة.



وينفع الناس، وعلينا العمل وعلى الله النجاح، فلنبايع الله على أن نكون لدعوة الإسلام جندًا، وفيها حياة الوطن وعزة الأمة.

وكانت بيعة.. وكان قسمًا أن نحيا إخوانًا نعمل للإسلام ونجاهد في سبيله. وقال قائلهم: بم نسمي أنفسنا! وهل نكون جمعية أو ناديًا، أو طريقة أو نقابة حتى نأخذ الشكل الرسمي! فقلت: لا هذا، ولا ذاك، دعونا من الشكليات، من الرسميات، وليكن أول اجتماعنا وأساسه: الفكرة والمعنويات والعمليات. نحن إخوة في الإسلام، فنحن إذن «الإخوان المسلمون».

وجاءت بغتة.. وذهبت مثلًا.. وولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين من هؤلاء الستة، حول هذه الفكرة، على هذه الصورة، وبهذه التسمية».

وقد ثارت تساؤلات حول المغزى من إنشاء جماعة جديدة، وجمعية الشبان المسلمين ما زالت وليدة، والبنا أحد أعضائها، ولم يُجِبِ البنا وقتها عن هذا السؤال، ولكنه أجاب بعد عشر سنين في رسالة المؤتمر الخامس، يقول البنا:

«كثيرًا ما يَرِدُ على أذهان الناس هذا السؤال: ما الفرق بين جماعة الإخوان وجماعة الشبان؟ ولماذا لا تكونان هيئة واحدة تعملان على منهاج واحد؟.

وأحب قبل الجواب على هذا السؤال أن أؤكد للذين يسرهم وحدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان، وبخاصةٍ هنا في القاهرة، لا يشعرون بأنهم في ميدان منافسة، ولكن في ميدان تعاون قوي وثيق، وأن كثيرًا من القضايا الإسلامية العامة يظهر فيها الإخوان والشبان شيئًا واحدًا وجماعة واحدة؛ إذ إن الغاية العامة مشتركة، وهي العمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين، وإنما تقع فروق يسيرة في أسلوب الدعوة وفي خطة القائمين بها وتوجيه جهودهم في كلتا الجماعتين، وإن الوقت الذي ستظهر فيه الجماعات الإسلامية كلها جبهةً موحدةً غير بعيد على ما أعتقد، والزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله».

وفي السنوات الأولى لدعوته أفصح البنا عن رؤيته الكلية، حيث ذكر أنه يحتاج إلى أجيال ثلاثة لتحقيق أهدافه (الجيل الأول: وهو جيل التكوين، الجيل الثاني: وهو جيل التنفيذ، الجيل الثالث: هو جيل الانتصار)، يوضح البنا في رسالة التعاليم هذه الخطوات فيقول:

«**وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث:**

١ – **التعريف**: بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة في هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية، وكل شُعَبِ الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، و ينظمها القانون الأساسي، وتشرحها وسائل الإخوان وجريدتهم، **والدعوة في هذه المرحلة عامة.**

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة في أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها، وليست الطاعة التامة لازمة في هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

٢ – **التكوين**: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى بعض، **ونظام الدعوة – في هذه المرحلة – صوفي بحت من الناحية الروحية، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج**، وتمثل الكتائب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا[1]، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها خاصة لا يتصل بها إلا من استعد استعدادا تامًا حقيقيًا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد كمال الطاعة.

---

(١) رسالة المنهج وضَّحت نظام الكتائب الذي بدأ في سبتمبر عام ١٩٣٧م، ولقد طُبعت هذه الرسالة وعُممت على جميع شُعب الإخوان في رجب ١٣٥٧هـ، الموافق سبتمبر ١٩٣٨م.

ولقد حددت هذه الرسالة المراحل التي مرت بها الجماعة مثل: مرحلة التعريف والتكوين، وموقف الإخوان من الهيئات، مثل: السراي، والأزهر الشريف، والحكومات، والهيئات الإسلامية، والأندية والجماعات الرياضية والعسكرية وشبهها، وموقف الإخوان من الهيئات الهدامة.

وقد جاء فيها بخصوص هذه المراحل ما يلي:

أولاً: المراحل:

طريق الإخوان المسلمين مرسومة محدودة معروفة المراحل والخطوات، ليست متروكة للظروف =



=والمصادفات. ومراحل هذه الطريق ثلاث: التعريف، والتكوين، والتنفيذ، أو الدعوة العامة، ثم الدعوة الخاصة، ثم العمل أو تغيير العرف العام، ثم الإعداد، ثم الإتمام، كل هذه الألفاظ لا تختلف مدلولاتها ووردت في تعاريف الإخوان المسلمين من قبل، وسنتناول كل مرحلة من هذه المراحل بالتفصيل؛ ليعلم الجاهل ويتذكر الناسي.

المرحلة الأولى: التعريف:

ويراد بها نشر الفكرة بين الناس، وإفهامهم إياها بصورة عامة، وتعرف القائمين بها إلى الشعب، وقد يكون من خطة العاملين للفكر والدعوات الابتداء بالتكوين أولًا، ثم بعد ذلك الإعلان، وتلك طريق طبيعية، ولكن دعوة الإخوان نشأت في ظروف خاصة، وأحاطت بها أسباب خاصة جعلتها تبدأ بالتعرف إلى الشعب كله، ثم تسلك بعد ذلك طريق التكوين، ثم التنفيذ. هل نجحنا في هذا الدور؟ وإلى أي مدى كان هذا النجاح؟ وما الوسائل التي اتخذناها؟ وهل تمت هذه المرحلة؟

أما إننا نجحنا في هذا الدور فنعم والحمد لله نجاحًا نحمد الله عليه، ونسأله المزيد منه، وإلى مدى بعيد فقد طفنا القطر من أقصاه إلى أقصاه، ودرسنا حواضره ومدنه وقراه، واتصلنا بأبنائه من كل الطبقات، وامتدت أشعة هذه الدعوة المباركة إلى الأقطار الخارجية شرقية وغربية، وصار لنا دعوة ودار في كل مكان، واسم يتردد على كل لسان، وأصبحت دعوة الإخوان أملًا، بل لعلها الأمل الباقي في نفوس الغيورين على هذا البلد، وصار في مصر شعور إسلامي قوي له أثره في تسيير أمورها العامة، ولو لم يعرف الناس أن هذا الشباب المتواضع المتواري في أربعة جدران هو أساس الانقلاب الروحي الجديد في نفس الشعب المصري.

لم نتخذ في هذه المرحلة من وسائل إلا الدروس والمحاضرات والكتب والنشرات والأسفار والرحلات، ولكنها دروس لا كدروس الناس، ومحاضرات لا كمحاضراتهم، وأسفار غير ما يتصورون، وبأسلوب غير الأسلوب الذي يعرفون، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

ذلك إلى جانب مساهمة الإخوان في شئون الخير العام من عمارة المساجد، والبر بالفقراء، وتقديم المذكرات الإصلاحية، وغير ذلك من الشئون التي تدخل في صميم الخير العام، وتقوى هذه المرحلة من مراحل الدعوة، وبهذا نستطيع أن نقول: إن هذه المرحلة قد تمت وفرغنا من العناية بها، وإن كان لا يفوتنا أن نعمل دائبين على استمرار نشر الدعوة، وتأسيس الشعب، ودور الإخوان، وتقوية أنديتهم ومشروعاتهم في كل مكان ما وجدنا السبيل إلى ذلك إن شاء الله.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التكوين، أو الدعوة الخاصة:

ويقصد بها استخلاص فريق ممن عرفوا الدعوة واستجابوا لها، يفهمون الفكرة حق الفهم، ويطبقونها على أنفسهم ومن يليهم تمام التطبيق، ويستعدون لحمل أعبائها، والبذل في سبيلها، يمدهم ويؤازرهم بعض الخاصة من كبار الأمة ورجالها البارزين.

إلى أي مدى وصلنا في هذه المرحلة؟ وما الخطوات والوسائل التي يجب أن نتخذها لتتم ونفرغ منها، وننتقل إلى المرحلة الثالثة؟ ومتى نفرغ منها؟

=

=هذه المرحلة هي في الواقع أهم مراحل الدعوة، وعلى قوة العمل فيها أو ضعفه يتوقف نجاحها، وقد بدأنا هذه المرحلة إلى جوار المرحلة السابقة من وقت مضى، وحاولنا في سبيل ذلك محاولات سابقة، وقد وصلنا إلى مدى لا بأس به في قطع خطواتها، ولكن لا تزال هنالك خطوات أساسية لا بد من تحقيقها، ووسائل رئيسة لا بد من استكمالها حتى تنضج هذه المرحلة وتتم، والظروف الحالية أنسب الظروف لاستكمال هذه النواحي، أما هذه الخطوات فهي:

أولاً: تقوية القيادة في المكتب العام بأقصى قدر ممكن بحيث يكون فيه عدد كبير من الإخوان متفرغين تفرغًا تامًا للدعوة، لا يشغلهم عنها شاغل، وعلى رأسهم المرشد، وتقسم عليهم نواحي العمل تقسيمًا منظمًا، ويجب أن يتم ذلك خلال هذا الصيف بحيث يكون مفروغًا منه أول العام الدراسي القادم – إن شاء الله.

ثانيًا: وضع رسالة شاملة تتوحد بها فكرة الإخوان في الشئون العملية والاجتماعية، وفي الأفكار العامة، حتى يصدر الجميع عن رأي واحد، ويجب أن تتم هذه الرسالة وتطبع قبل نهاية شهر يوليو القادم، حتى تكون موضوع دراسة الإخوان في معسكرهم بالإسكندرية، «وتسمى رسالة التعاليم» ثم تدرس في الكتائب.

ثالثًا: تعميم نظام الكتائب في شعب الإخوان، مع ضم الكتائب إلى الفرق، ويجب أن يتم في هذا المصيف تكوين خمس وعشرين كتيبة على الأقل في البلاد القوية، وذلك بأن يسافر إليها مندوبون من الإخوان يكون هذا عملهم.

رابعًا: تعميم الدعاية في بقية مراكز القطر الإدارية، والعمل على وجود كتيبة على الأقل في كل بلد مركزي من هذه البلاد، بحيث يتم عدد هذه الكتائب (٣٠٠) ثلاثمائة كتيبة في مدى أربع سنوات، أي: إلى رجب من سنة ١٣٦٠هـ على النحو الآتي:

حوالي رجب سنة ١٣٥٧ الهجرية ٢٥ كتيبة كاملة.

حوالي رجب سنة ١٣٥٨ الهجرية ٧٥ كتيبة كاملة.

حوالي رجب سنة ١٣٥٩ الهجرية ١٠٠ كتيبة كاملة.

حوالي رجب سنة ١٣٦٠ الهجرية ١٠٠ كتيبة كاملة.

فيكون مجموع الإخوان المنتسبين إلى هذه الكتائب (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفًا من الإخوان المجهزين تمام التجهيز ماديًّا وروحيًّا.

خامسًا: العمل على ضم بعض الخاصة إلى الإخوان، وتوثيق صلتهم بهم، والنواب الذين ساعدهم الإخوان نواة صالحة لهذه الغاية، ويبدأ العمل في ذلك من الآن.

سادسًا: تقوية مالية المكتب من ذات أعضائه أولًا بفرض اشتراك مالي يسدد للمكتب رأسًا من أعضاء الكتائب أنفسهم، وممن شاء التبرع من الإخوان، أو مجرد الاشتراك المالي كذلك، ويبدأ العمل في ذلك من الآن أيضًا.

سابعًا: بيان الدعوة في وضوح، ومصارحة الناس بها، وتوجيهها إلى كافة هيئات الشعب، على أن تتبع الخطوات القولية بخطوات عملية، وإن أدى ذلك إلى الاصطدام بالأفراد أو الحكومات، مع الاستعداد =



٣ – **التنفيذ**: وهي مرحلة جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون، ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا كمال الطاعة كذلك وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ.

=لاحتمال كل نتائجها بصبر وثبات وتضحية وعزيمة، وذلك على النحو الآتي بالتدرج، حتى إذا لم تنتج خطوة نتبعها الثانية والثالثة وهكذا:

١- تقدم المذكرات والبيانات والعرائض بالمطالب الإصلاحية إلى الجهات المختصة.

٢- تدعى الهيئات المنظمة في البلد إلى مشاركة الإخوان في تأييد منهاجهم الإصلاحي.

٣- تهاجم كل جهة تقف في سبيل هذه المطالب بمقالات قوية في صحف الإخوان المسلمين، وترسل إليها هذه الصحف، وفي خطابات الإخوان ورحلاتهم وكلماتهم كذلك.

٤- تطبع المنشورات وتوزع، ويدعى الشعب بها إلى تأييد الفكرة، والانفضاض عن كل هيئة لا تناصرها.

٥- تتكون الوحدات التي تتولى «عمليًّا» إزالة المنكر وإقناع الناس بخطره وفساده، وتقوم على شئون الإصلاح «عمليًّا» كذلك، وينظم كل ذلك لأول العام الدراسي القادم- إن شاء الله.

ثامنًا: يساهم الإخوان خلال هذه المرحلة في أعمال الخير العام ما سنحت لهم الفرص كبناء المساجد والصدقات وأعمال البر وغيرها، ويجتهدون في تثقيف أنفسهم بالمطالعة والمحاضرة والحفظ والتعبد، ويساهمون كذلك في خدمة القضايا الإسلامية العامة كقضية فلسطين وقضية المغرب، وفي القضايا الداخلية المهمة كدخول مجلس النواب، وتشجيع المرشحين للانتخابات كلها إن كانوا من الإخوان، وكمقاومة الحزبية، وإبداء الرأي في كل شأن يهم الأمة، بحيث يكون لهم في كل ناحية من النواحي الحيوية عمل وجهاد ومساهمة ورأي معروف إيجابي، فذلك مما يقويهم ويشغلهم بالنافع من جهة، وهو في الوقت نفسه أداء لواجبات جسام لا مفر منها ولا محيص عنها.

تاسعًا: تقوية صحف الإخوان تقوية تامة، وتنظيم إدارتها وتحريرها تنظيمًا يكفل حسن نظام صدورها، واشتمالها على الغذاء الروحي الذي يثقف الإخوان في البلاد، مع وجوب اشتراك كل أعضاء الكتائب فيها اشتراكًا إجباريًّا، مع العمل على أن يكون للإخوان صحيفة يومية تنطق بلسانهم.

عاشرًا: العمل على نشر الدعوة خارج القطر، وتوثيق الصلة بالهيئات العاملة هناك.

بهذه الوسائل والخطوات تتم المرحلة الثانية من مراحل طريق دعوة الإخوان المسلمين، ويتهيأ الإقدام على المرحلة «الثالثة»، وهي مرحلة التنفيذ وتحقيق المنهاج الكامل ﴿... وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم].

وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بهذه البيعة، تكون في الدور الثاني، وبالقرب من الدور الثالث، فقدّر التبعة التي التزمتها وأعدّ نفسك للوفاء بها».

وبدأ البنا إعداد الجيل الأول وتأهيله للدعوة، وقد تطورت جماعة الإخوان وانتشرت في مختلف فئات المجتمع، حتى أصبحت في أواخر الأربعينيات أقوى قوة اجتماعية سياسية منظمة في مصر، كما أصبح لها فروع في عدد من البلدان العربية والإسلامية، وكان البَنّا يؤكِّد دومًا على أن جماعته هي فكرة تجمع كل الأفكار والمناهج الإصلاحية، ويتلخص هذا المنهج في تكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم ثم الحكومة المسلمة فالدولة فالخلافة الإسلامية وأخيرًا الوصول إلى أستاذية العالم. والتي تعني أن يكون الإخوان هم القدوة والقِبلة التي يجب أن تتجه إليها كافة الأنظار لتتعلم منها وتنهل من علومها وتجاربها.

وبعد هذا النجاح الجماهيري، شرع البنا في تحويل قطاع من الجماعة من العمل المدني إلى العمل شبه العسكري، فكوَّن فِرق الرحلات ثم فِرق الجوالة بمظهرها العسكري وأعدادها الضخمة والتي كانت تُقدِّم عُروضًا تُظهر قوة الجماعة، ثم أنشأ نظام الكتائب ثم طوره إلى نظام الأُسر وكانت هذه الأنظمة أداة تفريخ لنظام جديد أشد حساسية وخطورة، وهو تنظيم مسلح يستهدف استخدام القوة والعنف لتنفيذ الأهداف بقوة السلاح، قائم على السرية التامة والطاعة المطلقة يتم انتقاء عناصره بدقة شديدة أُطلق عليه اسم الجهاز الخاص أو التنظيم السري ووُضِع له قانون سُمي بقانون التكوين[1].

توترت العلاقة بين السلطة والجماعة على إثر مقتل القاضي أحمد الخازندار، وما تلاها من عثور رجال الأمن على سيارة جيب بدون أرقام بها قنابل وأسلحة وذخيرة ومتفجرات ومخطط لعمليات نسف السفارتين البريطانية والأمريكية ووثائق تحتوي على أسماء أعضاء التنظيم والشفرة السرية للاتصال بينهم ودراسات حول أهداف

---

(١) تحول الجماعة من العمل الدعوي السلمي إلى العمل السري المسلح يحتاج لبحث منفصل، وسيأتي جزء منه في الفصل التالي.



مزمع تدميرها، واتضح من الوثائق والمضبوطات أنَّ الإخوان هم المسئولون عن حوادث التفجير التي وقعت في الشهور الأخيرة.

وفي صباح الرابع من ديسمبر تم اغتيال اللواء سليم زكي حكمدار شرطة القاهرة على يد طالب في جامعة فؤاد الأول أذاعت الحكومة أنه ينتمي إلى تنظيم الإخوان، وزاد التوتر حين أصدر رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي قرار حلها ومصادرة أموالها واعتقال غالبية أعضائها في ديسمبر ١٩٤٨، وشملت مذكرة الحل التخطيط لـ «قلب النظم السياسية» بطرق «إرهابية» و«تدريب الجماعة على السلاح».

وفي الثاني عشر من فبراير ١٩٤٩ أمام مقر المركز العام للشبان المسلمين تم إطلاق النار على حسن البنا هو ورفيقه الأستاذ عبد الكريم منصور، الذي قام بسرد تفاصيل الحادث، وقام بشرح الكيفية التي توفي بها حسن البنا رحمه الله، يقول الأستاذ عبد الكريم منصور[1]: «ذهبنا إلي جمعية الشبان المسلمين وقد أخبر الأستاذ البنا بأن الحكومة تريد استئناف المفاوضات وأن شخصيات حكومية ستحضر في جمعية الشبان لهذا الغرض، وجلسنا في الجمعية ولم تحضر الشخصية الحكومية حتى العشاء، فقام الإمام الشهيد وصلى بالموجودين صلاة العشاء، ثم جلسنا قليلًا بعدها ولم تحضر هذه الشخصية.

وهنا طلب الإمام من الأستاذ محمد الليثي أن يستوقف تاكسي، وخرجنا من الجمعية إلى شارع رمسيس الذي كان مظلمًا وكانت الساعة تشير إلى الثامنة والثلث، ووقف التاكسي الذي لم يكن هناك غيره في الشارع كله، ودخل الإمام الشهيد في المقعد الخلفي ودخلت بعده وجلست إلى يمينه، ثم نهض وأبدل المقاعد فجلس على يميني وجلست على يساره، وفي هذه الأثناء كان يقف أمام السيارة شخصان فتقدم أحدهما وأراد فتح باب السيارة فأغلقته، وحاول الفتح، وأنا أحاول الغلق مهددًا لي بمسدسه، وأخيرًا فتح الباب وأطلق على صدري الرصاص فتحولت إلى الجهة اليسرى فجاءت الرصاصة في مرفقي الأيمن، وأمسكت بيده التي فيها المسدس وحاولت بيدي الأخرى أن أنتزع منه المسدس فلم أجد ذراعي إلا معلقًا، العضد هو الذي يتحرك

---

(١) راجع: اغتيال الإمام حسن البنا –ويكيبديا جماعة الإخوان المسلمين.

فقط، وهنا أطلق المجرم رصاصة أخرى اخترقت المثانة وشلت حركة الرجل اليسرى، وهنا عجزت عن الحركة، فتركني وتوجه إلى الإمام الشهيد وحاول فتح الباب ولم يستطع فأطلق الرصاص عليه ثم فتح الباب وظل يطلق الرصاص على الإمام الشهيد وهو يتراجع وهنا قفز الإمام من السيارة وجرى خلفه حوالي مائة متر إلا أن السيارة كانت تنتظره عند نقابة المحامين فاستقلها وهرب، وعاد الإمام الشهيد وحملني وأجلسني في السيارة حيث كانت رجلي اليسرى خارج السيارة لا أستطيع تحريكها.

ونادى الإمام الأستاذ محمد الليثي وقال له رقم السيارة عندك «٩٩٧٩» وجاء شخص آخر طويل القامة أسمر، وقال: هل أخذت رقم السيارة التي ارتكبت الحادث.. رقمها «١١٧٩» وانصرف.

دخل الإمام البنا إلي جمعية الشبان المسلمين وطلب عربية إسعاف ولكنها تأخرت وهنا كان الناس قد تجمعوا فطلبوا من سائق السيارة أن يوصلنا فرفض ولكنهم أرغموه على ذلك فأوصلنا إلى الإسعاف.

وأمام الإسعاف حملني الإمام الشهيد مرة أخرى من السيارة وأدخلني إلى الإسعاف وقبض حرس الإسعاف على السائق الذي حاول الهرب. وجاء طبيب الإسعاف ليسعف الإمام البنا الذي قال له: «أسعف الأستاذ عبد الكريم أولًا لأنه حالته خطيرة، ورأي طبيب الإسعاف أن حالتي تستدعي نقلي إلى القصر العيني فنقلنا أنا والإمام الشهيد وأدخلونا إحدى الغرف، وجلسنا فترة حتى اتصلوا بالطبيب المناوب في منزله في روكسي بمصر الجديدة، واستدعوه من السينما المجاورة حيث كان يشاهد فيلمًا، وركب سيارته وجاء إلى القصر العيني.

في هذه الأثناء دخل علينا الأميرالاي محمد وصفي مندوب الملك وقال صارخًا: «أنتم لسه مامتوش يا مجرمين»، وانصرف.. وهنا دخل الطبيب الذي أراد أن يسعف الإمام الشهيد أولًا ولكنه قال له: «أسعف الأستاذ أولًا.. وأمر الطبيب أحد الممرضين بخلع ملابس الشهيد ولكنه نهض من علي السرير وخلعها بنفسه، ولما أرادوا أخذ اسمي وعنواني قال لهم الإمام الشهيد: «اتركوا الأستاذ عبد الكريم لأن حالته خطيرة» وأعطاهم الاسم والعنوان.



وهنا دخل الأميرالاي محمد وصفي مندوب الملك ثانية وقال للطبيب: أنا جاي من عند الحكمدار لأعرف حالة الشيخ حسن البنا، فقال له الدكتور: إن حالته ليست خطيرة، وبعد ذلك فصلوا بيني وبين الإمام ووضعوني في غرفة مع أحد المرضى، ووضعوا الإمام في غرفة وحده.

وعلمت فيما بعد أن الأميرالاي محمد وصفي أتى إلى المستشفى مندوبًا عن الملك وكان مكلفًا بالإجهاز على حياة الإمام الشهيد..إذ منع الطبيب من مواصلة العلاج وتركت دماء الإمام تنزف حتى صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها تشكو ظلم الطواغيت»[1].

وقد نعى حسن البنا من غير الإخوان عدد لا بأس به من الأقلام منهم اللواء محمد نجيب واللواء محمد صالح حرب وعلي ماهر وجمال عبد الناصر وغيرهم، وقد سُجلت

---

(١) العهدة في هذا الكلام علي الراوي خصوصًا أنه لم يفصح لنا عن المصدر الذي علم منه هذه المعلومة، لكن العجيب في الأمر أن هناك تحقيقًا كاملًا قد أُقيم في عهد عبد الناصر بخصوص واقعة الاغتيال، وقد حددت المحكمة متهمين بالفعل، ولم يكن من بينهم الأميرالاي المذكور، ولم يطالب أحد بوضع اسمه ضمن قائمة المتهمين، خصوصًا وأن حزب الوفد دأب وقتها على المطالبة بنتائج تحقيقات الحادث.

وقد كان حكم المحكمة في هذه القضية كما يلي:

«قضت المحكمة ٢٦ يومًا في المداولة وكتابة الحيثيات ثم أصدرت حكمها في ٢ أغسطس ١٩٥٤ وذلك بعد خمس سنوات وخمسة أشهر و ٢١ يومًا و١٤ ساعة و١٥ دقيقة من وقت وقوع الجريمة، وقد قضت المحكمة:

أولاً: بمعاقبة أحمد حسين جاد بالأشغال الشاقة المؤبدة وكل من الباشجاويش محمد محفوظ محمد، الأميرالاي محمود عبد المجيد بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة خمس عشرة سنة وإلزامهم بطريقة التضامن والتكافل مع الحكومة المسئولة عن الحقوق المدنية:

أ – بأن يدفعوا عشرة آلاف جنيه علي سبيل التعويض للسيدة لطيفة حسين زوجة الشيخ حسن البنا وأولاده القصر منها: وهم: وفاء وأحمد سيف الدين وسناء ورجاء وهالة واستشهاد المشمولين بولاية جدهم الشيخ عبد الرحمن البنا.

ب – وبأن يدفعوا للشيخ عبد الرحمن البنا والسيدة أم السعد إبراهيم صقر والدي القتيل «قرش صاغ واحد» على سبيل التعويض المؤقت.

ج – وبأن يدفعوا للأستاذ عبد الكريم محمد منصور مبلغ ألفي جنيه علي سبيل التعويض.

ثانيًا: بمعاقبة البكباشي محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة سنة ورفض الدعاوى المدنية قبله.

ثالثًا: ببراءة كل من مصطفي محمد أبو الليل واليوزباشي عبده أرمانيوس والبكباشي حسين كامل والجاويش محمد سعيد إسماعيل، والأومباشي حسين محمدين مع رفض الدعاوى المدنية الموجهة إليهم.

هذه الكلمات وظلت محفوظة إلي اليوم، نذكر بعضًا منها [١]:

كتب علي ماهر رئيس الوزراء يقول:

«عادت بي الذاكرة إلى عام ١٩٣٥، حين زارني الفقيد الكريم بمناسبة انتقاله بجماعته من الإسماعيلية إلي القاهرة متحدثًا في بعض الشئون العامة، وكان حديثه يشرح صدري وأسلوبه يشهد بموفور الثقافة الإسلامية والبصر بشئون الأمم العربية، وبراعة المنطق وقوة الحجة، وكان إلى ذلك شديد الإيمان بأنه يؤدي رسالة إنسانية سامية، ودعائمها الإخاء والمحبة والسلام بين سكان البلاد جميعًا.

وفي مارس سنة ١٩٣٩، بارحت لندن بالطائرة، إثر مؤتمر فلسطين، ووصلت القاهرة في مستهل الهزيع الأخير من ليلة لا أنساها، رأيت فيها جموع الإخوان تملأ فضاء محطة العاصمة وتموج بهم أرصفتها، وسمعت نداءَهم: «الله أكبر ولله الحمد» يدوي عاليًا فيأخذ طريقه إلى القلوب ويملأ النفوس إيمانًا بالله تجرد للمثل العليا».

وفي مقال تحت عنوان: «الداعية الموفق» يقول الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين اللواء محمد صالح حرب:

«واستطاع عليه الرحمة أن يوقد جذوة الفكرة الإسلامية في صدور الآلاف من الشباب فأقبلوا على الدين وعكفوا على القرآن وتعلقوا بأسباب الثقافة الإسلامية، وكان لهم في ميدانها جهود وجولات استطاع أن يرد غربة الإسلام بين هؤلاء الجاهلين به إلى معرفة وأنس، بذل في سبيل ذلك من علمه وجهاده ووقته ونفسه وأعصابه وراحته ما لا تستطيعه إلا العصبة المجتمعة من أقوياء الرجال».

وفي كلمة محمد نجيب عن حسن البنا عقب نجاح الثورة قال:

«من الناس من يعيش لنفسه، لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها، فإذا مات لم يأبه به أحد، ولم يحس بحرارة فقده مواطن، ومن الناس من يعيش لأمته واهبًا لها حياته حاضرًا فيها آماله، مضحيًا في سبيلها بكل عزيز غال، هؤلاء إذا ماتوا خلت منهم

---

(١) هذه الكلمات ليست مجرد نعي، بل لها أهمية تاريخية وبحثية، إذ أنها تكشف عن أن ثمة فترة من الفترات كانت فيها علاقة الجماعة بأنظمة الحكم، أو ببعض رجالات الدولة على درجة جيدة جدًا من التواصل والتفاهم والتعاون أيضًا.

العيون وامتلأت بذكرهم القلوب، والإمام الشهيد حسن البنا أحد أولئك الذين لا يدرك البلى ذكراهم ولا يرقى النسيان إلى منازلهم لأنه ؒ لم يعش في نفسه بل عاش في الناس ولم يعمل لصالحه الخاص، بل عمل للصالح العام».

وقال جمال عبد الناصر في احتفال مجلس الثورة بذكرى استشهاد البنا: «إنني أذكر هذه السنين والآمال التي كنا نعمل من أجل تحقيقها، أذكرها، وأرى بينكم من يستطيع أن يذكر معي هذا التاريخ وهذه الأيام ويذكر في نفس الوقت الآمال العظام التي كنا نتوخاها أحلامًا بعيدة.

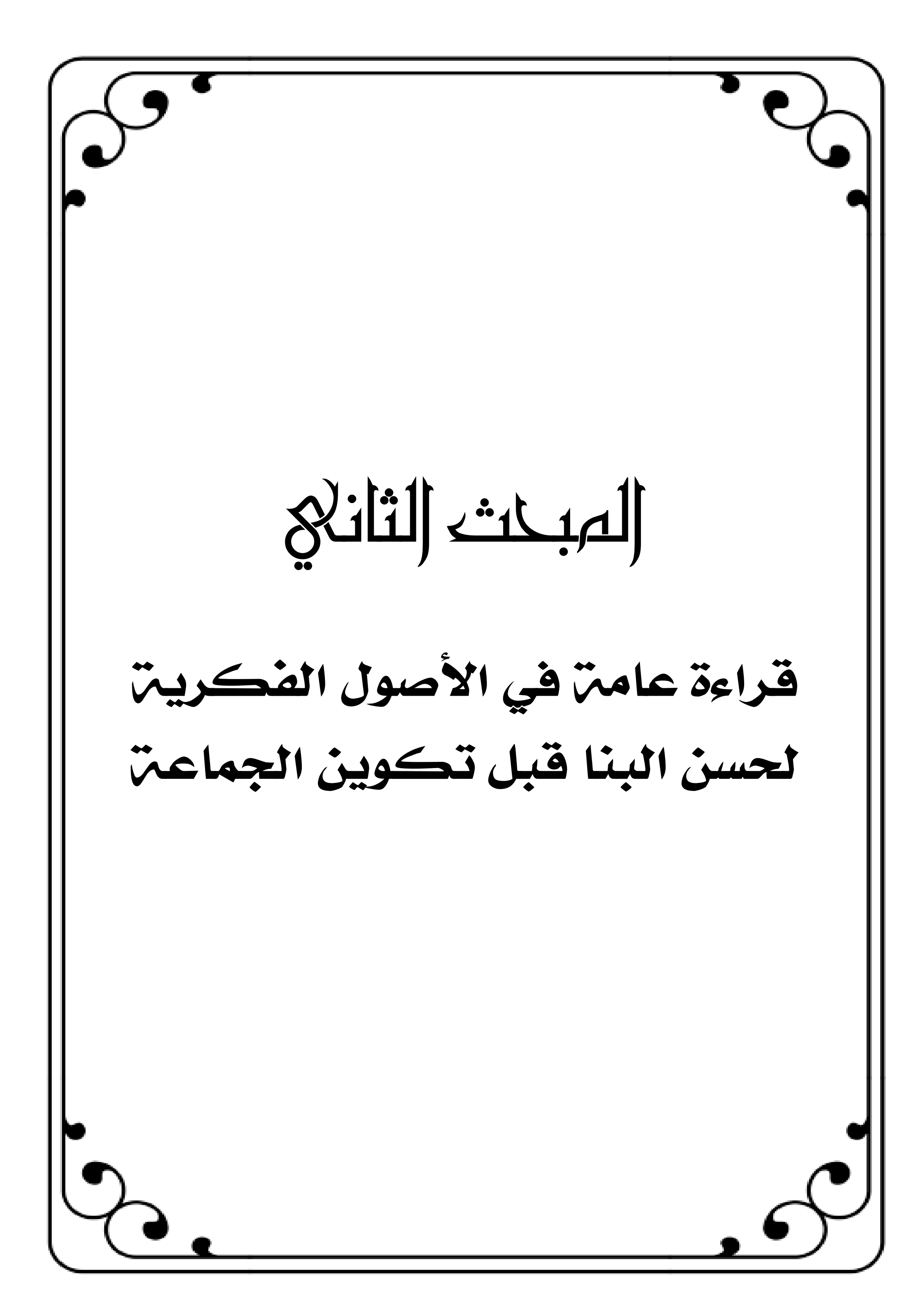
نعم أذكر في ذلك الوقت، وفي هذا المكان كيف كان حسن البنا يلتقي مع الجميع ليعمل الجميع في سبيل المباديء العالية، والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا.. ثم قال في نهاية كلمته وأشهد الله أني أعمل – إن كنت أعمل – لتنفيذ هذه المباديء وأفني فيها وأجاهد في سبيلها»[١].

وبعد هذه الجولة السريعة في حياة البنا، نود الإشارة إلى معضلة رئيسة تواجه الباحث في أعماق هذا التاريخ الغابر، أنه على الرغم من محورية شخصية البنا لدى الجماعة إلا أن حياته يكتنفها قدر من الغموض، هذا الغموض يرجع بدرجة كبيرة إلى أنه ثمة تحولات أساسية تمت في حياة البنا، هذه التحولات كانت عميقة ومؤثرة، ولكن لم يشأ الإخوان أن يفصحوا عنها أو يبينوا كنهها، لذا نستطيع أنْ نقول: إنَّ فكر الإخوان ينطلي على جانب من السرية، وهو جانب مقصود ومراد، فالجماعة تستطيع إيصال فكرها الحقيقي إلى أتباعها عبر نشرات سرية خاصة، وتظل الكتب والرسائل المنشورة تتحدث عن الجوانب الدعوية والتربوية التي لا خلاف عليها، بالإضافة إلى أن الجماعة تستطيع أنْ تتهم أي كتاب أو بحث يكشف جزءًا من الحقيقة بأنه إما مغرض مأجور، وإما غير معتمد من إدارة الجماعة، مع العلم بأنها لم تعتمد كتابًا عبر تاريخها تقريبًا[٢]، وسوف تكشف الصفحات القادمة جوانب كثيرة من هذا الغموض.

---

(١) أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين – بقلم الأستاذ / جمعة أمين عبد العزيز.

(٢) مع العلم أن تقريظ المرشد أو تقديمه لكتاب ما، ينبغي أن يعد اعتمادًا له مثل كتاب «حقيقة النظام الخاص» لمحمود الصباغ فقد قدم له وراجعه الأستاذ مصطفى مشهور.



المبحث الثاني

قراءة عامة في الأصول الفكرية لحسن البنا قبل تكوين الجماعة

المبحث الثاني:
قراءة عامة في الأصول الفكرية
لحسن البنا قبل تكوين الجماعة

كان للنشئة الدينية التي حظى بها حسن البنا منذ صغره أثر كبير في توجهه نحو الدعوة منذ نعومة أظفاره، ولوالده فضل كبير عليه في توجيهه لهذه الوجهة حيث كان من العلماء المشتغلين بدراسة العلوم الشرعية كما تقدم، يقول إبراهيم البيومي غانم في رسالة «الفكر السياسي لحسن البنا»:

«ويبدوا من استقراء سيرة الشيخ أحمد أنه كان يحمل نفسه وأهله على اقتضاء الصراط المستقيم من أداء للفرائض والتزام بالسنن النبوية، وقد كان لدى الشيخ أحمد مكتبة عظيمة أفاد منها الابن حسن الإفادة الكبيرة بالإضافة لتوجيه الابن إلى كثرة المطالعة وحفظ القرآن، ثم دفع الوالد بالابن إلى الشيخ محمد زهران ذلك العالم السلفي[*] الذي وصفه حسن البنا بأنه «صاحب مدرسة الرشاد الدينية الرجل الذكي الألمعي، العالم التقي، الفطن اللقن الظريف، الذي كان بين الناس سراجًا مشرقًا بنور العلم والفضل يضيء في كل مكان» الذي قام بتحفيظ الإمام البنا القرآن وكذلك تعليمه الإنشاء والقواعد والتطبيق والمطالعة والمحفوظات بالإضافة لسنة الرسول ﷺ عن طريق حفظ أحاديث الرسول ﷺ».

هذه الوجهة الدينية قادت البنا إلى أنْ يلتحق بإحدى الفرق الصوفية، وقد كانت الطرق الصوفية ذائعة الصيت في هذا الوقت من عمر الأمة المصرية قبل نشأة الجماعات الإسلامية الحديثة، وقد أثرت هذه الفترة على حياته وساهمت في تشكيل جزء كبير من وعيه وثقافته.

(*) كيف يكون سلفيًّا وهو الذي علم الأستاذ البنا التصوف، فالسلفية تهتم بالتربية والتزكية، ولكن بوسائل شرعية موافقة للسنة، بخلاف الوسائل التي ابتدعتها الطرق الصوفية.

وقد بدأت علاقة البنا بالصوفية وهو بالمدرسة الإعدادية بالمحمودية حينما كان يواظب على درس الشيخ زهران بين المغرب والعشاء، فشاهد الجلسات التي كانت تعقد بعد العشاء وجذبه إليها الطقوس والحركات التي كانوا يؤدونها، فواظب على هذه الجلسات وتوطدت صلته بالشباب منهم وتعرف في هذه الحلقات على أحمد أفندي السكري.

ثم واظب البنا على الوظيفة الزروقية صباحًا و مسًاء، ثم زاد تعلقه بالطريقة الحصافية ومؤسسها عندما قرأ كتاب «المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي» حيث تعرف على شيخ الطريقة الأول، وكان من تعلقه به أن رآه في المنام على صورة رسمها له في خياله وزادته تعلقًا به حيث يروي البنا في مذكرات الدعوة والداعية:

«وزادني تعلقًا بالشيخ الجليل ﷫ أنني رأيت في هذه الأثناء وعلى أثر تكراري للقراءة في المنهل، فيما يرى النائم أنني ذهبت إلى مقبرة البلد، فرأيت قبرًا فخمًا يهتز ويتحرك ثم زاد اهتزازه واضطرابه حتى انشق فخرجت منه نار عالية امتدت إلى عنان السماء، وتشكلت فصارت رجلًا هائل الطول والمنظر، واجتمع الناس عليه من كل مكان فصاح فيهم بصوت واضح مسموع، وقال لهم: أيها الناس! إن الله قد أباح لكم ما حرم عليكم فافعلوا ما شئتم.

فانبريت له من وسط هذا الجمع وصحت في وجهه: «كذبت» والتفتُّ إلى الناس وقلت لهم: «أيها الناس! هذا إبليس اللعين وقد جاء يفتنكم عن دينكم ويوسوس لكم، فلا تصغوا إلى قوله، ولا تسمعوا كلامه» فغضب وقال: «لابد من أن نتسابق أمام الناس فإن سبقتني ورجعت إليهم ولم أقبض عليك فأنت صادق» فقبلت شرطه وعدوت أمامه بأقصى سرعتي وأين خطوي الصغير من خطوة الجبار، وقبل أن يدركني ظهر الشيخ ﷫ من طريق معترض وتلقاني في صدره واحتجزني بيساره ورفع يمناه مشيرًا بها إلي هذا الشيخ صائحًا في وجهه: أخسأ يا لعين، فولى الأدبار واختفى، وانطلق الشيخ بعد ذلك فعدت إلى الناس، وقلت لهم: أرأيتم كيف أن هذا اللعين يضلكم عن أوامر الله؟!».



وظل البنا معلق العقل بالشيخ وبالطريقة إلى أن التقى بابن الشيخ وشيخ الطريقة السيد عبد الوهاب الحصافي الذي تلقى عنه الطريقة الحصافية الشاذلية وبايعه وأذن له بأورادها ووظائفها، يقول البنا في مذكرات الدعوة والداعية:

«وجزى الله عنا السيد عبد الوهاب خير الجزاء، فقد أفادتني صحبته أعظم الفائدة، وما علمت عليه في دينه وطريقته إلا خيرًا، وقد امتاز في شخصيته وإرشاده ومسلكه بكثير من الخصال الطيبة: ومن العفة الكاملة عما في أيدي الناس، ومن الجد في الأمور، والتحرز من صرف الأوقات في غير العلم أو التعلم أو الذكر أو الطاعة أو التعبد، سواء أكان وحده أم مع إخوانه ومريديه، ومن حسن التوجيه لهؤلاء الإخوان وصرفهم عمليًا إلى الأخوة والفقه وطاعة الله».

وقد كان لبعض الإخوان الحصافية أثر في تربيته الصوفية فقد كان الشيخ محمد أبو شوشة من رجال الحصافية يجمع بعض الشباب (وكان البنا يحضر هذه الاجتماعات) ويذهب بهم إلى المقبرة حيث تتم زيارة القبور ثم يجلسهم في مسجد قريتهم يذكرون الله ويُذكِّرهم ويعظهم ويعرفهم بسير الصالحين ويبصرهم بمصير الأولين والآخرين، ثم يأمر بعضهم بنزول القبر والاضطجاع فيه حتى يتذكر مصيره ثم يأمرهم بالتوبة إلى الله وبالإقلاع عن المعاصي، كما كان البنا يحضر دروسا في شرح الإحياء للشيخ حسن خزبك، وكان يعتكف الليالي الكثيرة مع الإخوان الحصافية سواء في مسجد الحي أو مصلى الحطاطبة عند كوبري إفلاقة.

وكان البنا في أيام الجمع التي يقضيها في دمنهور يقوم هو وزملاؤه بزيارة مسجد إبراهيم الدسوقي سيرًا على الأقدام جيئة وذهابًا يقطعون فيها حوالي أربعين كيلو مترًا سيرًا على الأقدام.

أما إذا ذهب في نهاية الأسبوع إلى المحمودية فإن هناك برنامجًا آخر، يقول البنا:

«كنت أنزل من قطار الدلتا إلى الدكان مباشرة، فأزاول عملي في الساعات إلى قبيل المغرب حيث أذهب إلى المنزل لأفطر إذ كان من عادتنا صوم الخميس والاثنين، ثم إلى

منزل الشيخ «شلبي الرجّال» أو منزل أحمد أفندي السكري للمدارسة والذكر، ثم إلى المسجد لصلاة الفجر، وبعد ذلك استراحة يعقبها الذهاب إلى الدكان وصلاة الجمعة والغداء والدكان إلى المغرب فالمسجد وفي الصباح إلى المدرسة، وكان هذا البرنامج في الصيف يضاف إليه عمل جديد وهو المذاكرة كل صباح من طلوع الشمس تقريبًا إلى الضحوة الكبرى مع أستاذنا الشيخ محمد خلف نوح في منزله».

وقد ظل البنا في الطريقة الحصافية حتى أسس جماعة الإخوان المسلمين، وقد تركت مرحلة التصوف آثارها على نفسه وأثرت في دعوته، فنجد البنا يسمي أذكار الصباح والمساء بالوظيفة، وكذلك في نظام الكتيبة نجد فيها التقشف في المأكل والنوم ودروس التكوين الروحي، كل ذلك من آثار الصوفية وتجده يذكر في خصائص دعوة الإخوان أنها حقيقة صوفية.

ولكن شخصية مثل البنا تتسم بالنشاط الدائم والحركة الدءوبة والطموح العالي، ما كان لها أنْ تستمر في عباءة الصوفية الرتيبة، ومن ثم انطلق البنا لساحة أخرى أكثر رقيًا وعمقًا وكان موعده مع الأستاذ محمد رشيد رضا، حيث كان البنا على صلة وثيقة بالشيخ رشيد رضا وأسرته منذ كان طالبًا بدار العلوم، وكانت دار مجلة المنار ملتقاه بأكثر من التقى بهم من رجالات الحركة الإسلامية في ذلك العهد، واتخذت أكثر المقررات في مواجهة المؤامرات ضد الإسلام في تلك الدار، وظل البنا على اتصال بالشيخ بعد قيام دعوة الإخوان.

وقد أشار البنا إلى لقاءاته المتكررة به، وحرصه على قراءة المنار وأثنى كثيرًا على جهود رشيد رضا ومجلته، واعتبر أنها «أسست مدرسة فكرية إسلامية تقوم على قواعد الإصلاح الإسلامي الجليل لازالت آثارها باقية في نفوس النخبة المستنيرة من رجال الإسلام، ووقفت للملحدين والإباحيين والجامدين بالمرصاد في مصر وغيرها من الأقطار» [مذكرات الدعوة والداعية].

ورشيد رضا كان حتى ذلك الوقت هو الوريث الشرعي للمدرسة العقلانية التي كان رائدها الشيخ محمد عبده، فاغترف البنا من المدرسة العقلانية ما شاء الله له أنْ



يغترف، واكتسب من خلال هذا الاحتكاك بُعدًا ثقافيًا ومعرفيًا يختلف عن الخرافات والخزعبلات التي كان يتلقاها داخل سراديب وكهوف الصوفية، بل إنْ شئتْ فقل إنه يتعارض معها تمامًا، ولكن ما حققه البنا على المستوى الشخصي هو أن صار من جملة المثقفين الذين يكتبون في الجرائد، والتي كان لها وزن وثقل لا يُستهان به في ذلك الوقت.

ثم شاء العلي القدير أنْ يتواصل حسن البنا مع العلامة محب الدين الخطيب والذي كان هو المُعبر عن مدرسة ابن تيمية بشكل مجمل، وترجع أهمية شخصية العلامة محب الدين الخطيب إلى اعتبارات عديدة تتصل بثقافته الواسعة ونشاطه الحركي المكثف، وخاصة في ميدان عضوية وتكوين الجمعيات والأحزاب والتنظيمات في بلدان عربية مختلفة، ومن ذلك قيامه بتأسيس حلقة دمشق الصغرى أسوة بحلقة دمشق الكبرى التي أسسها الشيخ طاهر الجزائري، وعضويته بجمعية النهضة العربية، وبحزب اللامركزية العثمانية، ومشاركته في تأسيس جمعيته العربية الفتاة وغيرها، وكان على صلة بدائرة واسعة من الشخصيات والقيادات الفكرية والسياسية البارزة من أمثال الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ جمال الدين القاسمي، ورفيق العَظْم، ومحمد كُرْد علي، و عبد الحميد الزهراوي، والأستاذ رشيد رضا، وغيرهم.

وبعد أن استقر به المقام في مصر نشط في مجال الصحافة والنشر والدعوة للإصلاح والتحذير من المخاطر التي يتعرض لها المسلمون، وركز في دعوته للإصلاح على ناحيتين:

الصحافة والتربية، وإصلاح نظام التعليم، وفي عام ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م أعاد تأسيس المكتبة السلفية، وأنشأ المطبعة السلفية التي صدرت عنها مجلة الفتح ثم كان من أبرز مؤسسي جمعية الشبان المسلمين (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م).

تعرف البنا على العلامة محب الدين الخطيب أثناء دراسته في دار العلوم، حيث كان يتردد على المكتبة السلفية، وقد احتضنه الخطيب وقدمه للقراء، حيث نشرت أولي مقالاته في مجلة الفتح وكان لا يزال شابًا حديث التخرج، وعندما صدرت مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية أشرف العلامة محب الدين على إدارتها، وطبعت بالمطبعة

السلفية لمدة عامين، كما أسهم محب الدين الخطيب في تحرير جريدة الإخوان المسلمين اليومية بعد ذلك، وكان يرأس القسم المتعلق بالعالم الإسلامي. يقول الأستاذ حسن البنا في كتابه «مذكرات الدعوة والداعية»:

«وقد رأى الإخوان أن رسائل المرشد العام لا تفي بنشر الدعوة وتضمن أخبارها على الوجه الذي يجب أن تصل به إلى الناس عامة، فقرروا إصدار مجلة أسبوعية تسمى «جريدة الإخوان المسلمين»، تفاؤلًا بأنها ستكون جريدة يومية.

وعند محاولة إنفاذ هذا القرار لم يكن في خزينة الإخوان بالقاهرة رصيد ما - ولكنه قرار ولا بد أن ينفذ، فماذا يصنعون؟ هذا هو الأخ الشيخ رضوان محمد رضوان وفي جيبه جنيهان كاملان وإذن فلنرصدهما وليكونا هما رأس مال هذه المجلة وقد كان - وحملت الجنيهين وذهبت بكل بساطة وإيمان إلى المكتبة السلفية، وقد كانت بباب الخلق خلف محكمة الاستئناف، وهناك تفاهمت مع السيد محب الدين الخطيب - جزاه الله خيرًا على كل شيء - أن يكون مديرًا للمجلة، ولكن تطبع بالسلفية، وأن يكون الجنيهان دفعة أولى، وما بقي بعد ذلك فعلى الله، وابتسم الرجل المؤمن المجاهد المحبوب، ووافق على ذلك هو الآخر بكل بساطة وإيمان، فصدر التصريح وبدأ الطبع، فظهرت جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية العدد الأول بتاريخ «الخميس ٢٨ صفر١٣٥٢هـ وذلك يوافق أواخر شهر مايو سنة ١٩٣٣» إذ كان التاريخ في صدر أعدادها قاصرًا على الهجري فقط».

وبارتباط البنا بمحب الدين الخطيب أصبح لديه رافدًا ثالثًا من روافد المعرفة، وللأسف فإن هذه الروافد متعارضة في أصول ومنطلقات كثيرة، بل إن نقاط الالتقاء بين الصوفية، والعقلانية، والسلفية تكاد أَلَّا تُوجَدُ، وعليه فإن البنا قد حمل في جعبته ثلاث مدارس فكرية متعارضة ولا يمكن نسبته هو شخصيًا لأي واحدة منها.

ورغم الأثر الكبير الذي تركه كل من العلامة محب الدين الخطيب والأستاذ رشيد رضا على البنا، إلا أن مؤرخي الجماعة لا يعتبرون أيًّا من الأستاذين أستاذًا للبنا، بل



عادة ما يترجمون لهما تحت عنوان «زعماء التيار الإسلامي المعاصرون للبنا»، ولا يترجمون لهما على أنهما مِنْ شيوخه، بل يثبتون النسبة المباشرة بين البنا وكلًا من الأفغاني ومحمد عبده، يقول الأستاذ جمعه أمين في كتابه «أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين»[(١)] تحت عنوان «التشابه بين دعوة البنا ودعوة سابقيه (الأفغاني ومحمد عبده)»:

«ورغم تميز فكر حسن البنا ودعوته إلا أن التشابه كان موجودًا بينه وبين كثير من دعاة الإصلاح السابقين، خاصة الأفغاني حيث كان الإخوان يحسون بهذا التقارب الشديد بين البنا والأفغاني، وكان كثير منهم يعتبرونه «الأب الروحي» لحركتهم، وكان البنا يقرن بالأفغاني أكثر مما يقرن بغيره.

وواضح أن الشعور بهذا التقارب من الأفغاني والالتقاء معه ساد الإخوان نظرًا لما ارتبط بذكر الأفغاني من إيجابية في العمل وفعالية، وقد بين «كانتوبل سميث» أهمية الحركات الأخيرة التي قام بها هذا المدافع المتأجج عن الدين ضد الفساد الداخلي والاعتداء الخارجي.

أما عن علاقة البنا بمدرسة محمد عبده فقد كانت قديمة، حيث كان والد حسن البنا تلميذًا لمحمد عبده، وإن البنا ذاته كان يقبل في باكورة حياته على قراءة مجلة المنار، حتى نحا في أسلوبه الصحفي في صباه منحى أسلوبها، وأنه ذهب يبحث أثناء دراسته في القاهرة عمن أعجب بهم من حواري الإمام، من أمثال فريد وجدي وأحمد تيمور، ومن هذا القبيل أيضًا صلته الوثيقة بتلميذ آخر من تلامذة محمد عبده وهو شيخ الأزهر المشهور مصطفى المراغي.

وإن مما يعبر عن أصالة وعمق علاقة حسن البنا بمدرسة محمد عبده، قائمة أسماء الكتب التي كانت توزع على معلمي الإخوان لتوجيههم حتى يعدوا أنفسهم لخلق جيل جديد من (الشباب المسلم) من بين تلامذتهم، فقد ورد في هذه القائمة تحت

---

(١) كتاب «أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين» على درجة كبيرة من الأهمية حيث قام بعمل ترجمة وافية للأستاذ حسن البنا، ويكفي أن مؤلفه الأستاذ/ جمعه أمين وهو من الرعيل الأول للجماعة، كما أن الكتاب قام بتقدمته وتقريظه الأستاذ مصطفى مشهور.

عنوان القراءات القرآنية، تفسير المنار، قبل تفسير ابن كثير، وهو التفسير الغالب تفضيله، ثم لم يرد أي مؤلف آخر سوى تفسير الفاتحة لحسن البنا، كما احتلت رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده مكان الصدارة بين عدد من المؤلفات (للبنا والغزالي) في قائمة الدراسات العامة للعقيدة.

ويمكن أن نقول إن صلة حسن البنا الفكرية بمدرسة محمد عبده قد انعكست في مواقفها من بعض الأمور العامة الرئيسة، فكان مما توافقت فيه الآراء بذل الجهد لتبسيط الإسلام لمعتنقيه، وقصره على الضروري والأساسي منه، بحيث يقضي على تلك الخلافات المهلكة التي باعدت بين فرقه ومذاهبه، كذلك اعتقدت المدرستان أنه لا يمكن أن يحدث تغيير في ظاهر المجتمع الإسلامي دون أن تتغير عقلية المسلمين، ولا يمكن أن يتحقق تقدم فعلي دون إصلاح تربوي، وأخيرًا رأت المدرستان – وربما كان ذلك أهم مما عداه – أن يكون الإصلاح من ذات الإسلام، نابعًا من صميم تعاليمه متمشيًا مع أوامره ومنطق حركته».

إلا أن الأستاذ جمعه أمين، بعد أن أثبت مرجعية الأفغاني ومحمد عبده، عاد فبين أن هناك أمورًا تميز بها البنا في دعوته عنهما فكتب تحت عنوان «بعض الفوارق بين البنا وسابقيه (الأفغاني ومحمد عبده)»:

«وهذا التشابه بين الدعوتين – دعوة البنا، ودعوة محمد عبده – لا يعني عدم وجود بعض الفوارق بينهما، حيث كان أهم الفوارق بينهما في التجديد هو الروح التي أوحت بأفكار الإخوان وحالاتهم الفكرية وقد قال في ذلك أحد الإخوان: «إن رسالتنا تُعْنَى بالجهاد والكفاح والعمل... إنها ليست رسالة فلسفية» وهكذا انعكس تفضيل العمل على الفكرة بتفضيلهم كلمة «منهاج» على كلمة «فكرة» حين وصفوا عقيدتهم، وهكذا كانت شخصية حسن البنا.

ويرى د. الطاهر أحمد مكي فارقًا مهمًا بين شخصية جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وبين شخصية حسن البنا، مما أثر ذلك على دعوة كل منهم يقول: «إن حسن البنا داعية إسلامي من طراز فريد، عبقري، وفذ، وعالم، ومخطط مجدد، ورجل دين،



خطيب مؤثر، ومحدث مقنع، وداعية يبشر بنظام إسلامي، يجمع إلى شجاعة جمال الدين، وتطور فكر الإمام محمد عبده قدرة فائقة على التنظيم لم تكن لأي منهما».

وعلى ذلك فإن الفارق في الفهم والعمل، والفارق في الشخصية، جعل البعض يرى أن الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، يمثلون مرحلة لدعوة الإسلام، لم تتجاوز أن تكون حركتهم تعبيرًا عن رغبة في الإصلاح[1]، أو محاولة لم تستطع أن تنظم جهودًا عملية ترمي إلى سيادة مبادئ الإسلام في الحكم والسياسة والاجتماع، أما مرحلة حسن البنا فتمثل – عندهم – مرحلة الإعداد الجاد لعمل عظيم محدد المراحل والخطوات، ومرحلة التقويم والتثقيف لما اعوج من حركة محمد عبده والأفغاني ورضا، مما لا يكاد يرى إلا بمجهر دقيق، ولما اعوج من حركة غيرهم كعبد العزيز جاويش ومن نهجوا طريقه أوغلوا في الخطأ فكان انحرافهم بينًا.

ويرى الدكتور محمد عمارة فارقًا آخر وهو تأسيس الإمام الشهيد حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين كأول تنظيم جماهيري لتيار الإحياء والتجديد الإسلامي في العصر الحديث يقول: وأمام تصاعد التحديات وعموم البلوى جاءت اللحظة التاريخية التي استدعت إشراك «الأمة» بالمسخ والنسخ والتشويه، وعند هذه اللحظة التاريخية التي أثمرت قيام جماعة الإخوان المسلمين تجاوزت الدعوة إلى «الصفوة» والنخبة... والعلماء... والقادة... حيث استدعت الصفوة والأمة من خلال التنظيمات الإسلامية الجماهيرية لتبني الدعوة إلى الإسلام منهاجًا شاملًا لكل ميادين النهضة والتقدم والتجديد والتغيير.

تلك كانت بعض نقاط التماس والتوافق وبعض الفوارق بين دعوة الإمام البنا، ودعوة سابقيه «السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده». انتهى كلام الأستاذ جمعة أمين.

---

(١) أظن أن في ذلك إهدارًا لجهود حقبة زمنية كبيرة، كان وجودها ضروريًا وأساسيًا لمن جاء بعدهما، وهذه النبرة التي تميل إلى التعالي هي التي أورثت المنتمين إلى الجماعة نوعًا من الشعور بالتفرد والتميز، تكون نتيجته احتقار جهود الآخرين والغلو في إبراز دور الجماعة ومحوريتها، وفي المقدمة من ذلك شخصية المؤسس بطبيعة الحال.

ومن هنا كان الشعور بالتفرد والتميز ملازمًا للجماعة طوال تاريخها، فهي لا ترى غيرها ولا تعترف إلا بنفسها، وما سواهم فليس أمامه إلا أن يكون تابعًا، وإلا فإن الجماعة ستتخذه خصمًا إن كان ناجحًا، أو تتغافل عن وجوده إن كان ضعيفًا، يحكي الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ/ الجزء الأول»، في معرض حديثه عن الجماعات التي كانت موجودة أثناء نشأة جماعة الإخوان فيتحدث عن الجمعية الشرعية لا من خلال أهدافها ومبادئها وأنشطتها، ولكن يقدم للقارىء صورة منفرة وسلبية للغاية من خلال حكاية شهدها أثناء خطبة الجمعة فيقول:

«في عام ١٩٣٩ كنت أسكن في ضاحية بجانب الجامعة تسمى «بين السرايات» وكنت أصلي الجمعة دائمًا في القاهرة لكنني اضطررت مرة إلى الصلاة في هذه الضاحية فدخلت مسجدًا قريبًا من سكني فإذا به أحد مساجد الجمعية الشرعية، وصعد المنبر شيخ معمم ذو لحية طويلة وخطب الناس... فماذا كان موضوع الخطبة في تلك الأيام التي كانت فيها فلسطين شعلة من النيران وكان الإنجليز يقتحمون بيوت المسلمين ويحطمون كل ما فيها ويمزقون ما بها من مصاحف ويطأونها بأحذيتهم، ويأخذون المجاهدين ويسومونهم ألوان العذاب ويطردون المسلمين والمسلمات من بيوتهم ليسلموها لليهود....

كان موضوع الخطبة: قراءة سورة الكهف في المساجد يوم الجمعة... وأفرغ الخطيب جهده في تقرير أمر عجيب، هو أن قراءة سورة الكهف في المساجد يوم الجمعة كفر، ولم يكتف سيادته بل قال: لا أقول إنها كفر بالنعمة بل كفر بالله ورسوله بحيث لا يقبل الله من فاعلها صرفًا ولا نصرًا [(١)].... وقد أحسست أن موجة استياء قد عمت المصلين حتى إن بعضهم بدأ يفكر في جذب الخطيب من فوق المنبر وكادت تحدث في المسجد فتنة».

---

(١) من العسير عقلًا أن نصدق هذه الرواية، ولكن لو ثبت صحتها فهذا يدل على جهل الخطيب، ولا يجوز أن يطرح هذا الكلام في معرض تقييم جماعة أو الحكم على هيئة كاملة.

أما حديثه عن جمعية أنصار السنة فلم يختلف كثيرًا يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في نفس الفقرة:

«في خلال هذه السنة أو في السنة التي قبلها كنت في الإجازة الصيفية وكنت في موطني رشيد، وكان عندي صديق كان طالبًا في إحدى كليات الأزهر وكان ضيفًا عندي لأنه من بلدة أخرى..وقد رأى أن نتريض بعد صلاة العصر على كورنيش النيل، وبينما نحن نسير في هذا الطريق والجو هادئ وممتع رأى صديقي رجلًا قادمًا يبدو أنه قطع الطريق الذي بدأنا فيه ثم قفل راجعًا فقال لي: إن هذا الرجل القادم صديق له، والتقينا به فإذا به شاب في ربيع العمر معمم وذو لحية عريضة فتعانقا وصافحته..

وأخذ صديقي يعتب عليه في انقطاعه الطويل عنه، فاعتذر قائلًا: إنني كنت نزيل المستشفى مدة تزيد على الشهر ولم أغادرها إلا منذ أيام، فسأله صديقي عن سبب دخوله المستشفى، فقال: السبب هو جهل هذا الشعب وسوء أدبه ووقاحته، فسأله صديقي: وما علاقة هذا بدخولك المستشفى؟.. قال: أوفدتني الجمعية في الإسكندرية لألقى درسًا في مسجد (حدده) بالرمل، فجعلت موضوع الدرس «الصلاة في النعلين» فقلت للناس: إن النبي ﷺ كان يصلي في نعليه، فقال لي أحد الحاضرين: لم تكن الشوارع في مكة والمدينة بها من النجاسات مثل ما في شوارعنا ثم إنهم كانوا يصلون على الحصى...

قال: فقلت لهم: هذه سنة وعلينا أن نقتدي بالرسول، وأن نصلي في نعالنا ندلكها ثلاث مرات، ثم ندخل المسجد بها ونصلي فيها، فقامت اعتراضات كثيرة من أنحاء المسجد فوقفت وأمسكت بنعلي، وقلت لهم: أليس هذا نعلي؟.. قالوا: بلى، قلت: انظروا وأخذت أدلك بهما وجهي[1] وأقول: لكي تقتنعوا. فرأيتهم قد قاموا وهجموا علي بنعالهم وظلوا يضربونني بها حتى فقدت رشدي ولم أدر إلا وأنا بالمستشفى ومعظم أجزاء رأسي ووجهي وذراعي وظهري وصدري عليها الأربطة.

---

(١) أيضًا أمارات الاختلاق والمبالغة في هذه القصة ظاهرة، وما علاقة تدليك الوجه بالنعلين بالسنة وبموضوع الدرس؟!!

فأخذ صديقي يواسيه حتى طيب خاطره ثم سأله عما جاء به إلى رشيد، فقال: إن الجمعية أوفدته لإلقاء درس بمسجد المحلي... فأحسست كأن الله ﷻ أتاح لي فرصة اللقاء مع هذا الداعية الأحمق لأعفى أهل بلدي رشيد من غوائل حمقه. واتصلت بإخواني في الشعبة، فحالوا بين الرجل وبين الاتصال بالجماهير حتى رجع إلى جمعيته عازمًا على أن لا يعود إلى رشيد مرة أخرى».

حسن البنا والقاعدة الذهبية:

بعد هذا العرض السابق، يتبادر إلى الذهن سؤال حول الفائدة المرجوة من معرفة هذه الحقائق؟ وهل كانت هذه الروافد السابقة وحدها هي المرجعية التي رسم البنا من خلالها معالم فكره؟

الحقيقة أن معرفة هذه المعلومات مهم في تصور الطريقة التي نشأ بها مؤسس الجماعة، وهي مبدئيا تعطي رؤية عن حجم التخبط الفكري والاختلال المنهجي الذي ستعاني منه الجماعة بعد ذلك، ومن هنا نفهم كيف نشأت نظرية التجميع التي تبناها البنا، ونفهم لماذا اقتبس من رشيد رضا القاعدة الذهبية في معالجة الاختلاف وصاغها كما يلي: «**نجتمع فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه**».

مع أن رشيد قالها في معرض مشروع التقريب بين السنة والشيعة وبصياغة أكثر جودة كما جاءت في مجلة المنار في عام ١٩١٢ «**أن يتعاضدوا ويتعاونوا على ما يشتركون فيه ويتفقون عليه، ويعذر بعضهم بعضًا فيما يفترقون فيه، ويحكِّموا الشرع والميزان فيما يتنازعون عليه**»، ثم تراجع عنها بعدما اتضحت له حقيقة الشيعة، وقد ذكر أنَّ الشيعة كفروه لمجرد أنه قال – في شرحه لهذه القاعدة –: «**نتعاون فيما اتفقنا عليه من الرجوع إلى الكتاب كما تناقلته الأمة جيلًا بعد جيل، والسنة كما هي محفوظة في الكتب الستة وغيرها، وعلى تعظيم صحابة الرسول ﷺ وأمهات المؤمنين – رضي الله عنهن–**»[١].

(١) (راجع مجلة المنار أعداد ٤٢٤/٢٩ – ٢٩٣/٣١ – ٢٩٠/٣١).

ولكن هذا الجزء من المعرفة لا يكفي – بمفرده – لإدراك وفهم منهج حسن البنا ومنهج جماعة الإخوان الذي استقر عليه بعد ذلك، لأن حسن البنا بعد انتهاء فترة التلمذة التي لم تدم طويلًا، أو إنْ شئتَ فقل: بعدما أوقف هو بنفسه مسارات التلقي، قام بعد ذلك بوضع لمساته الشخصية، وأصبح هو ملهم الفكرة، وواضع التصور، وانقطعت صلته بالعلماء وبغيرهم، واتجه لوضع تصوراته الشخصية في رسائل وكتابات أضحت دستورًا للجماعة يقدسونها ويلتزمون بها.

ومن هذا المنطلق أصبح إعجاب البنا بالقاعدة الذهبية التي عدلها صاحبها (رشيد رضا) متضائلًا مقارنة بما حصله من تجارب وبما قَعَّده من أصول، وسوف نرى من خلال جولتنا القادمة أنَّ البنا أصبح في نظر أتباعه ضمن عِداد المجددين الذين يبعثهم الله في الأمة، وأصبحتْ أفكار البنا هي النسق الحركي الذي تؤمن به الجماعة، وصارت كتاباته هي أساس البناء الفكري والمنهجي للجماعة والتي لا يمكن مناقشتها أو تعديلها فضلًا عن نقدها بما يشبه بدرجة كبيرة فكرة الإمام المعصوم لدى الشيعة.

وأصبح التوصيف العملي للمنتمي للجماعة هو:

من يعترف بإمامة حسن البنا، ولديه ولاء للجماعة ربما يقارب الولاء على الدين، ويؤمن ويلتزم بمبادئ وقواعد وتصورات هي دستور الجماعة ومرجعيتها.

وهنا يثور سؤال حول ماهية المصادر الأخرى التي استقى منها حسن البنا ملامح فكره:

والبحث في إجابة سؤال كهذا سيعتريه شيء من التخمين والتوقع، لأنَّ من كتبوا عن حياة البنا منذ أن بدأ بإنشاء الجماعة يُصَرِّحُونَ بأنه الأستاذ الأول والمعلم الأوحد، ولم يذكر هو ولا أحد من مؤرخي الجماعة أن البنا كان يستشير أحدًا أو يلجأ إلى مرجعية أعلى منه قدرًا أو أوسع منه علمًا، وكيف يسوغ ذلك وهو الإمام المجدد؟! بل إن الإخوان غالبًا لا يذكرون فترة تتلمذ البنا على رشيد رضا ومحب الدين الخطيب،

ولا يذكرون أن القاعدة الذهبية هي قاعدة المنار بل غالبًا ما ينسبونها مباشرة إلى البنا دون أن يذكروا تعديلها.

والأخطر من هذا كله – وهذا الأمر يستحق دراسة منفصلة – أنَّ الإخوان يقرأون التاريخ كله على أساس أن حسن البنا هو حجر الزاوية في بناء الأمة الحديث، وأنَّ الدنيا كانت تعيش في جاهلية جهلاء وظلم ظلوم إلى أن جاء البنا فاستنارت البلاد بنور دعوته وأشرقت ببركة وجوده، واستمر وجودها باستمرار جماعته، وهذا أحد الروافد المغذية لفكر التكفير لدى الجماعة كما سيأتي.

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «حسن البنا.... مواقف في الدعوة والتربية» تحت عنوان: حسن البنا باعث النهضة الإسلامية في القرن العشرين:

«ولئن تطلع بعض الناس هذه الأيام إلى ما فعله البنا وأسلوبه في العمل مشيرين بأصبع النقد، **فليخفضوا تلك الأصبع وليضعوها على موطن الداء في تكوينهم هم،** فإذا كان الرجل قد استطاع بناء حركة فواجب أهل الاختصاص والتخطيط بعده أن يستمروا في إتمام ذلك البناء الضخم الذي شاده، فلئن كانت الأحداث قد امتدت إلى هَامِ البنا فأردته شهيدًا على طريق الدعوة قبل أن يتم ما نذر نفسه له، فليس معنى ذلك قصورا في الأسلوب والمنهج ولا خطأ في التخطيط، والواجب يقضي بأن يكون الإسلاميون هذه الأيام في مستوى أحداث العصر وإمكاناته، **ليستطيعوا أن يحققوا ما حقق البنا أو بعض ما حققه**».

وبعد فاصل طويل من المدح يقول الأستاذ عباس السيسي:

«لقد وقفنا أمام شخصية البنا الفذة، وكأننا نتطلع إليها من أسفل، فكان رضي الله عنه قمة، **والعاملون في الحقل الإسلامي هذه الأيام ناس ألفوا العيش في السفح**، فاستهونوا مساربه وسبله، وأعجبوا برضى العيش ورضى النعمة السابغة فاشتدوا إلى الأرض، يتمسكون بها ويغترفون منها في بطونهم ما شاءت لهم الأرض من عطاء، وما ملأ جوف ابن آدم إلا التراب».



ثم يتحدث الأستاذ عباس السيسي عن منهج حسن البنا وطريقته مستلهمًا ما ذكره البنا في رسالة التعاليم، ثم يختتم حديثه قائلًا:

«هذه هي التربية التي اعتمدها «البنا» في تكوين صفوف جماعته، ليعدها بهذه التربية للدور العظيم الهائل الشاق، **الذي ناطه الله بالجماعة المؤمنة في هذه الأرض، وقد شاء الله – سبحانه – أن يجعل هذا الدور من نصيب «الإنسان» الذي استخلفه في هذا الملك العريض!**».

وينقل الأستاذ عباس السيسي في كتابه «جمال عبد الناصر وحادثة المنشية بالإسكندرية» تحت عنوان: بعض ما قيل في الإمام الشهيد فيقول: «لم ير المسلمون مثل حسن البنا منذ مئات السنين»، أقولها كلمة حرة ولا بأس بروايتها عني، أقول: إن المسلمين لم يروا مثل حسن النبا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلَّى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف. لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القائدين، وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين. لا أنكر هذا كله عليهم من سباقين ولاحقين، لكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات، قلما ظفر به أحد كالإمام الشهيد رحمه الله.

لقد عرفه الناس وآمنوا بصدقه، وكنت واحدًا من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولًا جامعًا: هو أنه كان لله بكليته: بروحه وجسده، بقالبه وقلبه، بتصرفاته وتقلبه. كان لله فكان الله له، واجتباه وجعله من سادات الشهداء الأبرار....

(الرجل الفذ):

«.... لقد قتل حسن البنا يوم قتل والعالم كله أتفه شيء في ناظريه! ماذا خرقت الرصاصات الأثيمة من بدن هذا الرجل؟ خرقت جسدًا أضنته العبادة الخاشعة، وبراه طول القيام والسجود، خرقت جسدًا غبرته الأسفار المتواصلة في سبيل الله، وغضنت جبينه الرحلات المتلاحقة. رحلات طالما أصغى الملايين إليه فيها وهو يسوق الجماهير بصوته الرهيب إلى الله، ويحشدهم ألوفًا في ساحة الإسلام.

لقد عاد القرآن غضًا طريًا على لسانه، وبدت وراثة النبوة ظاهرة في شمائله، ووقف هذا الرجل الفذ صخرة عاتية انحسرت في سفحها أمواج المادية الطاغية، وإلى جانبه طلائع الجيل الجديد الذي أفعم قلبه حبًا للإسلام، واستمساكًا به، وعرفت أوربا أي خطر على بقائها في الشرق إذا بقي هذا الرجل الجليل، فأوحت إلى زبانيتها، فإذا بالإمام الشهيد مدرج في دمه الزكي، وإذا بجيله الذي رباه في المعتقلات.....».

(المثل الأعلى في كل شيء):

«.... كان حسن البنا إمامًا بكل ما تسع الإمامة من معنى، كان مثلًا أعلى في كل شيء: في علمه، في إيمانه، في إخلاصه، في نشاطه، في حدة ذكائه، في دقة ملاحظته، في قلبه الكبير وروحه الطاهرة. كان حسن البنا حجة الله في نفسي على أن الإسلام يصنع الرجال، ويحقق المثل العليا، ويصوغ النور المصطفى من لحم ودم.

كان عقلًا هائلًا، وروحًا موصولًا بالسر الأعلى، لا يفتر عن ذكر الله، كان قمة شامخة فيها العلو وفيها الثبات، وفيها قوة الجبل، كان عظيمًا موفقًا لا يخطئ الوجهة. كان رائعًا ملأ قلوبنا بحب الله، وأشعل صدورنا بحب الإسلام، وصهرنا في بوتقة طاهرة لا تشوبها شائبة.

قتل حسن البنا في يوم أسود من أيام التاريخ، وفقدت الإنسانية بفقده (إنسانًا) قل أن يجود الزمان بمثله، قتل حسن البنا بعد عشرين عامًا قضاها في جهاد مرير، متصل الأيام والليالي....».

المصادر التي أسهمت في تشكيل فكر البنا:

المصادر الإضافية التي اعتمد عليها حسن البنا – بعد أن أسس جماعته – يمكن تصورها فيما يلي:

☜ أولاً: آراؤه وتجاربه الشخصية:

كان البنا ذكيًا بارعًا، وأعطاه الله مزايا ومنحًا عديدة، وبالتالي أصبح مرجعًا أساسيًا للجماعة التي أنشأها – رغم صغر سنه وحداثة تجربته وقله حصيلته وقتها – إلا



أن البنا اعتبر الجماعة مشروعه الخاص، وبالتالي صار هو المَنَظِّرُ الأوحد لها واعتبر نفسه بداية مختلفة لفترة تاريخية جديدة فبدأ من حيث بدأ الآخرون ومع الانفرادية الشديدة لحسن البنا ومع تقرير مبدأ السمع والطاعة شبه المطلقة صارت آراء الإمام مناهج غير قابلة للنقاش ولا المساس حتى وإنْ كان الغرض من ذلك الرغبة في التطوير أو التجديد.

والمشكلة الأساسية أن هذا التنظير الذي اختطه البنا لنفسه لم يتوقف عند حدود مسائل التنظيم والإدارة وغيرها من المسائل الحركية، بل امتد حتى شمل المسائل الشرعية والدينية التي لا تحتاج إلى براعة بقدر ما تحتاج إلى علوم وضوابط، يقول الدكتور محمود عساف في كتابه «مع الإمام الشهيد حسن البنا»:

«ذات يوم نشرت جريدة الإخوان المسلمين اليومية تعليمات موجزة تقول: إنه ممنوع إطلاق اللحية إلا بإذن المرشد العام. وفي مساء ذات اليوم وأنا معه على الطريق إلى منزله سألته عن تلك التعليمات وما إذا كانت تتعارض مع السنة فقال:

هناك ظاهرة بدأت تتفشى بين الإخوان؛ وهي إطلاق اللحية، حتى لمن هم في سن المراهقة، وللحية تبعاتها، فأولًا ينبغي أن تكون مقبولة الشكل تضفي على صاحبها وقارًا، وهذا لا يتوافر عند المراهق، ثم إن تصرفات صاحبها يجب أن تتصف بالرزانة ما دام يرغب في أن يلتزم بالسنة، وما بالك بشاب يجلس في الترام وهو ملتح، وأمامه امرأة، ويقع نظرة عليها مصادفة؟ ماذا يقول الناس من حوله؟: «انظروا إلى السني ابن....» وهكذا يتسبب في سب السنيين جميعًا.

أما عن كون إطلاق اللحية من الواجبات الواردة في السنة، عملًا بالحديث «**حفوا الشوارب وأعفوا اللحى**»، فإن لهذا الحديث مقدمة؛ هي: «**خالفوا المشركين**» ثم يأتي بعد ذلك إعفاء اللحية وحف الشارب، والمشركون اليوم والملحدون يطلقون لحاهم مثلما فعل لينين وترو تسكي وكثير من اليهود شبابًا وكهولًا، بل إن رجال الدين المسيحي يطلقون لحاهم.. إلا في بعض مذاهبهم التي تجيز حلق اللحية.

ثم أعطاني درسًا في السنة فقال: «ألا فلتعلم أن السنة نوعان: سنة عادة، وسنة عبادة، وسنة العبادات لا مناقشة فيها. أما سنن العادات فوفقًا لظروف الأحوال، وهي

ليست ملزمة. فليس المسلمون ملزمين بأن يقلدوا النبي ﷺ فيما يأكل ويلبس، وكيف كان يأكل؟ وكيف كان يجلس؟ وكيف كان ينام؟ وكيف كان يتطهر (بثلاثة أحجار)؟ فهذه كلها وفقًا للعادات التي كانت سائدة وقت ذاك، والعالم تغير اليوم وأوجد الله فيه الكثير من المخترعات لخدمة عبيده، وعلينا أن نستفيد منها وإلا نَكُنْ قد كفرنا بنعمة الله، وها أنت ترى كثيرًا من أعضاء مكتب الإرشاد وأعضاء الهيئة التأسيسية للجماعة غير ملتحين ولا اعتراض على ذلك[1].

قال لي الشيخ مصطفى العالم في لقاء معه في ٦ يناير ١٩٩٣ في جدة، إنه بالرغم مما نشر في الجريدة في ذلك الوقت من منع لإطلاق اللحية إلا بإذن من المرشد العام، فإنه أطلق لحيته. ثم التقى الإمام بإخوان ميت غمر وعلى رأسهم مصطفى العالم، فقال له الإمام بغضب شديد: «لماذا أطلقت لحيتك يا مصطفى بغير إذن؟» فقلبها مصطفى العالم إلى فكاهة ليمتص غضب الإمام فقال: «لقد أتعبني إخوان ميت غمر يا فضيلة المرشد فهددتهم وقلت لهم: والله لأطلقن لكم لحيتي! «فضحك الإمام والإخوة الحاضرون».

يحكي الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ – المجلد الأول» عن حوار دار بينه وبين البنا حول قراءة كتب التفسير فقال:

«سألته مرة أي التفاسير تنصحني أن أقرأ؟ فقال لي: إن كنت تريد نصيحتي فلا داعي لقراءة تفاسير... إن القرآن واضح.. حسبك أن تعرف معاني الكلمات الغريبة

---

(١) بالطبع هذا الكلام مخالف للحديث الصريح عن النبي ﷺ: «**أطلقوا اللحى**»، ولا يُشغب عليه أن هناك مشركين يطلقون لحاهم، فهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، حتى في زمن النبي ﷺ كان يوجد أحبار وقساوسة، ولا يؤثر في معنى المخالفة أن بعض المشركين يطلقونها، فضلًا عن أنهم يطلقونها ولا يحفون الشارب، فبقي وجه خاص للمخالفة.

أما علة المنع خوفًا من أن يتلبس صاحبها بمعصية ظاهرة تشوه صورة اللحية، فهذا اجتهاد في مصادمة نص، ولو تتبعنا هذا النهج لأوقفنا العمل بالشريعة، وقلنا للسارق: لا تصلِّ خوفًا من أن يقول الناس: المصلون يسرقون وهكذا، بالإضافة إلى أنه لا تجوز الدعوة إلى منع السنة، وبالتالي لو تصورنا أن إطلاق اللحية سنة مستحبة – وهي ليست كذلك بل هي سنة واجبة – لكانت الدعوة إلى حلقها محرمة. (للمزيد: يراجع كتاب أدلة تحريم حلق اللحية– للدكتور محمد إسماعيل المقدم).



عليك وهي قليلة ثم اقرأه وتدبر معانيه وافتح له قلبك، وأنت تعرف سيرة رسول الله ﷺ؛ إذا فعلت فإنك سيتضح لك من معانيه مالا تظفر به من كتب التفسير»[(١)].

ثم ينقل عن البنا ما تم معه بخصوص تجربة تنويم مغناطيسي فاشلة حاول أحد الإخوان أن يجريها عليه فيقول:

«وكان مما حدثنا به الأستاذ المرشد في صدد ما كان من الأستاذ أحمد السراوي معه؛ أنه في أوائل أيام نقله إلي القاهرة من الإسماعيلية وتعرفه بالأستاذ السراوي أن طلب إليه الأستاذ السراوي أن يصاحبه في قضاء مصلحة له فسار معه حتى دخل معه منزلًا فوجد نفسه في مكان يشبه أن يكون عيادة طبيب، وجاء الطبيب قبالتي وأخذ يحملق في عيني وأنا أنظر إليه في تعجب ولا أدري ماذا يريد مني..

يقول الأستاذ المرشد: وبعد نحو ساعة وقف الطبيب وقال للسراوي: صاحبك هذا قوة روحية خارقة، **ليس في الدنيا الآن قوة تستطيع التغلب عليها ولا أن تعادلها؛** لقد حاولت معه بجميع الوسائل ولم أتركه إلا بعد أن أحسست أنني إذا زدت على ذلك لحظة فسأنام أنا..

قال الأستاذ المرشد: وبعد أن خرجنا سألت السراوي عن هذه المفاجأة، فقال لي: لقد لاحظت أن فيك قوة روحية خارقة، فحاولت أن أعرف مدي هذه القوة، فاتفقت مع هذا الرجل – وهو أقوى منوم مغناطيسي في مصر – على مبلغ كبير إذا هو استطاع أن ينومك، ولم أشأ أن تعرف عن عزمي هذا شيئًا حتى آخذك على غرة دون أن تستعد. وقد خسر الرجل المبلغ».

---

(١) هذا الكلام كأنه يهدر جهود علماء الأمة عبر التاريخ؛ الطبري، القرطبي، ابن كثير، فضلًا عن تفاسير الصحابة المشتملة على أسباب النزول ومعاني الآيات.

لو كان الانشغال بهذه الأمور ترفًا، لما أتعب العلماء أنفسهم، وأنفقوا أغلى أوقاتهم في تدوين هذه الكتب، ولنظر كل منا في القرآن بذوقه وَوَجْدِه.

وهذه النظرة التي تحتقر العلم ليست قاصرة على علم التفسير وحده، بل هي كذلك مع كل العلوم، فكلها عندهم من باب الترف العقلي، وهذه هي المنهجية التي تحكم جماعة الإخوان إلى يومنا هذا.

ثانيًا: الاسترشاد بمناهج أخرى:

يذكر بعض الباحثين[1] أن البنا قد تأثر بالهيئات الماسونية واستقى منها عددًا من أساليبها وطرقها في السيطرة على الأتباع، وضمان مطلق طاعتهم وولائهم، وكذلك تعرف على المناهج والطرق التي تساعده في ذلك، وربما يكون استفاد من منهج الكنيسة في فرض سياج مغلق على أتباعها وضمان السيطرة الفكرية والروحية عليهم باعتبارهم شعب خاص لها.

وكذلك كان لاختلاط البنا بالشيعة دورٌ ظاهرٌ، من ناحية التأثر بطرقهم ووسائلهم، ومدى قدرتهم على التحكم في أتباعهم وصياغة عقولهم وتصوراتهم، وقد بالغ البعض في إثبات العلاقة بين الشيعة والإخوان بشكل يفوق مرحلة الإعجاب إلى مرحلة التنسيق والتعاون.

وبغض النظر عن تَأَثُّر البنا بهذه المناهج أو بغيرها، إلا أنَّ الواقع يشهد أنَّ المناهج السالفة الذكر تعتمد على «السرية والسيطرة والتقية»، وأنَّ البنا بعد سنوات من تأسيس دعوته أنشأ النظام الخاص، وهو تشكيل عسكري مسلح له لوائح وقوانين في غاية الصرامة والحدة تشبه بدرجة ما بعض طقوس وآليات تلك المناهج.



(١) ومن هؤلاء الأستاذ علي عشماوي أحد قادة النظام الخاص، في مقدمة كتابه «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين»، وقد ألمح إلى تأثر جماعة الإخوان بالتنظيمات السرية المحسوبة على الإسلام مثل الشيعة والباطنية، وكذلك التنظيمات السرية العالمية، حيث تمت دراسة كل هذه النظم عند بناء النظام الخاص.

المبحث الأوّل

المحطات الرئيسة التي مر بها
حسن البنا بعد تكوين الجماعة

المبحث الثالث:
المحطات الرئيسة التي مر بها
حسن البنا بعد تكوين الجماعة

عند التأمل في رسائل الأستاذ حسن البنا وإمعان النظر فيها، سيتضح لنا جليا أنها ليست على وتيرةٍ واحدةٍ، ولم تسر في فقراتها وجملها على لحن واحد أو نغمة ثابتة، وإنما قفزت هذه النصوص قفزات كبرى، وانتقلت نقلات حادة،وذلك وفق تغير البعد الزمني الذي كُتبت فيه هذه الكتابات.

ومن هنا نخلص أن البنا قد مر في تأسيس دعوته بعدة مراحل، كل مرحلة لها خصائصها وسماتها، وإذا أردنا التعرف على تطور الفكرة لدى حسن البنا فلنمر مرورًا سريعًا على رسائله وكتاباته التي كانت بمثابة التنظير الفكري لتحركاته على الأرض، ثم رسائل كبار المنَظِّرين والمفكرين لدى الجماعة.

ويمكن تقسيم المسيرة الحركية للبنا إلى ثلاث مراحل، كل مرحلة منها اتخذت طابعًا منهجيًا خاصًا كما يلي:

١ - المنهج الإصلاحي. **٢ - المنهج الاستعلائي.**

٣ - المنهج التصادمي.

☜ أولاً: مرحلة المنهج الإصلاحي:

وهي فترة التكوين الأولى التي سعى فيها البنا لحشد أكبر عدد ممكن من الأتباع والأنصار والمؤيدين، وكان شعار الحب هو الشعار الأظهر بين أتباع الجماعة ومناصريها، وكانت مناهج الجماعة وقتها تميل إلى المسحة الصوفية من حيث رقة الكلام وعذوبة العبارات، مع شحنة عاطفية حماسية قوية لخلق حالة من التفاني في العمل من أجل الدين، وبذل الجهد في سبيل نشر الدعوة، وقد استمرت هذه الفترة منذ ١٩٢٨ وحتى ١٩٣٨ أي عشر سنوات تقريبًا[(١)].

---

(١) ينتمي إلى هذه المرحلة عدد كبير من كتابات الجماعة، التي تدعو للتسامح وتقوم على الحب، والعجيب أن كل هذه الكتابات لم تُنسخ، بل يتم استغلال كل أداة في المرحلة المناسبة لها.

يقول الأستاذ إبراهيم زهمول في كتابه: «الإخوان المسلمون.. أوراق تاريخية» شارحًا طبيعة تلك المرحلة:

«في تلك الفترة من تاريخ جماعة الإخوان، أخذت بنشر الفكرة العامة بين الناس، وكان نظام الدعوة في هذا الطور نظام الجمعيات التي مهمتها الخير العام ووسيلتها الإرشاد والوعظ تارة، وإقامة المنشآت تارة أخرى، وكان نشاطهم في تلك الفترة ينتظم هذه الأنواع.

وكانت تلك مرحلة التعريف ووسيلتها النشر والصحف والمطبوعات والمحاضرات وإصدار الرسائل والنشرات، ومنها ما هو للإشارة إلى أعمال الإخوان الاجتماعية، ومنها ما هو شرح لأهداف دعوتهم، ومنها ما هو توجيه للحكومات إلى الأخذ بتعاليم الإسلام. وتلك الثلاث الأخيرة التي تستهدف التعريف بأعمالهم وأهدافهم وتوجيهاتهم لم تظهر إلا في فترة متأخرة من المرحلة الأولى.

كانت أولى هذه الرسائل «القائمين الأساسين [1] للإخوان المسلمين» واللائحة الداخلية. ثم صدرت رسالة المرشد وظهر منها عددان فقط وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٥ رمضان ١٣٤٩هـ - ٢ يناير ١٩٣١، والثانية في ٢٠ شعبان ١٣٥١ الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٣٢ وقد تصدرت كلتاهما بالتوجيه إلى مبادئ الإخوان المسلمين الآتية:

١ - سلامة الاعتقاد والاجتهاد في طاعة الله -تبارك وتعالى- وفق الكتاب والسنة.

٢ - الحب في الله والاعتصام بالوحدة الإسلامية.

٣ - التأدب بآداب الإسلام الحنيف.

٤ - ترقية النفس والترقي بها إلى معرفة الله تعالى وإيثار الآخرة على الدنيا.

٥ - الثبات على المبدأ والوفاء بالعهد مع اعتقاد أن أقدس المبادئ هو الدين.

٦ - الاجتهاد في نشر الدعوة الإسلامية بين طبقات الأمة ابتغاء وجه الله.

٧ - حب الحق والخير أكثر من أي شيء في الوجود.

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل الصواب «القانون الأساسي».

وقد رأوا أن رسائل المرشد لا تفي بنشر الدعوة وتضمن أخبارها على الوجه الذي يجب أن تصل به إلى الناس عامة فقرروا إصدار مجلة أسبوعية تسمى جريدة: (الإخوان المسلمون) فظهر العدد الأول منها بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٥٢ هجرية ٢٤ يونيو ١٩٣٣ وظلت تصدر حتى ١٢ رمضان ١٣٥٧ - ٤ نوفمبر ١٩٣٨.

وقد صدرت تحت عنوان جريدة أسبوعية إسلامية جامعة تصدرها جمعية الإخوان المسلمين بالقاهرة. وهي لسان حال جمعيات الإخوان المسلمين. وبينت منهاجها بأنها تخدم كل هيئة تعمل لرفعة الإسلام وإعادة مجده، تَقَصِّي فضائل النبوة المحمدية ونشر مقاصدها، والآداب المنقولة عنها والأحاديث الدالة على الأخلاق الفاضلة من الصدق والعفاف وحسن العشيرة [1] والإحسان إلى الجار والقريب وكل كائن حتى الحيوان».

☜ **ثانيًا: مرحلة المنهج الاستعلائي:**

بعد تحقق الثمرة المرجوة من جيل التكوين، انتقل البنا مباشرة إلى إعداد جيل التنفيذ، وهي الفترة التي حرص فيها على إبراز الفروق بين جماعة الإخوان وبين غيرهم، كما حرص على إيجاد مسافات فاصلة بينهم وبين غيرهم، وقد تمت صياغة هذه الأفكار بعبارات قوية وواضحة، وكان الغرض منها تنشئة هذا الجيل على الاعتزاز بانتمائه إلى جماعة الإخوان، والشعور بالامتنان العميق تجاه الجماعة التي أنعمت عليه بأنْ جعلته واحدًا منها، وهذا المنهج مستمر منذ أنْ وضع البنا بذوره وحتى اليوم[2].

وقد دشن البنا لهذه المرحلة بشكل علني من خلال افتتاحية العدد الأول من مجلة النذير والتي صدرت مايو سنة ١٩٣٨، يقول البنا في كتاب: «مذكرات الدعوة والداعية» تحت عنوان مجلة النذير:

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل الصواب العِشرة.

(٢) وهذا ما يفسر كيف أن قياديًا إخوانيًا (وهو الأستاذ صبحي صالح) كان على مشارف الموت فما وجد شيئًا يتذكره إلا بضع كلمات قالها: «الحمد لله على نعمة الإخوان، اللّهم أمتني على الإخوان»، وآخر يدعو الله أن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والإخوان المسلمين (الشيخ سلامة عبد القوي).

أيها الإخوان تجهزوا...

منذ عشر سنين بدأت دعوة الإخوان المسلمين خالصة لوجه الله متقفية أثر الرسول الأعظم ﷺ سيد الزعماء وأهدى الأئمة وأكرم خلق الله على الله، متخذة القرآن منهاجها تتلوه وتتدبره وتقرؤه وتتفحصه وتنادي به وتعمل له وتنزل على حكمه وتوجه إليه أنظار الغافلين عنه من المسلمين وغير المسلمين.

كذلك كانت وستظل دعوة «إسلامية محمدية قرآنية» لا تعرف لونًا غير الإسلام، ولا تصطبغ بصبغة غير صبغة الله العزيز الحكيم، ولا تنتسب إلى قيادة غير قيادة رسول الله ﷺ، ولا تعلم منهاجًا غير كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..

والإسلام عبادة وقيادة، ودين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر و«**إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**».

وكانت مصر يوم أن نبتت هذه الدعوة المجددة لا تملك من أمر نفسها قليلًا ولا كثيرًا، يحكمها الغاصبون، ويستبد بأمورها المستعمرون، وأبناؤها يجاهدون في سبيل استرداد حريتها والمطالبة باستقلالها، ولم يخل الجو من منازعات حزبية وحزازات سياسية تذكيها مآرب شخصية، ولم يشأ الإخوان المسلمون أن يزجوا بأنفسهم في هذه الميادين فيزيدوا خلاف المختلفين ويمكنوا للغاصبين، ويلوثوا دعوتهم وهي في مهدها بلون غير لونها، ويظهروها للناس في صورة غير صورتها.

فتقلبت الحكومات وتغيرت الدولات[1] وهم يجاهدون مع المجاهدين ويعملون مع العاملين، منصرفين إلى ميدان مثمر منتج هو ميدان تربية الأمة وتنبيه الشعب وتغيير العرف العام وتزكية النفوس وتطهير الأرواح وإذاعة مبادئ الحق والجهاد والعمل والفضيلة بين الناس.

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل الصواب: «الدِول» بكسر الدال. راجع المصباح المنير مادة (تداول).

وأعتقد أنهم نجحوا في ذلك إلى مدى يحمدون الله عليه، ويسألونه المزيد منه، فقد أصبح للإخوان المسلمين دار في كل مكان، ودعوة على كل لسان، وأكثر من ثلاثمائة شعبة تعمل للفكرة، وتقود إلى الخير، وتهدي إلى سواء السبيل. وأصبح كذلك في مصر شعور إسلامي قوي دفاق يَرْكَنُ القوي إليه، ويعتز الضعيف به، ويأمل الجميع في ثمراته ونتائجه، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وشكر الله لهذا الشعب الذكي على حسن استعداده لتقبل الحق وجميل مبادرته إلى طريق الخير.

هذه مرحلة من مراحل الإخوان التي اجتزناها بسلام وفق الخطة الموضوعة لها، وطبق التصميم الذي رسمه توفيق الله. والآن أيها الإخوان وقد حان وقت العمل، وآن أوان الجد، ولم يعد هناك مجال للإبطاء، فإن الخطط توضح والمناهج تطبق، وكلها لا يؤدي إلى غاية، ولا ينتج ثمرة، والزعماء حائرون والقادة مذبذبون متأرجحون.

ما خطوتكم الثانية؟ أقول لكم فاسمعوا:

سننتقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال، وسنتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه وأحزابه، وسندعوهم إلى مناهجنا ونضع بين أيديهم برنامجنا، وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم بل زعيم الأقطار الإسلامية في طريق الإسلام في جرأة لا تردد معها، وفي وضوح لا لبس فيه، ومن غير مواربة أو مداورة فإن الوقت لا يتسع للمداورات.

فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجئوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة **فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة** لا تعمل على نصرة الإسلام، ولا تسير في الطريق لاستعادة حكم الإسلام ومجد الإسلام، **سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها** حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين.

إلى الآن أيها الإخوان لم تخاصموا حزبًا ولا هيئة كما أنكم لم تنضموا إليهم كذلك ولقد تَقَوَّلَ الناس عليكم فمن قائل: إنكم وفديون نَحَّاسيون، ومن قائل: إنكم

سعديون ماهريون، ومن قائل: إنكم أحرار دستوريون، ومن قائل: إنكم بالحزب الوطني متصلون، ومن قائل: إنكم إلى مصر الفتاة تنتسبون، ومن قائل: إنكم إلى غير ذلك من الأحزاب منتمون.

والله يعلم والعارفون بكم أنكم من كل ذلك بريئون فما اتبعتم غير رسوله زعيمًا، وما ارتضيتم غير كتابه منهاجًا، وما اتخذتم سوى الإسلام غاية. فدعوا كلام الناس جانبًا وخذوا في الجد، والزمن كفيل بكشف الحقائق، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

كان ذلك موقفكم أيها الإخوان سلبيًا هكذا فيما مضى، أما اليوم وأما في هذه الخطوة الجديدة فلن يكون كذلك، ستخاصمون هؤلاء جميعًا في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعاليم الإسلام منهاجًا يسيرون عليه ويعملون له، وسيكون هؤلاء جميعًا منضمين لكم في وحدة قوية وكتلة متراصة متساندة إن أجابوا داعي الله وعملوا معه.

وحينئذ يجتمعون ولا يتفرقون، ويتحدثون ولا ينتقدون، فهو موقف إيجابي واضح لا يعرف التردد ولا يتوسط بين الحب والبغض، فإما ولاء وإما عداء، ولسنا في ذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقتنا أو نغير مسلكنا بالتدخل في السياسة «كما يقول الذين لا يعلمون، ولكنا بذلك ننتقل خطوة ثانية في طريقتنا الإسلامية وخطتنا المحمدية ومنهاجنا القرآني، ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءًا من الدين، وأن يشمل الإسلام الحاكمين والمحكومين. فليس في تعاليمه أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولكن في تعاليمه قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار.

أيها الإخوان... أعلن لكم هذه الخطوة على صفحات جريدتكم هذه لأول عدد منها وأدعوكم إلى الجهاد العملي بعد الدعوة القولية، والجهاد بثمن، وفيه تضحيات وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد وما فوق الاضطهاد، **وأن يتعرض الأحرار** منكم للمعاكسة وأكثر من



المعاكسة، وأن يُدْعَى المترفون المترفهون منكم إلى السجون وما هو أشق من السجون ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦] فمن كان معنا في هذه الخطوة فليتجهز وليستعد لها، ومن قعدت به ظروفه أو صعبت عليه تكاليف الجهاد سواء أكان شعبة من شعب الإخوان أم فردًا من أعضاء الجماعة، فليبتعد عن الصف قليلًا ولْيَدَعْ كتيبة الله تسير ثم فَلْيَلْقنا بعد ذلك في ميدان النصر إن شاء الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] ولا أقول لكم إلا كما قال إبراهيم من قبل: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وإن لنا في جلالة الملك المسلم -أيده الله- أملًا محققًا، وفي الشعب المصري الذي صقلته الحوادث ونبهته التجارب، ومعه الشعوب الإسلامية المتآخية بعقيدة الإسلام نظرًا صادقًا، وتأييد الله ومعونته قبل ذلك وبعده فإلى الأمام دائما».

كانت هذه هي الانطلاقة التي بدأ بها البنا هذه المرحلة المثيرة، وقد كان حديث الاستعلاء هو اللافتة الكبرى التي توجه العاملين في هذه المرحلة، حتى شمل هذا الاستعلاء من كان من العاملين في المرحلة الأولى، ولم يتحمل تكاليف الدخول في المرحلة الثانية، يقول الأستاذ حسن البنا موجهًا حديثه إلى أتباعه في رسالة «الإخوان تحت راية القرآن».

«**نحن أيها الناس -ولا فخر- أصحاب رسول الله**[1]، وحملة رايته من بعده، ورافعوا لوائه كما رفعوه، وناشروا لوائه كما نشروه، وحافظوا قرآنه كما حفظوه،

---

(١) هذا الكلام مخالف لنص حديث النبي ﷺ في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أن قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله. قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**»، وفي المسند عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وددت أني لقيت إخواني**» قال: فقال أصحاب النبي ﷺ: نحن إخوانك. قال: «**أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني**»، وهذا الكلام هو الذي يفتح باب الغلو، ويربي عند الأتباع روح الاستعلاء على الآخرين، والشعور بتضخم الذات.

والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ﴾ [صٓ: ٨٨]. هذه منزلتكم، فلا تصغروا في أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا في دعوتكم سبيلًا غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التي تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التي تبررها الضرورات، وتذهب بها الحوادث والأيام.

لقد دعوتم وجاهدتم، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتًا تهتف بزعامة رسول الله وهيمنة نظام القرآن، ووجوب النهوض للعمل، وتخليص الغاية لله، ودماء تسيل من شباب طاهر كريم في سبيل الله، ورغبة صادقة للشهادة في سبيل الله. وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون، فواصلوا جهودكم، واعملوا، ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غدًا، وللسابق عليه الفضل. ومن رغب عن دعوتنا، زهادة، أو سخرية بها، أو استصغارًا لها، أو يائسًا من انتصارها، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق».

يؤكد الأستاذ حسن البنا على هذا المعنى في مناسبة أخرى، فيقول في كتابه: «مذكرات الدعوة والداعية» ناقلًا كلمته الافتتاحية بمجلة الإخوان المسلمين في السنة الخامسة لها:

«أحب أن أقول لكم هنا بكل وضوح: إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، **وإنكم ورثة رسول الله ﷺ**، وخلفاؤه على قرآن ربه، وأمناؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيء على إحياء الإسلام في وقت تصرفت فيه الأهواء والشهوات وضعفت عن هذا العبء الكواهل.

وإذ كنتم كذلك **فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحدًا وتستغني عن غيرها، إذ هي جماع كل خير وما عداها لا يسلم من النقص**، إذن فأقبلوا على شأنكم ولا تساوموا على مناهجكم واعرضوه على الناس في عز وقوة، فمن مد لكم يده على أساسه



فأهلًا ومرحبًا في وضح الصبح وفلق الفجر وضوء النهار أخ لكم يعمل معكم **ويؤمن إيمانكم** وينفذ تعاليمكم، ومن أبى ذلك ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

أيها الإخوان.. لا تستعجلوا فلا يزال الوقت أمامكم فسيحًا، **وستكونون من المطلوبين لا الطالبين،** فإن العزة له جميعًا ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨].

وقد أكد على هذا المعنى الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه: «الإخوان المسلمون: ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد»، فقال في معرض حديثه عن مميزات دعوة الإخوان:

«**كان الإسلام في حاجة** إلى دعوة تملأ الساحة، وتسد الثغرة، وتعبيء الأمة. ولم يكن فيمن يمثلون الإسلام في ذلك الزمن من يقدر على القيام بهذه المهمة. فكانت الأمة في حاجة إلى دعوة جديدة، تجدد دعوة النبي الأمين، يقوم عليها **(صحابة جدد) يقومون في الآخرين مقام الصحابة في الأولين**».

وجاء على لسان الحاجة زينب الغزالي وهى تقص ملابسات إصدار عبد الناصر لقرار حل الجماعة قولها:

«إن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين لم يكن خبط عشواء من حسن البنا، ولكنه كان تنفيذًا لأمر أراده الله لتجديد هذا الدين بإقامة دولته وتنفيذ شريعته، ولذا فليس من حق جمال عبد الناصر حل جماعة الإخوان». وتذكر نفس الشيء بخصوص جماعة السيدات المسلمات«ليس لعبد الناصر الحق في أن يحل جماعة السيدات المسلمات.**إن الله تبارك وتعالى هو الذي يعقد للمسلمين راياتهم، والذي يعقده الله لا البشر**».

وقد ورد هذا المعنى في خطاب حسن البنا عند اجتماعه مع رؤساء المناطق والشعب عام ١٩٤٥، فقال ردًا على تساؤل يدور على ألسنة الناس:

«سيقول الناس ما أنتم أيها الإخوان؟ إننا لم نفهمكم بعد، فأفهمونا أنفسكم وضعوا لأنفسكم عنوانًا نعرفكم به كما تعرف الهيئات بالعناوين.

هل أنتم طريقة صوفية؟ أم مؤسسة اجتماعية؟ أم حزب سياسي؟ كونوا واحدًا من هذه الأسماء والمسميات لنعرفكم بأسمائكم وصفتكم.

فقولوا لهؤلاء المتسائلين: نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة:

طريقة صوفية نقية.. وجمعية خيرية نافعة.. ومؤسسة اجتماعية قائمة.. وحزب سياسي نظيف.

وقد يقولون بعد هذا كله لازلتم غامضين فأجيبوهم: **لأنه ليس في يدكم مفتاح النور الذي تبصروننا على ضوئه... نحن الإسلام -أيها الناس- فمن فهمه على وجهه الصحيح فقد عرفنا كما يعرف نفسه فافهموا الإسلام أولًا وقولوا عنا بعد ذلك ما تريدون!**».

ومن الكتابات المهمة في هذه المرحلة رسالة: «بين الأمس واليوم» التي ظهر فيها البنا وكأنه يهيء أتباعه لمرحلة جديدة لا يعلمون عنها شيئًا، يقول البنا في رسالة «بين الأمس واليوم» تحت عنوان العقبات في طريقنا:

«أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس[1]، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها ستلقي منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، و ستجدون أمامكم كثيرًا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات.

أما الآن فلا زلتم مجهولين تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد. **سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم**، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذو الجاه والسلطان، وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم، وسيتذرع الغاصبون بكل طرق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون في ذلك بالحكومات الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان.

(١) رغم أنها كانت في ذلك الوقت منتشرة ومعروفة لدى الناس، فأي غموض في فكر الجماعة عناه البنا في كلامه وتوقع أن يهاجمه الناس من أجله؟.



وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بدعوتكم كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم وإعلامهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان، فستسجنون وتعتقلون، وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدي هذا الامتحان: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت].

ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٠-١٤] فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله؟».

ومن الأمثلة الصارخة في هذا الباب، ما نقله الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف»[(١)]، فقد ذكر تجربة وقعت معه في بداية التزامه وحضوره

(١) أحمد عادل كمال من أعلام الإخوان المسلمين والمؤلفين في التاريخ الإسلامي، ولد عام ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ بحي السيدة زينب بمدينة القاهرة لأبوين من الطبقة المتوسطة. يقول عنه أحمد رائف: «وقد قدر لي أن أرافق الأستاذ أحمد كمال... في سجون مصر المختلفة، العسكرية منها والمدنية، وكنت في جواره أعوامًا سمعت منه الكثير عن تاريخ الإخوان المسلمين. وكنت أسأله عن الواقعة المشوشة المضطربة في ذهني من كثرة ما اعتورتها الألسنة بالتحريف والتبديل. فيجيبني بذاكرة حاضرة وذهن صاف، ويذكرها مسلمة لاشية فيها، ولم يكن يحاول أن يدعي البطولة فيما شاهده وشارك فيه من أحداث، بل كان يذكر الواقعة ببساطة وشجاعة ويذكر ما له فيها وما عليه، إن كان فيها ما عليه، بشجاعة وصدق ووضوح».

=

اللقاءات التي كانت تديرها الجماعة، ورغم طرافة القصة إلا أنَّ لها دلالةً خطيرةً، لأنها تكشف عن الطريقة التي يفكر بها أعضاء الجماعة يقول:

«وقبل أن ننصرف من ذلك الدرس الموفق حقًا وزعت علينا قصاصات من الورق ليكتب كل منا خواطره أو ما بدا له أو أي اعتراض أو اقتراح أو استفهام وليس بلازم أن يكتب اسمه، وأفهمونا أنَّ ملاحظاتنا سوف تكون محل اهتمام واعتبار. وكنت قد أتعبني طول الجلوس على الحصيرة أكثر من ساعة ونصف فآلمتني الجلسة التي لم أُعِدْهَا، وكانت هذه خاطرتي التي سطرتها ولم أوقع باسمي. وبعد نحو من عام – وكنت قد صرت من صميم الإخوان – علمت أن هذه القصاصة قد نوقشت في مجلس إدارة الشعبة وانقسم المجلس بشأنها، **ففريق رأى أن الجماعة لا تستجدي الهداية للناس فمن شاء أنْ يحضر ويجلس على الحصير فيها، ومن ترفع وتكبر وطغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى!**».

يقول الأستاذ سعيد حوى في كتابه: (المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين):

«ومع أنه لم يزل فقهاء الدعوة المعتمدون يعتبرون الإخوان المسلمين جماعة من المسلمين تسعى لأن تتحقق بمواصفات جماعة المسلمين وأنها متى استطاعت أن تطور نفسها نحو ذلك فعندئذ تصبح جماعة المسلمين».

«فلنرى ما هي مواصفات الجماعة التي يصح أن نعتبرها جماعة المسلمين؟ ولنرى ما إذا كانت هذه المواصفات منطبقة على جماعة الإخوان المسلمين كما أقامها حسن البنا».

=ومن أشهر كتبه «النقط فوق الحروف..الإخوان المسلمون والنظام الخاص» طبعة الزهراء للإعلام العربي بالقاهرة سنة ١٩٨٧م، وهو يؤرخ للنظام الخاص للإخوان الذي كان عضوًا به وأورد كثيرًا من التفصيلات المهمة عن نشاط النظام الخاص التي لا تتوفر إلا لمن شارك في الأحداث،وهى لاشك صفحات مجهولة للكثيرين.

يقول أحمد كمال عن البنا وعن الإخوان: «إني مدين له وللدعوة التي هداه الله إلى أن يدعو بها، بكل خير نلته في حياتي وبكل ما أرجو يوم ألقاه رحمه الله أوسع الرحمة وجزاه خير الجزاء فلم يكن مثله أحد استطاع توجيه طاقة الشباب نحو الهدى والتجرد والعمل للإسلام والفداء. ومدين فوق ذلك لخالق كريم ورب أعلى خلق فسوى وقدر فهدى». (الأستاذ أحمد عادل كمال.. حياته وعلمه – بقلم:أ. أشرف عيد العنتبلي) – وسيأتي ترجمة له عند الكلام عن النظام الخاص.



ثم ذكر سعيد حوى مواصفات جماعة المسلمين وذكر (سبع صفات) ثم قال – بعدها -: «والدليل على أن هذه كلها مواصفات لا بد منها للجماعة التي يجب على كل مسلم أن يضع يده في يدها – وهي متوافرة في جماعة الإخوان المسلمين».

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه: «الإخوان المسلمون: ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد» مفتخرًا بجماعة الإخوان:

«والإخوان المسلمون ليست هي كبرى الحركات الإسلامية فحسب، **بل هي أم الحركات الإسلامية أيضًا**، فهي الأصل والأساس، ولا سيما في العالم العربي، **والحركات الأخرى التي تنتسب إلى الإسلام، إما ناشيء بعدها، وإما فرع عنها وامتداد لها، وإما انشقاق عنها وخروج عليها**».

يقول الأستاذ سعيد حوى في كتابه: (آفاق التعاليم):

«ولكن الأيام ستكشف -والله أعلم- أنه لنْ تستطيع الحركة الإسلامية ولا في طور من أطوارها سواءٌ قبل الدولة أو بعدها أو في السياسة الداخلية أو في السياسة الخارجية للدولة الإسلامية أو في التربية أو في التكوين أو في الاستراتيجية والحركة أن تستغنى عن فكر الأستاذ (البنا).

ولئن كان (البنا) بمجموع ما حباه الله ﷻ هو المرشح الوحيد لأنْ يطرح نظريات العمل الإسلامي، فالدعوة التي أقامها تركيبٌ ذو نِسب معينة، فمتى اختلفت هذه النِّسب حدث الفساد!».

وقد كان من آثار هذا الفكر اعتقاد الإخوان بأن الجماعة لا تخطئ يقول الدكتور (**عبد العزيز كامل**) في (**مذكراته الشخصية**): «ولقد كان من الأعراف الفكرية عند الإخوان أنَّ يد الله التي ترعاهم قادرةٌ على أن تحوِّل خطأً تصرفهم إلى صواب، نسير في خطأ فإذا برحمة الله تتداركنا فنتحول إلى صواب، نقصد أمرًا فتوجهنا عناية الله إلى غيره»[1].

(١) الذين ترجموا لحياة البنا نفسه، يذكرون أمورًا كثيرة حدثت له أثناء حياته، يعدونها من باب التوكل واليقين والثقة في الله، وهي في حقيقتها لا تخرج كثيرًا عن هذه القاعدة، فإذا كان هذا متأصلًا فيمن يكتب ترجمة شخصية، فكيف بمن يؤرخ لمسيرة دعوة، ويرى أن كل تصرفاتها صحيحة، إما ابتداءً، وإما أن تكون =

يقول الأستاذ/ محمد الغزالي في كتابه: «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث» منتقدًا هذا المنهج ومبينًا آثره في انحراف الجماعة بعد أن اكتوى بنارها وفُصِل من عضويتها، وتمت معاملته أسوأ معاملة:

«وأريد أن أعرض هنا لمسألة: «عصمة أو تقديس القيادة».. فإن القول بعصمة واحد من هؤلاء هو عندي خرافة كبيرة. ومن السخف أن يطالَب عاقلٌ بتصديق هذا الزعم سواء تبجح به رئيس أو هرف به مرءوس... والأحزاب المناوئة للحاكم عندما تفقد نعمة العلانية في التنفيس عن رغباتها، والإبانة عن مقاصدها وغاياتها، لا ترى بدًا من جمع فلولها في الظلام ونشر تعاليمها في شكل رسائل أو منشورات مقتضبة حاسمة...

وقد كان طلاب الخلافة من ذرية علي يعيشون في هذا الخفاء المسحور، وينالون من الحب بقدر ما يناله الحاكم من سخط.وربما كان بعضهم أعف نفسًا وأصدق قيلًا من أمراء أمية والعباس فهو يرى في مناوشته الحاكم وإسقاطه خدمة للإسلام قبل أن يكون خدمة لنفسه... والوسيلة الوحيدة هي المقاومة السرية، حيث يتلقى الأتباع الأوامر الصادرة من فوق على أنها نصوص واجبة الطاعة، لا مجال البته لمناقشتها أو التملص منها، لا... إن شيئًا من هذا لا يجول بخاطر واحد من الأتباع! فإن تنفيذ هذه الأوامر دين تقبل عليه النفس بلذة وشغف، ولو كانت عقباه العطوب..! وفي هذه الدائرة المغلقة تتحول الثقة في القيادة إلى قول بعصمة الأئمة... ذلك أن مرور الزمن على هذا الكبت يحور الصلة بين الأتباع المضطهدين وسادتهم المختفين حتى تنتهى إلى هذا المصير.

وخطورة هذا الضرب من المعارضة المستخفية أنه البيئة الخصبة لنمو الأوهام والأساطير. وأظن أن الفرق الكثيرة التي نهشت جوهر الإسلام من باطنية وقرامطة وغيرهم لم تتولد إلا في هذه البيئة. إن الأوامر التي يصدرها أشخاص فقدوا قوة العمل

=خطئًا ولكن عناية الله تحولها صوابًا، وهذا الأمر من أشد نقاط الخلل في منهج الجماعة، وهو من أحد الأسباب التي تقف حائلًا أمام مراجعتها لنفسها ورجوعها عن أخطائها، ومن أحد الأسباب التي تؤدي إلى كوارث مدمرة حيث كان مبرر الجماعة في التواجد في كثير من ساحات الصراع الغير متكافئة هذه القاعدة أيضًا.

في النور قلما تخضع لتمحيص المنطق وتحقيق الشورى.. حتى بعد أن تواتيهم السلطة ويقيموا حكمًا يرعى أمور الناس في وضح النهار..

وهكذا ينتقل مبدأ تقديس الزعامة من صفوف المعارضة إلى صفوف الحكم نفسه، والإسلام بريء من هذا كله. قد رأيت جمعًا غفيرًا من شباب المسلمين ينظرون إلى قائدهم نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر. قال أحدهم: إن القائد لا يخطئ. ومع أن كلمة: «القائد لا يخطئ» وجدت امتعاضًا من السامعين، إلا أنه امتعاض المذنب عندما يواجه بجريرة لا يجد منها فكاكًا.. ويكره أن تلتصق به، لظهور معرتها.

والقوم يخلطون بين توقير القائد وتوقير المهابة له... وبين الخنوع لرأيه والمسارعة في هواه. لقد قال قائل: «إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة». ثم أضاف: «ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول ﷺ إلى الإيمان بذاته جل شأنه؟ ذلك أن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو في اتباع القائد اتباعًا مطلقًا»...!! ثم استدرك القائل: «لا أعني بهذا أن أسوي بين القائد والرسول في حقيقة الطاعة، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو القائد، فأنا أضرب مثلًا فحسب»...!!

وبنظرتنا إلى هذا الخلل الفظيع في مقاييس الخير، سنجد أننا سوف نُحرم من رعاية الله أبدًا بتقريره... وخاصة أن الشبان اضطربت أفكارهم وأحكامهم حتى خُيل إلى بعضهم أن يزن الأمور بمدى رضاء القائد ومدى الولاء له!! أما الخطأ والصواب، أما العقم والإنتاج، أما النكوص والشجاعة، بل قل: أما العلم والجهل.. فتلك أمور لا يُلتفت إليها في تقديم وتأخير... وعفاء على أمة تستقر فيها تلك المهازل.. إن البقاء فيها مضيعة للوقت ومنقصة للدين!

أأشقى به غرسًا؟ وأجنيه ذلة؟ إذن فاتباع الجهل قد كان أحزمًا!!

ولكني مرة أخرى أُرجع اللوم على القطيع المسيَّر. إن حسن النية لا يشفع في الاستجابة لأصحاب الأهواء. وقد نعى القرآن على قوم أغلقوا عقولهم على رأى فلم يفهموا سواه ولم يفكروا فيما عداه زاعمين أن الخير فيه وحده فقال فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف].

يجب ألا نأخذ رأينا كقضية مسلَّمة، ولا أن نقبل كلام غيرنا دون مناقشة وتدبر، بل يجب أن نبحث عن الحق، ونجتهد في الوصول إليه، فإذا عرفناه عرفنا الرجال على ضوئه وصادقناهم أو خاصمناهم على أساسه.

إن المسلم الصادق هو الذي يعرف الرجال بالحق، أما أولئك الذين يعرفون الحق بالرجال ويثقون في أي كلام يلقى إليهم لأنه صادر عن فلان أو فلان، فهم أبعد الناس من فهم الإسلام، بل هم آخر من يقدم للإسلام خيرًا أو يحرز له نصرًا... وافْقَه أيها المسلم كلمة الإمام مالك بن أنس: «كل امرئ يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذا المقام «يعني رسول الله ﷺ». فقضية الدعوة هي التي تعنينا.

هل ستترك الأيدي الخفية تلعب بزمام الحركة الإسلامية الكبيرة وتشل نشاطها في ميادين الحياة؟ هل من الضروري أن يحمل الإسلام أوزار قيادات واهنة، تستر ضعفها بالاستبداد، ونكوصها بالمكر السيئ؟ ولحساب من هذا؟ إن شرف الدعوة العظيمة في أنها صدى للإسلام، وصورة كاملة لتعاليمه الراشدة.

فاعلم أن الإسلام بُني على الوضوح والثقة والتعقل ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ فارفض الغموض في رسالتك واحذر قبول الريبة باسم السمع والطاعة؛ فالطاعة في المعروف، والرسول ﷺ يقول: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[1]. ولا تتعصب إلا لما تعقل وتؤمن، فإن التسليم للأوهام بعض الطقوس الماسونية في هذا العصر، وبعض طقوس الكنيسة في العصور الوسطى المظلمة. أما الإسلام فبريء من هذه المسالك المحدثة.

إن القيادات مسئولة من قبلُ ومن بعدُ عن الخسائر التي أصابت الحركة الإسلامية في هذا العصر، وعن التهم الشنيعة التي تُوَجَّه للإسلام من خصومه المتربصين. فقد صورته على أنه نزوات فرد متحكم، كما صورت الهيئات الإسلامية وكأنها تسودها الدسائس وتسيرها الأهواء، وسوف نبقى ندفع عن الإسلام شرور أعدائه السافرين والدخلاء حتى تنجلي الغمة ويفرح المؤمنون بنصر الله...

---

(١) رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه الألباني.



وعندما أنهض الإسلام جماعة الإخوان في مصر كيما ينصفوا مبادئه ويذودوا عن حماه تنضرت وجوه كثيرة، وسَرَتْ حرارة الأمل في أوصال المؤمنين، وتمشت إلى جانبها رعدة الخوف في قلوب الفساق والظالمين، وسارت الدعوة تطوي المراحل البعيدة وهي تمر مَرَّ السحاب... غير أن حفنة من الملتحقين بالركب الإسلامي شاءت أن تعكر هذا كله، وأن تجعل حصاد ربع قرن هشيمًا تذروه الرياح...

فاحذروا على كيانكم هذا **التطاول الذي إذا كره طارد العلماء المجاهدين، وإذا رضى قرب المداهنين والقاعدين.** ثم ادعى بعد ذلك أنه يحكم بما أنزل الله. انسوا الأشخاص واذكروا دعوتكم على ضوء الإسلام وحده. إن العابثين بحقائق الإسلام الكبرى لهم مطامع لم تنته بعد. ومرة أخرى أقول لكم: إن الإسلام يحتاج إلى الهمم البعيدة والمشاعر الحية النابضة، فاحذروا الرجال الذين سقطت همتهم وبردت عاطفتهم وفرضوا موات أنفسهم على دين قام من نشأته بحب المحقين وبغض المبطلين».

☜ ثالثًا: مرحلة المنهج الصدامي:

المنهج الصدامي هو التطور الطبيعي للمنهج الاستعلائي، حيث تصور الأستاذ حسن البنا أنه قد وصل لمرحلة الانتصارات وحصد الغنائم، وأنَّ الدعوة في هذا الطور لابد أن تتخلص من خصومها وتقضي عليهم، حيث كانوا في نظر الجماعة عقبات على طريق تحقق النصر، وفي هذه الفترة ظن البنا أنه بالفعل قد تكونت لديه أدوات القوة ووسائل المنعة، وبالتالي يستطيع أنْ يحقق ما يريد.

وقد قرر الأستاذ حسن البنا أن يخوض عناء الصدام في هذه المرحلة، كما جاء في رسالة المؤتمر الخامس [(١)] تحت عنوان: «متى تكون خطوتنا التنفيذية؟»:

(١) يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون» أحداث صنعت التاريخ – الجزء الأول. أطلق على هذا المؤتمر اسم: «المؤتمر الخامس» على اعتبار أنه سبق بأربعة مؤتمرات عامة بمعنى أنها كانت تمثل في كل منها شُعَب الإخوان التي كانت موجودة في أوقات انعقادها، ولكن هذه الشُعَب كانت كما سبق أن ذكرت – قليلة العدد وفي ركن محدد من أركان البلاد، ولذا فإنها وإن كانت عامة لجمعها كل الشعب إلا أنها كانت موضعية في حقيقتها، ولعل هذا كان السبب في أن المجتمع المصري لم يشعر بها... أما هذا المؤتمر فهو في حقيقة الأمر يعد المؤتمر العام الأول لأنه أول مؤتمر اشتمل على خصائص المؤتمرات العامة...

=

«في الوقت الذي يكون فيه منكم -معشر الإخوان المسلمين- ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: «**ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**»[1].

إني أقدر لذلك وقتًا ليس طويلًا بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته، وقد تستطيعون أنتم معشر نواب الإخوان ومندوبيهم أن تقصروا هذا الآجل إذا بذلتم همتكم وضاعفتم جهودكم، وقد تهملون فيخطئ هذا الحساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفسكم العبء **وألفوا الكتائب وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب** وانشروا دعوتكم في الجهات التي لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل.

وقد يظن من يسمع هذا أن الإخوان المسلمين قليل عددهم أو ضعيف مجهودهم، ولست إلى هذا أقصد وليس هذا هو مفهوم كلامي، فالإخوان المسلمون -والحمد لله- كثيرون، وإن جماعة يمثلها في هذا الاجتماع آلاف من أعضائها كل منهم ينوب عن شعبة كاملة لأكثر من أن يستقل عددها أو ينسي مجهودها أو يغمط حقها، **ولكن أقصد إلى ما ذكرت أولًا من أن رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذي يؤدي إلى أعظم الربح بأقل التضحيات**».

=وقد صادف عقد هذا المؤتمر مناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس دعوة الإخوان المسلمين فقد عقد في عام ١٣٥٧ هجرية الموافق ١٩٣٨ ميلادية.. وقد رأى الأستاذ المرشد أن يعقده في سراي آل لطف الله بالقاهرة مع أن هذا المكان باهظ التكاليف لكن الأستاذ اختاره لأنه كان في ذلك الوقت المكان المرموق الذي تتجه إليه الأنظار – وهو المكان الذي عُقِدَ فيه المؤتمر البرلماني العالمي لمشكلة فلسطين، وكان الأستاذ المرشد يعتبر هذا المؤتمر أول فرصة يواجه فيها المجتمع المصري والدولي بدعوته، فأعد خطابًا جامعًا ضافيًا، وضح فيه غاية الإخوان وخصائص دعوتهم، ووسائلهم وخطوات منهاجهم، وموقفهم من الهيئات المختلفة. ونظرًا لأهمية هذا الخطاب التاريخي والذي طبع في رسالة خاصة والذي كان له ما بعده لأنه حدد المواقف بكل وضوح وصراحة».

(١) رواه أبو داود (٢٦١١) وصححه الألباني.

يقول البنا في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان: «الإخوان والقوة والثورة»:

«ويتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إعداد ثورة عامة علي النظام السياسي أو النظام الاجتماعي[1] في مصر؟

ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة، بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء، فليسمع من يشاء.

أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه و تشريعاته.... فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء، و لابد أن يعملوا في قوة.

و لكن الإخوان المسلمين أعمق فكرًا وأبعد نظرًا من أن تستهويهم سطحية الأعمال و الفكر، فلا يغوصوا في أعماقها، ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة و الارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، و لا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولًا، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون في كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.

وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت علي هذا المنوال ولم يفكر أولوا الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذا المشاكل، فسيؤدي

---

(١) وهذا يدل على أن الصدام لم يكن مع السلطة فقط ولكن كان مع المجتمع أيضًا عند اللزوم، كما سيتضح من إجابته.

ذلك حتمًا إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن و يستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيرًا من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال[1]».

ثم تكلم في رسالة المؤتمر الخامس عن «خصائص دعوة الإخوان» فذكر تحت عنوان: «البعد عن الهيئات والأحزاب» ما يلي:

«ونحن الآن وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها **وأصبحت تستطيع أن توجِّه ولا توجَّه وأن تؤثر ولا تتأثر**، نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا، وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا وأن يتركوا هذه المظاهر الفارغة التي لا غناء فيها، ويتوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويستظلوا براية النبي الكريم ومنهاج الإسلام القويم، فإن أجابوا فهو خير لهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة وتستطيع الدعوة بهم أن تختصر الوقت والجهود، وإن أبوا فلا بأس علينا أن ننتظر قليلًا ونلتمس المعونة من الله وحده حتى يحاط بهم أو يسقط في أيديهم **ويضطرون إلى العمل للدعوة أذنابًا وقد كانوا يستطيعون أن يكونوا رؤساء** ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]».

يقول البنا في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان: «مصارحة»:

«**أيها الإخوان المسلمون:** إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين، ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين. **على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون**، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم. واعملوا ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] والفوز للعاملين ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]».

---

(١) من يتبنون المسار الثوري عند الإخوان عليهم أن يجيبوا عن هذا الكلام، لأنه صريح في رفض الثورة كمبدأ عام سواء في الحاضر والمستقبل.

ثم يضيف الأستاذ البنا في رسالته إلى الشباب تحت عنوان: «ماذا نريد؟»:

«**أيها الشباب**: إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات، فنحن نعلم تمامًا ماذا نريد، ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة».

وبعد أن ذكر هذه المراحل والخطوات قام بصياغة قاعدة خطيرة، يبدو أنها كانت بذرة التكفير الأولى عند الجماعة، فقال:

«لِيَقُل القاصرون الجبناء إن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس، وذلك هو الضعف الذي لا نعرفه ولا يعرفه الإسلام. ذلك هو الوهن الذي قذف في قلوب هذه الأمة فمكن لأعدائها فيها، وذلك هو خراب القلب من الإيمان وهو علة سقوط المسلمين. **وإنما نعلن في وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حَظَّ له في الإسلام**، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها».

هذه النقولات السابقة واضحة وصريحة بالدرجة التي لا تحتمل تأويلًا ولا تبريرًا، ولكن رموز الجماعة عندما يتعرضون لها بالنقل أو الاقتباس فإنهم يصرفون جل همهم في التأكيد على أن منبع الخلل في سوء الفهم للكلام، وليس في مضمون الكلام ذاته، من ذلك ما قام به الأستاذ عمر التلمساني في كتابه: (ذكريات لا مذكرات)، فقد نقل عن حسن البنا تهديده لكل من لا يستجيب لدعوة الإخوان المسلمين قائلًا:

«نحن حرب على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا.. وسنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق، وهو خير الفاتحين».

إلا أنه قد انبرى مدافعًا عن أستاذه، وساق عددًا من المبررات من جنس أن المغرضين قد اجتزءوا من كلامه على غرار ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٤٣]، وأنهم تركوا المحكم من كلام البنا وتمسكوا بالمتشابه، إلى غير ذلك من أسباب، وهذا هو ديدن كل من يتعرض لتبرير هذه النقولات.

وفي هذه الفترة بدأ الأستاذ حسن البنا سلسلة من الإجراءات لتنظيم العمل المسلح، فقام بتكوين ثلاث تشكيلات عسكرية كما يلي:

- **محور مدني مسلح**: وكان تحت مسئولية عبد الرحمن السندي، وينتمي إليه المدنيون.

۞ **نظام خاص داخل الشرطة:** وكان يطلق عليه سلاح الوحدات وكان تحت مسئولية اللواء صلاح شادي.

۞ **نظام خاص داخل الجيش:** وكان تحت مسئولية الصاغ محمود لبيب، ويعاونه عبد المنعم عبد الرءوف.

شهادات المعاصرين من الإخوان تؤكد الفكر الذي نشأت عليه الجماعة:

شهادة الأستاذ محمد الغزالي في كتابه (من معالم الحق):

يقول الأستاذ/ محمد الغزالي: «ولقد عجبت لخلاف وقع بين شباب من المسلمين أثاره بعضهم بتشاؤم هو: نحن جماعة المسلمين، أم نحن جماعة من المسلمين؟ والإجابة على هذا السؤال لها نتائج ذات بال. بل نتائج ترتبط بها صيانة دماء وأموال! فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة قائدهم ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا ممهدة إلى النار وبئس القرار! [(١)].

إلا أنني عز علي أن يُلْعبَ بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة، وأن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى، فيلعن أهل الإيمان ويترك أهل الطغيان. وبم؟ باسم أن القائد وبطانته هم وحدهم أولوا الأمر! وأن لهم حق السمع والطاعة؟ وأن الخارج عليهم يصدق فيه قول رسول الله ﷺ: **«من رأى من أميره شيئًا فكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية»**، وقوله: **«من خلع يدًا من طاعة لقي الله لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»**[(٢)].

---

(١) نقلًا عن كتاب: «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث» الناشر: دار نهضة مصر، وهي طبعة حديثة، أما الطبعة القديمة: «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث» ط الرابعة سنة: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م عن دار الصحوة بالقاهرة، فإنه جاء فيه: «إنَّ الذين يحسبون أنفسهم» «جماعةَ المسلمين» يرون مخالفة الأستاذ حسن الهضيبي ضربًا من مخالفة الله ورسوله، وطريقًا مُمَهِّدة إلى النار، وبئس القرار! وقد كنتُ أسيرُ مع زميلي الأستاذ/ سيد سابق قريبًا من شُعبة المَنيَل، فمرَّ بنا اثنان من أولئك الشُّبّان المفتونين، وأَبَيا إلاَّ إسماعَنا رأيهم فينا، وهو أننا من أهل جهنم».

(٢) رواهما مسلم (١٨٤٩)، (١٨٥١).

وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يحدثها الشاغبون على الدولة، الخارجون على الحكام. وقد عانى المسلمون وعانت خلافتهم الكبرى أقسى الآلام من ثورات الحانقين والناقمين، وربما كان سقوط الحكم الإسلامي في الأرض بسبب هذه الانتفاضات الهائلة...

بيد أن تعليم هذا الجنون كان أسلوب تربية وتجميع عند بعض الناس!! أن يقال إن الولاء للقيادة يكفر السيئات، وإن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل، أيُّ إسلام هذا؟ ومَنْ مِنْ علماء الأولين والآخرين أفتى بهذا اللغو؟ وكيف تلبسون الدين هذا الزي المنكر؟ وهيهات، فقد تغلغل هذا الضلال في نفوس الناشئة حتى سأل بعضهم: هل يظن المسلم نفسه مسلمًا بعدما خرج من صفوف الجماعة؟»[1].

شهادة الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (الشيخ الغزالي كما عرفته):

يقول الدكتور القرضاوي: «بعد أن اختلف –الغزالي– مع مرشد الإخوان الثاني حسن الهضيبي، قال: إن ميدان العمل لله ورسوله أرحب من أن يحتكَّ فيه متنافسون، وأسمَى من أن يشتبك فيه مُتشاكسون! وقد كنتُ حريصًا على الصمت الجميل يومَ عرفتُ أنِّي سأعملُ للإسلام وحدي، **بيدَ أن أحدًا من خَلْق الله اعترضني مِن قيادات الإخوان ليقول لي: إنْ تكلَّمتَ قُتِلْتَ!** فكان هذا هو الحافز الفذ على أن أتكلَّم وأُطنِب!».

---

(١) جاء في الطبعة القديمة من «معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث» ط. الرابعة سنة: ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٤ م عن دار الصحوة بالقاهرة، ما يلي:

«إنني تذكرتُ بعد أيام هذا العداء المُرِّ، والأوامرَ التي أوحتْ به، فعزَّ عليَّ أن يُلعَب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة السمجة، وأن تتجدَّد سياسةُ الخوارج مرة أخرى، فيُلعَن أهلُ الإيمان، ويُتْرَك أهلُ الطغيان! **فمِن المُضحك أو المُبكي أن يخطب الجمعةَ عقب فَصْلِنا من المركز العام «للإخوان» مَن يؤكد أنَّ الولاء للقيادة يُكَفِّر السيئاتِ، وأن الخروجَ عن الجماعة يمحقُ الفضائل، وأن الذين نابذوا القيادة عادوا إلى الجاهلية الأُولى، لأنهم خلعوا البَيعة**».

ونقل الغزالي في نفس الكتاب تجربته مع الهضيبي فقال: «فلما استغربناه وتأبينا عليه، ورأينا أنفسنا نبصر الحقائق القريبة والرجل لا يحسها، ونعامله مخطئًا ومصيبًا غير مقرين هذه الهالة التي أضفاها الأغرار عليه، **مَقَتَنا الرجل أشد المقت، مَقَتَنا كما يقمتُ الكفار والفساق**».

قال القرضاوي في مذكراته سيرة ومسيرة: «أذكر أنه حين صدر أمر بفصل الشيخ الغزالي والأستاذ صالح عشماوي، والدكتور محمد سليمان، والأستاذ أحمد عبد العزيز جلال، وكنا في معتقل العامرية، وكنت أتحدث مع أحد وعاظ الإخوان المعروفين، وجاء ذكر الأخ الشيخ الغزالي، **فقال: الغزالي لم يعد أخًا لنا، لا هو ولا إخوانه المفصولون من الجماعة.**

قلت: لم يعد أخًا لنا في الجماعة، ولكنه بقي أخًا لنا في الإسلام.

قال: إن عمله فصل ما بيننا وبينه.

قلت: هل يهدم تاريخ الشخص وجهاده كله بزلة واحدة يزلها؟ إن الله سبحانه لو عامل الناس بهذه الطريقة لدخلوا جميعًا جهنم. إن الرسول الكريم علمنا أن الإنسان تشفع له سوابقه، وتغتفر له بعض سيئات حاضره من أجل مآثر ماضية، وقد قال لعمر في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وقد ارتكب ما يشبه الخيانة للرسول وجيشه: «**ما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فإني قد غفرت لكم**»[1]. من أجل جهاده في بدر غُفر له ما اقترفه في فتح مكة!».

ثم قال: «ومن الذكريات المؤلمة التي لا أنساها: أن الإخوان كانت لهم نشرة سرية تصدر في هذا الوقت تحت عنوان: (الإخوان في المعركة) تهاجم الثورة ورجالها بعنف، وتتضمن المنشورات الثورية التي تصدر عن قيادة الإخوان مثل منشور عنوانه: «هذه الاتفاقية لن تمر» يعني: الاتفاقية التي عقدت مع الإنجليز، وآخر بعنوان: «خمسة وعشرون مليونًا يباعون في سوق الرقيق». وكان ينسب إلى الأستاذ سيد قطب أنه محرر هذه المنشورات الثورية بقلمه.

وقد أذاعت هذه النشرة نبأ قالت فيه: **إن القرضاوي والعسال قد مرقا من الدعوة، وانضما إلى ركب الخونة، وعلى الإخوان أن يحذروا منهما!** وقد استجاب الإخوان لذلك

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧) ومسلم (٢٤٩٤).



حتى قابلني بعض الإخوة الذين كانوا يُعتبرون من تلاميذي، **فأعرضوا عني، ونأوا بجانبهم، وبعضهم قال لي: لم يعد بيننا وبينك رباط. وهذا أمر شائع في الإخوان**»[١].

وكذلك تعرض الدكتور عبد العزيز كامل لهذا الاتهام.. حين قَبِلَ منصب رئيس شؤون الأزهر في زمن عبد الناصر، قال القرضاوي في كتابه (سيرة ومسيرة): «ولم يرض ذلك منه جمهور الإخوان، واعتبروه قد خان الدعوة، التي نشأ فيها، وسار في ركب أعدائها، **وأنه قد أحبط عملَه، وضَيَّع تاريخه، وختم حياته خاتمة سوء**».

ثم يعلق القرضاوي على ذلك: «وأقول بأسف: لقد كان رجال المباحث أصدق في الحكم علينا من إخواننا الذين عرفناهم وعرفونا وعايشونا وعايشناهم. وهذا ما يعاب على كثير من الإخوان: **أنهم إذا أحبوا شخصًا رفعوه إلى السماء السابعة، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى**».

شهادة الأستاذ محمود عبد الحليم:

في محنة عام ١٩٥٤ إبان اختلاف الجماعة مع ضباط الثورة، غاب الهضيبي عن موقع الأحداث بالقاهرة وانتقل إلى الإسكندرية، وأصدر أول البيانات التي نادت بتكفير حركة الجيش، قال محمود عبد الحليم في أحداث صنعت التاريخ – الجزء الثالث: «وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمنشور صادر عن المرشد العام يوزع على هؤلاء الإخوان، يحرضهم على رجال الثورة **ويرميهم بالكفر**[٢]».

---

(١) يبدو أن الاتهام بالعمالة والخيانة دأب الجماعة مع من اختلف معها حتى ولو كان من أقرب المقربين لها.

(٢) كتبت زينب الغزالي من محبسها رسالة لرئيس الجمهورية – جمال عبد الناصر – وقد طلبوا منها كتابة اعتذار عما اشتركت فيه من أعمال وسوف يطلقون سراحها فورًا، فكتبت هذه الرسالة التي أوردتها في مذكراتها أيام من حياتي: «إن غايتنا أن ننشر دعوة الله وندعوا للحكم بشرعه. **إنني باسم الله أدعوكم أن تتخلوا عن جاهليتكم وتجددوا إسلامكم.وتنطقوا بالشهادتين وتسلموا لله وجوهكم**، وتتوبوا إلى الله من هذه الظلمة التي رانت على قلوبكم فأغلقتها في وجه كل خير، **لعل الله يخرجكم من ظلمة الجاهلية إلى نور الإسلام.وبلغوا ذلك لرئيس جمهوريتكم لعله يتوب ويستغفر ويعود للإسلام، ويخلع عن نفسه أطمار الجاهلية**.فإن أبى فأنتم مسئولون عن أنفسكم وعن الطريق الذي اخترتموه.وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد =

وهذا بالطبع قبل ظهور قصص التعذيب الذي يعتمد عليها الإخوان كثيرًا في تبرير التكفير. ثم قال: «وقد وجدت أنَّ الإخوان في المركز العام يغذون إخوان الأقاليم بسيل من المنشورات منها خطابات موجهة إليهم من المرشد العام من مخبئه. ولاحظت وشهدت أنَّ المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتهاب في أعصاب الإخوان ضد الحكومة **حتى أنَّ بعض هذه المنشورات رمتْ رجال الثورة بما تستباح به الدماء؟!**» ثم دافع عبد الحليم عن ضباط الثورة دفاعًا ينسف كل ما يُقال من جانب الإخوان فقال: «إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة، ومثل هؤلاء لا ينبغي أن نرميهم بالكفر»، ثم يشهد شهادةً خاصة في حق عبد الناصر فيقول: «حتى إن عبد القادر عودة كان يتصل بجمال ويسأله عن هذه القضية الخطيرة، وجمال ينكر ما قاله المرشد العام ويقول: إنني قلتُ: **إننا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك، ولابد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن ولابد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك**»[1].

وهذا هو نفس ما شهد به الأستاذ فريد عبد الخالق في كتابه: (**الإخوان في ميزان الحق**) أن عبد الناصر أكد تمسكه بالإسلام أساسًا للتغيير المنشود، إلا أنه قال: «إن من المصلحة عدم المجاهرة بذلك في باديء الأمر، ولكن تؤخذ الأمور تدريجيًا، حتى لا يحارب أعداء الإسلام الحركةَ في أول عهدها».

شهادة الأستاذ مختار نوح:

يقول مختار نوح في مذكرة رفعها للمرشد العام ونشرتها جريدة الشرق الأوسط في عام ٢٠٠٥: «ونرفق بك وبإخواننا حين نقول إننا أضعنا في سنواتنا الأخيرة إخوانًا لنا

=أن محمدًا عبد الله ورسوله. اللّهم اشهد أني قد بلغت دعوتك، فإن تابوا فتب عليهم». ثم تتحدث في موضع آخر من الكتاب عن سكوت الناس عما يفعله عبد الناصر بهم فتقول: «كان الجميع من المتفرجين على ما يحدث **حتى الذين يبكون للمأساة ويتألمون كانوا يكتمون آلامهم ويخفون دموعهم خشية أن يتهمهم الطاغية بأنهم مسلمون**».

(١) سنعرج بإذن الله في الفصول القادمة على قصة الإخوان مع الثورة بالتفصيل.

ساروا على دربنا، وحين اختلفنا معهم قطعنا جلودهم تقطيعًا ومزقنا سيرهم تمزيقًا، وأهلنا عليهم من نقمتنا وغضبنا، حتى أصبحت هذه النقمة حديث العامة والخاصة.. فالمهندس أبو العلا ماضي، الذي كان بالأمس نجمًا باسقًا بازغًا في سماء الدعوة أصبح اليوم كما **يقال لنا في أسرنا وكتائبنا: مفارقًا للجماعة، وإذا مات على ما هو عليه سيكون قد مات ميتةً جاهلية**».



المبحث الرابع

كيف سارت الجماعة بعد رحيل البنا

المبحث الرابع:
كيف سارت الجماعة بعد رحيل البنا

تعاقب على قيادة جماعة الإخوان عدد من المرشدين تولوا رئاسة مكتب الإرشاد بعد مقتل حسن البنا وحتى الآن كما يلي[(١)]:

- **الأستاذ حسن الهضيبي**: المرشد الثاني (١٩٥١ - ١٩٧٣).
- **الأستاذ عمر التلمساني**: المرشد الثالث (١٩٧٣ - ١٩٨٦).
- **الأستاذ محمد حامد أبو النصر**: المرشد الرابع (١٩٨٦ - ١٩٩٦).
- **الأستاذ مصطفي مشهور**: المرشد الخامس (١٩٩٦ - ٢٠٠٢).
- **الأستاذ محمد مأمون الهضيبي**: المرشد السادس (٢٠٠٢ - ٢٠٠٤).
- **الأستاذ محمد مهدي عاكف**: المرشد السابع (٢٠٠٤ - ٢٠١٠).
- **الدكتور محمد بديع**: المرشد الثامن (٢٠١٠ - حتى الآن).

وسوف نتناول لمحة مختصرة عن كل شخصية من الشخصيات السابقة، لكي نَخلصَ منها إلى عددٍ من النتائج تتعلق بموضوع البحث:

☜ **أولاً: حسن الهضيبي: المرشد الثاني للجماعة (١٩٥١ - ١٩٧٣):**

ولد حسن الهضيبي في «عرب الصوالحة» مركز شبين القناطر سنة ١٣٠٩ هجرية، الموافق لشهر ديسمبر ١٨٩١ ميلادية. التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية، وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١١م، ثم التحق بمدرسة الحقوق، وتخرج فيها عام ١٩١٥م.

تدرج في مناصب القضاء، فكان مدير إدارة النيابات، فرئيس التفتيش القضائي، فمستشارًا بمحكمة النقض. واستقال من سلك القضاء بعد اختياره مرشدًا عامًا للإخوان عام ١٩٥١م.

تم اعتقال الهضيبي للمرة الأولى مع بعض الإخوان في ١٣ يناير ١٩٥٤ ثم أُفرج عنه في مارس من نفس العام، حيث زاره كبار ضباط الثورة معتذرين.

---

(١) راجع ويكيبديا الإخوان المسلمين.

ثم اعتقل للمرة الثانية أواخر عام ١٩٥٤ حيث حوكم وصدر عليه الحكم بالإعدام ثم خفف إلى المؤبد، ثم نقل بعد عام من السجن إلى الإقامة الجبرية لإصابته بالذبحة ولكبر سنه. وقد رفعتْ عنه الإقامة الجبرية عام ١٩٦١، ثم أُعيد اعتقاله أغسطس ١٩٦٥ في الإسكندرية، وحوكم بتهمة إحياء التنظيم، وأخرج خلالها لمدة خمسة عشر يومًا إلى المستشفى ثم إلى داره ثم أعيد لإتمام سجنه. ومددت مدة سجنه حتى ١٥ أكتوبر عام ١٩٧١ حيث تم الإفراج عنه، و تُوفى صباح الخميس ١١ نوفمبر ١٩٧٣ عن عمر ناهز الثانية والثمانين عاما. من مؤلفاته: دعاة لا قضاة – إن هذا القرآن – الإسلام والداعية «مجموعة كتابات جمعها أسعد سيد أحمد».

تولى حسن الهضيبي رئاسة مكتب الإرشاد بعد مقتل حسن البنا، وكانت الجماعة تلقبه بالمرشد الممتحن نظرًا لما وقع للجماعة من محن وبلايا في الفترة التي تولى فيها قيادة الجماعة، وقد أجمعت الهيئة التأسيسية للجماعة على انتخابه مرشدًا عامًا مع أنه لم يكن وقتها عضوًا بالجماعة[1]، إلا أنه كان محبًا ومقربًا للبنا[2]، وقد أثار اختياره

---

(١) يقول الأستاذ عمر التلمساني في كتابه «ذكريات لا مذكرات»: «وأخيرًا رأى المرحوم الأستاذ منير الدلة المستشار في مجلس الدولة والأستاذ فريد عبد الخالق وهو من رجال التدريس والأستاذ صالح أبو رقيق المستشار في الجامعة العربية رأوا ومعهم آخرون أن يحسم هذا الخلاف برجل من رجال القضاء **ليس من الإخوان ظاهرًا وإن كان في صميمهم حقيقة** وصادف هذا الاختيار أهله واجتمع الإخوان في منزل المرحوم الأستاذ صالح عشماوي وبايعت الهيئة التأسيسية الأستاذ الهضيبي مرشدًا للإخوان المسلمين عام ١٩٥٢».

(٢) يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ –الجزء الثاني»:
«فلقد قرأنا في ثنايا أحداث الأيام السوداء من عهد إبراهيم عبد الهادي أن الأستاذ الهضيبي كان الرجل الوحيد الذي بجانب الأستاذ الإمام في أشد الأيام حلوكة وأن الأستاذ الإمام قد اتخذه صفيه ومستشاره وموضع سره فقد كانا يجلسان معًا في دار جمعية الشبان المسلمين على انفراد ويبدو أن الأستاذ الإمام قد أفضى إليه بكل ما عنده وشرح له جميع المواقف وحلل له كل الشخصيات بدليل أنه منذ أول يوم فوتح فيه في خلافة الأستاذ الإمام تحدث عن بعض شخصيات الإخوان حديث العليم الخبير مع أنه لم يسبق له الاتصال بهم!.
بل إن الإمام الشهيد حسن البنا قد أوصى الإخوان بالرجوع إلى الإمام الهضيبي في حالة غيابه ليستشيروه...
يقول الأستاذ حسن العشماوي: «كنت عام ١٩٤٩ وكيلًا للنائب العام بالمنيا في صعيد مصر وقدمت من مقر
=

اضطرابًا كبيرًا في صفوف الجماعة خصوصًا وأنه لم يكن من القادة أو المسئولين داخل الجماعة، وقد كانت الانشقاقات والاتهامات تضرب الجماعة من أقصاها إلى أقصاها واعتبرت بعض قيادات الجماعة أن هناك مرشدًا حقيقيًا سريًا، وأن الهضيبي ما هو إلا واجهة خارجية للجماعة فقط.

يروي الأستاذ محمد حامد أبو النصر بعضًا من ذكريات هذه المرحلة في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر» فيقول:

«وتطلع الإخوان يبحثون على من يقودهم فاتجهت أنظارهم إلى إخوانهم الكبار عسى الله أن يجعل في أحدهم من يملأ مكانة الإمام الشهيد. فمنهم من رأى في فضيلة الشيخ/ أحمد حسن الباقوري على اعتبار أن الإمام الشهيد أسند إليه شئون الجماعة في أيام محنة حكم السعديين، ومنهم من اتجه نحو الأستاذ/ صالح عشماوي على اعتبار أنه وكيل الجماعة وصاحب امتياز مجلة الدعوة، ومنهم من رأى في فضيلة الأستاذ/ عبد الرحمن البنا على اعتبار أنه أحد مؤسسي الجماعة وشقيق الإمام الشهيد، ومنهم من رأى في الأستاذ/ عبد الحكيم عابدين لدوره المعروف الممثل في هيمنته على جميع الشُّعَب وإدارة شئون الإخوان ومرافق الجماعة على اعتبار أنه سكرتير عام الجماعة، ولا ننسى المرحوم المستشار الأستاذ/ منير أمين دلة الذي كان أمين صندوق الجماعة وعلى صلة تامة بالأسر المنكوبة والأفراد المأزومين وبكل ما يعزز كيان الجماعة بالمال والرجال.

وظلت حالة الإخوان في بحر الحيرة المضطرب وأخذت هذه الحيرة تدب في نفوس القادة والجنود جميعًا وكان كلما اشتد بهم الحال تمنوا على الله القائد الذي يجمع

=عملي إلى القاهرة يوم ٢ فبراير سنة ١٩٤٩ بناء على طلب الإمام الشهيد وكان رحمه الله في ذلك الوقت ضعيفًا مرهقًا ومع ذلك كان مستبشرًا ينتظر – كما قال – إحدي الحسنيين إما نصرًا بانفراج الأزمة التي وقع فيها الإخوان أو شهادة يلقى بها الله راضيًا مرضيًا. وجلست إليه جلسة طويلة ذكر فيها عزمه على السفر وطلب إليَّ أن أستعد للاستقالة من عملي والاشتغال بالمحاماة وأنهى حديثه قائلًا:– لا يعلم إلا الله متى أعود إن قدر لي أن أعود فإن احتجتم في غيابي إلى رأي فالتمسوه عند حسن الهضيبي المستشار بمحكمة النقض فإني أحسبه صادقًا صائب الرأي» [مذكرات هارب].

شملهم ويوحد كلمتهم ويأخذ بالسفينة إلى بر النجاة وكانت مثل هذه المعاني تجول في خاطر الأخ الأستاذ/ منير دلة فجمع الإخوان الأربعة المشار إليهم في منزله وعرض عليهم حالة الإخوان وما هم فيه من قلق واضطراب وحاجتهم الملحة إلى قائد ومرشد يلتقون عليه وعرض عليهم أيضا أن يختاروا أحدهم مرشدا حتى لا تضيع الجهود وتتفرق الأيدي.

فابتدأ بالشيخ أحمد حسن الباقوري وعرض عليه قيادة الإخوان.. فقال: إنني لست كفأ لهذا المركز ولا أسعى إليه، ثم عرض القيادة على الأستاذ عبد الرحمن البنا الذي كان قد غيَّر اسمه من الساعاتي إلي البنا تيمنًا بالإمام الشهيد.. فقال عندما عُرِضت عليه: أنا من أهلها وأحق الناس بها وإذا عُرِضت عليَّ أقبلها واستعين بالله على مهامها، أما الأستاذ عبد الحكيم عابدين.. فقال أنا لا أسعى إليها ولكن إذا – عرضت علي فأنا جدير بها وكفء لها، وأخيرًا قال الأستاذ صالح عشماوي.. إن هذه المسألة مسألة الإخوان وهم أصحاب الحق الأول وأنا في الوقت نفسه وكيل الجماعة فلا – أستطيع أن أنزل عن هذا الحق إلا إذا رأت الهيئة التأسيسية غير ذلك.

من هذا الحديث تبين للأخ الأستاذ/ منير دلة أن الأربعة الكبار لم يتفقوا على أحدهم وكانت الظروف تحتم بإيجاد حل لهذه المشكلة وتوحيد الكلمة لاختيار مرشد للجماعة فاقترح الأستاذ منير دلة اسم الأستاذ المستشار المربي/ حسن الهضيبي ويظهر أن وجود – الأستاذ حسن الهضيبي ضمن أسرة القانون والقضاء التي كان ينتمي إليها الأستاذ منير دلة جعلته– يعرف مكانة الرجل وكفاءته وصلاحيته لمثل هذا المركز العظيم فتقبل هذا الاقتراح الأستاذ الباقوري وقال: إن الأستاذ حسن الهضيبي رجل فاضل ومسلم كريم يصلح لهذا، وقال – الأستاذ عبد الحكيم عابدين إن الأستاذ حسن الهضيبي كان من الأشخاص القلائل الذين يثق فيهم الإمام الشهيد وأنه كثيرًا ما يلتقي به الإمام الشهيد إذا حزبه أمر، وأما الأستاذ عبد الرحمن فقال ما معناه إن الذي يختاره الإخوان مرشدًا لهم بالإجماع فأنا مستعد للسير وراءه، لكن الأستاذ صالح قال ما معناه إن هذا الأمر موكول كله للهيئة التأسيسية لأنها صاحبة الرأي الأول والأخير في ذلك.

هذا مختصر ما علمته بالسماع.

ومن ثم بدأ انتشار اسم الأستاذ المستشار/ حسن الهضيبي في صفوف الإخوان مرشدًا عامًا للإخوان المسلمين وتقبل جمهور الإخوان اسم هذا المستشار العظيم والقاضي العادل والقانوني المعروف ليكون على رأس هذه الجماعة ليدفع ما قيل وأذيع عنها من أنها جماعة إرهابية فأخذوا يزورونه أفرادًا وجماعات راجين منه قبول هذا المنصب وكان الرجل كثيرًا ما يعتذر عن حمل هذا العبء لكبر سنه وضعف صحته ويقول: إنني تحت أمر الدعوة الإسلامية أزجي لأصحابها المشورة الصادقة بعيدًا عن الأضواء».

ثم يقص أبو النصر قصة تأخره في بيعة الهضيبي فيقول في كتابه (حسن الهضيبي.. الإمام الأمين والمرشد الحارس):

«بعد استشهاد الإمام البنا أخذ الإخوان يبحثون عمن يَخلُف الإمام حسن البنا ويتولَّى منصب المرشد العام، ولـمَّا كنت أقيم في الصعيد (في منفلوط محافظة أسيوط) فلا أعرف تفاصيل الأحداث التي انتهت إلى اختيار الأستاذ الهضيبي ﵀، ولكن جاءني أحد الإخوان وقال لي: نحن نأخذ بيعةً من الإخوان للأستاذ الهضيبي مرشدًا وخلفًا للإمام حسن البنا، ولم تكن لي أية صلة بالأستاذ الهضيبي قبل اختيار الإخوان له مرشدًا عامًّا، ولكني عرفت أنه كان على اتصالٍ وثيقٍ بالإمام الشهيد حسن البنا، فقد كان الإمام الشهيد حسن البنا على صلةٍ بشخصياتٍ كبيرةٍ، ولم يكن أغلبنا يعرف هذه الشخصيات، وكان الإمام الشهيد حسن البنا لا يذكر أسماء هذه الشخصيات الكبيرة، خاصةً التي تتولَّى مراكز حساسة في الدولة لحكمةٍ يراها، وكان الأستاذ الهضيبي أحد هذه الشخصيات غير المعروفة لدى الإخوان.وعندما عُرض عليَّ أمر اختيار الأستاذ الهضيبي توقفت قليلًا وقلت: إنني لا أعرفه حتى أبايعه.. لا بد أن أعرفه أولًا ثم أبايعه، وفعلًا تمت المعرفة، وتمَّت البيعة مني له، وإن كنت واحدًا من أواخر الإخوان الذين بايعوا الأستاذ الهضيبي، وقد علم الأستاذ الهضيبي بموقفي هذا، ووافق على ضرورة التعرف والتثبت من حقيقة الشخص الذي سيبايَع حتى تكون البيعة صحيحة.

وقد ظل الهضيبي مرشدًا سريًا لمدة ٦ أشهر، وعندما سمحت حكومة النحاس باشا؛ للهيئة التأسيسية للإخوان بالاجتماع، طلب أعضاؤها من الهضيبي أن يرأس

اجتماع الهيئة بصفته مرشدًا للجماعة، ولكنه رفض طلبهم إذ اعتبر انتخابه من قبل الهيئة التأسيسية في المرحلة السرية من الدعوة لا يمثل رأى جمهور الإخوان، وبعد محاولات عديدة وافق على طلبهم، وقدم استقالته من القضاء؛ ليتفرغ للعمل في الإخوان المسلمين.

وكان أعضاء مكتب الإرشاد مع الهضيبي كما يلي: (**الأستاذ/** عبد القادر عودة وكيلًا للجماعة - **الأستاذ/** منير أمين الدلة أمينًا للصندوق - **الأستاذ/** عبد الحكيم عابدين سكرتيرًا عامًا للجماعة - **الأستاذ/** صالح عشماوي - **الشيخ/** أحمد حسن الباقوري - **الأستاذ/** عبد الرحمن البنا - **الشيخ/** محمد الغزالي - **الدكتور/** عبد العزيز كامل -**الدكتور** / حسين كمال الدين - **الأستاذ/** فهمي أبو غدير - **الدكتور/** محمد خميس حميدة - **الأستاذ** / مختار عبد العليم - **الأستاذ/** فريد عبد الخالق - **الأستاذ/** حسني عبد الباقي).

لم يستمر مكتب الإرشاد بنفس تشكيله إلى نهاية المرحلة، ففي ديسمبر سنة ١٩٥٣ تم انتخاب مكتب إرشاد جديد، يقول الأستاذ محمد حامد أبو النصر في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر»:

«فلما أجريت انتخابات مكتب الإرشاد الثاني في عهد فضيلة المرشد الراحل الأستاذ/ حسن الهضيبي في ديسمبر سنة ١٩٥٣ – أظهرت نتيجة الانتخابات معاني كامنة في نفوس أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين، وكانت هذه المعاني تؤكد وجوب ربط العناصر القوية في شكل جماعي تحت قيادة المرشد العام للجماعة بشكل طمأن النفوس وطوح بكل فكرة تقول بضد هذا الاتجاه – وكانت النتيجة الطبيعية لهذا إبعاد هؤلاء عن عضوية مكتب الإرشاد[1] – حيث أسفرت نتيجة الانتخاب على اختيار الإخوة:

الدكتور/ محمد خميس حميدة وكيلًا للجماعة - **الأستاذ/** عبد الحكيم عابدين

---

(١) يقصد من كانوا يطالبون بعزل المرشد، وإن كان هذا الكلام يعوزه الدقة، وإلا ففي هذا التشكيل تم إسناد مهمة الوكيل للدكتور/ محمد خميس حميدة، وتم إعفاء الأستاذ/ عبد القادر عودة منها لما له من آراء تخالف رأى المرشد، خصوصًا في مسألة العلاقة مع ضباط الثورة.

سكرتيرًا - **الدكتور/** حسين كمال الدين أمينًا للصندوق - **الأستاذ/** عبد القادر عودة - **الدكتور/** كمال خليفة - **الأستاذ/** عمر التلمساني - **الأستاذ/** عبد الرحمن البنا - **الأستاذ/** عبد المعز عبد الستار - **فضيلة الشيخ/** أحمد شريت - **فضيلة الشيخ/** محمد فرغلي - **الأستاذ/** عبد العزيز عطية - **الأستاذ/** محمد حامد أبو النصر - **الأستاذ/** منير أمين دلة - **الأستاذ/** صالح أبو رقيق - **الأستاذ/** البهي الخولي).

وابتدأ المكتب يؤدي عمله في ثقة واطمئنان، ورغم الأحداث التي وقعت بين المكتب السابق وقيادة الحركة - ثورة يوليو - والتي أحدثت توترًا بسبب رفض الإخوان الاشتراك في الحكم وغيرها من الأمور - فقد رأى الجانبان بمناسبة انتخاب المكتب الجديد أن تبدأ صفحة جديدة حافلة بروح المودة والرباط الصادق من أجل مصلحة البلاد، وكانت الحكومة في حاجة إلى مثل هذه المعاني استعدادًا لدخول المفاوضات مع الإنجليز».

وما دمنا تعرضنا لسيرة الأستاذ حسن الهضيبي، فنرى من باب نسبة الفضل إلى أهله، أن نذكر له بعض المواقف المحمودة قبل توليه منصب المرشد العام، ومن أشهرها موقفه من القوانين الوضعية ومطالبته المعلنة بتطبيق الشريعة من خلال منصبه في القضاء، وقد سأله يومًا رئيس محكمة النقض والإبرام: يا حسن: ألست معي أن أكثر أحكام التشريع المدني الحديث تقابل أحكامًا مماثلة في الفقه الإسلامي؟

قال الأستاذ الهضيبي: بلى.

قال الرئيس: فما هو إذًا الأساس الكبير والمطالبة الملحة من جانبك بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية، وتطبيق أحكامها

قال: هو أن الله تعالى قال: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ لم يقل: أن احكم بمثل ما أنزل الله، وإن تحكيم شريعة الله في عقيدة المسلم عبادة تؤدى امتثالًا لأمر الله، وذلك هو مصدر بركتها، وسر قوتها في نفوس المؤمنين بها، وفي كيان الجماعة المؤمنة.

وحين عُرِضَ مشروع تنقيح القانون المدني المصري عام ١٩٤٥م على الأستاذ الهضيبي، سجل كتابةً أنه يرفض مناقشة هذا المشروع من حيث المبدأ؛ لأنه لم يقم أساسًا على الكتاب والسنة.

وفي عام ١٩٤٧م نشر الأستاذ الهضيبي رحمه الله مقالًا في جريدة «أخبار اليوم» المصرية، وذلك حين عرض عليه تعديل مشروع القانون المدني المصري قال فيه: «إن أحسن تعديل في نظري هو سن قانون من مادة واحدة، يقضي بتطبيق الشريعة الإسلامية في الأحوال الجنائية والمدنية».

وقال: «لقد أعلنت عن رأيي أمام لجنة تعديل القانون المدني في مجلس الشيوخ، فقلت: يجب أن يكون قانوننا هو القرآن والسنة في جميع شؤون حياتنا، وليس في الشؤون التشريعية وحدها. إن الإسلام دين متماسك متكامل غير قابل للتجزئة، فيجب تطبيق جميع أحكامه في كل أمة تدين به»، «هذا هو الرأي الذي جاهرت به، وأود أن أؤكد أنني قد انتهيت من مراجعة الشريعة ودراستها إلى أنه ليس في تشريعات الأجانب وقوانينهم ما لا يتضمنه القرآن الكريم، والحلال بين والحرام بين، وكلاهما واضح المعالم والحدود إلى يوم الدين».

«وهذا ما قلته أمام اللجنة، وإنني على يقين أنهم لن يأخذوا به، ولكن لا حرج عليَّ في ذلك ما دمت مؤمنًا بما أقول، ولكن ظني أنه بعد فترة قد تمتد إلى عشرين أو ثلاثين سنة سيتجه الرأي إلى الأخذ بما أقول، كلما شرح الله صدور الناس بالقرآن قرب اليوم الذي يسود فيه هذا الرأي».

لقد رأينا أن جميع القوانين التي أخذناها عن الأجانب لم تُصلح من حال بلادنا، ولم تحقق ما كان يُرجى منها، فهذه السجون ملأى بالسجناء، والجرائم تزداد، والفقر ينتشر، والحالة الخلقية والاجتماعية تسوء كل يوم عن سابقه، ولن يصلح الحال إلا إذا نظمنا علاقتنا بالسنن الكونية التي تنزّل الوحي بجملة أسرارها، ومعالمها في القرآن، وإلا إذا عشنا في بيوتنا، وبين أهلينا، وأولادنا، ومع الناس أجمعين عيشة قرآنية»[1].

---

(١) أثنى العلامة محب الدين الخطيب على موقف الهضيبي ثناءً بالغًا، وقد نشرت جريدة (الإخوان المسلمون) كلمته قائلة: «الكلمة الآتية بقلم: المجاهد الكبير العلامة (محب الدين الخطيب) صاحب مجلة الفتح والمطبعة السلفية، يُحيِّي فيها الأستاذ الهضيبي، ويوافقه فيما ذهب إليه من وجوب تطبيق الشريعة =

«وفي العاشر من ديسمبر ١٩٥٢م أعلن إلغاء الدستور المصري القديم، وبعد يومين عُيِّن مائة عضو؛ لوضع دستور جديد كان بينهم ثلاثة من الإخوان، ونشرت مجلة «الدعوة» مقالًا تدعو إلى وضع الدستور على أسس إسلامية، طالب الهضيبي بالاستفتاء؛ ليتبين: أتختار مصر شرائع الإسلام أم شرائع الغرب؟ فإذا رأت أن تحكم بالإسلام كان على لجنة الدستور أن تنفذ ذلك، وإذا أرادت الأخذ بشرائع الغرب -وهو رأي لا يمكن أن يقول به مسلم- عرفنا أنفسنا وعلمنا الأمة أمر ربها، وما يجب عليها».

وقعتْ في عهد قيادة الهضيبي للإخوان ثورة يوليو ١٩٥٢، وأيد الإخوان الثورة في البداية، إلا أنَّ علاقة الإخوان بدأت تسوء مع قيادة الثورة حين رفضت الأخيرة طلب المرشد العام الهضيبي أن تعرض عليه قراراتها قبل إصدارها إلى غير ذلك من مظاهر الخلاف بين الثورة والإخوان التي سنذكرها في موضعها من البحث، يقول الأستاذ جابر رزق الفولي في كتابه «حسن الهضيبي.. الإمام الممتحن» تحت عنوان: موقف الإمام الهضيبي من انقلاب[1] ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢:

«حجر الزواية في هذا الموضوع هو أن الأستاذ الهضيبي عندما رأى تنكر جمال عبد الناصر ومن معه لما تعهدوا به من قبل أثناء اللقاء معهم في منزل الأستاذ صلاح أبو رقيق وسأل الهضيبي جمال عبد الناصر ليستوثق منه عمّا قيل له بخصوص تعهداته للإخوان فقال جمال عبد الناصر: أنا لم أتعهد لأحد بشيء.

=الإسلامية، ويزيد الموضوع بيانًا وتفصيلًا فيقول: «في الساعة التي كان جيشنا يتخطى فيها الحدود إلى فلسطين وقف الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر متوجهًا إلى الله ﷻ يطلب منه النصر لهذا الجيش. والله ﷻ وعدنا النصر، وعلَّق الوفاء بهذا الوعد على نصرتنا له، ولكن كيف ننصر الله؟ لقد نصرناه بمقاومتنا لباطل الصهيونيين، ونصرناه بإخلاص النية لله في هذا الجهاد. ونصرناه بما نتبرع به كبارًا وصغارًا لتأييد المجاهدين. وهناك جانب آخر ننصر به الله لنستحق عليه النصر من الله، هو الدعوة إلى تعميم الأخلاق والأحكام والمبادئ والقواعد التي ترضي الله».

(١) كما ذكرنا أن جماعة الإخوان أيدت الثورة منذ بدايتها، إلا أنه بعد الخلاف الذي دب بينهما عارضوها ووصفوها بالانقلاب.

هنا حدد الرجل موقفه وموقف الجماعة من الانقلاب على أساس أن هذه الحركة ليست سوى حركة تدعي الإصلاح. وكان جمال عبد الناصر قد قرأ الفاتحة مع عدد من الإخوان الذين كانوا حركة الصلة بينه وبين الأستاذ الهضيبي قائد الجماعة بأن تكون الحركة إسلامية. أضف إلى هذا أن جمال عبد الناصر وآخرين معه كانوا أفرادًا في الجماعة يلتزمون بأوامرها وأوضاعها حتى قيام الانقلاب.. وقد كان معروفًا أن جمال عبد الناصر فرد في تنظيم على رأسه الصاغ محمود لبيب الذي كان وكيلًا لجماعة الإخوان».

وقد كان التواصل والتعاون بين رجال الثورة وبين الهضيبي قائمًا في بداية الأمر، بل كان الإخوان يرون أنهم الملَّاك الحقيقيون لها، يقول الأستاذ عمر التلمساني في كتابه «ذكريات مرشد عن مرشد سابق»:

«لقد كان مجلس الثورة كله على وجه التقريب زوارًا له في داره، وكانوا جميعًا أشبه شيء بالتلامذة في حضرة أستاذ عظيم، كانوا مسلَّحين بقوتهم المادية، وكان مسلَّحًا بقوته الروحية المعنوية، وكان الله معه وكان خير الناصرين؛ لأن من ركن إلى الله فقد آوى إلى ركن شديد، حتى الذين عارضوه أيام قيادته للإخوان قبل المحنة، سارعوا إلى داره معتذرين معترفين بفضله وبُعد نظره».

إلا أن خلافًا حادًا دب بين الهضيبي وعبد الناصر وأصبح كلًا منهما لا يطيق الآخر، وقد باءت محاولات الإصلاح والتوفيق بينهما بالفشل المحقق حتى أنه كانت هناك محاولة للتصالح بينهما بعد محنة ١٩٥٤م، على أن تمارِس الجماعة نشاطها، بعيدًا عن السياسة مع تعويض سخيٍّ عما لحقها وأتباعها من ضرر فادح ماديًا وأدبيًا.

إلا أن الهضيبي رفض الفكرة، وكانت وجهة نظره في الرفض أن لا تعود الجماعة إلا بحكم قضائي، وليس عن طريق منحة بلا ضمان، وتكررت المسألة في السنوات الثلاث الأولى من حكم «السادات» بلا جدوى، وكذلك بعد أن تولى الأستاذ «عمر التلمساني» الجماعة بعد رحيل الأستاذ «الهضيبي»[1].

---

(١) المستشار حسن الهضيبي... المرشد الثاني للإخوان المسلمين - ويكيبديا الإخوان المسلمين.



وقد سجل الأستاذ حامد أبو النصر في كتابه «حسن الهضيبي.. الإمام الأمين والمرشد الحارس»، بعضًا من ملامح هذا الصراع، والأزمة التي وصلت أوجَها بين الهضيبي وعبد الناصر فقال:

«عندما حدث الاعتقال الأول في يناير عام ١٩٥٤م اعتقل نصف أعضاء مكتب الإرشاد مع الأستاذ الهضيبي، وبقي النصف الآخر لم يعتقَل، وكنت واحدًا منهم.. وكذلك لم يعتقَل الشهيد عبد القادر عودة، وسعى الشهيد عبد القادر عودة في الاتصال بجمال عبد الناصر للتعرف على أسباب الاعتقال، وحدَّد جمال عبد الناصر موعدًا للشهيد عبد القادر، وقال له: «أحضر معك أبو النصر».

صاحبت الشهيد عبد القادر عودة في ذهابه للقاء جمال عبد الناصر باعتبار أنني بلدياته، وخرجنا من لقاء عبد الناصر ونحن على يقين من نقمة جمال عبد الناصر على الأستاذ الهضيبي ورغبته الشديدة في تغييره..

قلت لجمال عبد الناصر: تغيير المرشد أمرٌ مستحيلٌ؛ لأن المرشد ليس مرشدًا للإخوان المسلمين في مصر وحدها، **ولكنه مرشد الإخوان المسلمين في العالم كله**، وإذا تأكدنا أن مرشدَنا ليس أهلًا ليكون مرشدًا لنا فسوف نحل مشكلاتنا بأيدينا نحن، ولكننا على يقينٍ من أن الأستاذ الهضيبي رجلٌ طاهرٌ وعظيمٌ، وشخصية ليست بالسهولة التي تستطيع أن تغيِّرها؛ لأنه ليس رئيس مصلحة حكومية تستطيع أن تغيره بقرار تصدره.

فقال: أنا سأحاكمه وأحاكم الإخوان.

قلت: حاكم مَن تريد، لكن أن نترك الرجل ونتخلَّى عنه بدون وجه حق فلن يحدث هذا أبدًا؛ لأن الرجل نظيف ويسلك بنا المسلك الطيب، وسلوكه معكم أنتم أيضًا، وربما وصلتك معلوماتٌ غيرُ دقيقة ولا تمثِّل الواقع، فتطلب منا أن نغيِّر المرشد، وإذا غيَّرنا المرشد تصبح الجماعة في يدك، نحن مستمسكون بالمرشد إلى أقصى مدى.

وقلت لعبد الناصر: إن أي اعتداء على المرشد لن نسكت عليه، وإذا أصيبت فيه شعرةٌ لن نسكت.. فابتسم عبد الناصر ابتسامته الصفراء المشهور بها، ثم أخذ يتحدث

عن بعض الشخصيات الكبيرة في الجماعة ويجرحها، وكان يهدف من حديثه هذا إلى تشويه صورة هذه الشخصيات في أذهاننا بهدف التشكيك في الجماعة ذاتها».

من هنا نعلم كيف أن الخلاف بين قيادة الجماعة وبين قيادة الثورة – بغض النظر عن مسئولية كل طرف عن هذا الخلاف – كان له الدور الأكبر فيما دخلت فيه الجماعة من محن ومآس، ترتب عليها تأخر الدعوة واعتقال الأبرياء.

ويبدو للناظر أن منحنى الأزمات والمحن عند الجماعة لا ينتهي، فما أن تفيق الجماعة من أزمة وتنتعش حركتها، إلا وتدخل في أزمة أخرى، وبالتالي لابد أن تراجع القيادة تاريخها ومسيرتها، فقد يكون من السهل توصيف جميع الأحداث على أنها ضمن مسلسل المؤامرة والخيانة، ويسهل أيضًا رمي كل من خالفنا أنه عميل ومنافق، ولكن ما هكذا يفسر التاريخ وما هكذا تصير الأمور، ومن يصر على أن يسلك هذا الطريق فلن يكون أمينًا مع نفسه ولا دقيقًا في سرد تاريخه.

☜ ثانيًا: عمر التلمساني: المرشد الثالث للجماعة (١٩٧٣ - ١٩٨٦):

ولد التلمساني في ٤ نوفمبر عام ١٩٠٤م، في حارة حوش قدم بالقاهرة، حصل على شهادة ليسانس الحقوق، وعمل بمهنة المحاماة وافتتح مكتبًا في شبين القناطر، وفي سنة ١٩٣٣م التقى بالأستاذ «حسن البنا» في منزله وبايعه، وأصبح من الإخوان المسلمين وكان أول محامٍ يعمل بتوكيل من الجماعة التي قُبِض عليها للدفاع عنهم في المحاكم المصرية.

دخل التلمساني السجن في عام ١٩٤٨ ثم في عام ١٩٥٤ وأفرج عنه في آخر يونيو ١٩٧١، ثم تقلَّد رئاسة مكتب الإرشاد بعد وفاة الهضيبي في ظروف بدأت فيها الجماعة تتنسم نسمات الانفتاح على المجتمع والقبول من السادات الذي سمح لقياداتها وأفرادها بالتحرك، وكذلك ساعد التلمساني في توليه منصبه علاقتُهُ الجيدة بالسادات، يقول التلمساني:

«على أن العبء الوحيد الذي يبهظني وأنوء بحمله هو مسئوليتي عن الإخوان،

لأن نظام الهيئة التأسيسية للجماعة يقضي بأن يتولى الأمرَ أكبرُ الأعضاء في مكتب الإرشاد سنًا، وشاء الله أن أكون الأكبر في هذه الظروف، فكان الوفاء لبيعتي أن أحمل العبء ماضيًا مستريحًا، لا لأن في ذلك مخالفة للقانون الذي قضى بحلِّ الإخوان؛ بل لأن الصلة الروحية بيني وبين الإخوان جعلتهم ينظرون إليَّ بهذه العين،وجعلتني أرتاح للنهوض بالواجب مهما واجهت من الصعاب والمشاق، وقد عاملني المسئولون في الدولة على أساس من هذا التصور..وهنا لا يفوتني الاعتراف بأن جانب الحرية الذي أتمتع به، على ضآلته، لا أعرف مثيلًا له في العالم الإسلامي ما بين إندونيسيا إلى أقصى المغرب، ولا جرم أن لله حكمة في ذلك».

ومن الواضح أن هذه الحرية في الحركة والمرونة في التعامل، كانت مشروطة بتفكيك التنظيمات السرية داخل الجماعة، ولكن هل تم هذا بالفعل أم لا؟ التلمسانى يؤكد أنه لم يعد هناك واقع لهذه التنظيمات في عهده، وأجهزة الأمن ظلت تؤكد أنها موجودة، يقول الأستاذ عمر التلمساني في كتابه «ذكريات لا مذكرات»:-

«كان نظام الأسر في الإخوان يزعج رجال الأمن، فلما حلت الجماعة انتهى هذا النظام، **ولكن ما قابلت أحدًا من وزارة الداخلية إلا تحدث عن هذا النظام وعودة الإخوان إليه، وكنت أنفي لهم هذا الظن.وما كانوا ليقتنعوا بهذا النفي،** حتى بلغ الأمر أنني قلت لأحدهم: إذا قبضتم على تشكيل أُسَرِيٍّ إخواني فاقطعوا رقابهم.

والحقيقة أنني لم أصل إلى حقيقة كراهية رجال الأمن لنظام الأسر، وإن كان أحدهم قال لي: **إن هذا النظام يبدو في ظاهره مسالمًا، ولكنه يستطيع أن يتسلح في ظرف أربع وعشرين ساعة،** والذي أقوله إن نظام الأسر لو قام في كل حزب أو هيئة أو جماعة على أسس تربوية إسلامية لكان له أبلغ الأثر في تقوية تلك التشكيلات».

ويُسمىَ التلمساني مرشد البناء الثاني للجماعة، قال عنه جابر رزق - المتحدث الرسمي باسم جماعة الإخوان وقتها-: «لقد اختار الله الشيخ عمر التلمساني ليقود الجماعة في سنوات ما بعد محنة السجون التي استمرت قرابة ربع قرن من الزمان،

فاستطاع بحكمة الشيخ الذي حنكته السنون، وأنضجته السجون، وبميزات شخصية منحه الله إياها، وبأخلاق الإسلام التي صبغت سلوكه وتصرفاته أنْ يفرض «الوجود الفعلي للجماعة على الواقع المصري، والعربي، والعالمي».

وقد شهدتْ الجماعة في عهده انفتاحًا وتغلغلًا في العمل العام وبدأ يحتضن جيل شباب السبعينات أمثال د. عبد المنعم أبو الفتوح، وأبو العلا ماضي، ومختار نوح، وحلمي الجزار، وإبراهيم الزعفراني، وعصام العريان، وغيرهم وأطلقهم في النقابات والجامعات والأندية، كما بدأ أول تحالفات الجماعة مع الأحزاب وعلى رأسهم حزب الوفد.

وهنا يبدو الفرق واضحًا جليًا بين فترة المرشد الممتحن وبين فترة مرشد البناء الثاني، فالأولى كانت فترة بلاء ومحنة ومحاصرة للدعوة، والثانية كانت فترة انفتاح وتوغل في المجتمع، والفرق بين الفترتين يظهر في مدى نجاح القيادة أو فشلها في أن تنجو بأتباعها من مخاطر الصدام المهلك، يقول الأستاذ محمد سعيد عبد الرحيم في كتابه (عمر التلمساني المرشد الثالث للإخوان المسلمين):

«إن الله سبحانه قد أعده ليقود الجماعة في هذه المرحلة، فكان هو القائد المناسب الذي قاد السفينة وسط الأعاصير بحكمة وصبر، ولين وأناة مع إيمان ثابت وعزم لا يلين، لقد انتشرت الدعوة في عهده انتشارًا لم يسبق له مثيل، وأقبل الشباب على الإسلام، حتى أصبح التيار الإسلامي هو التيار الغالب في الجامعات وفي النقابات، بل في مصر كلها؛ لأنه استطاع أن يقود السفينة بخبرة القائد المحنك، ومهارة الربان القدير، وتمكن من أن يجتاز بها المزالق والمخاطر ويوصلها إلى بر الأمان».

أما عن علاقته بالنظام وأجهزة الأمن، فإن التلمساني أرسى دعائم طريقة أخرى مختلفة عن الهضيبي تمام الاختلاف [1]، وأثبت التلمساني أنواعًا من التنسيق والتعاون

---

(١) الاختلاف ليس حول مبدأ التعامل مع هذه الأجهزة من عدمه، لأن التعامل كان موجودًا قبل التلمساني وبعده وإلى يومنا هذا، إنما الفرق في الطريقة التي تتعامل بها القيادة مع أجهزة الأمن، فهناك قيادة صدامية متهورة سرعان ما تغرق وتُغرق من معها، وهناك قيادة أخرى حكيمة متزنة تتعامل بهدوء وتعقل.

بينه وبين أجهزة الأمن، وقد تحقق له من وراء هذا النمط من التعامل العديد من الفوائد، يقول الأستاذ عمر التلمساني في كتابه «ذكريات لا مذكرات» تحت عنوان: مبدأ اختيار المرشد:

«وشاء الله أن أكون أكبر أعضاء مكتب الإرشاد في هذا الزمان، فكنت مرجعهم الأدبي والمعنوي، **دون أن يكون هناك أي تنظيم لا ترضاه الجهات المسئولة عن الأمن في مصر**.بل إن المسئولين في مصر جميعًا اعترفوا بهذا الوضع واعتبروني مسئولًا عن الإخوان المسلمين يقابلونني ويتحدثون معي بهذه الصفة وما من شك لو أنهم أيقنوا أن هناك تنظيمًا لقدمونا جميعًا إلى المحكمة فورًا.

ولا تزال صحافتهم والمسئولون فيهم يتكلمون في المواقف عن الإخوان باعتبار أنهم موجودون في الساحة المصرية على مختلف ضروبها ويتكلمون معي على هذا الأساس.

وقبلت الوضع وقمت به **وساهمت في الكثير من المواقف التي كانت تحتاج الحكومات إلى معونة الإخوان المسلمين فيها**.والبداهة تقضي بأنه اعتراف ضمني من الحكومات بوجود الإخوان المسلمين على الساحة رغم الأمر بحل جماعتهم.**وكنت على شبه اتصال دائم برجال الأمن في وزارة الداخلية أقدم كل ما يسهم في ترسيخ الأمن في مصر.**

وما كنت أجعل أحدًا فيهم صغيرًا أو كبيرًا يحضر إليَّ، وأكتفي بأن يتصلوا بي تلفونيًا لأذهب إليهم في الوزارة[١]، اللّهم إلا في بعض المناسبات الصحية أو الأعياد فكانوا يزورونني مشكورين. وكان من فضل الله عليَّ أنني ما ذهبت إلى كلية ثائرة لأمر من الأمور إلا وَعُدتُّ موفَّقًا **وكان جهدي موضع شكر المسئولين في وزارة الداخلية.**

ولعل أحدًا لم ينس موقفي من أحداث الزاوية الحمراء وما تفضل به الوزير السابق للداخلية حسن أبو باشا من تصريحات خاصة بي، وبأن الإخوان المسلمين أبعد

---

(١) كيف ستعلق كتائب الإخوان الالكترونية وغير الإلكترونية على هذه المعلومة؟ هل سيتهمونه بالعمالة والخيانة أم سيعتبرون مثل هذا التواصل الصريح مع الأمن تحقيقًا لمصالح عليا وأهداف سامية؟!! وإذا كان الأمر كذلك فلماذا الاتهام الدائم والمستمر والمسبق لكل من خالفهم أو عارضهم بأنهم عملاء للأمن؟! أخشى أن يكون الأمر من باب رمتني بدائها وانسلت.

ما يكونون عن الإرهاب والتخريب...وأن الجماعات الإرهابية لم تخرج من تحت عباءة الإخوان المسلمين، فكان أول مسئول عن الأمن أفضى بهذه الحقيقة التي طالما شوهتها إذاعات خصوم الإخوان.

وقد أخذت على نفسي يوم أن كنت أكتب افتتاحيات مجلة الدعوة بألا أَمَسَّ أي إنسان من ناحيته الشخصية، وكنت ألتزم الموضوعية البحتة، وأدعو إلى ضبط الأعصاب عند الأحداث المثيرة، حتى قال لي أحد المعتقلين من أحد الأحزاب في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١: إنني جمدت أعصاب الشباب ووضعتها في ثلاجة، ولست أدري أكان يمدح أو يقدح وعلى كل حال شكرت له قوله إنني صاحب تأثير.

ورغم ذلك فإنني لم أنج من غمزات بعض الكُتَّاب ولكن على خفيف، **وإنصافًا للسادات رحمني ورحمه الله وغفر الله لي وله أنه أتاح للإخوان جوًا من الحرية لا بأس به،** فأَعَدْنا إصدار مجلة الدعوة وكنا نقيم الاحتفالات في المناسبات الدينية في شتى أرجاء القطر».

هكذا كان يتعامل السادات مع الإخوان، فلما جاء مبارك سار في البداية على درب صاحبه، يقول الأستاذ عمر التلمساني في كتابه «ذكريات لا مذكرات» موضحًا علاقته بنظام الحكم في عهد مبارك:

«بدأ السيد محمد حسني مبارك عهده بدءًا طيبًا بالإفراج عن المعتقلين السياسيين وإطلاق الحرية للصحف والأحزاب أن تنتقد كما تشاء. وكل ما أخالف سيادته فيه أن يكون رئيسًا لحزب بذاته.فظروفنا ليست كالولايات المتحدة أو غيرها ولكن لعل له في ذلك حكمة لا ندركها.

وقد كثر تساؤل الناس: لماذا لم يقابل الرئيس مبارك عمر التلمساني كما قابل غيره فكان جوابي: هو أن هذا تصرف متروك تقديره لسيادته، خاصة وأن معاملتي كغيري لاتزيدني قدرًا ولا تحط مني شأنًا فمرجع ذلك لسيادته باعتباره رئيسًا للدولة يقدر ما يفعله وما لا يفعله دون أن يكون لذلك أثر على أحد.

منذ خروجنا من اعتقالات١٩٨١ والإخوان في حالة تشبه الركود وإن لم تَكُنْه. **وقد أخذنا نبحث عن طريق مشروع نباشر به نشاطنا دون مضايقة لرجال الأمن أو تحد**

للقانون، وشاء الله أن يفتح لنا باب التحرك المشروع في نظر المسئولين وانتهى مجلس الشعب وبدأ التفكير في الانتخابات لمجلس الشعب الجديد، وكانت فرصة العمر التي لو تركها الإخوان تفلت من أيديهم لكانوا في عداد الغافلين.

وكنا نظن في أول الأمر أن الانتخابات ستتم عن طريق الترشح الفردي، وهذه عقبة لها خطرها، فالإخوان ليس لديهم من المال ما يعينهم على الترشيح الفردي، ففتر تفكيرنا في الانتخابات إلى أن شاع الكلام أن الإنفاق في الترشيح عن طريق القائمة أقل بكثير من الإنفاق في الترشيح الفردي. وإن كان الحزب الوطني قد أشاع أن الإخوان قد تلقوا من الخارج ملايين الجنيهات للمعارك الانتخابية وإن كنا إلى اليوم نعاني من ديون الانتخابات».

توفي التلمساني في ٢٢ مايو ١٩٨٦ عن عُمْر يناهز ٨٢ عامًا، وقد ترك مجموعة كبيرة من المؤلفات منها:

- ذكريات لا مذكرات.
- شهيد المحراب.
- حسن البنا الملهم الموهوب.
- بعض ما علمني الإخوان.
- وفي رياض التوحيد.
- المخرج الإسلامي من المأزق السياسي.
- الإسلام والحكومة الدينية.
- الإسلام ونظرته السامية للمرأة.
- قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر.
- من صفات العابدين.
- يا حكام المسلمين.. ألا تخافون الله؟.
- لا نخاف السلام ولكن..
- الإسلام والحياة.
- حول رسالة نحو النور.
- من فقه الإعلام الإسلامي.
- أيام مع السادات.
- آراء في الدين والسياسة.

☜ **ثالثًا: محمد حامد أبو النصر: المرشد الرابع للجماعة (١٩٨٦- ١٩٩٦):**

ولد أبو النصر في مدينة «منفلوط» التابعة لمحافظة أسيوط في ٢٥-٢-١٩١٣، كان أول من انضم إلى صفوف الإخوان في الصعيد سنة ١٩٣٤، تدرج في مواقع المسؤولية من نائب شعبة منفلوط حتى أصبح عضوًا في الهيئة التأسيسية (مجلس الشورى العام)،

ثم عضوًا في مكتب الإرشاد، وتعرض للاعتقال وحُكم عليه في أحداث ١٩٥٤ بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة (٢٥) عامًا قضى منها عشرين عامًا في السجون، وخرج منتصف ١٩٧٤.

وتم اختياره مرشدًا عامًا للجماعة خلفًا للمرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني، في مارس ١٩٨٦. وفي فجر يوم السبت ١٩٩٦، توفي محمد حامد أبو النصر، المرشد العام الرابع للإخوان المسلمين، عن عمر يناهز الثالثة والثمانين عامًا، ودُفن في مقابر القطامية بمدينة نصر بالقاهرة، بجوار الأستاذ عمر التلمساني، ومن مؤلفاته كتاب (حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر).

خاضت الجماعة في عهده الانتخابات النيابية في عام ١٩٨٧ متحالفة مع حزب العمل والأحرار، مما أتاح لها دخول (٣٦) نائبًا إخوانيًا لأول مرة في تاريخ الجماعة إلى مجلس الشعب وأدى إلى قيادتها للمعارضة بشكل فعليٍّ، كما خاضت الجماعة التجديد النصفي لمجلس الشورى عام ١٩٨٩ وقاطعت انتخابات البرلمان سنة ١٩٩٠ وتبعتها بقية أحزاب المعارضة احتجاجًا على استمرار العمل بقانون الطوارئ، وعدم وجود ضمانات كافية لنزاهة الانتخابات.. وفي عام ١٩٩٢ خاضت الجماعة انتخابات المجالس المحلية، ثم شاركت الجماعة أيضًا في انتخابات مجلس الشعب التي جرت في ١٩٩٥.

يحكي أبو النصر موقفًا جمع بينه وبين عبد الناصر فيقول[1]:

«وكان من بواكير اللقاءات التي تمت هي دعوة الضابط عبد الناصر قائد الحركة لفضيلة الشيخ محمد فرغلي ومعه (الشاهد على الطريق) محمد حامد أبو النصر لتناول الإفطار في منزله بمنشية البكري، وفي الساعة السادسة صباحًا الميعاد المحدد لهذا اللقاء – توجهنا إلى منزله فوجدناه في انتظارنا في حجرة الاستقبال وبعد قليل جلس ثلاثتنا حول مائدة صغيرة أعدت بإفطار مبسط عادي وأذكر أنه دارت بيننا أحاديث بدأها الضابط عبد الناصر – من أهمها:

---

(١) من كتاب (حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر) لأبي النصر.



- العمل على إزالة آثار العوائق التي وقعت بين قيادة الإخوان وقيادة الحركة، كما كانت **مسألة إصلاح الأزهر الشريف منار الإسلام وما يجب أن يكون عليه من كفاءة حتى يؤدي رسالته**.. وهنا لوح الضابط عبد الناصر بإشارات خفيفة حول إسناد مشيخة الأزهر لفضيلة الشيخ فرغلي، **كما تناول الحديث إرسال بعثات إسلامية من الإخوان المسلمين إلى جنوب أفريقيا لحاجة شعوبها إلى الإسلام**، وبينما كان المكتب الجديد يعمل على تقريب وجهات النظر بين الإخوان وقيادة الحركة في تلكم الفترة إذ شغل بوقوع حادث مقتل الأخ الشهيد سيد فايز» [1].

يذكر أبو النصر بعض الوقائع التي حدثت معه في محكمة الشعب فيقول: «وفي يوم السبت ٢٧-١١-١٩٥٤، نقلنا من السجن إلى محكمة الشعب، وكانت مشكَّلة من جمال سالم رئيسًا، وأنور السادات[2] عضو اليمين، وحسين الشافعي عضو اليسار، وبعد مناقشات هزلية من رئيس المحكمة، انتهت الجلسة، وحدد يوم ٤-١٢-١٩٥٤م للنطق بالحكم، فرجعنا إلى السجن الحربي، وكان التحقيق والعذاب، ثم الموعد المحدد للنطق بالحكم، ذهبنا إلى المحكمة لسماع النطق بالحكم، حيث حكم بالإعدام شنقًا على: عبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، وإبراهيم الطيب، ويوسف طلعت، وهنداوي دوير، ومحمود عبد اللطيف، وحكم على فضيلة المرشد حسن الهضيبي بالمؤبد بدل

---

(١) هل كان بإمكان هؤلاء الإخوة دفع هذا الظلم الذي عاشه الإخوان في عهد عبد الناصر قبل أن يقع؟ حتى لو تصورنا أن الطرف الآخر كان ظالمًا متجبرًا من اليوم الأول – مع أن الوقائع التي يذكرها الإخوان تشهد بأنه لم يكن كذلك من اليوم الأول – فهل كان من المصلحة أن نستخرج ما بداخله من شر، أم أن نتجنبه وندفعه قدر وسعنا وطاقتنا؟

(٢) لاحظ هنا أن السادات كان عضو يمين في المحكمة التي حكمت على هؤلاء الإخوة بالإعدام، وهو نفسه الذي أجرى معه الإخوان المصالحة التي رفضوها من عبد الناصر، فهل كان هناك فرق كبيرٌ بينهما، أم أن الصدام المباشر مع عبد الناصر وموقف الهضيبي تجاهه، هو الذي أخر مصالحة كانت من الممكن أن تنقذ أعدادًا هائلة من الأبرياء قبل أن تجري عليهم الأحكام الجائرة.

وأي قيادة أنفع وأصلح لجماعتها؛ القيادة التي ترمي بأبنائها خلف القضبان، أم القيادة التي تحافظ عليهم وعلى دعوتهم من أن يلحق بهم سوء أو أن يتعرضوا لبلاء؟.

الإعدام، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على عبد العزيز عطية، وحسين كمال الدين، ومنير دلة، وصالح أبورقيق، ومحمد حامد أبوالنصر، وحكم على عمر التلمساني وأحمد شريت بالسجن مدة خمس عشرة سنة»[1].

☜ **رابعًا: مصطفى مشهور: المرشد الخامس (١٩٩٦ - ٢٠٠٢):**

ولد الأستاذ مصطفى مشهور في الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٢١، في قرية السعديين التابعة لمحافظة الشرقية بمصر، دخل الكتاب وهو صغير ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في القرية، وأكمل دراسته الثانوية بالقاهرة، ثم التحق بكلية العلوم التابعة لجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن) وتخرج فيها عام ١٩٤٢ حاملًا شهادة البكالوريوس في العلوم.

انضم مشهور إلى جماعة الإخوان في عام ١٩٣٦، وقد لفت مصطفى أنظار القائمين على (الجهاز الخاص) فوضعوا عيونهم عليه، وراقبوه واختبروه ثم لم يلبثوا إلا قليلًا ليضموه إليهم، ليصبح بعد ذلك من أنشط أعضاء الجهاز سرية وانضباطًا، وتنفيذًا لما يطلب منه تنفيذه.

اعتقل في عام ١٩٤٨ على خلفية اتهامه في قضية السيارة الجيب، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات (من عام ١٩٤٨ – ١٩٥١)، وكان الاعتقال الثاني بعد حادث المنشية عام (١٩٥٤) ليخرج منه في عام (١٩٦٤). ثم كان الاعتقال الثالث في عام ١٩٦٥ وبقي في السجن حتى مات عبد الناصر، وجاء السادات وأمر بالإفراج عن الإخوان المعتقلين من أوائل السبعينات (١٩٧١).

أصيب مشهور بجلطة دماغية دخل علي إثرها في غيبوبة استمرت سبعة عشر يومًا، أدت إلى وفاته في ٢٠٠٢/١١/١٥. من مؤلفاته:

- الجهاد هو السبيل.
- تساؤلات على طريق الدعوة.
- مناجاة على الطريق.
- مقومات رجل العقيدة على طريق الدعوة.

---

(١) المرشد الرابع للإخوان المسلمين.. السيد محمد حامد أبو النصر – بقلم/ المستشار عبد الله العقيل.

- وحدة العمل الإسلامي في القطر الواحد.
- زاد على الطريق.
- القدوة على طريق الدعوة.
- الدعوة الفردية.
- الحياة في محراب الصلاة.
- الإسلام هو الحل.
- من فقه الدعوة (جزأين).
- القائد القدوة.
- الإيمان ومتطلباته.
- بين الربانية والمادية.
- قضايا أساسية على طريق الدعوة.
- التيار الإسلامي ودوره في البناء.
- قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنة.
- طرق الدعوة بين الأصالة والانحراف.
- من التيار الإسلامي إلى شعب مصر.

وقد جاء في ترجمة الأستاذ مصطفى مشهور على موقع الإخوان ويكيبديا هذه الجملة العجيبة «كان الشيخ مصطفى يحمل أعباء المرشد ومكتب الإرشاد قبل أن يصبح هو المرشد، **فقد كان المرشد الفعلي أيام سَلَفَيْهِ الشيخ أبي النصر والشيخ عمر التلمساني، وكان يتحمل المسؤولية كاملة عن تلك الفترة**، وخاصة بعد أن غادر مصر إلى الكويت فألمانيا، ثم بعد تسوية وضعه، وعودته إلى بلاده.

وعندما تسلم منصب الإرشاد، تابع مخططه الذي رسمه للجماعة مع أعضاء مكتب الإرشاد، وعمل بجد واجتهاد لتنفيذه، وقد لجأ إلى التحالفات السياسية مع بعض الأحزاب وخاضت الجماعة الانتخابات البرلمانية والنقابية، وحققت نجاحات رائعة».

وذكر الموقع أيضًا «وبعد وفاة المرشد الأستاذ التلمساني –رحمه الله تعالى– **وبتسوية ما مع المسؤولين في مصر**[1]، قادها الأستاذ الكبير صلاح شادي –تغمده الله

(١) لا ندري هل تعد هذه التسوية خيانة وعمالة وبيعًا للقضية أم ماذا؟ وإذا لم تكن كذلك فما الذي يمنعها الآن؟ أم أن شروط التسوية لم تبلغ بعد الدرجة التي يحلمون بها؟.

بفيض رحماته ورضوانه- عاد الشيخ مصطفى إلى القاهرة عام (١٩٨٦)، وتسلم منصب نائب المرشد العام (كان المرشد العام وقتها الأستاذ محمد حامد أبو النصر – رحمه الله تعالى – وكان الساعد الأيمن والأيسر في ميدان الدعوة، ومعه ثُلة طيبة من إخوانه أعضاء مكتب الإرشاد، **بل إنَّ بعض المراقبين والمطلعين يعتقدون أنه كان القائد الفعلي للجماعة منذ رحيل المرشد حسن الهضيبي -رحمه الله رحمة واسعة- عام (١٩٧٣) وحتى وفاته أي طوال ثلاثة عقود**».

وبالتالي فقد كان مصطفى مشهور هو من كان يدير الجماعة فعليًا من بعد وفاة الهضيبي والذي لم يكن هو الآخر مرشدًا فعليًا، وقام مأمون الهضيبي أثناء تشييع الجنازة بأخذ البيعة لمصطفى مشهور عقب الفراغ من جنازة أبي النصر مباشرة فيما سمى «ببيعة المقابر»، وذلك من دون انتظار إجراء انتخابات في مكتب الإرشاد مثلما تقضي اللائحة الداخلية، لأن مشهورًا كان المرشد الحقيقي في فترة مرض أبي النصر.

وقد جاء خبر هذا الموقف في موسوعة الإخوان المسلمين كما يلي: «وفي الأيام الأخيرة من حياة المرشد الأستاذ أبي النصر الذي كان يرقد على فراش المرض الشديد عرف الإخوان أن مرشدهم يرحل عن هذه الحياة الفانية، فاستبقوا الموت، وانتخبوا الشيخ مصطفى مشهور مرشدًا للجماعة، حال وفاة المرشد أبي النصر، وتكتموا على هذا الأمر، إلى ما بعد وفاة المرشد ودفنه في فبراير ١٩٩٦، عندها أعلن المستشار محمد المأمون الهضيبي نبأ انتخاب الأستاذ مشهور ليكون خير خلف لخير سلف، فتقدم الأخ الأستاذ لاشين أبو شنب وبايع المرشد الجديد، وطلب من الإخوان أن يتقدموا ويبايعوه، فتقدم عدد كبير من الإخوان وبايعوا الأستاذ مصطفى مشهور مرشدًا للجماعة لمدة ست سنوات، ثم جدد انتخابه مرة ثانية في فبراير ٢٠٠٢ لمدة ست سنوات أخرى، حسب أنظمة الجماعة».

والجدير بالذكر أيضًا أن مشهورًا هو صاحب فكرة تأسيس التنظيم الدولي ومكاتب الإخوان في الخليج وأوروبا، وبعد عودته من الخارج اختار منهم أفرادًا أعاد بهم ما يشبه التنظيم الخاص مرة أخرى ومنهم حاليًا غالبية أعضاء مكتب الإرشاد.

☜ **خامسًا: محمد مأمون الهضيبي: المرشد السادس للجماعة (٢٠٠٢ - ٢٠٠٤):**

ولد المستشار محمد المأمون الهضيبي في قرية الشواولة بمحافظة سوهاج في ٢٨ مايو ١٩٢٤ م، حيث كان الأستاذ حسن الهضيبي –عليه رحمة الله– يعمل محاميًا بمحافظة سوهاج فور تخرجه في كليه الحقوق، فولد له خلال فترة عمله بسوهاج أكبر أبنائه المستشار محمد المأمون، وتنقلت أسرته في أماكن متعددة حيث عمل والده قاضيًا بوزارة العدل المصرية، حتى استقال من منصبه القضائي ليتفرغ للجماعة عام ١٩٥١.

تخرج مأمون الهضيبي في كلية الحقوق وعمل بالنيابة وكان رئيسًا لمحكمة غزة عام ١٩٥٦، وتنقل بين مصر والسعودية للعمل في القضاء حتى صدر قرار جمهوري من مبارك بتعيينه رئيسًا لمحكمة استئناف القاهرة بناءً على قرار مجلس القضاء الأعلى، فعاد إلى مصر مرةً أُخرى.

خاض انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٧ م على قائمة حزب العمل وفاز بالمقعد في دائرة الدقي وأصبح رئيسًا للكتلة البرلمانية للإخوان داخل مجلس الشعب، شغل منصب المتحدث الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين في فترة الأستاذ محمد حامد أبو النصر والذي تولى من ١٩٨٦ – ١٩٩٦ ثم اختير نائبًا للمرشد العام بعد وفاة الدكتور أحمد الملط في يونيو ١٩٩٥ وظل نائبًا للمرشد العام الأستاذ مصطفى مشهور بالإضافة لكونه المتحدث الرسمي للجماعة[1].

مع مرض وغيبوبة المرشد العام لجماعة الإخوان مصطفى مشهور في ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٢ إثر نزيف في المخ أصبح مأمون الهضيبي القائم بأعمال المرشد العام بالنيابة، وبعد وفاة الأستاذ مصطفى مشهور في ١٤ نوفمبر ٢٠٠٢ اختير المستشار الهضيبي ليكون مرشدًا للإخوان المسلمين في ٢٧ من نوفمبر ٢٠٠٢، وكانت وفاته في ٨ يناير ٢٠٠٤، وله كتاب مطبوع بعنوان «الإخوان المسلمون ٦٠ قضية ساخنة».

---

(١) (المستشار محمد المأمون الهضيبي..الفارس الذي رحل) – بقلم أ/ عبده مصطفى دسوقي.

ورغم أن مأمون الهضيبي لم يشهد العمل في فترة السبعينيات، إلا أن أداءَه يتسم بقدر كبير من التشابه والتوافق مع أداء هذه الفترة، وقد قام الدكتور عصام العريان –وهو أحد أبناء جيل السبعينيات– بسرد تفاصيل تجربته السياسية مع مأمون الهضيبي، وقد وصفها بأنها قريبة أو شبيهة من تجربة التلمساني في مقال بعنوان: «الهضيبي رجل المواقف الحاسمة» فقال:

«ورغم أن المستشار الهضيبي خرج من السجون عام ١٩٧١ م، ثم انتقل للعمل في السعودية، حتى عاد قبيل وفاة المرحوم التلمساني عام ١٩٨٤ م؛ أي أن دوره كان من عام ١٩٨٤ م حتى ٢٠٠٤ م، فإنَّ بصمته لم تختلف رغم أنه لم يتولَّ الدور الأول إلا أربعة عشر شهرًا، وكان المتحدث الرسمي للإخوان طوال عهد أبو النصر، ثمَّ نائبًا للمرشد في فترة مشهور، حتى أصبح مُرشدًا عامًّا في نوفمبر (رمضان) ٢٠٠٢ م، وشغل موقع الناطق باسم كتلة الإخوان في البرلمان المصري (١٩٨٧ م – ١٩٩٠ م)؛ أي أنَّ تأثيره امتد من عام ١٩٨٧ م إلى ٢٠٠٤ م.

لم تتح الفرصة لـ «مأمون الهضيبي» أن يعايش جموع الإخوان في فترة السبعينيات، تلكم الفترة الخصيبة التي التفَّ فيها جموع الشباب حول الذين خرجوا من السجون حديثًا، وتلقوا على أيديهم قواعد وأصول ومنهج الدعوة في عملية التوريث، ثمَّ كانت عودته إلى مصر بطلب مباشر من المرحوم «التلمساني»، وعندما استأذنت الأستاذ «عمر التلمساني» في استضافة «الهضيبي» في لقاءات الشباب، قال لي: «إن له مهمة أخرى»، **وكان يريده بجواره كمستشار يعينه في الشأن العام، الذي لم يكن يحسنه الكثير من قيادات الإخوان، الذين انصرفوا لعملية بناء الجماعة، وتمتين التنظيم، وتوريث المنهج**[1] .

(١) هذه العبارة من كلام الدكتور عصام، على درجة عالية من الأهمية حيث إنها ذات دلالة كاشفة على أن القيادات الإخوانية تركت الميدان العام (السياسي والاجتماعي والنقابي) لبعض الوجوه المقبولة لدى النظام والمجتمع، وصرفت جل همها إلى (بناء الجماعة، وتمتين التنظيم، وتوريث المنهج) ولا يخفى أن هذه العملية الحساسة تمت على أيدي
من يُسَمَّون داخل الجماعة بالجناح القطبي، وهو ما ظهر أثره جليًا في الأجيال التي نشأت بعد ذلك.



وقتها كان «التلمساني» أقنع -بصعوبة- كبار القيادات للدخول في المعترك الانتخابي في تحالف سياسي مع حزب (الوفد) بعد معاناة ومناقشات مطولة، حضرت جانبًا منها، وكان بحاجة إلى رجل يصلح لهذه المواقف، وعاد «الهضيبي» ولكنه لم يدرك ترشيحات ١٩٨٤م للبرلمان، وعقب عودته توفي «التلمساني»، **وتركه في مواجهة المواقف العسيرة، وكان رجل المواقف الحاسمة.**

وانشغل «الهضيبي» في إعادة ترتيب **وجود الجماعة السياسي**، ومحاولة الخروج من القيود القانونية والمتابعات الأمنية إلى الفضاء العام، واجتهد في إقناع قيادة الجماعة بقبول عرض من رئيس حزب الأحرار المرحوم «مصطفى كامل مراد»، حمله الشيخ «صلاح أبو إسماعيل رحمه الله» بأن يتولى الإخوان شئون الحزب كلها، وإعادة تشكيل قواعده وهياكله، فقط يحتفظ رئيس الحزب بموقعه، ويكون له نائبان، أحدهما من الإخوان، ثمَّ إن هناك فراغًا ضخمًا وهياكل وَرَقِيَّة يمكن للإخوان ملؤها جميعًا، ولهم الحق في إعادة صياغة برنامج الحزب وخطابه السياسي بما يتناسب مع أفكار برامج الإخوان، وبعد مناقشات مستفيضة شابها بعض الحدة إلى الدرجة التي قال فيها البعض له: «**لقد جاهد والدك للحفاظ على الجماعة والإبقاء عليها، وأنت تريد اليوم أن تعمل على هدمها وإذابتها**»، وانتهت المناقشات إلى عدة قرارات مهمة، ما زالت تؤثر في مسيرة الإخوان، منها:

- رفض ذوبان الجماعة في أي حزب أو كيان آخر، حتى ولو كان الحزب الحاكم، وقد سبق أن عرض «السادات» على المستشار المرحوم «صالح أبو رقيق» انضمام الإخوان إلى حزب (مصر العربي الاشتراكي)، الذي أسسه «ممدوح سالم رحمه الله» رئيس الوزراء الأسبق، ورفض الإخوان ذلك.

- تحالف القوى السياسية التي تتفق مع الإخوان في البرامج والقواعد الأساسية، وهذا ما تم مع حزبي العمل والأحرار، مع التنسيق مع القوى والتيارات السياسية في قضايا الحريات العامة.

- العمل على تشكيل حزب خاص لـ(الإخوان) يضمن لهم المَظَلَّة القانونية، ويتيح لهم المشاركة السياسية في إطار القانون والدستور.

وقد تمَّ إعداد عدة برامج، واتخاذ كثير من الإجراءات منذ منتصف الثمانينيات، شارك فيها المرحوم «صلاح شادي»، وكثير من خارج الإخوان، وانتهت بمشروع حزب (الوسط) وأزمته الشهيرة.

وقد أعلن «الهضيبي» منذ عام ١٩٩٥ م- بل قبل ذلك- أن الإخوان مستعدون للتحول إلى حزب سياسي، وأن كلَّ الاستعدادت قائمة، وأن ذلك يمكن أن يتمَّ خلال ٢٤ ساعة، وكان ردُّ الحكومة الدائم هو التحذير الشديد من اتخاذ خطوات جادة في هذا الصدد، إلى درجة محاكمة وكيل حزب (الوسط) و١٣من كبار الإخوان أمام محكمة عسكرية، ثمَّ رفض الحزب، وتم الحكم على ٧ من الإخوان بـ٣ سنوات أشغال شاقة.

وحتى عندما اختلف المهندس «أبو العلا ماضي» - وكيل المؤسسين- مع الإخوان وقيادتهم **خلافًا حقيقيًّا** حول السير في إجراءات التأسيس، والمضي قُدمًا، سارع إلى إعادة التقدم بطلب حزب جديد (الوسط المصري)، تم رفضه أيضًا، ولم يتم السماح له إلا بجمعية ثقافية ينشط من خلالها؛ وهو ما يعني أن ذلك خطًّا أحمر، وهو في الحقيقة ليس قاصرًا على الإخوان، بل هو خط أحمر لكل المجتمع المصري؛ حيث يحتكر الحزب الحاكم صلاحية السماح لأي حزب معارض، وهذا خلل رهيب في بنية النظام السياسي المصري؛ حيث يتحول الخصم إلى حَكَمٍ يسمح بالوجود القانوني، ثم يراقب، ثم يحظر أو يحل الأحزاب المعارضة.

واكب الاستعداد لدخول المعترك السياسي، والخروج إلى الفضاء العام، أهمية أن يكون للإخوان طرح فكري وسياسي في قضايا عديدة، وقد كان إسهام المرحوم «الهضيبي» في هذا المجال متميزًا.. لقد جمع بين الثقافة القانونية- لدراسته وممارسته القانون والقضاء، ولنشأته في بيت قانون وقضاء- وبين الثقافة الإسلامية؛ لأن والده كان فقيهًا ملمًّا بالشريعة الإسلامية، ثمَّ مرشدًا للإخوان المسلمين، أكبر جماعة إسلامية،



وعاش أزمة التكفير والعنف داخل السجن، الذي قضى فيه قرابة ست سنوات، وتحت إشراف والده، وبمشاركة من عدد من كبار فقهاء الإخوان.. ومع استحضار مراجع عديدة، تمَّ تصحيح المفاهيم حول هذه القضية في كتاب (دعاة لا قضاة)[١]، وشكَّل ذلك خلفيةً أخرى ساهمت في ثقافته، ثمَّ كان في المملكة السعودية متفرغًا ومراقبًا للشأن العام، كل ذلك ساهم في ثقافته وتكوينه».

وفي معرض الحديث عن الفكر السياسي لجماعة الإخوان وما لحق به من تجديد يعد مختلفًا عن الأفكار التقليدية التي ظلت عليها الجماعة طوال عمرها يقول العريان في مقاله «الهضيبي رجل المواقف الحاسمة»:

«أخرج الإخوان ثلاثة أوراق معتمدة من هذه المسائل، كانت بصمة «المأمون الهضيبي» واضحة، وهي: «الشورى وتعدد الأحزاب في المجتمع المسلم»، و«المرأة المسلمة في المجتمع المسلم»، وصدرتا في مارس ١٩٩٤م، و«المشاركة في الحكومات الائتلافية». وكان أهم ما تضمنته هذه الأوراق من ثبات أو تجديد:

- إقرار التعددية الحزبية في المجتمع المسلم وفي ظل حكومة إسلامية.
- القبول بتداول السلطة بين الأحزاب في الدولة الإسلامية.
- استمرار القبول بنظام الحكم الدستوري النيابي كأفضل نظم الحكم.
- التأكيد على المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والحريات، والواجبات العامة في التعليم والعمل، والتصويت والترشيح للمجالس النيابة، وتولي الوظائف العامة في إطار الشريعة الإسلامية[٢].
- القبول بالمشاركة في حكومات ائتلافية في حال الضرورة أو حال تحقق مصلحة مؤكدة.

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الكتاب في الصفحات القادمة.

(٢) هذه القضايا الشائكة التي طرحتها هذه الأوراق تحتاج لمراجعة وضبط وفق القواعد الشرعية الصحيحة، ولكن ليس هذا موطن التعليق عليها. فلتراجع في مظانها.

لقد كان دوره رئيسًا في إقناع شيوخ الجماعة بما تصل إليه نتيجة الحوارات، ولولا دوره- كما أظنُّ- لصعب إخراج مثل تلك الأوراق التي أصبحت الآن أفكارًا ثابتة يتداولها الإخوان وغير الإخوان، بل تحولت إلى سياسات واضحة يمارسها الإخوان في أكثر من بلد، وقد ترشحت أكثر من أخت، ونجحت إحداهن، واكتسبت عضوية البرلمان، ولولا جهد «الهضيبي» ما تحقق مثل ذلك التطور في عمل الإخوان، ولقد رأيت كيف أصر على أن يكون للأخوات كلمة في حفلات الإخوان للإفطار رغم تململ البعض، ورفض الآخرين».

ثم يعود العريان ليؤكد على وسطية المأمون، وأنه بعيد كل البعد عن أفكار التكفير والعنف، بل كان يحاربها ويحاصرها، وفي المقابل كانت علاقاته بالسلطات الحاكمة تتسم بالمرونة والتفاهم، يقول العريان:

«عاصر الهضيبي- رحمة الله عليه- مواقف صعبة في مسيرة الإخوان، واستطاع أن يحقق التوازن في مواقف الجماعة، والوضوح والحسم عند الحاجة إليه.

في فتنة التكفير[1] كان حاسمًا وقاطعًا، ولم يقبل أنصاف الحلول- وهذا دأبه إلى آخر دقيقة من عمره وقيادته- عندما بلغه أن بعض الإخوان في إحدى المحافظات أوصَوْا الإخوان بمدارسة أحد الفصول من كتاب إسلامي اشتم فيه أحد الإخوة شبهة تكفيرية بين السطور، فسارع إلى استدعاء الأخ المسئول، وحاوره طويلًا حتى أقنعه الأخ أن هذه الشبهات لا أساس لها، وقد حضرتُ جزءًا من النقاش.

وعندما أبلغني بعض كبار الإخوان- ممن فاصلوا الجماعة عند خروجهم من السجون في منتصف السبعينات- برغبتهم في إيجاد صلة بالجماعة، كان رده حاسمًا: «ليتخلوا عن منهج التوقف أو التكفير، وعندئذ هم إخوان لنا».

---

(١) شهادة الدكتور عصام العريان تؤكد أن فكر التكفير والعنف ظل موجودًا لدى الجماعة قيادة وشبابًا، ويبدو أنه تم استغلال الهضيبي في مساحة العمل السياسي وإشغاله بها، ليتفرغ من سمَّاهم العريان «قيادات الجماعة» لعمليات تمتين التنظيم وتوريث المنهج.



وقد حاول مدَّ الجسور مع الدولة بطرق عديدة، وحرص على علاقة متوازنة مع كل القوى السياسية، ونجح في ترك بصمته على أفكار وآراء ومواقف الإخوان..رحمه الله رحمة واسعة، وعوضنا فيه خيرًا».

☜ **سادسًا: محمد مهدي عاكف: المرشد السابع (٢٠٠٤ -٢٠١٠):**

ولد محمد مهدي عاكف مع مولد جماعة الإخوان المسلمين في عام واحد هو العام ١٩٢٨، وفي إحدى قرى مدينة المنصورة شمال القاهرة، التحق بمدرسة (المنصورة) الابتدائية، ثم التوجيهية من مدرسة (فؤاد الأول) الثانوية بالقاهرة، ثم التحق بالمعهد العالي للتربية الرياضية، وتخرج في مايو ١٩٥٠م.

كان آخر موقع شغله في الإخوان قبل صدور قرار بحل الجماعة ١٩٥٤ رئاسة قسم الطلاب، كما أنه كان رئيسًا لقسم التربية الرياضية بالمركز العام للإخوان، قُبض عليه في أغسطس ١٩٥٤، وتمت محاكمته بتهمة تهريب اللواء «عبد المنعم عبد الرؤوف»- أحد قيادات الجيش وشارك في ثورة يوليو- فحُكم عليه بالإعدام، ثم خُفف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، وبعد خروجه من السجن سنة ١٩٧٤ عمل مديرًا عامًا للشباب بوزارة التعمير.

شغل عضوية مكتب الإرشاد في عام ١٩٨٧، وانتخب عضوًا بمجلس الشعب سنة ١٩٨٧ عن دائرة شرق القاهرة، وذلك ضمن قائمة التحالف الإسلامي التي خاض الإخوان الانتخابات تحت مظلتها، قُدِّم للمحاكمة العسكرية سنة ١٩٩٦؛ فيما يعرف بقضية سلسبيل والتي ضمت وقتها عددًا كبيرًا من قيادات الإخوان المسلمين، وقد اتهمه الادعاء بأنه المسئول عن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، وحُكم عليه بثلاث سنوات، ليخرج من السجن في عام ١٩٩٩م.

كان عاكف عضوًا في التنظيم الخاص للجماعة فترة الأربعينات، وهو من جيل الصقور، وقد قضى فترات طويلة من عمره في السجون، بجانب سنواته الباقية التي قضاها خارج مصر، ولكن في عهده شهدت الجماعة أكبر نجاح لها في البرلمان -٨٨

نائبًا- وكذلك تحالفات مع غالبية القوى والأحزاب والحركات الاجتماعية وإن لم تكتمل في معظمها[1].

كان الأكثر جدلًا بين المرشدين بسبب التصريحات الإعلامية فهو صاحب أكثر عدد من التصريحات التي جرَّت على الجماعة ويلات كثيرة منها (طز في مصر واللي جابوا مصر) وإعلانه لإرسال ١٠ آلاف مقاتل من الإخوان لتنضم لصفوف مقاتلي حزب الله، وعدائه الصريح اللفظي والعملي للنظام وخاصة مؤسسة الرئاسة، وتعرضت أيضًا الجماعة على يده لعدد من الاعتقالات والمحاكمات العسكرية كان ضحيتها النائب الثاني والرجل القوي في الجماعة خيرت الشاطر الذي اشتهر وقتها بقضية ميليشيات الأزهر.

وقد حصل عاكف على أعلى الأصوات في انتخابات مكتب الإرشاد وكان يفصله عن د. محمد حبيب صوت واحد،وبضع أصوات عن خيرت الشاطر فعُين كلاهما نائبين له، وقد كان عمره وقتها ٧٤ عامًا وكان ذلك في يناير من عام ٢٠٠٤واستمر حتى انتهت فترة ولايته في يناير من عام ٢٠١٠.

تم اختيار الدكتور محمد بديع خلفًا له، وهو الوحيد من بين مرشدي الجماعة الذي أُعلن وقت تنصيبه وأخذ البيعة له كمرشد سابع في تاريخ الجماعة أنه سيترك المنصب بعد الولاية الأولى- ٦ سنوات فقط بعد تعديل اللائحة- وأصر على عدم التجديد رغم المشكلات التي دخلت فيها الجماعة وما أثاره قراره من خلافات على المنصب لكنه أصر على موقفه كما أصر أن يكون هو صاحب الإعلان عن اسم المرشد الجديد وأن لا يترك الجماعة بلا مرشد وتعهد أمام مكتب الإرشاد بتحمله تبعات هذا على كتفه.

☜ سابعًا: محمد بديع: المرشد الثامن (٢٠١٠- الآن):

قبل انتخاب د. محمد بديع، انتُخب مكتبُ إرشاد جديدٌ للجماعة في ديسمبر ٢٠٠٩، وسط انقسامات بين تياري ما يوصف بتيار المحافظين الذي يسيطر عليه

---

(١) مرشدوا جماعة الإخوان المسلمين – ويكيبديا الإخوان المسلمين.

خيرت الشاطر و د. محمود عزت وبين تيار الإصلاحيين الذي كان يتزعمه كل من د. محمد حبيب و د. عبد المنعم أبو الفتوح، حيث استبعدت انتخابات مكتب الإرشاد كل من محمد حبيب النائب الأول للمرشد آنذاك وعبد المنعم أبو الفتوح القيادي وعضو مكتب الإرشاد آنذاك.

أعلنت جماعة الإخوان المسلمين في مصر أنها اختارت تعيين محمد بديع في منصب مرشد عام الجماعة؛ في وقت غاب فيه محمد حبيب النائب الأول للمرشد السابق عن مؤتمر إعلان المرشد. وكان محمد حبيب قد أعلن – من قبل – اعتراضه على إجراءات انتخابات مكتب الإرشاد والمرشد، لأن التصويت فيها كان يخالف قواعد اللائحة الداخلية لجماعة الإخوان المسلمين. مشيرًا إلى أن اختيار المرشد الجديد جاء «نتيجة اختيار وليس نتيجة انتخاب». وقد شهدت هذه الانتخابات أيضًا خروج عضو مكتب الإرشاد عبد المنعم أبو الفتوح من مكتب الإرشاد، كما شهدت أزمة بسبب عدم تصعيد عصام العريان.

والدكتور محمد بديع كان صديقًا مقربًا للمرشد الأسبق محمد مهدي عاكف، وهو أيضًا أحد تلاميذ سيد قطب، وقد حُكم عليه بخمسة عشر عامًا في قضية تنظيم سيد قطب عام ٦٥، قَضى منها ٩ سنوات، وخرج في ١٩٧٤/٤/٤.

ولم يُؤثر عن الدكتور بديع أي كتابات دعوية أو تربوية أو سياسية، بينما له سجل حافل من الإنجازات في مجال عمله الدنيوي في الطب البيطري.

ملاحظات عامة حول مرشدي الجماعة:

✓ العرض السابق لأجزاء من تراجم المرشدين بعد البنا ليس الغرض منه تقصي حياة هؤلاء الأشخاص أو تتبع فترة إدارتهم للجماعة، أو أي شيء من هذا القبيل، وإنما هي محاولة لوضع رؤية إجمالية لما سارت عليه الجماعة منذ عهد البنا حتى يومنا هذا.

✓ ذكر قائمة المؤلفات الخاصة بكل مرشد الهدف منه إعطاء رؤية إجمالية عن شخصية المرشد، هل هو ممن كانوا مهتمين بالتأليف والكتابة أم لا وهل هذه المؤلفات

تنظيرية أم هي كتابات عامة تربوية ودعوية؟ وإذا لم تكن هناك مؤلفات تنظيرية تذكر فهل توقف الإنتاج الفكري للجماعة من بعد البنا؟ أم أنَّ هناك ثمة أشياء أخرى هي التي توجه فكر الجماعة؟

✓ إذا أردنا تحليل تاريخ الجماعة من بعد مقتل البنا، سنجد أنه تعاقب على إدارة هذه الجماعة سبعة مرشدين كما سبق ذكرهم، يمكن تقسيمهم إلى قسمين: الأول يغلب عليهم القيادة الشرفية للجماعة سواء علموا أم لم يعلموا وهم: (حسن الهضيبي – عمر التلمساني – محمد حامد أبو النصر – مأمون الهضيبي)، والقسم الثاني هم الذين أداروا الجماعة بالفعل سواء بشكل علني أم من وراء ستار وهم: (مصطفي مشهور – محمد مهدي عاكف) أما محمد بديع، فمحمود عزت يعد الرجل الأقوى في الجماعة في الوقت الحالي، مع أن بديع يعتبر أيضًا من أتباع المدرسة القطبية.

✓ الملاحظة المثيرة للشك والمشتركة بين مرشدي القسم الأول أنهم لم ينضموا للنظام الخاص، أو كانوا من خارج الجماعة أصلًا، فحسن الهضيبي لم يكن من أعضاء الجماعة بشكل رسمي ولم يتدرج في وظائفها أو أعمالها، وإنما تولى رئاسة مكتب الإرشاد بشكل مفاجيء، وكما ذكرنا فإن هذا الأمر جاء للتخلص من حالة الصدام والصراع على منصب المرشد والتي كادت أن تفتك بالجماعة، وبالتالي فغالب الظن أن الهضيبي لم يكن مرشدًا بمعنى الكلمة بل كان هناك من يقود الجماعة من الخلْف ولم يشأ موقع «إخوان ويكيبديا» أن يكشف لنا من يكون هذا الرجل، ولكن من يقرأ تاريخ هذه الفترة لمحمود عبد الحليم يتأكد جيدًا أن هناك مجموعة كانت تدير الأحداث بشكل عنيف وتدفع لحالة الصدام مع الدولة ومع عبد الناصر، بالدرجة التي أحرجت عبد الحليم نفسه عندما اتفق مع عبد الناصر على إيقاف حرب النشرات «كعربون ثقة» على جدية الاتفاقات، ولكنه فوجئ بأن هناك من يتعمد زيادتها فعلم من ساعتها أن عبد الناصر سوف ينتقم، يقول الأستاذ حسن دوح في كتابه «٢٥عامًا في جماعة الإخوان»:

«ولعل الصراع الذي نشب بين الأستاذ الهضيبي وجمال عبد الناصر أعطاه المبرر في

الإبقاء على الجهاز الخاص وكنت أتمنى أن يعتبر الأستاذ الهضيبي من أخطار الجهاز السابق ليتخذ له موقفًا حازمًا، وإحقاقًا للحق وإنصافًا للرجل فإنني أتذكر أنه قال لي في أوائل عام ١٩٥١ إنه لا يؤمن بالعنف ولا بقيام ثورة مسلحة والأفضل الأخذ بأسلوب الحكمة؛ أما ما وقع من أحداث بعد ذلك فيقطع بأنه كان قد رضي تحت ضغط ظروف شديدة بتشكيل جهاز سري في الإخوان المدنيين والإخوان العسكريين..

لكن كيف تكَوَّن هذا؟ ولمَ؟ وما رأى الأستاذ؟ وما موقفه؟ إنني لا أستطيع أن أقطع بشيء الآن، لكنني أذكر وقائع اجتماع في منزل رجل «مسئول» وقد ناقشنا هذا المسئول في الجهاز وتصرفاته وما ينوي عمله في مواجهة الحكومة فقال لنا المسئول ما معناه: إن الجهاز ضرورة، فقلنا له: وإذا غيرنا نظام الحكم فمن الذي سيتولى الحكم من بعدهم...!! قال: المرشد..

قلنا: إذًا ستغير حكم فرد بحكم فرد آخر، وقلنا له كذلك: إذا كان ولابد فالمفروض أن يتولى الحكم الجهاز الإداري المشرف على الإخوان والمنبثق من الهيئة التأسيسية وهي الهيئة التشريعية التي كانت مختارة من الإخوان جميعًا ثم ضربنا له مثلًا ببعض أعضاء المكتب الذين كانوا يناصبون المرشد العداء، فظهر عليه النفور والاشمئزاز وقال بعد نقاش طويل:

إنني أرى أن يختار الأستاذ الهضيبي من يؤمن بأنه صالح للتعاون معه، قلنا له: إذا هي الفردية التي نعاني منها مع رجال الثورة.. ولورود هذه الواقع أرجع بالقارئ إلى عام واحد تقريبًا قبل وقوعها، فقد التقيت بنفس هذا الرجل وكان مقتنعًا بزعيم الثورة الحقيقي جمال عبد الناصر، حتى أنه شكا لي مُرَّ الشكوى من أن المرشد لا يحب التعاون مع «أخوك جمال» وكان مقتنعًا لأبعد حد بجمال وبالتعاون مع الثورة عاتبًا على مرشد الإخوان أشد العتب لعدم التعاون مع الثورة..

إنني بعد فترة طويلة من الزمن، وبعد وقوع الأحداث الكبيرة التي ألمت بنا، أشعر أن الخصومة بيننا وبين رجال الثورة لم تصدر عن مفهوم إسلامي موحد متجرد أو من منطلق وطني يستهدف الحرية والتحرر من الاستعمار،ولكنه كان مزيجًا غير محدد من هذا وذاك.

وعودًا إلى حديثي مع الأخ المسئول أقول: إنني أفضيت له بما أشعر به وأذكر أنني قلت له إن إقدامكم على مصادمة الثورة معناه مصرع خمسين رجلًا منا ودخول خمسمائة آخرين السجن وتشرد ومتاعب كثيرة.. فقال لنا الرجل بعد أن أعيته المناقشة: اذهبوا إلى المرشد فذهبنا للرجل وعرضنا عليه مناقشتنا التي ألمحت إليها فأنكر الرجل تصور المسئول الكبير فاستراح بالنا لحد ما لأننا كنا نعلم أن الرجل له علاقة وطيدة وقوية بالمرشد..**ولقد أثبتت الأيام أن هذا المسئول كان له وضع كبير في العمليات الأخيرة.**

سوف يسألني القارئ لِمَ لَمَ تذكر لنا اسم المسئول؟ ولم لم تحدد لنا بدقة المناقشة التي دارت؟ وما تم بشأنها.. أقول: إن الذي يهمني أولًا وأخيرًا هو تسجيل الوقائع والاستفادة منها وأخذ العبرة.. ويهمني النقد الموضوعي، أما الأشخاص أنفسهم فإنني أُكِنُّ للجميع حبًا وتقديرًا تمليه عليَّ رفقة طريق، وأكن حبًا أكبر لمن كان على بينة ونور وصلة طيبة بالله..».

✓ بقي هنا أن أحد أفراد القسم الأول كان من الفاعلين الحقيقيين داخل الجماعة ويطلق عليه «مجدد شباب الجماعة» وهو الأستاذ عمر التلمساني الذي قاد الجماعة لمصالحة مع السادات والتي تم بموجبها إخراج الإخوان من السجون والسماح لهم بالتواجد في العمل العام وفي العمل السياسي على وجه التحديد، والذي لا يشير الإخوان إليه أن المصالحة تم جزء منها مع السادات الذي قُتل عام ١٩٨١، وجزء آخر منها تم مع مبارك نفسه، حيث تم بموجبها رجوع قيادات الخارج الذين اشترط السادات سفرهم خارج الدولة بدلًا من إيداعهم في السجون، وبالتالي عاد مصطفي مشهور إلى مصر عام ١٩٨٦ ليتولى رئاسة مكتب الإرشاد في الخفاء لمدة ١٠ سنوات كاملة هي فترة رئاسة أبو النصر، ثم ليتولى بعدها بشكل عملي لمدة ٧ سنوات أخرى حتى وفاته.

✓ إذًا بشكلٍ أو بأخر نستطيع أن نقول إن مصطفى مشهور وحده، وهو أحد أبرز قيادات النظام الخاص قد حكم الجماعة لمدة ٣١ عامًا كاملة (١٤ عامًا في عهد التلمساني – ١٠ أعوام في عهد أبو النصر – ٧ أعوام بنفسه)، وحكمه لها يعني سيطرة

فكره ومجموعته القطبية على مقاليد الأمور داخل الجماعة، وقد تم السماح للتلمساني أن ينطلق ليضم شباب الجماعة الإسلامية ليحتضنهم ويدمجهم في العمل، ويخترق المساحات التي لم يكن في استطاعة الإخوان أن يدخلوا فيها بشكل فعال.

✓ نجح التلمساني في مهمته داخليًا وخارجيًا وشكَّل جيلًا كاملًا داخل الجماعة أمثال (عبد المنعم أبو الفتوح، عصام العريان، محمد حبيب، حامد الدفراوي، إبراهيم الزعفراني، مختار نوح) وغيرهم، ولكن يبدو أن السيطرة الحقيقية كانت للجناح القطبي بقيادة مشهور، وربما كان تلامذة التلمساني من السطحية والبساطة التي جعلتهم غير منتبهين لذلك وغير مدركين لهذه التفاصيل على وجه الدقة.

وبالتالي ظل الصراع بين الجناحين مكتومًا لمدة عشر سنوات هي فترة رئاسة أبو النصر، والتي كان يديرها مشهور بنفسه نظرًا لما ذكرنا وإلى الصداقة الشديدة التي كانت تربطه بمشهور، ثم كانت الرئاسة لمشهور ذاته، وتجدد الخلاف مرة ثانية قبيل انتخاب مهدي عاكف وحسم أيضًا لصالح التيار القطبي – بغض النظر عن مسألة اعتبار مهدي عاكف شخصيًا من ذلك التيار أم لا – ومن بعدها قام الجناح القطبي داخل الجماعة بتصفية الجناح الآخر المسمى بالإصلاحي، والوحيد الذي تبقى من كل هذه المجموعة المحسوب على هذا الجيل داخل الجماعة هو عصام العريان، وحتى الآن لم يتقلد منصبًا حساسًا داخل الجماعة[1].

---

(١) كتب الدكتور إبراهيم الزعفراني مقالًا بعنوان «العلاقة غير المعلنة لقيادات الإخوان منذ سبعينيات القرن الماضي» نشره موقع الإسلاميون بتاريخ٢٠١٦/٨/٣، جاء فيه ما يلي :

لم تكن هناك ثقة كاملة من قِبل الإخوان من التنظيم الخاص وتنظيم ١٩٦٥ في قيادات الجماعة الإسلامية والتي انضمت للجماعة في السبعينيات حيث ظل الطرف الأول حريصا على عدم السماح لأفرادٍ من الطرف الثانى بتولي المواقع المؤثرة في الجماعة فهناك مواقع في التنظيم ممنوعة عن الطرف الثانى محجوزة للطرف الأول خاصة بعد وفاة مرشد الإخوان أ. عمر التلمساني منها :

١ – مسؤولية قسم الأسَر (التربية) وهو القسم الذي بيده التوجيه الرئيس للتنظيم، حيث إنه هو الذي يضع المناهج التربوية التي تشكل عقلية وسلوكيات أفراد الجماعة، كما أنه يتولى وضع قواعد تصعيد الأفراد =

=والنقباء (مسؤولوا أصغر الوحدات الأساسية في الجماعة)، ويشرفون على تنفيذها، **ويُعد نقباء الأسر ومسؤول الأسر بكل شعبة ومنطقة ومحافظة بمثابة التنظيم الخاص.**

– والمعول عليه في ضم الأفراد الجدد وتربيتهم وتصعيدهم كما أنه المسؤول عن إعداد الصف للانتخابات الداخلية بتطبيق الشروط على الأفراد لتحديد مَن له منهم حق المشاركة في الانتخابات، وعليه فوزْن مسؤول قسم الأسر أكبر من وزن غيره من أعضاء مكتب الشعبة أو المنطقة أو المحافظة أو مكتب الإرشاد وهي المكاتب التنفيذية في الجماعة.

٢– مسؤولوا القطاعات الجغرافية الست.. القاهرة الكبرى وغرب وشرق ووسط الدلتا وشمال وجنوب الصعيد، وهم أعضاء في مكتب الإرشاد يشرف كل منهم على إحدى هذه القطاعات الست، وهو حلقة الوصل بين مكتب الإرشاد وبين المكاتب الإدارية بهذه المحافظات، فكل قرارات وتوصيات مكتب الإرشاد تصل من خلاله، بل كل المعلومات عن الجماعة، كما يقوم برفع تقارير الأداء لتلك المكاتب وطلباتهم لمكتب الإرشاد.

٣– الأمين العام لمكتب الإرشاد أو عضوية الأمانة العامة، وهم الذين يطلق على كل منهم «أمين عام مساعد»، وهو بمثابة مساعد لأحد مسؤولي قطاعات الجمهورية الست في مكتب الإرشاد، فهم يساعدون مسؤولي القطاعات في مهمتهم ويحضرون كل لقاءاتهم مع المكاتب الإدارية، وحيث إن معظم مسؤولي القطاعات متقدمون في السن، أصبح هؤلاء هم المسؤولون الفعليون للقطاعات.

– بالتالى يكونون قد تم تسويقهم داخل الجماعة وهي عصب توصيل المعلومات والتعليمات إلى أفراد الإخوان للتصعيد لعضوية مكتب الإرشاد، وحيث إن اختيار هؤلاء الأمناء المساعدين يتم عبر الاتفاق بين الأمين العام مسؤول كل قطاع، وحيث إن المواقع هذه كما أسلفنا ممنوع منها قيادات جيل السبعينيات، فبالتالى يُستبعد أن يُختار منهم أمين عام لأحد القطاعات، وبالتالي تسد الطريق أمام أى أحد منهم للوصول لعضوية مكتب الإرشاد سواء بالتعيين الذي هو القاعدة، أو الانتخاب بالتمرير أخيرا، والذي كان بالطبع ينحصر في أعضاء مكتب الإرشاد القدامى وهؤلاء الأمناء المساعدين.

من أبرز هؤلاء الذين وصلوا لعضوية مكتب الإرشاد عن طريق عضوية الأمانة العامة د.محيي حامد الذراع الأيمن للدكتور محمود عزت، ود. مصطفي الغنيمي و أ.د. محمد وهدان وم. سعد الحسينى ود. محمد عبد الرحمن.

– ولقد كنتُ كثيرا ما أمازح د. محمود عزت عندما يعلمني أنه يحبني في الله فأقول له: لو كنتَ تحبني في الله حقيقي فخذني معك في الأمانة العامة، وأعلم استحالة قيامه بذلك لكوني كنتُ أصر على إرسال رسائل تدل على أني لست في غفلة عن هذه الترتيبات التي تسير بخطط واضحة ومتقنة بعيدا عن وعي الصف واستنادا إلى يقينهم أن أحدا منا نحن المقصودين بالاستبعاد سنفصح يوما عن ذلك أو سنطلب لأنفسنا مكانا قياديا مؤثرا.

– د. عبد المنعم وحده هو من دخل مكتب الإرشاد وكان ذلك في عهد المرشد عمر التلمساني حيث كان الأستاذ عمر حريصًا على التنوع في داخل مكتب الإرشاد، لكنْ يوم أنِ اقترب د.عصام العريان من عضوية مكتب الإرشاد في ٢٠٠٩ بعد وفاة أ.محمد هلال قامت الدنيا ولم تقعد.

=



✓ هذا الصراع هو الذي جعل البعض يتصور أن هناك جناحين داخل الجماعة الأول بناوي والآخر قطبي، وغالب الظن أن الجماعة كجماعة على نهج واحد وتيار واحد وهو التيار البناوي في آخر صورة له وهو أيضًا التيار القطبي – مع أن التكفير لم يكن ظاهرًا عند حسن البنا مثلما هو واضح عند سيد قطب وتلامذته – أما التيار الآخر فإن شئت نسبته للتلمساني وإن شئت نسبته للإصلاح بشكل عام إلا أنه تيار غير مبرز

---

٤ – اللجنة المالية، وهذه أيضا لم تكن ممنوعة عن قيادات السبعينيات فقط، بل كانت مسؤوليتها محصورة في أفراد بأعينهم، ويمكننا تتبعهم ابتداءً بالأستاذ حسني عبد الباقى وأ. أحمد حسنين رحمهما الله، وانتهاء بـ د. محمود عزت وم. خيرت الشاطر.

– وإني أشهد لله في حدود علمي بنزاهة ذمتهم المالية وتعففهم أن ينالوا لأنفسهم أو أقاربهم منها شيئًا، ولكن في ذات الوقت من يملك القرار المالي فهو في مركز قوة خاصة في غياب المراقبة والمحاسبة حتى ولو من مكتب الإرشاد فهو موضع الأنظار ومركز يحوم حوله الذين يعرفون من أين تُؤكل الكتف، والجماعة كبيرة وتحوي أصنافًا ونوعياتٍ متباينةً.

٥ – لجنة العلاقات الخارجية، وهذه أيضا مصدر قوة إضافية في التعرف على إخوان الخارج والاحتكاك بهم ونيل ثقتهم وكذلك الثقة فيمن توثقه اللجنة والحذر ممن تُحذر منه اللجنة وشبكة العلاقات الخارجية هو رصيد اجتماعى يثقل رصيد من يحوزه.

٦ – لجنة التنمية البشرية (التنمية الإدارية) وهي لجنة استُحدثت في أوائل عام ٢٠٠٠، تقوم بتدريب مركزي للقيادات الإخوانية في جميع المحافظات، وكذلك هي التي تعتمد المدربين في المحافظات وتعطيهم الدورات التنشيطية وبذلك أصبح لها أذرعها في جميع المحافظات، من خلالها صعد د.أسامة نصر إلى مكتب الإرشاد وآخرون.

٧ – كما اعتُبرت لجنةُ طلاب الجامعة أحدَ اللجان المحظورة على قيادات الجماعة الإسلامية في السبعينيات لحيوية هذا القطاع وأهميته، ففي فترة قيادة أ. عمر التلمساني للجماعة كانت هذه القيادات هي المسؤولة عن هذا القطاع الطلابي، لكن بعد وفاته وفي عام ١٩٨٧ طُلب منهم تسليم اللجنة لآخرين وانتقلوا هم لقسم المهنيين حيث تولى أ. مهدى عاكف رايتها بعد عودته إلى مصر من الخارج حيث كان يعمل مديرًا للندوة العلمية للشباب، **وظل الإشراف على هذا القسم بعده محجوزا لإخوان التنظيم الخاص وإخوان تنظيم ١٩٦٥ ومَن يرضون عنه.**

ملحوظة: د. حبيب و م. خيرت الشاطر و د. محمود غزلان ود. محمود حسين لم يكونوا محسوبين على جيل السبعينيات مع أنهم التحقوا بجماعة الإخوان في السبعينيات لأنهم لم يكونوا قيادات في الجماعة الإسلامية بالجامعة قبل انضمامهم.

داخل الجماعة، ولم تتبناه الجماعة أو تعتمده بشكل رسمي، وإنما احتاجوا إليه لفترات محدودة من باب التقية، ولإظهار الوجه المتسامح للجماعة، ولكن ظل التيار الحقيقي يعمل بقوة من خلال الأُسر والنشرات الداخلية ويدير الجماعة على الحقيقة كما ذكر موقع الإخوان [الويكيبديا].

✓ ويمكن اختصار ذلك فيما يلي، البنا في آخر مرحلة من حياته تغيرت في أفكاره أشياء كثيرة، وكما ذكرنا أنه كان مرجعًا لنفسه، فتغيرت وجهة نظره عن الحكام، ومن مسألة استعمال القوة، ومن باقي أفراد المجتمع الذين تعميهم غشاوة الدنيا فامتنعوا عن الدخول في الجماعة.

ولاحظ هنا أن هذه التغيرات هي محاور الفكر القطبي بحذافيرها، وبالتالي هذا التغير الفكري جعله ينظر للجهاز الخاص على أنه هو مستقبل الجماعة وربما كان من ضمن طموحه أن يعبئ الجماعة كلها في داخل هذا النظام[1]، وقد بدأ ذلك بالفعل ولكن الشروط الصعبة المطلوبة للانضمام لهذا الجهاز أدت إلى أن يكون قادة الجماعة – على الأقل – من داخل هذا النظام، وباقي أفراد الجماعة من عموم الناس الذين سيتم توجيههم بسهولة، ومما زاد الطين بلة أن الجهاز الخاص كانت له مناهج ودراسات خاصة تختلف عن باقي الرسائل الموجهة لعموم الأعضاء، مما أسهم أيضًا في توفير بيئة خصبة للعنف والتكفير معًا، وصارت سطوة هذا الجهاز تفوق كل شيء.

جاء في مقدمة رسالة التعاليم لحسن البنا والتي تتحدث عن أركان البيعة ما يلي:

---

(١) يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون» أحداث صنعت التاريخ – الجزء الأول: «وكان في نية الأستاذ المرشد أنه يتدرج في إنشاء الكتائب حتى يسلك فيها كل إخوان المركز العام على أن يقوم هو بنفسه فيه بدور التوجيه والتربية، فبدأ أول خطوة فيه بأن جمع من الرعيل الأول أربعين أخًا كانوا هم الكتيبة الأولى ما لبث أن جمع أربعين آخرين فكانوا الكتيبة الثانية وكان النظام يقتضي أن تتم كل كتيبة أربعين أسبوعًا».

«فهذه رسالتي إلى **الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين**[1] الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا في سبيلها، **إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات**، وهي ليست دروسًا تحفظ، ولكنها تعليمات تنفذ، فإلى العمل أيها الإخوان الصادقون: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

أما غير هؤلاء.. فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

✓ وقُتل البنا وسيطر هذا الجهاز على مقاليد الأمور مع وقوع الخلاف التنظيمي حول من له الأحقية في إدارة الجهاز، ومن له حق السمع والطاعة من جانب قائد الجهاز حيث تمثلت المعضلة الكبرى أن خليفة البنا كان من خارج الجماعة فرأى قائد الجهاز وقتها – عبد الرحمن السندي – أنه لا يلزمه أن يقدم الولاء والطاعة لشخص بمثابة الغريب على هيكل الجماعة ونظامها.

ومرت هذه الأزمة لصالح سيطرة الجماعة على الوضع، وما هي إلا سنوات حتى أعاد سيد قطب إحياء النظام في صورة تنظيم ٦٥، ثم استمر مشهور وزملاؤه في القيادة من الخلف وبنعومة شديدة إلى أن عادت الجماعة قطبية خالصة مرة أخرى.

تساؤلات حول كتاب «دعاة لا قضاة» للمرشد الثاني حسن الهضيبي:

من أحد الأمور الغامضة والمشكلة فيما يتعلق بموقف الإخوان من التكفير، ذلك الكتاب المثير للجدل والمنسوب إلى الأستاذ حسن الهضيبي، فقد ذكر الناشر في مقدمته

(١) لاحظ التفرقة هنا بين عموم الإخوان المسلمين، وبين الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين.

للكتاب ما يلي: «لقد كان مما ابتلي به الإخوان في سجونهم ومعتقلاتهم ما أظهره البعض من رأي بتكفير المسلمين أو التشكيك في حقيقة إسلامهم وإيمانهم. ولقد سارع الإخوان – رغم قسوة سجنهم ومعتقلاتهم – إلى تصحيح هذا الفهم، لا رهبة من أحد ولا زلفى لأحد، وقال مرشدهم الأستاذ حسن إسماعيل الهضيبي ردًا على تلك الدعوى، كلمته الجامعة التي حددت طريق الإخوان المسلمين وعبرت عن منهجهم وصورت مهمتهم (نحن دعاة ولسنا قضاة)».

وبالتالي فمن المفترض أن هذا الكتاب جاء ليعالج انحرافًا خطيرًا طرأ على الجماعة فيما يتعلق بموضوع التكفير في الوقت الذي زادت فيه حدة التكفير بدرجة كبيرة تزامنت مع تحركات سيد قطب بتنظيمه الجديد، ومع ذلك فإن تأليف الكتاب جاء متأخرًا عن الأحداث الساخنة التي مرت بها الجماعة في أزمة ٦٥، فلم يكن تأليف الكتاب ردًا على تنظيم ٦٥ أو محاولة لتقويم منهجه، ولكنه جاء بعد مرور الأزمة بسنوات.

إلا أن ثمة معضلات كبرى تستعصي على التأويل أو الجمع بين سلوك الجماعة وأقوال قادتها وبين ما جاء في هذا الكتاب، منها أن **تنظيم سيد قطب لم يتحرك إلا بإذن من الهضيبي، ولكن على** الرغم من أن الهضيبي هو صاحب الكتاب، ورغم أن الكتاب من المفترض أنه يرد على سيد قطب إلا أن تحركات سيد (كتنظيم وكفكرة) كانت بإذن من الهضيبي، تقول زينب الغزالي في مذكراتها[1]:

«قررنا فيما قررنا بتعليمات من الإمام سيد قطب وبإذن الهضيبي أن تستمر مدة التربية والتكوين والإعداد والغرس لعقيدة التوحيد في النفوس.

والقناعة بأنه لا إسلام إلا بعودة الشريعة الإسلامية وبالحكم بكتاب الله وسنة رسوله لتصبح شريعة القرآن مهيمنة على كل حياة المسلمين، قررنا أن يستغرق برنامجنا

---

(١) يعتبر كتاب «أيام من حياتي» – على صغر حجمه – مذكرة مهمة لحقبة حرجة من تاريخ الإخوان، وفيه تفاصيل وأحداث تخص الفترة ما بين (١٩٦٤ إلى ١٩٧١)، ولكنها لا تخلو من التهويل والمبالغة عند سرد الأحداث والوقائع.

التربوي ثلاثة عشر عامًا -عمر الدعوة في مكة- **على أن قاعدة الأمة الإسلامية الآن هم الإخوان الملتزمون بشريعة الله وأحكامه،** فنحن ملزمون بإقامة كل الأوامر والنواهي الواردة في الكتاب والسنة في داخل دائرتنا الإسلامية..

والطاعة واجبة علينا لإمامنا المبايَع، على أن إقامة الحدود مؤجلة، مع اعتقادها والذود عنها، حتى تقوم الدولة.. وكنا على قناعة كذلك بأن الأرض اليوم خالية من القاعدة التي تتوافر فيها صفات الأمة الإسلامية الملتزمة التزامًا كاملًا، كما كان الأمر في عهد النبوة والخلافات الراشدة، ولذلك وجب الجهاد على الجماعة المسلمة حتى يعود جميع المسلمين للإسلام، فيقوم الدين القيم، لا شعارات ولكن حقيقة عملية واقعة.

ودرسنا كذلك وضع العالم الإسلامي كله، بحثًا عن أمثلة لما كان قائمًا من قبل بخلافة الراشدين، **والتي نريدها نحن في جماعة الله الآن،** فقررنا بعد دراسة واسعة للواقع القائم المؤلم، أنه ليست هناك دولة واحدة ينطبق عليها ذلك، واستثنينا المملكة العربية السعودية مع تحفظات وملاحظات يجب أن تستدركها المملكة وتصححها، **وكانت الدراسات كلها تؤكد أن أمة الإسلام ليست قائمة،** وإن كانت الدولة ترفع الشعارات بأنها تقيم شريعة الله**!**

وكان فيما قررناه بعد تلك الدراسة الواسعة، أنه بعد مضي ثلاثة عشر عامًا من التربية الإسلامية للشباب والشيوخ والنساء والفتيات، نقوم بمسح شامل في الدولة، فإذا وجدنا أن الحصاد من أتباع الدعوة الإسلامية المعتقدين بأن الإسلام دين ودولة، والمقتنعين بقيام الحكم الإسلامي قد بلغ ٧٥٪ من أفراد الأمة رجالًا ونساءً، نادينا بقيام الدولة الإسلامية، وطالبنا الدولة بقيام حكم إسلامي، فإذا وجدنا الحصاد ٢٥ ٪ جددنا التربية والدراسة لمدة ثلاثة عشر عامًا أخرى، وهلم جرا، حتى نجد أن الأمة قد نضجت لتقبل الحكم بالإسلام.

وما علينا أن تنتهي أجيال وتأتي أجيال، المهم أن الإعداد مستمر، المهم أن نظل نعمل حتى تنتهي آجالنا ثم نسلم الراية مرفوعة بـ «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» إلى الأبناء الكرام الذين يأتون من بعدنا».

وتقول أيضًا: «رأينا خلال فترة الإعداد التربوي أن يكون هناك مستشار يشرح ويوضح لنا توجيهات سيد قطب وتعليماته، ولذلك قررنا ورأينا أن يكون الأستاذ محمد قطب هو مرجعنا، وبإذن من المرشد الهضيبي كان الأستاذ محمد يأتي بشكل دوري إلى بيتي في مصر الجديدة، ليوضح للشباب ما غمض عليهم فهمه، وكان الشباب يستوضحونه ويسألونه أسئلة كثيرة يجيب عنها».

يقول أحمد عبد المجيد صاحب كتاب (الإخوان وعبد الناصر) نقلاً عن سيد قطب: «عندما شكا أعضاء مكتب الإرشاد، وهم في سجن الواحات -وكان المرشد تحت الإقامة الجبرية- من آراء سيد قطب الواردة (في ظلال القرآن) ونقلوا شكواهم وشكوى الإخوان منها في هذا السجن للمرشد حسم الشكوى لصالح سيد قطب، فأجابهم:

«ما قاله صاحب الظلال هو الحق الذي لا شك فيه»، ومن بعدها بدأ الإخوان يتدارسون الظلال في سجن الواحات في صورة مجموعات، بإشراف أعضاء مكتب الإرشاد، وكذلك تم نفس الشيء في سجن القناطر باستثناء البعض. وتم ذلك على اعتبار كلام المرشد موافقة على ما ورد في الظلال.. ولما سئل المرشد عن كتاب (معالم في الطريق) قال: إنه كتاب عظيم».

بل والأوضح من ذلك ما ترويه زينب الغزالي في مذكراتها أنها قابلت المرشد وسألته عن سيد وعن كتابه المعالم، فتقول:

«وعلمت أن المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه.. وحين سألته قال لي: على بركة الله.. إن هذا الكتاب حصر أملي كله في سيد، ربنا يحفظه، لقد قرأته وأعدت قراءته، إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن -إن شاء الله- وأعطاني المرشد ملازم الكتاب فقرأتها فقد كانت عنده لأخذ الإذن بطبعها وقد حبست نفسي في حجرة بيت المرشد حتى فرغت من قراءة «معالم في الطريق».

فهل كان الهضيبي في «دعاة لا قضاة» يرد على الأفكار التي يرى أن صاحبها هو الأمل المرتجى؟!. بالإضافة – وحسب رواية زينب الغزالي – أنَّ الهضيبي قد أسلم الجماعة – فكرًا وتنظيمًا – لسيد قطب، تقول زينب الغزالي في مذكراتها:



«وكان اعتقال سيد قطب كالصاعقة بالنسبة لجميع الشباب، فضلًا عنا نحن، **فقد كان الهضيبي قد أوكل كل المسئوليات لسيد قطب**، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبي، وكان علينا بعد اعتقاله أن نرجع إلى المرشد العام، نستأذنه فيمن يتولى المسئولية بدلًا من سيد».

رأى اللواء فؤاد علام:

كشف اللواء فؤاد علام – وكيل مباحث أمن الدولة الأسبق – في كتابه «الإخوان وأنا» ما يلي:

«خططنا في ذلك الوقت لأن نستغل جناحًا كان معارضًا إلى حد ما لفكر التكفير، ونجح الأمن في أن يدفع حسن الهضيبي من دون أن يدري لأن يصدر كتاب (نحن دعاة ولسنا قضاة).. وحقيقة الأمر، أن حسن الهضيبي لم يشارك بأي رأى أو فتوى في هذا الكتاب ولم يفعل فيه شيئًا، وإنما تم إعداده بواسطة بعض علماء الأزهر.

ورسمنا خطة أمنية دقيقة لإدخال الأبحاث والآراء لبعض العناصر الإخوانية في ليمان طرة، وكانوا يجتمعون بمأمون الهضيبي ويناقشونه ويسلمونه الأبحاث. وقام بنسبتها إلى نفسه وسلمها لوالده حسن الهضيبي على أساس أنه هو الذي قام بإعدادها. والحقيقة أنه لم تكن له أدنى علاقة بهذا الكتاب من قريب أو بعيد.. وتركنا حسن الهضيبي يسرب الكتاب إلى خارج السجن من دون أن يشعر، وسهلنا عملية طبعه ونشره. وسيفاجأ الإخوان بهذه المعلومات التي تذاع لأول مرة».

الرأي المختار:

إذًا كيف نجمع بين الكلام المنضبط المذكور في كتاب «دعاة لا قضاة» والمفترض أنه جاء للرد على «معالم في الطريق»، وبين كَوْنِ كاتب هذا الكلام المنضبط هو الذي أجاز مؤلفات سيد قطب وهو الذي أشرف على مشروعه الفكري وعلى تنظيمه الحركي؟!

غالب الظن – وبعيدًا عن تأويلات اللواء فؤاد علام – أن البنا نفسه قد تبنى رأيين في هذه المسألة، كل رأى قد مَثَّل مرحلة زمنية من حياته، فالرأي الأول يتوافق مع ما

جاء في كتاب (دعاة لا قضاة) وقد تبناه البنا في بدايات دعوته وقبل أن ينشئ النظام الخاص، والرأي الثاني هو الذي استقر عليه البنا في الفترة الأخيرة من دعوته وهو الذي كان يُدَرَّس لأعضاء النظام الخاص.

وبالتالي – فالظاهر – أنه كان لدى الإخوان منذ عصر البنا جناحان، الأول هو التيار العام للجماعة والذي ربما لا يتحمل فهم هذه القضايا ولا يستوعب دعاوى التكفير وفتاوى القتل، والجناح الآخر يتكون من أعضاء النظام الخاص الذي أنشأه حسن البنا وأعاد إحياءَه سيد قطب في تنظيم ٦٥.

إذًا فالتيار القطبي هو تيار بنائي في الحقيقة، ولكنه الوجه الخفي من الفكر البنائي، أما الرأي الآخر فلم يمثله من قيادات الجماعة سوى عمر التلمساني والذي كان وجوده ضروريًا في تلك الفترة، وذلك لإظهار الوجه المرن والمتفاهم للجماعة، وقد قام بالفعل بتنفيذ المهمة بنجاح – كما أسلفنا – وما إن خرج الإخوان من السجون حتى أعادوا القبضة الحديدية على مفاصل الجماعة وخرج كل من كان دخيلًا عليهم أو منسوبًا لتيارها الإصلاحي، ويظهر هذا جليًّا فيما كتبه الأستاذ حسن دوح في كتابه «٢٥عامًا في جماعة الإخوان»:

«كان الجهاز الخاص يمثل قمة الفداء والإخلاص للجماعة وكان قادته يمثلون الوجه الخلفي لحسن البنا حتى خيل إلينا في يوم ما أن حسن البنا له شخصيتان؛ الشخصية الأخرى فهي تقيم في معسكر حزبي زاخر بالفدائيين الأبطال، ولأول مرة التقيت فيها بعبد الرحمن السندي زعيم الجهاز السري خيل إلي أنه الشخصية الثانية لحسن البنا..

تصورته حسن البنا وهو شاكي السلاح يستعد لمعركة الإسلام الحاسمة، إن عبد الرحمن كان شخصية «أسطورية» حتى أنه لم يكن معروفًا باسمه، بل كان يطلق عليه رقم (١) وإنني لن أنسى أول لقاء لي معه، فقد سبق هذا اللقاء فترة من الإعداد النفسي لنا حتى نحظى برؤيته، ويوم أن اجتمعنا به خيل إلي أن الأرض قد انشقت لتخرج هذا الرجل من باطنها...

ولقد حيرتني شخصيته في أول لقاء لي معه.. أنه في مظهره لا يمت للعسكرية بشيء فهو رقيق المظهر خجول حيي لأبعد حد، يصلح أن يكون ممرضًا أو سكرتيرًا أنيقًا لمدير أنيق.. لقد أجاد عبد الرحمن دوره بإتقان لا مثيل له وهو يظهر علينا لأول مرة..

فكان يلقي إلينا بأسئلة محددة، وكنا نجيبه بكل تحفظ مخافة الخطأ في حضرته.. فلما تبسط معنا وتهيأ لاستقبال أسئلتنا لم نستطع أن نتفوه بأكثر مما سمح لنا به.. لقد خيل إلي أن الرجل يعرف ما نكنه في صدورنا وما نخفيه في أنفسنا، وعلى الرغم من رقة الرجل ووداعته إلا أنني شعرت بالخوف منه **لأن إفشاء سره أو سر جهازه معناه فقدان حياتي**».

الأستاذ محمد قطب يوضح العلاقة بين حسن البنا وسيد قطب:

ومما يدعم الرأي السابق ما جاء على لسان محمد قطب في الحوار الذي أجراه معه كمال حبيب في مكة المكرمة، حيث جاء فيه ما يلي(١):

سألته: أين نضع فكر سيد قطب من تطور الحالة الفكرية للحركة الإسلامية؟

فكر سيد قطب هو الامتداد الحقيقي لفكر حسن البنا؛ فحسن البنا في رسالة التعاليم يقول: «ولا نكفر مسلمًا بذنب متى نطق بالشهادتين وعمل بمقتضاها»، وسيد قطب يتحدث عن قيد أو شرط «وعمل بمقتضاها»(٢).

---

(١) قام موقع «إسلام ويب» بنشر الحوار في يوليو ٢٠٠٧.

(٢) هذا الكلام من محمد قطب بخصوص فكر سيد قطب، يعد موهمًا للغاية، حيث إنه قرر أن العنوان العام لفكر سيد هو الحديث عن لوازم قول: لا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها، والحقيقة أن الإشكال في فكر سيد ليس في الحديث عن مقتضيات قول: لا إله إلا الله حيث إن كل من تكلم في العقيدة تطرق إلى شروط قول لا إله إلا الله حتى تنفع صاحبها يوم القيامة، وما هي الأعمال التي تعد من نواقض لا إله إلا الله، والفرق الجوهري بين عامة علماء السلف وبين سيد قطب، هو في :

أنهم يتحدثون عن شروط لا إله إلا الله حتى تنفع صاحبها يوم القيامة، وهي شروط قلبية مثل (العلم – اليقين – القبول – الصدق – الإخلاص – الانقياد – المحبة)، وليس لها علاقة بقبول الشهادتين ممن يقولها بلسانه في الدنيا، فقد جاء في الحديث: «**أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله عَصَمُوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحَقِّها وحسابهم على الله**» وقوله لأسامة بن زيد: «**أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**» قال: إنما قالها تَعَوُّذًا. قال: «**هَلاَّ شَقَقْتَ عن قلبه؟**» وقال: «**إني لم أومر أن أنقِّبَ عن**
=

وأضاف: لا شك أن الإخوان قدموا نموذجًا مهمًّا في الجندية والتكافل، لكن في جوانب أخرى أهملوها ولم يوجهوا لها الاهتمام الكافي.

ويقول: في عام ١٩٤٨ حدث وعي جديد عند حسن البنا تمثل في أن الحكام ليسوا مسلمين إذا لم يحكِّموا شريعة الله، وأتباعه الذين جاؤوا من بعده إما أنهم لم يدركوا هذا الوعي الجديد في خط تفكيره أو أهملوه عن قصد [1].

سألته: ولكن متى حدث التحول الفكري الحقيقي عند سيد قطب؟

التحول الفكري نشأ عند سيد بعد مذبحة ١٩٥٤، فعبد الناصر ذبح الإخوان في السجون[2]، والجماهير كانت تصفق له، وتساءل: هل لو كانت هذه الجماهير تملك الوعي كانت ستصفق للطاغية؟! وتناقش سيد في هذا الأمر مع الشيخ محمد هواش، وانتهى الاثنان إلى أن هذه الجماهير لو كانت تعلم حقيقة لا إله الا الله ما كانت صفقت للطاغية، من هنا يجب أن تبدأ الدعوة من كلمة التوحيد.

ويؤكد ذلك أيضًا صلاح شادي الذي كان مسئولًا عن قسم «الوحدات» بالجماعة في كتابه «الشهيدان – حسن البنا وسيد قطب» يقول فيه: «لقد كان حسن البنا البذرة الصالحة للفكر الإسلامي، وكان سيد قطب الثمرة الناضجة لهذا الفكر». وقد نقل الحاج عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان» عن الأستاذ الهضيبي قوله: «إنه – أي الهضيبي – لا يعلم أن للأستاذ سيد قطب فكرًا يُغاير فكر الإخوان المسلمين».

=**قلوب الناس، ولا أشُقَّ بطونهم»**. أما هو فإنه يضع مقتضيات ولوازم لقبول لا إله إلا الله من صاحبها، أو لاستمرار عصمة دمه وماله بقولها، وهذه المقتضيات ليست من الشرع في شيء، بل هي من عنديات نفسه كما هو الحال في تصوره عن مسائل الولاء والبراء، ومسائل الحكم بغير ما أنزل الله.

(١) هذا التحول الذي يتحدث عنه محمد قطب لو كان من باب المعلومات وليس التحليلات، فإنه يؤكد ما سبق ذكره من عدم وجود فروق بين التيار البناوي والتيار القطبي، ويحوِّل هذه الفرضية إلى يقين بحثي أو حقيقة تاريخية.

(٢) لا ننكر أن هناك تجاوزات تمت داخل السجون والمعتقلات، ولكن الأمانة العلمية تقتضي إثبات أن التكفير نشأ عند الإخوان قبل قضية التعذيب بزمن طويل في آخر حياة البنا، ولكن دأب الإخوان عَلَى اعتماد هذه الرواية ليظهروا في مظهر الضحية، وليبرروا هذه اللوثة التكفيرية عندهم.



ومن المناسب هنا أن ننقل كلام سيد قطب عن حسن البنا، حيث يتضح من خلاله حجم التقارب الفكري بين الشخصين، يقول سيد قطب رحمه الله في إحدى مقالاته التي جمعت في كتاب تحت عنوان (دراسات إسلامية):

«في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور، وحكمة مدبرة في كتاب مسطور.. حسن البنا.. إنها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه.. ولكن من يقول: إنها مصادفة، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء، وإحسان البناء، بل عبقرية البناء؟

لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيرًا من الدعاة.. ولكن الدعاية غير البناء.. وما كل داعية يملك أن يكون بناء، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة في البناء.

هذا البناء الضخم.. الإخوان المسلمون.. إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات..إنهم ليسوا مجرد مجموعة من الناس، استجاش الداعية وجداناتهم، فالتفوا حول عقيدة..إن عبقرية البناء تبدو في كل خطوة من خطوات التنظيم.. من الأسرة إلى الشعبة، إلى المنطقة، إلى المركز الإداري، إلى الهيئة التأسيسية، إلى مكتب الإرشاد.

هذه من ناحية الشكل الخارجي، وهو أقل مظاهر هذه العبقرية، ولكن البناء الداخلي لهذه الجماعة أدق وأحكم، وأكثر دلالة على عبقرية التنظيم والبناء.. البناء الروحي..هذا النظام الذي يربط أفراد الأسرة وأفراد الكتيبة وأفراد الشعبة. هذه الدراسات المشتركة، والصلوات المشتركة، والتوجيهات المشتركة، والرحلات المشتركة، والمعسكرات المشتركة.. وفي النهاية هذه الاستجابات المشتركة والمشاعر المشتركة التي تجعل نظام الجماعة عقيدة تعمل في داخل النفس، قبل أن تكون تعليمات وأوامر ونظمًا.

والعبقرية في استخدام طاقة الأفراد، طاقة المجموعات، في نشاط لا يدع في نفوسهم ولا يدعهم يتلفتون هنا أو هناك يبحثون عما يملأون به الفراغ..إن مجرد استثارة الوجدان الديني لا يكفي.. وإذا قصر الداعية همه على هذه الاستثارة فإنه سينتهي بالشباب خاصة إلى نوع من الهوس الديني، الذي لا يبني شيئًا، وإن مجرد

الدراسة العلمية للعقيدة لا تكفي. وإذا قصر الداعية همه على هذه الدراسة، فإنه سينتهي إلى تجفيف الينابيع الروحية التي تكسب هذه الدراسة نداوتها وحرارتها وخصوبتها. وإن مجرد استثارة الوجدان والدراسة معًا لا يستغرقان الطاقة، فستبقى هنالك طاقة عضلية، وطاقة عملية، وطاقة فطرية أخرى في الكسب والمتاع والشهرة والعمل والقتال.

وقد استطاع حسن البنا أن يفكر في هذا كله.. أو أن يُلهَم هذا كله، فيجعل نشاط الأخ المسلم يمتد- وهو يعمل في نطاق الجماعة- إلى هذه المجالات كلها، بحكم نظام الجماعة ذاته، وأن يستنفد الطاقات الفطرية كلها، في أثناء العمل للجماعة، وفى مجال بناء الجماعة.. استطاع ذلك في نظام الكتائب، ونظام المعسكرات، ونظام الشركات الإخوانية، ونظام الدعاة، ونظام الفدائيين، الذين شهدت معارك فلسطين ومعارك القنال نماذج من آثاره، تشهد بالعبقرية لذلك النظام.

وعبقرية البناء في تجميع الأنماط من النفوس، ومن العقليات ومن الأعمار، ومن البيئات.. تجميعها كلها في بناء واحد. كما تتجمع النغمات المختلفة في اللحن العبقري.. وطبعها كلها بطابع واحد يعرفون به جميعًا، ودفعها كلها في اتجاه واحد.. على تباين المشاعر والإدراكات والأعمار والأوساط، في ربع قرن من الزمان.

ترى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه؟ أو أنها الإرادة العليا التي تنسق في كتابها المسطور بين أصغر المصادفات وأكبر المقدورات في توافق واتساق؟

ويمضي حسن البنا إلى جوار ربه، يمضي وقد استكمل البناء أُسُسَهُ،يمضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له: عملية جديدة من عمليات البناء.. عملية تعميق للأساس، وتقوية للجدران. و ما كانت ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة في نفوس الإخوان، كما ألهبتها قطرات الدم الزكي المهراق.

إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة. وحينما سلط الطغاة الأقزام الحديد والنار على الإخوان، كان الوقت قد فات. كان البناء الذي أسسه حسن البنا قد استطال على الهدم، وتعمق على الاجتثاث. كان قد



استحال فكرةً لا يهدمها الحديد والنار، فالحديد والنار لم يهدما فكرة في يوم من الأيام. واستعلت عبقرية البناء على الطغاة الأقزام، فذهب الطغيان، وبقي الإخوان.

ومرة بعد مرة، نزت في نفوس بعض الرجال- من الإخوان- نزوات..وفي كل مرة سقط أصحاب هذه النزوات كما تسقط الورقة الجافة من الشجرة الضخمة، أو انزوت تلك النزوة، ولم تستطع أن تحدث حدثًا في الصفوف.

ومرة بعد مرة، استمسك أعداء الإخوان بفرع من تلك الشجرة، يحسبونه عميقًا في كيانها، فإذا جذبوه إليهم جذبوا الشجرة، أو اقتلعوا الشجرة.. حتى إذا آن أوان الشد خرج ذلك الفرع في أيديهم جافًا يابسًا كالحطبة الناشفة، لا ماء فيه ولا ورق ولا ثمار! إنها عبقرية البناء، تمتد بعد ذهاب البناء..».

وقد قام سيد قطب بكتابة مقال في ذكرى رحيل حسن البنا جاء فيه:

«ألا ما أسرع الزمن! وما أقصر ما تنقضي الأيام! وما أشد ما تتبدل الأحوال. لو كان الطغاة يدركون ويعتبرون! أنها لم تكن إلا سنوات أربع تنقص ولا تزيد.. أربع سنوات بين مقتل الشهيد الذي ضجت له الأرض والسماء ومصرع الطاغية الذي لم يأس عليه أحد لأنه أغضب الأرض والسماء، لم تكن إلا سنوات أربع تنقص ولا تزيد منذ أن ظن الديكتاتور أنه تخلص من خصمه الأعزل الذي يطارده ويقض مضجعه وحسب أنه سيعيش آمنًا على طاغوته، آمنًا على لذائذه، ولكنه لم يعش ليلة واحدة آمنًا منذ ليلة الجريمة فمنذ عام ١٩٤٨ ومصر كلها قد انقلبت تطارد فاروق.. الجامعة تمزق صوره وتحرقها وتدوسها بالنعال، والأقلام الحرة تناوشه وتفري جلده بالسياط وألسنة العامة تتندر عليه وتمزق سمعته في الأسواق وقلوب الجماهير ترسل شواظًا ودخانًا من نار.. لم يبت فاروق ليلة واحدة في أمان حتى لياليه الحمر لقد كان يقضيها منذ ذلك الحين تحت الحراسة الشديدة وفي فزع ورعب قاتلين.

لقد انتصر حسن البنا الشهيد الأعزل، فلا نملك الحديث عنه، ولكننا نسجل انتصار الحق وخذلان الباطل، نملك أن نسجل مصير الطغيان.. نملك أن نسجل أن الدعوات لا يمكن قتلها بقتل الرجل.. نملك أن نسجل مصداق قوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ ﴾... [الأنبياء: ١٨] صدق الله العظيم».

ومع كل ما سبق إلا أنه بقيَ لدينا احتمال آخر، يتمثل في أن تأليف الهضيبي للكتاب، كان خطوة للتعبير عن تراجعه في دعم الفكر التكفيري بعدما ظهر له خطره، وبعدما عانى من ويلاته داخل السجون، حيث أصبح التكفير الصريح شائعًا بين أبناء الدعوة الواحدة، وبعدما تيقن من فشل تجربة المواجهة بالقوة، التي كانت نتائجها ثمارًا حنظلية شاهدها أمام عينيه.

ومما يدعم هذه الوجهة أن الكتاب جاء تأليفه متأخرًا عن الوقت الذي كان فيه الهضيبي داعمًا قويًا لسيد قطب، ويرى أنه أمل الدعوة، فليس ببعيد أن يتراجع هو أو غيره عن فكرة ظل يدعمها طويلًا، بعدما تبين له فشلها وخطورتها وأنها لم تكن أملًا بل كانت حلمًا لم يتحقق منه شيء فانتهى إلى خراب ودمار.

يقول الأستاذ / أحمد عبد المجيد في كتابه «الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥» تحت عنوان: هبوب العاصفة:

«سأحاول بإذن الله أن أكون محايدًا دون انتصار لرأي على آخر حتى تكون النظرة علمية في معالجة هذه الأمور الحساسة. فعندما وصل إخوان ١٩٦٥ إلى قنا، طلب منهم الإخوان القدامى المحكوم عليهم في عام ١٩٥٤ بعد فترة من استقرارهم كتابة بعض الأوراق الخاصة بآرائهم، وقالوا: إننا نريد أن نسمع منكم بعد الزوبعة التي أثيرت حولكم، والكلام الذي قيل عنكم بأنكم تكفرون الناس، وتصدرون الأحكام السريعة، وترمون الحاكم بالكفر، وقد ساهمت أجهزة الإعلام المختلفة في ذلك.

وقد أوضح لهم إخوان ١٩٦٥ الأمر وأنهم لا يقولون بذلك، ولا نكفر أحدًا دون ضوابط شرعية، ثم إنه ليست قضيتنا هي إصدار الأحكام على الناس والانشغال بذلك، بل نحن ندعو الناس إلى الإسلام بصورته الواضحة الناصعة التي نزل بها على رسول الله ﷺ مع تبيان ما هم فيه مِن الانحراف عن منهج الله حتى يفيقوا ويرجعوا إلى الله.

وبعدها تم كتابة مذكرة تقع في أربع وثلاثين صفحة (فولسكاب) تشرح جوانب العقيدة، وما عليه أعضاء تنظيم ١٩٦٥، اشترك في كتابتها البعض أذكر منهم الشيخ

فتحي رفاعي، مبارك عبد العظيم، وعبد المجيد الشاذلي. وبعد فترة من تسلمهم هذه المذكرة، قالوا: إنه سيحضر مذكرات في هذا الشأن تعالج القضايا والاستفسارات المثارة وستكون من الأستاذ المرشد وعلينا جميعًا أن ننتظر ذلك. وبعد فترة وصل خطاب من فضيلة الأستاذ حسن الهضيبي – المرشد العام – كان مما جاء فيه: «**... وما كنت أعلم أن صاحب الظلال قد غيَّر في مفهوم الجماعة**».

وكانت صدمة شديدة لأفراد قضية ١٩٦٥ بالذات، فهل سيد قطب بعد ما بذل وجاهد حتى قتله الطغاة، تكون هذه نظرة الجماعة إليه؟. وكان بعضهم يقول: إننا نعلم أن سيدًا اقتفى أثر أهل السنة والجماعة فيما قال وكتب ولم يأت ببدع جديدة، ثم قال: إنه غير في مفهوم الجماعة، وهل مفهوم الجماعة يخالف ما عليه السلف؟ وحدثت تساؤلات واستفسارات كثيرة، مع حيرة واضطراب ودوامة عاش فيها هؤلاء الشباب في تلك الأيام واستمر تأثيرها فيما بعد.

وكان بالإمكان التريث والتأكد قبل الوصول لإثارة النفوس ولكن لم يحدث ذلك، ولم تمض فترة طويلة حتى وصلت تلك المذكرات والتي عارضها إخوان ١٩٦٥ جميعًا بلا استثناء وكذلك بعض إخوان ١٩٥٤، والبعض أبدى عليها بعض الملاحظات أما بقية إخوان ١٩٥٤ فقد وافقوا عليها بلا تحفظ باعتبارها تتفق مع آرائهم، إلى جانب أنها صادرة من الأستاذ المرشد رحمه الله باستثناء البعض منهم كما ذكرت.

وأعيدت للأستاذ المرشد – في مزرعة طره – مع الملاحظات، والاعتراضات، وعلمنا أن كثيرًا من إخوان طرة والمزرعة والقناطر أيضًا لهم اعتراضات واستفسارات كثيرة على ما ورد فيها. فجزاهم الله خيرًا على صبرهم الطويل وما لاقوه، بعد أن سجلوا صفحة ناصعة لموكب الدعاة، وما يلقونه في سبيل الله».





الفصل الثاني

موقف جماعة الإخوان من قضية العنف



الفصل الثاني:
موقف جماعة الإخوان من قضية العنف

بعد دراسة موقف جماعة الإخوان من قضية التكفير، وبيان أن الجماعة كان لديها من قديم نزعات تكفيرية مستترة تستعملها مع من تحب في الوقت الذي تحب، فربما يكون من السهل بعض الشيء على الباحث أنْ يتناول قضية العنف، لأنَّ العنف لا يستخدم غالبًا إلا بعد منطلقات فكرية تكفيرية تسمح له بممارسة العنف بكل أريحية وبدون أدنى درجة من درجات تأنيب الضمير.

ومع أن تحركات جماعة الإخوان المسلمين على الساحة المصرية في الفترة الأخيرة قد أثارت عددًا كبيرًا من الشكوك والتساؤلات حول موقفها من العنف، ومن مشروعية استخدامه أو إمكانية اللجوء إليه - إذا لزم الأمر – إلا أن المطلع على تاريخ الجماعة كتراث وممارسة سوف تنجلي عنده كثير من هذه التساؤلات.

بيد أن الجماعة التي ظلت محتفظة بسلميتها في الممارسة الدعوية والسياسية لفترة طويلة من الزمن – وربما كان هذا من أهم أسباب حسن ظن الكثيرين بها - قامت هي وكشفت المستور عن موقفها الحقيقي من هذه القضية على لسان عدد كبير من مسئوليها وأعضائها، ثم جاءت الممارسة العملية على الأرض لتبرهن على ذلك وتؤكده حتى صار حقيقة مؤكدة لا يختلف عليها أي متابع للمشهد أو مراقب للأحداث.

وقد تفاوت الناس في استقبال هذه الصدمة إلى أنواع عدة:

❍ منهم من فُجع بها لفكرته الحسنة عن الجماعة وعن أعضائها خصوصًا أنها تتبع طريقة جيدة في جذب المدعوين، وتعمل أيضًا في العمل الخدمي والخيري، وكان لها ذكر حسن عند كثير من الناس، إضافة إلى أنهم متداخلون في المجتمع بشكل إيجابي مما يجعل التعرف عليهم لا تكتنفه صعوبة أو مشقة.

❍ ومنهم فريق عرف عن الجماعة شيئًا من التفاصيل من خلال الاحتكاك المباشر مع أعضائها في محيط العمل الدعوي والاجتماعي وقد تفهم هؤلاء ملامح أساسية للشخصية الإخوانية ولطريقة تربيتها وتوصلوا إلى كثير من مفاتيحها وطرق التعامل معها ولكنهم لم يتخيلوا يومًا ما أن يصل بهم الحال إلى ما وصل إليه مؤخرًا.

❍ وهناك فريق آخر كان يعلم عن الجماعة وعن تاريخها أشياء كثيرة وعرف من هذا التاريخ أسرارًا عديدة مختبئة في بطون الكتب وبين سطور دراسات أكاديمية وبحثية ولكن كانت الثقة في هؤلاء ضعيفة نسبيًا حيث كان أغلبهم ممن انشق عن جماعة الإخوان أو من الكتَّاب المعادين للتيار الإسلامي عمومًا وللإخوان خصوصًا فكان الزهد أو التشكيك في صحة هذه الأبحاث ديدن الكثيرين من أتباع التيار الإسلامي تجاه هذه الأبحاث والدراسات، وهذا بلا شك خطأ كبير جعلنا نغض الطرف عما بهذه الأبحاث من كشف للحقيقة وبيان لحقبة من التاريخ لا يجوز أن تُطوى أو تُنسى.

ولكن إن كان لنا في الماضي عذر فلا يسعنا السكوت الآن بعد أن مارست الجماعة العنف، وبارزت المجتمع، وواجهت الدولة – وليس فقط النظام –، وقد سمحت لنفسها في سبيل ذلك بتجاوز كثير من المحرمات وانتهاك كثير من الحرمات.

هذه المستجدات دفعتنا بشكل عاجل إلى العودة إلى منابع العنف في هذه الجماعة ودراسة تاريخها بشكل متأنٍ حتى نصل إلى الحقيقة في هذه التهم البشعة الموجهة للجماعة، وإلى تفسير مقنع لما تنتهجه من عنف كممارسة على الأرض.

وفي سبيل الوصول إلى ذلك لن نُبحرَ بعيدًا عن الشاطئ الإخواني ولن نلجأ إلى كتابات المناوئين والأعداء، لأننا أولًا لا نمتلك رغبة في تشويه الجماعة بل كنا نتمنى أن تتبرأ من ذلك، وثانيًا أن فيما كتبه قادة هذه الجماعة وما هو مدون في صحائفهم فيه غنية وكفاية.

وهذه القضية تم تناولها في عدد من الكتب التي كُتبت بأيدي قادة مبرزين في الجماعة، ومن الجيل الذي عاصر تأسيس الجماعة وتعامل مع البنا مباشرة، وقد دونوا شهادتهم ورؤيتهم في هذه الكتب، وعلى رأس هذه الكتب أربعة مؤلفات شهيرة هي:

«حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين» للأستاذ/ محمود الصباغ.



وهذا الكتاب يعد واحدًا من أخطر وأهم ما كتبه الإخوان عن تاريخهم وعن قصتهم مع العنف ومع استعمال السلاح، وقد بدأ الكتاب بمقدمة وتقريظ بقلم واحد من أهم أعمدة النظام الخاص وهو المرشد الخامس للجماعة الأستاذ مصطفى مشهور قال فيها:

«وفي مجالات عملي بالجماعة شاركت في «النظام الخاص» وفي قيادته فترة من الزمان.. وقد أدى هذا الجهاز الدور الذي أنشئ من أجله ضد المحتل البريطاني، وضد العدو الصهيوني.. وقد عرض الأخ الأستاذ محمود الصباغ في هذا الكتاب الكثير من هذه الصفحات المشرقة.. فجزاه الله خيرًا، ونفعه ونفع به. وقد تعرفت على الأخ محمود الصباغ في مراحل الدراسة الثانوية والجامعية.. وقد تشرف هو أيضًا بالانتماء إلى «جماعة الإخوان المسلمين» وساهم بالعمل في مجالات الدعوة، وبالعمل في «النظام الخاص» وشارك في قيادته كذلك، ولعل من توفيق الله ﷻ أن يكون هذا الكتاب بعنوان «حقيقة النظام الخاص» فقد تميز بأن مؤلفه اجتهد في تحري الحقيقة من واقع الممارسة العملية.. لا النقل والسماع، وأنه أيد معظم ما جاء به بأحكام قضائية، وشهادات كبار الشهود..»[1].

«صفحات من التاريخ.. حصاد العمر» للأستاذ/ صلاح شادي.

مؤلف الكتاب هو اللواء صلاح شادي الذي تخرّج ضابطًا من كلية الشرطة عام ١٩٤٠، ثم التحق بجماعة الإخوان المسلمين في عام ١٩٤٢، وتربى على يد الأستاذ حسن البنا، وقد كان قريبًا جدًا منه، يقول الأستاذ عمر التلمساني في كتاب «ذكريات لا مذكرات»:

«وأنا لا أدعي أني كنت من أكثر الإخوان صلةً بالأستاذ لأن عملي وإقامتي لم يكونا في أول الأمر بالقاهرة بل كان من الإخوان من هو أكثر صلة به مني؛ أمثال د. حسين كمال الدين واللواء صلاح شادي والأستاذين صالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق وأمثالهم».

---

(١) حرصنا على هذا النقل بالذات، لأن الإخوان ديدنهم أنهم يطعنون في صحة المصادر ويصفونها بعدم الموثوقية، ولكن هذا الكتاب له شأن آخر،حيث إنه معتمد بأعالي الأسانيد، فمؤلفه أحد قادة النظام الخاص، ومقرظه أحد قادته أيضًا وقد شهد له بتحري الدقة وإصابة كبد الحقيقة.

وقد تولى صلاح شادي رئاسة قسم الوحدات (الجناح الإخواني داخل الشرطة) يحكي صلاح شادي عن تجربته قائلًا: «وفي سنة ١٩٤٤م، وبعد أن أسند إليَّ المرشد العمل بقسم الوحدات جمعني والصاغ محمود لبيب والسندي وحسين كمال الدين لتنسيق العمل كلٌّ في اختصاصه، وأدركت حينذاك استقلال الصاغ محمود لبيب في العمل بقسم الضباط، وكان هذا اللقاء أول مجالات الصلة بيني وبينه، وأدركت منه مجال نشاطه، فحدثني عن المنشورات التي تكتب لإيقاظ الضباط وتعريفهم بواجبهم حيال مصر والإنجليز، وكيف أنها لاقت رواجًا في صفوف الجيش على وجه العموم، وكانت هذه المنشورات تطبع بمعرفة الإخوان، ويوزع بعضها قسم الوحدات ويوقع بعضها باسم الضباط الأحرار، وبعضها باسم الجنود الأحرار، وكان قسم الوحدات يشارك في توزيعها».

«النقط فوق الحروف.. الإخوان المسلمون والنظام الخاص» للأستاذ/ أحمد عادل كمال.

أحد رموز النظام الخاص الذي أشرف على بعض عملياته وشارك في ترتيب عملية اغتيال الخازندار، يحكي أحمد عادل كمال عن نفسه قائلًا: «اتصلت بدعوة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢ وتخرجت في الكلية عام ١٩٤٦ وعملت بالبنك الأهلي المصري بعد تخرجي، ثم قبض عليّ في ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ لاتهامي في قضية السيارة الجيب. وبقيت بالسجن إلى مارس ١٩٥١، ثم اعتقلت عام ١٩٥٤ وبقيت بالمعتقل حتى ١٧ يونيه ١٩٥٦.. ثم أعيد اعتقالي في سبتمبر ١٩٦٥ ضمن من شملهم القرار باعتقال كل من سبق اعتقاله وبقيت بالمعتقل حتى فبراير ١٩٧١»، وهو أحد المؤلفين المشهورين في التاريخ وله مؤلفات عديدة في هذا الباب.

«التاريخ السري لجماعة الإخوان» للأستاذ/ علي عشماوي.

علي عشماوي واحد من أبرز قادة الجماعة، وهو أحد الستة الذين عملوا على عودة الجماعة تحت مسمى تنظيم ١٩٦٥، وكتابه غني بكثير من التفاصيل والأمور المهمة، لكنه صريح العبارة، شديد النقد في أشياء تعدها الجماعة من خطوطها الحمراء، من ذلك ما ذكره بشأن استغلال الجماعة لأحداث حرب فلسطين فيقول في كتابه «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين»:

«إنَّ جميع الأعمال الكبرى التي يتفاخر بها الإخوان في تاريخهم قد تمَّ تفريغها مِن نتائجها! فمثلًا حرب فلسطين التي يفخر بها الإخوان باستمرار فإنَّهم لم يدخلوا إلَّا معارك قليلة جدًا فيها! ثم صدرت مِن الشيخ محمد فرغلي الأوامر بعدم الدخول في معارك بحجة أنَّ هناك مؤامرة لتصفية المجاهدين!»، ويقول أيضًا: «وهم قد أتتهم الفرصة للمزايدة على الجميع في موضوع الأقصى، إنَّهم يطالبون بفتح باب التطوع لإنقاذ الأقصى! وما أشبه الليلة بالبارحة، ففتح باب التطوع يعني فتحَ معسكرات التدريب، ومعناه فتح باب التبرع لجمع المال مِن جديد، ثم شراء السلاح وتخزينه لحساب الإخوان، وتتكدس خزانة الإخوان بالأموال مِن تبرعات المسلمين مِن كل الدول الإسلامية! يتكرر ما حدث سنة ١٩٤٨ وأكثر بكثير! فهذه المرة عندهم التجربة السابقة بسلبياتها وإيجابياتها، وهم هذه المرة لن يتركوا الفرصة السانحة تمر، المهم انتهاز جميع الفرص الممكنة لإحداث الفوضى وإثارة البلبلة، ومِن ثمَّ النفاذ إلى هدفهم وهو إحكام السيطرة على مقدرات هذا البلد».

إضافة إلى ذلك فهو متهم في دينه من جانب الإخوان، حيث وصفوه بالعمالة والخيانة، بسبب كشفه عن أفراد تنظيم ٦٥ بعدما تم اعتقاله، وبلغ بهم الأمر أنهم دفعوا زوجته لطلب الطلاق منه، وزوجوها لقيادي آخر بالجماعة، وقد دافع علي عشماوي عن نفسه في هذا الكتاب، ورد على زينب الغزالي حيث تعقبته في مذكراتها ونالت منه نيلًا كبيرًا، وذكر في معرض ردوده أنه اضطر للكشف عن أسماء التنظيم تحت التعذيب كما فعلت هي تمامًا.

الله أعلم بالحقيقة، ولكن على أي الأحوال فقد تجنبنا النقولات عن هذا الكتاب بقدر المستطاع، واكتفينا بالمصادر الثلاثة المذكورة أعلاه، والتي لا يختلف الإخوان عليها ولا على مصداقية أصحابها.

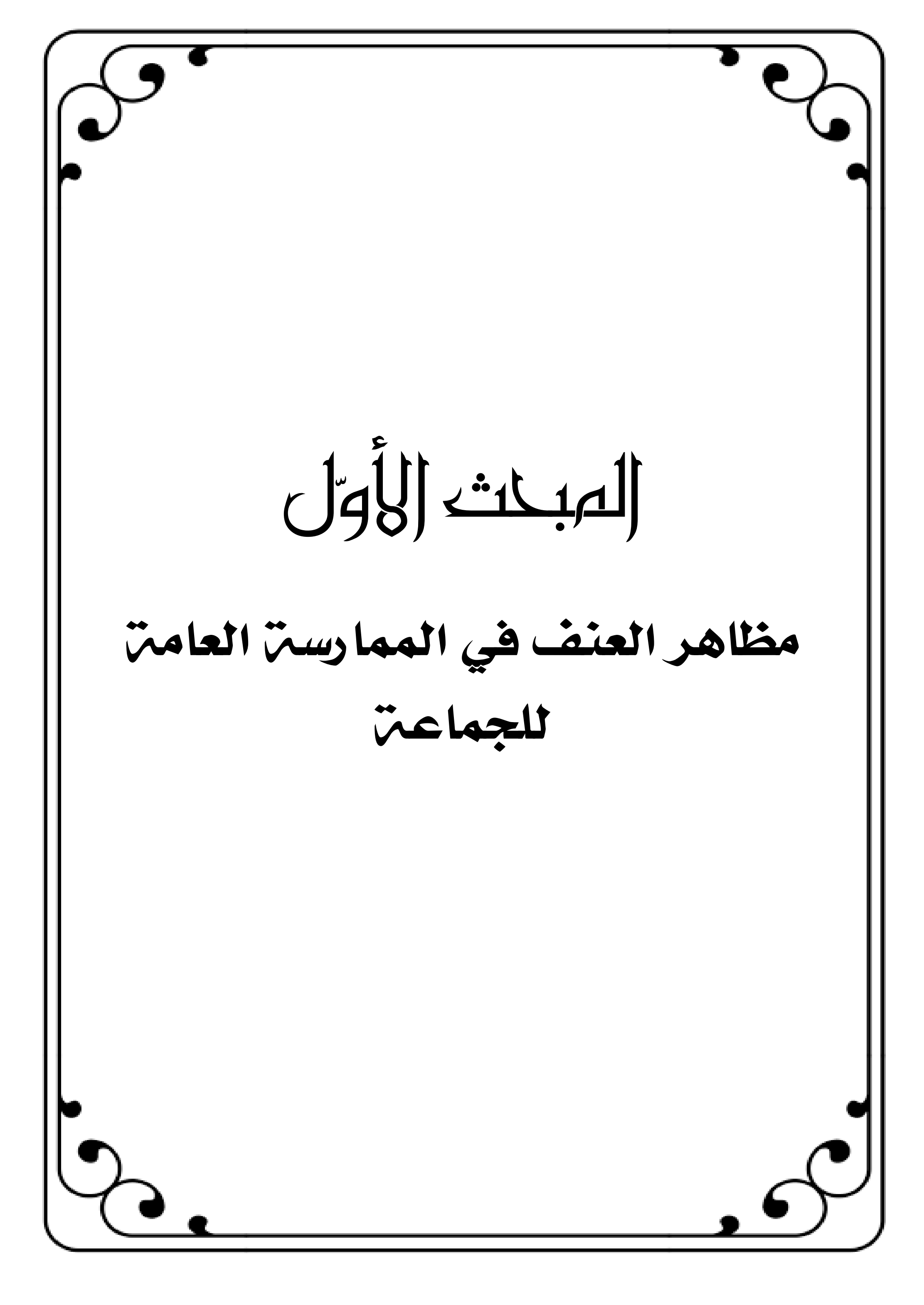
وقد تناول هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: مظاهر العنف في الممارسة العامة للجماعة.

المبحث الثاني: رؤية عامة عن النظام الخاص.

المبحث الثالث: الحوادث التي تورط فيها النظام الخاص.

المبحث الرابع: موقف البنا من حوادث النظام الخاص وهل يعد مسئولًا عنها؟



المبحث الأوّل

مظاهر العنف في الممارسة العامة للجماعة

المبحث الأول:
مظاهر العنف في الممارسة العامة للجماعة

الحقيقة أنَّ النظام الخاص كان يمثل المرحلة التي وصل فيها استخدام العنف إلى درجته القصوى من حيث دقة الترتيب، وجودة التدريب، ونوعية العمليات التي يقوم بها، ولكن هذا لا يعني أن الجماعة – في مجمل أنشطتها – لم تتشرب هذه المعاني ولم تسلك طريقها، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال نشاط الجوالة، وأنشطة قسم الطلاب خصوصًا المظاهرات، وغيرها من أنشطة الجماعة المختلفة.

☜ **أولاً: أنشطة الجماعة بين استعراض القوة وإدمان السرية:**

ملمحان يظهران بقوة في تاريخ الجماعة، ورغم أنهما قد يبدوان متعارضين إلا أنهما متلازمان في السلوك العملي للجماعة، فنشاط الجوالة يهدف إلى استعراض القوة وفي نفس الوقت يُستخدم للتغطية على أنشطة النظام الخاص، وهذا ما يوضحه أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» فيقول:

«.... ولنعد إلى ذكر الجوالة، فما زلت أذكر تلك الطوابير الاستعراضية الضخمة التي كان يتراوح عدد المشتركين فيها بين الستة آلاف والعشرة آلاف جوال... كنا ننتهز الفرص لإجراء هذه الاستعراضات في الشوارع، لم تكن تلك المناسبات مقصودة لذاتها دائمًا، وإنما كانت ذريعة، وكان بيت القصيد إظهار قوة الجماعة ومظهرها العسكري ولفت النظر إلى أن الجوالة بالذات هي القوة العسكرية للجماعة، **وفي هذا صرف للنظر عن التشكيل الجديد الذي أُعد سرًا وفي كتمان تام بعيدًا عن مظهريات الجماعة وهو النظام الخاص**».

☜ **ثانيًا: الاعتماد على المظاهرات كوسيلة ضغط:**

منذ نشأة الجماعة وهي تعتمد على أسلوب المظاهرات كطريقة من طرق الضغط على الخصوم، فبمجرد أن حظي الإخوان بشعبية كبيرة جعلت منهم قوة تنظيمية

واضحة، وهم يعتمدون عليها في الضغط والمعارضة تارةً، وفي التأييد والدعم تارةً أخرى، ويظهر ذلك فيما يلي:

طلاب الإخوان يشعلون المظاهرات ثم ينصرفون قبل مجيء الأمن:

يقص علينا أحمد عادل كمال في كتابه «**النقط فوق الحروف**» ما دار من مظاهرات الطلبة في الجامعة في ذكرى ميلاد الملك احتجاجًا على التعامل المتعسف للشرطة في فض مظاهرة كبري عباس وكان ذلك في الثلث الأول من شهر فبراير ١٩٤٦ فيقول:

«وأجمعت الجامعة عن بكرة أبيها على الإضراب احتجاجًا على همجية وزارة النقراشي. وأُلقيت الخطب الملتهبة في الجامعة... كانت الجامعة في أبهى زينة بمناسبة اقتراب عيد ميلاد الملك، وكان مقررًا أنْ يضع الملك حجر الأساس للمدينة الجامعية، **ولكنَّ الطلاب حطموا الزينات وداسوا صورة الملك وفتحوا صنابير الحريق فأغرقوا مكان الاحتفال**(١).

وازدحمت قوات البوليس حول الكلية وظلتْ تتزايد وأمسينا ونحن هناك واستطاع الدكتور كمال عبد النبي -سفير مصر في باريس بعد ذلك- **أنْ يتسلل إلينا داخل الكلية وأن يبلغنا تعليمات المرشد العام بالانصراف فرادى حيث إنَّ النقراشي قد أعطى تعليماته للبوليس باقتحام الكلية والقبض على كل من يوجد بداخلها**، وما كدنا ننصرف حتى قام البوليس بهجومه على كلية الطب من خلال مستشفى قصر العيني، واعتدى في هجومه ذاك بالضرب على المرضى في أسِرَّتهم واقتحم الكلية وقبض على من كان مازال بها».

وإنه لعجيب حقًا أنْ ينصرف طلبة الإخوان تاركين إخوانهم وزملاءهم من الطلبة يواجهون مصيرهم المحتوم أمام قوات الشرطة، على الرغم مِنْ أنهم ساعدوا في إشعال المظاهرات وتأجيجها، والمروءة تحتم عليهم أن يقفوا مع زملائهم مهما كانت الظروف،

---

(١) هذه من مفاسد المظاهرات التي لا تكاد تنفك عنها، وهى ممارسات لا يرضى عنها الشرع، ومن أجل ذلك نميل إلى رفض المظاهرات لما يغلب عليها من مفاسد في معظم الأحيان.



أو يخبروهم بما نما إلى علمهم من عزم الشرطة على فض المظاهرة بالقوة حتى يحقنوا دماءهم ويعصموا أرواحهم، أما أن ينصرفوا إلى بيوتهم آمنين ويتركوا دماء إخوانهم تسيل في الطرقات فهذا سلوك يحتار المرء في تفسيره[1].

استغلال المساجد في الحشد والاعتصامات:

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين» حاكيًا عن الإجراءات التي قام بها الإخوان ردًا على اعتقال الأستاذ حسن البنا والتي تركزت بالأساس على التجمع في مسجد السلطان الحسن بعد صلاة الجمعة والاتفاق على الاعتصام به حتى يتم الإفراج عن البنا يقول:

«لم يمض على عودة الأستاذ البنا من مدينة قنا إلى القاهرة مدة طويلة حتى صدر قرار باعتقاله والأستاذ أحمد السكري الوكيل العام والأستاذ عبد الحكيم عابدين السكرتير العام في معتقل الزيتون بالقاهرة.

وهذا ما تنبأ به الأستاذ البنا في حديثه مع أعضاء مكتب الإرشاد حين صدر له الأمر بتنفيذ النقل إلى قنا، وقامت ضجة كبرى وسط الإخوان للضغط على الحكومة للإفراج عن المرشد وزميليه..

وبعد صلاة الجمعة بمسجد السلطان الحسن كان الإخوان وخاصة طلاب الجامعة قد اتفقوا على الاعتصام بالمسجد بعد صلاة الجمعة حتى يتقرر الإفراج عن فضيلة المرشد العام، **وبعد الصلاة ظل الإخوان معتصمين ويهتفون ضد الظلم والطغيان،** وسرعان ما أقبلت قوات الأمن وعلى رأسها مدير الأمن وحكمدار العاصمة وكبار ضباط البوليس.

وعبثًا حاولوا انهاء هذا الاعتصام.. ولكنهم لم ينجحوا إلا بعد أن أعطوا للإخوان وعدًا مؤكدًا بالسعي للإفراج عن فضيلة المرشد وصحبه. وعلى أثر ذلك قبل الشباب أن ينصرفوا إلى منازلهم».

---

(١) وليس معنى ذلك أننا نبرر ظلم الظالم وغشمه بل نبرأ إلى الله منه.

لم تكن هذه حادثة عابرة بل هناك عدة وقائع يتكرر فيها نفس الأسلوب بنفس الطريقة، دعوة للاحتشاد في أحد المساجد الكبرى وغالبًا ما يكون الموعد بعد صلاة الجمعة، ويا ليتهم توقفوا عند ذلك الحد وانصرفوا لإقامة المظاهرة في أي مكان يختارونه، حتى لا تكون المساجد ساحة للمعارك السياسية، وحتى لا يعرضوا بيوت الله للامتهان، لأن الاعتصام بالمسجد يضع الطرف الآخر بين خيارين أحلاهما مر، فإما أن يعظم حرمة المسجد وهذا ضريبته أنه لا يظفر بخصمه الذي احتمى بالمسجد، وإما ألا يُعِيرَ لهذا الأمر اهتمامًا فيقتحم المسجد أو يتعامل معه كما لو كان يتعامل في الشارع، وهنا يستغل الطرف المحتمي بالمسجد هذا الحدث في تشويه الخصم الذي يقتحم بيوت الله ولا يراعى لها حرمة، وهكذا.

في هذا السياق يذكر الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين» أحد هذه الوقائع، والتي كان بطلها الأستاذ حسن البنا نفسه ولكنها لم تكن اعتصامًا بل كان مجرد تجمهر أعقبه انصراف بلا تصادم فيقول:

«وبعد أن أصدرت الحكومة أوامرها بإلغاء عرض الجوالة ومؤتمر الإخوان – صدرت أوامر من فضيلة المرشد للإخوان بأداء فريضة الجمعة بجامع الأزهر الشريف وتوجهت جموع الإخوان تتدفق إلى ميدان الأزهر – وكانت قوات البوليس قد سبقتهم إلى هناك **وحاصرت المسجد من كل مكان**..

واحتشد الإخوان في المسجد حتى لم يبق فيه مكان لإنسان.. وبعد انتهاء الصلاة – صعد المنبر فضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الستار وبعد كلمات قليلة قدم الأستاذ البنا المرشد العام للإخوان والذي لم يلاحظ أحد أنه كان موجودًا بالمسجد.

وتعالت الهتافات: (الله أكبر ولله الحمد) حتى هزت أركان المسجد ووقف الإمام حسن البنا يخطب الجماهير الإسلامية في قوة وحماس – ولا زلت أذكر صورته وهو يقول: أيها الإخوان لم نلتق في هذا المسجد على شكل مظاهرة، وإنما ليس في القاهرة بعد قرار مصادرة الاحتفال بافتتاح دارنا مكان يتسع لهذا اللقاء في شكله وفي مضمونه سوى الجامع الأزهر..



وصاح الأستاذ: أيها الإخوان! إننا لسنا راغبين في إثارة ولا خائفين من أية قوة ولكنا أبعد نظرًا من أن تستفزنا الحوادث فنغامر بأمر دعوتنا، **وإنني والله أيها الإخوان لأضع الحق في يميني وأضع روحي في يساري ويشير إلى رقبته ولا أخاف في الله لومة لائم** – وليس أعظم من الصبر حين يملك الإنسان نفسه عند الغضب – والآن أيها الإخوان لقد حققنا بهذا اللقاء بعض ما تجيش به نفوسنا نحوكم، كما أنكم أعلنتم بهذا اللقاء مدى ارتباطكم بدعوتكم في دقة التنظيم وسرعة الاستجابة وضبط النفس، فإني أهيب بكم أن تنصرفوا في هدوء مشكورين مأجورين، ولا تعطوا لأعدائكم فرصة الاصطدام بكم».

مظاهرة للإخوان تهتف بحياة الملك:

يحكي أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» تفاصيل الصفقة التي تمت بين قادة الإخوان من الطلبة وبين رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا على اعتبار أنهم – أي الإخوان – زعماء تلك الحركة وقادتها وطلاب الجامعة من ورائهم، وعلى اعتبار أنَّ حسن البنا كان يضغط من أجل إقالة النقراشي وإخراجه من الوزارة، يقول:

«وفي منتصف الليل وقفت سيارة ملكية فاخرة في الحي الشعبي الحلمية الجديدة أمام البيت المتواضع الذي يسكنه **الرجل الفقير الذي يهز الدولة ويهز العرش... حسن البنا**، وطُلب الرجل لمقابلة عاجلة مع رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا. وكان موقف حسن البنا حاسمًا وواضحًا...لقد أساء النقراشي بالاعتداء على أبنائنا الطلاب الذين لم يقترفوا إثمًا إلا المطالبة بأمانينا القومية... إنهم لم يطلبوا إلا جلاء قوات الاحتلال ووحدة وادي النيل، وهي مطالب مشروعة لا ينكرها إلا خائن... ولذلك لابد أنْ يخرج النقراشي من الوزارة. ولم يخرج الرجل من سراي عابدين إلا ومعه وعد بذلك».

وكان من نتيجة هذا الضغط أنْ قام رئيس الديوان الملكي أحمد حسنين باشا باستضافة قادة الإخوان في الجامعة، ودار بينهم حوار انتهى بعقد صفقة ثنائية كما يلي:

«إنه – أي جلالة الملك – عاتب علينا أشد العتب لما فعله الطلاب في الجامعة،

وإنه فوجىء أشد المفاجأة لأنه كان يفهم وهو قادم أنه إنما جاء ليضع حجر الأساس لمشروع يفيد منه الطلاب حيث يجدون المأوى بدلًا من الضياع ويغنيهم عن البحث عن مساكن لا تليق بهم ولا يجدون إيجارها، وأنَّ جلالته رأى الطلاب قبل ذلك يوم اصطحب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لزيارة الجامعة فقال له: «لماذا أرى وجوه الطلاب صفراء يا حسنين؟ لابد أن تعمل لهم مشروعًا للغذاء» والآن يجيء لمشروع إنشاء المدينة الجامعية فتقابلونه هذه المقابلة يا غجر! قالها بدلالٍ بالغ وتصنع للعشم الذي ينقله لنا عن الملك، وأجبنا – أي الإخوان – بأن النقراشي أساء وضربنا.

قال – أي حسين باشا – هناك سلطة عليا في البلاد وهي الملك وإنه باستطاعتنا أنْ نشكو النقراشي إلى الملك. قلنا: إن النقراشي منع مظاهرة سليمة من الوصول إلى قصر عابدين وزج إخواننا في السجون وهو ما زال يبحث عنا للقبض علينا!.. **وانتهى الحديث بيننا إلى أن أصبح صفقة... النقراشي يخرج من الحكم ويُفرج عن المقبوض عليهم وتحفظ القضايا ونحن نقوم بمظاهرة من الجامعة إلى قصر عابدين تهتف بحياة الملك!** حفاظًا على كرامته في البلاد وقد ضحى الملك بالنقراشي وكان كل ما يهمه هيبته هو، وكان ما يهمنا سقوط النقراشي والإفراج عن إخواننا».

الإخوان يواجهون حكومة إسماعيل صدقي بمظاهرات مسلحة بعد تأييدهم له:

تورط الإخوان في تأييد إسماعيل صدقي بشكل أذهل كل من كان معاصرًا لهذه الأحداث، وظل هذا التأييد سبة في تاريخ الجماعة لا يجدون له مسلكًا في التأويل، خصوصًا وأن التأييد جاء على إثر صفقة متبادلة بينهما، يقول الدكتور محمود عساف في كتابه (مع الإمام الشهيد حسن البنا):

«عندما كلف إسماعيل صدقي بتشكيل الوزارة في عام ١٩٤٦، أخذ يبحث عمن يؤيده شعبيًا. فلم يجد أحدًا. وكان رجلًا ذكيًا، فحاول أن يطوي الإخوان المسلمين بما لهم من شعبية تحت جناحه.. زار إبراهيم رشيد زوج ابنة إسماعيل صدقي الأستاذ الإمام طالبًا تحديد موعد في ذات اليوم، ليستقبل فيه الإمام إسماعيل صدقي، بمكتبه

بالمركز العام.. وتم تحديد الموعد في الساعة الحادية عشرة صباحًا بعد أن استشار الإمام أعضاء مكتب الإرشاد تليفونيًا.

هاج الإخوان وماجوا، لمَّا علموا أن إسماعيل صدقي كان في زيارة الإمام، ذلك بسبب ما هو معروف عنه من أنه لا شعبية له، وأنه ديكتاتوري الطبع، كاره للجماهير ويسميهم الغوغاء.

قال الإمام لإسماعيل صدقي: إن تاريخه السياسي لا يشجع للتعامل معه، بيد أن الإخوان لا يفقدون الأمل. وعد إسماعيل صدقي بتلبية مطالب الإخوان، وكلها مطالب وطنية تتضمن مقاومة الاستعمار إلى أن يقضى عليه، وتعديل الدستور بما يتفق مع الديمقراطية، والسماح للإخوان بالنشاط بغير قيد، وإقامة انتخابات نزيهة... إلخ.

قال إسماعيل صدقي: **تستطيع أن تتقدم بهذه المطالب من خلال مجلس الوزراء وأنت وزير للأوقاف.** فهم الإمام من هذا أن صدقي يعرض عليه الوزارة، فقال: سنفكر في الأمر.

في المساء، وأثناء سيرنا من المركز العام إلى منزله، سألت الإمام عن حقيقة ما يشاع حول قبولنا، فقال: ما رأيك أنت؟ قلت: لا بأس فهي خطوة على الطريق، غير أن وزارة الأوقاف ليست من مقامنا ونحن القوة الشعبية الوحيدة التي يستند إليها إسماعيل صدقي، فحبذا لو كانت وزارة المالية مثلًا أو إحدى وزارات الدرجة الأولى. أما الأوقاف فهي وزارة من الدرجة الثالثة. (لكي ترفع درجة هذه الوزارة ضم إليها اختصاص شئون الأزهر بعد ذلك).

ضحك الإمام وقال: نحن رجال دعوة ولسنا رجال حكم. ألا تعلم أن وزارة الأوقاف تسيطر على ما يقرب من عشرة آلاف خطيب مسجد؟! إن هؤلاء سوف يكونون للدعوة في كل مكان إذا تولينا وزارة الأوقاف... لا للحكم من خلالها، ولكن لنشر دعوتنا التي هي دعوة الإسلام.

بعد أيام شكلت الوزارة، ولم يكن الإمام من بين أعضائها، وكانت تلك رحمة من الله حيث حفظت بنا الدعوة ونقاوة سمعة الإمام كنا نخشى أن يستغرقه الحكم عن العمل لها. والله لطيف بعباده».

لقد حاول المؤرخون الإخوان محاولات مضنية لتبرير هذا السلوك البراجماتى المحض[١]، ولكن لم تجد تبريراتهم صدى عند أي عقل أو منطق، ومن هؤلاء الأستاذ محمد فريد عبد الخالق في بحثه «لمحة تاريخية عن المراحل التي مرت بها جماعة الإخوان المسلمين»، وقد جاء في مناقشة الدكتور محمد الميحى لبحثه ما يلي:

«عند الحديث عن تاريخ الإخوان المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية حاول الباحث أن يبرر تحالف الإخوان مع وزارة (إسماعيل صدقي) الثانية ١٩٤٦ م وهذا قول - في حقيقة الأمر - يأتي مضادًا لكثير من أقوال المؤرخين المستقلين لأن إسماعيل صدقي (من يعرف مصر أو من قرأ حولها) كان معروفًا منذ وزارته الأولى في أوائل الثلاثينيات بأنه كان ديكتاتورًا جلادًا ومن أكبر أنصار الإنجليز.

ولكن الكاتب يقفز على ذلك ويقول ما معناه: إنه تاب على أيدي الإخوان وحقيقة الأمر أنه كان معروفًا لدى الجميع بعدائه للشعب ولم يقبل التحالف معه وتأييده في ذلك الوقت إلا الإخوان المسلمون، يقول الكاتب بالنص حول هذا الموضوع: «اعتذر صدقي عن ماضيه السياسي» وأنا اعتقد أننا حين نريد أن نناقش ونقنع الآخرين يجب أن نقول لهم كلامًا - مع أنه في السياسة - معقولًا ومنطقيًا».

لم يدم شهر العسل بين صدقي والإخوان كثيرًا، فقد قاموا ضده بمظاهرات عنيفة، يحكي أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» نبأ هذه المظاهرة المسلحة بالقنابل فيقول:

«وأطلق بوليس صدقي النار على مظاهرة جامعية يتزعمها الإخوان ففضها، وفي اليوم التالي ٢٣/ ٩/ ١٩٤٦ **تجددت المظاهرات بقيادة الإخوان أيضًا وكانت يومذاك مسلحة،** فما أنْ ظهرتْ قوات البوليس بسلاحها حتى ألقيت عليها تسع قنابل يدوية بشارع الجامعة بين كلية الزراعة وميدان الجيزة - من النوع الصوتي[٢] لتخويف البوليس وتفريقه... وقد كان إلا أنَّ بعض العساكر قد أُصيب وتُوفي أحدهم في اليوم

(١) **البراجماتية**: حركة فلسفية تؤكد النتائج العملية، وتشدد على المنفعة لا الحقيقة الموضوعية. راجع معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر (١/ ١٨٠).

(٢) رغم أنَّ القنابل صوتية كما يدعي إلا أنها قتلت أحد الجنود!.

التالي ٢٤/ ٩، وأصدر صدقي باشا قرارًا بإغلاق الجامعات والمدارس وتعطيل الدراسة، وكان وزير معارفه حينذاك محمد العشماوي باشا».

وبعد أن ذكر طرفًا من مظاهرات الإخوان وما يدور فيها من غرائب وعجائب، قام بطرح استشكال اعترف أنه من بعض العقلاء، ولكنه قام بالرد عليه بشكل واضح ليلخص لنا فلسفة هذه المواجهة والغرض من القيام بها فقال:

«لا يطيب لبعض العقلاء هذا الأسلوب من المظاهرات، ويتساءلون ماذا خسر الإنجليز بتحطيم المصابيح؟ لم يكن الأمر أمر المصابيح ولا مركبات الترام ولكنه كان إعلان السخط على الحكومة في سياستها التي تحدت بها إرادة أمتها، **فهو أسلوب من أساليب زلزلة أقدامها لإسقاطها حتى لا يتم لها ما تريد**».

إذن فالمظاهرات لدى الجماعة لها تكتيك خاص ونظام محدد يتدرب عليه أعضاء الجماعة حتى يستطيعون ممارسته بحرفية وكفاءة عالية، يذكر الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين» تحت عنوان التجمع السريع فيقول:

«التجمع السريع حركة إخوانية جاءت رد فعل لما كان يحدث من مصادمات في مظاهرات الإخوان المسلمون مع رجال البوليس في المواقف الوطنية بخصوص المناداة بجلاء القوات البريطانية وغير ذلك.

فكانت المظاهرات حين تبدأ في التجمع بصورة طبيعية حسب العادة فإنها تستغرق وقتًا يكفي لحضور قوات من البوليس وقوات الأمن المسماة الآن (قوات الأمن المركزي) وفي هذه الحالة عادة ما تحدث مصادمات تصل إلى حد إراقة الدماء..

لهذا اهتدى الإخوان إلى فكرة (التجمع السريع) وتتم هذه الحركة بأن تصدر تعليمات إلى نواب الشُعب بخطاب أو أوامر شفوية يحدد فيها موعد التجمع بالدقيقة، ومكان التجمع بالتحديد، أو إشارة التجمع بالصفارة أو الهتاف أو غيرها مما يتفق عليه، وعلى أثر وصول الخطاب إلى نائب الشعبة يقوم بدوره بالاتصال بالإخوة ويقوم كل أخ بالاتصال بإخوانه ويبلغهم التعليمات بدقة، وقبل موعد التجمع يكون كل أخ

قد تواجد في مكان التجمع ويتجاهل كل من يعرفهم من إخوانه حتى لا يلفت الأنظار وخاصة أنظار البوليس السري المنتشرين في مثل هذه الأماكن المهمة.

وعند إطلاق الإشارة المتفق عليها يزحف هؤلاء الإخوة إلى مكان التجمع وفي لحظات يتم التجمع بسرعة ونظام وهدوء ويقوم الأخ المسئول عن التجمع بتوجيه تعليماته بشأن هذا التجمع فإذا كان مجرد مؤتمر خطابي لتوضيح رأي معين فإنه بعد الانتهاء من الخطبة التي يتوافد عليها الناس من كل مكان حين تستهويهم حركة هذا التجمع وبعد أن تؤدي الخطبة الغرض المطلوب فإن الأوامر تصدر إلى الإخوان بالانصراف، ويتم ذلك كله قبل أن تتهيأ قوات البوليس للحضور.....

وتأييدًا لدعوة الأستاذ المرشد قام الإخوان بالإسكندرية بدعوة جميع الناس على اختلاف طبقاتهم إلى الإضراب في هذا اليوم وكانت روح الشعب متجاوبة مع نداء الإخوان ولكن صدقي باشا بعث برجال البوليس يحذرون الناس من الاستجابة إلى الإضراب ويهددونهم ويتوعدونهم إن هم استجابوا إلى هذا الإضراب.

وفي منطقة الجمرك على سبيل المثال صدرت التعليمات للإخوان أن يؤدوا صلاة الفجر في «زاوية جراد» على أن يكونوا بملابسهم كاملة ومعهم طعام الإفطار واستجاب عدد كبير فوق المائتين، وبعد أداء الصلاة انصرف الذين ليسوا من الإخوان وبقي الإخوان فقط ثم أغلق المسجد وبقي الإخوان في صمت تام ثم أذن لهم في تناول طعام الإفطار، وبدأ الأخ المسئول يلقي عليهم التعليمات اللازمة لإنجاح المهمة التي سيكلفون بها وتتلخص في أنه بعد استطلاع الأحوال خارج المسجد ستصدر لهم التعليمات بالخروج من المسجد خماسي خماسي إلى شارع الميدان وهو أكبر شارع تجاري معروف بالإسكندرية وقريب من المسجد.

وإمعانًا في دقة التنظيم كان لزامًا على كل خمسة يخرجون من المسجد الدخول في أحد الشوارع الفرعية المتفرعة من شارع الميدان حتى إذا امتلأت هذه الأزقة بالإخوان صاح أحد الإخوان بهتافهم الخاص (الله أكبر ولله الحمد) وحينئذ يخرج الإخوة جميعًا

من هذه الأزقة بصورة سريعة مرددين هذا الهتاف بقوة وحماس ويسيرون نحوه بخطوات نصف سريعة وبصورة ترهب وتخيف رجال البوليس وتدفع الناس إلى الإسراع في إغلاق محلاتهم.

وخرج أحد الإخوة للاستطلاع حوالي الساعة التاسعة صباحًا فوجد أن أغلب الناس لم يستجيبوا لنداء الإضراب وأن رجال البوليس قد ركنوا إلى الراحة التامة المطمئنة حتى أن السادة جلسوا يشربون الشاي ويتسامرون، فلم تكن هناك أي إشارة عن أي مظاهرات أو إضرابات.

وعاد الأخ ليعطي إشارة الخروج، وخرج الإخوة فرادى حتى انتشروا في كل الأزقة وبينما الحالة هادئة جدًا زأر أحد الإخوة بأعلى صوته (الله أكبر ولله الحمد) فخرجت جموع الإخوان بسرعة وشجاعة تردد الهتاف الذي أفزع الناس فأسرعوا إلى إغلاق متاجرهم وأفزع رجال الأمن الذين اختل نظامهم وانفرط عقدهم وحيل بين جنودهم وبين ضباطهم فلم يستطيعوا أن يصنعوا شيئًا بل لم تمكنهم من القبض على فرد واحد من الإخوان.

وشاع خبر المظاهرة بسرعة فأغلقت جميع المحلات قبل أن تصل إليها المظاهرة رغم أنها تكاد تكون مظاهرة بالخطوة السريعة ولكن صدى هذه المفاجأة كان عاملًا مخيفًا حتى أن بعض التجار أغلق عليه بابه واتصل تليفونيًا بحي المنشية التي أغلقت جميع محلاتها في الحال مما اضطر شركة الترام أن تصدر أوامرها بتخزين جميع الترامowايات ويكفي بعد ذلك أن تقف كل المصالح وبهذا نجح الإضراب في منطقة غرب الإسكندرية وبمثل هذا كانت باقي المناطق حتى شمل الإضراب كل مدينة الإسكندرية.

لقد ضجت إدارة الأمن العام من حركة التجمع السريع التي حكمت على إدارة الأمن العام بالعجز الشديد عن معرفة تحركات الإخوان كما ترتب على ذلك وضعهم دائمًا في حالة طوارئ الأمر الذي أصبح لا يطاق، ومن ثم طورت إدارة الأمن نفسها بما يلائم الأحداث واستحدثت في أجهزتها ما يسمي «بوليس النجدة» المجهز بالسيارات

اللاسلكية كي تواجه التجمعات السريعة **ولكن أنى لهم ذلك فلكل فعل رد فعل ومهما حاولت أجهزة الدولة أن تعطل التعبير عن الروح الوطنية فإنهم لن يستطيعوا لأن الروح دائمًا أقوى من المادة**».

لكن هل كانت كل المظاهرات تنتهي بلا مصادمات؟ وهل كانت جميعها ترفع شعار السلمية؟ الحقيقة أن أغلب المظاهرات كانت تنتهى بمواجهات، بل هناك مظاهرات كانت تبدأ بالمواجهات، وذلك عندما يغلب على ظن المنظمون للمظاهرة أن قوات الأمن ستتصدى لها، يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين» تحت عنوان: الاعتداء على الجوالة:

«أرسل مأمور قسم الخليفة الصاغ رشدي الغمراوي إلى محافظ القاهرة تقريرًا يقول فيه: «اليوم وبالتحديد في الساعة السادسة مساء، أُخبرت أثناء تواجدي جهة الحجز أن جماعة من الإخوان المسلمون يرتدون ملابسهم الكشفية وتتقدمهم الأعلام يقومون بمسيرة، فاتجهت إليهم بأقصى سرعة بقوة تتكون من عساكر بلوكات النظام وعساكر دورية السابعة مساءً التي كانت ستتحرك بقيادة الملازم أول عبد الرازق النقيب أفندي، وقدت هذه القوة كلها بنفسي ابتداء من ميدان صلاح الدين أمام القسم، **وطلبت منهم العدول عن هذه المسيرة، وألححت في الرجاء أملًا في أن يكفوا عن المسير ولكن دون جدوى** لذلك لم أجد بدًا من التصدي للمسيرة فأصدرت أمري إلى العساكر بالنزول والوقوف في وجه المسيرة لمنعها من السير.

فما كان من الإخوان إلا أن هجموا عليَّ وعلى حضرة الضابط وعلى القوة التي كانت معنا بالطوب والعصي كما سمعنا طلقات نارية لم نستطع التعرف على مصدرها.

لكنني تمكنت من القبض على الشخص الذي بدأ بالاعتداء علينا غير أنه أصيب من عساكرنا ستة أفراد وتم القبض على ثمانية منهم لكن أحد عساكرنا ويدعى حسن شوشة يَدَّعي بأن الإخوان قد سرقت بندقيته، وهذا إخطار بذلك».

العجيب في هذه الحادثة هي الطريقة التي تعامل بها الأستاذ حسن البنا في واقعة أدت إلى اشتباكات واستخدم فيها السلاح وسالت فيها الدماء يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«وقد عالج الإمام حسن البنا هذا الموقف بحكمة فقد ظهرت الجريدة بعد أسبوع بالخبر التالي: «استعراض كشفي تقوم به جوالة الإخوان في قرة ميدان».

قامت جوالة الإخوان المسلمون بمنطقة جنوب القاهرة بتدريبهم الأسبوعي في قرة ميدان في نحو السادسة مساءً، وقد لبثوا أكثر من ساعتين، وكم كان جميلًا ورائعًا أن تتحرك طوابيرهم التي اشترك فيها نحو ألف جوال بين تهليل الأهالي وتكبيرهم كأنما وجد الجمهور في نشاط الجوالة هذا الأسبوع ترضية لمشاعرهم الطيبة التي استثارها حادث الأسبوع الماضي وغيره على دعوة الله ورسوله، وتعلقًا بالقرآن وانتصارًا للحق».

☜ **ثالثًا: الاعتماد في المواجهة على أجنحة أخرى داخل الجماعة:**

من أخطاء الإخوان أنهم سعوا إلى اختراق أجهزة بالغة الحساسية والخطورة داخل الدولة، مثل الجيش والشرطة، محاولين بذلك إيجاد جيوب خاصة بهم داخل هذه الأجهزة يمكن الاعتماد عليها وقتما يريدون.

قسم الوحدات يتبنى سلسلة من التفجيرات:

جاء في كتاب «النقط فوق الحروف» لأحمد عادل كمال ما يلي:

«ومع أن النظام الخاص كان هو التشكيل الذي حمل **عبء الكفاح المسلح للإخوان**، فقد كان هناك جهاز آخر ساهم في هذا النوع من التعليمات، وهو قسم الوحدات الذي كان يرأسه ضابط البوليس صلاح شادي – صاحب حصاد العمر – كانت المهمة الأساسية لقسم الوحدات نشر الدعوة بين عساكر وضباط البوليس وصف ضباط الجيش، أما ضباط الجيش من الإخوان فكانوا شعبة من النظام الخاص.

وفي ٢٠/٦ / ١٩٤٨ فجر قسم الوحدات عربة يد محملة بالمتفجرات في حارة اليهود بالقاهرة، وأحدثت بها تلفيات كبيرة، وبعد أن ذهبت الظنون أن تلك الحارة قد أخذت نصيبها ولن تنفجر مرة أخرى عاد في ٢٢/ ٩/ ١٩٤٨ ففجر عربة أخرى بها. ولما عجز البوليس في الحادث الأول عن الوصول إلى شيء أعلن أن الحادث وليد خلاف طائفي بين اليهود، فهم يضربون بعضًا، وأنَّ اليهود القرائين قد نسفوا محلة لليهود الربانيين. فلما وقع الانفجار الثاني استمر البوليس يقول: إن الربانيين انتقموا من القرائين بنسف مماثل.

وبين حادثي حارة اليهود فجر قسم الوحدات أيضًا ترسكل ممتلئًا بالمتفجرات أسفل محل شيكوريل في ١٩/ ٧ /١٩٤٨، وكان إحدى ليالي شهر رمضان فأفشى بالمحل الخراب، وراح ضحية الحادث الأخ الذي قام بالعملية، إذ استبطأ الانفجار بعد أن ابتعد فعاد لينظر ماذا جرى، ووقع الانفجار حينذاك».

الإخوان يحرقون أقسام البوليس بالقاهرة:

يَحكي أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» قصة هذه المؤامرة الجريئة فيقول:

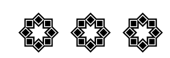
«ألقى الباشا القفاز في وجهنا – يقصد إسماعيل صدقي- فلم يكن إلا تصعيد المقاومة، ووزعت أقسام البوليس بمدينة القاهرة على بعض المجموعات لدراستها، **وجلست مجموعتنا في بيت أحدنا تَعدُّ اللفائف المتفجرة**، كان بكل لفافة بعض أصابع الجلجنايت وبها مفجر اتصل به قطعة من الفتيل الأسود طوله أربعون سنتيمترا، تكفي اشتعاله أربعين ثانية، وفي نهايته مشعل كيماوي يشتعل بالضغط عليه بزراديه أو بكعب الحذاء.

كان المطلوب تفجير تلك العبوات في أقسام البوليس ذاتها، في كل قسم عبوة بحيث لا تصيب أحدًا، لقد كانت المتفجرات ملفوفة في ورق كرافت فليس لها شظايا ومن الممكن ألا تصيب، ولكن الفرقعة في حد ذاتها كانت مطلوبة لإعلان عن أن قسم البوليس هذا قد ضرب بالقنابل، لم نكن نبتغي أكثر من الفرقعة وكان قسم مصر الجديدة هو نصيب مجموعتنا، وتم توزيع العبوات المتفجرة على المجموعات المشتركة في العملية، وانتظرنا كل مجموعة في بيت واحد منها في انتظار أوامر الانطلاق، ولكن جاءت التعليمات بتأجيل العملية والانتظار في اليوم التالي، وكان اليوم التالي كسابقه مع تعليمات بزيادة دراسة الأقسام.

وفي اليوم الثالث جاءت التعليمات في الساعة التاسعة والنصف مساءً بأنْ يكون التنفيذ فيما بين الساعة العاشرة والعاشرة وعشر دقائق، فمن لم يتمكن من التنفيذ في خلال تلك الفترة فليعد دون تنفيذ، وليس عليه أن ينفذ بعد الميعاد وذلك لخطورة العملية حيث سيكون كل قسم قد علم بما حدث للأقسام الأخرى فيتخذ حيطته وتستيقظ حراسته.

وتعسرت معنا المواصلات فلم نتمكن من الوصول إلى قسم مصر الجديدة في الموعد المناسب، وعَزَّ علينا أنْ نعود بمتفجراتنا فاتجهنا إلى نقطة بوليس حدائق القبة عسى أن نجد فيها هدفًا مناسبًا، ولكن كان هناك زفاف في منزل يقابلها وقد امتلأ بالكهارب والزينات التي أحالت الليل نهارًا كما امتلأ الشارع بالأطفال الفرحين بالفرح فانصرفنا عنها إلى هدف آخر.

وفي لقائنا مع قياداتنا علمنا أن العملية تمت بنجاح وأن جميع إخواننا قد عادوا بسلام، إلا أن أخانا الذي وضع عبوة قسم الموسكي بميدان العتبة قد حشرها في نافذة بين الزجاج والحديد فأدى انفجارها إلى شظايا أصابت بعض الناس وشرطة القسم».



المبحث الثاني

رؤية عامة عن النظام الخاص

المبحث الثاني:
رؤية عامة عن النظام الخاص

فيما يلي نتناول طرفًا من أخبار الجهاز الخاص داخل جماعة الإخوان، وهو الجهاز الأكثر اتهامًا من بين أجهزة الجماعة المسلحة، على اعتبار أنه كان يضم المحور المدني، وكانت هناك سهولة في الترتيب لعملياته، والقدرة على تنفيذها.

ولكن من المفيد تاريخيًا أن نعرف التدرج الذي سلكه البنا لبناء النظام الخاص، حيث تبلورت الفكرة تدريجيًا بداية من فرق الرحلات فنظام الكتائب ففرق الجوالة ثم انتهى المطاف إلى النظام الخاص.

يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» – الجزء الأول تحت عنوان: نظام الكتائب:

«نظام الكتائب نظام فريد مبتكر، ولعل الأستاذ المرشد قد اشتقه من اجتماعات دار الأرقم بن أبي الأرقم حيث كان رسول الله ﷺ يجمع المؤمنين به في ذلك الوقت المبكر – وكانوا قلة – فيبثهم ما عنده، ويفضي إليهم بذات نفسه ويأخذهم بأسلوب من التربية الروحية العالية حتى خرج من تلك الدار المتواضعة من كانوا أعلام الهدى ومن حملوا شعلة النور الإسلامي فأضاءوا بها جنبات الدنيا....

وهذا النظام بين مختلف أنظمة التكوين يُعد نظام التكوين المركز وأسلوب التربية العميقة المباشر لأنه وحده هو النظام الذي يجد فيه الموجِّه والموجَّه نفسيهما متجردين متفرغين كل منهما للآخر وجهًا لوجه لا تشغل أيًا منهما عن نفسه ولا عن صاحب شاغلة فيكون القلب والعقل معًا في أسمى حالات التهيؤ للتلقي والإلقاء وبالتعبير الحديث للاستقبال والإرسال.

وكان في نية الأستاذ المرشد أنه يتدرج في إنشاء الكتائب حتى يسلك فيها كل إخوان المركز العام على أن يقوم هو بنفسه فيه بدور التوجيه والتربية، فبدأ أول خطوة

فيه بأن جمع من الرعيل الأول أربعين أخًا كانوا هم الكتيبة الأولى ثم ما لبث أن جمع أربعين آخرين فكانوا الكتيبة الثانية وكان النظام يقتضي أن تتم كل كتيبة أربعين أسبوعًا.

وشعار هذا النظام هو «**كل وأنت شبعان ونم وأنت مستيقظ**» ومعنى هذا الشعار الطاعة التامة، و الالتزام الكامل بالنظام المقرر فقد يكون إلزام نفسك بالأكل وأنت شبعان أثقل على نفسك من إلزامك بالامتناع عن الأكل وأنت جائع وكذلك نومك وأنت مستيقظ أصعب من استيقاظك وأنت نائم».

ما هو النظام الخاص وما هي رؤية الجماعة في تكوينه؟

يشرح الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين» الهدف من وراء النظام الخاص، فيقول: «فالنظام الخاص يرمي إلى إعداد فريق كبير من الشباب إعدادًا عسكريًا تطبيقًا لما دعى إليه مؤسس هذه الجماعة في رسائله المتعددة من أنَّ الأمر أصبح جدًا لا هزلًا، وأنَّ الخطب والأقوال ما عادت تجدي، وأنه لا بد من الجمع بين الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل، وأن حركة الإخوان تمر بثلاث مراحل: **الأولى:** مرحلة التعريف بنشر الفكرة، **والثانية:** مرحلة التكوين لاستخلاص العناصر الصالحة لأعباء الجهاد، **ونظام الدعوة في هذا الطور مدني من الناحية الروحية وعسكري من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا أمر وطاعة من غير بحث ولا مراجعة، والمرحلة الثالثة:** مرحلة التنفيذ وهذا الإعداد دائمًا قصد به تحقيق ما ورد صريحًا في قانون الجماعة من أن من بين أهدافها تحرير وادي النيل والبلاد الإسلامية، وهذا النظام الخاص بحكم هذا التكوين لا يدعو إلى الجريمة، ولا يعيبه أن فريقًا من أفراده كَوَّنوا من أنفسهم جماعة اتفقوا على أعمال القتل والتدمير».

ويقول في موضع آخر: «النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين وهو الاسم الحركي لجيش مسلم يلتزم بأحكام الله في كل ما يصدر عنه من أعمال».

ويوضح أحمد عادل كمال في كتابه «**النقط فوق الحروف**» هذا الأمر فيقول: «إن النظام الخاص كان أكثر أجهزة الإخوان فاعلية في تربية النفوس وصقلها بروح

الإسلام حيث كان الميدان العام للإخوان يتلقى الأفراد «ملتزمين وغير ملتزمين» و«صالحين وغير صالحين» فيمرون بوسائل التكوين من دروس ومحاضرات وجوالة وأسرة وكتيبة، وكل منها يضيف إلى تكوينه النفسي، أما الانضمام إلى التنظيم الخاص فكان من عناصر منتقاة».

وبعبارات أكثر وضوحًا يقول الدكتور يوسف القرضاوى في مذكراته «سيرة ومسيرة»:

«في سنة ١٩٤٠ أنشأ الأستاذ البنا جهازًا داخل الجماعة، سماه (النظام الخاص) يضم إليه من أفراد الجماعة الإخوة الذين عرفوا بإخلاصهم للدعوة، وثباتهم عليها، والتزامهم بتعاليمها وتوجيهاتها، كما يتميزون باللياقة البدنية، والقدرة على الاحتمال، والصبر على المكاره، وكتمان الأسرار، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، والاستعداد للتضحية والبذل، ولو بالنفس والنفيس، وكلف الأستاذ البنا خمسة من الإخوان بالإشراف على هذا النظام واختيار جنوده، وتدريبهم على متطلبات الجهاد، وإعدادهم لليوم الموعود. **وكان وراء تكوين هذا النظام عدة أهداف يسعى إلى تحقيقها:**

أولها: مقاومة الإنجليز، الذين يحتلون مصر والسودان وغيرهما من بلاد العرب والمسلمين.

وثانيها: مقاومة المشروع الصهيوني، الذي غزا المنطقة بمكر ودهاء، وأقام مستعمرات شتى في أرض فلسطين.

ثالثها: غرس روح الجهاد في الشباب المسلم.

وفي إطار تقييم هذه الأهداف ومدى نجاحها عمليًا وتحديدًا هدف مقاومة المشروع الصهيوني، يقول الأستاذ حسن دوح في كتابه «٢٥عامًا في جماعة الإخوان»:

«ولكن النظام الخاص (افتقد الهدف) وهو يتصدى للحركة الصهيونية كما أصابه انحراف خطير للغاية في مواجهته للحكومات والزعماء الذين كانوا يتربصون بجماعتهم.

فمثلًا بدل أن يوجه النظام الخاص جهده كله لحرب اليهود في فلسطين وضرب رؤوس اليهود في مصر بدأ يخرب في المؤسسات التي يملكها اليهود.. ونسي حقيقة

بسيطة وهي أن تخريب هذه المؤسسات قد ينعكس على الشعب نفسه وأقرب مثل إلى ذهني حادثة نسف وكالة أنباء الشرق الأوسط التي راح ضحيتها عدد كبير من المصريين؛ وكذلك نسف بعض الشركات والمحلات وترويع الشعب والعاملين بهذه المؤسسات ولو أن هذا الجهاز اتجه إلى رووس الأموال اليهودية في مصر وتمكن من السيطرة عليها لكان ذلك أجدى وأنفع..

ولعل تأميم المؤسسات الأجنبية والتضييق الذي فرض على اليهود في مصر فيما بعد، حقق مكاسب أوفر وأفضل، ومكن الشعب من ملكية المؤسسات اليهودية، وفي نفس الوقت خلصنا من النفوذ اليهودي.. الذي كان يهيمن على الاقتصاد المصري ويعمل بكل طاقته لدعم الحركة الصهيونية العالمية».

يستكمل الدكتور يوسف القرضاوي في مذكراته «سيرة ومسيرة» باقي أهداف النظام الخاص فيقول:

«**رابعها**: حماية الدعوة من أعدائها الذين قد يحاولون اقتلاع جذورها، وإيقاف مسيرتها، وتعويق حركتها، **بقانون القوة، أو بقوة القانون،** عن طريق الأحكام العرفية أو الطوارئ العسكرية، وقد يتم ذلك عن طريق المحتلين الأجانب مباشرة، وقد يكون عن طريق عملائهم من الحكام الذين يأتمرون بأمرهم، ويدورون في فلكهم، وينفذون لهم مطالبهم.

وهنا يجب أن تدافع الدعوة عن نفسها ووجودها، إذا اعتُدِيَ عليها، وعلى حرماتها، وحرمت من حقها في إبلاغ كلمة الإسلام إلى الناس، وجمعهم عليه، وتربيتهم على منهجه، وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩].

خامسها: السعي إلى تغيير الحكم العلماني الذي لا يحكم بما أنزل الله، ولا يحتكم إلى شريعة الإسلام وقيمه في تشريعه وتقنينه، ولا في اقتصاده وسياسته، ولا في تربيته وتعليمه، ولا في ثقافته وإعلامه، ولا في تقاليده وآدابه، **عن طريق (انقلاب عسكري)** تكون طلائعه من أبناء النظام الخاص. بعد أن ثبت أن الديمقراطية في بلادنا ليست

ديمقراطية حقيقية، فالانتخابات تزوّر، وحتى لو لم تزور فإنها تؤثر فيها قوى مختلفة، تجعلها غير معبرة بحق عن إرادة الشعب وتوجهاته الحقيقية».

إذًا فالنظام الخاص عبارة عن تكوين عسكري مسلح أفراده مدربون تدريبًا عاليًا ولديهم كفاءة قتالية عالية، لقد تصور زعيم الجماعة ومؤسسها أنه لا عبرة بحق لا تحميه القوة، ودعوة بلا سلاح يذهب أثرها أدراج الرياح، لذا فقد اتخذ قرار إنشاء هذا الجيش بعيدًا بالطبع عن نظام الدولة وعن قوانينها، وقد قيل وقتها إن ظروف المرحلة اقتضت تكوين مثل هذه الجيوب العسكرية لمواجهة المحتل وطرد المستعمر، ولكن المشكلة أن هذا الجهاز المسمى بالجهاز الخاص قد امتد عمله وطال عمره فأصبح أداة إرهاب لمناوئي الجماعة بل أصبح للأسف أداه تحارب به الجماعة نفسها وما مقتل «سيد فايز»[1] الرجل الثاني في هذا النظام إلا ثمرة لاستخدام السلاح لا أقول في مواجهة أعداء

---

(١) «ولد سيد فايز سنة ١٩١٩، تعرف على الإخوان في أثناء دراسته الجامعية، أصبح سيد فايز مؤهلًا للانضمام إلى النظام الخاص في أوائل الأربعينات، واجتاز اختبارات اللياقة بكفاءة عالية و التي يتعرض لها كل من ينضم للجهاز الخاص، وتدرب على استعمال مختلف الأسلحة المتاحة كما كان سائدًا في تدريبات النظام الخاص، وظل سيد فايز يثبت يومًا بعد آخر جدارته حتى أصبح مسئول النظام الخاص عن مدينة القاهرة.

ولما تم القبض على السيارة الجيب في ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ م ثم تلاه حل الجماعة في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، واعتقل قادة النظام الخاص بمن فيهم عبد الرحمن السندي المسئول عن النظام الخاص، عهد الأستاذ البنا إلى سيد فايز بمسئولية النظام الخاص في هذه الفترة العصيبة التي شهدت حملات اعتقال وتضييق على الإخوان، فالمرشد نفسه ممنوع من الاتصال بالإخوان، وحركته مراقبة من قبل حكومة النقراشي التي زادت في القمع والعنف والمصادرة والاعتقال للإخوان كأنها في حرب مع عدو في ميدان قتال.

يقول محمود الصباغ: «كان الشهيد السيد فايز هو القائد الفعلي بعد اعتقال كل من يعلوه في القيادة سواء من رجال الدعوة العامة أو من رجال النظام الخاص، فقد اعتقل جميع أعضاء الهيئة التأسيسية وحيل بين المرشد العام وبين جميع الإخوان، فأصبح سيد فايز هو المسئول الأول عن حماية الدعوة في هذه الظروف الشاذة وله حق الاجتهاد.

وقد قام الجهاز الخاص أثناء قيادة سيد فايز له بعمليتين:

الأولى: قتل النقراشي في ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م في هذه الفترة سعى أفراد النظام الخاص إلى الدفاع عن الدعوة وقرروا التخلص من النقراشي وأعدوا الخطة وتم التدريب عليها واستطاعوا تنفيذ الخطة، وتم القبض على منفذ العملية عبد المجيد أحمد حسن ثم تم القبض على آخرين.

=

الله ولا أعداء الدعوة على أقصى تقدير ولكن في مواجهة من يتمرد أو يعصي الأمر!.

لذلك ينتقد الدكتور يوسف القرضاوي في مذكراته «سيرة ومسيرة» الوضع الذي كان عليه النظام الخاص فيقول:

«كان النظام الخاص يشكل جماعة داخل الجماعة، أو كما يقولون: دولة داخل الدولة، بل كان يعتبر نفسه هو الجماعة الحقة، وما الآخرون إلا (ديكور) وزينة، أو كثرة كغثاء السيل.

=**الثانية:** محاولة إحراق أوراق قضية السيارة الجيب في ١٣ /١ / ١٩٤٩م، فقد خلف النقراشي إبراهيم عبد الهادي في رئاسة الوزراء الذي أسرف في اعتقال وتعذيب وإرهاب الإخوان، وسخَّر من إعلامه منبرًا لحملة دعائية ضد الإخوان مستندًا إلى الأوراق المضبوطة في قضية السيارة الجيب، لذلك قرر سيد فايز وإخوان النظام الخاص إحراق أوراق قضية السيارة الجيب وانتدب لتنفيذ المهمة شفيق إبراهيم أنس الذي فشل في تنفيذ المهمة، وتم إلقاء القبض عليه.

واستمرت الحكومة في اعتقال مستمر للإخوان واتجه إخوان النظام الخاص في عهد سيد فايز إلى المقاومة، واستمرت تدريبات النظام الخاص، ففي يوم ١٩ يناير سنة ١٩٤٨ ضبط السيد فايز عبد المطلب بجهة المقطم وهو يرأس نفرًا من جماعة الإخوان المسلمين يدربهم على استعمال الأسلحة والمفرقعات ووجدت في حافظة نقوده ورقة تحوي تسعًا وتسعين اسمًا وأمام الكثرة منهم أرقام معينة، فتم القبض عليه وتتبع الأسماء الموجودة في الورقة والقبض عليهم، وتم ضم قضيته إلى السيارة الجيب التي عرفت بضبط جدول الأسماء لدى السيد فايز عبد المطلب. ثم تم اتهامه في قضية مقتل النقراشي، وظل في السجن حتى النطق بالحكم في القضيتين.

عندما تولى الأستاذ حسن الهضيبي مرشدًا للإخوان اتجه إلى إعادة تنظيم الجهاز الخاص وتصحيح أوضاعه التي كانت موجودة في عهد الشهيد حسن البنا برئاسة عبد الرحمن السندي وإنهاء حالته السرية إلى العلانية،لكن الأمر تطور إزاء مجاهرة السندى بالرفض. فما كان من الهضيبي إلا أن أعلن حل الجهاز الخاص وإعادة تشكيله برئاسة يوسف طلعت.

كان المهندس سيد فايز من كبار المسئولين في النظام الخاص ومن الناقمين على تصرفات السندى، لذلك امتثل لأمر المرشد وسعى إلى ضم أفراد النظام الخاص الذي كان يشرف عليه السندى إلى قيادته الجديدة برئاسة يوسف طلعت، ووضع نفسه تحت إمرة المرشد العام لتحرير هذا النظام في القاهرة علي الأقل من سلطته، وأنه قطع في ذلك شوطًا باتصاله بأعضاء النظام بالقاهرة وإقناعهم بذلك، نظرًا لأنه كان مسئولًا عنه في فترة من الفترات.

ولم يحدث ما يعكر صفو الانتقال من النظام الخاص القديم إلى النظام الجديد تحت قيادة يوسف طلعت سوى حادث اغتيال سيد فايز». (سيد فايز عبد المطلب المهندس المجاهد - بقلم/ أشرف عيد العنتبلي)، وسيأتي مزيد بيان عن قصة اغتياله في الصفحات القادمة.



وهذا أمر له خطورته في التربية: الإعجاب بالنفس، فهو أحد المهلكات كما جاء في الحديث: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(*)، ويترتب على هذا احتقاره لغيره، واعتقاده أنه هو اللب، ومن عداه قشر، وأنه هو الجوهر، والآخرون عرض وشكل. وفي الصحيح: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»(**).

وأذكر أن الأستاذ عبد العزيز كامل ﷺ كتب في مجلة الإخوان في حياة الإمام البنا مقالة تحدث فيها عن (مهندسي القاع) و(مهندسي السطح) الأولون يعملون في (الورشة) والآخرون يعملون في قاعات العرض (الفترينات) وكأنه يشير إلى رجال النظام الخاص وإلى غيرهم من الإخوان العاديين، وردَّ عليه الكاتب الشاب المتألق محمد فتحي عثمان، منكرًا عليه هذه التفرقة، وأن المدار على صدق النية وصلاح العمل، سواء كان يعمل في السطح أم في القاع. وفي صحيح البخاري: «**طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله.. إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة**» يعني: أنه يؤدي مهمته حيث وضع.

وهذا الغرور لدى أعضاء الجهاز الخاص في أنفسهم، مع وجود القوة المادية في أيديهم، جعلهم يستخفون بالقيادة الشرعية للجماعة، ويفتون لأنفسهم بما يجوز وما لا يجوز، حتى إنهم خرجوا على طاعة إمامهم ومرشدهم الأول نفسه، ونفذوا بعض العمليات الخطيرة بغير إذنه، كما في مقتل الخازندار، قبل حل الإخوان، وحادث نسف محكمة الاستئناف بعد حل الإخوان، وهو الذي اضطر الإمام البنا أن يصدر بيانه الخطير والشهير الذي قال فيه: (هؤلاء ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين!!)».

كيف يصبح الفرد عضوًا في النظام الخاص؟

قام الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص» بشرح خطوات الانضمام إلى هذا التكتل العسكري فقال:

(*) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٤٥).

(**) رواه مسلم (٢٥٦٤).

«يتم ذلك عن طريق شراء مسدس من ماله الخاص:

وكان أول ما يختبر به جدية العضو الجديد فيما أعلنه من رغبة صادقة في الجهاد في سبيل الله أن يكلَّف بشراء مسدس على نفقته الخاصة، ولم يكن ثمن المسدس يتعدَّى ثلاثة جنيهات، يكلف العضو الجديد بادخارها من مصروفه إذا كان طالبًا أو دفعها من كسب يده إذا كان مكتسبًا، لا يستثنى أحد من هذه القاعدة لأي عذر من الأعذار، وقد ادخرت فعلًا الجنيهات الثلاثة، واشتريت بها مسدسًا افتتحت به باكورة عملي في سبيل الله».

بشيء من التفصيل وبمزيد من الشرح والبيان يوضح لنا أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» طبيعة هذه المرحلة فيقول حاكيًا عن تجربته مع الأخ المسئول عن تدريبه في هذا الجهاز:

«أخرج من جيبه – يقصد الأخ المسئول عن تدريبه – مسدسًا إيطالي الصنع من طراز باريتا عيار ٩ مم، وشرحه لنا شرحًا تفصيليًا وافيًا من ناحية حركته الميكانيكية وكيف يعمل، وقد فكه لنا قطعة قطعة ثم أعاد تركيبه، كما شرح لنا شفويًا كيفية استخدامه، وفي الدرس الثاني كان معه مسدس آخر بلجيكي الصنع من طراز براوننج عيار ٩مم كان هو موضوع الدرس، كنا نسمي المسدس مصحفًا حتى لا نلجأ في أحاديثنا إلى ذكر المسدسات، ثم أعطانا الموعد الثالث وكان موضوعه القنبلة اليدوية مليز ٣٦ شديدة الانفجار، ثم كان الدرس التالي في القنبلة اليدوية الحارقة إيطالية الصنع من طراز بريدا... واستمرت الدروس... المسدس الوبلي ذو المشط، والمسدسات ذات الساقية، والقنبلة اليدوية الفسفورية الحارقة، والقنابل الإيطالية الترموس وسوسيبيتا رومانا، والمتفجرات والمفرقعات من جلجنايت و T.N.T وقطن البارود وأنواع الفتائل والمتفجرات والبوادىء ولوازم النسف والتدمير... إلخ.

وخرجنا معه مرات في رحلات تدريبية كان بعضها في جبل المقطم أطلقنا فيها النار من أنواع مختلفة من المسدسات، أطلقنا النار من مسدسات ومن البنادق ومن الرشاش الصغير «التومي جن» وفجرنا أنواعًا من القنابل اليدوية شديدة الانفجار والحارقة».



ثم تأتي بعد ذلك مرحلة البيعة وتكون كالتالي:

«كانت البيعة تتم في منزل بحي الصليبية، حيث يُدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه، والأخ عبد الرحمن السندي المسئول عن تكوين الجيش الإسلامي داخل الجماعة، وبعد استراحة في حجرة الاستقبال يدخل ثلاثتهم إلى حجرة البيعة، فيجدونها مطفأة الأنوار، ويجلسون على بساط في مواجهة أخ في الإسلام مغطى جسده تمامًا من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء أبيض يخرج من جانبيه يداه ممتدتان على منضدة منخفضة «طبلية» عليها مصحف شريف، ولا يمكن للقادم الجديد مهما أمعن النظر في من يجلس في مواجهته أن يخمن بأي صورة من صور التخمين من عسى أن يكون هذا الأخ.

وتبدأ البيعة بأن يقوم الأخ الجالس في المواجهة ليتلقاها نيابة عن المرشد العام بتذكير القادم للبيعة بآيات الله التي تحض على القتال في سبيله وتجعله فرض عين على كل مسلم ومسلمة، وتبين له الظروف التي تضطرنا إلى أن نجعل تكويننا سريًا في هذه المرحلة، مع بيان شرعية هذه الظروف: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»(*)، ثم يذكره بأنه ما دام قد قدم مؤمنًا بفرضية الجهاد في سبيل الله عازمًا على العمل في صفوف المجاهدين، فإننا نأخذ البيعة على الجهاد في سبيل الله حتى ينتصر الإسلام أو نهلك دونه مع الالتزام بالكتمان والطاعة، ثم يخرج من جانبه مسدسًا، ويطلب للمبايع أن يتحسسه وأن يتحسس المصحف الشريف الذي يبايع عليه، **ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير**، فإذا قبل العضو بذلك كلف بأداء القَسَم على الانضمام عضوًا في الجيش الإسلامي والتعهد بالسمع والطاعة».

ويؤكد أحمد كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» على جزاء خيانة الجماعة فيقول: «وجاء صوت الرجل الجالس في الظلام لا أتبين منه شيئًا، يذكرني بمباديء الدعوة

(*) صححه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٣) بلفظ «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود».

التي جندنا أنفسنا لنصرتها وإلى أن الجهاد من أركانها وهو سبيلها، وإلى أني بأداء هذه البيعة أضع نفسي تحت تصرف القيادة سامعًا مطيعًا لأوامرها في العسر واليسر والمنشط والمكره معاهدًا على الكتمان وعلى بذل الدم والمال. وقد ذكر ثقة القيادة فينا، **ومع ذلك أشار إلى أنَّ أي خيانة أو إفشاء سر سوف يؤدي إلى إخلاء سبيل الجماعة ممن يخونها**».

ينقل الأستاذ لطفي عثمان في كتابه «من سلسلة المحاكمات التاريخية الكبرى.. قضية مقتل النقراشي باشا» شهادة عبد المجيد حسن: قاتل النقراشى، حول قصة انضمامه للنظام الخاص، وكيف انتقل تدريجيًا من نظام الأسرة إلى النظام الخاص فيقول:

«وأحب أن أذكر أنني دخلت هذه الجمعية السرية، على اعتبار أنها كنظام الأسرة، وإن كانت في الواقع جمعية سرية، ونظامها يشبه نظام الأسرة، ولا بد لكل شخص من أعضاء نظام الأسرة أن ينخرط في سلك هذه الجمعية السرية بعد أن يتدرج في جميع الأنظمة، ويثبت إخلاصه للدعوة، وذلك دون أن يشعر بأنه دخل هذا النظام الجديد، أي الجمعية السرية.

وفي أوائل صيف سنة ١٩٤٦ ضرب لنا أحمد حجازي موعدًا في مسجد قيسون قبل صلاة المغرب، فحضرت وباقي المجموعة وقصدنا ومعنا أحمد حجازي إلى منزل بالصليبة، أرشدت النيابة إليه، وهناك قابَلَنا عند الباب شخصٌ اسمه عبد الرحمن السندي وصعدنا إلى الطابق الثاني، ودخلنا غرفة مظلمة ثم أدخلنا في غرفة أخرى فردًا فردًا، وكان في الغرفة شخص ملثم، وهو الشخص الذي تلقينا عنه «البيعة» وقد عرفت هذا الشخص من صوته ومن حجمه، ومن هيئته العامة، إذ كان ملتحيًا، إنه الأستاذ صالح عشماوي وكيل جماعة الإخوان ومدير جريدتها.

وأحب أن أقول إن هذه الجمعية السرية، أو هذا النظام الخاص، كان موجودًا فعلًا برغبة المركز العام، بدليل أن الشخص الذي تلقيت عنه «البيعة» هو وكيل الجمعية.

وذكر في هذه «البيعة» أن رمز الجماعة هو المصحف والمسدس؛ وقد وضعا أمام ذلك الشخص الذي قال له: إن هذه هي الوسيلة الوحيدة لنصرة الإسلام، وأنه يجب

عليه الطاعة، وأن يقسم العضو على ذلك. **وأن الذي يفشي سرًّا من أسرار هذا النظام الخاص فجزاؤه الموت في أي مكان مهما يحتمي بأي شيء.**

وقد قال لي عبد الرحمن السندي أن هذا الشخص هو الصلة بيننا وبين الأستاذ حسن البنا، وقد أراد بذلك أن يثبت أن هذا النظام خاضع للنظام العام، وكان لهذا أثر كبير في نفسي، وأن أعتقد أنه من المستحيل أن هؤلاء الأشخاص ذوي المنزلة الكبيرة. الذين يعملون للإسلام سيأمرونني في وقت من الأوقات بشيء يختلف عن الإسلام».

ولا يخفى أن هذا الاعتقاد قد يُعد من لوازمه الحكم بالكفر واستباحة الدم، ولك أن تتخيل حجم الزلزال النفسي الرهيب الذي تُحدثه هذه البيعة في نفوس أصحابها سواء كان ترغيبًا أم ترهيبًا وهنا يحكي الدكتور محمود عساف عن تجربته مع هذه البيعة فقال في كتابه «مع الإمام الشهيد حسن البنا»:

«في يوم من أيام مايو ١٩٤٤، دعيت أنا والمرحوم الدكتور عبد العزيز كامل (نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر في أواخر عهد عبد الناصر) لكي نؤدي بيعة النظام الخاص.

ذهبنا إلى بيت في حارة الصليبة في منتصف المسافة بين السيدة زينب والقلعة. دخلنا غرفة معتمة، يجلس فيها شخص غير واضح المعالم بيد أن صوته معروف، هو صوت صالح عشماوي، وأمامه منضدة منخفضة الأرجل وهو جالس أمامها متربعًا. وعلى المنضدة مصحف ومسدس، وطلب من كل منا أن يضع يده اليمنى على المصحف والمسدس ويؤدي البيعة بالطاعة للنظام الخاص والعمل على نصرة الدعوة الإسلامية».

ثم سجل انطباعه عن هذا الموقف وعن هذه الطقوس فقال:

«كان هذا موقفًا عجيبًا يبعث على الرهبة، وخرجنا سويًا إلى ضوء الطريق، ويكاد كل منا يكتم غيظه، قال عبد العزيز: **هذه تشبه الطقوس السرية التي تتسم بها الحركات السرية كالماسونية والبهائية، ولا أصل لها في الإسلام.** صدقت على كلامه. ثم انصرف كل منا إلى حال سبيله».

خطوات تكوين العضو داخل النظام الخاص:

قام الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص» بتناول مراحل تكوين العضو داخل النظام الخاص، كما جاءت على لسان المحكمة التي حكمت في قضية السيارة الجيب:

المرحلة الأولى:

مدتها خمسة عشر أسبوعًا تعطى فيها خمس عشرة حصة على الأقل، وموضوع الدراسة تعارف تام، أي معرفة تامة بظروف الأفراد وأوقات فراغهم وكيفية الاتصال بهم في الأحوال العادية وفي الحالات الفجائية، وتذكير بحق البيعة وتدارس التكاليف الثابتة بجدول المحاسبة وإعطاء بعض الدروس في السويدي ومعرفة كيفية تقديم تقرير، ودراسة قطعة من المحفوظات (اسم حركي للسلاح) دراسة تفصيلية، ومعرفة التوجيهات الخاصة بجميع الأخبار وتلخيصها وتقديم التقارير عنها، ودراسة رسالتين من المأثورات، وجزءين من المصحف الشريف، والقيام برحلة رياضية، ثم دراسة باقي قطع المحفوظات والقيام برحلة تدريب، مع تكليف بدراسة كتابين لكل فرد من المنهج الثقافي الخاص بهذه المرحلة، وذلك لتقديم تقرير كتابي عنهما، ودروس في القانون، ثم تدارس للتقارير التي قدمت عن الكتب، والقيام برحلة رياضية، ودروس في الإسعاف، ومجموع هذه الدروس خمسة عشر درسًا.

المرحلة الثانية:

وجاء في أوراق المرحلة الثانية أن مدة الدراسة خمسة عشر أسبوعًا يعطى في خلالها خمسة عشر درسًا على الأقل، موضوعها تحليل البرنامج لهذه المرحلة، ودراسة قانونية ودراسة نظرية في تقدير المسافات، ورحلة خلوية لتقدير المسافات عمليًا، ودراسة جغرافية في رسم الخرائط وقراءتها، ودراسة البوصلة دراسة تفصيلية نظرية، ورحلة تطبيقية لرسم خريطة مع تقدير المسافات واستعمال البوصلة، وتكليف الأفراد بتقديم تقارير عن هذه الرحلة الأخيرة قبل بدء الجلسة التالية، ثم مناقشة التقارير في جلسة أخرى، والقيام برحلة سفن شراعية ورحلة تدريب ودروس في الإسعاف.

وجاء في الملاحظات الخاصة بهذه المرحلة أن أيَّة خيانة أو إفشاء سر بحسن قصد أو بسوء قصد يُعرض صاحبه للإعدام وإخلاء سبيل الجماعة منه، مهما كانت منزلته ومهما تحصن بالوسائل واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة(١).

المرحلة الثالثة:

وجاء في ورقة المرحلة الثالثة أنَّ مدتها خمسة عشر أسبوعًا ودروسها خمسة عشر درسًا، وتشمل تحليل برنامج المرحلة الثالثة وقيادة الموتوسيكل وسيارة، ورحلة رياضية أخرى للتدريب، ودروس في القانون، ودراسة منطقة معينة في القاهرة والأقاليم مع رسم خريطة جغرافية لها وبيان الأبنية المهمة تفصيليًا، ودروس في الإسعاف.

المرحلة الرابعة:

وجاء في الورقة الخاصة بالمرحلة الرابعة أن مدتها خمسة عشر أسبوعًا ودروسها خمسة عشر درسًا، وتشمل تحليل برنامجها، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بحصر قوات بوليس قسم معين وقيادة سيارة إن أمكن، أو رحلة رياضية كركوب الخيل والجمال وحصر قوات المرور وأماكنهم في منطقة معينة، ودراسة عملية شاملة لمدينة القاهرة

---

(١) جاء في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

يقول العلامة ابن دقيق العيد في كتاب «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»: «وهؤلاء الثلاثة مباحوا الدم بالنص. وقوله عليه السلام: «**يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**» كالتفسير لقوله: «**مسلم**» وكذلك «**المفارق للجماعة**» كالتفسير لقوله: «**التارك لدينه**» والمراد بالجماعة: جماعة المسلمين، وإنما فراقهم بالردة عن الدين، وهو سبب لإباحة دمه بالإجماع في حق الرجل، واختلف الفقهاء في المرأة: هل تقتل بالردة، أم لا؟» (٢/٢١٧).

يقول الشيخ عبد المحسن العباد البدر في شرح الأربعين النووية: «السؤال: هل يدخل في قوله: «**المفارق للجماعة**» تلك الفرق المبتدعة الذين يرون السيف على حكام المسلمين؟

الجواب: الخوارج يرون السيف ولا يقال: إنهم كفار، ومفارقة الجماعة ليست قسمًا مستقلًا مما يستحل به القتل في الحديث، وإنما هو وصف للمرتد عن دينه: **التارك لدينه، المفارق للجماعة**، فهذا وصف لشيء واحد، فهي ثلاثة أقسام وليست أربعة، والثالث: هو التارك لدينه المفارق للجماعة، فهو شيء واحد، وليس المفارق للجماعة وحده شيئًا مستقلًا».

وذلك ببيان أحيائها وعلاقتها ببعض ومسالكها ومواصلاتها وكيفية مهاجمة مكان ما، ورحلة تدريب، ودروس في القانون، وإقامة معسكر للمبيت تمارس فيه أنواع الرياضة المختلفة ودراسة حربية، ثم دراسة في التعقب يقوم بها كل فرد، ودروس في الإسعاف.

وقام أحمد عادل كمال في كتابه: «النقط فوق الحروف» بوضع صورة من الامتحان النهائي في المرحلة الأولى لأعضاء النظام الخاص، جاءت فيه أسئلة عن حرب العصابات، والأسلحة الصغيرة، والمفرقعات وتصنيع القنابل والملوتوف وأنواع وطرق النسف، والتكتيك، وغيرها وقد كان ذلك في عام ١٩٥٢.

التدريب على استعمال السلاح وصناعته:

يحكي الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص» عن التحرك العملي نحو الممارسة العسكرية سواء كان بالتدريب أو بصناعة السلاح ذاته حتى إذا اكتملت هذه الخطوات لم يبقَ إلا التنفيذ والتطبيق وقد كان، يقول الكاتب:

«لم يكن الأمر يقتصر على الدراسة النظرية من فك وتركيب وتنظيف لقطع الأسلحة المختلفة وأنواع القنابل المختلفة في الاجتماعات، ولكن كان لا بد من التدريب على ضرب النار واستعمال القنابل.

وقد اتخذ النظام من الجبال والصحاري المحيطة بالقاهرة ونظائرها في الأقاليم ميادين للتدريب؛ فكنا نختار مخبأً أمينًا في أعماق الجبال يكون قريبًا منه وادٍ مناسب للتدريب، ثم تحدد مواعيد وبرامج لكل مجموعة بقيادة أميرها للذهاب إلى الوادي المختار، حيث يترك الأمير المجموعة ويحضر الأسلحة والذخائر اللازمة للتدريب من مخبئها، ويبدأ التدريب بالذخيرة الحية، ثم يعيد أمير المجموعة الأسلحة وما بَقي من ذخائر إلى مخبئها ويقود المجموعة إلى القاهرة في أمان تام، ولم يختلف نظام التدريب في القاهرة عنه في الأقاليم إلا بوفرة التسهيلات في الأقاليم حيث تتوفر الأسلحة والذخائر والأماكن الآمنة التي يتم فيها التدريب دون جهد كبير».

الإخوان يتدربون على السلاح ويدَّعون أنه لصالح فلسطين:

يحكي أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» عن واقعة مثيرة تؤكد بشكل

قاطع أن الإخوان كانوا يتذرعون بقضية فلسطين في التعمية على الأنشطة المسلحة للجماعة، وأن ما يذكرونه عن أنَّ إنشاء النظام كان بهدف نصرة القضية الفلسطينية فقط ليس صحيحًا؛ لأنه لم يكن الهدف الوحيد من إنشاء الجهاز هو مقاومة المحتل بل كانت هناك أهداف أخرى ظهرت بعد ذلك؛ يقول:

«كُلفنا بالبحث عن مكان مناسب بجبل المقطم يصلح للتدريب على استخدام الأسلحة والمفرقعات، فقد كان جبل المقطم قريبًا من القاهرة فهو لا يحتاج إلى أجازات أو سفر، والمطلوب أن يكون المكان موغلًا في الجبل ميسورًا الوصول إليه بالسيارة، وأن يكون صالحًا كميدان ضرب نار، وأن يكون مستورًا عن الأعين، وأن يكون به ما يصلح أبراج مراقبة للحراسة، ووجدنا كل تلك الصفات في موقع حين واقعناه على خرائط المساحة وجدناها عبرت عنه باسم الأسيمرات، أما الآن فقد امتدت إليه المنشآت ويقع حاليًا جنوب المنطقة الثانية لمقابر مدينة نصر.

وبدأ التدريب في ذلك الموقع بمعدل مجموعتين في اليوم الواحد؛ مجموعة تذهب مع الفجر حتى العصر، وأخرى تذهب مع العصر وتعود مع الفجر،وكان الذهاب والعودة يتم بسيارة ستيشن واجن، وكان الترتيب ألَّا ترى مجموعة الأخرى، وأن يكون هناك بصفة دائمة في مكان مرتفع من يرقب المجال حول الموقع بمنظار مكبر، هذا الحارس كان في استطاعته أن يرى سيارة قادمة بسرعة قبل أن تصل بثلث ساعة على الأقل، وكانت هناك حُفَر معدَّة ليوضع بها كل السلاح والذخيرة ويردم عليها لدى أول إشارة، وبذلك تبقى المجموعة في حالة معسكر وليس معها ممنوعات قانونية.

واستمر ذهاب المجموعات وعودتها بمعدل مرتين كل يوم ولمدة طويلة حتى صنعت السيارة مدقًا واضحًا مميزًا في الجبل.. وحتى لفتت نظر الحجارة في محاجر الجبل بأول الطريق، وبلغ الخبر إلى البوليس ونحن لا نشعر، وكان مسئول التدريب يدرب مجموعة هناك، ومن تكرار التدريب في أمن وسلام فقد تغاضى عن حذره فتجاوز عن وضع الحارس مكانه ولم يشعر والمجموعة معه إلا بقمم الجبل حوله وقد ظهرت من

فوقها قوات البوليس شاهرة سلاحها وتطالبهم بالتسليم وهم منهمكون في تدريبهم، كان ذلك يوم ١٩/١/ ١٩٤٨ ونشرت الصحف الخبر.

وحتى هذه الحالة كان هناك إعداد لمواجهتها، أجاب إخواننا المقبوض عليهم بأنهم متطوعون لقضية فلسطين، وهي إجابة كان متفقًا عليها، وفي نفس الوقت كانت استمارات بأسمائهم تحرر في مركز التطوع لقضية فلسطين، كما تم اتصال بالحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا وشرحنا له الوضع على حقيقته، وكان متجاوبًا معنا تمامًا فأقر بأن المقبوض عليهم متطوعون من أجل فلسطين وأن السلاح سلاح الهيئة، وبذلك أفرج عن الإخوان وسلم السلاح إلى الهيئة العربية العليا، ومع ذلك فقد كان للحادث أثر بعيد، ذلك أنه عثر مع المسئول ﷺ على كشف اشتهر فيما بعد بأنه كشف الجبل يحوي مائة اسم من أسماء إخوان النظام وأرقامهم السرية مرتبين في مجموعات هي المجموعات التي كان مزمعًا تدريبها تباعًا من منطقة جنوب القاهرة، ولم يعلم أحد من المسئولين عن النظام في حينها شيئًا عن كشف الجبل، ولم يذكره المسئول، ولكن ذلك الكشف ظهر بعد ذلك في القضايا وكان من قرائن الاتهام القوية فضلًا عن أنه كَشَفَ الأسماء التي احتواها».





المبحث الثالث

الحوادث التي تورط فيها النظام الخاص



المبحث الثالث:
الحوادث التي تورط فيها النظام الخاص

تورط النظام الخاص فعليًا في عدد من محاولات القتل والاغتيال والتفجير وامتلاك السلاح، وقد اجتهد بعض محبي الجماعة في تبرئتها من هذه الجرائم، إلا أن اعتراف بعض المنصفين لها وحكايتها بكامل تفاصيلها يقطع الطريق أمام أي محاولة للتملص من هذه الحوادث.

حادث مقتل الخازندار بك (٢٢ مارس ١٩٤٨):

في صباح يوم ٢٢ مارس ١٩٤٨ خرج القاضي أحمد بك الخازندار من منزله بشارع رياض بحلوان ليستقل القطار المتجه إلى وسط مدينة القاهرة حيث مقر محكمته، وكان في حوزته ملفات قضية كان ينظر فيها وتعرف بقضية «تفجيرات سينما مترو»، والتي اتهم فيها عدد من المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين، وما أن خرج من باب مسكنه حتى فوجئ بشخصين هما حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم -عضوي جماعة الإخوان- يطلقان عليه وابلًا من الرصاص من مسدسين يحملانهما، أصيب الخازندار بتسع رصاصات ليسقط صريعًا في دمائه.

وفي ٢٢ من نوفمبر ١٩٤٨ صدر الحكم على محمود زينهم وحسن عبد الحافظ بالأشغال الشاقة المؤبدة.

بعد أن حكم الخازندار بالسجن على المتهمين الإخوان، قال عبد الرحمن السندي -رئيس النظام الخاص- إن حسن البنا قال في اجتماع بجماعته: «ربنا يريحنا من الخازندار وأمثاله». وهو ما اعتبره أعضاء في التنظيم بمثابة «ضوء أخضر» لاغتيال الخازندار.[1]

قام أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» بذكر الخطوات التفصيلية لهذه المهمة، بداية من تكليف المسئولين عنها، إلى دراسة المكان، ومراقبة الضحية، وإعداد السلاح، والتدريب اللازم حتى جاء يوم تنفيذ المخطط كما يلي:

---

(١) مذكرات د.يوسف القرضاوي، الجزء الأول.

«وفي الصباح الباكر، وقبل الموعد المعتاد لخروج الخازندار من بيته، كان الصائدان يترصدان ذلك الخروج، ثم خرج في خطوات وئيدة لا يدري ما هو مبيت له، وكان محمود بعيدًا بعض الشيء يرقب الطريق والمارة ويرقب أيضًا أخاه في المهمة، بينما تقدم حسن وأطلق بضع طلقات -لعلها كانت ثلاثًا- لم تصب الهدف، ولم يُضع محمود الفرصة فترك مكانه وتقدم نحو الخازندار، وقيل إنه أمسك به من ذراعه وأوقعه على الأرض، كان محمود مصارعًا ورياضيًا وكان مكتمل الجسم مثل الجمل الأورق، وصوب إليه مسدسه فأفرغ فيه ما شاء، ثم تركه وانسحب بزميله، وقد خرجت الأرملة تصيح من الشرفة وتقول: «ألم أقل لك؟ يا أحمد بك، ألم أقل لك؟ أنا مش قلت لك؟»».

أما الصباغ فإنه يقرر أن الحادث تم على أيدي أفراد من النظام الخاص وعلى رأسهم قائده المباشر إلا أنه يتذرع بأن المرشد العام لم يكن على علم بذلك فيقول في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»:

«إنّ مرتكبوا هذا الحادث هم ثلاثة أفراد من الإخوان المسلمين، بصفتهم الشخصية هم: عبد الرحمن السندي، ومحمود سعيد زينهم، وحسن عبد الحافظ.

ولقد استحل هؤلاء الإخوان الثلاثة لأنفسهم القيام بهذا العمل **لدوافع وطنية اقتضتها ظروف هذا الحادث** واستشعرها جميع شعب مصر في حينها، دون أن يكون لأحد من الإخوان المسلمين أو من قيادة النظام الخاص أمر أو إذن به.

ولا يغير من هذه الحقيقة كون عبد الرحمن السندي رئيسًا للنظام الخاص ولا كون الأخوين محمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ أعضاء في النظام الخاص؛ لأن النظام الخاص لا يمكن أن يتحمل إلا الأعمال التي تقرها قيادته مجتمعة بأمر صريح من المرشد العام، وما لم يتحقق هذين الشرطين لأي عمل من أعمال النظام الخاص؛ فإن هذا العمل يكون عملًا فرديًا تقع مسئوليته كاملة على من قام به».

ثم يعود فيشرح ظروف وملابسات كل فرد من هؤلاء الثلاثة بطريقته التبريرية المعهودة فيقول عن عبد الرحمن السندي:



«ولقد لمسنا من عبد الرحمن طوال فترة العمل معنا الصدق في اللقاء والصبر على العناء، والبذل بالمال والوقت دون حدود، مع صفاء في النفس، ورقة في الشعور، والتزام بأحكام الدين حتى أحببناه حبًا صادقًا من كل قلوبنا، لما جمع الله فيه كل هذه الصفات، ولعل هذا الإحساس المرهف، مع الطبيعة الصعيدية هما القوة الدافعة لعبد الرحمن التي حولت مظاهر السخط البادية من كل الناس وهو واحد منهم، وبخاصة من الإمام الشهيد على هذا الجور الذي ظهر من دائرة الخازندار بك ضد الشباب والوطنيين، مقارنًا باللين المخل في أحكامها ضد المجرمين الحقيقيين».

إذًا فإحساس الرجل المرهف وشعوره النبيل وطبيعته الصعيدية جعلت منه قوة دافعة للقتل والاغتيال، وما دام الرجل رقيق الشعور صافي النفس فله كل العذر إن قتل من قتل وسفك دم من سفك!!

ولكن كيف تعاملت قيادة الإخوان مع هذه الحادثة بعد إذ تقرر لديهم مسئوليتهم عنها؟!

يقول الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»:

«وعقدت قيادة النظام الخاص محاكمة لعبد الرحمن على هذا الجرم المستنكر، وحضر المحاكمة كل من فضيلة المرشد العام الشهيد حسن البنا وباقي أفراد قيادة النظام بما في ذلك الإخوة صالح عشماوي، والشيخ محمد فرغلي، والدكتور خميس حميدة، والدكتور عبد العزيز كامل، ومحمود الصباغ، ومصطفى مشهور، وأحمد زكي حسن، وأحمد حسنين، والدكتور محمود عساف، وقد أكد عبد الرحمن في المحاكمة أنه فهم من العبارات الساخطة التي سمعها من المرشد العام ضد أحكام المستشار الخازندار المستهجنة أنه سيرضى عن قتله لو أنه نفذ القتل فعلًا.

وقد تأثر المرشد العام تأثرًا بالغًا بكلام عبد الرحمن لأنه يعلم صدقه في كل كلمة يقولها تعبيرًا عما يعتقد، وبلغ من تأثر فضيلة المرشد العام أنه أجهش بالبكاء ألمًا لهذا الحادث الأليم الذي يستوجب غضب الله؛ لأنه قتل لنفوس بريئة من غير نفس، كما

يعتبر مادة واسعة للتشهير بالدعوة ورسالتها في الجهاد من أجل إقامة شرع الله، وقد تحقق الإخوان الحاضرون لهذه المحاكمة من أن عبد الرحمن قد وقع في فهم خاطئ في ممارسة غير مسبوقة من أعمال الإخوان المسلمين، فرأوا أن يعتبر الحادث قتل خطأ، حيث لم يقصد عبد الرحمن ولا أحد من إخوانه سفك نفس بغير نفس، وإنما قصدوا قتل روح التبلد الوطني في بعض أفراد الطبقة المثقفة من شعب مصر أمثال الخازندار بك».

هكذا بكل بساطة قصد الرجال الأطهار قتل روح التبلد فوقع القتل على بعض أفراد الطبقة المثقفة فأصاب الخازندار وكأن شيئًا لم يكن!

ثم يواصل التبرير فيقول:

«ولما كان هؤلاء الإخوان قد ارتكبوا هذا الخطأ في ظل انتمائهم إلى الإخوان المسلمين وبسببه؛ إذ لولا هذا الانتماء لما اجتمعوا على الإطلاق في حياتهم ليفكروا في مثل هذا العمل أو غيره، فقد حق على الجماعة دفع الدية التي شرعها الإسلام كعقوبة على القتل الخطأ من ناحية، وأن تعمل الهيئة كجماعة على إنقاذ حياة المتهمين البريئين من حبل المشنقة بكل ما أوتيت من قوة، فدماء الإخوان ليست هدرًا يمكن أن يفرط فيها الإخوان في غير أداء فريضة واجبة يفرضها الإسلام، حيث تكون الشهادة أكبر وأعظم من كل حياة.

ولما كانت جماعة الإخوان المسلمين جزءًا من الشعب، وكانت الحكومة قد دفعت بالفعل ما يعادل الدية إلى ورثة المرحوم الخازندار بك، حيث دفعت لهم من مال الشعب عشرة آلاف جنيه، فإن من الحق أنْ نقرر أنَّ الدية قد دفعتها الدولة عن الجماعة وبقي على الإخوان إنقاذ حياة الضحيتين الأخرتين محمود زينهم، وحسن عبد الحافظ».

ورغم أن الحادث تسبب في قدر من الزلزلة والتشكك في نفوس كثير من القادة فضلًا عن الأتباع وتوقعوا حل النظام الخاص أو إقالة قائده إلا أن الصباغ يصدمنا جميعًا فيقول:

«كما أن بعض كبار الإخوان الذين يعلمون بوجود النظام الخاص في الجماعة، ولكن عدم انتمائهم إليه لم يسمح لهم بمعرفة شيء عن ظروف هذا الحادث، ولا عن



الموقف الشرعي الذي وقفته قيادة النظام منه، اتخذوا من غضبة المرشد العام على هذا الحادث غضبة على النظام الخاص ككل، وعلى رئيسه عبد الرحمن السندي على وجه الخصوص، وأخذوا يروِّجون أن المرشد العام عزم على حل النظام الخاص أو على إقصاء عبد الرحمن السندي من رئاسته، ولكن الحقيقة أن شيئًا من هذا لم يحدث، وأن فضيلة المرشد العام استمر على ثقته واعتماده على النظام الخاص وقيادته حتى لَقِي ربه راضيًا مرضيًا».

ليست هذه هي المشكلة أيضًا بل العجب كله يأتي بعد ذلك حيث وجد الإخوان أن من واجبهم إنقاذ أبنائهم من أن تلحق بهم عقوبة مستحقة على أيدي المحكمة، إلا أنَّ الإخوان قد رأوا في المحكمة الداخلية التي عقدوها فيما بين أنفسهم كفاية وزيادة، ونترككم مع الصباغ وهو يحكي هذه الدراما المثيرة فيقول:

«لقد صدق إخوان النظام في الدفاع عنهم، والعمل على نجاتهم مما وقعوا فيه نتيجة لخطأ غير متعمد من رئيس النظام، فذلك هو أبسط واجبات أفراد العمل العسكري إذا ما وقع فرد أو أكثر من أعضائه في يد الأعداء بطريق الخطأ.- ثم يستكمل قائلًا - كما تحملت بنفسي وضع خطة لخطف الأخوين عبد الحافظ ومحمود زينهم من سجن مصر تحسبًا لما يمكن أنْ يقع في نفس القضاة من غضب لزميلهم، فيحكموا عليهما بالإعدام، وحرصت على أن لا تكون في هذه الخطة فرصة لإراقة دماء.

وقد اشترك معي الأخ صلاح عبد الحافظ في متابعة تنفيذ الخطة، فقد كان ولعه بنجاة شقيقه حسن ولعًا كبيرًا، وقد بُنيت الخطة على الاستعانة باثنين من السجانين في نقل صور المفتاح الماستر الذي يفتح جميع الزنازين على قطعة من الصابون بحيث يمكن صنع مفتاح مطابق له بيد البراد الماهر علي الخولي، ومن الطبيعي أنني دفعت لهذين السجانين أتعابهما عن هذا العمل، وقد كان اختيارهما دقيقًا، فلم يفصحوا لأحد عن عمليتهم الخطرة.

كما كان من الخطة الاستغاثة باثنين من المسجونين العاديين الذين تعودوا الخروج لعيادة طبية في المستشفيات، وكانت علاقاتهما بالسجانين المرافقين لهما تسمح بأن يتركوا لهما حرية التنقل وزيارة أهلهما، ثم العودة إلى السجن دون إضرار بالسجانين.

وقد تم فعلًا الاتفاق مع هذين المسجونين على فتح باب زنازين كل من الأخوين حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم بالمفتاح المصنوع بمعرفتنا، ومساعدتهما في القفز من سور السجن في الوقت الذي نتفق عليه، ومن الموضع الذي نتفق عليه، ولقد دفعت بنفسي لهذين المسجونين أتعابهما سخيًا عن هذه العملية، ولكن إرادة الله شاءت أن يلقى القبض علينا في قضية السيارة الجيب قبل تنفيذ هذه الخطة على الرغم من أن تجربة المفتاح قد نجحت في فتح الزنازين، كما أن القبض علينا لم يسمح لنا بتنفيذ خطة بديلة كانت تقضي بخطف الأخوين من سيارة السجن عند دخولها بين مسجدي الرفاعي والسلطان حسن بتهويش حراستهما بقنابل صوت، ثم الفرار بهما بعيدًا عن الموقع المختار».

١٥ نوفمبر ١٩٤٨قضية السيارة الجيب[١] :

هذه القضية أحد أهم القضايا المحورية في تاريخ الجماعة وهي التي بسببها تم اكتشاف جزء كبير من الجانب السري والخفي في تحركات هذه الجماعة ومنطلقاتها، ومع أن حادث اكتشاف هذه السيارة يبدو قدريًا محضًا، إلا أن السيارة كانت ممتلئة بعدد كبير من الوثائق السرية والمخطوطات الخاصة، والتي لم تكن فقط تكشف عن أوراق دعوية أو تنظيمية تتعلق بنشاط الجماعة أو تحركاتها، بل كانت تشرح خططًا وتبرز فكرًا.

تبدأ القصة بقيام عدد من أعضاء النظام الخاص بالجماعة بنقل أوراق خاصة بالنظام وبعض الأسلحة والمتفجرات في سيارة جيب من إحدى الشقق بحي المحمدي إلى شقة أحد الإخوان بالعباسية، إلا أنه تم الاشتباه في السيارة التي لم تكن تحمل أرقامًا وتم القبض على أعضاء التنظيم والسيارة لينكشف بذلك النظام الخاص السري لجماعة الإخوان المسلمين، وقد أدى هذا الحادث إلى إعلان محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء آنذاك أمرًا عسكريًا بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال أعضائها وتأميم ممتلكاتها وفصل موظفي الدولة والطلبة المنتمين لها، وكان هذا القرار سببًا في جعل النظام الخاص يقوم بقتل النقراشي بعد ذلك.

---

(١) ذكرنا هذا الحادث لأنه كان مقدمة لحادثتين بعد ذلك، وهما حل الجماعة،واغتيال النقراشي.

أما ملابسات ضبط السيارة فتبدو ظريفة بعض الشيء؛ يقول الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»:

«أوقع الله في نفس الأخ عادل كمال بعد أن رأى حل الإخوان بالإسماعيلية وانتشار إرهاصات كثيرة عن عزم الحكومة على حل جماعة الإخوان المسلمين عامة أن ينقل بعض الأوراق والمعدات المتعلقة بالجهاز السري من إحدى الشقق بحي المحمدي إلى شقة أحد الإخوان بالعباسية، وهو عمل تنظيمي صغير لا يستحق أمرًا به من القيادة العليا، ولا تدبيرًا خاصًا لتأمينه، فاصطحب معه الأخ طاهر عماد الدين في إحدى السيارات المخصصة لأعمال الجهاد؛ وهي سيارة جيب يقودها الأخ مصطفى كمال عبد المجيد.

ولقد تم نقل كل موجودات شقة المحمدي إلى السيارة، واتجهت حتى وصلت منزل الأخ إبراهيم محمود علي بالعباسية لتودع هذه الموجودات أمانة هناك، وكان ذلك حوالي الساعة الثالثة من بعد ظهر ١٥/١١/ ١٩٤٨م في شارع جنينة القوادر بحي الوايلي أمام المنزل رقم ٣٨، ولم يكن عادل يدري بأن من سكان هذا المنزل مخبرًا في حالة خصام مع جاره إبراهيم محمود علي -هو البوليس الملكي صبحي علي سالم- ذلك ليقع أمر الله حيث لو علم عادل بذلك لاختار منزلًا آخر لحفظ هذه الموجودات، وهناك لاحظ المخبر دون أي تدبير من قيادته في البوليس أن السيارة لا تحمل أرقامًا وأنها تخص خصمه إبراهيم محمود علي، فزين له عداؤه لإبراهيم أن يضبط السيارة كيدًا في إبراهيم، وقد اشتد سروره عندما تبين أن الأمر أكبر من مجرد استعمال سيارة بدون ترخيص، ففي السيارة بعض المحظورات من الأسلحة والمتفجرات.

جرى ركاب السيارة ولكنه لحقهم واستعان بالناس صارخًا أنهم صهيونيون فتم ضبط كلًا من أحمد عادل كمال وطاهر عماد الدين، أما مصطفى كمال عبد المجيد فلم يرد الله أن يضبط ليتم بذلك التدبير السماوي الحكيم.

أبلغ مصطفى كمال عبد المجيد الأخ سعد كمال صاحب ورشة سيارات في شارع أحمد سعيد قرب تقاطعه بشارع الملكة نازلي (رمسيس حاليًا) بواقعة ضبط السيارة وأعطاه فكرة عن محتوياتها.

ولقد شاءت القدرة الإلهية أن يكون في نفس اليوم الذي وقعت فيه هذه الواقعة اجتماع لقيادة النظام بمنزل الأخ مصطفى مشهور الذي يقع منزله قريبًا من ورشة الأخ سعد كمال، فتوجه الأخ سعد كمال إلى منزل الأخ مصطفى مشهور دون أن يعلم شيئًا عن الاجتماع المنتظر بمنزله، ليبلغه بواقعة ضبط السيارة، كما توجه مصطفى كمال عبد المجيد إلى منزلي دون أن يعلم هو أيضًا شيئًا عن هذا الاجتماع، ليبلغني واقعة ضبط السيارة، وكان هذان البلاغان قبل موعد اجتماع قيادة النظام بما يقرب من ساعتين.

فقام مصطفى مشهور بإخلاء منزله من أي أوراق لها علاقة بأعمال النظام تحسبًا أن يفتش كغيره من الإخوان المعروفين، فجعلها جميعًا في حقيبة، وذهب ليودعها عند قريب لا علاقة له بالإخوان، وهو لا يدري أنه سيسير في نفس الشارع الذي ضبطت فيه السيارة الجيب، وترك رسالة في منزله أنه سيعود حالًا لحضور الاجتماع.

كنت أول من حضر لمنزل مصطفى من قيادة النظام، فأخبرني أهله برسالته ولكني لم أطلب الدخول وحدي على الرغم من أن باب حجرة الاستقبال كان مفتوحًا على السلم الخارجي ولا يحتاج من يدخل إلى المرور بأي جزء من أجزاء الشقة، فقفلت راجعًا، ولكنني قابلت كلًا من الأخوين أحمد زكي حسن، وأحمد حسنين من قيادة النظام قادمين لحضور الاجتماع، فأبلغتهما خبر وجود مصطفى خارج المنزل وتوقع حضوره بعد دقائق، ورجعت معهما إلى منزل مصطفى لننتظره في حجرة الصالون، ونحن لا ندري أن مصطفى كان قد قبض عليه وهو يسير إلى منزل أحد أقاربه لإيداع الحقيبة التي احتوت على الأوراق المتعلقة بالجهاد والموجودة لديه هناك.

دخل ممثلوا النيابة والبوليس إلى شقة مصطفى مشهور لتفتيشها ونحن جلوس في حجرة الصالون حيث ظنوا أننا من أقاربه، أما عبد الرحمن السندي فقد لاحظ وهو في الطريق إلى الاجتماع معنا في منزل مصطفى مشهور الحركة الغير عادية خارج منزله فاستمر في سيره إلى منزله ولم يقبض عليه في هذا اليوم، وإن كان قد قبض عليه بعد ذلك عندما ورد اسمه في التحقيقات.

ولعل هذا القدر هو الذي شجع الحكومة بعد إيداعها لجميع القيادات في الدعوة العامة السجون والمعتقلات، وبعد عزل المرشد عنها ببقائه تحت الرقابة المشددة في منزله، وبعد اطمئنانها للقبض على قيادات النظام، بضربة قدرية ليس لها فيه فضل، ولا لرجال أمنها فيه أدنى جهد، لتضرب ضربتها بحل الإخوان المسلمين في جميع أنحاء القطر قبل مضي ثلاثة أسابيع على هذه الواقعة.

ولعل هذا الوهم الذي سيطر على محمود فهمي النقراشي باشا بأن رجاله لديهم القدرة المعجزة على ضبط قيادات النظام، لما ذكروه في التحقيقات من أن ذلك جاء بسبب يقظتهم الفائقة وقدراتهم الخارقة، هو الذي جعل محمود فهمي النقراشي لا يستمع إلى نصح وزير الداخلية مرتضى المراغي عندما حذره من حل الجماعة، فقال له وهو يضحك: أعرف ديتها، رصاصة أو رصاصتان في صدري، ولو كان النقراشي باشا جادًا لا هازلًا ما أقدم أبدًا على حل جماعة الإخوان المسلمين وهو يتوقع هذه النتيجة، وأغلب الظن أنه كان يتوقع أن تمر خيانته بسلام اطمئنانًا إلى كفاءة رجاله وقدرات حلفائه من الصهاينة والمستعمرين».

يقول أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» عن طبيعة المضبوطات التي عثر عليها الأمن داخل السيارة الجيب:

«ذكرنا أن مجموعات النظام الخاص كانت تتلقى دروسًا في بيوت أعضائها عن مختلف أنواع الأسلحة ولا سيما المسدسات والقنابل اليدوية والمتفجرات والقنابل والتوصيلات الكهربائية لتفجير الشاحنات الناسفة، كذلك كانت هناك رسائل ومطبوعات خاصة بتلك الدراسات، هذا فضلًا عن التقارير التي كانت يحررها إخوان النظام دراسة لهدف من الأهداف أو عملية من العمليات أو لمجرد التدريب على تلك الدراسات وأوراق الإجابة لامتحانات مراحل النظام».

لذا فقد كان لوقوع هذه السيارة في أيدي الأمن طعنة كبرى في صدر الجماعة أصابتهم بقدر من التخبط والزلزلة مما جعلهم يُقدمون على خطوات أكثر هجومًا وعنفًا؛ يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«وبتفتيش السيارة الجيب عثر فيها على أوراق خطيرة جدًا وفي غاية الأهمية، وهذه الوثائق تكشف عن تنظيم سري مسلح وفي غاية الدقة والتنظيم، وسرعان ما صدرت أوامر النيابة بتفتيش منازل الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في هذه الأوراق، وفعلًا تم القبض على المجموعة الأولى في منزل أحد الإخوان بالوايلي ويعتبر من قادة هذا التنظيم ثم تتابعت حركة القبض حتى نهاية مارس ١٩٤٩.

وكان نبأ هؤلاء الإخوان أسوأ خبر سمعه الإخوان المسلمون في تاريخهم، وكان بالنسبة للإخوان القائمين على أمر التنظيم أشد قسوة وإيلامًا على نفوسهم، ولعله كان كذلك على فضيلة المرشد العام وإخوانه جميعًا، ولقد جاء هذا الحادث في وقت تتربص فيه الدولة بالإخوان الدوائر وتترقب الفرصة السانحة لتضربهم، كما أن حوادث النسف السابقة كانت قد ألقيت بعض ظلالها على جماعة الإخوان المسلمين».

وقد اتهم في هذه القضية عدد كبير من قيادات الإخوان على رأسهم:

١- الأستاذ عبد الرحمن السندي.
٢- الحاج مصطفى مشهور.
٣- الأستاذ محمود الصباغ.
٤- الأستاذ أحمد زكي حسن.
٥- الحاج حسني عبد الباقي.
٦- الأستاذ سيد فايز عبد المطلب.
٧- الأستاذ أحمد عادل كمال.
٨- الدكتور أحمد الملط.
٩- كمال السيد القزاز.
١٠ - كمال السنانيري.
١١ - الشيخ محمد فرغلي.

نص الحكم في هذه القضية:

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين» حاكيًا عن مآل هذه القضية: «طلب الدفاع تأجيل نظر القضية إلى دور مقبل حتى لا يلقى بالمتهمين في أتون محاكمة عسكرية ضمانات الدفاع فيها غير متوفرة، وأجابت المحكمة طلب الدفاع، ولما ألغيت الأحكام العرفية تقدم المتهمون بمعارضات في أمر حبسهم، ونظرت هذه المعارضات في جلسة ١٠ يونيو ١٩٥٠ فتقرر الإفراج عن ثمانية من المتهمين،

وبدأ النظر الفعلي للقضية أمام دائرة سعادة أحمد بك كامل وعضوية محمود بك عبد اللطيف ومحمد بك زكي شرف في الثاني من ديسمبر سنة ١٩٥٠، واستمر نظرها إحدى وأربعين جلسة، وحددت الجلسة الثانية والأربعون للنطق بالحكم في السابع عشر من مارس ١٩٥١، وبذلك يكون نظر القضية قد استغرق ثلاثة شهور ونصف».

حكمت المحكمة حضوريًا:

أولاً: بمعاقبة كل من:

مصطفى مشهور – محمود السيد خليل الصباغ – أحمد محمد حسني – أحمد قدري الحارثي– والسيد فايز عبد المطلب بالسجن لمدة ثلاث سنوات.

ثانيًا: بمعاقبة كل من:

عبد الرحمن السندي – أحمد زكى حسن – أحمد عادل كمال – محمود حلمي فرغلي – عبد الرحمن عثمان – صلاح عبد المتعال – جمال الشافعي – جلال الدين يس – محمد أحمد علي – كمال السنانيري– وعلي الحريري بالحبس مع الشغل سنتين.

ثالثًا: معاقبة كل من:

محمد إبراهيم سويلم – بالحبس مع الشغل سنة واحدة.

رابعًا:

مصادرة السيارة المضبوطة وجميع الأسلحة والذخائر والمفرقعات والأدوات المفرقعة المضبوطة.

خامسًا: براءة كل من:

محمد فرغلى النخيلي – محمد حسني عبد الباقي – أحمد متولي حجازي – إبراهيم محمود علي – الدكتور أحمد محمد الملط – جمال الدين إبراهيم فوزي – إسماعيل شلبي – أسعد السيد أحمد – محمد بكر سليمان – محمد الطاهري حجازي – عبد العزيز البقلي – كمال القزاز – محمد محمد فرغلي – سليمان مصطفى عيسى – طاهر عماد الدين – علي محمد حسانين. مما أسند إليهم».

مقتل محمود فهمي النقراشي باشا: ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨

ولد محمود فهمي النقراشي في مدينة الإسكندرية شمال مصر في ٢٦ إبريل ١٨٨٨، عمل سكرتيرًا عامًّا لوزارة المعارف المصرية، ووكيلًا لمحافظة القاهرة، ثم صار عضوًا في حزب الوفد، حكم عليه بالإعدام من قِبل سلطات الاحتلال الإنجليزي بسبب ثورة ١٩١٩، والتي كان من قياداتها، واعتقل من قبل سلطات الاحتلال الإنجليزي في مصر عام ١٩٢٤، تولى وزارة المواصلات المصرية العام ١٩٣٠.

تولى رئاسة الوزراء عدة مرات؛ منها التي تشكلت بعد اغتيال أحمد ماهر، وذلك في ٢٤ فبراير ١٩٤٥، ثم تولى النقراشي الوزارة مرة أخرى في ٩ ديسمبر ١٩٤٦م بعد استقالة وزارة إسماعيل صدقي، وهذه هي الوزارة التي اتخذت قرار دخول مصر الحرب في فلسطين.

وفي اليوم الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٤٨ اتخذ محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الحكومة قرارًا مرفقًا بمذكرة تفسيرية وضعها عبد الرحمن عمار بك وكيل وزارة الداخلية وقتئذ يقضي بحل جماعة الإخوان المسلمين وذلك للحوادث الإرهابية التي وقعت في مختلف أنحاء البلاد واتهم جماعة الإخوان بارتكابها.

نص بيان قرار حل الإخوان المسلمين:

أصدر عبد الرحمن عمار نائب وزير الداخلية الساعة الحادية عشرة مساءً في اليوم الثامن من ديسمبر ١٩٤٨ بيان حل جماعة الإخوان من الإذاعة المصرية، ثم نشرته جميع الصحف، كما أذاعته جميع محطات الإذاعات العالمية، وقد أرفقت به المذكرة التفسيرية كما يلي:

تألفت منذ سنوات جمعية اتخذت لنفسها اسم «الإخوان المسلمين» وأعلنت على الملأ أن لها أهدافًا دينية واجتماعية دون أن تحدد لها هدفًا سياسيًا معينًا ترمي إليه، وعلى هذا الأساس نشطت الجمعية وبثت دعايتها، ولكن ما كادت تجد لها أنصارًا وتشعر بأنها اكتسبت شيئًا من رضا بعض الناس عنها، حتى أسفر القائمون على أمرها عن أغراضهم الحقيقية، وهي أغراض سياسية ترمي إلى وصولهم إلى الحكم وقلب النظم المقررة في البلاد.

وقد اتخذت هذه الجماعة – في سبيل الوصول إلى أغراضها – طرقًا شتى يسودها طابع العنف؛ فدربت أفرادًا من الشباب أطلقت عليهم اسم «الجوالة» وأنشأت مراكز رياضية تقوم بتدريبات عسكرية مستترة وراء الرياضة، كما أخذت تجمع الأسلحة والقنابل والمفرقعات وتخزنها لتستعملها في الوقت الذي تتخيره، وساعدها على ذلك ما كانت تقوم به بعض الهيئات من جمع الأسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين.

وأنشأت مجلات أسبوعية وجريدة سياسية يومية تنطق باسمها سرعان ما انغمست في تيار النضال السياسي متغافلة عن الأغراض الدينية والاجتماعية التي أعلنت الجماعة أنها قامت لتحقيقها.

ولا أدل على هذا مما أثبته ممثل النيابة العسكرية العليا في مذكرة له في شأن ما أسفر عنه تحقيق قضية الجناية العسكرية رقم ٨٨٢ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرك؛ إذ قال عن جمعية الإخوان المسلمين: «وبفحص المكاتب الأخرى اتضح من الاطلاع على التقرير المرسل من بعض أعضاء الجماعة في طنطا أنهم يعيبون على الجمعية سياستها الحالية التي تصطبغ بصبغة دينية بحتة، ويطلبون أن تكشف الجمعية للجمهور عن حقيقة مراميها، وعن الغرض الأساسي من تكوينها الذي ينصب بالذات على أن الجمعية ليست جمعية دينية بالمعنى الذي يفهمه الجمهور، وإنما هي جمعية سياسية دينية اجتماعية تنادي بتغيير القوانين وأساليب الحكم الحالية، وأن الخطب الدينية لا تفيد في توجيه الجمهور إلى تفهم غرضها الحقيقي، وأن الوسيلة لبلوغ هذا هو إثارة الجمهور بطريقة طَرْق مشاعره وحساسيته لا عقله وتقديره؛ إذ أن هذه الناحية الأخيرة هي ناحية ضامرة فيه.... إلخ» وقد كتب الشيخ حسن البنا رئيس الجماعة بخط يده على هذا التقرير إنه مؤمن بما ورد فيه موافق على ما تضمنه من مقترحات.

ومما يؤيد هذا الاتجاه ما حدث في ٨ فبراير ١٩٤٦ بإحدى قرى مركز أجا إذ قام طالب يخطب الناس حاثًا إياهم على الانضمام لشعبة الإخوان المسلمين في تلك القرية، ومحرضًا على مقاومة كل من يتعرض لهذه الجماعة من رجال الإدارة وغيرهم، ولو أدى ذلك إلى استعمال السلاح.

وقد استمر قادة الجماعة ورؤساؤها يعالجون الأمور السياسية في خطبهم وأحاديثهم ونشراتهم جهرة متابعين الأحداث السياسية، منتهزين كل فرصة تسنح لهم للوصول إلي أغراضهم، وكان بعض الموظفين قد استهوتهم الأهداف الاجتماعية والدينية التي اتخذتها الجماعة، كما امتدت دعوة الجماعة إلى أوساط الطلبة، واجتذبت فريقًا منهم، فأفسدت عليهم أمر تعليمهم وجعلت من بينهم من يجاهر بانتسابه إليها ويأتمر بأمرها فيُحدِث الشغب، ويثير الاضطراب في معاهد التعليم، مما أخل بالنظام فيها إخلالًا واضح الأثر.

ولقد تجاوزت الجماعة الأغراض السياسية المشروعة إلى أغراض يجرمها الدستور وقوانين البلاد، فهدفت إلى تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والإرهاب، ولقد أمعنت في نشاطها فاتخذت الإجرام وسيلة لتنفيذ مراميها – وفيما يلي بعض أمثلة قليلة لهذا النشاط الإجرامي كما سجلته التحقيقات الرسمية في السنوات الأخيرة:

أولاً: أوضحت تحقيقات الجناية العسكرية العليا سنة ١٩٤٢ قسم الجمرك حقيقة أغراض هذه الجماعة، وأنها تهدف إلى قلب النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية متخذة طرقا إرهابية بواسطة فريق من أعضائها دُرِّبوا تدريبًا عسكريًا وأُطلق عليهم اسم «فريق الجوالة».

ثانيًا: وبتاريخ ٦ يونيو ١٩٤٦ وقع اصطدام في مدينة بورسعيد بين أعضاء هذه الجماعة وخصوم لهم استعملت فيه القنابل والأسلحة، وأسفر عن قتل أحد خصومهم وإصابة آخرين، وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ٦٧٩ لسنة ١٩٤٦ قسم ثان بورسعيد.

ثالثًا: وبتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩٤٦ ضبط بعض أفراد هذه الجماعة بمدينة الإسماعيلية يقومون بتجارب لصنع القنابل والمفرقعات.

رابعا: كما وقعت بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ حوادث إلقاء قنابل انفجرت في عدة أماكن بمدينة القاهرة وضُبِط مِنْ مرتكبيها اثنان من هذه الجماعة، قدما لمحكمة الجنايات فقضت بإدانة أحدهما (قضية الجناية رقم ٧٦٧ لسنة ١٩٤٦ قسم عابدين – ١١٧ سنة ١٩٤٦ كلي).

خامسًا: وقد تعددت حوادث اشتباك أفراد هذه الجماعة مع رجال البوليس ومقاومتهم لهم بل والاعتداء عليهم وهم يؤدون واجبهم في سبيل حفظ الأمن وصيانة



النظام؛ مثال ذلك ما حدث في يوم ٢٩ يوليه ١٩٤٧ بدائرة قسم الخليفة من اعتداء فريق جوالة الإخوان المسلمين على مأمور هذا القسم ورجاله.

سادسًا: وقد ثبت من تحقيق الجناية رقم ٤٧٢٦ لسنة ١٩٤٧ الإسماعيلية أن أحد أفراد هذه الجماعة ألقى قنبلة بفندق الملك جورج بتلك المدينة فانفجرت وأصيب من شظاياها عدة أشخاص، كما أصيب ملقيها نفسه بإصابات بالغة.

سابعًا: وحدث في ١٩ يناير ١٩٤٨ أن ضبط خمسة عشر شخصًا من جماعة الإخوان المسلمين بمنطقة جبل المقطم يتدربون على استعمال الأسلحة النارية والمفرقعات والقنابل، وكانوا يحرزون كميات كبيرة من هذه الأنواع وغيرها من أدوات التدمير والقتل.

ثامنًا: وفي ١٧ فبراير ١٩٤٨ اعتدى فريق من هذه الجماعة على خصوم لهم في الرأي بأن أطلقوا عليهم أعيرة نارية قتلت أحدهم، وكان ذلك بناحية كوم النور مركز ميت غمر وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ١٤٠٧ لسنة ١٩٤٨.

تاسعًا: كما عثر بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٤٨ بعزبة محمد فرغلي رئيس شعبة الإخوان المسلمين بالإسماعيلية على صندوق يحتوي على قنابل، مما استدعى تفتيش منزله، فإذا بأرض إحدى الغرف سردابان بهما كميات ضخمة من القنابل المختلفة والمفرقعات والمقذوفات النارية والبنادق والمسدسات وأحد عشر مدفعًا. كما عثر في فجوة بأرض الغرفة على وثائق تقطع بأن هذه الجماعة تعد العدة للقيام بأعمال إرهابية واسعة النطاق.

عاشرًا: وحرقت في ١٨ يناير ١٩٤٧ أحطاب لأحد الملاك بناحية كفر بداوي، واتهم بوضع النار فيها فريق من شعبة الإخوان المسلمين بتلك القرية، ولما قام البوليس بالفحص عن أحوال تلك الشعبة تبين أن أحد أعضائها مقدم لمحكمة الجنايات في جريمة قتل شيخ خفراء البلدة.

حادي عشر: وبتاريخ ٣ فبراير ١٩٤٨ قام بعض أفراد شعبة الإخوان المسلمين بناحية البرامون بإيهام الأهالي بأنهم سيعملون على زيادة أجورهم وإرغام تفتيش أفيروف الذي يقع بزمام القرية على تأجير أراضيه مقسمة على الأهالي بإيجار معتدل، وقاموا بمظاهرات طافت بالقرية تردد هتافات مثيرة، ولما أقبل رجال البوليس لقمع

الفتنة اعتدوا عليهم بإطلاق النار وقذف الأحجار، وقد وقع شجار بعد ذلك بنفس القرية في يوم ١٣ مارس ١٩٤٨ بين جماعة الإخوان المسلمين ومن يوالونهم وبين خصوم لهم فأسفر عن قتل أحد الأشخاص وإصابة آخرين.

ثاني عشر: وفي يوم ٢٦ يونيه ١٩٤٨ حرض الإخوان المسلمون عمال تفتيش زراعة محلة موسى التابع لوزارة الزراعة على التوقف عن العمل مطالبين بتملك أراضي هذا التفتيش، الأمر الذي سجلته القضية رقم ٩٢١ لسنة ١٩٤٨ جنح كفر الشيخ.

ثالث عشر: من الأساليب التي لجأت إليها الجماعة إرسال خطابات تهديد لبعض الشركات والمحال التجارية لابتزاز أموال منها على زعم أنها مقابل الاشتراك في جريدتهم، واقتنصوا بالفعل أموالًا بهذه الوسيلة، وقد تقدمت بعض هذه الشركات بالشكوى من هذا التهديد طالبة حمايتها من أذى هذه الجماعة.

ولم تقف شرور هذه الجماعة عند هذا الحد بل عمدت إلى إفساد النشء، فبذرت بذور الإجرام وسط الطلبة والتلاميذ، فإذا بمعاهد التعليم وقد انقلبت مسرحًا للشغب والإخلال بالأمن وميدانًا للمعارك والجرائم، ومن أمثلة ذلك الحوادث التالية:

أ – حدث ببندر دمنهور في يوم ٢٥ مايو ١٩٤٧ بمدرسة الصنايع أن اعتدى تلاميذ الإخوان المسلمين على أحد المخالفين لهم في الرأي وشرعوا في قتله بطعنة سكين، وضبطت لذلك واقعة الجناية رقم ١٢٤٨ لسنة ١٩٤٧ ببندر دمنهور.

ب – وفي يوم ٣ فبراير ١٩٤٨ حرض بعض التلاميذ من أعضاء هذه الجماعة زملاءهم تلاميذ مدرسة الزقازيق الثانوية على الإضراب، وألقى أحدهم قنبلة يدوية انفجرت وأصابت بعض رجال البوليس، كما ضبط مع آخر منهم قنبلة يدوية قبل أن يتمكن من استخدامها في الاعتداء.

ج – وفي يوم ٢٤ يناير ١٩٤٨ تحرش بعض تلاميذ مدرسة شبين الكوم المنتمين إلى الإخوان المسلمين بزملاء لهم، الأمر الذي أدي إلى حادث قتل.

ولم تتورع هذه الجماعة عن أن يمتد إجرامها إلى القضاء الذي ظل رجاله في محراب العدل ذخرًا للمصريين، وملاذًا لهم، ينعمون بثقة المتقاضين وطمأنينتهم – إذ قصدوا



إلى إرهاب القضاة عن طريق قتل علم منهم هو المغفور له أحمد الخازندار بك وكيل محكمة استئناف مصر، الذي حكم بإدانة بعض أعضاء الجماعة لجرائم اقترفوها باستخدام القنابل – وثبت أن أحد المجرمين القاتلين كان سكرتيرًا خاصًا للشيخ حسن البنا.

ولقد أدركت الحكومات المتعاقبة خطورة الأهداف والمقاصد التي تسعى هذه الجماعة لتحقيقها فحاولت – في حدود القوانين القائمة – أن تحد من شرورها، وساعدت الأحكام العرفية التي أعلنت خلال الحرب العالمية الأخيرة على اعتقال بعض قادة هذه الجماعة، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت الجماعة سادرة في جرائمها، الأمر الذي استوجب إصدار الأمر العسكري بحل شعبتي الإخوان المسلمين بالإسماعيلية وبورسعيد.

ولقد وقعت في يوم ٤ ديسمبر ١٩٤٨ حوادث مؤلمة بجامعة فؤاد الأول بالجيزة، ألقى فيها الطلاب قنابل على رجال البوليس وأطلقوا عليهم الرصاص وقذفوهم بالأحجار فأصيب عدد منهم، كما حدث في نفس اليوم أن اعتصم بعض طلبة كلية الطب بأسطح مبنى الكلية، وأشعلوا النار في أماكن متفرقة، وقذفوا رجال البوليس الذين كانوا يحافظون على النظام ببعض القنابل وكميات هائلة من الأحجار وقطع الأخشاب وزجاجات مملوءة بالأحماض، ثم ألقوا على حكمدار بوليس العاصمة قنبلة أودت بحياته.

وحدث في يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٨ أن تجمع طلبة المدرسة الخديوية واندس بينهم بعض الغرباء وألقوا قنبلتين على رجال البوليس الذين كانوا خارج أسوار المدرسة، فأصيب ضابط وسبعة من العساكر – وكان مقترفوا هذه الحوادث المروعة من المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين –ولا تزال النيابة العامة ماضية في تحقيق حادث ضبط سيارة بها مواد متفجرة وذخائر ومستندات خطيرة بدائرة قسم الوايلي يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٨.

وقد أدى التقصي عن ظروف هذا الحادث إلى ضبط كميات هائلة من القنابل والمفرقعات جاءت أضعافًا مضاعفة لما ضبط في تلك السيارة، وقد كشفت ملابسات هذا الحادث حتى الآن عن أن جماعة من الإخوان المسلمين يُكوِّنون عصابات إجرامية هي المسئولة عن حوادث الانفجارات الخطيرة التي حدثت في مدينة القاهرة خلال

الشهور الستة الأخيرة، وكان آخرها حادث نسف شركة الإعلانات الشرقية يوم ١٢ نوفمبر ١٩٤٨ وما نجم عنه من هدم وتخريب في المباني وقتل بعض الأهالي ورجال البوليس وجرح عدد غير قليل من الأشخاص.

وبما أنه يتبين بجلاء من استعراض هذه الحوادث – وهي قليل من كثير – أن هذه الجماعة قد أمعنت في شرورها بحيث أصبح وجودها يهدد الأمن العام والنظام تهديدًا بالغ الخطر، لذلك أرى أنه بات من الضروري اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التي تروع أمن البلاد في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى هدوء كامل وأمن شامل ضمانًا لسلامة أهلها في الداخل وجيوشها في الخارج.

وقد قام حسن البنا بالرد على مذكرة عمار بك بحل جماعة الإخوان في بيان مفصل، ونرى من الإنصاف أن نذكره بتمامه كما أوردنا مذكرة الحل بتمامها:

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذي يقول الحق وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. **وبعد:**

فقد تقدم سعادة وكيل الداخلية عبد الرحمن عمار بك بمذكرة إضافية بتاريخ ١٩٤٨/١٢/٢٨ عن تاريخ الإخوان المسلمين وغايتهم ووسيلتهم، وطلب في نهايتها اتخاذ التدابير الحاسمة لوقف نشاط هذه الجماعة التي تروع أمن البلاد في وقت هي أحوج ما تكون فيها إلى هدوء كامل وأمن شامل ضمانًا لسلامة أهلها في الداخل وجيوشها في الخارج.

الأمر العسكري:

وقد اتخذت دولة الحاكم العسكري من هذه المذكرة سببًا لإصدار الأمر العسكري بحل (جمعية الإخوان المسلمين) ومصادرة أنديتهم وأموالهم وأملاكهم ونشاطهم في جميع أنحاء البلاد، واعتقال رؤسائهم وكثير من أعضاء هيئتهم بالجملة في كل مكان، وإعلان حرب عنيفة لم توجه إلى الصهيونيين الذين شرعت الأحكام العسكرية من

أجلهم، وأذن بها من أجل اتقاء شرهم.. وإقرارًا للحق في نصابه أردت أن أناقش ما جاء في هذه المذكرة ليرى الرأي العام المصري والعربي والإسلامي تفاهة هذه الأسباب، ومدى العدوان الذي وقع على أكبر مؤسسة إسلامية شعبية نافعة في مصر أدت للوطن وللدين أجل الخدمات طوال عشرين عامًا كاملة.

بطلان دعوى الإجرام والإرهاب:

يقول وكيل الداخلية في مذكراته: «ولقد تجاوزت الجماعة الأغراض السياسية المشروعة إلى أغراض يجرمها الدستور وقوانين البلاد، فهدفت إلى تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والإرهاب، ولقد أمعنت في نشاطها فاتخذت الإجرام وسيلة لتنفيذ مراميها: «وأخذ سعادته بعد ذلك يستشهد ببعض الحوادث ويورد» بعض أمثلة قليلة لهذا النشاط الإجرامي كما سجلته التحقيقات الرسمية وذكر ثلاث عشرة حادثة كلها مردودة، ولا توصل إلى ما يريد سعادته من إدانة هيئة الإخوان المسلمين ووصف نشاطهم القانوني المثمر بأنه نشاط إجرامي، وهذا القول منقوض من أساسه، فلم يكن الإجرام يومًا من الأيام من وسائل هيئة الإخوان المسلمين؛ فإن وسائلهم ظاهرة معروفة، فهذه المحاضرات والدروس، والوسائل والصحف، والأندية والدور، والمساجد والمنشآت، ناطقة بأن وسائل هيئة الإخوان المسلمين لم تتعارض مع القانون في يوم من الأيام.

حقيقة الحوادث:

ويكفي للرد على سعادة الوكيل أن القانون حمى هذا النشاط عشرين سنة ولم يستطع أحد الاعتداء عليه إلا في غيبة القانون وفي ظل الحكم العرفي الاستثنائي الفردي البحت – والذي ينص الدستور في المادة (١٥٥) بأنه إذا عطل الحريات فإن ذلك لا يكون إلا تعطيلًا مؤقتًا ينتهي هذا التعطيل بانتهاء الأحكام العرفية... أما ما عدد سعادته من الحوادث فها هي ذي حقيقتها في وضعها الصحيح:

أولاً: الجناية العسكرية العليا رقم ٨٨٣ لسنة ١٩٤٢ قسم الجمرك – وقد كان موضوع الاتهام فيها الدعاية للمحور. وشاء ذوو الأغراض أن يقحموا فيها الإخوان

المسلمين، وادعى أحد المتهمين أنه عرض على الأستاذ البنا شخصيًا أنواعًا من السلاح والعتاد الألماني، وأن الأستاذ البنا سر بذلك، ورحب بالحصول على هذه الأسلحة، وأن الوسيط في ذلك أَخَوان من إخوان طنطا، وقد قبض عليهما في السجن ثمانية أشهر.. وماذا كانت النتيجة بعد ذلك؟. كانت النتيجة أن كذب هذا المدعي عليه نفسه حين ضيق عليه المحقق الخناق وهدده بالمواجهة – وحكم ببراءة الأخوين براءة نقية واضحة كاملة – فهل تصلح مثل هذه النتيجة تكأة للاتهام أمام سعادة وكيل الداخلية وهو من رجال القانون؟.

ويتصل بهذه القضية ما ذكره سعادة الوكيل من موافقة الأستاذ حسن البنا على تقرير لأحد إخوان طنطا وكتابته بخطه أنه مؤمن بما ورد فيه... وعرض الموضوع على هذه الصورة فيه انتقاص للحقيقة؛ فلقد كان التقرير مطولًا، وكانت إشارتي عليه بالموافقة على بعض وتعديل بعضه، ولو كان في هذا التقرير ما يؤخذ عليه لحوكم صاحبه ولما صدر قرار المحكمة ببراءته؛ فقد كان أحد المتهمين المقبوض عليهما في الجناية السابقة.

ثانيًا: الجناية رقم ٦٧٩ لسنة ١٩٤٦ قسم ثان بورسعيد – ويعلم الخاص والعام أن الإخوان المسلمين كانوا معتدى عليهم فيها ولم يكونوا معتدين؛ فقد أُخذوا على غرة، وحوصرت دارهم، وحرق ناديهم الرياضي ولم تثبت إدانة أحد منهم في شيء، ولم يكن القتيل الذي قتل خصمًا من خصوم الإخوان، ولكنه كان صبيًا في الطريق – جعله الله لأهله ذخرًا – ولكن سعادة الوكيل يأبى إلا أن يجعله خصمًا من خصوم الإخوان ليوهم الناس أنهم يعتدون على خصومهم بالسلاح.

ثالثًا: بتاريخ ١ ديسمبر ١٩٤٦ ضبط بعض أفراد هذه الهيئة بمدينة الإسماعيلية يقومون بتجارب لصنع القنابل والمفرقعات... وهي واقعة لا أصل لها بتاتًا فيما أذكر، وإني لأسأل سعادة الوكيل من هم هؤلاء الأشخاص؟ وهل حوكموا؟ وبماذا حكم عليهم؟ لأن الإخوان بالإسماعيلية معروفون كفلق الصبح، ولا أذكر أن أحدًا منهم وجه إليه مثل هذا الاتهام في يوم من الأيام.

رابعًا: والشخص الذي أدين في قضية الجناية رقم ٧٦٧ لسنة ١٩٤٦ قسم عابدين بمناسبة حوادث ٢٤ ديسمبر ١٩٤٦ لم يثبت أنه أُمر بهذا من قبل الإخوان أو اشترك معه فيه أحد منهم، وقد كانت هذه الحوادث شائعة في ذلك الوقت بين الشباب بمناسبة الفورة الوطنية التي لازمت المفاوضات السابقة، ولقد حدث بالإسكندرية أكثر مما حدث بالقاهرة، وضبط من الشباب عدد أكبر وصدرت ضدهم أحكام مناسبة، ولم يقل أحد منهم إنه من الإخوان المسلمين فتحمل الهيئة تبعة هذا التصرف الذي لا حق فيه ولا مبرر له.

خامسًا: حادث اشتباك الجوالة بمأمور قسم الخليفة يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٧ حادث عادي ولم يكن فيه اعتداء بالمعنى الذي صوره سعادة الوكيل، فقد اعترض المأمور ورجاله سير طابور نظامي من جوالة الإخوان المسلمين، وأراد منعهم بالقوة واشتبك مع قائدهم؛ وأشيع بينهم أن المأمور مزق المصحف الذي كان يحمله أحدهم، فثارت نفوسهم، ثم انتهى الأمر بالتفاهم كما تنتهي عادة مثل هذه الاحتكاكات بين البوليس والجمهور في أي اجتماع من الاجتماعات يتصرف فيه رجل البوليس بغير الكياسة واللباقة المناسبة للموقف.

سادسًا: الجناية رقم ٤٧٢٦ لسنة ١٩٤٧، ثبت أن الذي اتهم فيها غير مسئول عن عمله، وسقط الاتهام ضده، ومازال في المستشفي إلى الآن، فما وجه الاستشهاد بها في مذكرة رسمية؟ وهل تكون هيئة الإخوان المسلمين مسئولة عن عمل شخص يتبين أنه هو نفسه غير مسئول عن عمله؟!.

سابعًا: هؤلاء الخمسة عشر الذين ضبطوا في ٩ يناير ١٩٤٨ بعضهم من الإخوان، ومعظمهم لا صلة له بالإخوان أصلًا، ولقد برروا عملهم بأنهم يستعدون للتطوع لإنقاذ فلسطين حينما أبطأت الحكومة في إعداد المتطوعين وحشد المجاهدين الشعبيين، وقد قبلت الحكومة منهم هذا التبرير وأفرجت عنهم النيابة في الحال، فما وجه إدانة الإخوان في عمل هؤلاء الأفراد خصوصًا وقد لوحظ أنه نص في قرار النيابة بأن الحفظ لنبل المقصد وشرف الغاية؟

ثامنًا: والجناية رقم ١٤٠٧ لسنة ١٩٤٨ كوم النور كان الاشتباك في حادثتها لأسباب عائلية بحتة لا صلة لها بالرأي، وإن كان كل فريق ينتمي إلى هيئة من الهيئات، وكثيرًا ما يقع مثل هذا الاشتباك في القرى بين من لا صلة لهم بحزب أو هيئة.

تاسعًا: وما نسب إلى الأستاذ الشيخ محمد فرغلي في المذكرة مازال رهن التحقيق، ومن الإنصاف انتظار ما يسفر عنه؛ ولكن المعروف رسميًا وعند الجميع أن الشيخ محمد فرغلي هو رئيس معسكر النصيرات – لا معسكر البريج – بجوار غزة، وأنه تطوع للجهاد من فبراير ١٩٤٨ إلى الآن، ولازم متطوعي الإخوان في هذه المنطقة طوال هذه الفترة وأسندت إليه قيادتهم، وأقرته قيادة الجيش المصري على ذلك، كما أنه معروف أن فضيلة الشيخ محمد فرغلي كان من أنصار المجاهد الكريم الشهيد عبد القادر بك الحسيني وكان ممن يسهلون له مهمة الحصول على ما يريد، فالاتهام قبل التحقيق ظلم صارخ، وقد سألت النيابة الشيخ محمد فرغلي ثم أفرجت عنه، وإن كان الأمر العسكري قد صدر بعد ذلك باعتقاله.

عاشرًا وحادي عشر: أما ما يتصل بحوادث كفر بدواي ومنية البراموني فالثابت والمعروف أن أساس النزاع وأصل الاتهام فيها أن عمدة كل منهما يريد ألا تقوم في القرية أية جماعة يكون لها مظهر وكيان، وكلا العمدتين صهر للآخر، وخطتهما في ذلك واحدة، وقد كان الإخوان هدفًا لاضطهادهما اضطهادًا قاسيًا لولا ما في أنفسهم من إيمان لما ثبتوا له ساعة من نهار.

ثاني عشر: وحادثة تفتيش ميت موسى مأساة تستحق الدراسة والرثاء؛ فقد كان الإخوان عامل تهدئة لنفوس هؤلاء المظلومين المحرومين الذين يستغيثون ولا مغيث، فاتهموا بالإثارة والتحريض وقبض على أربعة منهم من خيرة الشباب، واستمروا في الحبس أربعين يومًا تحت التحقيق دون مبرر مكبلين بالحديد بين طنطا وكفر الشيخ، وماذا كانت النتيجة بعد ذلك؟.. أفرجت عنهم النيابة بلا ضمان – فهل هذه إحدى الحجج التي يريد سعادة وكيل الداخلية إدانة الإخوان بها ووصفهم بالإجرام؟.



ثالث عشر: وخطابات التهديد التي ذكرها سعادة الوكيل تحدث فيها سعادته مع الأستاذ صالح عشماوي فرد عليه مدير الجريدة رسميًا بخطاب مسجل نفى فيه بشدة هذا الاتهام، ورجاه أن يقف موقفًا حازمًا من هذه الشركات التي تتهم المصريين بالباطل، وإنا لنرجو أن يتفضل سعادته ببيان مقدار هذه الأموال التي امتصها الإخوان بالفعل؛ وسعادته يعلم تمام العلم أن الإخوان ليسوا هم الذين يحسنون امتصاص أموال الشركات أو غير الشركات.

إثارة الشغب:

وقد انتقل سعادته بعد ذلك إلى اتهام الهيئة بإثارة الشغب في معاهد التعليم، وهي تهمة باطلة، يشهد ببطلانها الأساتذة أولًا ورجال الأمن بعد ذلك لو خلوا إلى أنفسهم واستنطقوا ضمائرهم غير متأثرين باتجاه خاص، ولقد كان كثير من الناس يعيبون على طلبة الإخوان الإغراق في الهدوء والمبالغة في الانصراف إلى الدروس، فيجيبون بأن واجبهم الأول أن يكونوا طلابًا ولقد تخرج في ظل الدعوة مئات الطلاب من مختلف المعاهد فكانوا من أوائل الناجحين في شهاداتهم، وكانوا من أفاضل الموظفين في أعمالهم.

الحوادث لا تنتج ما أريد بها:

والحوادث التي ذكرها سعادة الوكيل لا تنتج أبدًا ما يريد، ولا تسأل عنها هيئة الإخوان المسلمين؛ فقد كان ولا يزال معلومًا أن عنصرًا جديدًا طرأ على المدارس والمعاهد بعد الحرب الماضية كان له أثر عميق في توسيع هوة الخلاف وتعميقها بين الطلاب، واستغلال التعصب للحزبية السياسية أسوأ استغلال، ودفع المواقف إلي العنف والاحتكاك، والله يشهد والمنصفون أن طلاب هيئة الإخوان المسلمين كانوا أكبر ملطف لحدة هذه الظاهرة وأول المناهضين والواقفين في وجهها، وفي كل هذه الحوادث كان أعضاء هيئة الإخوان المسلمين في موقف المدافع دائمًا، ومازالت جميعًا تحت التحقيق.. ومن الثابت أن الطالب الذي استشهد في مدرسة شبين الكوم هو أحد طلاب الإخوان المسلمين، وقد أغفلت المذكرة عمدًا هذه النقطة لتظهر الإخوان بمظهر المعتدي مع أنهم هم المعتدى عليهم.

وعرضت بعد ذلك إلى حوادث الخازندار بك، وكل ذنب الإخوان فيه أن أحد المتهمين شاع أنه سكرتير للمرشد العام، مع أن هذه الصلة لم تثبت في التحقيق، وإن أصرت المذكرة على وصفها بالثبوت مع أنه فرض ثبوتها لا يمكن أن تتخذ سببًا لإدانة هيئة الإخوان المسلمين.

تبعة حوادث ٤، ٦ ديسمبر:

وقد حمل سعادة الوكيل في مذكرته الإخوان المسلمين تبعة حوادث ٤ ديسمبر ١٩٤٨ في الجامعة وكلية الطب، وحوادث ٦ ديسمبر ١٩٤٨ بالمدرسة الخديوية، مع أن المعروف أن هذه الحوادث بدأت بمظاهرة سليمة بمناسبة موقف حاكم السودان العام من مصر والمصريين وبعثة المحامين، ثم تطورت بعد الاحتكاك برجال البوليس إلى تلك النتائج المؤسفة حقًا.. ولم يكن دور الإخوان فيها أظهر من دور غيرهم من الطلاب، والمقبوض عليهم الآن معظمهم من غير الإخوان، ولم يعلن بعد قرار الاتهام، ولم يثبت أن لهيئة الإخوان يدًا في التحريض على هذا الذي حدث – فتحميل الإخوان هذه التبعة سبق لكلمة القضاء.

حادث سيارة الجيب:

أما حادث سيارة الجيب فقد ضبط فيه عدد كبير من مختلف الهيئات، ومازال التحقيق يدور في تكتم شديد، ويقول وكيل الداخلية: «إن ملابسات هذا الحادث كشفت عن أن جماعة من الإخوان المسلمين أن تنتظر عصابة إجرامية... إلخ» ومقتضى هذا القول لو أن الأمور تسير في حدودها الطبيعية أن تنتظر الحكومة نتيجة التحقيق، فإذا ثبت على هؤلاء المقبوض عليهم أخذوا بجرمهم، ومن غير المعقول أن تؤخذ الهيئة بتصرفات بعض أعضائها... وتقول المذكرة نفسها إنهم كوَّنوا من أنفسهم عصابة أخرى تتنافى أغراضها ووسائلها عن أغراض الجماعة ووسائلها القانونية السليمة.

ومن هذه المناقشة الهادئة يتضح لكل منصف أن جميع هذه الحوادث العادية الفردية لا يمكن أن تلون دعوة الإخوان المسلمين بهذا اللون، وقد مكثت عشرين عامًا



صافية نقية، أو تنهض دليلًا على أنهم عدلوا عن وسائلهم القانونية إلى وسيلة إجرامية، وبالتالي لا يمكن أن تكون بمفرداتها أو بمجموعها – وقد حشدتها المذكرة هذا الحشد المقصود – سببًا في هدم بناء إصلاحي ضخم جنت منه مصر والبلاد العربية والإسلامية أبرك الثمرات، بل إن الدليل القاطع الدامغ ينادي ببراءة الإخوان من هذا الاتهام، فهذه دورهم وشعبهم وأوراقهم وسجلاتهم ومنشآتهم قد وضعت كلها تحت يد البوليس في جميع أنحاء المملكة المصرية فلم يعثر في شيء منها على ورقة واحدة تصلح أن تكون دليلًا أو شبه دليل على الانحراف المزعوم، بل لم تجد الحكومة أمامها إلا المدارس تقدمها للمعارف، والمشافي والمستوصفات تقدمها لوزارة الصحة، والمصانع والمعامل لوزارة التجارة والصناعة.. وكفى بهذا شرفًا وإشادة بجهود الإخوان الإصلاحية النافعة لهذا الوطن العزيز [راجع: ويكيبيديا جماعة الإخوان المسلمين].

يعلق الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» الجزء الثاني على بيان حل الجماعة فيقول:

«بعد أن أوردنا نص قرار الحل ومذكراته التفسيرية نقول: إن قرار الحل في ذاته – متسترًا برداء الأحكام العرفية – أمر شاذ، ومع ذلك فإن مُصْدري هذا الأمر لم يكتفوا به بل أتبعوه بإجراءات أشد شذوذًا.

فالأمر العسكري ببنوده العشرة مع ما فيها من اعتداء صارخ على الحريات وحرمان من الحقوق، قد تم تنفيذه دون أن يتعرض أحد من أعضاء الجماعة للمنفذين.. فلِمَ إذن تعدى مصدروا الأمر حدود بنوده؟ هل هو استمرار للظلم؟ هل هو إشباع لغريزة الانتقام؟ هل هو استهتار بالشعب؟ هل هو تفان منهم في محاولة إرضاء سادة لهم دفعوهم وهم من ورائهم يرقبون؟ هل هو إثبات لهؤلاء السادة أن المنفذين يستحقون أن تضاعف لهم المكافأة بعد أن يراهنوا على أنهم ملكيون أكثر من الملك وإنجليزيون أكثر من الانجليز؟.

لقد اتبعوا تنفيذ الأمر العسكري بأساليب مبتكرة لم يكن لهذا الشعب بها عهد من قبل؛ من اعتقالات هوجاء، ومصادرات عمياء، وبطش عنيف دون مبرر...

على أن كل هذه الإجراءات الجائرة – مع كل ما فيها من شذوذ – فإن هناك من يستطيع أن ينتحل لها مبررًا مما سبق أن سقناه على سبيل الاستفهام – أما الإجراء الذي لا يمكن تبريره، ومن أجل ذلك يمكن اعتباره أخطر إجراء اتخذوه فهو أنهم حالوا بين المرشد العام وبين الإخوان، فلا هو مسموح له أن يتصل ولو بفرد منهم ولا يستطيع أحد منهم أن يتصل به حتى بالتليفون الذي قطعوه عن منزله، بل إن أي إنسان يقترب من منزله أيًا كان يقبض عليه ولو كان من غير الإخوان.

وإني لأتعجب لأولئك الذين قرروا هذا الإجراء، الذي إن دل على شيء فإنما يدل على التناقض والتخبط وسوء التصرف وقصر الإدراك، فنصوص الأمر العسكري الذي أصدروه، ونصوص مذكرته التفسيرية التي بنوه عليها، توحي إلى القارئ بأن مصدري هذا الأمر ينظرون إلى الإخوان المسلمين على أنهم مجموعة ضخمة من الشباب المتهور الذي لا يبالي بشيء..

وهم يعلمون أنهم – مهما بالغوا في البطش والاعتقال – فإن الإخوان المسلمين مِن الكثرة بحيث يكون الباقون منهم خارج أسوار المعتقلات والسجون أضعافًا مضاعفة لمن هم في داخلها، والكثرة الغالبة منهم من الشباب المتحمس الثائر.. كما أنهم يفهمون أن الأمر العسكري الذي أصدروه هو تحد مباشر لمشاعر هذا الشباب واستفزاز له، وأنه بمثابة إعلان للحرب عليهم، وحكم صدر بإعدامهم بل بإعدام ما هو أعز عليهم من أنفسهم.

وفي الوقت نفسه يفهم هؤلاء المسئولون ويعلمون تمام العلم أن الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يوجه هذا الشباب، والذي بيده زمام هذا الشباب هو المرشد العام...

فما معنى الحيلولة بين المرشد العام وبين هذا الشباب إذن؟... لقد شاع في ذلك الوقت وعقب إذاعة الأمر العسكري بحل الإخوان مباشرة وحين أحس الناس بما تضمنه هذا الأمر من عنف وضراوة لم يعهد مثلهما – من قبل – **شاع على ألسنة الخاصة والعامة أن هذا التحدي البالغ العنف لابد أن تكون حياة النقراشي ثمنًا له.**

ومع ذلك فإن المرشد العام لم يأل جهدًا في الاتصال بهم، وأخذ يبصرهم بخطأ تصرفهم في الحيلولة بينه وبين الاتصال بالإخوان، وحذرهم مغبة هذا الإجراء الذي

تدعو مصلحة البلاد إلى العدول عنه، ولكنه لم يتلق على إلحاحه المستمر جوابًا إلا وعودًا في الهواء، فكان المطارد نفسه بغير قيادة فتصرف من تلقاء نفسه وبدافع من عاطفته.. **فكانت أحداث جسام بدأت بما كان يتوقعه الجميع من اغتيال النقراشي في حصنه الحصين بوزارة الداخلية** ثم تفاقمت بعد ذلك الأحداث تفاقمًا لم يخطر ببال أحد إذ أفلت الزمام».

وبالفعل لم تمضِ ثلاثة أسابيع على صدور قرار الحل، وفي نحو الساعة العاشرة وخمس دقائق من صبيحة يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٤٨، سقط النقراشي باشا صريعًا وسط فناء وزارة الداخلية، فبينما كان النقراشي باشا يسير في فناء وزارة الداخلية ميممًا وجهه شطر المصعد في طريقه إلى مكتبه وحوله ضباطه وجنوده من رجال الحرس، تقدم شاب وكان مرتديًا ثياب ضابط برتبة ملازم أول، وصوب مسدسه نحوه، وأطلق رصاصتين أصابتا ظهره، فسقط يتضرج في دمائه، ولم تمضِ دقائق حتى فارق الحياة وتمكن رجال البوليس الذين كانوا في حراسة النقراشى من اعتقال القاتل.

وقد ارتكبت الجريمة بسرعة فائقة حتى أن الفقيد الصاغ عبد المجيد خيرت قد أذهله وقوع الحادث على هذه الصورة المروعة، وعقدت الدهشة لسانه، وفجأة أفاق من ذهوله وارتمى ومن كان معه من الكونستبلات والجنود على القاتل، وانتزعوا المسدس من يده، بينما نقل الآخرون الجثة إلى حجرة الأستاذ صلاح الدين مرتجى وكيل إدارة الأمن العام، وكان الدكتور محمود حمدي سيف النصر قد سارع إلى مكان الحادث حينما سمع به أثناء وجوده في وزارة الصحة ولكن القضاء كان قد حان، وفاضت روح النقراشي باشا إلى بارئها.

وتبين أن القاتل شاب يناهز الواحد والعشرين عامًا ويدعى عبد المجيد أحمد حسن وهو طالب بكلية الطب البيطري بجامعة فؤاد الأول، وتبين أنه من جماعة الإخوان المسلمين ورئيسًا لإحدى خلاياها بالجامعة[1].

---

(١) من سلسلة المحاكمات التاريخية الكبرى.. قضية مقتل النقراشي باشا – بقلم: لطفي عثمان.

وإنْ تعجب فاعجب «للصباغ» وهو يعلق على حادث مقتل النقراشي باشا، فهو لم يُدِن الحادث ولم يستنكر القتل بل ساق المبررات وقدم المعاذير لمن قاموا بالعملية ونفذوها، والأدهى من ذلك أنه يفلسف ذلك بأن المسئول عن القتل هو الذي استفز الدماء النابضة في قلوب الشباب المتحمس فيصبح النقراشي هو قاتل نفسه! وتصبح أعمال القتل بعد ذلك مُبررة لدى شباب الجماعة؛ يقول الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص» تحت عنوان: من قتل محمود فهمي النقراشي باشا؟:

«إن الدماء لتغلي في عروق أي إنسان عنده ذرة من إحساس يحب هذا الوطن وهو يرى حاكم مصر العسكري يصدر مثل هذا الأمر- يقصد قرار حل الإخوان المسلمين - فكيف لا تغلي دماء شباب باعوا أنفسهم لله واستهدفوا أن يقدموا أرواحهم رخيصة من أجل انتصار الإسلام وقيمه السامية في ربوع الوطن الإسلامي؟

وإذا غلت الدماء في عروق من يقرأ هذا الأمر، فمن يكون المسئول عن هذا الغليان؟! مصدر الأمر، أم من صدر عليه الأمر لقهره واستذلاله؟!

وهل تحتاج الدماء في هذه الحالة إلى أوامر من أحد لتغلي في العروق؟ أم أنها ستغلي لا إراديًا من فرط ما ترى من إفساد عَمْدٍ بقوة السلاح، **ولا يفل السلاح إلا السلاح**..

وهل يمكن أن يلوم أحد شابًا مسلمًا أو عدة شباب مسلمين إذا ما اتحدت إرادتهم في هذا الظرف المثير على قتل صاحب هذا القرار الداعي إلى الكفر بالله وهو يدَّعي أنه مسلم؟[1].

إن اللوم كل اللوم إنما يقع على صاحب القرار، **وقد حفر قبره بيده**، وهو يعلم ذلك يقينًا من قبل أن يوقع القرار، وقد قالها علنًا حيث قال وهو يضحك: إنه يعلم أنه سيدفع ثمنًا لهذا القرار رصاصة أو رصاصتين في صدره! إنه يعلم علم اليقين أن هذه

---

(١) قرار حل الجماعة ربما يكون ظالمًا، لكن لا يمكن أن يكون صاحبه كافرًا بأي حال من الأحوال، والجرأة على سلبه اسم الإسلام ووصف قراره بالداعي إلى الكفر، تعد جرأة على حدود الشرع وأحكام الله التي حددت بوضوع الفرق بين الكفر والإيمان، ومن هنا نعرف أن التساهل في إطلاق الكفر على الخصوم هو الذي يؤدي إلى التجرأ على قتلهم.

هي النتيجة الحتمية للمقدمة الشرسة التي فرضها على الأمة،، وقد كان القاتل شابًا من نفس هذا النوع من الشباب الذي يغلي الدم في عروقه لا إراديًا، ثورة من أجل مصر، وتلك مصيبة المسكين العظمى أنه يدري!.

وقد كان، فقتله الشاب المسلم عبد المجيد أحمد حسن الطالب بكلية الطب البيطري وعضو النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وهو في وسط جنده وعساكره وفي قلب مركز قيادته ومقر سلطانه، يعاونه باقي أفراد مجموعته في النظام الخاص ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]».

وإذا تأصل لديك ذلك فإن الصباغ لم يكتف بهذا التبرير بل جعل هذا القتل قربة لله وفريضة واجبة النفاذ، وأنه لو لم يقم هؤلاء الطلبة بهذا العمل الجليل فلابد أن غيرهم كان سيقوم به تنفيذًا لعهد الله ووصيته فيقول في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»:

«لقد كان عبد المجيد أحمد حسن ومعاونوه متأكدين وهم يقومون بهذا العمل، أنهم يقدمون دماءهم شهداء من أجل مصر، فلم يكن أمامهم وقد اختاروا هذا الموقع لتنفيذ ما استقر عليه رأيهم، إلا أن يقبض على عبد المجيد متلبسًا فيدل عليهم، ولكنهم كانوا رجالًا قد تعلموا أن قتل المحاربين للإسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة، **وقد تحقق لهم بعد اطلاعهم على هذا الأمر العسكري أن من وقَّعَه محارب غادر للإسلام والمسلمين دون نزاع**[(١)]، فأقدموا على هذه العبادة المفروضة عليهم من لدن الحكيم الخبير دون حاجة إلى توجيه من جماعة أو هيئة، ولا شك أنه لو تأخر عبد المجيد أحمد حسن وإخوانه عن أداء هذه العبادة لأداها غيرهم من ملايين شباب مصر الذين غلت دماؤهم كما غلت دماء عبد المجيد أحمد حسن وإخوانه، فذلك قدر محتوم لكل من يتحدى إرادة الشعوب وعقائد المخلصين».

---

(١) محارب غادر للإسلام والمسلمين دون نزاع؟!!

لا يتصور إطلاق هذا الكلام على النقراشي بهذه الطريقة، إلا من شخص يعتقد أن جماعته هي الإسلام، وأن الإسلام منحصر في جماعته.

ثم يلخص المشهد في النهاية بكل بساطة فيقول: «إذن فمن قتل محمود فهمي النقراشي؟ إنه محمود فهمي النقراشي باشا نفسه».

أما أحمد عادل كمال فلم يختلف عن الصباغ كثيرًا حيث قال وهو يعلق على هذه الحادثة في كتابه «النقط فوق الحروف»:

«وفي ٨/١٢/ ١٩٤٨ أصدر النقراشي أمره العسكري بحل جماعة الإخوان المسلمين ولم تنقض ثلاثة أسابيع حتى سقط النقراشي قتيلًا في عرينه بوزارة الداخلية برصاص الإخوان، وكان لذلك الاغتيال أسباب ثلاثة هي كما أفصح عنها عبد المجيد أحمد حسن الذي اغتاله: تهاونه في شأن قضية وحدة مصر والسودان، وخيانته لقضية فلسطين، **واعتداؤه على الإسلام بحل الإخوان المسلمين كبرى الحركات الإسلامية في عصرها**[1]».

ونختم هذه التعليقات بأهم تعليق فيها على الإطلاق وهو تعليق حسن البنا بشخصه، حيث استنكر البنا نسبة الحادث إلى الجماعة؛ لأنها ليست موجودة بحكم القانون، فكيف تُحاسب على الأفعال الصادرة منها؛ يقول البنا: «إن الجماعة لا تتحمل وزر هذا الحادث لأنها غير موجودة بحكم القانون فكيف تتحمل عمل فرد ليس لديها القدرة على محاسبته؟!»[2].

ولم نجد من استنكر هذا الفعل من كُتَّاب الجماعة إلا عدد قليل للغاية، منهم الدكتور القرضاوي، ولكنه لم يستنكره لذاته بل للآثار الوخيمة التي ترتبت عليه وهي في نظره اغتيال البنا؛ يقول الدكتور يوسف القرضاوى في مذكراته «سيرة ومسيرة»:

«قابل بعض شباب الإخوان اغتيال النقراشي بفرحة مشوبة بالحذر؛ لوفاة الرجل الذي ظلمهم وحل جماعتهم، ولكن هل كان في الاغتيال حل للمشكلة؟ لقد أثبت

---

(١) الربط بين الجماعة والإسلام، وفق قاعدة أن من يعتدي على الجماعة فكأنما اعتدى على الإسلام، يعد خللًا عقديًا واضحًا، بل هو في الحقيقة منهج التكفير الصريح الذي لا لبس فيه.

(٢) حادثة مقتل النقراشي بين الحقيقة والافتراءات (٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م) – ويكيبديا الإخوان المسلمين.

التاريخ أن الاغتيال السياسي لا يحل مشكلة، وأنه كما قال أحد الساسة للشيخ البنا: «إن ذهب عير فعير في الرباط»، **والملاحظ أنه كثيرًا ما يكون الخلْف أنكى وأقسى من سلفه**، وفي هذه القضية كان رد الفعل هو اغتيال حسن البنا؛ ثأرًا للنقراشي؛ **فأي خسارة أكبر من فقد حسن البنا، وإن ذهب شهيدًا عند ربه؟!**».

ومن هؤلاء الأستاذ حسن دوح في كتابه «٢٥عامًا في جماعة الإخوان» فقد علق على الحادث في حينه، وتوقع توابعه فقال:

«لقد جنى الجهاز السري على الجماعة وعلى أفرادها بل وعلى قيادتها جناية لا تغتفر، جنى على الأفراد بأن فرض أسلوب وعيهم على مسلكهم ومستقبلهم فأودى بحياة ومستقبل الكثير منهم..وجنى على الجماعة بأن صبغ وجهها بالدم فخيل للناس أن جماعة الإخوان أقرب ما تكون من جماعة حسن الصباح زعيم الحشاشين في حين أن حقيقة الجماعة كانت غير ذلك.. وجنى على قادتها فذهب حسن البنا ضحية تصرفات الجهاز السري، ومما أذكره أن لقاءً ما تم بيني وبين قادة الجهاز السري وذلك أثناء قضاء أجازتي من ميدان القتال في فلسطين وكان ذلك بعد مقتل النقراشي... **قلت لهم إن مقتل النقراشي قد يؤدي إلى مقتل حسن البنا.. فقالوا لي باعتداد: إننا نأخذ حيطتنا لحسن البنا فلا تخف**.. ثم عدت إلى فلسطين، ولم تمض أسابيع على هذا اللقاء إلا وحسن البنا يسقط شهيدًا أمام دار جماعة الشبان المسلمين».

حادث حامد جودة: سرية مصطفى كمال عبد المجيد لقتل إبراهيم عبد الهادي:

ولد إبراهيم عبد الهادي عام ١٩٠٠ في الزرقا محافظة دمياط، اشتهر بنشاطه الطلابي وشارك في ثورة ١٩١٩، وحكم عليه بالأشغال الشاقة، وأطلق سراحه عام ١٩٢٤، وكان من أبرز أعضاء الهيئة السعدية بعد تشكيلها عام ١٩٣٨.

عين وزيرًا للدولة للشئون البرلمانية في وزارة علي ماهر في أغسطس ١٩٣٩ ثم وزيرًا للتجارة والصناعة ١٩٤٠، تولي في فبراير ١٩٤٧ رئاسة الديوان الملكي على إثر مقتل النقراشي باشا، عهد الملك إلى إبراهيم عبد الهادي رئيس الديوان الملكي بتأليف الوزارة الجديدة، فألفها في ساعة متأخرة في مساء نفس اليوم.

وفي عهده حاول أحد الشبان نسف دار محكمة الاستئناف بباب الخلق، وذلك بوضع حقيبة متفجرات في أحد ممرات المحكمة، وشاء الله أن تنفجر الحقيبة قبل وصول الموظفين والمتقاضين، وضبط الجاني وكان ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين، وعلل جريمته بأنه كان يستهدف نسف مكتب النائب العام بما فيه من وثائق تدين بعض أعضاء الجماعة.

يتحدث الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» – الجزء الثانى عن إبراهيم عبد الهادي بكلام لا يحتمل إلا وصفه بالكفر، فيقول:

«وفي اليوم التالي أسند الملك رياسة الوزراء إلى إبراهيم عبد الهادي باشا، وهو من النقراشي بمثابة النقراشي من أحمد ماهر، يبوء بإثم ميراث وبيء من التفريط في حقوق البلاد، والتواطؤ مع المستعمر، والتهالك على منصب الحكم، والتسابق إلى أن يكون في **خدمة نزوات الملك وفي عبادته من دون الله.**

جاء هذا الرجل إلى الحكم كالذئب المتعطش للدماء، جاء ومعه **تفويض إلهي من إلهه فاروق** بأن يفعل ما يشاء ولن يسأل عما يفعل: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤] بحيث يبيد هذه العصبة الوحيدة المتمردة على **عبادة فاروق** والسير في ركابه...

ولابد أن إبراهيم عبد الهادي هذا **كان يعتقد في ذلك الوقت أن فاروقًا قادر علي كل شيء.. وغاب عنه أن هناك إلهًا آخر غير فاروق هو الإله الحق الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء...**

ذلك أن ما فعله هذا الرجل، وما ارتكبه من آثام لا يمكن أن يقدم عليه إنسان **في قلبه مثقال ذرة من إيمان.**

ففي عهد هذا الرجل بلغت الأحداث الجسام ذروتها، وارتكبت أفظع جريمة في هذا القرن بتدبير حكومته وهي اغتيال المرشد العام».

يقول الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص» حاكيًا عن خطوات التحرك لاغتيال عبد الهادي: «اعتقل الأخ السيد فايز في حادث النقراشي باشا، وأصبح الدكتور

أحمد الملط هو المسئول الأول عن حماية الدعوة في هذه الظروف الشاذة باعتقال كل من يعلوه في قيادة الجماعة سواء في الدعوة العامة أو في النظام الخاص، وقد قتل الأعداء الخونة الإمام الشهيد على قارعة الطريق في أبشع حادث يمكن أن يقع من حكومة ضد أحد رعاياها، ومن ثم فقد كان له حق الاجتهاد.

وقد درس الإخوان المجاهدون خطة محاولة قتل إبراهيم عبد الهادي باشا؛ **لأنه كان قائدًا لحكومة تحارب الإسلام**(١) وقد خلف محمود فهمي النقراشي باشا، وتعهد بتنفيذ كل مخططاته الإجرامية للقضاء على الدعوة الإسلامية نهائيًا في مصر، وقد اتخذ الدكتور أحمد الملط الشقة التي استأجرها الأخ علي صديق بمصر القديمة مقرًا للتخطيط لهذه العملية، وعين مصطفى كمال عبد المجيد قائدًا للسرية التي تقوم بها.

وكانت هذه الشقة تشرف تمامًا على طريق موكب إبراهيم عبد الهادي في ذهابه وعودته من المعادي إلى القاهرة كل يوم، ولم يكن إبراهيم عبد الهادي إلا امتدادًا أثيمًا لمحمود فهمي النقراشي، فقررت السرية المرابطة في هذه الشقة **قتله غدرًا**، وتخليص الإسلام من شروره، بعد اعتماد الخطة من المسئول في ذلك الوقت وهو الدكتور أحمد الملط.

وكان التفكير المبدئي أن يصدم مصطفى كمال عبد المجيد سيارة إبراهيم عبد الهادي **بسيارة مجهزة بعبوات ناسفة تندفع من الطريق الجانبي، لتصطدم فجأة بسيارة إبراهيم عبد الهادي وتنفجر السيارتان بمن فيهما**.

ولكن الأخ مصطفى عبد المجيد خشي أن يعد منتحرًا بهذه الطريقة، فيدخل النار، وفضل أن يشترك في معركة مسلحة تهاجم الموكب وتقضي على من فيه، وقد راجع الأخ علي صديق الدكتور أحمد الملط في هذه الخطة واشترك معه كل من علي رياض والدكتور عز الدين إبراهيم في معارضتها لما ينشأ عنها من خسائر أكبر في الأرواح، فالمنطقة

---

(١) الفكر لم يتغير، يرحل رئيس ويأتي آخر، وتبقي الحكومة كما هي -في زعمهم- كافرة تحارب الإسلام، لأنها تحارب الإخوان.

آهلة بالسكان، ويمر بالشارع ترام، مما يعرض الكثير من الأرواح للهلاك، ويمكن التفكير في طريقة لا يقتل فيها إلا إبراهيم عبد الهادي وحده كما قتل النقراشي وحده[١].

ولكن يبدو أن الدكتور أحمد الملط كان قد أصدر أوامره بتنفيذ خطة الهجوم، حيث وقع الحادث وتم ضرب الموكب أثناء المناقشة، وقد استعمل المهاجمون الأسلحة السريعة والقنابل، ورد عليهم حرس الموكب بالمثل، وتبين أن إبراهيم عبد الهادي لم يكن من ضمن الراكبين، بل حل محله حامد جودة رئيس مجلس النواب الأسبق.

وتمخض الهجوم عن جرح بعض المارة وموت سائق عربة كارو، أما حامد جودة فقد ارتمى من الرعب في دواسة السيارة، ولم يصب بسوء، وتمكن جميع من اشتركوا في الحادث من الفرار إلا مصطفى كمال عبد المجيد الذي ظل يدافع عن نفسه بإطلاق عيارات نارية على متعقبيه حتى انتهت ذخيرته وقبض عليه ومعه مدفعه، وعن طريق تعذيب مصطفى كمال عبد المجيد أمكن الاستدلال على عدد كبير من الإخوان المجاهدين داخل الأوكار[٢]».

محاولة حرق أوراق قضية السيارة الجيب بمحكمة استئناف القاهرة:
١٣ يناير ١٩٤٩:

هذه الحادثة هي من أخطر ما قام به النظام الخاص، والذي أسهم بشكل أساسي في معاناة الجماعة بعد ذلك، وقد اغتيل حسن البنا بعدها بشهر واحد في ١٩٤٩/٢/١٢، يقول الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص» حاكيًا عن هذه الواقعة وكأنه يتكلم عن قصة مسلية:

«من أجل ذلك وضع الأخ الكريم الأستاذ شفيق أنس -وكان حينئذ لا يزال في ريعان شبابه- **قنبلة زمنية حارقة داخل حقيبة صغيرة شبيهة بحقائب المحامين بجوار**

(١) الخوف من زيادة القتل في السكان يدل على أنهم حتى ذلك الوقت لم يكونوا يرون تكفير المجتمع على عمومه، ولكنهم يكفرون القيادات التي يرون أنها تحارب الإسلام - في تصورهم - ثم تطور الأمر بعد ذلك وأصبح وصف المجتمع بالجاهلي هو الوصف الأكثر شيوعًا لديهم، وليس النظام الحاكم وحده.

(٢) سيأتي بيان حول قضية الأوكار.

الخزانة التي تحتوي على جميع أوراق قضية سيارة الجيب، بنية إحراقها وسلب الحكومة سندها لدى النيابة العامة في كل ما تفتريه على الإخوان المسلمين ظلمًا وعدوانًا؛ لأنه يعلم علم اليقين كجندي من جنود النظام الخاص أن الإخوان المسلمين أبرياء من كل اتهام يوجه إليهم ضد مصر خاصة وضد أي بلد عربي أو إسلامي عامة، وقد أصدر إليه أمر التنفيذ قائد النظام الخاص المسئول في هذا الوقت وهو الشهيد السيد فايز عبد المطلب».

إذًا فالأخ الكريم الذي كان ينوي تفجير المحكمة بمن فيها من الأبرياء والعزل لم يفعل ذلك إلا لعلمه أن الإخوان أبرياء وشرفاء وأن الإعلام يفتري الكذب عليهم**!!** ولو كان الأمر كما ادعي لترك الإعلام وكذبه والنيابة وظلمها؛ لأنه ليس ثمة أوراق إدانة حقيقية أصلًا، ومن كان عادته الكذب فلن تُعييه الحيلة في اختلاق الكذب وتلفيق القضايا مرةً بعد مرة، أما من يريد إتلاف المستندات فالعقل يؤمن بأن هذه المستندات فيها ما من شأنه الإدانة وبالتالي حاول إتلافها، ولكن الأستاذ الصباغ يلتمس الأعذار أيضًا فيقول في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»:

«ومن البديهي أن تتأثر جماهير الإخوان المسلمين الذين لم يعرفوا شيئًا عن الوثائق المضبوطة في السيارة الجيب والتي وصفتها وسائل الإعلام أنها حقائق داحضة تدين الإخوان المسلمين بالاتفاق الجنائي على قلب نظام الحكم والقيام بأعمال تخريب وتدمير في مصر لا يعلم مداها إلا علّام الغيوب، فيشفقون على دعوتهم التي وهبوها المهج والأرواح؛ ليقينهم أنها فضلًا عن احتوائها على الإخلاص للوطن كأقوى ما يكون الإخلاص وأعظم؛ فإنها من واقع الشريعة الإسلامية تقوم بعبادة هي فرض عين على كل مسلم ومسلمة، تلك هي عبادة الجهاد في سبيل الله، ولابد لهم أن يعتقدوا أن هناك مؤامرة استعمارية محققة، استعملت النقراشي باشا كمخلب قط للقضاء على دعوة الإخوان المسلمين عندما ظهرت بسالتهم وشدة مراسهم في القتال في فلسطين، وأن مثل هذه المؤامرة قد زودت الحكومة بوثائق مزورة محكمة التزوير لدعم هجمتها الشرسة الضالة على الإخوان بقصد إبادتهم.

ولا يكون أمام شباب الإخوان الذين يرون مثل هذه النظرة المنطقية لمجريات الأمور في مصر إلا أن يفكروا في استنقاذ دعوتهم من أقصر طريق ممكن؛ حيث غيبت السجون والمعتقلات قادتهم دفعة واحدة، ومنعت الاتصال بين أي منهم وبين المرشد العام الذي ظل خارج المعتقل تحت حراسة مشددة من الحكومة لأغراض أدناها أن يفقد الإخوان في المعتقلات مصدر الطاقة الروحية التي تدعم صمودهم، وأقصاها أن يفقد العالم الإسلامي إمامه الجليل الذي يقوده إلى طريق العزة والكرامة المستمدة من الشريعة الإسلامية الغراء، وذلك بقصد تيسير قتله جهارًا نهارًا على قارعة الطريق.

في ظل هذا الجو المشحون بالتوتر المصطنع من جانب الحكومة **يكون من البديهي أن يفكر بعض شباب الإخوان المسلمين في حرق أوراق هذه القضية** التي اتخذت محورًا لكل هذه الدعاية المسمومة، حتى تفقد الحكومة حجتها فيما تنسبه بإصرار ضد جماعة الإخوان المسلمين، ولا تثريب في هذه الحالة على مثل هذا الشباب الذي يريد أن يطفئ نار الفتنة بنزع الأساس الذي اتخذته الحكومة وسيلة لاشتعال أوارها، خاصة إذا كان الأسلوب الذي ينهجه هو أقل الأساليب إضرارًا بالأرواح والأموال».

ومرة أخرى نأتي للخلاصة النهائية، ويُطرح السؤال: من هو الجاني الحقيقي والمتسبب الأول في العملية، يقول الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»:

«ولنا أن نقول إذا كان محمود فهمي النقراشي هو القاتل الحقيقي لمحمود فهمي النقراشي فإن وسائل الإعلام الحكومية في مصر هي المحرض الحقيقي لكل من السيد فايز عبد المطلب و شفيق أنس على محاولة نسف أوراق قضية السيارة الجيب في محكمة استئناف القاهرة».

قضية الأوكار:

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«على إثر استشهاد الأستاذ البنا تلاحقت الأحداث والمتفجرات والقنابل والمنشورات، ولا تزال المحنة تشتد وتشتعل **وشباب الإخوان في قمة الانفعال وطلب الإستشهاد**[1]، وعلى هذا فقد انتشر الإخوان يستأجرون الشقق في الأماكن الاستراتيجية

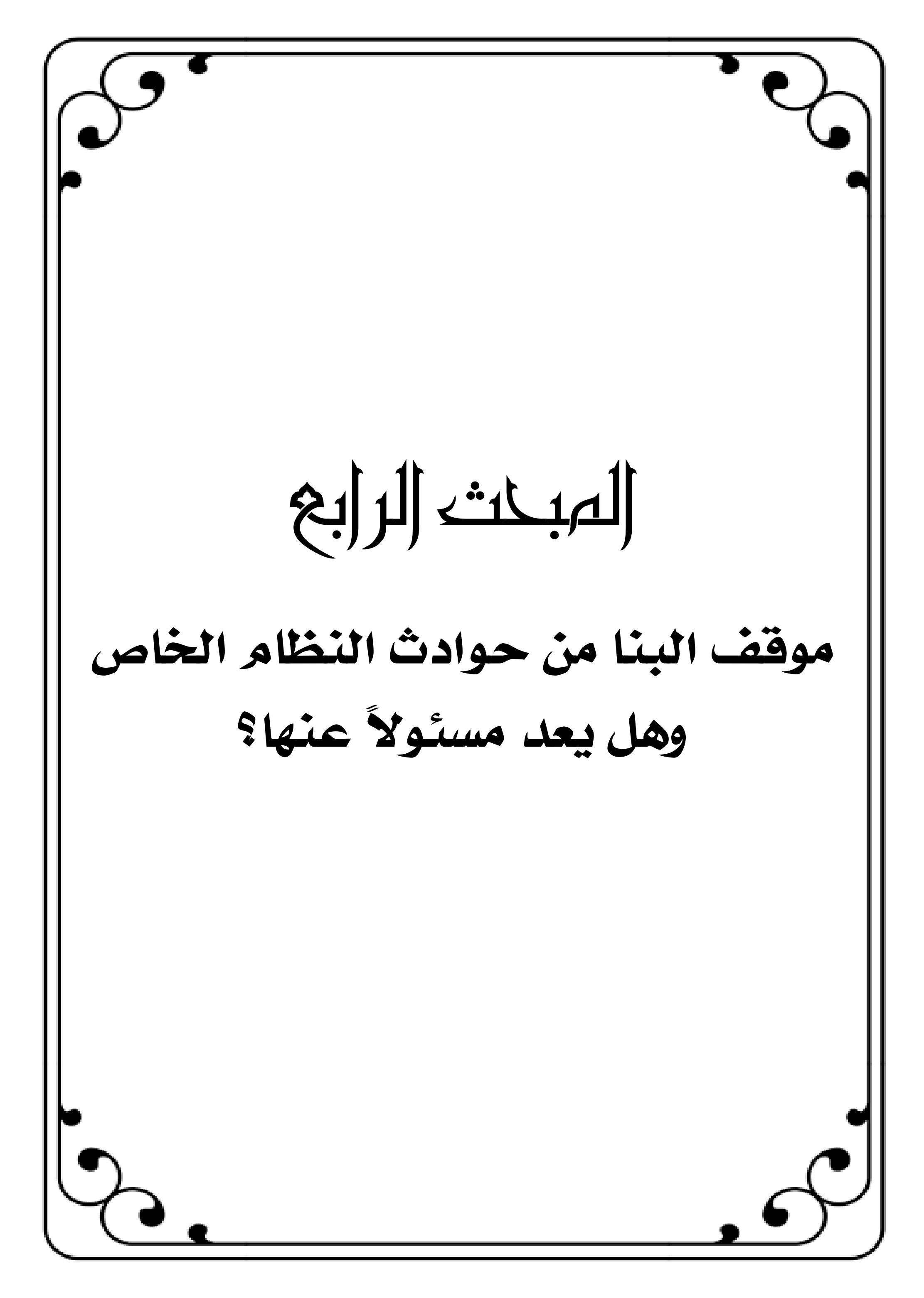
(١) يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»: «بعد اغتيال البنا أغرق الإخوان =

التي يستطيعون منها اصطياد رجال الحكومة، وكل مجموعة من هؤلاء معها سلاحها ومؤونتها وعدتها.

وفي فجر الرابع من أبريل ١٩٤٩ علم رجال المباحث أن بعض الإخوة يجتمعون في مسكن ما بحي شبرا، وأنهم يستعدون لعمليات انتقامية ضد الحكومة، وبمجرد أن طرق رجال البوليس هذه الشقة فاجأهم الأخ أحمد خليل شرف الدين الطالب بكلية الهندسة جامعة الأسكندرية **بإطلاق الرصاص عليهم من مدفع رشاش سريع الطلقات** وتبعه زميله جمال الدين عطية بإطلاق مسدسه أيضًا، فاضطر رجال البوليس إلى التراجع خارج المنزل **يلاحقهم الرصاص والقنابل من كل مكان**، وحين كان الأخ أحمد شرف الدين يتابع رجال البوليس من نوافذ الشقة إذا بعدة طلقات تصيبه إصابة قاتلة فيقع شهيدًا في ذمة الله».



=القاهرة بالمنشورات التي تنادي (رأس البنا برأس فاروق)».



المبحث الرابع

موقف البنا من حوادث النظام الخاص وهل يعد مسئولاً عنها؟

المبحث الرابع:
موقف البنا من حوادث النظام الخاص وهل يعد مسئولاً عنها؟

من يطلع على سيرة الأستاذ حسن البنا يعرف أنه كان صاحب قبضة حديدية في إدارة الجماعة، وأن منهج السمع والطاعة الذي وضعه لم يكن يسمح لأحد أن يخالفه أو يتصرف في شيء من تلقاء نفسه، ومن تقدير الله أن الحوادث الكبرى التي قام بها هذا النظام تمت في حياته، وتحت عينيه.

وقد كان من الممكن أن نعذر حسن البنا ونعفيه من المسئولية، إذا ثبت أنه سعى لحل هذا النظام ووأد هذه الفتنة خصوصًا وأن النظام أصبح يورط الجماعة في عمليات عنف كبرى لا يملك أي نظام سياسي معها إلا مواجهتها مواجهة حاسمة؛ إذ أن الصراع وقتها يكون صراع بقاء لا مجال فيه للعاطفة أو التراخي، ولو صح ادعاء الجماعة أن النظام الخاص كان فقط لمواجهة الاحتلال والمشاركة في حرب فلسطين، لما أبقوا عليه كل هذه المدة، ولما سعى الهضيبي بعد كل ما جرى من أحداث أن يعيد تشكيله مرة أخرى.

ورغم هذا إلا أن البنا كانت له ثلاثة بيانات شهيرة تتعلق بما مر على الجماعة من أحداث هي كما يلي:

البيان الأول: «هذا بيان للناس» للتعليق على حادثة مقتل النقراشي:

جاء نص البيان للتعليق على حادثة مقتل النقراشي كما يلي:

«كان هدف دعوتنا حين نشأت العمل لخير الوطن وإعزاز الدين، ومقاومة دعوات الإلحاد والإباحية والخروج على أحكام الإسلام وفضائله؛ تلك الدعوات التي دوَّى بوقها وراجت سوقها في تلك الأيام.

وإذا كان ذلك كذلك، فما كانت الجريمة ولا الإرهاب ولا العنف مِن وسائلها؛ لأنها تأخذ عن الإسلام، وتنهج نهجه، وتلتزم حدوده، ووسيلة الإسلام في الدعوة

مسجلة في كتاب الله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، والقرآن الكريم هو الكتاب الذي رفع مِن قدر الفكر، وأعلى مِن قيمة العقل، وجعله مناط التكليف، وفرض احترام الدليل والبرهان، وحرَّم الاعتداء حتى في القتال: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠]، والإسلام الحنيف هو دين السلام الشامل، والطمأنينة الكاملة، والروحانية الصافية، والمُثُل الإنسانية الرفيعة، ومِن واجب كل مسلم ينتسب إليه أن يكون مظهرًا لهذه الحقيقة التي صوَّرها النبي ﷺ بقوله: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» [متفق عليه].

ولقد حدث أن وقعت أحداث نُسبت إلى بعض مَن دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها أو يلتزموا نهجها؛ مما ألقى عليها ظلًا مِن الشبهة فصدر أمر بحلها، وتلا ذلك هذا الحادث المروع حادث اغتيال دولة رئيس الحكومة المصرية «محمود فهمي النقراشي باشا» الذي أسفت البلاد لوفاته، وخسرت بفقده عَلَمًا مِن أعلام نهضتها، وقائدًا مِن قادة حركتها، ومثلًا طيبًا للنزاهة الوطنية والعفة مِن أفضل أبنائها، ولسنا أقل مِن غيرنا أسفًا مِن أجله، وتقديرًا لجهوده وخلقه[1].

ولما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف، بل تنكره، وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها، وتسخط على مَن يرتكبها؛ فنحن نبرأ إلى الله مِن الجرائم ومرتكبيها... ولما كانت بلادنا تجتاز الآن مرحلة مِن أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار، وكان جلالة الملك المعظم -حفظه الله- قد تفضَّل فوجه الحكومة القائمة -وفيها هذه الخلاصة مِن رجالات مصر- هذه الوجهة الصالحة، وجهة العمل على جمع كلمة الأمة وضم صفوفها، وتوجيه جهودها وكفاءاتها مجتمعة لا موزعة إلى ما فيه خيرها وصلاح أمرها في الداخل والخارج.

---

(١) هذا الكلام مناقض تمامًا لما مَرَّ نقله من كلام الصباغ (ص ٢٢٠)، وكلام أحمد عادل كمال (ص ٢٢٢)، حيث ذكر كل منهما اعترافات تفصيلية عما قامت به الجماعة من عمليات عنف ممنهجة ومعتمدة من قادة الجماعة.

وقد أخذت الحكومة مِن أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم في إخلاص وأدب وصدق، وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد، ونستنفذ كل وسع في أن نعين الحكومة في مهمتها، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها، والنهوض بعبئها الثقيل، ولا يتسنى لها ذلك بحق إلا إذا وثقت تمامًا مِن استتباب الأمن واستقرار النظام، والعمل على استتباب الأمن واستقرار النظام واجب كل مواطن في الظروف العادية؛ فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التي لا يستفيد فيها مِن بلبلة الخواطر، وتصادم القوى، وتشعب الجهود؛ إلا خصوم الوطن، وأعداء نهضته؟!....

لهذا أناشد إخواني -لله وللمصلحة العامة- أن يكون كل منهم عونًا على تحقيق هذا المعنى، وأن ينصرفوا إلى أعمالهم، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله وحق الوطن عليهم، والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم، ويكلأه بعين رعايته، ويسدد خطى البلاد حكومة وشعبًا في عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح، آمين».

كما هو واضح من مفردات البيان وألفاظه:

الرغبة التامة في التبرؤ من الفعل والفاعل، وذكر الضحية بجميل الأوصاف وبديع الأخلاق مع الدعاء والثناء على الملك، والتوجيه للأتباع بالحفاظ على المصلحة الوطنية، وتغليب صوت الحكمة والعقل، فضلًا عن اللغة التصالحية مع الحكومة ومع الدولة، بما يقطع أي شكوك تُثار حول صدق التوجه وواقعية البيان.

البيان الثاني: «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين!» في التعليق على قضية محاولة نسف محكمة الاستئناف:

يا للعجب!! لم يمضِ على البيان الأول سوى أيَّامٍ قليلة، حتى وقع حادث آخر، ينسف البيان من أساسه، ويحبط أي محاولة لرأب الصدع، أو تسكين الأزمة، يطعن في الثقة المتبادلة بين الجماعة والحكومة، ويُشعر المسئولين أن البنا يتلاعب بهم، والمشكلة أن الجاني مقبوض عليه ومعروف انتماؤه فكان رد البنا كما يلي:

«وقع هذا الحادث الجديد - حادث محاولة نسف مكتب سعادة النائب العام - وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان مِن الإخوان المسلمين، فشعرتُ بأن مِن الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله مِن الجرائم لا يمكن أن يكون مِن الإخوان ولا مِن المسلمين؛ لأن الإسلام يحرمها، والإخوان تأباها وترفضها، ومِن المرجح - بل مِن المحقق- أنه أراد به أن يتحدى الكلمة التي نشرت قبل ذلك بيومين، تحت عنوان: **(بيان للناس)** [1].

ولكن مصر الآمنة لن تروعها هذه المحاولات الآثمة، وسيتعاون هذا الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته في ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة، وليعلم أولئك الصغار مِن العابثين أن خطابات التهديد التي يبعثون بها إلى كبار الرجال وغيرهم، لن تزيد أحدًا منهم إلا شعورًا بواجبه، وحرصًا تامًّا على أدائه، فليُقلِعوا عن هذه السفاسف، ولْينصرفوا إلى خدمة بلادهم، كلٌّ في حدود عمله، إن كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد.

وإني لأُعلن أنني منذ اليوم؛ سأعتبر أي حادثٍ مِن هذه الحوادث يقع مِن أي فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان موجهًا إلى شخصي، ولا يسعني إزاءه إلا أن أقدِّم نفسي للقصاص، وأطلب مِن جهات الاختصاص تجريدي مِن جنسيتي المصرية التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء... فليتدبر ذلك مَن يسمعون ويطيعون، وسيكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل، ولله عاقبة الأمور».

مرة أخرى ينطق البيان بكل قوة، معلنًا عن التبرؤ من هذه الأفعال، ومرة أخرى يثني على الملك المعظم، ويمدح الحكومة الحريصة، ويتهم الصغار العابثين، ويقدم نفسه للقصاص إذا تكرر مثل هذا الأمر من جماعته، فهل يتصور أن البنا يفعل ذلك تقية؟ وهل يمكن في الجهة الأخرى أن يعتبر الإخوان تلك البيانات الشديدة اللهجة كأنها لم تكن؟ ومن لديه القدرة والجرأة على مخالفة البنا بهذه الطريقة الفجة؟

---

(١) من عساه أن يتحدى مؤسس الجماعة؟ ومن يكون له المصلحة في ذلك؟



ينقل الأستاذ «محمود عبد الحليم» في كتابه «الإخوان أحداث صنعت التاريخ» شهادة اللواء «صالح حرب باشا» رئيس جمعية الشبان المسلمين في ذلك الوقت عن الحالة النفسية السيئة التي كان يعاني منها البنا بسبب هذه الحوادث فيقول:

«وأرى من واجبي في هذه المناسبة أن أميط اللثام عن موقف المغفور له الشهيد الشيخ حسن البنا بعد صدور الأمر بحل الإخوان، وقد زرته في منزلة، وكان المنزل مراقبًا عقب حل الجماعة، فقال لي: لقد سعيت عقب الحل مباشرة للاتصال بالنقراشي باشا فتعذر ذلك بل استحال، وكتبت له عندما أمعنوا في القبض على كبار الرجال في الجماعة أنني مستعد أن أتعاون مع الحكومة تعاونًا صادقًا لتهدئة الحال وإقرار الأمن والسلام.. فلم يعبأ بما كتبت له.

وسعيت هنا وهناك حتى كدت أنتعل الدم فلم يبال أحد بسعيي ورجائي... ولست أدري لماذا يتركونني اليوم طليقًا وقد اعتقلوا جميع أصحابي ما داموا لا يرغبون في إشراكي معهم لتهدئة الخواطر بل ولا يرغبون في الاتصال بي؟! لماذا إذن لا يعتقلونني كما اعتقلوا غيري، والاعتقال خير لي من الحال التي أصبحت فيها بين توجع النساء، ولوعة الشيوخ، وبكاء الأطفال، واحتياجهم جميعًا لمن يعولهم ومن يعينهم؟! ومن أين لي وقد جمدوا ووضعوا يدهم على كل ما يملك الإخوان؟.

وأخيرًا بدت من الحكومة رغبة في الاتصال به، وطلبوا إليه أن يذيع بيانًا يدعو فيه إلى الهدوء والسكينة حتى تعود الطمأنينة إلى النفوس، فكتب بيانه وعرضه على المسئولين، فطلبوا إليه أن يستنكر بصراحة الاعتداء على النقراشي باشا ففعل.. وظل البيان بين المحو والإثبات حتى أقروه ونشر تحت عنوان «بيان للناس».

والشيخ في كل هذه الأيام لا يشغله شاغل غير الرغبة الصادقة في التعاون مع الحكومة على إقرار السلام، ولا يشترط غير إطلاق سراح كبار الإخوان ليعاونوه.

واطمأن الشيخ على أنه بعد هذا البيان سوف يتغير الموقف، ويسود التفاهم، وتتوالى الخطوات في سبيل تهدئة الخواطر وإقرار السلام.

ولكن لسوء الطالع لم يمضِ يومان على صدور البيان -يعني بيان: «هذا بيان للناس»- حتى وقع حادث الشروع في نسف محكمة الاستئناف، فجاءني الشيخ في حالة مِن الجزع والفزع لم يسبق أن رأيته عليها، وقد عقد لسانه، وجف ريقه، وملكه ألم كاد يفقده صوابه.

وأنا أقسم بعد أن شاهدت الشيخ المرشد على تلك الحال أنه مستحيل على مثله أن يدعو إلى الإجرام أو يأمر به أو يشارك فيه، وظللتُ وقتًا طويلًا أهدئ مِن روعه حتى سكن قليلًا، واستطاع الكلام، فقال: أرأيت هذا المفتون، ماذا كان ينوى أن يفعل؟! **والله ما هذا الشقي مسلمًا ولا مِن الإخوان...!**[1] ولما خُوطب الشيخ مِن الجهات الرسمية في هذا الحادث تبرأ مِن هذا الشاب، واستنكر بكل شدة فعلته، وأظهر استعداده لأن ينشر بيانًا آخر يذيع فيه أن هذا المفتون وأمثاله ليسوا مسلمين».

ورغم هذه الشهادة الجيدة في حق حسن البنا إلا أن أحد قادة الإخوان وهو الأستاذ فهمي أبوغدير كان له رأي آخر ألمح به في مقدمة تعليقه على رسالة «قضيتنا» فيقول:

«كل الوسائل والأساليب لم تحمل القاتل على الاعتراف بشيء، وقابله شيخ الأزهر الشيخ الشناوي ليلًا بسجن الأجانب حاوره وأطلعه على بيان علماء الأزهر بحرمة القتل وأن قاتل النفس مخلد في النار، ومع ذلك لم يهتز.. قالوا له: إن الأستاذ البنا لا يقر الجريمة ولا يرضى عنها..

لاحظوا أن هذا القول شد انتباهه فبيتوا أمرهم بليل ولجأوا إلى الأساليب الملتوية ليحصلوا من الأستاذ البنا على استنكار للجريمة بقصد التأثير على القاتل عساه يحل عقدة لسانه، كان الاتصال قد تم بين بعض الوزراء وفضيلة المرشد - عن طريق صالح باشا حرب رئيس الشبان المسلمين - بشأن التعاون حتى تهدأ الحال في وقت كانت آلاف الأسر قد سجن أو اعتقل عائلها...... إلخ».

---

(١) الصحيح أن قاتل النفس المعصومة يعد مرتكبًا لكبيرة عظيمة من الكبائر، ولكنه لا يخرج من الملة بسبب ذلك، بل تكفير مرتكب الكبيرة يعد أحد البدع الأساسية التي قام عليها فكر الخوارج القديم والمعاصر، فهل كان البنا مبالغًا في وصفه على القاتل وقال ذلك من باب إظهار شدة التبرؤ من الفعل، أم أنه يعتقد أن مرتكب الكبيرة كافر؟ أم ماذا؟



ثم قال: «وعدوه بالإفراج عن بعض المعتقلين وطلبوا منه كشفًا بأسماء المطلوب الإفراج عنهم، كما وعدوه بإعادة المفصولين إن كتب يستنكر الجريمة.. في هذا الجو وتحت تأثير الرغبة الملحة في إنقاذ أبنائه المعذبين المهددين بالخطر في حياتهم وأرزاقهم، **كتب - وهو سليم دواعي الصدر - يستنكر الجريمة كأسلوب**».

هل كان البنا يستنكر الجريمة كمضمون أم يستنكرها كأسلوب؟ هل كان هذا الاستنكار عن قناعة أم كان تكتيكًا ومراوغة؟ هذا ما يتبين من خلال البيان الثالث «رسالة القول الفصل».

البيان الثالث: «رسالة القول الفصل»:

المعضلة الكبرى في هذا البيان أنه يتعارض تمامًا مع ما جاء في كل من البيان الأول والثاني، بالإضافة إلى أن هذه النشرة هي آخر ما كتبه البنا في حياته، والعجيب أيضًا أن البنا دافع فيها عن الجماعة دفاعًا مستميتًا، بل نفى أي صلة للجماعة بكل ما تم، ورجح كونها تهم باطلة وملفقة فقال: «إن الدليل القاطع الدامغ ينادي ببراءة الإخوان من هذا الاتهام - اتهام الجماعة بالانحراف وبقلب نظام الحكم بالقوة - فهذه دُورهم وشُعَبهم وأوراقهم وسجلاتهم ومنشآتهم قد وضعت كلها تحت يد البوليس فلم يعثر في شيء منها على ورقة واحدة تصلح أن تكون دليلًا أو شبه دليل على هذا الانحراف المزعوم».

وسوف ننقل مقتطفات من هذه الرسالة نظرًا لطولها، يقول البنا:

«وبعد هذا البيان - يقصد ما أوضحه من نفي التهم الموجهة للإخوان - يتضح لكل منصف براءة الإخوان المسلمين من هذه التهمة -تهمة الجريمة والإرهاب- وبقي أن نوجه هذا السؤال: من المسئول الآن عن اضطراب الأمن ووجود هذه الحالة من القلق والذعر في جميع أنحاء البلاد؟ وكيف السبيل إلى إعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي من الهدوء والاستقرار؟.

الحكومة بإقدامها على حل الإخوان المسلمين بلا مبرر ومبالغتها بعد ذلك في ظلمهم واضطهادهم، وهم هذه المجموعة الضخمة من أبناء البلد، واستمرارها في

هذا الظلم والاعتداء هي المسئولة ولا شك عن هذا الاضطراب، والسبيل إلى عودة الأمور إلى طبيعتها من الهدوء والاستقرار معبدة ميسرة مأمونة: هي إلغاء هذا القرار، ورفع هذا الظلم عن هؤلاء المواطنين الأخيار، وأخذ المجرم بجريمته في حدود القانون بالعدل والإنصاف، وبغير هذا ستظل هذه الحالة وتزداد وتكون الحكومة قد وضعت بيدها بذور ثورة[1] لا يعلم مداها إلا الله.

وإن الإخوان لازالوا معتصمين بالحكمة والصبر مستسلمين لقضاء الله -تبارك وتعالى- راضين بحكمه، ولكن العقلاء منهم يخشون أشد الخشية أنْ يفلت الزمام منهم إنِ استمرت الحكومة في الاعتداء على الأبرياء والتضييق على الأحرار الفضلاء، ونهاية الضغط الانفجار وحق الدفاع عن النفس والمال حق مشروع في كل زمان ومكان».

إن الإنسان ليتملكه العَجَب مما كتبه البنا في هذا البيان، ولولا أن الإخوان هم الذين نشروه وأذاعوه لمال إلى تكذيبه ورفضه؛ لأن البنا بهذا البيان يضع المبرر التاريخي للعنف، وهو أن ظلم الدولة يدفع إلى محاربتها والبادي أظلم، بالإضافة إلى لغة التهديد بالثورة وبالانفجار وبحق الدفاع عن النفس والمال، وكل هذا يؤصل لأدبيات العنف، ولا غرابة في أن يأتي بعد ذلك سيد قطب فيؤسس لفِرَق الردْعِ إذا ما تعرضت الجماعة لسوء.

ثم يمضي البنا في بيانه قائلاً:

«هذه الحكومة التي تطارد الإخوان المسلمين وهم الشعب[2]، وتحكم عليهم بالإجرام والنفي والتشريد ومصادرة الأموال والأملاك والحريات، ولو أخذت الأمور وضعها الصحيح وكانت الكلمة للحق لا للقوة لحَاكَمْناكم نحن أيها المفرطون على هذا التفريط، ولحاسبناكم على هذا العجز أشد الحساب، ولكن دولة الظلم ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾».

---

(١) ألا يتعارض هذا الكلام مع ما سلف من كلام البنا (ص ٨٣) وهو قوله: «وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها»؟!!

(٢) تكرر في هذا البيان وصف الإخوان بأنهم الشعب على سبيل الحصر وأنهم المجموعة الضخمة من أبناء البلد، وهذه لغة عجيبة أيضًا تؤكد لغة الاستعلاء، وهي متأصلة في جماعة الإخوان حتى اليوم.



ولم يَفُتِ البنا أن يرد على مقالة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله «الإيمان قيد الفتك» فقال:

«لقد كتب أحد حضرات الفضيلة رؤساء المحاكم الشرعية مقالًا مطولًا خلاصته أن الإيمان قيد القتل، وأن القتل سنة الخوارج، وجزاؤهم القتل، ونحن مع فضيلته في كل ما قرر من ذلك، وكان من تمام البحث واستيفائه أن يقول فضيلته: إن الحاكم الظالم جزاؤه العزل، وإن الثائر على الظلم ليس من الخوارج في شيء، وأن الأمة التي تهاب أن تقول للظالم، يا ظالم فقد تودع منها وبطن الأرض خير لها من ظهرها، ولقد أصدر حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الرسميين بيانًا في تحريم القتل، وجزاهم الله عن البيان جزاء الإحسان، ونحن بما قالوا نقول، ولما قرروا نسمع ونطيع، وننتظر منهم بعد ذلك أن يردعوا الظالمين عن الظلم بالحكمة والموعظة الحسنة والنصيحة والقول اللين؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة ولعن الله قومًا ضاع الحق بينهم».

ثم وجه كلامه إلى وجهاء الأمة وإلى الحكومة ناصحًا ومحذرًا:

«فإلى حضرات أصحاب الفضيلة العلماء الرسميين والخطباء والأئمة والمفتين والقضاة الشرعيين والوطنيين، وإلى رئيس مجلس الشيوخ ورئيس مجلس النواب، وإلى الشيوخ والنواب المحترمين، وإلى رؤساء الأحزاب والهيئات والجماعات وأعضائها الموقرين، وإلى الأساتذة من الكتاب المبرزين ورجال الصحف وحملة الأقلام النابهين، وإلى كل ذي غيرة ورأى في وادي النيل السعيد وفي بلاد العروبة العزيزة وموطن الإسلام الحنيف - ونوجه هذا البيان ونبسط بين أيديهم جميعًا هذه القضية ليتصوروا مبلغ الظلم والعدوان الذي وقع علينا وليكونوا عند مهاجمتنا بعد أن يتبينوا عدالة قضيتنا - أعوانًا لنا على استرداد حقنا من ظالمنا، وليجاهدوا معنا في سبيل مقاومة هذا المبدأ الخطر؛ وهو تحكم فرد في شعب، واستخدام السلطة الاستثنائية في القضاء على الهيئات والأفراد والجماعات والمنشآت بلا عاصم من شرع أو قانون.

وليعذرونا إذا دفعنا الظلم إلى الانتصار، وأدى بنا الضغط إلى الانفجار، فما كان من المعتدين مَنْ دافع عن نفسه، ومن مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون دينه فهو شهيد»[1].

---

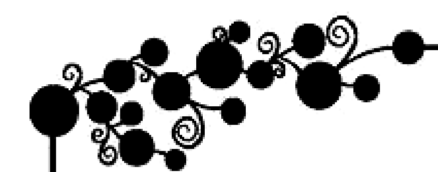
(١) الاستدلال بهذا الحديث في هذا الموضع ليس في محله، وهو يستخدم حتى الآن لدفع الشباب نحو الهلاك =

ثم ختم رسالته بهذا القول الحاسم:

«يا حضرات السادة الحكام؛ لن ترضى هذه الجماعة لنفسها أن تضع لكم تقرير مصيرها -ولن تسمح لكم بأن تقلبوا الحقائق، وتعتدوا على الحريات، وتصادروا الأموال والممتلكات، وتظلموا الأبرياء بالباطل، وإنها لتحملكم أمام الرأي العام نتائج ما يحدث عن هذا العدوان، وعلى الباغي تدور الدوائر ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى]».

بعد هذا البيان المحكم والمفصل يصعب جدًا تبرئة البنا من مسئوليته عن الأحداث، ويبقى أن جماعة الإخوان حتى الآن لديها خطابان، الأول عند الرغبة في نفي التهم الثابتة تاريخيًا عن الجماعة فيذكرون بيان البنا الأول والثاني ويتبرأون من النظام الخاص ومن أفعاله ويحملونها لعبد الرحمن السندي وحده، وعندما تكون هناك حاجة إلى استخدام العنف وشرعنة المواجهة، تتحول الجماعة مباشرة إلى رسالة المؤتمر الخامس، وإلى الاعتزاز بالنظام الخاص، ليس فقط أيام البنا ولكن التغني ببطولاته بعد البنا في عهد الهضيبي وغيره، **وهكذا يبدو أنَّ ملمحًا من ملامح التقية – في هذه المسألة بالذات – هو أحد الأصول التي تعتمد عليها الجماعة**، وهي ظاهرة جدًا في الممارسة الواقعية لجماعة الإخوان عبر تاريخها، والسياسيون يطلقون عليها لفظ الازدواجية، وتلون الخطاب وغيرها من الاصطلاحات السياسية، لكنها فيما يتعلق بالمعاني الشرعية تعد جريمة كبرى، وليس لها وصف أقل من التقية والكذب الذي تعيش عليه مناهج كثيرة من أبرزها الشيعة – قبحهم الله – خصوصًا أن مما يؤكد هذا المعنى أن النظام الخاص استمر بعد وفاة البنا وظل معلنًا عن وجوده حتى مجيء عمر التلمساني إلى منصب رئاسة الإرشاد، والذي يبدو أنه كان مرحلة استثنائية في عمر الجماعة – كما ذكرنا –.

=المحقق بدعوى الشهادة في سبيل نصرة الدين والإسلام، والواقع أنهم يوظفون الحديث في تبرير ما يقدمون عليه من مواجهات عنيفة مع النظام الحاكم، وليس مجرد دفاع الإنسان عن ماله أو عرضه أو دينه.



الفصل الثالث

موقف الجماعة من العنف بعد رحيل البنا تراجع أم تطور؟



الفصل الثالث:

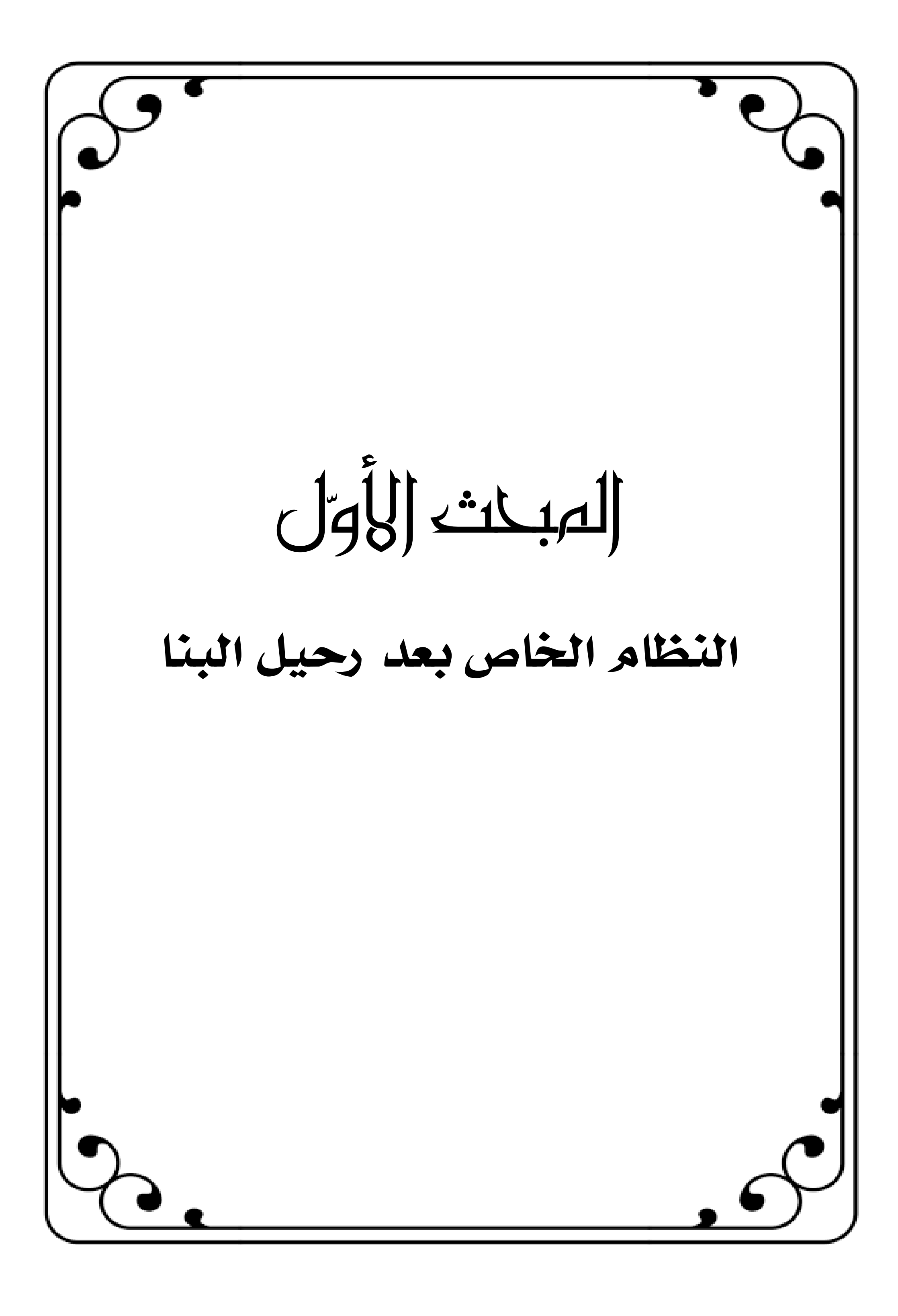
موقف الجماعة من العنف بعد رحيل البنا: تراجع أم تطور؟

كما ذكرنا من قبل أن جماعة الإخوان دأبت على مقولة ثابتة وموحدة مفادها أن النظام الخاص تم إنشاؤه لمواجهة الإنجليز والمحتلين فقط، وقد كانت هناك ضرورة تاريخية له، والتي استلزمت استعمال السلاح والتدريب العسكري وغيره، وبغض النظر عن المغالطة التي يحتويها الكلام، إلا أن لازم هذا القول - إن صدَّقناه - يحتم إنهاء هذا الجناح العسكري بمجرد انتهاء الهدف من إنشائه، ولكن الواقع أن الجماعة حافظت عليه رغم تأكدها من ارتكابه كل ما سبق من حوادث القتل والاعتداء، وسوف يتضح من خلال هذا الفصل مسيرة الجماعة بعد رحيل البنا وخصوصًا بعد جلاء المحتل، وهل ثمة تغيرات تمت في مناهجها وأفكارها أم لا؟

وقد تناول هذا الفصل المباحث التالية:

المبحث الأول: النظام الخاص بعد رحيل البنا.

المبحث الثاني: جماعة الإخوان والتنظيمات المسلحة.



المبحث الأوّل

النظام الخاص بعد رحيل البنا

المبحث الأول:
النظام الخاص بعد رحيل البنا

واصل المرشد الثاني المستشار الهضيبي مسيرة تدعيم النظام الخاص ورعايته بما يجعله مستمرًا ومتخفيًا؛ يقول الأستاذ صلاح شادي في كتاب «صفحات من التاريخ.. حصاد العمر»:

«واستمع المرشد إلى رأي سيد فايز في إصلاح النظام الذي يدعو إلى تخلي كل قادته المعروفين لدى الحكومة عن مراكزهم؛ إذ لا يتصور أن يتم أي عمل فدائي يكون اسم صاحبه معروفًا لدى الشرطة[1]! وإلا فقد النظام السري مضمونه وأصبح علنيًا! **واقتنع المرشد بهذا الرأي وبدأ يحكم خطوه بالإعلان عن عدم وجود هذا النظام داخل الجماعة، في نفس الوقت الذي ظل مبقيًا على واقع التنظيم بدون أي تغيير**».

وبالتالي فالنظام الخاص لم ينته بموت البنا ولكنه استمر كما هو، وكانت جهود قادة الجماعة وقتها منصبة على جعله أكثر سرية في تشكيله، وأشد ولاءً للمرشد الجديد.

أولاً: النظام الخاص في مواجهة قادة الجماعة:

مصداقًا لمقولة «على نفسها جنت براقش» فقد اكتوت الجماعة بنيران نظامها الخاص، وارتدَّت قذائفها إلى صدرها في حادثتين عظيمتين مرت بهما الجماعة في عهد الهضيبي؛ يقول الأستاذ صلاح شادي في كتاب «صفحات من التاريخ.. حصاد العمر»:

«وهكذا واجهت الجماعة أخطر حادثين أصاباها من داخلها منذ نشأتها.. وكان **الأول:** هو مقتل الشهيد سيد فايز، **والثاني:** إرسال عبد الرحمن السندي لجماعة من أفراد النظام الخاص إلى منزل مرشده حسن الهضيبي لإرغامه على الاستقالة في الوقت الذي احتلت فيه جماعة أخرى من إخوان السندي المركز العام للإخوان المسلمين بعد ذلك، مخططة لانقلاب يرأسه صالح عشماوي يحاكي - في وهم أصحابه - انقلاب الجيش!».

---

(١) وبالتالي يتبين لنا أنَّ عزل قادة النظام المعروفين مسألة تنظيمية بحتة، وليس لها علاقة بتغير منهج الجماعة إطلاقًا، فالأمر كما هو واضح لا يعدو أن يكون مزيدًا من التكتم والسرية لضمان نجاح العمليات في المستقبل.

الحادث الأول: مقتل سيد فايز:

ينقل الأستاذ صلاح شادي في كتابه «صفحات من التاريخ.. حصاد العمر» عن الأخ سيد عيد روايته فيقول:

«كنتُ في السنبلاوين عندما علمت باستشهاد سيد فايز حين طالعت الخبر في الصحف صباح يوم الجمعة ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٣ فعدت إلى القاهرة، وعلمت أن الحادث تم الساعة الثالثة بعد ظُهْر الخميس عندما حمل أحد الأشخاص إلى منزل المهندس سيد فايز «هدية المولد»، عبارة عن علبة حلوى بداخلها شحنة ناسفة من مادة الجلجنايت سلمت إلى شقيقته، وادعى حاملها أن اسمه كمال القزاز، حتى إذا حضر سيد فايز بعد ذلك انفجرت المادة الناسفة في محيط الغرفة الضيقة وأطاحت بحاملها بل وبحائط الغرفة جميعه الذي هوى إلى الشارع».

يجيب محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون،أحداث صنعت التاريخ» – الجزء الثالث عن سؤال: من قتل سيد فايز؟ ولماذا؟ تحت عنوان: (جريمة غدرٍ مجنونة) كتب ما يلي:

«من هذا يتضح أن إجراء المرشد العام بتنحية رئيس النظام عن رئاسة النظام ليست إلا إجراءً عاديًا كان يجب أن يقابل من أخ بايع على السمع والطاعة بالتسليم والرضا وتوجيه جهوده لميدان آخر من ميادين الدعوة الفسيحة..

ولكن الذي حدث كان عكس هذا تمامًا، اعتبر هذا الأخ – يقصد السندي – هذا الإجراء اعتداءً عليه وسلبًا لسلطان يرى أنه حقٌّ أبديٌّ له.. وإذا كان قد ناوأ المرشد العام من قبل في خفاء فإنه أصبح الآن في حِلٍّ من إعلان الحرب عليه مستحلًا في سبيل ذلك كل وسيلة تُتاح له. أتدري أيها القارئ ماذا فعل؟

كان يعلم أن المهندس سيد فايز وهو من كبار المسئولين في النظام الخاص من أشد الناقمين على تصرفاته، وأنه وضع نفسه تحت إمرة المرشد العام لتحرير هذا النظام في القاهرة على الأقل من سلطته، وأنه قطع في ذلك شوطًا بعيدًا باتصاله بأعضاء النظام في

القاهرة وإقناعهم بذلك؛ إذًا فالخطوة الأولى في إعلان الحرب – وكذلك سولت له نفسه – أن يتخلص من السيد فايز، فكيف تخلص منه..؟

إنه تخلص منه بأسلوب فقد فيه دينه وإنسانيته ورجولته وعقله.. انتهز فرصة حلول المولد النبوي الشريف وأرسل إليه في منزله هدية؛ علبة مغلقة عن طريق أحد عملائه، ولم يكن الأخ سيد فايز في ذلك الوقت موجودًا بالمنزل، فلما حضر وفتح العلبة انفجرت فيه وقتلته وقتلت معه شقيقًا له وجرحت بقية الأسرة وهدمت جانبًا من جدار الحجرة.

وقد ثبت ثبوتًا قطعيًا أن هذه الجريمة الآثمة الغادرة كانت بتدبير من هذا الرئيس.. وقد قامت مجموعة من كبار المسئولين في هذا النظام تتقصى الأمور في شأن هذه الجريمة، وأخذوا في تضييق الخناق حول هذا الرئيس حتى صدر منه اعتراف ضمني»[(١)].

ويؤكد على هذا المعنى الدكتور محمود عساف في مذكراته مع «الإمام الشهيد حسن البنا» فيقول:

«في اليوم التالي – وكان ليلة مولد النبي ﷺ – ذهب شخص ما بصندوق من حلوى المولد، وطرق باب بيت السيد فايز في شارع عشرة بالعباسية، وسلم صندوق الحلوى إلى شقيقته قائلًا إنه لا يجب أن يفتحه إلا السيد، وبالفعل... حضر السيد فايز وتسلم الصندوق وبدأ يفتحه... وإذا بالصندوق ينفجر ويودي بحياته.

تلك جريمة رهيبة، لا شك عندي أنها من فعل النظام الخاص، لمجرد أن السيد فايز يعارض وجوده، سألت الشيخ السيد سابق عن هذه الواقعة فقال إن رئيس النظام هو الذي خططها، ونفذها أحد معاونيه بناءً على فتوى نسبت للشيخ السيد سابق وهو بريء منها، وقال لي: إنه يعرف الشخص الذي قام بتلك الفعلة النكراء».

---

(١) مسئولية السندي عن مقتل سيد فايز، لا يعدها أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف» من الأمور الثابتة اليقينية، بل يبرئ السندي منها، ولكنه لا يشير بأصابع الاتهام إلى أحد بعينه، وبالتالي فالكلمة متفقة علي أن الجهاز الخاص هو الذي تورط في عملية الاغتيال، والخلاف القائم حول شخصية المخطط والآمر بهذا الفعل.

الحدث الثاني: الصراع بين الأجنحة المسلحة داخل الجماعة والخلاف حول الهضيبي:

الثورة على الهضيبي:

بدأت الثورة على الهضيبي من اليوم الأول لمجيئه للجماعة، فلم يستوعب قادة النظام الخاص -وقد تربوا على أعلى درجة من درجات التعصب والحمية -أن يكون مرشد الجماعة رجلًا من خارج الجماعة، ولكن كيف تعاملوا مع هذا الواقع، وهم من أَلِفُوا استخدام السلاح والتعامل بالعنف؟!

يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث:-

«فوجئت بأنني مطلوب في القاهرة.. وعندما وصلت إليها أبلغت بأن هناك شغبًا قد يودي بالدعوة من داخلها، كان الإخوان في ذلك الوقت قد اتخذوا لهم مقرًا مؤقتًا غير رسمي في منزل قديم بالعباسية، يلحق به فناء كان حديقة في يوم من الأيام، فاتجهت إليه حيث التقيت بالأخ عبد العزيز كامل.. فقص عليّ الأخ عبد العزيز تفاصيل الموقف التي تتلخص في أن إخوان النظام الخاص لا يوافقون على أن يتولى منصب المرشد العام إلا من يرشحونه هم، بحجة أنهم هم الذين تحملوا أشد المواقف، وبذلوا أعظم التضحيات، وأخبرني الأخ عبد العزيز بأنهم قرروا ترشيح الأخ صالح عشماوي.

سألت عن الأخ صالح، فقيل لي: إنك تجده في المسجد القريب مقيمًا به لا يكاد يفارقه، فدخلت المسجد، ولم يكن وقت صلاة، فوجدت صالحًا قد أعفى لحيته – ولم يكن قد أعفاها من قبل – واتخذ له في المسجد مكانًا أشبه بالخلوة.. فسلمت عليه وجلست معه، وتحدثت معه في موضوع المرشد العام.. فقال لي: يا أخي محمود.. أنا ما أردتها ولكن إخوان النظام رشحوني، وما كان لي أن أخالفهم، وقد أحسست من حديثه ومن حالته التي رأيته عليها أنه جاد في الأمر، وأنه يعد نفسه إعدادًا روحيًا حتى يكون جديرًا بالمنصب.

أما من ناحيتي فلن أجد في نفسي غضاضة أن أبايع صالحًا وأن أسمع له وأطيع، وقد صارحته بذلك.. ولكن الموضوع لم يكن بمثل هذه البساطة.. إذ هناك أمران خطيران يستتران وراء ترشيح صالح: **أولهما** أن الإخوة الكرام أعضاء مكتب الإرشاد الذين خلعوا أنفسهم رجاء اجتياز الدعوة الظروف التي تحدثت عنها، وإذا رأوا صالحًا يتقدم للمنصب فإنهم سيعدلون عن خلع أنفسهم ويتقدمون للمنصب الذي قد يرى كل منهم أنه أحق به من صالح.. وهنا تتفرق الجماعة وتذهب ريحها.

وأما الأمر الخطير الآخر – وقد يكون هو الأشد خطورة – فهو الوسيلة التي رشح صالح عن طريقها.. إن مبدأ تسلط طائفة من طوائف الجماعة وإلزامها برأيهم تحت تأثير القوة هو مبدأ خطير ومدمر، وقد يؤدي إلى إلغاء شخصية الجماعة ويحولها إلى مجموعة من المغامرين وقطاع الطرق.

وقد أحسست بعد لقائي بصالح وإصراره على موقفه بأن عليّ واجبًا لابد أن أقوم به – وقد أكون لظروف معينة أَقْدَر على القيام به من غيري – ولم يكن هذا الواجب إلا عملًا إيجابيًا واحدًا.. هو مواجهة هذه الطائفة.. وأنا وإن كنت بعدت عن النظام الخاص للظروف التي ذكرت طرفًا منها، فإنني أحتفظ بعلاقات طيبة مع أكثر قياداته وكثير من أفراده.. وكانت قيادات هذا النظام وعلى رأسهم عبد الرحمن السندي ينظرون إليّ باعتباري أخًا أكبر؛ يرجعون إليه فيما يختلفون فيه.

سألت عن عبد الرحمن لأتحدث إليه فأخبرت بأنه غير موجود – ولعله قد بلغه نبأ استدعائي فآثر ألا يلقاني اتقاء الحرج – ولم أجد إلا نائبه الأخ أحمد زكي ومعه مجموعة من أفراد النظام.. وأخبرني الأخ عبد العزيز بأن قيادة النظام قد احتلت هذه الدار واتخذتها مقرًا لها، وأنها تطارد كل من يفكر تفكيرًا يخالف تفكيرهم في اختيار المرشد، حتى إنه لم يعد أحد غير أفرادهم يجرؤ أن تطأ قدمه هذه الدار، وأخبرني أنه يئس من حملهم على العدول عن فكرتهم أو حتى على التخفيف من هذه القيود.

ورأيتهم فعلًا قد فرضوا نظامًا صارمًا ينفر منه من ألف الجو الإخواني المفتوح المشبع بروح الإخاء والمحبة والود.. حتى إنني حين طلبت مقابلة الأخ أحمد زكي أرادوا إخضاعي لهذا النظام المنفر، لاسيما والأفراد المكلفون بتنفيذه من صغار الأفراد الذين لا يعرفون كثيرًا من الإخوان، وقد زادني ما قوبلت به من صلف حنقًا على تصرفهم.. وكان الحديث عن هذا الصلف والجفاء هو أول حديثي مع الأخ أحمد زكي وقلت له: إذا كان الذين سيقودون الإخوان على مثل هذا الجفاء والصلف فإنهم سيوردون الإخوان موارد الهلاك، وسيكونون أنكى على الدعوة من ألدّ أعدائها.

وتحدثت إليه حديثًا طويلًا بينت له فيه خطأ الاتجاه الذي عزموا علي السير فيه، وخطورة نتائجه، وختمت حديثي معه بقولي: إنني يا أحمد – كما تعلم – أحد الذين أسسوا هذا النظام.. ولكنني سأكون أول من يعمل على تقويضه إذا كان يريد أن يفرض نفسه على الدعوة.. وإذا كان أفراد من هذا النظام يطالبون بأن ينالوا مناصب في الدعوة لقاء ما قدموا وما تحملوا من تضحيات ومتاعب، فإن النظام يكون قد حل نفسه بنفسه؛ لأنهم يكونون قد نكثوا العهد الذي أخذه كل فرد منهم على نفسه يوم أعطى البيعة أن يقدم روحه وماله لله، ومعنى ذلك في أبسط معانيه أنه لا ينتظر على ذلك أجرًا ولا منصبًا ولا حتى الثناء يسمعه من الناس.

وكان الأخ ينصت إليّ باهتمام لما يعرف عن مدى ما أحظى به من تقدير الكثرة الغالبة من قادة النظام، ومقدار ما أتمتع به من حبهم وثقتهم، كما يعلم أنني لا أسعى إلى كسب شخصي ولا أقصد فيما أقول وأفعل إلا وجه الله.. وقد طلبت إليه إبلاغ الأخ عبد الرحمن بكل كلمة قلتها، وأن يبلغه أنني سأكون في انتظاره في هذا المكان في نفس الموعد من الغد إن شاء الله.

وحضرت في الموعد فوجدت الأخ أحمد الذي أبلغني بأن عبد الرحمن قد اقتنع وقال: ما كان لنا أن نخالف أخانا الكبير.. كما أخبرني أحمد بأن عبد الرحمن يعتذر عن الحضور؛ لأنه سيكون خارج القاهرة لموعد سابق.. فعلمت أنه يتفادى مواجهتي في

مثل هذا الموقف، ولم يكن لقاؤه يعنيني، وإنما الذي كان يعنيني هو أن أرى ما يدل على عدولهم عن موقفهم.. فرأيت الأخ أحمد قد أصدر أمرًا إلى الأفراد الذين كانوا يتناوبون الحراسة بالانصراف، كما أعلن أمامهم العدول عن خطتهم، وترك الأمر لجمهور الإخوان لاختيار من يشاءون مرشدًا، وأنهم سيكونون في ركب من يقع عليه اختيار الإخوان».

أما الثورة الثانية فكانت عقب اجتماع مكتب الإرشاد في ١٩٥٣/١١/٢٢ وانتهى إلى قرار جماعي بفصل رئيس النظام الخاص عبد الرحمن السندي وثلاثة من معاونيه، هم: أحمد عادل كمال ومحمود الصباغ وأحمد زكي.

ينقل الأستاذ صلاح شادي في كتابه «صفحات من التاريخ.. حصاد العمر» عن الأخ سيد عيد روايته فيقول:

«وفي شهر ديسمبر عام ١٩٥٣ وبعد أسبوعين من قرار الفصل ذهبت قبل العصر إلى مسجد شريف - القريب من منزل المرشد - وكنت على موعد مع الأخ حسن عبد الغني، وفوجئت بوجود عدد كبير من شباب النظام الخاص على رأسهم فتحى البوز وعليّ صديق مما لفت نظري، ورأيت محمد أحمد - سكرتير السندي - وعليّ صديق وفتحي البوز وعليّ المنوفي مع آخرين لا أذكر أسماءهم يتشاورون فيمن يكلم المرشد، واختاروا عليّ المنوفي لأنه هادئ الطبع.

وصعدت مجموعة عددها حوالي العشرين إلى منزل المرشد امتلأت بهم غرفة الاستقبال، وبقي الآخرون في المسجد، وحضر إليهم المرشد قائلًا: السلام عليكم، فوقف الجميع وردوا السلام، فقال: زيارة وَلَّا مظاهرة؟ قالوا: زيارة، وبدأ عليّ المنوفي بالكلام بهدوء.. وقال: إننا حضرنا لسؤال فضيلتك عن سبب فصل قادة النظام الخاص[1]، وهنا تدخل الأخ محمد حلمي فرغل ليقول: «لا.. نحن لم نحضر للسؤال بل قدمنا لأننا تعبنا منك لأنك لا تعرف كيف تقود الجماعة، ونحن لم نر منك خيرًا..

---

(١) من خلال هذه الحكاية تشعر وكأن الجماعة كلها تم تعبئتها في النظام الخاص، ولم يعد فقط جناحًا سريًا محدودًا، بل من هم خارجه كأنهم من عوام الجماعة.

ونحن حضرنا لنطالبك بالاستقالة» فسأله المرشد: الأخ اسمه إيه؟ فرد عليه الأخ أحمد نصير، فقال: «فضيلتك بتسأل عن اسمه ليه؟» فأجاب المرشد: واحد يطالبني بالاستقالة.. ألا أسأله عن اسمه؟! فعقب أحمد نصير قائلا: «أم أنك تريد أن تتخذ ضده إجراءات؟» فأجاب المرشد: يا بني! ماذا نملك نحن من إجراءات حتى ننفذها فيكم؟ فقال الأخ محمد حلمي فرغل: من إخوان تحت الأرض! وهنا هم المرشد بمغادرة الحجرة إلى داخل المنزل، فقالوا له: حضرتك رايح فين؟.. فقال: «أنتم طالبين استقالتي وأنا رايح أكتبها» وقد بدا الانفعال واضحًا على وجهه.

وهنا تصدى له محمد أحمد وفتحي البوز ومنعاه من الدخول وخلعا سماعة الهاتف لمنع الاتصال بالخارج، فغادر المرشد الحجرة من الباب المطل على السلم فلحق به عليّ صديق ومحمود زينهم الذي قال للمرشد: «ما يصح برضه فضيلتك تنزل كده بالروب» فقال له: «يا بني! أنتو خليتو حاجة تصح أو ما تصحش» وهنا حمله محمود زينهم وعاد به إلى الغرفة.

احتلال مبنى المركز العام:

ينقل الأستاذ صلاح شادي في كتابه «صفحات من التاريخ.. حصاد العمر» عن الأخ سيد عيد روايته فيقول:

«لقد كان الشق الثاني مما دبر هو الاعتصام بالمركز العام حتى تصل استقالة المرشد حسن الهضيبي، غادرت المكان وذهبت للأستاذ محمود عبده،وعند خروجي التقيت بالأخ عبد العزيز أحمد حسن سكرتير الإمام الشهيد، فأخبرته بما جرى، فدخل بيت الأخ محمد فاضل صهر الأستاذ سعيد رمضان وبدأ بالاتصال بأعضاء مكتب الإرشاد والهيئة التأسيسية لإبلاغهم بما حدث، فتركته وعدت لبيت المرشد لأجد الإخوة إسماعيل عارف وفوزي فارس وحسن عبد الغني وسيد الريس من إخوان النظام وغيرهم يحاولون إقناعه بأن الذين حضروا إلى منزله لم يكونوا متفقين على ما تم، وأنَّ قِلة فيهم فقط هم الذين دبروا ذلك، وأن الآخرين خُدعوا.. ونحن على مثل ذلك.. فقال لهم: لماذا إذًا لم تتكلموا؟ فقالوا: كرهنا أن تحدث مجزرة في منزلك، فطالما لم يتعد الأمر مسألة الكلام فنحن نسكت.. لكن لو تطور الأمر فنحن جاهزون للتصرف.

الاستعانة بقسم الوحدات لمواجهة متمردي الجماعة:

يستكمل الأخ سيد عيد روايته قائلاً:

«وفي نحو الساعة الثالثة بعد منتصف الليل سمعتُ هتافات خارج المركز العام، فخرجت مع سامي البنا لنرى سيارات تاكسي تحمل عددًا من الإخوة من قسم الوحدات لم ينتظروا حتى نفتح لهم باب المركز العام فتسلقوا السور ودخلوا المبنى، ومعهم صلاح شادي و نجيب جويفل وحاول بعضهم الاعتداء علي باعتباري من حراس الفتنة! ولكن منعهم نجيب جويفل الذي كان يعرف موقفي منهم قبل ذلك.

وتوجهتْ إلى صالح عشماوي في غرفة المرشد فوجدته يصلي! ولما انتهى من صلاته أفهمته بأنه لابد من الخروج من غرفة المرشد لمواجهة الموقف، فمنعني قائلًا: أنت مجنون.. يموتونا إذا خرجنا... ولكني خرجت والتقيتُ بصلاح شادي فأمهلنى ربع ساعة للخروج مع صالح عشماوي وعبد العزيز جلال بدون أن يتعرض لنا بسوء، فدخلت الغرفة ثانية وأبلغت صالح عشماوي وعبد العزيز جلال بذلك، وقلتُ لهما: إني مسئول عن حياتهما هذه الفترة فقط، فخرجا وأنا معهما إلى حيث كانت سيارة صلاح عشماوي بعيدة قليلًا عن دار الإخوان فاستقلاها، وانتهت بذلك قصة احتلال الدار وإن لم تنته آثارها».

استسلام السندي وتعيين مسئول جديد للنظام الخاص:

يختتم الأخ سيد عيد روايته قائلاً:

«واضطلع يوسف طلعت بمهامه كقائد للنظام الخاص ليسير به كما أوصاه المرشد (نحو وجهته الصحيحة بعيدًا عن الروح التي أملاها السندي على أتباعه)[1]، وكان أول عمل قام به إخوان النظام الخاص برئاسة يوسف طلعت ﷺ هو تسلمهم حراسة دار المركز العام من إخوان قسم الوحدات يوم اكتظت الدار بالحشود التي قدمت في اليوم التالي لاحتلال أتباع السندي لها.

---

(١) الروح التي أملاها السندي على أتباعه في نظر الهضيبي هي روح التمرد على القيادة، وعدم الاستسلام لأوامر المرشد، وليس منها التخلص من إرث النظام الثقيل الذي تورط في التفجير والعنف والقتل حتى طال أبناءه أنفسهم.

وكنا في هذا الوقت عاجزين عن إدراك ما تنويه الحكومة تجاهنا، ففرضنا حراسة دائمة على المركز العام، ومضى الشهيد يوسف طلعت في الاضطلاع بمهمته الجديدة فوضع يده على أقسام النظام المختلفة في الوقت الذي كان ظهره مكشوفًا لخصوم الجماعة عبد الناصر والسندي».

ثانياً: مواجهة الجماعة للدولة بسبب النظام الخاص:

رغم أن صاحب «حصاد العمر» قد اعتبر أن حادثتي مقتل سيد فايز، واحتلال المركز العام هما أشد نازلتين أصابتا الجماعة بسبب النظام الخاص إلا أننا نظن أن الأزمة الكبرى التي تسبب فيها هذا النظام هي إفساد العلاقة بين الإخوان والدولة، ودخولهما في جو من الصراع والندِّية، مما عجل من سعي الدولة للقضاء على هذه الجماعة.

وحتى تتضح الصورة حول هذه الحقبة الزمنية المهمة، نرى من المناسب أن نعرج سريعًا على قصة الإخوان مع ثورة يوليو، وكيف تحول الدعم والتأييد من جانبهم للثورة ولرموزها إلى الطعن والتخوين، بل والتكفير الصريح.

علاقة الضباط الأحرار بجماعة الإخوان:

تبدأ قصة الضباط الأحرار مع جماعة الإخوان منذ علاقة حسن البنا مع عبد المنعم عبد الرؤوف ومحمود لبيب؛ يقول الأستاذ عبد المنعم عبد الرؤوف في كتابه «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش»:

«التقى الصاغ محمود لبيب بالأستاذ الشيخ حسن البنا -حيث كان الإمام البنا يخطب في أحد المساجد بالقاهرة -وقال له: إنني صاحب فكرة وقد جاهدت في سبيلها، وإني مستريح لفهمك للإسلام وطريقتك في نشر هذه الدعوة، وأريد أن أعمل معك في هذا المجال، وقص عليه قصته، فرحب الشيخ حسن البنا بالصاغ محمود لبيب، وصارا يعملان معًا في حقل الدعوة الإسلامية إلى أن أصبح الصاغ محمود لبيب وكيلًا لجماعة الإخوان المسلمين.

واستطعت في شهر أكتوبر عام ١٩٤٢ أن أدعو ضابطًا من الكتيبة الثالثة لحضور درس الثلاثاء بدار المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين، وهو النقيب جمال

عبد الناصر حسين، ثم أتبعته بضابط ثان وهو الملازم أول حسين أحمد حمودة الذي نقل على قوة الكتيبة، ثم دعوت ضابطًا ثالثًا هو الملازم كمال الدين حسين من سلاح المدفعية، ثم دعا الملازم أول حسين أحمد حمودة ضابطين أولهما شقيق زوجته الملازم أول سعد توفيق من سلاح الإشارة، وثانيهما الملازم أول صلاح الدين خليفة ثم زميلًا له من سلاح الفرسان هو الملازم أول خالد محيي الدين، واكتمل عددنا سبعة عام ١٩٤٤، وواظبنا على اللقاء أسبوعيًا في بيت هذا مرة، وفي منزل ذاك مرة أخرى، وهكذا، ولم يتغيب الصاغ محمود لبيب عن هذه اللقاءات إلا في النادر».

الضباط الأحرار يؤدون البيعة أمام المرشد:

يقول محمد حامد أبوالنصر في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر»:

«ولما رأى فضيلة الإمام الشهيد في هؤلاء الضباط من حماس وتطلع للاستعداد أن يؤدوا البيعة فتوجهوا إلي منزل الأستاذ/ صالح عشماوي بالصليبة بحي الخليفة بالقاهرة فأخذوا منه البيعة الخاصة نيابة عن الإمام الشهيد ثم استقبلهم الأستاذ/ عبد الرحمن السندي المسئول عن النظام الخاص للجماعة وهنأهم لعقد البيعة.

ومن الضباط الذين انضموا وبايعوا علي دعوة الإخوان المسلمين علي فترات مختلفة الإخوة: حسن إبراهيم – وحسين الشافعي – وصلاح سالم – وعبد اللطيف البغدادي – وفؤاد جاسر – وجمال ربيع».

يقول الأستاذ عبد المنعم عبد الرؤوف في كتابه «أرغمت فاروق على التنازل عن العرش»:

«ذهبنا نحن السبعة في ليلة من أوائل عام ١٩٤٦ إلى المركز العام لجماعة الإخوان المسلمين بالملابس المدنية حسب اتفاق سابق، وبعد أن تكامل عددنا قادنا صلاح خليفة إلى منزل في حي الصليبة بجوار سبيل أم عباس؛ حيث صعدنا إلى الطابق الأول فوق الأرض، ونقر صلاح خليفة على الباب نقرة مخصوصة وسأل: الحاج موجود؟ وكانت هذه هي كلمة السر ففتح الباب، ودخلنا حجرة ذات ضوء خافت جدا

مفروشة بالحصير، وفيها مكتب موضوع على الأرض ليست له أرجل، فجلسنا على الحصير، ثم قادنا صلاح واحدًا بعد الآخر لأخذ العهد وحلف اليمين في حجرة مظلمة تمامًا، يجلس بها رجل مغطى بملاءة فلا تعرف شخصيته، وكان سؤال الشخص المتخفي الذي يأخذ العهد:

هل أنت مستعد للتضحية بنفسك في سبيل الدعوة الإسلامية؟

فكان الجواب من كل منا: نعم.

فقال: امدد يدك لتبايعني على كتاب الله وعلى المسدس.

ثم قال الرجل المتخفي: **إن من يفشي سرنا ليس له سوى جزاء واحد وهو جزاء الخيانة.**

وبعد أن أعطى كل منا البيعة، عدنا إلى الحجرة الأولى ذات الضوء الخافت فوجدنا شخصًا عرفنا بنفسه، وذكر أن اسمه عبد الرحمن السندي، وقال: إنه يرأس النظام الخاص للإخوان المسلمين، وهو تنظيم سري مسلح يضم رجالًا باعوا أنفسهم لله، وكلهم مستعدون للموت في سبيل الحق والحرية.

وكان الذين بايعوا على فداء الدعوة الإسلامية في هذه الليلة حسب الأقدمية في كشوف الجيش:

١- النقيب عبد المنعم عبد الرؤوف من الكتيبة الثالثة مشاة (طيار سابق).

٢- النقيب جمال عبد الناصر حسين من الكتيبة الثالثة بنادق مشاة، ورئيس الجمهورية فيما بعد.

٣- الملازم أول كمال الدين حسين من سلاح المدفعية وعضو مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فيما بعد.

٤- الملازم أول سعد حسن توفيق(توفي إلى رحمة الله عام ١٩٦٣).

٥- الملازم أول خالد محيى الدين من سلاح الفرسان وعضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد، ورئيس حزب التجمع الوحدوي الآن.



٦- الملازم أول حسين محمد أحمد حمودة من الكتيبة الثالثة بنادق مشاة.

٧- الملازم أول صلاح الدين خليفة من سلاح الفرسان وهو يعمل الآن مديرًا لشئون العاملين بمحافظة الجيزة».

أما خالد محيي الدين فيحكي في كتابه «الآن أتكلم» المراحل الأولى لانضمامه لجماعة الإخوان ولقائه بحسن البنا وإعطائه البيعة في منزل الأستاذ/ صالح عشماوي بالصليبة، يقول:

«كنا في نهاية عام ١٩٤٤ وكانت الحيرة تغلفنا جميعًا بحثًا عن طريق لنا ولمصر، وذات يوم مر علي عبد المنعم عبد الرؤوف، وعرض علي أن نلتقي بضابط آخر يحمل ذات الهموم ويبحث عن إجابات لذات الأسئلة، وأخذني لأقابل جمال عبد الناصر.

وكان لقائي الأول معه..

لكن عبد المنعم عبد الرؤوف ما لبث أن طلب مني أن يعرفني بضابط آخر.. وأخذني إلى جزيرة الشاي في حديقة الحيوان حيث قابلت الصاغ محمود لبيب الذي عرفت فيما بعد أنه مسئول الجناح العسكري في الإخوان المسلمين.

ذهبت في لقائي الأول ومعي عثمان فوزي، وبدأ محمود لبيب يتكلم في تؤدة ويتطرق إلى موضوع الدين دون تعجل، كان يعرف أن محركنا الأساسي هو القضية الوطنية، فظل يتحدث عن هذا الموضوع، ولكن بنكهة إسلامية، وكنت ألح في استخراج إجابات محددة عن أسئلة شغلت بالي طويلًا؛ الوطن وكيف سنحرره وبأية وسيلة؟ وما هو الموقف من المفاوضات؟ وكان يجيب هو في حذر وذكاء، لم يكن يريد أن يخسرني بإلقاء الإجابات التقليدية للإخوان، كان يقول: مصر سيحررها رجالها وشباب القوات المسلحة هم قوتها الضاربة وكلام من هذا القبيل.

وبدأت علاقة من نوع غريب مع جماعة الإخوان، وتكونت مجموعة عسكرية تضم العديد من الضباط، ولم نعد نلتقي في أماكن عامة، وإنما بدأنا نعقد اجتماعات منتظمة في البيوت، فكنا نجتمع في بيت مجدي حسنين، وأحيانًا في بيت الضابط أحمد مظهر(وهو

نفس أحمد مظهر الفنان) وفي هذه اللقاءات الإخوانية كان يحضر معنا جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسين حمودة وحسين الشافعي وسعد توفيق وصلاح خليفة وعبد اللطيف بغدادي وحسن إبراهيم...، كانت علاقة الإخوان بهذه المجموعة من الضباط تتسم بالحساسية، ففجأة وجد الإخوان أنفسهم أمام كنز من الضباط المستعدين لعمل أي شيء من أجل الوطن.

لكن هؤلاء الضباط لم يكونوا على ذات الدرجة من الولاء للجماعة، فمثلًا صلاح خليفة، حسين حمودة كانا من الإخوان قلبًا وقالبًا، أما الآخرون فكانوا مجرد عناصر تبحث عن طريق -لسنا ضد الإخوان، بل نحن معهم، لكننا لسنا معهم بالكامل- فعبد الناصر مثلًا كان يعتقد أن الإخوان يريدون استغلالنا كضباط لنكون أداة في أيديهم ونعطيهم مكانة سياسية بوجود نفوذ لهم في الجيش، لكنهم لن يقدموا شيئًا للقضية الوطنية، وكان جمال يلح في الاجتماعات: إذا كان لديكم نصف مليون عضو وأربعة آلاف شعبة، فلماذا لا نبدأ بعمليات ضرب ضد الاحتلال، ومظاهرات وتحركات جماهيرية؟

وبدأت ألح على محمود لبيب في اجتماعاتنا: ما هو برنامج الجماعة؟ فيجيب الشريعة، كنت أقول: كلنا مسلمون، وكلنا مؤمن بالشريعة، لكن تحديدًا: ماذا سنفعل لتحرير الوطن؟! هل سنخوض كفاحًا مسلحًا أم نقبل بالتفاوض؟ وماذا سنقدم للشعب في مختلف المجالات في التعليم والإسكان والزراعة وغيرها من القضايا الاجتماعية؟ وكان محمود لبيب يزوغ من الإجابة وأنا أطارده، وانتهى الأمر بأن أحضر لنا الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان، وللحقيقة كان حسن البنا يمتلك مقدرة فذة على الإقناع وعلى التسلل إلى نفوس مستمعيه، وكان قوي الحجة واسع الاطلاع، وفي اللقاء الأول معه بدأنا نحن بالحديث وطرحنا أنا وعبد الناصر آراءنا، وعندما تكلم البنا أفهمنا بهدوء وذكاء أن الجماعة تعاملنا معاملة خاصة، ولا تتطلب منا نفس الولاء الكامل الذي تتطلبه من العضو العادي، وقال: نحن الإخوان كبهو واسع الأرجاء يمكن لأي مسلم أن يدخله من أي مدخل لينهل منه ما يشاء، فالذي يريد

التصوف يجد لدينا تصوفًا ومن يريد أن يتفقه في دينه فنحن جاهزون، ومن يريد رياضة وكشافة يجدها لدينا، ومن يريد نضالًا وكفاحًا مسلحًا يجدهما، وأنتم أتيتم إلينا بهدف القضية الوطنية، فأهلًا وسهلًا.

تناقشنا معه، وكان رحب الصدر، ألححت في ضرورة إعلان برنامج، قلت: لن نستطيع أن نكسب الشعب بدون برنامج واضح يقدم حلولًا عملية لمشاكل الناس، وأجاب: لو وضعت برنامجًا لأرضيت البعض وأغضبت البعض، سأكسب ناسًا وأخسر آخرين، وأنا لا أريد ذلك.

وتتالت مقابلاتنا مع حسن البنا، وقد كان يمتلك حججًا كثيرة لكنها لم تكن كافية ولا مقنعة بالنسبة لأكثرنا، وظل عبد الناصر مستريبًا في أن الجماعة تريد أن تستخدمنا كمجموعة ضباط لتحقق أهدافها الخاصة، وظللت أنا أوالي قراءة ما يزودني به عثمان فوزي من كتب، وأزداد إلحاحًا في مناقشاتي على ضرورة وضع برنامج للجماعة يحدد أهدافها الوطنية وموقفها من مطالب الفئات المختلفة، وبدأت في هذه المناقشات أنحو منحى يساريًا، وأصبحت نشازًا في مجموعة من المفترض أنها تابعة للإخوان المسلمين.

وأخيرًا حاول حسن البنا أن يشدنا إلى الجماعة برباط وثيق، وتقرر ضمنا أنا وجمال عبد الناصر إلى الجهاز السري للجماعة.. ربما لأننا الأكثر فعالية وتأثيرًا في المجموعة، ومن ثم فإن كسبنا بشكل نهائي يعني كسب المجموعة بأكملها، وربما لأننا كنا نتحدث كثيرًا عن الوطن والقضية الوطنية، ومن ثم فقد تصور حسن البنا أن ضمنا للجهاز السري حيث التدريب على السلاح والعمل المسلح يمكنه أن يرضي اندفاعنا الوطني ويكفل ارتباطًا وثيقًا بالجماعة.

المهم اتصل بنا صلاح خليفة، وأخذنا أنا وجمال عبد الناصر إلى بيت قديم في حي الدرب الأحمر باتجاه السيدة زينب، وهناك قابلنا عبد الرحمن السندي المسئول الأول للجهاز السري للإخوان في ذلك الحين، وأدخلونا إلى غرفة مظلمة تمامًا و استمعنا إلى صوت أعتقد أنه صوت صالح عشماوي، ووضعنا يدنا على مصحف ومسدس،

ورددنا خلف هذا الصوت يمين الطاعة للمرشد العام في المنشط والمكره والخير والشر وأعلنا بيعتنا التامة الكاملة والشاملة له على كتاب الله وسنة رسوله».

يوضح الأستاذ/ حسن العشماوي في كتابه «مذكرات هارب» طبيعة العلاقة بين الإخوان والضباط الأحرار فيقول:

«بدأت جماعة الضباط الأحرار أصلًا بمجموعة من مجموعات الإخوان المسلمين في الجيش. ولكنها انفصلت عام ١٩٤٨ حين استطاع جمال عبد الناصر –الذي كان قد تردد قبل ذلك على أكثر من هيئة سياسية احتفظ بزملاء له فيها– أن يقنع رئيسه المرحوم الضابط المتقاعد محمود لبيب بانفصالها واستقلالها بكثير من أمورها الخاصة على أن يكون اللقاء في الخطوط الرئيسة والأهداف.. وكانت حجة عبد الناصر الرئيسة في الانفصال بجماعة الضباط الأحرار أن الشروط الخلقية التي يتطلبها الانضمام إلى الإخوان كانت تعوق أغلب ضباط الجيش، مما أدى إلى تضييق مجال الانضمام إليها في صفوف الجيش، ولما انفصلت جمعية الضباط الأحرار توسع عبد الناصر في ضم الضباط إليها بغير شروط غير مجرد السخط على نظام الحكم القائم، وهكذا ضمت تلك الجمعية السرية أشخاصًا ينتمون إلى مختلف الهيئات السياسية في مصر، وظل كل منهم يظن أن عبد الناصر يوافقه على مبادئه.. ثم ضمت مجموعة من الغارقين في العبث، فاحتاجوا -كما قال عبد الناصر يومًا- إلى تعليمهم.

وبرغم هذا الخليط العجيب المتنافر من الأعضاء، فقد ظلت الأسرار الحقيقية للضباط الأحرار وقفًا على عبد الناصر وقلة من الضباط تختلف في مدى علمها بالأسرار، أما البقية الباقية من الأعضاء فإنها كانت تنتظر مجهولًا لا تعلمه..».

تواصل الضباط الأحرار بالهضيبي بعد رحيل البنا:

يقول محمد حامد أبوالنصر في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر»:

«وفي أواخر سنة ١٩٥١ تم اختيار الأستاذ/ حسن الهضيبي مرشدًا عامًا للإخوان



المسلمين، وعندئذ بدأت جماعة الإخوان المسلمين في مزاولة نشاطها، فدب من جديد نشاط الإخوان داخل الجيش بالتجمع والارتباط على تنفيذ فكرة التغيير، وفي خارج الجيش استأنفت اللقاءات بين ضباط الإخوان وإخوانهم من المدنيين فكانت هذه الاجتماعات تتم تارة في منزل الأخ الأستاذ/ عبد القادر حلمي، وتارة أخرى في منزل الأخ الأستاذ/ منير دلة – أمين صندوق جماعة الإخوان المسلمين، وكان يحضر هذه الاجتماعات معهم بعض الإخوة المسئولين أذكر منهم: الأخ الأستاذ/ صلاح شادي المسئول عن الوحدات العسكرية في جماعة الإخوان المسلمين، والأخ الأستاذ/ حسن العشماوي المحامي، والضابط جمال عبد الناصر بصفته أحد المسئولين عن ضباط الإخوان في الجيش، وكانت هذه المجموعة تربطها أواصر الأُخوة والمحبة لتعاونهم في بعض العمليات الفدائية السابقة التي عمقت هذه العلاقة.

وقد رُوعي في اختيار هؤلاء الإخوة قلة العدد وسرية الاجتماع لعظم المهمة وخطورتها ومتطلباتها، وقد كانوا يناقشون مراحل التنفيذ ويبحثون جميع الجوانب التي يشملها التغيير من: القضاء على الفساد في البلاد، والتخلص من الاستعمار وأعوانه، والإطاحة بالملك رأس الفساد في البلاد، وإصلاح الحالة الاجتماعية وتحرير اقتصاد البلاد من أيدي المستعمر، وإقامة حياة نيابية سليمة تقوم على دعامتها مبادئ الحق والعدل والمساواة بين الناس في ظل مبادئ الإسلام الحنيف، ووضعوا كل الخطوط العريضة لأوجه التغيير في كيفية الحكم واحتمال تدخل الدول الأجنبية وبحثوا ذلك بالتفصيل، على أن يعتمدوا في تنفيذ هذه الحركة وما يصحبها من تغييرات على شعبة الإخوان المسلمين».

عبد الناصر يستشير والهضيبي يوافق:

يقول محمد حامد أبوالنصر في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر»:

«ولما تهيأت الظروف المناسبة وتجمعت للقيام بعمل التغيير المنشود، توجه الضابط جمال عبد الناصر إلى الأخ الأستاذ/ صلاح شادي في منزله وأخبره بضرورة سرعة التنفيذ خوفًا من اكتشاف أمرهم.

فأمهله الأخ الأستاذ/ صلاح شادي حتى يستطلع رأى فضيلة المرشد الموجود بالإسكندرية، وأثناء وجود الضابط جمال عبد الناصر بمنزل الأخ الأستاذ/ صلاح شادي حضر الأستاذ/ عبد الرحمن السندي ومعه بعض الإخوة ليخبر الأخ صلاح شادي ببوادر الاستعداد لحركة داخل الجيش، فأخفى عنهم وجود الضابط جمال عبد الناصر معه إمعانًا في السرية التامة والكتمان لخطورة الأمر وجسامته.

وعلى إثر مغادرة الضابط جمال عبد الناصر المنزل اتفق الأخ الأستاذ/ صلاح شادي مع الأخوين الأستاذ/ حسن العشماوي المحامي [1]، والأستاذ/ عبد القادر حلمي أن يسافرا فورًا إلى فضيلة المرشد ليحملا إليه الخبر ويشرحاه له... فحذرهم ونصحهم بتمركز الإخوان على خط القنال تحسبًا من انقضاض القوات البريطانية لإحباط الحركة، ووافق على تنفيذها وصدق عليها مؤكدًا ضرورة الالتزام بما سبق الاتفاق عليه معهم من تحكيم شرع الله، وفوضهم في إصدار التعليمات اللازمة لجميع الإخوان في داخل الجيش وخارجه لتنفيذ ما يصدر إليهم من أوامر.

وعند عودة الأخوين من الإسكندرية بعد مقابلة فضيلة المرشد العام، حضر الضابط جمال عبد الناصر لمنزل الأخ الأستاذ/ صلاح شادي يستطلع الخبر ويتعرف على رأى فضيلة المرشد، فأخبروه بكل ما حدث ونقلوا إليه تأكيد فضيلة المرشد على

---

(١) كتب الأستاذ/ حسن العشماوي تجربته مع رجال الثورة في كتاب سماه «الأيام الحاسمة وحصادها – جانب من قصة العصر»، وقد خصص الكتاب بكامله لسرد المحاضر السّرية لاجتماعات الإخوان والضباط الأحرار قبل قيام الثورة، والتي كان عادة ما يمثلها جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر من جانب الضباط، وصلاح شادي وعبد القادر حلمي و حسن العشماوي من جانب الإخوان.

يقول الأستاذ/ أحمد عبد المجيد في كتابه «الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥»:

«وقد ساهم الإخوان المسلمون بدور فعال في الثورة بدءًا من التخطيط لها والمشورة خاصة من يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢، في اجتماعات شبه يومية بين عبد الناصر وبعض زملائه وكل من الأخوة: منير الدلة، صالح أبو رقيق، عبد القادر حلمي، صلاح شادي، حسن عشماوي، و فريد عبد الخالق، ومشاركة ضباط الإخوان مثل: عبد المنعم عبد الرؤوف، معروف الحضري، أبو المكارم عبد الحي، و حسين حمودة، وكذا شباب الإخوان الذين قاموا بحراسة المنشآت داخل القاهرة ومداخلها ثم التأييد المعنوي قبل وبعد نجاح الانقلاب».

تحكيم شرع الله، وموافقته على تنفيذ الحركة وتصديقه عليها، وهنا ذكَّر الأخ الأستاذ/ صلاح شادي الضابط جمال عبد الناصر بما سبق أن اتفقوا عليه بضرورة تنفيذ شرع الله، وقرأ معه فاتحة الكتاب وأشهدوا الله على ذلك».

الخلاف الأول بين الهضيبي وعبد الناصر:

يقول محمد حامد أبوالنصر في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر»:

«وفي الأسبوع الأول من قيام الحركة التي استقبلها الشعب بحماس بالغ وارتياح منقطع النظير، حضر فضيلة المرشد للقاهرة، وتم أول لقاء بينه وبين الضابط/ جمال عبد الناصر – المسئول عن ضباط الإخوان داخل الجيش وقائد الحركة في منزل الأستاذ/ صالح أبو رقيق- وبحضور الأخ الأستاذ/ حسن العشماوي المحامي، وبعد تبادل التهنئة بنجاح الحركة قال فضيلة المرشد للضابط جمال عبد الناصر: يحسن أن تقوموا ببعض الإصلاحات السريعة التي تدعو إليها مبادئ الإسلام خصوصًا والحركة الآن في أولى خطواتها وأوج نجاحها، وفي مثل هذه الحالة يزداد التفاف الشعب حولكم، ولا يستطيع أحد أن يعترض طريق الإصلاح، وفي الوقت نفسه تكونون قد أديتم للبلاد والعباد أجل الخدمات..

فرد الضابط جمال عبد الناصر قائلًا: طبعًا سنقوم بعمل إصلاحات كثيرة – لكن ندع ما يتصل بالإسلام الآن. فقال فضيلة المرشد: أليس في نيتكم خدمة البلاد بمنهج الإسلام كما اتفقتم مع إخوانكم من قبل؟! فرد الضابط جمال عبد الناصر: أنا لم أتفق مع أحد على هذا.

وهنا سأل فضيلة المرشد الأستاذ/ حسن العشماوي المحامي: ألم تتفقوا على ذلك يا حسن؟ فأجابه: نعم فقد اتفقنا جميعًا على ذلك – وسرد من الوقائع ما يثبت ذلك.. لكن الضابط جمال عبد الناصر نفي ذلك بتاتًا قائلًا: نحن لا نقبل وصاية علينا من أحد، فتعجب فضيلة المرشد في حزن، وقال: حيث إنكم لم تتفقوا علي شيء فيحسن عدم الكلام، وخيم على هذا اللقاء الأول صمت عميق.. وانتهى اللقاء بفتور بالغ».

يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث:-

«واستمرت المقابلة في مناقشات أنهاها المرشد بقوله لجمال عبد الناصر:

«اسمع يا جمال.. ما حصلش اتفاق.. وسنعتبركم حركة إصلاحية.. إن أحسنتم فأنتم تحسنون للبلد.. وإن أخطأتم فسنوجه لكم النصيحة بما يرضي الله». وانصرف جمال، وقال لنا المرشد -وكأنه كان يستطلع الغيب-: «الراجل ده مافهش خير، ويجب الاحتراس منه».

ثم يواصل الأستاذ/ محمود عبد الحليم ذكر تبعات هذه المقابلة فيقول:

«كان موقف المرشد العام بعد هذه المفاجأة في غاية الحرج.. كيف يواجه هذا الشعور الإخواني الغامر وكل منهم يزف إلى الآخر التهاني.. والناس عمومًا تشرئب أعناقهم إلى المركز العام للإخوان المسلمين **يترقبون خطوته التالية من إعلان الحكم الإسلامي المرتقب؟!.**

كان على المرشد العام أن يرجع في هذا أول ما يرجع إلى الهيئة التأسيسية للإخوان.. واجتمعت الهيئة في جلسة غير عادية.. وبدأ المرشد العام ينقل إلى المجتمعين – مترفقًا – صورة الانتكاسة التي فاجأته.. فماذا كان وقع حديثه؟.

كان لحديثه وقع مختلف، طائفة كانت تربطهم بجمال وزملائه صداقة شخصية من قبل قيام الثورة.. وهؤلاء رأوا أن صداقتهم الشخصية تلزمهم أن يكونوا في صف جمال وأن يدافعوا عنه دفاعًا منبعثًا من هذه الصداقة، وطائفة استبعدوا حدوث مثل هذا، وحملوا الحديث على محمل المبالغة، وطلبوا أن يمنحوا فرصة للتحقق من ذلك، وطائفة صدمتهم هذه الصورة، ولكنهم تذكروا أن قلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأن للسلطة فتنتها، فليس بغريب أن يقع ما حدث.

ونحمد الله أن كانت الأغلبية الساحقة من الأعضاء من الطائفة الأخيرة.. ولكن الذي جعل للطائفتين الأخريين – على قلة عددهما – وزنًا أن كان على رأس الطائفة

الثانية أخ من أكرم الإخوان ومن أقربهم إلي نفوسنا جميعًا، وكان منصبه في الدعوة يعطي للخلاف وزنًا آخر، ذلك هو الأخ الكريم الأستاذ عبد القادر عودة وكيل الإخوان المسلمين.

راح الأستاذ عبد القادر يتصل بجمال ويسأله عن هذه القضية الخطيرة.. وجمال ينكر ما قاله للمرشد العام، ويقول: كيف أقول هذا وأنا رجل من الإخوان المسلمين؟! إنني قلت: إننا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك لابد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن ولابد من فترة تستطيع أن تحقق ذلك.

وتعقد جلسات غير عادية متقاربة للهيئة التأسيسية لمعالجة هذا الخلاف الخطير، وفي كل اجتماع يقف الأستاذ عبد القادر ناقلًا لنا ما سمعه من جمال عبد الناصر ومدافعًا عنه ومطالبًا بتأييده تأييدًا مطلقًا، وكيف لا نؤيده تأييدًا مطلقًا وهو أخ لنا؟! ويحاول المرشد العام أن يوضح للأستاذ عبد القادر حقيقة المواقف، ويحذره من مغبة التأييد المطلق، ومن الإسراف في حسن الظن، ومن الانخداع بالألفاظ..

ويجد الأستاذ عبد القادر أصوات التأييد لكلامه من الطائفة الأولى.. ويحاول غير قليل من الطائفة الثالثة معه أن يخففوا من اندفاعه بين طائفتين اثنتين: الطائفة الأولى وعلى رأسها الأستاذ عبد القادر، والطائفة الثالثة وعلى رأسها المرشد العام، وقد تلاشت الطائفة الثانية حيث اقتنعت وانضمت إلى الطائفة الثالثة – وصرنا نخرج من هذه الجلسات وقد عصر الغم قلوبنا ولا ندري كيف الخروج من هذا المأزق الخطير الذي يهدد بتدمير الدعوة من داخلها.

كنا نعلم من أول الأمر أن بيننا عددًا قليلًا من أعضاء الهيئة يرتبطون بجمال ارتباطًا شخصيًا، ومع ذلك لم نكن نعتبر ذلك انشقاقًا حيث لا خطر لهم، ولكن الأستاذ عبد القادر وكيل الإخوان يكون على رأس هؤلاء، ويتحدى المرشد العام على رءوس الأشهاد.. إنها الداهية الدهياء والفتنة العمياء والطامة الكبرى!!

لقد كان الأستاذ عبد القادر بموقفه هذا خسارة فادحة للدعوة، وكسبًا عظيمًا للطرف المناوئ للخط الذي عرضه المرشد واعتمدته الهيئة التأسيسية في تعاملها مع

الثورة، ولم يكن المرشد العام يطلب من الهيئة معاداة الثورة ولا مناوأتها، وإنما يطالب بتأييدها فيما تحسن وبتوجيه النصح لها في غير ذلك.. وهو كلام ليس بالجديد فهو نص ما قال المرشد العام لجمال عبد الناصر.

وكان أعضاء الهيئة التأسيسية حريصين كل الحرص على أن يكون هذا الخلاف محصورًا بين جدران أربعة هي التي تضم جلسات الهيئة، وألا تخرج عن حدود هذه الجدران فيكون مثارًا للخلاف في جماهير الإخوان فيُحْدِث تفرقًا وتحزبًا وتمزقًا.. وقد استطاع أعضاء الهيئة – إلى حد كبير – تحقيق ذلك.. ولكن جمال عبد الناصر كان ينقل إليه كل ما دار في هذه الجلسات عن طريق أصدقائه الشخصيين من أعضاء الهيئة.. ولم يكونوا يرون في ذلك خروجًا على توصية الهيئة؛ بحجة أنهم يرون أن جمال عبد الناصر أخ من كبار الإخوان ومن حقه أن يعلم بمثل ما يعلم به عضو الهيئة.

ولما كان الأستاذ عبد القادر – وهو من لا يُشَك في حسن نيته – أثيرًا لدى أعضاء الهيئة وغيرهم من سائر الإخوان، و كان على الأخص أثيرًا لدى المرشد العام، فقد كان هو الذي رشحه وكيلًا للإخوان المسلمين، وكان انحيازه إلى هذا الموقف بل تزعمه له عائقًا يحول بينه وبين تأدية وظيفته في النيابة عن المرشد العام في تمثيل الدعوة أمام مختلف الجهات لاسيما أمام الحكومة.. وقد عز على المرشد وعلى أعضاء الهيئة أن ينزعوا عنه هذا المنصب، فقد رؤي إبقاؤه في منصبه وإنشاء منصب جديد «نائب المرشد»، واختارت الهيئة لهذا المنصب الأخ الدكتور خميس حميدة على أن يتفرغ لهذا المنصب.

وواضح تمام الوضوح أن إنشاء هذا المنصب وإسناده إلى الأخ الدكتور خميس متفرغًا له قد حجب الأستاذ عبد القادر عودة عن أن يكون ممثلًا للدعوة نيابة عن المرشد العام في الوقت الذي لم يبد أمام جمهور الإخوان ما يشعرهم بانتقاص من مكانة الأستاذ عبد القادر أو المساس بكرامته».

هذا هو الخلاف الأول كما يذكره عامةُ مؤرخي الجماعة، ولكن من الأمانة العلمية أن نذكر أحد أهم الأمور التي أثارت غضب عبد الناصر تجاه الإخوان؛ حيث إنه شعر



أنهم تخلوا عنه ولم يساندوه المساندة العلنية التي كان يطمح إليها، فرغم أن الترتيبات بينهما كانت تجري على قدم وساق في السر، إلا أنهم لم يعلنوا مناصرتهم للثورة على الملأ، حتى أن عددًا كبيرًا من أفراد الإخوان لم يكونوا على علم بموقف الجماعة منها إلا بعد فترة من نجاحها، ومع ذلك فإن هناك رغبة من جانبهم في امتلاك زمام التوجيه الحقيقي للحركة.

ففي ١٩٥٢/٨/٢٣ ظهرت جريدة «المصري» وفيها العنوان الآتي بخط كبير: «المرشد العام يقول: ليست هناك صلات سابقة بين الجيش والإخوان».

وكان ذلك في سياق حديث طويل أجراه مندوب الجريدة مع المرشد العام، يقول المندوب فيه بهذا الصدد: «وحدثني المرشد العام في الساعة التي مكثتها بصحبته عن حركة الجيش، فقال: ليست هناك صلات سابقة بين الإخوان والجيش، وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش في حركته الأخيرة أمر غير صحيح».

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«حين قامت حركة ٢٣ يوليو أسرع الزعماء والقادة إلى تأييد قادة الحركة، ونشطت الصحف في نشر التصريحات والصور لمقابلاتهم، والكل يسعى للتقرب والبحث عن مكان الصدارة، ولكن المرشد العام للإخوان المسلمين تأخر بعض الوقت في زيارته لقادة الحركة.

وبعد فترة من الوقت نشرت الصحف صورة لفضيلة المرشد مع اللواء محمد نجيب ومعهما الأستاذ سعيد رمضان وتحتها تصريح يقول فيه: «**أتمنى أن تكون هذه الحركة خالصة لوجه الله تعالى**».

هكذا باقتضاب شديد وبكلام موجز، وبعد ما يقرب من أسبوع من قيام الحركة تأتي هذه الجملة المختصرة من رأس الجماعة التي من المفترض أنها شريكة في الثورة، ولم ينس عبد الناصر هذا الموقف للهضيبى، في الوقت الذي لم ينكر عبد الناصر نسبته إلى الجماعة، يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«ولا زلت أذكر أول حديث أدلى به البكباشي جمال عبد الناصر لمجلة المصور

حيث قال: إن أول خيوط تنظيم الأحرار وأول خاطرة للعمل بين ضباط الجيش نبتت في لقاء مع الصاغ (م.ل) يقصد الصاغ محمود لبيب – الوكيل العام للإخوان المسلمين – ثم ذكر بعد ذلك التطورات التي أدت إلى حركة الجيش في ٢٣ يوليو».

يقول د. زكريا سليمان بيومي في رسالته «الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ – ١٩٨١»:

«وعلى الرغم من إصدار الإخوان لبيان تأييد لحركة الضباط وَصَفها بأنها حركة مباركة إلا أن جمال عبد الناصر قد ضاق لتأخر صدور هذا البيان؛ حيث لم يصدر إلا في أول أغسطس بعد عودة المرشد حسن الهضيبي من الإسكندرية، الأمر الذي دعاه للشك بأن الإخوان – برغم تأييدهم – لم تكن لديهم الثقة الكاملة في نجاح الحركة.

كما ضاق لِما طرحه الإخوان في بيانهم حول رؤيتهم للإصلاح، والتي كانت تركز فيها على النواحي الدينية وحصر مهمة العسكريين، في حين كان جمال عبد الناصر ومن خلفه رفاقه يريدون – بعد نجاحهم – أن يكونوا المصدر الأول في أية رؤية إصلاحية سعيًا لكسب تأييد الشعب، ويمكن الاستدلال على ذلك برد عبد الناصر على الجماعة حين طرحت عليه فكرة تكوين لجنة من الإخوان تعرض عليها كافة الخطوات قبل إعلانها حيث قال: «إن الثورة لا تقبل وصاية من أحد».

ومع ذلك فقد سارع الضباط بإعادة فتح التحقيق في قضية اغتيال مؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا والقبض على المتهمين وعلى رأسهم إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء الذي اغتيل البنا في عهده، وكذلك قام الضباط بالإفراج عن المسجونين السياسيين وبخاصة أعضاء الجماعة ممن كانوا قد اتهموا في عديد من القضايا؛ كقضية اغتيال النقراشي والخازندار وغير ذلك من قضايا الاغتيال السياسي.

وعلى الرغم من أن قادة النظام قد أعلنوا أن ذلك جاء إرساءً للعدالة أكثر من كونه تقربًا للجماعة إلا أن الميل إلى استقطاب – أو استرضاء -الإخوان لم يكن خافيًا وبخاصة بعد اشتراك مجموعة كبيرة من ضباط النظام في تأبين البنا مما حدا بالكثيرين لأن يعتبر النظام الجديد مجرد أداة في يد الإخوان، وتخيل البعض وجود تحالف بين الجماعتين».

وحتى نتصور طبيعة العلاقة بين الهضيبي وعبد الناصر في هذه المرحلة، فلنتأمل هذا الحوار الذي نقله الأستاذ/ حسن العشماوي في كتابه «الأيام الحاسمة وحصادها - جانب من قصة العصر»، وحرصنا على نقله بطوله حتى نضع أيدينا على موطن الأزمة من أساسها:

الزمان: ضحى يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢.

المكان: غرفة استقبال تشبه غرفة جمال إلى حد بعيد.. الأرائك والمقاعد المذهبة التي اعتاد أواسط الناس أن يكون ضمن جهاز زواجهم...

الأفراد: يجلس في الغرفة المستشار الهضيبي وعلى يمينه جمال عبد الناصر، ويساره حسن العشماوي.. وفي المواجهة منير دلة وعبد القادر حلمي وصالح أبورقيق يتحدثون بصوت غير مسموع، بينما يجري حديث آخر بين المستشار وجمال.

المستشار: أكان هناك بينك وبين الإخوة اتفاق على أمر معين...؟

جمال: [مستنكرا] لا.. لم نتفق على شيء إطلاقًا.

المستشار: لا بد أن هناك كاذب في الموضوع [ملتفتًا إلى حسن] هل كذبت فيما نقلته لي عن صلاح؟ (يقصد صلاح شادي).

حسن: لا... بل صدقت النقل عنه [مشيرًا إلى الباقين] وهم يشهدون.

جمال: اسمعت مني اتفاقًا على شيء؟

حسن: [في حدة] قلت: إني نقلت عن صلاح.. لقد كنتما وحدكما.

المستشار: [بحزم] اخفض من صوتك يا حسن [ملتفتًا إلى جمال] ما علينا.. فلنعتبر أن اتفاقًا لم يتم.. فما تريد مني الآن...؟

جمال: أريد كما قلت لسعادتك من البداية بيانًا بتأييدنا.

المستشار: بتأييدكم؟ في أي شيء؟

جمال: في الحركة التي قمنا بها.. وفيما نسعى إليه من عمل لصالح البلاد.

المستشار: أما الانقلاب العسكري فقد شاركنا فيه وحميناه.. وأما تنحية الملك واستيلاؤكم على السلطة فقد تم فعلًا... ولا يؤيدكم فيه غير المنافقين.. أما ما تسعون إليه من عمل لصالح البلاد، فأمر نحكم عليه حسبما نراه.. ولكن هذا لن يمنعنا أن نصدر بيانًا برأينا، احملوه محمل التأييد أو محمل المعارضة.. فأنتم أحرار في رأيكم، ولكننا سنبدي رأينا دائمًا بما نقتنع بصوابه.

جمال: ألا تبدون رأيكم لنا أولًا لنتفاهم فيه قبل أن تعلنوه على الناس؟

المستشار: لماذا؟

جمال: لأننا الذين قمنا بالحركة.

المستشار: أتظن أن انقلابكم العسكري يجعلكم أوصياء على هذه البلاد وأهلها؟

جمال: إن السلطة في يدنا الآن.

المستشار: إلى حين، ويجب أن ترد إلى أصحابها... إياك أن يخدعك أحد بفكرة المستبد العادل، فليس الاستبداد عدلًا في أية صورة.

جمال: أقصد أنها في يدنا الآن كما تقول... فمن الخير أن نسمع منكم رأيكم قبل أن يسمعه الناس.

المستشار: سننصحكم أولًا كما يجب أن ننصح أي حاكم.. فإن فعلتم خيرًا كان بها... وإلا فسنقول رأينا للناس، فهم أصحاب البلد.

جمال: ولكن هذا قد يظهرنا أمام الناس بمظهر الخلاف.. وهو ما لا أريده.

المستشار: ماذا تريد إذًا؟

جمال: أن نتفاهم على كل شيء كما اتفقنا..

المستشار: [مقاطعًا] لقد قلت إنكم لم تتفقوا على شيء إطلاقًا؟

جمال: [متخلصًا] أقصد اتفقنا على مصلحة البلد... وهذه المصلحة توجب تعاوننا..

المستشار: وما صورة التعاون التي تقترحها..؟

جمال: [ناظرًا إلى حسن] ما رأيك يا حسن؟

حسن: فيم؟

جمال: في صورة التعاون.

حسن: السؤال مطروح عليك.

جمال: عاوني في الرد عليه.

حسن: [ساخرًا] من قبيل التعاون.. أم تنفيذ الاتفاق؟

المستشار: [باسمًا] أعِنْه يا حسن إن شئت؟

حسن: وإن لم أشأ؟

المستشار: أنت وشأنك؟

حسن: لقد أوقفني أمامك موقف الكاذب، ففيم أعينه؟.

المستشار: لقد عرفت من الكاذب.. وهذا يكفيني.

حسن: يمكنه أن يعرض هو صورة التعاون التي يريدها.. أو التي اتفق عليها بين زملائه.

منير: [متدخلًا] حسن محق يا أستاذ.. فليعرض البكباشي، ولك أن تقرر ما ترى فيما يعرض.

جمال: المشكلة يا سعادة المستشار أنكم تريدون إعلان حكومة إسلامية تطبق القرآن فورًا... وهذا أمر غير ممكن عمليًا.

المستشار: من طلب منك ذلك؟

جمال: أليست هذه دعوتكم؟

المستشار: لا داعي لأن نتكلم عن بقايا فهم سابق للدعوة.. أتعلم شيئًا عن معنى تطبيق القرآن؟

جمال: [في ارتباك] معناه معروف طبعًا.

المستشار: ما هو؟

جمال: تطبيق الشريعة.. يعني.. منع الخمر والربا.. وقطع يد السارق.. و... وما إلى ذلك.

المستشار: [باسمًا] المهم هو ما إلى ذلك.. هذا هو الذي لم تفهموه بعد... اسمع يا بكباشي جمال: القرآن خُلُقٌ؛ إذا تخلق به الناس صلح حالهم.. والشريعة طريق؛ إذا سرنا فيه تكشَّفت حقائقه... وما أظن وقتك أو وقت زملائك سمح لكم أو سيسمح بمعرفة المزيد عن هذا.. فالتزموا كريم الخلق في أنفسكم أولًا يصلح الناس معكم.. وإذا شئت بعد ذلك رأيًا في أمر معين، فلن نبخل به عليكم.

جمال: أنا والله العظيم مسلم – أنا أصلي وأصوم.. ولا أشرب الخمر.. لا شك أنك تعلم ذلك [ملتفتًا إلى حسن] أليس كذلك يا حسن؟

المستشار: هل نازع أحد في ذلك؟

جمال: مجال التربية... وبيان حكم الشريعة مجالكم الذي أتمنى سيركم فيه... ولكن الذي أقصده الآن التعاون في مشاكلنا الحالية.. مشاكلنا اليوم... كيف نواجه الفساد الذي كان متفشيًا في الحكومة؟ كيف نرفع مستوى المعيشة بين الفقراء؟ كيف ننهض ببلادنا اقتصاديًا؟.

المستشار: استشر من شئت في هذه الأمور تصل إلى الصواب... وأوصيك أن تستشير من لا يرهَبُك ولا يرغب في رضاك، فهذان سيغشانك، ارفع مستوى المعيشة، ولكن ابدأ بالضروريات، امنع سيطرة الأغنياء ولكن دون إثارة نعرة صراع الطبقات، أصلح الإدارة الحكومية ولكن لا تظلم الناس بالشبهات.. أصلح الأحزاب، ولكن لا تجعل في البلد حزبًا واحدًا هو حزب الحكومة.. أعط الناس حريتهم يصلح حالهم، أصلحوا أنفسكم -كما قلت لكم- يصلح الناس معكم.

جمال: والإنجليز؟

المستشار: المعاهدة انتهت إلى غير عودة.. فلا تقرر في هذا الشأن أمرًا جديدًا بغير رضاء أصحاب البلاد...

جمال: وتقييد الملكية الزراعية؟

المستشار: ما المانع فيه... وبالمناسبة هل قرأت كتاب: (العدالة الاجتماعية في الإسلام) لسيد قطب؟

جمال: [ملتفتًا إلى حسن] هل لخصته لنا؟

حسن: نعم.

جمال: إذًا قرأت تلخيصه على الأقل..

المستشار: اقرأه ثانيًا إن وجدت وقتًا... [ناهضًا] والآن، وجب أن أنصرف.. فإني على موعد في بيتي...

جمال: [ناهضًا] أشكر لك هذا اللقاء وأطمع في غيره.

المستشار: بكل سرور.. حين تريد.

جمال: أرجو أن لا يكون هناك سوء تفاهم في معنى تعاوننا.. واتفاقنا على هذا التعاون.

المستشار: ليس هناك أي سوء تفاهم.. ولكن أريد أن أقول لك: إنك بدأت حديثك معي اليوم بالكذب.. ولعلك تكف عن هذه الخصلة...

[يتجه إلى الباب.. يخرج معه الجميع ويبقى جمال وحسن واقفين]

جمال: [في دهشة] ماذا يعني..؟

حسن: كان كلامه واضحًا..

جمال: إنه أكثر عنادًا مما سمعت.. إنه يعاملني كأني طفل صغير.. ألا ترى ذلك؟؟

حسن: لم أر ذلك... ولكن الصراحة طباعه..

جمال: [ساهمًا] لن أستطيع التعاون معه.. [مخاطبًا حسن]: ألا يعلم أني وحدي مَنْ يؤيد الحركة في مجموعة الضباط الأحرار.. فلماذا يطلب مني فوق طاقتي؟

حسن: هل طلب أكثر من حريات الناس؟

جمال: حريات الناس تعني زوالنا...

حسن: لصالح الناس..

جمال: أف لك أيضًا..[يخرج]

ويبدو أن الفتور الذي ساد المقابلة بين الهضيبي وعبد الناصر كان له دور كبير في توتر العلاقة بينهما، وسوف يزداد هذا التوتر – بسبب الجفاء – ليصل إلى درجة يستحيل معها التواصل.

والسؤال المطروح هنا، هل كان الهضيبي متعمدًا لهذا الجفاء والذي اعتبره عبد الناصر إهانة مباشرة له؟ أم كان هذا سلوكًا شخصيًا للهضيبى لم يتعمد فيه أي إساءة أو إهانة؟

وإذا عدنا قليلًا إلى الوراء قبل هذا التاريخ، فإننا سنجد أن هذا الموقف قد تكرر بشكل مماثل أثناء مقابلة الهضيبي لوزير الداخلية في عهد الملك فاروق قبيل الثورة بعدة أشهر مما يعطي انطباع عن الطريقة التي اعتاد الهضيبي عليها؛ يقول الأستاذ أحمد مرتضى المراغي[1] في مذكراته «غرائب من عهد فاروق وبداية الثورة المصرية»:

«فى منتصف شهر مايو ١٩٥٢ اتصل بي صديق هو الأستاذ محمود عبد اللطيف، وكان يشغل منصب رئيس نيابة، وفي الوقت نفسه كان عضوًا بارزًا في جماعة الإخوان المسلمين، ويعني هذا طبعًا أنهم لم يكونوا يخافون على أنفسهم من أن تنكل حكومة الهلالي الذي كنت وزيرًا فيها بهم.

قال الأستاذ عبد اللطيف إنه يريد مقابلتي، ولما تقابلنا قال إن غرضه من زيارتي أن يجمعني في منزله بالأستاذ الهضيبي خليفة الشيخ حسن البنا.

قلت: هل تكلمت مع الهضيبي في ذلك؟

قال: نعم، والهضيبي يرحب بالاجتماع.

---

(١) آخر وزير للداخلية قبل قيام ثورة يوليو، ولكن لم تتعد فترة وزارته أكثر من ستة أشهر.

وحددنا عصر يوم كذا للاجتماع، وذهبت في الموعد إلى منزل عبد اللطيف في شارع الهرم، ووجدت في حديقة المنزل عدة أشخاص جالسين، عرفت منهم الشيخ الباقوري وعبد الحكيم عابدين، أما الهضيبي فكان جالسًا على فوتوي ضخم، حييت الجميع ثم انتقلنا إلى داخل المنزل، وأجلسني عبد اللطيف مع الهضيبي في كنبة واحدة وقدم لي الشاي.

وأخذ عبد الحكيم عابدين بالمبادرة فرحب بي بوجهه الضاحك دائمًا، وقال: إن الإخوان يكنون لي حبًا كثيرًا (مع أن معلوماتي عكس ذلك) وأنهم يريدون معي حوارًا مثمرًا.

قلت: وأنا بدوري أريد حوارًا مع الإخوان صريحًا وإني أرحب بالاجتماع معهم؛ لأني أرغب التكلم في أشياء كثيرة تدور في البلد ويقوم الإخوان بدور كبير منها، وإني أرجو أن تتعرفوا عليَّ شخصيًا لا عن طريق الإشاعات التي يطلقها قسم الدعاية في منظمتكم.

عبد الحكيم عابدين: إننا لا نطلق عليك الإشاعات.

أنا: يا عبد الحكيم لست وحدي الذي تطلقون عليه الإشاعات. إن قسم الدعاية عندكم لم يترك وزيرًا أو سياسيًا أو نائبًا أو صحفيًا شهيرًا إلا وأطلق عليه أشنع التهم ومرغ به وبسمعته السياسية أو الشخصية في التراب.

ثم سكت، ولاحظت أن الهضيبي صامت ينظر حينًا من خلف نظارته إلى السقف وحينًا إلى البساط، فطلبت منه أن يتكلم وقلت: ما رأيك؟ ولكنه هز رأسه قائلًا: أرجو أن تكمل، وخرجت الكلمة منه فارغة جوفاء.

استأنفت كلامي وقلت: يا أستاذ هضيبي، لو أنكم اتبعتم الوسائل السلمية في دعوتكم ودعوتم إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلتم بالتي هي أحسن لما وقع ضدكم ما وقع من اضطهاد، ولما قتل المرحوم الشيخ حسن البنا؛ لأن العنف يولد العنف، ولا توجد حكومة تقابل القوة باللين والمهادنة، أنتم شعاركم أن الإخوان سيف ومصحف والإخوان رهبان الليل وفرسان النهار، وقد طبقتم شعاركم بالقتل والنسف، إنكم الآن تجمعون كميات كبيرة جدًا من الذخائر، فماذا تنوون أن تصنعوا

بها؟ إن في منظمتكم عددًا كبيرًا من ضباط الجيش والبوليس، وقد أمكنكم تنفيذ ذلك بما سميتموه مشروع السنوات الخمس.

وبمقتضى هذا المشروع يقسم الإخوان أنفسهم على المدارس والكليات في الجامعة والكليات العسكرية، وبعد خمس سنوات يكون قد تخرج منهم ضباط بوليس تَسْعَون لإدخالهم في القسم السياسي في وزارة الداخلية وحرس الوزراء، وضباط في الجيش ليدخلوا إدارة المخابرات العسكرية والحرس الملكي، ومهندسون ليلتحقوا بمصلحة التليفونات والسكك الحديدية؛ وبذلك تكون في أيديكم المراكز الحساسة في البلاد للقيام بعمل انقلاب.

وهنا لاحظت اصفرارًا على وجوههم جميعًا ونظرات يتبادلونها فيها شيء من الهلع.

وتابعت: نحن الحكومة نعرف ذلك ونسكت عليه لأن حجتكم من جمع الذخائر هو محاربة الإنجليز في القتال لطردهم، ولكن نعرف أيضًا أنكم تريدون قتل الملك وقتل كثير من الساسة؛ لقد ضبطنا من أسبوع عامل المصعد في قصر القبة وهو يحمل مسدسًا، ولولا أن الملك بات ليله خارج القصر لقتله عامل المصعد، وهذا العامل عضو في جماعة الإخوان، فماذا تقول يا أستاذ هضيبي؟ مع أن الملك استقبلك في قصره على إثر تعيينك رئيسًا للجماعة، وأفاضت الصحف في وصف حرارة الاستقبال وثقة الملك بك.

الأستاذ: يلوذ بالصمت.

أنا: اسمع يا أستاذ، لقد طلب مني صديقي عبد اللطيف أن أقابلك، ها أنذا أقابلك على أساس أن تتكلم على الحال الحاضرة، وأود أن أعرف منك وجهة نظركم ومآخذكم علينا. وأعدك بأن أتعاون معكم على القيام بإزالة كل ما نراه مخالفًا للمصلحة العامة.

الهضيبي: ينظر إليَّ مشككًا كأنني أحاول جره إلى مصيدة ولا يرد.

أنا: يا أستاذ هضيبي! هل ترى كل شيء على ما يرام؟

الهضيبي: لا أجد شيئًا يدعو إلى الملاحظة.

أنا: أرى أنك لا تثق بى، فهل تثقون بأمريكا أكثر منا؟

عبد الحكيم: ما هذا يا أستاذ مرتضى.

أنا: نعم! إن الأمريكيين يرون فيكم حاجزًا قويًا ضد الشيوعية، باعتبار أن دعوتكم إسلامية وأن الإسلام ضد الشيوعية، ويحاولون كثيرًا الاتصال بكم.

عبد الحكيم عابدين: قد يكونون متفقين معنا في وجهة النظر.

كل ذلك والهضيبي لا يتكلم.

قلت: يا أستاذ هضيبي، أليس لديك شيء تقوله؟

الهضيبي: وماذا تريد أن أقول؟

قلت: لقد جئت هذا الاجتماع بقلب مخلص لنتعاون معًا على إزالة أسباب تذمر الشعب، لكني أرى بوضوح أنك لا تريد ذلك، ولا أدري لماذا طلب إليَّ أن أجتمع بك.

ووجدت ألا فائدة من الحوار ونهضت مسرعًا وانصرفت، وأنا أرى أن البون شاسع بينه وبين المرحوم الشيخ حسن البنا».

الخلاف الثاني بين الهضيبي وعبد الناصر:

كان اقتراح الإخوان من بداية الحركة أن يتولى علي ماهر رئاسة الوزارة، وقد استجاب عبد الناصر لذلك، ولكنه بعد عدة أشهر من توليه للوزارة شعر بمماطلة علي ماهر في إصدار قوانين الإصلاح الزراعي، وأخبر عبد الناصر الجماعة بأنه يعتزم تشكيل وزارة جديدة وطلب منهم اقتراح شخصية لرئاسة الوزارة، فلم يجيبوه باسم محدد، ثم طلب منهم المشاركة في الوزارة بثلاث حقائب وزارية، وهنا كانت بداية النزاع الثاني، وقد كان ذلك في أواخر شهر سبتمبر ١٩٥٢.

يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ» -الجزء الثالث- نقلًا عن صلاح شادي:

«وتم تشكيل وزارة برياسة محمد نجيب.. وطلب منا جمال عبد الناصر الاشتراك في الوزارة، استدعاني أنا وحسن وكان يوسف صديق حاضرًا.. وفاجأنا بقوله: «أنا عايز ثلاثة من الإخوان يدخلوا الوزارة، فرد يوسف صديق: «إحنا هنخليها فقهاء؟»..

فقال له حسن العشماوي: ما لهم الفقهاء؟ ما له واحد زي الشيخ الباقوري بغض النظر عن الموضوع؟! وقال عبد الناصر: إنما كنت اقترحت أنك تدخل الوزارة – والكلام كان موجهًا لحسن العشماوي – أنت و منير الدلة، ولكن الزملاء معترضين لصغر سنكم.. وإحنا عايزين ترشحوا لنا اثنين أو ثلاثة.

وذهبنا إلى المرشد.. واجتمع مكتب الإرشاد واتخذوا قرارًا بعدم الاشتراك في الوزارة بعد مناقشات طويلة؛ فقد رأى البعض أن اشتراكنا في الوزارة سيجعلنا مبصرين بكل الخطوات التي تقوم بها الحكومة، ولكن المرشد كان له رأي آخر وهو أنه لو حدثت أخطاء من الحكومة فإنها ستلقى على الإخوان فضلًا عن أن رسالة الإخوان -كما كان يراها المكتب في تلك الأونة- هي عدم الزج بأنفسهم في الحكم».

واستطاع عبد الناصر الاتصال بالشيخ الباقوري وطلب منه بشكل شخصي الموافقة على الاشتراك في الوزارة، فقبل الشيخ بذلك، ومن هنا قرر مكتب الإرشاد فصله من الجماعة نهائيًا؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ» – الجزء الثالث- نقلًا عن صلاح شادى:-

«واتصل بي كمال الدين حسين وطلب مني محاولة إقناع أعضاء المكتب بقبول دخول الشيخ الباقوري الوزارة حتى لا يحدث صدع بين الحكومة و الإخوان، فذهبت إلى مقر الجمعية لإبلاغ المرشد بحديث كمال الدين حسين لي، فوجدته في حالة ثورة على صالح أبو رقيق؛ لأنه أبلغه أن الباقوري خالف قرار المكتب، وبعد ساعة أذيع تشكيل الوزارة، وخرج المرشد إلى منزله، وعند خروجه قابله الصحفيون وسألوه:

-هل عرضت عليكم الوزارة؟

-**فأجاب:** لقد عرضت علينا واعتذرنا.

وأغضب هذا التصريح جمال عبد الناصر.

ثم يكمل صالح أبو رقيق روايته نقلًا عما سمعه من المرشد فقال:

«جلس المرشد في صالون منزله حزينًا لخروج الباقوري على إجماع مكتب الإرشاد، وقرب منتصف الليل وصل الشيخ الباقوري إلى منزل المرشد وصافحه وقَبَّل يده وقال:



أنا تصرفت.. أتحمل نتيجة تصرفي، وأنا مستعد أن أستقيل من مكتب الإرشاد، ورد الهضيبي: لسه؟ وقال الباقوري: ومن الهيئة التأسيسية، ورد الهضيبي: لسه، وقال الباقوري: ومن جماعة الإخوان المسلمين. ورد الهضيبي: هكذا يجب، وطلب الشيخ الباقوري ورقة وكتب استقالته من جماعة الإخوان المسلمين. وانصرف.. وفي صباح اليوم التالي توجه المرشد إليه في مكتبه بوزارة الأوقاف مهنئًا له».

ينقل الأستاذ/ حسن العشماوي في كتابه «الأيام الحاسمة وحصادها - جانب من قصة العصر» الحوار الذي دار في الاجتماع التقليدي بينهم وبين بعض رجال الثورة، وقد حضر الجلسة كل من (حسن العشماوي – صلاح شادي – جمال عبد الناصر – عبد الحكيم عامر) فيقول:

جمال: لقد رأينا أن يدخل الوزارة ثلاثة من الإخوان، فساعِدْني على إقناع المستشار بقبول هذا... وقد اخترنا اثنين، وتركنا لكم اختيار الثالث.

حسن (ساخرًا): ما أوسع الاختيارات التي تركتها لنا.. ومن اخترتم يا ترى...؟

جمال: أنت والشيخ الباقوري.

حسن [جادًا]: لست أدري إلى أي حد تسمح صلتك بالباقوري أن ترشحه أنت، ولكن أنا... لا.. ليس لك أن ترشحني.

إن من يمثلون الإخوان في الوزارة لا يملك ترشيحهم غير الإخوان..

جمال [في نبرة عتاب]: أنت أقرب صلة بي من الباقوري وغيره.. ولذلك رشحتك، وأنا على بينة أن المستشار سيوافق..

حسن: هو الذي يرشح لا أنت... وعلى كلٍ، قم واتصل به تليفونيًا واسأله عن المبدأ...

جمال: ألا تكلمه أنت؟

حسن: لا.. أنت وعبد الحكيم؛ فالعرض منكم.

جمال: فليكن.. قم كلِّمه يا عبد الحكيم.

[يقوم عبد الحكيم إلى تليفون قريب في الغرفة يتحدث فيه، بينما استمر الحديث بين جمال وحسن].

(يعود عبد الحكيم) عبد الحكيم: لم أفهم...

حسن [مبتسمًا]: طبعًا...

جمال: ماذا قال لك...؟

عبد الحكيم: شكرنا على الفكرة... قال: إنه لا يريد البت فيها وحده، ويترك ذلك لمكتب الإرشاد الذي سيجمعه اليوم ليعرض عليه الموضوع، فسألته: وإذا وافق المكتب؟ فأجاب بأنه لا يوافق على ترشيح حسن، ويمكن التفكير في أربعة: الباقوري، ومنير، وعبد القادر عودة، وسيد قطب، إلى هنا والكلام يبدو مفهومًا.. ولكنه أضاف إنه شخصيًا يفضل أن يدخل الوزارة بعض أصدقاء الإخوان بالتفاهم معنا، وأن يترك الإخوان الآن وشأنهم في تربية الشباب بعيدًا عن الحكم إلى أن يقوم حكم دستوري.. ثم يضيف، أما الآن فالبركة فيكم.. هل فهمتم شيئًا..؟

حسن: لعلي فهمت..!

جمال: ولكن كيف يرفض ترشيح حسن، وكنت أظنه أقرب الناس إليه..؟

عبد الحكيم: سألته، فقال: إنه صغير السن.

جمال: ذات كلام سليمان حافظ... هل اتفقا على هذا الكلام..؟

عبد الحكيم: لا أظن أن سليمان حافظ اتصل به.. فنحن لم نكلفه بذلك.. على كل سأذهب وأسأله..

[يخرج عبد الحكيم، يستمر الحديث بين جمال وحسن]

جمال: ماذا يقصد المستشار من كلامه؟

حسن: يقصد أولًا: أن يترك القرار لمكتب الإرشاد، ويقصد ثانيًا: أن يجنب الإخوان الحكم في نظام غير دستوري.. ويقصد ثالثًا: أن البركة فيك يا جمال [يبتسم ساخرًا]

جمال: وما الرأي بالنسبة للباقوري، وقد قَبِل الوزارة فعلًا..؟

حسن: الباقوري سيدخل، فاطمئن.

[يعود عبد الحكيم]

عبد الحكيم: سليمان لم يتحدث إليه، وسألته عن الأسماء التي رشحها المستشار، فقال: إن منير وعبد القادر عودة من مرؤوسية وهو لا يعرف سيد قطب.

حسن: مضحك هذا.. إن كل رجال القانون من مرؤوسيه إلا رئيس مجلس الدولة ورئيس محكمة النقض...!

جمال: ما رأيه في حسن؟ هل سألته ثانية؟

عبد الحكيم: صغير السن.. هكذا يقول مرة أخرى.

جمال: كلنا صغير السن.. ألا نصلح وزراء؟! أهي وقف على المسنين؟!

حسن: لا داعي لهذا الكلام.. فأنا غير وارد إطلاقًا.. وأنتم ضباط جيش، هذا جواز مروركم عنده..

جمال: اذهب إلى المستشار يا حسن، حاول إقناعه بدخول الإخوان الوزارة، وسنوافق على ترشيحاته.

حسن: سأذهب إليه... ولا أضمن لكم شيئًا.. إلى لقاء..

[يخرج حسن]

(٢) في المساء

[ذات الغرفة صلاح شادي وحسن العشماوى يجلسان معًا يتحدثان وينتظران]

حسن: ماذا ستقول لهم؟

صلاح: سأقول ما حدث، مكتب الإرشاد لم يوافق على دخول الإخوان في الوزارة.

حسن: أتدري الموقف بعد ذلك، ماذا عن الباقوري مثلًا؟

صلاح: لا أدري... ولكن لا بد من قول ما حدث... وليفعل الباقوري ما شاء كما قال المستشار.. ولكن قل لي: ما رأيك أنت؟

حسن: أن يدخل البعض الوزارة كأفراد.. وأن نكون قريبين من الحكم، هذا أفضل من البعد عنهم، فيحيط بجمال غيرنا.. ونحن لا ندري ما ومن سيكون..

صلاح: أقلت رأيك للمستشار؟

حسن: نعم قلته... ولكنه رفضه.. وقال: من الخير أن نبقى بعيدين عن الحكم الآن.. إنه يرى أن السيطرة العسكرية ستتبلور عن شخص واحد يحكم.

صلاح: هل قلت رأيك لجمال..؟

حسن: لا طبعًا.. قلته للمستشار فقط... ووحده.

صلاح: ما رأيك في دخولك أنت الوزارة؟

حسن: لا فائدة ترجى من وراء ذلك... وعلى كل فقد رفض المستشار.

صلاح: ألست ترى أن نكون قريبين من الأحداث.. أن نكون داخلها لا خارجها.

حسن: لا قيمة لرأيي ما دام مكتب الإرشاد قد رفض.

صلاح: لماذا لم تحاول إقناع المستشار؟

حسن: أنت تعرفه...

صلاح: وماذا كان موقف المستشار من مكتب الإرشاد؟

حسن: يبدو أنه لم يحاول توجيه المكتب إلى رأي معين، ولكن المكتب رفض، لا عن اقتناع، ولكن خشية أن يقع الاختيار على غير ذوي العقيدة الثابتة... كما يقولون.

صلاح: ماذا يعنون بذوي العقيدة الثابتة؟

حسن: يعنون من أسميهم المتزمتين.

صلاح: أراك قاسي الحكم على إخوانك.

حسن: إني أراهم كما هم.. ولكني ألتزم رأيهم ما دمت منهم.. ولعلهم يؤمنون يومًا بأن نظرية التطور ليست كفرًا[1].. وبالمناسبة لقد قال لي المستشار وهو يبلغني قرار المكتب: يكفي في السلطة واحد.

صلاح: أيعني الباقوري؟

---

(١) الغرض من كلامه غير مفهوم، وربما يقصد به حالة الجمود والتيبس التي تعاني منها الجماعة.

حسن: بل يعني جمالًا في نظري...

صلاح: إنك تتوهم ما يعنيه.

حسن: ربما، ولكن من يا صلاح؟ إن جمالًا يحمل في أعماقه طباع ومشاعر المسئول عن النظام الخاص في وضعه الذي انتهى إليه... وإن خرج عن النظام فهو مؤيَّد به، إنه سيحكم كما كان يمكن أن يحكم عبد الرحمن (يقصد السندي)، ولكنه أفضل لأنه أكثر ذكاءً وأوسع ثقافةً وأكبر قدرةً.

صلاح: ما أشد ظلمك لإخوانك.

حسن: سوف نرى.. ألم يحاولوا قتلك من قبل، وسيحاولون قتل غيرك؟

صلاح: لقد قلنا إنهم أتباع الملك الذين حاولوا قتلي...!

حسن: قلنا ذلك ظنًا قبل أن نتبين الحقيقة.. ولما علمناها سكتنا حفظًا على وحدة الصف بين أنفسنا[1].. **جمال سيفعل مثلهم، ولكن من مركز السلطة بطريقة أكثر ذكاءً.**

[يدخل جمال]

جمال: ما وراءكما؟ لم نتلق رد إلى الآن.. الباقوري وحسن..؟

صلاح: لا أحد.. وإذا دخل الباقوري فبشخصه.. لقد رفض مكتب الإرشاد الاشتراك في الوزارة.

جمال: لا يمكن.. لقد قبل الباقوري، وسيحلف اليمين الليلة...

صلاح: سيحلف بصفته الشخصية، لا صلة للإخوان بذلك.

جمال: ولكن الكثير من الإخوان يؤيده..

صلاح: هذا قرار مكتب الإرشاد.

جمال: لقد بدا لي من حديث عبد الحكيم مع المستشار صباح اليوم أنه موافق.

---

(١) يبدو أن هذه إحدى المحاولات الفاشلة التي دبرها النظام الخاص لاغتيال بعض أفراد الجماعة، ولكن تكتمتها الجماعة واختفت معالمها مع الزمن.

صلاح [في إصرار]: لقد رفض مكتب الإرشاد، افعل ما شئت.

جمال: ألا تتصل به يا حسن؟

صلاح: ليس لرأي حسن الآن قيمة... إنه سيتهم بأنك أخذته.. ومكتب الإرشاد لن يوافق.

جمال: عدلت عن اختياره، فما العمل الآن؟

صلاح: اتصل بالمستشار إن شئت.

جمال: سأفعل.

[يتقدم جمال إلى التليفون بجواره، يستمر الحديث بين صلاح وحسن]

صلاح: ماذا ترى في الموقف؟

حسن: بداية أزمة.. **أزمة ثقة مع جمال، وأزمة ثقة بين الإخوان.. إن جمالًا يتصل بغيرنا في ذات الوقت.. سيتأزم الوضع خلال سنة إلى حد بعيد.**

صلاح: وما العمل؟

حسن: لست أدري.. **أنا من الإخوان.. ولكن جمالًا سينتصر..**

صلاح: ألا تحاول شيئًا..؟

حسن: كفاني.. إن محاولاتي لن تجدي.. أنا متهم اليوم من الجانبين؛ الإخوان وجمال، فدعوني وشأني.. كفى إرهاقًا لي.

صلاح (في حدة): أفهم ما تعني بداية الأزمة؟ أتفْهَم الصدام الذي سيحدث؟ أتعلم نتائجه؟ ما قيمة الأرواح عندك؟ بل ما قيمة الدعوة ذاتها إذا قلت لي: اتركوني وشأني فأنا مرهق؟!

حسن: أفهمه.. وأعلم.. ولكن حيلتي...؟

صلاح: أن تحاول.

[يأتي جمال متغير الوجه]

جمال: لا أفهم ما يقول.. ما معنى خذوا أصدقاء لا أعضاء؟!

المكتب لم يوافق: ألا يستطيع إقناع المكتب؟

حسن: يستطيع... ولكنه لا يريد أن يفرض رأيه..

جمال: وما رأيه؟

حسن: سله.. لا أدري..

جمال: أتبدءوننا بعداء؟ أترفضون المشاركة في حكم نحن وراءه؟

صلاح: لا طبعًا.. لكن المكتب رفض دخول الهيئة، خذوا أصدقاء كما قال لكم، أو أفرادا بذواتهم... وسيتركون عندئذ الهيئة.

جمال: لقد قبل الباقوري وانتهى أمره.. سيحلف اليمين بعد قليل.

صلاح: ليس من المصلحة ذلك.. إنه لم يحضر المكتب وهو عضو فيه.. إننا لم نستطع العثور عليه طوال النهار.

جمال: إن المستشار يراوغنا.

صلاح: ليست المراوغة من طبعه، هل قبل ثم عدل، أم أنه ترك الأمر من البداية في يد مكتب الإرشاد؟

جمال: قال إنه يترك الأمر لمكتب الإرشاد.. ولكنه مناقشته للمبدأ، وترشيحه بعض الأسماء ربما منهم الباقوري لدراستهم كان يعني أنه قبل.

صلاح: ومن سيدخل الوزارة لو أنه قبل؟

جمال: من رشحهم في الصباح أو بعضهم على الأقل، نعم، سيدخل الباقوري فيما بعد.

صلاح [إلى حسن]: هل تحاول معه مرة أخرى؟

حسن: لا..

جمال: ادخل أنت إذًا بشخصك، وسأقنع سليمان حافظ ومجلس الثورة.

حسن: قلت: لا...

جمال: إذًا، أنتم تعلنون علينا حربًا.

حسن: لا.. ولكننا لن ندخل الوزارة هذه المرحلة.. هذا قرار المكتب.

جمال: لا تقنعني بأن للمكتب أهمية.. أنا أعرف رأيهم..كنت تستطيع إقناعه، وكان المستشار يستطيع أن يفرض عليه رأيه.

حسن: إنه لم يعتد أن يفرض رأيه.. أما أنا فابعدني عن هذا الموضوع كله، فأنا أعلم نتائجه على أعضاء المكتب وغيرهم ممن اتصلوا بك.. سيقولون: اتفقنا على أمر.. أنت وأنا..

جمال: أراك تخاف الاتهام؟!

حسن: أنا لا أخاف شيئًا.. ولكني لا أريد للفرقة بيننا أن تقوم.

جمال (كالهامس): إنها قائمة.

صلاح (متدخلًا): ماذا تقول؟

جمال: لا شيء.

حسن: بل يقول: إن الفرقة قائمة بين الإخوان.

جمال: أفٍ لك.. أترككم الآن.. وسأرسل عبد الحكيم ليكمل الحديث معكم.. لسنا في حاجة إلى تأييدكم.. وسيدخل الباقوري.. وسيكون له أتباع.

[يخرج جمال]

وقد نال الإخوان من الشيخ الباقوري بسبب هذا الموقف، وأطلقوا عليه تهم العمالة ونعتوه بأوصاف الخيانة، خصوصًا بعد الوشاية التي أوقع بها رجال الأمن بينه وبين عبد الناصر؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمين أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث- تحت عنوان: عقوبة معجلة:

«على أنني مع هذا لا أعفي الباقوري من خطأ استشراف نفسه إلى المناصب، وقلما تجد من لا يستشرف إليها، ولكن استشراف نفس رجل تربى في أحضان دعوة تبلغ في تربية أبنائها درجة يقربون فيها من صفوف الملائكة.. مثل هذه النفس هي أعز على الله من أن يدعها ترتع في غيها فتضل وتشقى، ولكنه لا يلبث حتى يَقْدَعها [أي: يمنعها] قدعًا يرد إليها رشدها، فلا تجد لها ملجأ من الله إلا إليه.

لقد دفع الباقوري ثمن ما جارى نفسه فيه من الاستشراف إلى المنصب؛ فلقد رفعوه إلى حيث كان يتمنى ويحلم.. ثم رفعوه أعلى من ذلك.. حتى كان عندهم في يوم من الأيام عماد البيت وقطب الوحى.. ثم.. وبغير مقدمات.. ألقوا به من شاهقٍ فَلَمْ ينزل على الأرض بل نزل إلى هاوية فتحطم.. وحسبك أن تعلم أن أعظم مصيبة تصيب إنسانًا هي الفقد بعد العطاء.. ولم أقل: نزل إلى الأرض، وقلت: نزل إلى الهاوية؛ لأن مصيبته تجاوزت مصيبة الفقد بعد العطاء إلى ما هو أشد منها وأفدح؛ إذ لم يكتفوا بذلك بل تقوَّلوا عليه الأقاويل، وافتروا عليه الفرى، وأغروا كلاب الناس به تلوك سيرته وتنهش عرضه.

وأعتقد أن ما أصاب الباقوري في خلال تلك الفترة كان أشد إيلامًا مما أصاب الإخوان في معتقلاتهم وسجونهم من ظلم وتعذيب؛ لأن تعذيب هؤلاء لم ينل إلا البدن، ولم يمس جوهر النفس التي كان رضاها عن نفسها، واقتناعها بأنها على الحق كان يهون عليها ما تلقى من آلام البدن.. أما من كان عذابه من داخل نفسه فإنه أشد العذاب».

ولنترك الباقوري نفسه ليحكي قصته مع المنصب؛ ينقل الدكتور محمود عساف في مذكراته مع الإمام الشهيد حسن البنا حواره مع الباقوري، فيقول:

«أثناء زياراتي لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقوري وهو مدير لجامعة الأزهر، كنا نتسامر خلال زياراتي الأسبوعية له في منزله.

شرح لي مرة موقفه من الإخوان؛ فقال: إن عبد الناصر عند تشكيله لأول وزارة بعد الثورة، اتصل بالأستاذ الهضيبي وطلب منه ترشيح ثلاثة من الإخوان ليشاركوا في الوزارة، فرشح مكتب الإرشاد الشيخ الباقوري، ومنير دلة، وحسن عشماوي. فاعترض مجلس قيادة الثورة على الاثنين الأخيرين باعتبارهما حديثي عهد بالإخوان، وطلبوا ترشيح غيرهما من قدامى الإخوان، رفض مكتب الإرشاد هذا الطلب... ثم اتصل عبد الناصر بالشيخ الباقوري في منزله قائلًا له: إن البلد في حاجة إليه، وإن الوزارة التي يعرضها عليه تكليف لا تشريف، وإنه يعرض عليه وزارة الأوقاف وشئون الأزهر.

لم يتردد الباقوري في القبول لصالح البلد أولًا، ولأنه لم يكن مقتنعًا بأسباب رفض مكتب الإرشاد طلب مجلس الثورة.

ما إن أعلن قبول الباقوري للوزارة، حتى أصدر مكتب الإرشاد قرارًا بفصله من الإخوان...

أصيب الباقوري على إثر ذلك بمرارة شديدة وأبدى استنكاره الشديد لقرار المكتب، ذلك لأنه لا يجوز أن يفصل أحد من الإخوان ما دام الإخوان رجال دعوة، وليسوا حزبًا أو جمعية أو تشكيلًا اجتماعيًا أو سياسيًا.

وانشغل الباقوري بالوزارة، وأعاد تنظيم الأزهر وأدخل به الكليات التي تخرج العاملين لصالح المجتمع من مهندسين وأطباء ورجال أعمال ورجال قانون ورجال علم تطبيقي، فضلًا عن كلية البنات فإن فيها ذات التخصصات، فلا ينبغي أن يقتصر الأزهر- وهو أقدم جامعة في العالم لا زالت حية- على علوم الدين فحسب.

وكانت الفكرة الأساسية للكليات الجديدة هي أن تخرج دعاة للإسلام يحترفون مهنة، ويستطيعون أن ينشروا الدعوة في المجتمعات الأفريقية والأسيوية، بل الأوروبية والأمريكية، عن طريق المهن التي يحترفونها، مثلما يفعل المنصرون (ولا أقول: المبشرون) في دول العالم الثالث.

قرب عبد الناصر الشيخ الباقوري إليه؛ فقد كانت الصلة بينهما وثيقة منذ كان عبد الناصر من الإخوان المسلمين، غير أن المخربين والعابثين وأتباع المذاهب الهدامة الذين كانوا يحيطون بعبد الناصر أبوا إلا أن يفسدوا هذه الصلة، فانتهزوا فرصة أن الشيخ الباقوري يتردد على الأستاذ محمود شاكر في داره بمصر الجديدة ويلتقي معهم بعض أصدقاء الطرفين ويتبادلون الحديث في شتى الأمور، كما انتهزوا حادثًا سجله أحد الحاضرين – وكان عينًا عليهم – هاجم فيه أحد المتحدثين سياسة عبد الناصر، فادعوا لدى عبد الناصر أن الباقوري يتردد على بيت مشبوه ومراقب من الآداب في مصر الجديدة، وأنه يهاجم سياسة عبد الناصر، وأسمعوا عبد الناصر الشريط الذي لم يكن الصوت فيه واضحًا تمامًا.

أصدر عبد الناصر قرارًا بإعفاء الشيخ الباقوري من جميع مناصبه غير موضح أي سبب لذلك... ذهب الشيخ إلى بيته، واستيقظ من نومه على أصوات القطط وهي تموء بصوت منزعج خارج باب الفيلا التي يقيم فيها، خرج يتساءل عما حدث هذه الليلة، فوجد أن شرطة المرافق قد رفعت الكشك الخاص بجندي الحراسة، ووضعت مكانه صندوقًا حديديًا ضخمًا للقمامة، فاجتذبت القمامة قطط الحي كله... حضر إليه جمال سالم (عضو مجلس قيادة الثورة) في المساء مواسيًا، فأبلغه الباقوري بالواقعة، فطلب رئيس شركة مصر الجديدة، وهو المسئول عن ذلك قبل تكوين مجلس للحي، وبعد أن نهره جمال سالم بشدة، بعثوا بسيارة نقل لترفع صندوق القمامة من مكانه.

وعند عودة عبد الناصر من روسيا، وجد الباقوري واجبًا عليه أن يذهب لاستقباله، ووقف ضمن المستقبلين في الصف الأول، كما يقضي البروتوكول باعتباره وزيرًا سابقًا، فجاء ضابط شرطة صغير برتبة ملازم، ودفع الشيخ الباقوري بعصاه إلى الخلف قائلًا: هذا ليس مكانك، فوقع الشيخ الباقوري على الأرض، وأصيب بالشلل الكامل فورًا، ونقلوه إلى مستشفى القوات المسلحة، وأمكن علاجه إلى أن صار الشلل نصفيًا فقط، وظل كذلك حتى نهاية عمره.

في تلك الأثناء استطاع عبد الناصر أن يتبين الحقيقة حول الباقوري وعرف أنه دسيسة من المخابرات، فذهب لزيارته بالمستشفى وقال له: لقد ظلمناك يا شيخ أحمد... ثم أصدر قرارًا بتعيين الباقوري رئيسًا لجامعة الأزهر ومستشارًا دينيًا لرئاسة الجمهورية بدرجة وزير، وظل كذلك إلى أن مات».

وقد وقع خلاف آخر في هذه الفترة حول المدى الذي يصل إليه الإصلاح الزراعي؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث:-

«مشروع الإصلاح الزراعي من المشاريع التي دار الحديث عنها قبيل الثورة، وتناولها أعضاء المجلس النيابي في ذلك الوقت بالمناقشة وإن كانوا لم يتخذوا فيها قرارًا، ولما قامت

الثورة وجهت جل اهتمامها لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ، كما أن هذا المشروع كان من المشاريع التي تمت دراستها في اللجان المختصة بالمركز العام للإخوان المسلمين.

ولما طلب رأى الإخوان في المشروع وأبدوا رأيهم فيه، تبين أن هناك نقطة معينة يختلف الإخوان مع الحكومة حولها، وهي مقدار الحد الأعلى للملكية؛ فالحكومة تراه مائتي فدان والإخوان يرونه خمسمائة فدان».

ثم وقع خلاف حساس حول ما يسمى بالحكم الدستوري، وجوهره في الحقيقة هو النزاع حول من يكون في يده مقاليد الحكم؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث:

«مطالبة الحاكم بالحكم الدستوري معناه أن يتنازل هذا الحاكم عن سلطات حكم الفرد إلى حكم يقوم على الشورى، ينبع من الشعب بحيث لا يبت فيه بأمر إلا بموافقة ممثلين للشعب يختارهم بنفسه.

وتوضيحًا لهذا نقول: إذا فرضنا أن جمال عبد الناصر وافق الإخوان وأصدر أمرًا بالحكم بالشريعة الإسلامية، فهل كان الإخوان يكتفون بذلك دون مطالبته بالحكم الدستوري؟ والإجابة على ذلك هي أن الإخوان كانوا سيطالبونه أيضًا بالحكم الدستوري؛ لأن في الاكتفاء بذلك دون هذه المطالبة خطورة.. فالذي أصدر أمرًا بشيء، قادر – إذا هو تغير مزاجه أو وجد في ذلك ما يتعارض مع مصالحه – أن يصدر أمرًا بإلغاء هذا الشيء أو بتعديله أو الانتقاص منه أو الزيادة عليه.

إنما مطالبة الإخوان بالحكم الدستوري فمعناها تقليم أظفار الحاكم، والحد من سلطته، ونقل هذه السلطة إلى الشعب، ونقل الحاكم من دائرة شعوره بأنه القيم على الشعب، القاهر فوقه، المتصرف في شئونه كما يشاء، إلى دائرة شعوره بأنه خادم للشعب وأجير عنده، مرهون وجوده في الحكم برضا هذا الشعب عنه».

والعجيب في ذلك أن عبد الناصر يعرف تمامًا موقف الإخوان من الأحزاب، وقد قام عبد الناصر بحل جميع الأحزاب ولم يعترضوا على ذلك، ولكن مطالبتهم بالحكم



الدستوري رغم أن ظاهرها الحرص على عدم التسلط والديكتاتورية إلا أن عبد الناصر يفهم جيدًا أن تطبيق هذا الأمر بعد حل الأحزاب معناه السيطرة التامة للجماعة على ناصية الحياة السياسية؛ ينقل الدكتور محمود عساف في مذكراته «مع الإمام الشهيد حسن البنا» رأى حسن البنا في الأحزاب المصرية:

«لقد انعقد الإجماع على أن الأحزاب المصرية هي سيئة هذا الوطن الكبرى، وهي أساس الفساد الاجتماعي الذي نصطلي بناره الآن، وإنها ليست أحزابًا حقيقية بالمعنى الذي تعرف به الأحزاب في أي بلد من بلاد الدنيا، فهي ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة اقتضت الظروف في يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية.

كما انعقد الإجماع على أن هذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج، ولا خلاف بينها في أي شيء أبدًا إلا في الشخصيات، وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم، وبما أن الأحزاب هي التي تقدم الشيوخ والنواب، وهي التي تسير دفة الحكم في الحياة النيابية، فإن من البديهي ألا يستقيم أمر الحكم وهذه حال من يُسيِّرون دفته.

وإذا كان الأمر كذلك فلا ندري ما الذي يَفْرِض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيعَ والطوائفَ من الناس التي تسمي نفسها الأحزاب السياسية؟ إن الأمر جد خطير، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة ولو مؤقتة لمواجهة هذه الظروف العصيبة التي تجتازها البلاد، فيئسوا وأخفقوا، ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول، لا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعًا، وتجمع قوى الأمة في حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها، ويضع أصول الإصلاح الداخلي العام، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق في التنظيم في ظل الوحدة التي يفرضها الإسلام».

الخلاف الثالث بين الهضيبي وعبد الناصر:

فكر عبد الناصر في إنشاء هيئة التحرير في (١٩٥٣/١/٢٣) لتكون بمثابة الحاضنة

الشعبية للجماهير المؤيدة للثورة، واستغل عبد الناصر السمعة الغير طيبة للأحزاب السياسية على الساحة المصرية، وتورُّطَ بعضها في علاقات مع الانجليز، وبعضها كان محسوبًا على القصر والملك.

بلا تردد وبلا عناء أصدر مجلس قيادة الثورة قرارًا بحل جميع الأحزاب، وبقيت جماعة الإخوان مشكلة تستعصي على الحل؛ فهم ليسوا حزبًا بالمعنى المعهود، ولكنهم يمارسون السياسة ويخوضون الانتخابات، فهل يتم إدراجهم ضمن إطار الأحزاب ويحظر نشاطهم، وهم شركاء النجاح وما زالت الثورة في حاجة إليهم، أم يتم استثناؤهم من قرار الحل بشرط بعدهم عن السياسة؟!

وهنا أصبح كل من رجال الجماعة ورجال الثورة أمام معضلة كبرى ينبغي على كل منهما السعي لحلها؛ يقول د. زكريا سليمان بيومي في رسالته «الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ – ١٩٨١»:

«أرسلت وزارة الداخلية – قبيل صدور قرار حل الأحزاب السياسية – خطابًا إلى جماعة الإخوان لتحديد هويتها عما إذا كانت حزبًا سياسيًا أم أنها جماعة دينية.

وقد أثار هذا الخطاب جدلًا شديدًا داخل الجماعة فمنهم من رأى أن السياسة من بين أهدافها وبالتالي فهي حزب سياسي، ومنهم من رأى أنها دعوة شاملة – كما حددها مرشدها الأول – لا تقبل هذه التقسيمات، وحين غلب أصحاب الرأى الأول أرسلوا ردًا إلى وزارة الداخلية يؤكد بأنهم حزب سياسي وهو أمر أدى إلى استقالة المرشد العام حسن الهضيبي حيث كان من أنصار الرأي الثاني.

وحرصًا من الجماعة على عدم حدوث انشقاق، واقتناعًا برأي المرشد، عادوا ليسحبوا ما كتبوه لوزارة الداخلية.

ومع أن قانون حل الأحزاب السياسية الذي صدر في يناير ١٩٥٣ قد استثنى جماعة الإخوان باعتبار أنها جماعة خيرية دينية – من وجهة نظر الضباط –، وأن ذلك قد أوحى بصلة الود والحرص على العلاقة بينهم وبين الجماعة، إلا أن صدور ذلك القانون

قد أثار قلقًا داخل الجماعة، فسعى بعض أعضائها للاتصال بجمال عبد الناصر لاستجلاء حقيقة موقفهم وعرضوا الاشتراك في الوزارة أو تكوين هيئة مشتركة من الضباط والجماعة تعرض عليها كافة القرارات قبل صدورها، واعتبر عبد الناصر أن ذلك نوعٌ من محاولة فرض الوصاية، ورفَض هذه المقترحات».

أصبحت الجماعة بعد هذا الاختيار المر محظور عليها ممارسة السياسة، وهنا طلبت الثورة من الجماعة الدخول في هيئة التحرير، إلا أن موقف الجماعة كان الرفض القاطع؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث-: يقول صلاح شادي:

«في أحد الأيام في أوائل عام ١٩٥٣ اتصل بي جمال عبد الناصر وقال لي: يا صلاح.. أنا باعت لك إبراهيم الطحاوي وسيحدثك في موضوع مهم، وعايز رأيك ورأي جماعة الإخوان فيه، وفعلًا جاءني إبراهيم الطحاوي، وقال لي: إن الرئيس عبد الناصر يريد من جماعة الإخوان أن تنصهر داخل هيئة التحرير ويصبحا تنظيمًا واحدًا.

وقلت له: مش ممكن.. إن معنى هذا القضاء على جماعة الإخوان.. وهيئة التحرير ما هي إلا حزب سياسي ونحن جماعة دينية، وفوجئت به يقول لي: ما هو الرئيس عايزك تمسك هيئة التحرير، وأجبته: إنني لا أبحث عن مصلحة شخصية.. لكن من الخطأ أن تطلب منا ذلك.. وانصرف إبراهيم الطحاوي.. وبطبيعة الحال أبلغ الرسالة إلى عبد الناصر الذي طلب أن يعقد معنا جلسة عمل في منزل عبد القادر حلمي.. المنزل الذي شهد كثيرًا من الاجتماعات.

وحضر جمال عبد الناصر ومعه عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين والمرحوم عبد الحكيم عامر وأحمد أنور الذي كان وقتئذ قائدًا للبوليس الحربي.. وكان يحضر هذا اللقاء من الإخوان أنا وصالح أبو رقيق وفريد عبد الخالق، وبطبيعة الحال عبد القادر حلمي الذي دعانا لتناول الغداء، وبعد أن انتهينا منه جلس عبد الناصر يتحدث عن هيئة التحرير وعن رغبته أن تنصهر داخلها جماعة الإخوان المسلمين لتكون تنظيمًا قويًا».

وبالطبع لم يصل الطرفان لحل بطبيعة الحال، وظلت هذه إحدى نقاط التنافس بين الهيئتين؛ جماعة الإخوان وهيئة التحرير، حتى تطورت إلى مصادمات عنيفة؛ يحكي الأستاذ محمد حامد أبو النصر في كتابه «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر» قصة الصراع بين شباب الجماعة وشباب الهيئة، والتي سرعان ما تطورت إلى صراعات ومواجهات فيقول:

منافسة غير شريفة:

«نشأت منافسة بين الهيئتين تطورت إلى احتكاكات وصراعات، وكان لابد من هذا إذ أن ميلاد هيئة التحرير وظهورها في المسرح السياسي مع وجود هيئة الإخوان المسلمين الهيئة التي لها تنظيماتها وتجمعاتها وجمهورها الخاص الذي كان محل إعجاب وتقدير السواد الأعظم من الشعب، على عكس هيئة التحرير التي ليس لها ركيزة من الشعب، وليس لديها تنظيمات من الشباب..

وقد ظهر هذا التنافس عند مناوشة الإنجليز في القناة؛ إذ كانت هيئة التحرير على لسان المسئولين فيها يطلبون من الشباب أن يتقدموا كفدائيين في هذا الميدان، فاستجاب الإخوان لهذا فكان كثيرًا ما يقع خلاف وتنافس بين شباب الهيئتين في ذلكم الميدان».

مشاحنات وضغائن:

«ولما تكوَّن الحرس الوطني انضم إليه كثيرٌ من شباب الإخوان على اعتبار أن ذلك واجب وطني، ولكن القائمين على هذه التنظيمات من رجال هيئة التحرير كانوا يطلبون اشتراكات مالية من المنتسبين، فكان الإخوان يرفضون دفع هذه الاشتراكات وكان هذا يحز في نفوس القائمين على هيئة التحرير، وقد كان الإخوان كثيرًا ما كانوا يساهمون في الاشتراك معهم في المظاهر الاجتماعية العامة كأسبوع تحسين الصحة ومعونة الشتاء على اعتبار أنها مسائل عامة يجب أن يشترك فيها الإخوان بجهدهم ومالهم» [حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر].

خطباء الإخوان يهاجمون الهيئة من على المنابر:

«وكان خطباء الإخوان يحتجون بشدة من فوق المنابر على تصرفات الحكومة

وقيادات هيئة التحرير لاضطهادهم للإخوان والتشهير بهم وبمرشدهم، وأبرز هذه الأحداث والاصطدامات ما وقع في جامعة القاهرة، عندما أراد الإخوان الاحتفال بذكرى شهداء القناة من إخوانهم الطلبة وذلك في صباح يوم ١٢ يناير سنة ١٩٥٤، وكان ضيف الشرف في هذا الحفل الزعيم الإيراني المسلم الشهيد نواب صفوي[1] الذي سلمه عبد الناصر بعد ذلك لشاة إيران المخلوع الذي أعدمه شنقًا.

وقد حدث أثناء الاحتفال الذي كان يسير في نظام وهدوء إجلالًا للذكرى واحترامًا للضيف الكريم أن اقتحم الاجتماع مجموعة من هيئة التحرير، وقد استقلت سيارة جيب عسكرية يعلوها ميكروفون، وأخذوا يرددون هتافات مختلفة بغية التشويش على المجتمعين والعمل على فض الحفل، فغضب المحتفلون من هذا التحدي السافر، واعترضوا السيارة، لكن الضابط المنوط بحراستها تسرع فأشهر مسدسه في وجه المعترضين، فثاروا وأحاطوا السيارة إحاطة السوار بالمعصم، وانهالوا على ركابها ضربًا، وتطور الأمر فأشعلوا النار فيها» [حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر].

أعضاء مجلس قيادة الثورة يزورون قبر البنا:

في ١٢/٢/١٩٥٣ أبدى أعضاء مجلس الثورة عزمهم على زيارة قبر حسن البنا في ذكرى وفاته، فرحب الإخوان، وكان في استقبالهم عند القبر جم غفير من الإخوان على رأسهم المرشد العام.. وألقى الرئيس محمد نجيب الكلمة التالية:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**

أيها المواطنون: من الناس من يعيش لنفسه، لا يفكر إلا فيها، ولا يعمل إلا لها، فإذا مات لم يشعر به أحد، ولم يحس بحرارة فقده مواطن.. ومن الناس من يعيش لأمته

---

(١) يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»: «هناك بين فكر نواب صفوي وفكر الإخوان مودة غير أن حركة نواب صفوي تتسم بالعنف الشديد وذلك مفهوم من عنوانها (فدائيان إسلام)» – وهذه إحدى العلامات الغامضة في تاريخ الإخوان؛ فمع البغض الشديد الذي يظهره الشيعة لأهل السنة؛ إلا أنهم يُظهرون محبة وتعاونًا مع جماعة الإخوان، والجماعة تبادلهم نفس الشعور، بل تأخذ على عاتقها تجميل صورة الشيعة في مجتمعات أهل السنة!!

واهبًا حياته، حاصرًا فيها آماله، مضحيًا في سبيلها بكل غال عزيز.. وهؤلاء إذا ماتوا خلت منهم العيون، وامتلأت بذكراهم القلوب، والإمام الشهيد حسن البنا أحد الذين لا يدرك البلى ذكراهم، ولا يرقى النسيان إلى منازلهم؛ لأنه رحمه الله لم يعش لنفسه، بل عاش للناس، ولم يعمل لشخصه، عاش للصالح العام.. لقد كان حسن البنا صاحب عقيدة أخذت بزمام نفسه، وملكت عليه منافذ حسه.. فعاش من أجلها أشق عيشة وأقساها، ومات في سبيلها أشرف ميتة وأسماها.. وكان يؤمن بأن الدين هو الكفيل بإيجاد الأخلاق القويمة في نفوس الوطن العزيز، وهو الوسيلة إلى حمل النفوس على الفداء والبذل من أجل الكرامة.

ولست أنسى ما حييت هذا الشباب المؤمن القوي في معارك فلسطين، يقتحم على العدو أقوى الحصون، ويسلك إلى قتاله أعصى السبل، ويتربص بقواته وجحافله كل طريق، ولقد كان حسن البنا – على قوة دينه وشدة إيمانه – يتحدث عن الإسلام في أفق واسع وفهم سمح كريم حتى انتفع به العالم والجاهل، وكسب لدين الله أنصارًا كانوا أبعد ما يكونون عن الدين، وكان الجميع يحبونه أخلص الحب، ويحترمونه أشد الاحترام – ولذلك لم تكن الفجيعة فيه فاجعة جماعة، ولا فجيعة طائفة، ولكنها كانت فجيعة أمة بل أمم غزا قلوبها، وجمع على الأخوة أرواحها، وكان رحمه الله حربًا عوانًا على الفساد والانحلال، على قدر ما كان حربًا على الغصب والاحتلال، وكان سلاحه الذي اعتمد عليه سلاحًا ذا ثلاث شعب: **الأولى:** مكانة في نفوس الناس لا يبلغها غيره، **والثانية:** بيان رائع قوي يحرك ويوجه ويثير، **والثالثة:** قدرة على التجميع والتنظيم لم يصل إليها إلا الأقلون ممن تصدوا لقيادة الأمم.

وقد أدرك أعداؤه وأعداء الوطن أن هذا السلاح في يده لا يفل حديده ولا يبلى جديده، ثم هو سلاح لا يقاوم.. ولذلك أجمع المجرمون أمرهم على قتله وحيدًا لا حارس له، وأعزل لا سلاح معه، وكانت القوة التي دبرت قتله ونفذته وأشرفت عليه هي القوة التي يلوذ بها الخائف فتمنحه الطمأنينة والأمن، ويحتمي بها المطارد فتسبغ عليه ظلال السكينة والسلام».

وقد حضر مع الرئيس محمد نجيب في هذه الزيارة الوزراء سليمان حافظ جلال والباقوري وفتحي رضوان، كما حضرها الصاغ عبد الحكيم عامر والصاغ صلاح سالم.

يعلق الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث- على هذه الزيارة بعدما نقل كلمة محمد نجيب بتمامها فيقول:

«وأشهد لقد كان لهذه الزيارة معنى كنا نحسه جميعًا ونشعر بحرارته.. وكان الذين قاموا بها والذين حضروها بل وكان الناس جميعًا يشعرون أنها رمز كان لابد منه أداءً لحق الوفاء لرجل عاش حياته ليهيئ أسباب النجاح لثورة تقضي على الظلم، وتعيد للشعب حقوقه وكرامته، ويقال: إن جمال عبد الناصر كان هو صاحب فكرة زيارة قبر الإمام، وأنه هيأ نفسه للقيام بها ولكنه فوجئ بأن اللواء محمد نجيب قد سبقه إليها».

وقد تكررت هذه الزيارة من عبد الناصر في ١٩٥٤/٢/١٢ بعد أن تعكرت الأجواء بين الجماعة وبين عبد الناصر، وكان في استقباله عدد من قادة الجماعة منهم الأستاذ عبد القادر عودة والأساتذة صالح عشماوي وعبد الرحمن السندي وسيد سابق وعبده قاسم والشيخ الغزالي وحلمي المنياوي، بالإضافة إلى والد البنا وإخوته وولده.

وقد ألقى عبد الناصر كلمة حيا فيها إخوانه المحتفلين بذكرى الشهيد حسن البنا في هذا اليوم الذي يذكرنا بالماضي القريب لا الماضي البعيد.

ثم قال: إنني أذكر هذه السنين والآمال التي كنا نعمل من أجل تحقيقها، وأذكرها وأرى منكم من يستطيع أن يذكر معي هذا التاريخ وهذه الأيام، وأذكر في نفس الوقت الآمال العظام التي كنا نتوخاها، ونعتبرها أحلامًا بعيدة.

ثم أذكر هذا الوقت وفي هذا المكان كيف كان حسن البنا يلتقي مع الجميع في سبيل المبادئ العالية والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا.. ثم قال في نهاية كلمته: وأشهد الله أني أعمل – إن كنت أعمل – لتنفيذ هذه المبادئ وأفنى فيها وأجاهد في سبيلها.

ثم ألقى صلاح سالم كلمة ثم ألقى كل من الأستاذ عبد القادر عودة والأستاذ عبد الرحمن البنا كلمة.

وفي فبراير ١٩٥٣ بدأ الحديث عن إجراء مفاوضات مع الإنجليز للجلاء عن مصر، ولم تكن العلاقة بين الثورة والإخوان بلغت بعدُ حدَّ القطيعة والخصام؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه: «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث-:

«في شهر فبراير ١٩٥٣ جاءني المرحوم الدكتور محمد سالم، وأبلغني برغبة السفارة البريطانية في أن يلتقي ببعض المسئولين من جماعة الإخوان المسلمين بمستر إيفانز المستشار الشرقي بالسفارة البريطانية لاستطلاع رأي جماعة الإخوان فيما يرتضونه لنجاح مفاوضات الجلاء التي ستبدأ مع منطقة القتال في حرب عصابات.

وأبلغت المرشد أنا ومنير دلة للاتصال بإيفانز.. وفعلًا اجتمعنا به، وعدت للهضيبي أنقل له صورة كاملة عما دار بيننا من حوار.. فطلب مني أن أكتب تقريرًا مفصلًا وتسليمه له في اليوم التالي.. وعدت إلى منزلي فكتبت التقرير وسلمته للمرشد في اليوم التالي فاتصل تليفونيًا بعبد الناصر الذي سارع إلى منزل الهضيبي وقال بالحرف الواحد بعد أن قرأ التقرير: «كويس ده، أنتم استطعتم الوصول إلى حاجات لم يكن من الممكن أن نوصل لها» –وكان إيفانز ينتظر ردًا على عرضه من المرشد بنفسه، فأبلغ المرشد رغبة إيفانز لعبد الناصر الذي طلب منه مقابلته.

وفعلًا تمت مقابلة المرشد بإيفانز يوم ٩ فبراير في منزل المرشد، وبعد أن خرج إيفانز اتصل المرشد مباشرة بعبد الناصر وأبلغه في مقابلة تمت بعد ذلك في منزل منير دلة كل تفاصيل المقابلة.. وتوثقت بعد ذلك اتصالات إيفانز بالإخوان بعد أن بدأت المباحثات الرسمية التي تعثرت أكثر من مرة.. حتى انتهت بتوقيع الاتفاق النهائي في سبتمبر ١٩٥٤».

ومن المعلوم أن المفاوضات بين حكومة الثورة وبين الحكومة البريطانية استمرت



منذ قامت الثورة في يوليو ١٩٥٢ حتى آخر مايو ١٩٥٣ في محاولات لإقناع إنجلترا بسحب جيوشها من منطقة قناة السويس..

وفي نهاية مايو ١٩٥٣ يئست الحكومة ووجدت نفسها أمام طريق مسدود من تعنت الحكومة البريطانية فأعلنت قطع المفاوضات، ومعنى إعلان الحكومة المصرية قطع المفاوضات هو أنها قد استنفدت كل وسائل التفاهم والإقناع ولم يبق أمامها بعد ذلك إلا طريق المقاومة، وقد جاء في بيان حل الجماعة أنها تواصلت مع الإنجليز بدون علم القيادة المصرية.

ومعلوم أن من المألوف في ميدان الخصومة السياسية أن يتقول كل طرف على خصمه، وليس شرطًا أن تكون كل الاتهامات صحيحة، ويبدو أن التواصلات الأولى للإخوان مع الانجليز كانت بعلم الحكومة، لكن هل كانت كل التواصلات بعد ذلك بعلم الحكومة أم لا؟ خصوصًا وأن التوتر دب بينهما وأصبح التواصل شبه منقطع، بالإضافة إلى أن الإخوان عارضوا اتفاقية الجلاء بعد ذلك.

المهم أن هذه النقطة قفزت هي الأخرى على مسرح الأحداث الساخنة بين الثورة والإخوان، بغض النظر عن المتجني على الآخر منهما.

محاولات متبادلة لإصلاح العلاقة بين الثورة والإخوان:

يحكي الأستاذ محمد حامد أبو النصر في كتابه: «حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر» طرفًا من هذه المحاولات فيقول:

لقاء أبناء أسيوط في منزل عبد الناصر:

«وكان من بواكير اللقاءات التي تمت هي دعوة الضابط عبد الناصر قائد الحركة لفضيلة الشيخ محمد فرغلي ومعه (الشاهد على الطريق) محمد حامد أبو النصر لتناول الإفطار في منزله بمنشية البكري، وفي الساعة السادسة صباحًا الميعاد المحدد لهذا اللقاء توجهنا إلى منزله فوجدناه في انتظارنا في حجرة الاستقبال، وبعد قليل جلس ثلاثتنا حول مائدة صغيرة أعدت بإفطار مبسط عادي، وأذكر أنه دارت بيننا أحاديث بدأها الضابط عبد الناصر، من أهمها:

العمل على إزالة آثار العوائق التي وقعت بين قيادة الإخوان وقيادة الحركة، كما كانت مسألة إصلاح الأزهر الشريف منار الإسلام وما يجب أن يكون عليه من كفاءة حتى يؤدي رسالته، وهنا لوَّح الضابط عبد الناصر بإشارات خفيفة حول إسناد مشيخة الأزهر لفضيلة الشيخ فرغلي، كما تناول الحديث إرسال بعثات إسلامية من الإخوان المسلمين إلى جنوب أفريقيا لحاجة شعوبها إلى الإسلام».

لقاء مع عبد الناصر في منزل عبد الحكيم عامر:

«ودعا الضابط عبد الحكيم عامر قائد القوات المسلحة وعضو مجلس قيادة الحركة فضيلة المرشد ومعه أعضاء مكتب الإرشاد الجديد لتناول الشاي في حديقة منزله بثكنات العباسية، وفي الموعد المحدد للدعوة حضر أغلبية أعضاء المكتب فيما بعد عدا فضيلة الشيخ أحمد شريت – إذ اعتذر لوجوده في أسيوط- والدكتور كمال خليفة لوجوده في اجتماع مع خبير أجنبي، وقد لاحظت أن أعضاء مجلس قيادة الحركة كانوا جميعًا موجودين عدا اللواء محمد نجيب، والضابط أنور السادات.

وكنا نتوقع أن يبتدئ أحد أعضاء مجلس قيادة الحركة في عرض الموضوعات التي تضايقهم من تصرفات الإخوان حتى يمكن تجليتها وتصفيتها وتستأنف العلاقات الطبيعية التي تقوم على الاحترام والتقدير من أجل مصلحة الوطن، لكن الذي حدث أن الضابط صلاح سالم وقف وقال: نريد أن نتحدث في الأمور، وقبل أن يتم كلامه أشار إليه الضابط عبد الناصر بيده في حزم قائلًا: لا.. لا.. لا... خلينا كده كويس..

وبعد قليل طلب الضابط عبد الناصر استحضار كرسي بجواره واستدعاني للجلوس بجانبه، وكان يجلس معنا في هذه الجلسة الخاصة الجانبية فضيلة الشيخ فرغلي، ثم انضم إلينا الأستاذ عبد القادر عودة والأستاذ عبد الحكيم عابدين، وابتدأ الضابط عبد الناصر يشكو من نظام الأُسَر الموجود داخل الجيش من الإخوان، وكنا نشترك معه في الحديث نحن الأربعة، وقد طلب منه الأستاذ عبد الحكيم عابدين ذكر أسماء الذين يتصرفون تصرفات لا تريحهم، فقال الضابط عبد الناصر: أنا لا أذكر أسماء، وسأضطر لتقديمهم للمحاكمة إذا لم يمتنعوا عن مزاولة هذا النشاط..



فطمأنه الأستاذ عبد القادر عودة بأن نظام الأسر نظام تربوي إسلامي ليس فيه ضرر، وحاول الأستاذ عابدين أن يعرف منه أسماء الأشخاص لكنه رفض ذكر الأسماء، وقال: إن لم يرجعوا فسأضطر لتقديمهم للمحاكمة، والشيخ فرغلي يعرف كل حاجة، فقلت له: ليس من صالحك تقديم الإخوان في الجيش للمحاكمة فهم عون الحركة فقال: أنا لا أفعل ذلك إلا مضطرًا.

وكان قد حدث على إثر انتهاء حفلة الشاي بالحديقة أن اختليت بالضابط عبد الناصر مدة حوالي ربع ساعة في الحديقة، ودار بيني وبينه حديث في عودة التعاون بين قيادة الإخوان وقيادة الحركة خصوصًا وأن مكتب الإرشاد الجديد يرجو في بداية عهده أن تكون العلائق طيبة ومثمرة في سبيل مصلحة البلاد.

فابتدأ يذكر لي كيف قامت الحركة وكيف استشير الإخوان في كل شيء، وكنا نأمل أن الصلة تقوى وتتحسن، فقلت له: على كل حال الماضي انتهى، والمطلوب هو أن تنظروا لفضيلة المرشد كوالد للجميع يجب إجلاله واحترامه، ولا بأس من تكوين لجنة من أعضاء المكتب يكونون موضع ارتياحكم، وفي الوقت نفسه يكونون موضع ثقة فضيلة المرشد ليقربوا وجهات النظر ويوحدوا خطوات الجميع، وأفهمته أن فضيلة المرشد موضع ثقة الإخوان جميعًا، ولا يمكن لأحد أن يقوم بأي عمل نافع يساند الحركة إلا إذا كان يباركه فضيلة المرشد، فأرجو وألح في الرجاء أن تعملوا على تحسين العلاقة معه شخصيًا حتى يتم التجاوب بينكما، وفي أثناء الحديث فوجئنا بالأستاذ عابدين وهو يقول: ما هذه الخلوة (الصعايدة اتلموا على بعض) وضحكنا جميعًا.

وبعد انتهاء الحفلة ونحن في طريقنا إلى منزل الأستاذ عبد القادر عودة، ذكرت لفضيلة المرشد الحديث الذي دار بيني وبين الضابط عبد الناصر حول التقريب وتحسين العلاقات واقتراحي بتشكيل لجنة لتحقيق هذا الغرض، وفي منزل الأستاذ عبد القادر عودة حيث تحدث مع فضيلة المرشد عما دار في حديث الضابط عبد الناصر عن نظام الأسر داخل الجيش وعن تصرفات بعض الإخوان، فسأله فضيلة المرشد: هل ذكر لكم أسماء؟ قال: لم يذكر.. فقال فضيلة المرشد: إذن بماذا نهتدي لهؤلاء

الإخوان الذين يضايقونه حتى نمنعهم؟ **وهنا تدخل فضيلة الشيخ فرغلي قائلًا: عندي كلام في هذا الموضوع سأقوله لفضيلتكم في وقت آخر»**.

انفجار الغضب بين عبد الناصر والجماعة:

وفي أواخر عام ١٩٥٣ اشتد الخلاف بين الإخوان وبين عبد الناصر، وبلغت العلاقة بين الهضيبي وعبد الناصر إلى حد لا يمكن معه التوافق ولا التلاقي، مع أن عبد الناصر ظل محتفظًا بعلاقات متينة مع عدد من أعضاء مكتب الإرشاد، ولكن لم تفلح هذه العلاقات في رأب الصدع بين الجانبين.

يقول أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف»:

«في ١٥/ ١١/ ١٩٥٣ دعا جمال عبد الناصر مكتب الإرشاد العام على العشاء في بيته. ولم تكن العلاقات بين الإخوان وبين الثورة على ما يرام، وبلغنا أنه في تلك المأدبة جرى حديث عن النظام الخاص.

وقال جمال إنه يتكلم بصراحة وانفتاح وإن هذا النظام هو دليل سوء نية الإخوان تجاه الثورة، وقال إنه كان يفهم وجوده أيام الملك قبل الثورة، أما الآن فلم يعد لاستمرار وجوده سوى معنى واحد هو أن الإخوان ينوون السوء بحكومة الثورة».

ولكن هل كان هذا الرأي هو رأي عبد الناصر وحده أم كان هذا الرأي هو نفس الرأي الذي يؤمن به كبار الإخوان وقتها، يقول الدكتور محمود عساف في مذكراته «مع الإمام الشهيد حسن البنا»:

«كانت دعوة النظام الخاص إلى الوجود بعد قيام الثورة أمرًا عجيبًا، أذكر أنه حضر رئيس النظام إلى منزلي – عبد الرحمن السندي – ومعه الأخ مصطفى كمال الذي كان رئيسًا للمكتب الفني بشركة الإعلانات العربية وقت أن كنت مديرًا لها، وسألني الأخ عبد الرحمن سؤالًا مباشرًا: هل أنت معنا أم لا؟

قلت: من أنتم؟ إن كنت تقصد الإخوان المسلمين فأود أن أقول لك: إننا بايعنا الإمام حسن البنا، وبعد وفاته سقطت البيعة، والبيعة عقد، لهذا ينبغي الاتفاق على شروط عقد جديد... هناك أشخاص يعملون في الجماعة وأنت تعلم أني اشترطت

عليك – لكي لا أبلغ الإمام بما يفعلون – أن تبعدهم عن الإخوان ولو بالتدريج. وهؤلاء الآن يتصدرون الجماعة بعلمك وموافقتك... أما إن كنت تقصد النظام الخاص، فأريد أن أعرف أولًا ما هي أهدافه؟ لقد كان له هدفان: فلسطين والاستعمار البريطاني، والآن توجد حكومة وطنية نابعة من الشعب ومعظم أعضائها من صميم الإخوان، وهم مخلصون (حتى ذلك الوقت عام ١٩٥٣)، وفلسطين قد انتهى أمرها بالإعلان عن قيام دولة إسرائيل واعتراف العالم بها، والاستعمار البريطاني موكول الآن إلى الحكومة الوطنية، فما هو هدف النظام الخاص الآن؟ ثم إن جميع قيادات النظام الخاص ومعظم أفراده قد انكشفوا للحكومة، والتحقيقات السابقة معهم جعلتهم يعترفون على بعض! فهل النظام هو هدف في حد ذاته؟.

لم يرد عليَّ عبد الرحمن: وقال: إذًا أنت لست معنا، وانصرف. بعد ذلك بحوالي أسبوع، التقيت بالأخ المهندس السيد فايز في شارع العباسية أمام مكتبة المطيعي، وجدته غاضبًا على النظام الخاص، وأفكاره حوله تكاد تتطابق مع أفكاري».

التحول من النظام الخاص إلى التنظيم السري: الإخوان يخدعون عبد الناصر:

تُرى هل صدق الإخوان في وعودهم مع رئيس الحكومة، الذي كان منهم في يوم من الأيام ويعرف خباياهم ومداخلهم؟ وهل بعد هذه الأحداث الدامية التي ارتكبها النظام داخل الجماعة وخارجها يمكن أن يُقبل بوجوده من أي عاقل؟ وهل يمكن لجماعة أن تضحي بتاريخها وشبابها ودعوتها من أجل التمسك بنظام مسلح خارج عن نطاق السلطة والقانون؟

الحقيقة الصادمة أن الإخوان تحايلوا على طلب الحكومة، وظلوا متمسكين بالنظام كما هو، وأصبح هناك نظام خاص في كل شعبة بدلًا من أن يكون مركزيًا، يقول أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف»:

«وفي ظل صفوفهم الممزقة نفسيًا ومعنويًا وروحيًا وإداريًا بدءوا عملية إنشاء نظام جديد أطلقوا عليه «التنظيم السري» جربوا فيه أفكارهم التي لم نكن نقبلها من قبل؛ فإخوان التنظيم في نطاق الشعبة يتبعون شعبتهم وهكذا.

وأُسندت قيادة التنظيم إلى يوسف طلعت، ولقد كان يوسف مجاهدًا قديمًا من جنود النظام الخاص واشترك في عمليات فلسطين وعمليات الإخوان بالقنال عام ١٩٥١.. إلخ، ولكننا ونحن نضع النقط فوق الحروف، نقررها في أمانة أنه لم يكن مناسبًا لتلك القيادة.

لقد كان جنديًا صالحًا ولكنه لم يكن قائدًا بالمرة، ونذهب إلى أن اختياره إنما جاء لتلك الجندية.. لقد كان عبد الرحمن السندي يبدو غالبًا بصورة القائد الذي يجعل نفسه ندًا لقيادته، ربما كان ذلك هو السبب في اختيار هذا الجندي المطيع، ولقد سألته يومًا عن عدته في مواجهة الثورة في معركته التي يعدّ لها فكان جوابه: (بنصر الله وبركة طاعة المرشد).

كانت أخبار ذلك التنظيم كلها في الشارع! ولقد علمت أول ما علمت بالمسئولين عن التنظيم السري في مناقشة مع أحمد صالح داود ضابط المباحث العامة وهو الذي أخبرني بهم، واختفى المرشد فلم يعد أحد يعلم بمكانه، وكانت الأوامر تصل إلى الإخوان باسم المرشد العام حتى غدا كثيرٌ منهم في شك من صحة نسبتها إليه.

لقد كان اختيار يوسف طلعت بترشيح من الشيخ محمد فرغلي، فقد كان وثيق الصلة به لاعتبارهما معًا من إخوان الإسماعيلية، ولكن يوسف لم يلبث أن اختفى هو الآخر، وأحس الشيخ محمد فرغلي وكأنه قد تُرك وحيدًا!».

وعلى إثر ذلك أصدر مجلس الثورة في ١٥ يناير١٩٥٤قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين، بدا كأنه محاولة من عبد الناصر للضغط على الجماعة، وتحديدًا الجناح الموالي للهضيبى، وصدر البيان كما يلي:

(ملاحظة – المؤسسات الاجتماعية تمارس نشاطها – صرح البكباشي أنور السادات بأن المؤسسات الاجتماعية لجماعة الإخوان المسلمين المنحلة كالمدارس والمستوصفات والمستشفيات وغيرها ستظل تمارس نشاطها تحت اسم جديد يحدده وزير الداخلية – ولا ينطبق على هذه المؤسسات قرار المصادرة الذي يقضي به أمر حل الأحزاب ومصادرة أموالها وممتلكاتها).

إذًا كانت الثورة قد قامت في ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فقد ظل تنظيم الضباط الأحرار ينتظر من يتقدم الصف مخلصًا ليغير المنكر الذي كنا نعيش فيه ويثبت بعمله جدية صدقة وإخلاصه لدينه ولوطنه، وكنا على استعداد أن نتبعه في صف واحد كالبنيان المرصوص، حتى نحقق لوطننا العزيز عزة وكرامة وتحررًا من الاستعباد والعبودية، ولما طال انتظارنا عقدنا العزم على القيام بالثورة وكنا جادين، ولا هدف لنا إلا حرية الأمة وكرامتها، وأن الله تعالى لن يكتفي بإيمان الناس إذا لم يُتْبعوا هذا الإيمان بالعمل الصالح فيقول ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾ [التين: ٦].

ومن يوم قيام الثورة ونحن في معركة لم تنته بعد؛ معركة ضد الاستعمار لا ضد المواطنين، وهذه المعركة لا تحتمل المطامع والأهواء التي طالما نفذ الاستعمار من خلالها ليحطم وحدة الأمة وتماسكها فلا تقوى على تحقيق أهدافها.

وقد بدأت الثورة فعلًا بتوحيد الصفوف إلى أن حلت الأحزاب ولم تحل الإخوان إبقاءً عليهم وأملًا فيهم وانتظارًا لجهودهم وجهادهم في معركة التحرير، ولأنهم لم يتلوثوا بمطامع الحكم كما تلوثت الأحزاب السياسية الأخرى، ولأن رسالتهم دينية تعين على إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس.

ولكن نفرًا من الصفوف الأولى في هيئة الإخوان أرادوا أن يسخِّروا هذه الهيئة لمنافع شخصية وأطماع ذاتية مستغلين سلطان الدين على النفوس وبراءة وحماسة الشبان المسلمين ولم يكونوا في هذا مخلصين لوطن أو لدين.

ولقد أثبت تسلسل الحوادث أن هؤلاء النفر من الطامعين استغلوا هيئة الإخوان والنظم التي تقوم عليها هذه الهيئة لإحداث انقلاب في نظام الحكم القائم تحت ستار الدين، وقد سارت الحوادث بين الثورة والإخوان بالتسلسل الآتي:

١-في صباح يوم الثورة استُدعي الأستاذ حسن العشماوي لسان حال المرشد العام إلى مقر القيادة العامة في كوبري القبة، وأبلغ إليه أن يطلب من المرشد العام إصدار بيان لتأييد الثورة، ولكن المرشد بقي في مصيفه بالإسكندرية لائذًا بالصمت فلم يحضر إلى

القاهرة إلا بعد عزل الملك – ثم أصدر بيانًا مُقتضبًا طلب بعده أن يقابل أحد رجال الثورة. فقابله البكباشي جمال عبد الناصر في منزل الأستاذ صالح أبو رقيق الموظف بالجامعة العربية، وقد بدأ المرشد حديثه مطالبًا بتطبيق أحكام القرآن في الحال – فرد عليه البكباشي جمال أن هذه الثورة قامت حربًا على الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي والاستعمار البريطاني وهي بذلك ليست إلا تطبيقًا لتعاليم القرآن الكريم – فانتقل المرشد بالحديث إلى تحديد الملكية، وقال: إن رأيه أن يكون الحد الأقصى ٥٠٠ فدان، فرد عليه البكباشي جمال قائلًا: إن الثورة رأت التحديد بمائتي فدان فقط وهي مصممة على ذلك، فانتقل المرشد بالحديث قائلًا إنه يرى لكي تؤيد هيئة الإخوان الثورة أن يُعرض عليه أي تصرف للثورة قبل إقراره، فرد عليه البكباشي جمال إن هذه الثورة قامت بدون وصاية أحد عليها، وهي لن تقبل بحال أن توضع تحت وصاية أحد، وإن كان هذا لا يمنع القائمين على الثورة من التشاور في السياسة العامة مع كل المخلصين من أهل الرأي دون التقيد بهيئة من الهيئات، ولم يلق هذا الحديث قبولًا من نفس المرشد.

العفو عن الإخوان:

٢- سارعت الثورة بعد نجاحها في إعادة الحق إلى نصابه، وكان من أول أعمالها أن أعادت التحقيق في مقتل الشهيد حسن البنا فقبضت على المتهمين، في الوقت الذي كان فيه المرشد لا يزال في مصيفه بالإسكندرية.

٣- طالبت الثورة الرئيس السابق علي ماهر بمجرد توليه الوزارة أن يصدر عفوًا شاملًا عن المعتقلين والمسجونين السياسيين وفي مقدمتهم الإخوان، وقد نفذ هذا فعلًا بمجرد تولي الرئيس نجيب رئاسة الوزارة.

٤- حينما تقرر إسناد الوزارة إلى الرئيس نجيب تقرر أن يشترك فيها الإخوان المسلمون بثلاثة أعضاء، على أن يكون أحدهم الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري، وقد تم اتصال تليفوني بين اللواء عبد الحكيم عامر والمرشد ظهر يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢ فوافق على هذا الرأي قائلًا إنه سيبلغ القيادة بالاسمين الآخرين، ثم حضر الأستاذ حسن العشماوي إلى القيادة في كوبري القبة وأبلغ البكباشي جمال عبد الناصر

أن المرشد يرشح للوزارة الأستاذ منير الدلة الموظف بمجلس الدولة والأستاذ حسن العشماوي المحامي، وقد عرض هذا الترشيح على مجلس الثورة فلم يوافق عليهما، وطلب البكباشي جمال عبد الناصر من الأستاذ حسن العشماوي أن يبلغ ذلك إلى المرشد ليرشح غيرهما، وفي الوقت نفسه اتصل البكباشي جمال عبد الناصر بالمرشد فقال الأخير: إنه سيجمع مكتب الإرشاد في الساعة السادسة ويرد عليه بعد الاجتماع، وقد أعاد البكباشي جمال عبد الناصر الاتصال مرة أخرى بالمرشد فرد عليه: إن مكتب الإرشاد قرر عدم الاشتراك في الوزارة، فلما قال له: لقد أخطرنا الشيخ الباقوري بموافقتك، وطلبنا منه أن يتقابل مع الوزراء في الساعة السابعة لحلف اليمين، أجابه بأنه يرشح بعض أصدقاء الإخوان للاشتراك في الوزارة ولا يوافق على ترشيح أحد من الإخوان.

وفي اليوم التالي صدر قرار من مكتب الإرشاد بفصل الشيخ الباقوري من هيئة الإخوان، فاستدعى البكباشي جمال عبد الناصر الأستاذ حسن العشماوي وعاتبه على هذا التصرف الذي يُظهر الإخوان بمظهر الممتنع عن تأييد وزارة الرئيس نجيب وهدد بنشر جميع التفاصيل التي لازمت تشكيل الوزارة، فكان رد الأستاذ حسن العشماوي أن هذا النشر يحدث فُرقة في صفوف الإخوان ويسيء لموقف المرشد ورجاه عدم النشر.

نصيحة الثورة للإخوان:

٥-عندما طلب من الأحزاب أن تقدم إخطارات عن تكوينها قدم الإخوان إخطارًا باعتبارهم حزبًا سياسيًا، وقد نصحت الثورة رجال الإخوان بألا يترددوا في الحزبية ويكفي أن يمارسوا دعوتهم الإسلامية بعيدًا عن غبار المعركة السياسية والشهوات الحزبية، وقد ترددوا بادئ الأمر ثم استجابوا قبل انتهاء وفد تقديم الإخطارات وطلبوا اعتبارهم هيئة وطلبوا من البكباشي جمال عبد الناصر أن يساعدهم في تصحيح الأخطاء، فذهب إلى وزارة الداخلية حيث تقابل مع المرشد في مكتب الأستاذ سليمان حافظ وزير الداخلية يومئذ، وتم الاتفاق على أن تطلب وزارة الداخلية من الإخوان تفسيرًا عما إذا كانت أهدافهم سيعمل على تحقيقها عن طريق أسباب الحكم كالانتخابات وأن يكون رد الإخوان بالنفي حتى لا ينطبق عليهم القانون.

٦-وفي صبيحة يوم صدور قرار حل الأحزاب في يناير ١٩٥٣، حضر إلى مكتب البكباشي جمال عبد الناصر، الصاغ صلاح شادي والأستاذ منير الدلة وقالا له: الآن وبعد حل الأحزاب لم يبق من مؤيدي الثورة إلا جماعة الإخوان ولهذا فإنهم يجب أن يكونوا في وضع يمكنهم من أن يردوا على كل التساؤلات، فلما سألهم: ما هو الوضع المطلوب؟ أجابا بأنهم يريدون الاشتراك في الوزارة.

فقال لهما: إننا لسنا في محنة وإذا كنتم تعتقدون أن هذا الظرف هو ظرف المطالب وفرض الشروط فأنتم مخطئون، فقالا له: إذا لم توافق على هذا فإننا نطالب بتكوين هيئة من الإخوان تعرض عليها القوانين قبل صدورها للموافقة عليها وهذا هو سبيلنا لتأييدكم إن أردتم التأييد، فقال لهما جمال: لقد قلت للمرشد سابقًا: إننا لن نقبل الوصاية وإنني أكررها اليوم مرة أخرى فى عزم وإصرار.

وكانت هذه الحادثة هي نقطة التحول في موقف الإخوان من الثورة وحكومة الثورة، إذ دأب المرشد بعد هذا على إعطاء تصريحات صحفية مهاجمًا فيها الثورة وحكومتها في الصحافة الخارجية والداخلية، كما كانت تصدر الأوامر شفهيًا إلى هيئات الإخوان بأن يظهروا دائمًا في المناسبات التي يعقدها رجال الثورة بمظهر الخصم المتحدي.

اتصال الإخوان بالإنجليز:

٧-لما علم المرشد بتكوين هيئة التحرير تقابل مع البكباشي جمال في مبنى القيادة بكوبري القبة وقال له: إنه لا داعي لإنشاء هيئة التحرير مادام الإخوان قائمين، فرد عليه البكباشى جمال: إن في البلاد من لا يرغب في الانضمام إلى الإخوان، وإن مجال الإصلاح متسع أمام الهيئتين.

فقال المرشد: إنني لن أؤيد هذه الهيئة، وبدأ منذ ذلك اليوم في محاربة هيئة التحرير وإصدار أوامره بإثارة الشغب واختلاق المناسبات لإيجاد جو من الخصومة بين أبناء الوطن الواحد.

٨-وفي شهر مايو سنة ١٩٥٣، ثبت لرجال الثورة أن هناك اتصالًا بين بعض الإخوان المحيطين بالمرشد وبين الإنجليز عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف في شركة النقل والهندسة، وقد عرف البكباشي جمال من حديثه مع الأستاذ حسن



العشماوي في هذا الخصوص أنه حدث اتصال فعلًا بين الأستاذ منير الدلة والأستاذ صالح أبو رقيق ممثلين عن الإخوان وبين مستر إيفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية وأن هذا الحديث سيعرض حينما يتقابل البكباشي جمال والمرشد، وعندما التقى البكباشي جمال مع المرشد أظهر له استياءه من اتصال الإخوان مع الإنجليز والتحدث معهم في القضية الوطنية؛ الأمر الذي يدعو إلى التضارب في القول وإظهار البلاد بمظهر الانقسام.

ولما استجوب الدكتور محمد سالم عن موضوع اتصال الإنجليز بالمرشد ومن حوله قال: إن القضية تبتدئ وقت أن كان وفد المباحثات العربي جالسًا يتباحث رسميًا مع الجانب البريطاني.

وفي إبريل سنة ١٩٥٣، اتصل به القاضي جراهام بالسفارة البريطانية وطلب منه أن يمهد مقابلة بين مستر إيفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية وبعض قادة الإخوان وأنه – أي: محمد سالم – أمكنه ترتيب هذه المقابلة في منزله بالمعادي بين منير الدلة وصالح أبو رقيق عن الإخوان ومستر إيفانز عن الجانب البريطاني، وتناول الحديث موقف الإخوان من الحكومة، وتباحثوا في تفاصيل القضية المصرية ورأي الإخوان وموقفهم من هذه القضية.

ثم قال الدكتور محمد سالم أنه جاء في رأي قادة الإخوان أن عودة الإنجليز إلى القاعدة تكون بناءً على رأي لجنة مشكَّلة من المصريين والإنجليز وأن الذي يقرر خطر الحرب هو هيئة الأمم المتحدة. ولعل هذا هو السبب في تمسك الإنجليز بهذا الرأي الذي لم يوافق عليه الجانب المصري للمفاوضات حتى اليوم.

ثم قال الدكتور محمد سالم إنه تلا ذلك اجتماع آخر مماثل في منزله أيضًا حين طلب مستر إيفانز مقابلة المرشد، فوعد منير الدلة بترتيب هذا الاجتماع وفعلًا تم في منزل المرشد ودار في هذا الاجتماع الحديث عن القضية المصرية وموقف الإخوان منها، وذكر الدكتور محمد سالم أيضًا أن مستر إيفانز دعا منير الدلة وصالح أبو رقيق لتناول الشاي في منزله وقد أجابا دعوته مرتين.

تسلل الإخوان إلى الجيش:

٩-وفي أوائل شهر يونيو ١٩٥٣، ثبت لإدارة المخابرات أن خطة الإخوان قد تحولت لبث نشاطها داخل قوات الجيش والبوليس، وكانت خطتهم في الجيش تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ينحصر في عمل تنظيم سري تابع للإخوان بين ضباط الجيش، ودعوا فيه عددًا من الضباط وهم لا يعلمون أنهم من الضباط الأحرار فسايروهم وساروا معهم في خططهم وكانوا يجتمعون بهم اجتماعات أسبوعية، وكانوا يتحدثون في هذه الاجتماعات عن الإعداد لحكم الإخوان المسلمين والدعوة إلى ضم أكبر عدد من الضباط ليعملوا تحت إمرة الإخوان، وكانوا يأخذون عليهم عهدًا وقسمًا أن يطيعوا ما يصدر إليهم من أوامر المرشد.

أما القسم الثاني: فكان ينحصر نشاطه في عمل تشكيلات بين ضباط البوليس، وكان الغرض منها هو إخضاع نسبة كبيرة من ضباط البوليس لأوامر المرشد أيضًا، وكانوا يجتمعون في اجتماعات دورية أسبوعية وينحصر حديثهم فيها في بث الحقد والكراهية لرجال الثورة ورجال الجيش وبث الدعوة بين ضباط البوليس بأنهم أحق من رجال الجيش بالحكم نظرًا لاتصالهم بالشعب، وكانوا يمنونهم بالترقيات والمناصب بعد أن يتم لهم هدفهم، وكان يتزعمهم الصاغ صلاح شادي الذي طالما ردد في اجتماعاته بهم أنه وزير الداخلية المقبل.

وقسم ثالث: أُطلق عليه قسم الوحدات وكان الغرض منه هو جمع أكبر عدد ممكن من ضباط الصف في الجيش تحت إمرة المرشد أيضًا، وكانوا يجتمعون بهم في اجتماعات سرية شبه أسبوعية، وكان الحديث يشتمل على بث الكراهية للضباط في نفس ضباط الصف وإشعارهم أنهم هم القوة الحقيقية في وحدات الجيش وأنهم إذا نجح الإخوان في الوصول إلى الحكم فسيُعاملون معاملة كريمة، كما كان هذا القسم يبث الدعوة لجمع أكبر عدد من صف الضباط وجنود البوليس ليكون تحت إمرة المرشد العام للإخوان.



ولما تجمعت هذه المعلومات لإدارة المخابرات، اتصل البكباشي جمال عبد الناصر بالأستاذ حسن العشماوي باعتباره ممثلًا للمرشد وصارحه بموقف الإخوان العام ثم بموقف الإخوان في داخل الجيش وما يدبرونه في الخفاء بين قوات الجيش والبوليس، وقال له: لقد آمنا لكم ولكن هذه الحوادث تظهر أنكم تدبرون أمرًا سيجني على مصير البلاد ولن يستفيد منه إلا المستعمر، وإنني أنذر أننا لن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه التصرفات التي يجب أن توقف إيقافًا كاملًا، ويجب أن يعلم الإخوان أن الثورة قد أبقت عليهم بعد أن حلت جميع الأحزاب لاعتقادها أن في بقائهم مصلحة وطنية فإذا ما ظهر أن في بقائهم ما يعرض البلاد للخطر فإننا لن نتردد في اتخاذ ما تمليه مصلحة البلاد مهما كانت النتائج، فوعد أن يتصل بالمرشد في هذا الأمر وخرج ولم يعد حتى الآن.

الجهاز السري للإخوان:

وفي اليوم التالي استدعى البكباشي جمال عبد الناصر الأستاذ خميس حميدة نائب المرشد والشيخ سيد سابق وأبلغهما ما قاله لحسن العشماوي في اليوم السابق فأظهرا الاستياء الشديد، وقالا أنهما لا يعلمان شيئًا عن هذا وإنهما سيبحثان الأمر ويعملان على إيقاف هذا النشاط الضار.

ورغم هذا التحذير وهذا الإنذار استمر العمل حثيثًا بين صفوف الجيش والبوليس وأصبح الكلام في الاجتماعات الدورية يأخذ طابع الصراحة وطابع الحقد؛ فكانوا يناقشون الخطط في هذه الاجتماعات باحثين عن أسلم الطرق لقلب نظام الحكم، وكان الأحرار المنبثون في هذه التشكيلات يبلغون أولًا بأول ما يدور في كل اجتماع.

١٠- بعد أن تعيَّن الأستاذ الهضيبي مرشدًا للإخوان لم يأمن إلى أفراد الجهاز السري الذي كان موجودًا في وقت الشهيد حسن البنا برئاسة السيد عبد الرحمن السندي فعمل على إبعاده معلنًا أنه لا يوافق على التنظيمات السرية لأنه لا سرية في الدين، ولكنه في الوقت نفسه بدأ إعداد تنظيمات سرية جديدة تدين له بالولاء والطاعة، بل عمد إلى التفرقة بين أفراد النظام السري القديم ليأخذ منهم إلى صفه أكبر عدد ليضمهم إلى جهازه السري الجديد.

وفي هذه الظروف المريبة قُتل المرحوم المهندس سيد فايز عبد المطلب بواسطة صندوق من الديناميت وصل إلى منزله على أنه هدية من الحلوى بمناسبة المولد النبوي، وقد قتل معه بسبب الحادث شقيقه الصغير البالغ من العمر تسع سنوات وطفلة صغيرة كانت تسير تحت الشرفة التي انهارت نتيجة الانفجار، وكانت المعلومات ترد إلى المخابرات بأن المقربين إلى المرشد يسيرون سيرًا سريعًا في تكوين جهاز سري قوي ويسعون في نفس الوقت إلى التخلص من المناوئين لهم من أفراد الجهاز السري القديم.

١١- وكانت نتيجة ذلك أن حدث الانقسام الأخير بين الإخوان، واحتل فريق منهم دار المركز العام وقد حضر إلى منزل البكباشي جمال عبد الناصر بعد منتصف ليل ذلك اليوم الشيخ محمد فرغلي والأستاذ سعيد رمضان مطالبين بالتدخل ضد الفريق الآخر ومنع نشر الحادث، فقال لهم جمال إنه لا يستطيع منع النشر حتى لا يُؤوّل الحادث تأويلات ضارة بمصلحة البلاد، أما من جهة التدخل، فهو لا يستطيع أن يتدخل بالقوة حتى لا تتضاعف النتائج وحتى لا يشعر الإخوان أن الثورة تنصر فريقًا على فريق، وأنه يرى أن يتصالح الفريقان وأن يعملا على تصفية ما بينهما.

فطلب منه الشيخ فرغلي أن يكون واسطة بين الفريقين وأن يجمعه مع الأستاذ صالح عشماوي، فطلب منه جمال أن يعود في اليوم التالي في الساعة العاشرة صباحًا وأنه سيعمل على أن يكون الأستاذ صالح موجودًا.

وفى الموعد المحدد حضر الشيخ فرغلي ولم يستطع الاتصال بالأستاذ صالح عشماوي وكان الشيخ فرغلي متلهفًا على وجود الأستاذ صالح عشماوي مما دعا البكباشي جمال أن يطلب من البوليس الحربي البحث عن الأستاذ عشماوي وإحضاره إلى المنزل، وتمكن البوليس الحربي في الساعة الثانية عشرة من العثور على الأستاذ صالح فحضر هو والشيخ سيد سابق إلى منزل البكباشي جمال، وبدأ الطرفان يتعاتبان وأخيرًا اتفقا على أن تُشكل لجنة يوافق على أعضائها الأستاذ صالح للبحث فيما نُسب إلى الإخوان الأربعة المفصولين على ألا يعتبروا مفصولين، وإنما يعتبروا تحت التحقيق، والعمل على أن

يسود السلام المؤتمر الذي كان مزمعًا عقده في دار المركز العام في عصر ذلك اليوم، ولكن لم يُنفذ هذا الاتفاق.

١٢- وفي يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤، ذهب الأستاذ حسن العشماوي العضو العامل بجماعة الإخوان وأخو حرم منير الدلة إلى منزل مستر كورزويل الوزير المفوض بالسفارة البريطانية ببولاق الدكرور الساعة السابعة صباحًا ثم عاد لزيارته أيضًا في نفس اليوم في مقابلة دامت من الساعة الرابعة بعد الظهر إلى الساعة الحادية عشرة من مساء نفس اليوم، وهذه الحلقة من الاتصالات بالإنجليز تكمل الحلقة الأولى التي روى تفاصيلها الدكتور محمد سالم.

الإخوان يتفقون مع الشيوعيين:

١٣- وكان آخر مظهر من مظاهر النشاط المعادي الذي قامت به جماعة الإخوان هو الاتفاق على إقامة احتفال بذكرى المنيسي وشاهين يوم ١٢ الجاري في جامعتي القاهرة والإسكندرية وفي وقت واحد، وأن يبذلوا جهدهم لكي يظهروا بكل قوتهم في هذا اليوم وأن يستغلوا هذه المناسبة استغلالًا سياسيًا في صالحهم ويثبتوا للمسئولين أنهم قوة، وأن زمام الجامعة في أيديهم وحدهم، وفعلًا تم اجتماع لهذا الغرض برئاسة عبد الحكيم عابدين حضره الأستاذ حسن دوح المحامي ومحمود أبو شلوع ومصطفى البساطي من الطلبة، واتفقوا على أن يطلبوا من الطلبة الإخوان الاستعداد لمواجهة أي احتمال يطرأ على الموقف خلال المؤتمر حتى يظهروا بمظهر القوة، وحتى لا يظهر في الجامعة أي صوت آخر غير صوتهم، وفي سبيل تحقيق هذا الغرض اتصلوا بالطلبة الشيوعيين رغم قلتهم وتباين وجهات النظر وعقدوا معهم اتفاقًا وديًا يعمل به خلال المؤتمر.

١٤- وفي صباح ١٢ الجاري عقد المؤتمر وتكتل الإخوان في حرم الجامعة وسيطروا على الميكروفون، ووصل إلى الجامعة أفراد منظمات الشباب من طلبة المدارس الثانوية ومعهم ميكروفون مثبت في عربة للاحتفال بذكرى الشهداء، فتحرش بعض طلبة الإخوان بهم وطلبوا إخراج ميكروفون منظمات الشباب وانتظم الحفل وألقيت كلمات

من مدير الجامعة والطلبة، وفجأة حضر بعض طلبة الإخوان ومعهم «نواب صفوي» زعيم فدائيان إسلام في إيران يحملونه على الأكتاف وصعد إلى المنصة وألقي كلمة وإذا بطلبة الإخوان يقابلونه بهتافهم التقليدي «الله أكبر ولله الحمد» وهنا هتف طلبة منظمات الشباب «الله أكبر والعزة لمصر» فساء طلبة الإخوان أن يظهر صوت في الجامعة مع صوتهم فهاجموا الهاتفين بالكرابيج والعصي وقلبوا عربة الميكروفون وأحرقوها وأصيب البعض بإصابات مختلفة ثم تفرق الجميع إلى منازلهم.

حدث كل هذا في الظلام وظن المرشد وأعوانه أن المسئولين غافلون عن أمرهم، لذلك فنحن نعلن باسم هذه الثورة التي تحمل أمانة أهداف هذا الشعب أن مرشد الإخوان ومن معه قد وجهوا نشاط هذه الهيئة توجيهًا يضر بكيان الوطن ويعتدي على حرمة الدين.

ولن تسمح الثورة أن تتكرر في مصر مأساة رجعية باسم الدين، ولن تسمح لأحد أن يتلاعب بمستقبل هذا البلد لشهوات خاصة مهما كانت دعواه، ولا أن يُستغل الدين في خدمة الأغراض والشهوات، وستكون إجراءات الثورة حاسمة وفي ضوء النهار وأمام المصريين جميعًا، والله ولي التوفيق.

وقد قام المستشار حسن الهضيبي بالرد على هذا البيان على هيئة خطاب أرسله إلى رئيس مجلس الوزراء جمال عبد الناصر، جاء فيه:

السيد رئيس مجلس الوزراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد اطلعت على ماذكرتم خاصًا بشأن الإخوان المسلمون وموقفهم منكم ومن المعارضة والمعاهدة، ولذلك حرصت على أن أذكر الوقائع التي ربما غابت عن ذاكراتكم.

إن اتفاقًا بيني وبين إيفانز على شيء من شئون مصر لم يحصل وأنتم تعلمون أنه طلب مقابلتي وقد كنت يوم الإثنين ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٣ بمنزلي مساءً فأخبرتكم بأني حددت يوم الأربعاء ٢٢/٢/ ١٩٥٣ لهذه المقابلة وسألتكم عما إذا كان هناك شيء يمكن أن نقوله له، وأخبرتكم بأن الإخوان المسلمين عند قولهم: إنهم ليسوا على استعداد لمفاوضة الإنجليز مادامت أقدامهم في مصر، وذكرت لكم ما ذكرته للرئيس

علي ماهر بشأن موقفنا في كل مفاوضة – فقلتم: إننا نريد أن ندخل المفاوضات متفقين على التفاصيل.

وقد التقيت بالمستر إيفانز وطائفة من الإخوان واستمعنا إلى ما أراد أن يقول دون أن نناقشه إلا مستفسرين، وكان خلاصة ما قال إنهم يريدون أن يجلو عن القنال، ولكن لهم قاعدة فيها يبغون تركها تحت حراسة الجيش المصري، وفيها بعض خبراء من الإنجليز يلبسون الملابس المدنية، ويقدر عددهم الجيش المصري، وتكون هذه القاعدة معدة لاستعمالهم ولاستعمال أصدقائهم وقت الحرب، وقال: إنهم يكون لهم الحق في العودة إذا هوجمت سوريا أو إحدى البلاد العربية وأن مدة المعاهدة يتفق عليها.

ولما فرغ من كلامه قلت له: ما رأيكم في الحياد؛ ينسحب الإنجليز من جميع البلاد الإسلامية، وتكون هذه البلاد كتلة واحدة تقف على الحياد لأنه لا مصلحة لنا في الحرب التي لا تقوم إلا من أجل التسلط علينا وعلى الأمم الضعيفة، فقال: إن فكرة الحياد مستحيلة لأن روسيا تهاجمكم، فقلت له: إن هذا فرض يجوز أن يتحقق ويجوز ألا يتحقق، وأما وجود الإنجليز في بلادنا فحقيقة واقعة وقد أتى احتلالهم لنا بحربين لم يكن لمصر مصلحة فيهما، وحيدة قناة السويس لا تتأتى مع وجودكم بها.

ولما استمر في قول إن روسيا لها مطامع، قلت له: لن نسلم أنفسنا لأحد، ويمكن بعد خروجكم أن نعقد معكم اتفاقًا سريًا على مساعدتنا إذا هاجمتنا روسيا، ويكون دخولكم أراضينا بناء على طلبنا، وتخرجون حينما تنتهي مهمتكم، وانتهت المناقشة على ذلك.

وفي يوم السبت ٢٥/ ٢/ ١٩٥٣، اجتمعنا في منزل منير الدلة مع من ذكرتهم في خطابك ما عدا حسن العشماوي الذي عاد متأخرًا من لبنان حيث كان في مهمة كلفتموه بها، وأنهيت لكم ما دار في هذه المقابلة، فقام عبد الحكيم عامر وقال: إن هذا أحسن ما قيل، وقال صلاح سالم: يجب أن نطلع بعضنا على جميع التفاصيل، فقلت: يكفينا أن نطلع بعضنا على الخطوط العريضة، وقد كلفتم صالح أبو رقيق وحسن العشماوي يبحث مسألة القاعدة، فقال صالح: هذه مسألة لا تبحث إلا إذا قررتم أن تترك قاعدة للإنجليز في القنال، أما إذا كنتم ترفضون ذلك فلا محل لبحثها.

من ذلك يتضح أننا لم نتفق على شيء، وأننا على ما اتفقنا معكم عليه نستطلع الآراء، وقد أنهيت هذا الحديث أيضًا إلى السيد سليمان حافظ نائب الرئيس وطلبت منه أن يخبر الرئيس لأني لم أستطع لقاءه وأنهيته كذلك إلى السيد محمود فوزي وزير الخارجية لاختصاصهما في ذلك الوقت – وهذه هي المقابلة الوحيدة التي تحدثت فيها في السياسة مع المستر إيفانز.

على أنكم ذكرتم أنني اتفقت مع المستر إيفانز على ما هو أسوأ من المعاهدة، ولم تذكروا هذا الأسوأ وبقي أن تدلوني على الموضوع الذي أنكر فيه لقاء المستر إيفانز في هذه المسألة فقد حاولت أن أذكر الحقيقة لكل الناس فلم تذكر الجرائد شيئًا.

أما ما قلتم من أننا نرمي إلى الهدم ولا نسعى إلا إلى الحكم فأنت تعلم أنني أكدت لكم لو أنكم أمسكتم بأيدينا وأجلستمونا على كراسي الحكم لما قبلنا، يشهد بذلك الرئيس نجيب عندما عرض علينا الاشتراك في الوزارة في ٨/ ١٢/ ١٩٥٣ والله يعلم ما تخفي السرائر وتكن الصدور.

ومن الخير لكم وللبلاد أن تسمحوا لمن يريد أن يتكلم وينقد المعاهدة بشيء من الإنصاف فينشر ما يريد حتى يحكم الناس علينا بفعلنا لا بقولنا وحتى يستطيعوا أن يعرفوا حقيقتها من جملة الحجج ولا يكتفوا بسماع طرف واحد[١].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المرشد العام للإخوان

حسن الهضيبي

ومع أن البيان حرص على أن تكون الاتهامات الموجهة للجماعة واقعية – عدا نقطة التواصل مع الإنجليز – وبالتالي جاء البيان موجعًا وشديدًا إلا أن عبد الناصر لم يقصد به القضاء التام على الجماعة، ولكنه أراد تنبيهها وإصدار إشارة حمراء لقادتها،

---

(١) الملاحظ أن بيان الهضيبي قد اعتنى فقط بالرد على شبهة التواصل مع الإنجليز سرًا، وأغفل الرد على باقي النقاط.

يقول د. زكريا سليمان بيومي في رسالته «الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ – ١٩٨١»:

«وأعقب ذلك صدور قرار في ١٤ فبراير سنة ١٩٥٤ – لم يعارضه سوى محمد نجيب الذي كان على صلة بالجماعة – بحل الجماعة باعتبارها حزبًا سياسيًا، ويطبق عليها بالتالي قرار حل الأحزاب السياسية، واعتقل الضباط حوالي ٤٥٠ من أعضاء الجماعة أودعوا السجون.

وعلى الرغم من تبرير الضباط لهذا القرار بقيام مجموعة من الإخوان بالاتصال بالإنجليز ومحاولة قلب نظام الحكم إلا أن عدد الذين **اعتقلوا لم يكن يعني تصفية الجماعة، بل كانت محاولة لاستغلال الصراع فيها وتحجيم دورها**، وإحلال قيادة أخرى محل الهضيبي يسهل التعامل معها، وهو أمر تؤكده البيانات التي نشرتها جريدة الجمهورية -وهي الصحيفة الرئيسية للنظام- حيث ركزت هجومها على الهضيبي بأنه اتجه بالجماعة اتجاهًا يغاير أسلوب مؤسسها الأول الشيخ حسن البنا، وتؤكد كذلك قيام مجموعة من الضباط في مقدمتهم جمال عبد الناصر ومعهم بعض أعضاء الإخوان بزيارة قبر الشيخ حسن البنا».

الخلاف الرابع بين الهضيبي وعبد الناصر:

كان هذا الخلاف نقطة تحول فارقة في علاقة عبد الناصر بالإخوان؛ لأنه تعلق بدخول الإخوان كطرف مع أحد المتصارعين على السلطة، حيث دخل الإخوان في حلف محمد نجيب في مواجهة خصمه جمال عبد الناصر؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»- الجزء الثالث-:

«ولكن الذي حدث كان غير الذي دار بخلد جمال عبد الناصر.. فقد أقال محمد نجيب من منصبه في ٢٥ فبراير.. وإذا به في أول مارس يواجه مظاهرة ضخمة؛ ففي ذلك اليوم توجه جم غفير من طلبة الجامعة – وأنا أكتب هذا ناقلًا من الصحف فقد كنت لا أزال في المعتقل – إلى ميدان الجمهورية معهم ألوف من الأهالي، يهتفون مطالبين برجوع محمد نجيب، ولم يبرحوا مكانهم إلا بعد أن أطل عليهم محمد نجيب

من شرفة قصر عابدين وبجانبه جمال عبد الناصر يضحك.. وخطب فيهم محمد نجيب خطبة طمأنهم فيها على الحكم النيابي.

ولابد هنا من الاعتراف بأن هذه المظاهرة التي كانت من أكبر المظاهرات التي شهدتها العاصمة المصرية في تاريخها؛ فقد كان ميدان الجمهورية وهو أوسع ميادين القاهرة بحرًا متلاطمًا بأمواج البشر، **كانت هذه المظاهرة بقيادة الإخوان المسلمين، وقد أشارت الصحف إلى بعض شخصيات إخوانية كانت بارزة فيها،** ومن هذه الشخصيات إبراهيم كروم وكان من أشهر «فتوات» القاهرة، وقد هداه الله وصار من أتقى الإخوان، وكان ممتطيًا جوادًا يتقدم المتظاهرين ويطلق أعيرة نارية في الهواء، وعز الدين مالك كان يتزعم المتظاهرين راكبًا سيارة جيب مركبًا عليها ميكرفون يردد الهتافات ويوزع المنشورات».

ويقول أيضًا مبرزًا دور عبد القادر عودة في فض المظاهرات:

«ثم وقعت أحداث فبراير عام ١٩٥٤ بعد إعلان قبول استقالة محمد نجيب.. وخرجت المظاهرات تطالب نجيب بالبقاء، **وكان من المعروف أنها من تدبير الإخوان المسلمين**.. وشهدت القاهرة أعنف المظاهرات واضطر عبد الناصر إلى إعادة نجيب.

وفي يوم ٢٨ فبراير خرجت المظاهرات فرحة بعودة نجيب، واتجهت إلى ميدان الجمهورية.. وحاول البوليس فض المظاهرات فأصيب عدد من المواطنين.. وحمل المتظاهرون قمصان المصابين ملوثة بدمائهم وتوجهوا إلى قصر عابدين.. وخرج إليهم محمد نجيب محاولًا دفعهم للانصراف.. ولم يتحركوا.. **ولمح بينهم عبد القادر عودة فدعاه إلى الشرفة لإلقاء خطاب لفض المتظاهرين،** وصعد ووقف بجوار محمد نجيب الذي أعلن أنه سينشئ الجمعية التأسيسية وسيعيد الحياة النيابية».

ومرت عدة أيام.. وفي يوم ٣ مارس قامت سلطات البوليس الحربي باعتقال ١١٨ شخصًا بينهم ٤٥ من الإخوان، ٢٠ من الاشتراكيين، ٥ من الوفديين، ٤ شيوعيين بادعاء أنهم كانوا يدبرون لإحداث فتنة في البلاد مستغلين فرحة الشعب بعودة

نجيب.. وكان في مقدمة المقبوض عليهم حسن الهضيبي وعبد القادر عودة وصالح أبو رقيق وأحمد حسين زعيم الاشتراكيين.

وفي يوم ٢٥ مارس تم الإفراج عن جميع أعضاء الإخوان المسلمين المعتقلين، وقالت صحيفة المصير: أنه تم الإفراج عن الأستاذ حسن الهضيبي من السجن الحربي كما أفرج عن باقي أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وقد تم أمس اتصال بين المسئولين وبين السيد/ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين قبل الإفراج عنه بشأن عودة جماعة الإخوان المسلمين إلى نشاطها السابق، وقد تم الاتفاق معهم على ثلاث نقاط:

أولاً: أن تعود الجماعة إلى سابق نشاطها وكيانها بدون أي حد من حرياتها، وتعود أموالها المصادرة وشعبها ومركزها العام.

ثانيًا: الإفراج فورًا عن جميع المعتقلين من الإخوان المسلمين مدنيين وعسكريين مع إعادة من فصل منهم إلى الخدمة العسكرية.

ثالثًا: أن يصدر مجلس قيادة الثورة بيانًا يوضح فيه حقيقة الأسباب التي اعتبرها داعية إلى حل الإخوان، ويكون هذا البيان بمثابة فصل الخطاب في هذه المسألة المؤسفة.

وقد صرح السيد/ حسن الهضيبي للمسئولين **بأن الإخوان سيكونون عونًا للحكومة على طرد الإنجليز من منطقة القناة ورد اعتداءاتهم الوحشية**.. وفي منتصف ليلة أمس توجه البكباشي جمال عبد النصر والصاغ صلاح سالم إلى منزل السيد/ حسن الهضيبي لزيارته.

يلوم الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث- على الجماعة أنها ضيعت فرصًا هائلة بتفريطها في استغلال هذه الفترة فيقول:

«خرج الإخوان من هذا الاعتقال وهم سادة الموقف.. لم يكونوا في يوم من الأيام أقوى مما كانوا عليه في ذلك اليوم؛ فالحكومة أفرجت عنهم وهي راغمة، بل إنها كانت في إفراجها عنهم متوسلة إليهم، ملتمسة الرضا والصفح عنها والتجاوز عن سيئاتها

معهم، حتى إنهم اشترطوا على الوسطاء الذين أرسلتهم الحكومة إليهم في المعتقل أن لا يخرجوا من المعتقل إلا إذا ردت الحكومة اعتبارهم بأن تصدر تكذيبًا لنفسها فيما افترته عليهم، وانتهوا إلى حل وسط بأن يخرجوا ويقوم جمال عبد الناصر بزيارة المرشد العام في بيته وقد فعل.

وكانت الفكرة التي في رأسي منذ أواخر أيام الاعتقال هي أن الإجراء الوحيد الذي علينا أن نتخذه في اليوم التالي لخروجنا هو أن نضع يدنا على مرافق البلاد، ونتخذ لنا وضعًا في حكومة انتقالية يشل حركة جمال عبد الناصر شللًا تامًا حتى نستطيع تنفيذ ما اتخذه مجلس الثورة من قرارات رغم أنف جمال عبد الناصر..

ولعل القارئ يرى معي أنه في ظل الظروف التي سردتها لم يكن أحد يستطيع أن يقف في طريق الإخوان إذا هم تقدموا لاحتلال مكانهم، ومن حق التاريخ أن أقرر هنا أن الإخوان لم يوفوا هذا الموقف حقه من الحركة؛ فقد كان الموقف يقتضيهم أن لا يضيعوا ساعة واحدة بل دقيقة واحدة منذ خرجوا هذا الخروج المنتصر من المعتقل إلا استغلوها أكمل استغلال، لاسيما وهم جربوا أنهم يتعاملون مع ثعلب ماكر وشخص مجرد من الأخلاق والدين والضمير والإنسانية، والتعامل مع مثل هذا الثعلب يوجب الحذر، ويتطلب المكر والحيلة والخديعة، ولا يفل الحديد إلا الحديد.

كان على الإخوان أن ينتهزوا هذه الفرصة من أول لحظة خرجوا فيها من المعتقل ليعملوا عملًا إيجابيًا يحقق آمال الأمة التي تنتظر منهم هذا العمل مهما أدى هذا العمل السريع إلى تضحيات إذا ما تصدى لهم جمال مع فلوله إن كان بقي له فلول.

لكن الذي حدث كان غير ذلك، ظن الإخوان أنهم وصلوا بالأمور إلى نهايتها، وأن الرقاب قد دانت لهم، وأن الظروف قد خضعت لمشيئتهم.. فخرجوا من المعتقلات مستسلمين إلى حالة من الاسترخاء والاستجمام أثارت غضبي.

فقد كانت الفكرة التي أشرت إليها مسيطرة على رأسي تمام السيطرة، فذهبت في مساء اليوم التالي لخروجنا إلى المركز العام كعادتي على أمل أن ألقى الأستاذ المرشد والإخوة المسئولين، لم أجد أحدًا منهم، فسألت الأخ الأستاذ محمد الطوبجي مراقب المركز العام



عنهم، فقال لي: إنهم في بيت المرشد يستقبلون المهنئين بالخروج من المعتقلات، وجئت في اليوم الثاني فلم أجد أحدًا.. وقيل لي: إنهم لا يزالون يستقبلون المهنئين».

في الواقع لم يكشف لنا الأستاذ محمود عبد الحليم عن سر الإفراج المفاجئ عن معتقلي الجماعة، خصوصًا وأن الجماعة ناوأت عبد الناصر علنًا، ووقفت مع غريمه وقوفًا ظاهرًا، وحركت المظاهرات، ووزعت المنشورات، وأشاعت الاضطرابات، فكيف يُفهم أن يتم الإفراج عنهم بهذه السرعة؟!

قد يكون الأستاذ محمود عبد الحليم نفسه لا يعرف السر – وإن كان عرفه بعد ذلك – ولذلك بنى تحليله السابق على أن الإخوان «سادة الموقف.. ولم يكونوا في يوم من الأيام أقوى مما كانوا عليه في ذلك اليوم»، ومن ثم رسم الخطط والتصورات حول كيفية استثمار هذه الحالة، ولكن هو وحده الذي كان يفكر بهذه الطريقة، ولم يجد تشجيعًا من أحد، لا من المرشد ولا من غيره، واستشاط غضبًا من أجل ذلك.

والسر الذي اكتشفه بعد ذلك هو أن الإخوان عقدوا مع عبد الناصر صفقة، بموجبها تم الإفراج عنهم، ومن آثارها عدم خروج الإخوان في مظاهرات مضادة لعبد الناصر، وكان أول اختبار عملي لهذا الاتفاق ما حدث في مظاهرات ٢٩ مارس ١٩٥٤، والتي كان معلوم سلفًا أن هدفها الرئيس التمكين لأقدام جمال وسحب البساط من تحت أرجل نجيب، وبالفعل لم يشترك الإخوان في هذه المظاهرات، وأصدر المرشد العام بيانًا هادئًا دعا فيه الطرفين المتنازعين إلى المصالحة وإلى عموم الشعب بالهدوء، لقد كانت هذه الصفقة تخليًا واضحًا من الإخوان عن نجيب، وقد تركوه لجمال ليجهز عليه بهدوء.

ينقل الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» -الجزء الثالث- عن صلاح شادي فيقول :

«غير أن جديدًا جد في هذا الموضوع -وإن كان هذا الجديد عليّ أنا شخصيًا- حيث لم يكن لي به سابق علم، ولم أعلم به إلا بعد أن قرأت كتاب «صفحات من التاريخ» للأستاذ صلاح شادي، فقرأت فيه في صفحة ٣٢٦ ما يأتي:

«حتى بعد وضوح غدرته بنا في سنة ١٩٥٤، ودخولنا السجن وخروجنا منه، وزيارة (جمال عبد الناصر) للمرشد في منزله على سبيل الاعتذار؛ حيث طلب من المرشد أن لا نهدده بإخراج مظاهرات تنادي بشجبه ووعده المرشد بذلك، ودعا المرشد في بيان عام جموع الشعب إلى الإخلاد إلى الهدوء بغرض تهيئة الجو للإصلاح بين نجيب وعبد الناصر، فلما خرجت مظاهرات مارس المزيفة توجه الأخوان هارون المجددي وتوفيق الشاوي إلى المرشد حسن الهضيبي وطالباه بإخراج مظاهرات مضادة، فأبى أن يجيبهما إلى ما سبق أن دعا الشعب إلى نقيضه فلا يتسق سره وعلانيته».

وقد طرق سمعي لأول مرة من هذه الفقرة التي اجتزأتها من كتاب الأخ الأستاذ صلاح شادي أنه كان هناك طلب من جانب جمال عبد الناصر أن لا يخرج الإخوان مظاهرات تهدده، وأنه كان قد وعد من جانب المرشد العام بذلك، ثم قرأت في مذكرات معدة للنشر إن شاء الله للأخ الأستاذ عبد الحفيظ الصيفي ما يلي: «عندما اضطر جمال عبد الناصر إلى إخراج الإخوان من المعتقل الأول كانت هناك لجنة وساطة من الأستاذ فؤاد جلال والدكتور عبد القادر سرور، ووضع الطرفان شروطًا: أن يزور جمال المرشد في بيته معتذرًا، وأما من جانب جمال فاشترط أن يلتزم الإخوان الصمت لفترة معينة».

وفي يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤ فوجئت القاهرة بتوقف جميع وسائل النقل بها في الساعة الواحدة ظهرًا ما عدا الترام، ثم بدأت الإذاعة تذيع إضراب العمال بسبب قرارات عودة الحياة النيابية للبلاد، ورغبتهم في الإبقاء على مجلس الثورة، وقد كانت هذه الاضطرابات من تدبير جمال عبد الناصر، وقد أصدر المرشد العام بيانًا للتعليق على هذه الأحداث جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. لا ريب أن مصر الآن تمر بفترة بالغة الدقة والخطورة في تاريخها، بعيدة الأثر في كيانها ومستقبلها، وهي فترة تقتضي من كل مواطن أن يهب البلاد نفسه، ويبذل لها وجوده، ويؤثرها بالخالص من رأيه ومشورته حتى يأذن الله بجلاء هذه الغمة، ويبدل الوطن منها حياة أمن واستقرار ووحدة.

وقد فوجئ الإخوان المسلمون غداة خروجهم من السجن والمعتقلات بتوالي الأحداث الخطيرة التي تتعرض لها البلاد في حدة وسرعة، لم يتيسر معها معرفة أسبابها والعوامل التي تؤثر فيها ثم تحديد وسائل العلاج التي تلائمها.

من أجل ذلك بادر الإخوان المسلمون إلى العمل على أداء واجبهم في التماس المخرج من هذه الأزمة، فبدا لهم أن من العسير أن ترسم الخطط الصالحة، ويوضع العلاج لهذه المشاكل، وتسمع المشورة الصادقة المستقلة في جو الغضب والانفعال، وقد كان رسول الله ﷺ يسأل الله ألا يستجيب له وهو غضبان(١).

لهذا لم يكن بد من الإسراع بلقاء المسئولين والاتصال بطرفي الخلاف؛ للدعوة إلى اتخاذ مهلة تتجنب فيها المضاعفات، وتنتهي فيها حالة التوتر القائمة حتى يتيسر لأولي الرأي والإخلاص أن يتقدموا للمسئولين من الأمة بخطة كاملة مدروسة تكشف عن البلاد هذه الشدة، وتضع الحلول الكفيلة بوقاية البلاد من أن تتعرض لمثلها في أي مناسبة.

وعلى هذا الأساس قام وفد من الإخوان المسلمين برياسة المرشد العام بلقاء البكباشي جمال عبد الناصر في الليلة الماضية، ثم بزيارة اللواء محمد نجيب لانشغاله في هذه الليلة بالاجتماع بجلالة الملك سعود ضيف مصر الكبير، الذي آثرها مشكورًا بكريم وساطته في علاج هذا الموقف العصيب.

ومازال الإخوان المسلمون يواصلون خطواتهم في إقناع المسئولين باتخاذ مهلة، مع قيامهم في الوقت نفسه بدراسة خطة العلاج الشاملة، آملين أن يستجيب المسئولون إلى ندائهم فتتغلب الحكمة والوطنية على بواعث الخلاف والفرقة، ويلتقي الجميع بإذن الله على كلمة سواء.

وإذا كانت الجهود تتوالى في العمل على جمع الكلمة وحل الأزمة، فإننا نناشد شعب مصر الكريم أن يعتصم بالهدوء والسكينة ورباطة الجأش، وأن ينصرف أبناؤه جميعًا إلى أعمالهم في انتظام وطمأنينة، مع التوجه إلى الله العلي الكبير أن يحفظ البلاد من كل سوء، وأن يعين الساعين، ويجمع المسئولين على الحل الكامل السليم الذي يخرج

---

(١) لم نجد في هذا المعنى حديثًا صحيحًا عن النبي ﷺ، والذي ورد عنه أنه قال: «**لا يقضي القاضي بين أثنين وهو غضبان**»، أنظر صحيح الجامع حديث رقم ٧٦٣٥، والله أعلم.

بالبلاد من المأزق الحاضر، ويحفظ وحدة الأمة، ويصون حقوق الشعب وحرياته، ويحقق الاستقرار المنشود في ظل حياة نيابية نظيفة محوطة بالضمانات التي تجنبها مساوئ الماضي، وتوفر الجهود لتخليص الوطن من الغاصب المستعمر، ولمتابعة حركة الإصلاحات الإيجابية التي تستكمل البلاد بها نهضتها.. والله ولي التوفيق».

ومرت أزمة مارس، وتوقفت المظاهرات، وبقي محمد نجيب رئيسًا للجمهورية وجمال عبد الناصر رئيسًا للوزارة، وفى ٤ مايو عام ١٩٥٤أرسل المرشد العام حسن الهضيبي إلى رئيس مجلس الوزراء جمال عبد الناصر خطابًا مطولًا جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى من دعا بدعوته إلى يوم الدين.

السيد رئيس مجلس الوزراء....السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإنكم دون شك تذكرون أنكم اتفقتم معنا على إنهاء الوضع الشاذ الذي أوجده حل جماعة الإخوان المسلمين يوم دعوتم الإخوان إلى تناسي الماضي والتعفية على آثاره، ورأيتم أن خير البلاد ومصلحتها في أن يبدأ الإخوان ورجال القيادة عهدًا جديدًا من التعاون.

وقد سلمتم يومئذ بوجوب إلغاء قرار الحل الخاص بجماعة الإخوان المسلمين، وبالإفراج عن جميع المعتقلين، وبرفع الأثر الذي ترتب على بيان الحل رفعًا صريحًا يغنينا عن التعرض لمناقشة البيان.

وبصرف النظر عن أن المسائل الخاصة بالجماعة لم ينته الرأي فيها إلى ما اتفق عليه، فإن مصلحة الوطن تقتضينا أن نبذل لكم الرأي لحل مشاكله ما نرى أنه يدعو إلى اطمئنان الناس كافة ويحقق الاستقرار الذي لا يمكن بدونه أن يتم شيء من إصلاح الأمور الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الشئون على وجهه الصحيح.

«**والدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1] كما قال الرسول ﷺ، ومن حقنا أن نؤدي لكم الواجب علينا.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم ٢٠٥.

من ذلك أن مصر اليوم تجتاز مرحلة من أدق المراحل التي مرت بها، فنحن جميعًا نهدف إلى تحرير البلاد، وإخراج الإنجليز منها، ولن تخرجهم الخطب والبيانات، وإنما يخرجهم كفاح شاق طويل -ليس هذا موضع بيانه- ونحن لا نريد الدفاع عن أنفسنا فحسب ضد إسرائيل التي استأسدت علينا في الآونة الأخيرة، بل نريد إخراجها من فلسطين، ولا تزال الحرب بيننا وبينها قائمة وإن كنا في هدنة.

وأول ما يجب علينا أن نتخذ العدة لذلك، وأن نعد جيشنا لمهمته الأصلية وواجبه الأول؛ فإن مصر لتحتاج إلى الاستقرار وهو أمر لا ينال بالكلام ولا يدرك بالشدة، ولكنه ينال حينما يشعر الناس شعورًا حقيقًا بأنهم حماة الثورة وحماة ما اتجهت إليه من ضروب الإصلاح، والثورة لابد للمحافظة عليها من أن تحوطها القلوب وتذود عنها، وأما القوة وحدها فإنها لا تحقق الغاية المقصودة، ويدرك الاستقرار كذلك بالعدل والإصلاح والرفق، وأنه لن يغني واحد من هذه عن آخر، وإن للاستقرار وسائل أحب أن أضع تحت نظركم منها ما يأتي:

إعادة الحياة النيابية:

لا ريب أن الحياة النيابية هي الأساس السليم لكل حكم في العصر الحاضر، وإذا كانت تجارب الماضي قد أظهرتنا على بعض العيوب، فمن واجبنا أن نخلي حياتنا النيابية من العيوب وأن نجعلها أقرب ما تكون إلى الكمال.

والأمة لا تتعلم بإلغاء الحياة النيابية في فترة الانتقال، وإنما تتعلم بممارسة الحياة النيابية بالفعل، فلنشرع فورًا فيما يؤدي بنا إليها في أقرب وقت.

إلغاء الإجراءات الاستثنائية (الأحكام العرفية):

فإن الإجراءات الاستثنائية إذا أفادت الهدوء المؤقت والاستقرار الظاهر فإنها تخلق حالة من الغليان وتذكي النار تحت الرماد، ولن يؤمن على مستقبل الوطن إذا اشتعلت النيران.

إطلاق الحريات:

وأود أن تطلقوا الحريات جميعًا وعلى الأخص حرية الصحافة، فإن في ذلك خير مصر وأمنها وسلامها، ولقد رأيتكم تأخذون على الناس أنهم لم يقولوا لفاروق «لا»

حيث يجب أن تقال، وأنتم الآن بفرض الرقابة على الصحف تمنعون الناس أن يقولوا لكم: «لا» حيث يجب أن تقال، وما هكذا تربى الأمة على نصرة الحق وخذلان الباطل.

ونحن لا نسلم بأن تتجاوز الصحافة حدودها، ولا أن يطلق لها العنان لتلبس الحق بالباطل، وإنما نحب أن تترك لتقول الحق في حدود القانون، فإذا تجاوزته حق عليها العقاب، وقد تجدون في معارضة الصحف لكم خيرًا كثيرًا.

وغني عن القول أن إطلاق حريات المعتقلين وبعض المحكوم عليهم من المحاكم الاستثنائية أمر توحي به ضرورة جمع الشمل وتوحيد الكلمة ويوجبه الحق والعدل.

أما الإصلاح فمجاله واسع وفي رأينا أن إصلاح النفوس أولى من كل إصلاح؛ لأنه أساس لكل إصلاح.

والله نسأل أن يرزقنا الصدق في القول والعمل وأن يعصمنا من الزلل وأن يهدينا جميعًا سواء السبيل إنه سميع مجيب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

الخلاف الخامس بين الهضيبي وعبد الناصر:

فى هذه المرحلة من الخلاف بدا لكل طرف من أطراف الخلاف (الإخوان، عبد الناصر) الرغبة في التخلص من غريمه؛ إذ أصبح الوفاق بينهما شبه مستحيل، وهنا لجأت الجماعة عن طريق نظامها الخاص إلى تثوير قواعدها وشحنهم ضد الثورة وعبد الناصر عبر نشرات سرية سماها عبد الناصر حرب النشرات؛ يقول الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث-:

«كان الذين يقومون على إعداد هذه النشرات آراءً وطبعًا وتوزيعًا هم أفراد النظام الخاص الذي كان شبه معطل فتقدم إلى حمل العبء، فما كان لهيئة ذات كيان ضخم كالإخوان المسلمين أن يحجر عليها دون مبرر من قانون فتوصد في وجهها أبواب الصحافة وتمنع من إصدار صحيفة، ثم يحال بينها وبين إبراز رأيها في وريقة تبعث بها إلى أعضائها حتى يتبينوا الأمور ويتضح لهم الطريق.



وقيام النظام الخاص بإصدار هذه النشرات وتفننه في إخفاء المكان الذي تعد فيه، جعل يد عبد الناصر أقصر من أن تصل إليها، وكاد عقله يذهب هلعًا منها.. حتى إنه – وقد عجز عن منعها – حاول أن يخفف من حملتها عليه، وقد جاءني مرة الأخ محمد جودة عضو الهيئة التأسيسية ومن أصدقاء جمال عبد الناصر من قبل الثورة، ويرتبط بي برباط المواطنة، فهو من أبناء رشيد وكان زميلًا لي في المدرسة الابتدائية بها.. **جاءني مرة وأبلغني شكوى جمال عبد الناصر من أن النشرة الأخيرة نسبت إليه أنه عقد معاهدة سرية بينه وبين الإسرائيليين**.. وقد رأى الأخ محمد جودة أن يبلغني هذه الشكوى لما يعلم من صلتي بأعضاء هذا النظام وبقيادته.

وقد تقابلت فعلًا مع الأخ يوسف طلعت ﷺ ومع بعض الإخوة من قادة الجهاز وكلمتهم في هذا الشأن، وقد احتدمت المناقشة بيني وبينهم لأنني – وإن كنت أرى جمال عبد الناصر أسوأ مما يرون – فإنني لا أرضى لنفسي ولا لديني أن أرميه بواقعة معينة ليس معي دليل عليها سوى ما يشيعه زملاء له كانوا محاصرين معه في الفالوجا.. وإذا كان هو قد رضي لنفسه أن يختلق علينا الأكاذيب، فإن ذلك لا يحملنا على نسيان أننا أصحاب دعوة ودين.. ومثل هذا الاتهام لا يأتي استنتاجًا مهما تجمعت قرائن الاتهام».

الإخوان يهاجمون اتفاقية الجلاء:

في أثناء تجول المرشد بين عدد من البلاد العربية في لبنان وسورية وغيرها، وفي ٢٧ يوليه سنة ١٩٥٤ أعلنت حكومتا مصر وبريطانيا موافقتهما على رؤوس موضوعات اتفاقًا لمعاهدة جديدة تسوي النزاع الإنجليزي المصري.

وفي ٢٨ من يولية سنة ١٩٥٤، صرح المرشد من خارج مصر بنقد الاتفاقية؛ لأنها في غير صالح مصر بعد أن تواصل مع الإخوان في الداخل وعلم رأيهم فيها؛ يقول د. زكريا سليمان بيومي في رسالته «الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢– ١٩٨١»:

«وقرر الهضيبي السفر – لمدة شهرين – إلى البلاد العربية، ويبدو أنه قد أشار إلى بعض أعضاء الجماعة بمحاولة استكشاف أبعاد العلاقة مع عبد الناصر، وفي نفس

الوقت كان عبد الناصر يخشى سعي الهضيبي لإثارة سخط البلاد العربية على النظام في مصر، فاجتمع به قبل السفر وحذره من ذلك.

كما حدد عبد الناصر شروطه في عودة العلاقة مع الجماعة لوكيل الجماعة خميس حميدة، وتتمثل في حل الجهاز السري حتى يكون بداية لطريق من التفاهم ثم التعاون.

لكن الموقف سرعان ما خيمت عليه سحب الصدام مرة أخرى على إثر نشر الهضيبي لنقد الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بالأحرف الأولى بين مجلس قيادة الثورة والبريطانيين مظهرًا – بطريق غير مباشر – عدم حرص العسكريين على هذه القضية الوطنية المهمة، ومشيرًا إلى دكتاتوريتهم من خلال ما طالب به من ضرورة طرح هذه القضية على برلمان حر منتخب يمثل الشعب، معيدًا بذلك إلى ساحة الصراع بينهما قضية الحياة النيابية التي رفضها العسكريون.

وأعقب ذلك قيام الحكومة باعتقال العديد من أعضاء الجماعة، واختفى كثير منهم وواصلوا العمل من مخابئهم انتظارًا لما ستسفر عنه الأحداث».

قام الإخوان بعد ذلك في الثاني من أغسطس ١٩٥٤ بتقديم مذكرة شاملة إلى رياسة مجلس الوزراء تشرح وجهة نظرهم فيها، وكانت من توصياتها ما يلي:

«إن أول علاج للموقف في رأينا هو أن توقف المفاوضات الدائرة بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية، وأن يعتبر ما تم منها كأن لم يكن مادامت المفاوضات أساسها المساومة على الجلاء، حتى إذا اعترف الإنجليز بجلاء غير مقيد بقيد ولا مشروط بشرط ولا مرتبط باتفاق على أمر آخر، جاز للحكومة المصرية أن تدخل معهم في محادثات لا تتعدى تنظيم الجلاء، فإذا تم الجلاء وانتهت عوامل الضغط وأسباب المساومة، فإن لمصر أن تفاوض انجلترا، وأن تتفق معها على ما تراه في صالحها.

والخطوة الثانية في علاج الموقف: هو تحقيق ما أعلنته الحكومة الحالية من إعداد الشعب وتربيته تربية عسكرية وبث روح الجهاد فيه، وتجميع صفوفه، وتنظيمها لجهاد كريم هو السبيل الطبيعي لاستخلاص الحقوق وإجلاء الغاصبين والمستعمرين، ويوم تفعل الحكومة فسيكون الإخوان في الصف الأول، وسترى الحكومة كيف سيبيعون أنفسهم وأفراد الشعب الكريم في سبيل الله وتحرير وطنهم.

وإن ذلك الاتجاه لقمين أن يوصلنا إلى الجلاء التام الناجز في أقرب وقت ممكن وأقل كلفة، ولن نبذل من التضحيات والخسائر في سبيل الله بعض ما يصيب البلاد من إتمام الاتفاق المقترح بيننا وبين الإنجليز.

ولا نحب أن نلزم الحكومة الأخذ برأينا في علاج الموقف.. ويكفينا أن تعلم الحكومة المصرية أن مشروع الاتفاق ضار بمصر للأسباب التي ذكرناها، وأن الأمة لا ترضاه ولا تقبله، ولن تسمح بأن تقيد نفسها به، وأن على الحكومة أن تراجع موقفها من الاتفاق، وأن تتخذ منه الموقف بوعي الأمة وجهادها الطويل بأهداف الثورة وما أعلنته منذ قيامها بأنها لا تقبل إلا الجلاء الناجز الطليق من كل شرط وقيد.

هذا ما يرى الإخوان المسلمون التقدم به إلى الحكومة آملين أن تستجيب لهم، فإن أبت إلا المضي فيما بدأته من مفاوضات فإن الأمانة الوطنية تحتم عليها أن تتبين رأى الأمة في هذا الأمر الخطير، الذي لا يجوز أن تستأثر به حكومة دون شعب.

وإذا كان قد فات الحكومة أن تتبين رأى الأمة في المفاوضات قبل البدء فيها، فلا يفوتن الحكومة أن تتبين رأى الأمة في اتفاق الخطوط الرئيسية، ولن يكون ذلك إلا بإطلاق حرية القول والاجتماع وتوفر الحرية للصحف لتنشر كل ما يصل إليها عن الاتفاق.

ولا يغني عن تبين رأي الأمة في اتفاق الخطوط الرئيسية أن يعرض الاتفاق النهائي بعد إتمامه على ممثلي الأمة لإقراره والتصديق عليه، فإن تبين رأي الأمة في الاتفاق قبل المضي فيه يوفر على الأمة وقتها وجهدها، ويجعل الحكومة على بصيرة من أمرها فيما تأخذ وما تدع، وهذا ما جرى به العمل في كل مشروعات الاتفاقات السابقة؛ فقد عرضت على الأمة لاستطلاع الرأي فيها ونوقشت في الصحف وفي الاجتماعات العامة مناقشة حرة لا قيد عليها ولا تثريب على المشتركين فيها».

في هذه الأثناء بدأت تحدث اشتباكات بين الإخوان ورجال الشرطة.. بدأت يوم ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٤ في مسجد شريف بالروضة.. ووقف حسن دوح وكان زعيم الطلبة الإخوان بالجامعة وألقى خطبة تتضمن هجومًا على اتفاقية الجلاء. وبعد الصلاة خرج المصلون في مظاهرة وحدث اشتباك بينهم وبين الشرطة.

وكان من أواخر ما كتبه الهضيبي لجمال عبد الناصر في هذه الفترة، هذا الخطاب التالي:

السيد جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء،،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد. فإني ما زلت أحييك بتحية الإسلام وأقرئك السلام، ولا زلت ترد علي التحية بالشتائم واتهام السرائر واختلاق الوقائع وإخفاء الحقائق والكلام المعاد الذي سبق لكم قوله والاعتذار عنه.

وليس ذلك من أدب الإسلام ولا من شيم الكرام، ولست أطمع في نصحك بأن تلزم الحق فذلك أمر عسير، وأنت حر في أن تلقى الله تعالى على ما تريد أن تلقاه عليه، ولكني أريد أن أبصرك بأن هذه الأمة قد ضاقت بخنق حريتها وكتم أنفاسها، وأنها في حاجة إلى بصيص من نور يجعلها تؤمن بأنكم تسلكون بها سبل الخير، وأن غيركم يسلكون بها سبل الشر والهدم والتدمير، إلى آخر ما تنسبون إليهم.

إن الأمة في حاجة الآن إلى القوت الضروري؛ القوت الذي يزيل عن نفسها الهم والغم والكرب، إنها في حاجة إلى حرية القول، فمهما قلتم إنكم أغدقتم عليها من خير فإنها لن تصدق إلا إذا سمحتم لها بأن تقول: أين الخير؟ وسمحتم لها بأن تراه.

ومهما قلتم إنكم تحكمونها حكمًا ديمقراطيًا فإنها لن تصدق؛ لأنها محرومة من نعمة الكلام والتعبير عن الرأي، وإذا حققتم ذلك فإننا نعدكم بأن نذكر الحقائق ولا نخاف من نشرها، ونصدق القول ولا نشوبه بالكذب والبهتان والاختلاق، ولا نتهم لكم سريرة، ولا نبادلكم فيما تضمرون وتدخرون في أنفسكم ولا نجاري بعض وزرائك فيما يكتبون من غثاثه وإسفاف.

وإنما نعدكم – كما هو شأننا – بأن نناقش المسائل مناقشة موضوعية على ما تعطيه الوقائع التي ترضونها أو تصدر عنكم، أما أن تعطوا أنفسكم الحق في الكلام وتحرموا الناس منه، وأما أنكم تفرضون آراءكم (بالنبوت) على الأمة فشيء لا يعقله الناس ولا ترضاه الأمة.

أيها السيد: إن الأمة قد ضاقت بحرمانها من حريتها فأعيدوا إليها حقها من الحياة، وإذا كان الغضب على الهضيبي وعلى الإخوان المسلمين قد أخذ منك كل مأخذ

فلكم الحق أن تغضبوا – وهذا شأنكم – ولكن لا حق لكم في أن تحرضوا الناس على الإخوان المسلمين – وتغروهم بهم.

وليس ذلك من كياسة رؤساء الوزارات في شيء؛ فإنه قد يؤدي إلى شر مستطير وبلاء كبير، ومن واجبكم أن تحافظوا على الناس مخطئهم ومصيبهم، وأن تجمعوا شمل الأمة على كلمة سواء، وأنكم لا شك تعلمون أن الإخوان المسلمين حملة عقيدة ليس من الهين أن يتركوها ولا أن يتركوا الدفاع عنها ما وجدوا إلى الدفاع سبيلًا، فإغراء بعض الأمة بهم وتحريضهم عليهم من الأمور التي لا تؤمن عواقبها.

وإنني أؤكد لكم أن في وسعك أن تمشي ليلًا أو نهارًا وحدك بلا حراس وفي أى مكان دون أن تخشى أن تمتد إليك يد أحد من الإخوان المسلمين بما تكره، أما أن يمد أنصارك أيديهم بالسوء إليهم استجابة إلى إغرائك فإن مسئوليتك عند الله عظيمة، ولعل الذي حملك على إبداء العداوة والبغضاء للإخوان المسلمين هو أنهم عارضوا المعاهدة، فالإخوان المسلمون لن يؤمنوا بها دون أن تناقش في برلمان منتخب انتخابًا حرًا يمثل الأمة أكمل تمثيلٍ.

حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

الفرصة الأخيرة: محاولات الأستاذ محمود عبد الحليم رأب الصدع بين الجماعة وعبد الناصر:

نترك المجال في هذا الفصل من الرواية للأستاذ محمود عبد الحليم ليقص شهادته وتجربته الشخصية التي سعى فيها جاهدًا لإنقاذ الجماعة من مخاطر هلاك محقق، ومع أن هذه المحاولات جاءت متأخرة جدًا إلا أنه كانت هناك احتمالات لانفراج الأزمة والحيلولة دون وقوع الصدام، ولكن قدر الله وما شاء فعل، تصدى له بعض قادة الجماعة ممن فضلوا الصدام المدمر على الرجوع ولو خطوة واحدة إلى الوراء، وقد أفرد الأستاذ/ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» -الجزء الثالث- صفحات عديدة تحكي هذه التجربة الأليمة، نقتطف منها ما يلي:

محاولة للإنقاذ:

«وصلت إلى القاهرة، واتجهت فورًا إلى دار المركز العام، فراعني ما رأيت، رأيت

دارًا غاب عنها أهلها، ولم يبق بها إلا عدد ضئيل، وهذا العدد الضئيل هم الإخوة الذين أطلق عليهم «مجموعة الروضة» [(١)]، ورأيت بجانبهم الدكتور محمد خميس حميدة رحمه الله، وما كان بي حاجة للسؤال عن الغائبين فأنا أعرف أين غابوا ولم غابوا؟ فبعضهم غيبته المعتقلات، والبعض الآخر عرفوا أنهم متعقبون فحاولوا الاستخفاء حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

ولكن الذي سألت عنه هو الأستاذ المرشد العام؛ لأنني كنت حريصًا على الالتقاء به لأتبادل معه الرأي، وأستنير بتوجيهه، وأبثه ما عندي، سألت عنه الدكتور خميس، فقال لي: إنه مختف، فسألته عن سبب اختفائه، فقال لي: إنه مهدد بالاغتيال.. فسألته عما إذا كانت الاتصالات مستمرة بيننا وبين جمال، فقال لي: إنها انقطعت تمامًا.. ووجدت الرجل في حال من الأسى والحزن كما رأيت ذلك مرتسمًا على وجوه العدد القليل الموجود بالمركز العام.

وقد جلست إلى الإخوة «مجموعة الروضة» وحدثتهم عما كان من أمري حتى استطعت أن أحضر إلى القاهرة؛ لأنني أحسست أن الحالة في تفاقم مستمر – وقد وجدتها كذلك – فالحالة تتلخص في أن الإخوان في القاهرة والمركز العام يعيشون في ظل سلطة إرهاب لا حدود لها.

وقد وجدت أن الإخوان بالمركز العام يغذون إخوان الأقاليم بسيل من المنشورات، منها خطابات موجهة إليهم من المرشد من مخبئه، ولاحظت أن هذه المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتهاب في أعصاب الإخوان ضد الحكومة، حتى إن بعض هذه المنشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء [(٢)]، كما وجدت حملة الصحف المصرية قد وصلت في إثارتها للإخوان بنشر الأكاذيب واختلاق التهم،

(١) مجموعة من الإخوة الموالين للمرشد، وكان أكثرهم يسكن في حي الروضة حيث يسكن المرشد العام، وقد اقتضت الظروف في ذلك الوقت الإبقاء على مكتب الإرشاد كما هو دون تغيير ولا تبديل، فرأى الهضيبي أن يستعين بجانب هذا المكتب بمجموعة من الإخوان يطمئن إليها ويثق فيها، فكان يكل إليها الكثير من المهام، لذلك سموا بمجموعة الروضة.

(٢) هذه هي حرب المنشورات التي أشرنا إليها آنفا، وكما هو ظاهر لوثة التكفير واستباحة الدماء فيها ظاهرة.

وقلب الحقائق، واستعداء الشعب عليهم إلى الحد الذي لا يستطيع الإخوان أن يملكوا أعصابهم معه.

وهنا وجدتني مطالبًا – أمام ضميري ومن أجل دعوتي وإخواني – بالقيام بعمل ما يضع حدًا لهذا التفاقم المستمر، والغليان الذي لن يملك أحد أن يسيطر عليه بعد ذلك، كان لابد لي من الإقدام على ما كنت أنفر منه من قبل؛ وهو أن أقوم بلقاء مع الطرف الآخر لإجراء تفاهم بعد أن انقطعت الاتصالات، وأنا أعلم أنني شخص غير مقبول عند رجال الثورة، بل إنهم يعتبرونني من ألد أعدائهم، ولكن لابد مما ليس منه بد.

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوًا له ما من صداقته بد

لقد كنت أرى صدامًا عنيفًا مدمرًا[١] **يوشك أن تسيل الدماء فيه أنهارًا**، تتجمع سحبه في سماء مصر.. **ولن تكون أرواح الألوف وحدها ضحية هذا الصدام، وإنما سيأتي هذا الصدام على الأخضر واليابس، ويحيل هذا البلد الطيب إلى حطام**، فحكومة الثورة وراءها **الجيش المصري بكل إمكاناته** بعد أن أخرجت منه كل الأحرار وذوي المبادئ.. وأنا في نفس الوقت أعرف **قوة الإخوان الروحية والمادية**[٢].

ولاحظت أن جمهور الإخوان يشحنون شحنًا مضاعفًا؛ ففي نفس الوقت الذي تقوم النشرات السرية التي يصدرها المركز العام بالشحن، تقوم الحملة الصحفية الاستفزازية بمضاعفة هذا الشحن.. فكان لزامًا على كل من يستطيع أن يصنع شيئًا لتخفيف هذا التوتر أن يتقدم دون توانٍ ولا تأخر، فإن كل ساعة لا تزيد النار إلا

---

(١) حديث الكاتب عن الصدام العنيف المدمر ليس له إلا احتمالين:

إما أن يكون مجرد تخمين وتوقع؛ حيث إن النشرات الملتهبة التي ترمي رجال الثورة بالكفر لن يكون لها نتيجة إلا الصدام والمواجهة.

وإما أن يكون لديه معلومات مؤكدة بنية الإخوان في الدخول في صدام عنيف مدمر، وهذا الذي جعله ينهض من مكانه في أقاصي الصعيد ليأتي إلى القاهرة محاولًا إنقاذ الموقف، وهذا ما نرجحه.

(٢) كما ترى، يتأكد الكلام على صدام يأكل الأخضر واليابس، وهذا الصدام بين الجيش وبين الإخوان المتسلحين بالقوة الروحية والمادية.

اشتعالًا.. وقد رشحت نفسي لهذا الأمر دون أن يرشحني أحد، ورأيتني مسئولًا أمام نفسي وأمام الله ﷻ إذا تخلفت عن هذا الموقف..

ولكنني فكرت، كيف يتم لي ما أريد؟! وأطلت التفكير حتى كاد ينتهي بي إلى ما يشبه اليأس.. ولكن بريقًا من الأمل لاح في الأفق حين تذكرت صديقًا من أعضاء الهيئة التأسيسية هو الأخ الحاج محمد جودة، وقلت إنه كان زميلًا لي في المدرسة الابتدائية في رشيد، وإنه صديق شخصي حميم لجمال عبد الناصر وزملائه الضباط من قبل قيام الثورة لأنهم كانوا عملاءه في محله لتجارة الأرز الرشيدي في شارع الموسكي، وقد ظلت صلتهم به بعد قيام الثورة على ما كانت عليه قبلها – وقد رأيت فيه خير سفير بيني وبينهم.

وكانت حاشية جمال عبد الناصر التي لا تكاد تفارقه حيث كان حتى وهو في بيته مكونة من ثلاثة ضباط هم: الصاغ إبراهيم الطحاوي، والصاغ أحمد طعيمة واليوزباشي عبد الرحمن نصير، وهذا الأخير كانت مهمته مهمة حراسة، أما الآخران فكانت مهمتهما مهمة سياسية.

وتحدثت مع الأخ محمد جودة في العلاقات بين الثورة والإخوان وما آلت إليه من تدهور، وأبديت رأيي في أننا يجب أن نعمل على تلافي هذا الأمر، فقال لي: هذا واجب، ولكن من الذي يقوم بهذا من الإخوان بعد أن امتنع المكلفون منهم بهذا الاتصال عن الاتصال؟ فقلت له: إن جمال عبد الناصر هو الذي رفض مقابلتهم، **فقال: نعم لقد رفض مقابلتهم لأنه وجد أعضاء اللجنة المختصة بالاتصال سيئي النية ولا يريدون الإصلاح، بل هدفهم هو زيادة العلاقات سوءً لأنهم لا ينقلون ما يتفق عليه بأمانة**[1]، بقصد إيغار صدور الإخوان.

---

(١) هذا الكلام من أعجب ما يكون، فكيف يعطى السمع والطاعة المطلقين لمن لا يرعى أبسط قواعد الأمانة في التعامل؛ انتصارًا لنفسه وتحقيقًا لمصالحه، ويبدو أن هذا كان أمرًا معروفًا بدليل استجابة المرشد له، ومعرفة عبد الحليم به.



قلت له: إن الأستاذ المرشد – توخيًا لتحسين العلاقات – نحى هذه اللجنة، وكلف الدكتور خميس نائب المرشد بالقيام بمهمتها، فلما قام الرجل بالمهمة مرة ومرتين رفض جمال مقابلته بعد ذلك فما السبب؟ **قال: السبب أن جمال كان يعتقد أن الدكتور خميس وهو نائب المرشد العام يستطيع أن ينفذ ما يتفق عليه في هذه الاتصالات، ولكنه تبين أنه مجرد لقب بدليل أنه لم يستطع أن ينفذ شيئًا مما اتفق عليه؛** فلقد تعهد في أحد الاتصالات لجمال بأن يوقف إصدار النشرة السرية فترة من الزمن اتفق عليها.. ولكن النشرة صدرت في مواعيدها.

ومن حق التاريخ أن أقف هنا لأقرر صحة هذه الواقعة، فلقد شكا إليّ الأخ الدكتور خميس من هذا التصرف مر الشكوى، **وقد تحدثت في ذلك مع المسئولين من أعضاء النظام الخاص معاتبًا**[1]، وذكرتهم بقول رسول الله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يَدٌ على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم**»[2] وقلت لهم: إذا كنا مطالبين بأن ننفذ عهدًا قطعه لأعدائنا أدنانا منصبًا ومكانة في مجتمعنا فكيف إذا كان الذي أعطى العهد من أعلانا منصبًا ومكانة؟!!

كما ذكرتهم بموقف أبي عبيد أحد قواد جيش المسلمين في فتح فارس حين كان جيش المسلمين محاصرًا أحد المواقع، وكان «جابان» قائد جيش الفرس فاجرًا عنيدًا تمنى المسلمين أن يظفروا به ليقتلوه، وكان أن أسره أحد صغار الجند ثم أمنه فرآه المسلمون فأخذوه إلى قائدهم أبي عبيد ليقتله، فلما علم أن أحد صغار جنده مطر بن فضة أمنه أبى أن يقتله وقال: لا أغدر، وتركه.

وأنا حين أذكر هذا الذي أذكره لا أدعي أن تنفيذنا لما تعهد به الأخ الدكتور خميس كان سيغير الوضع – فهذا شيء كان في قبضة القدر – ولكنني كنت حريصًا على أن لا

---

(١) من هنا يتضح أن الإدارة الحقيقية للجماعة كانت في يد النظام الخاص، ولا دخل للهيئات الرسمية داخل الجماعة بشيء من التوجيه والإدارة.

(٢) صحيح. رواه: أحمد، وأبو داود، والنسائي، والحاكم؛ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «جامع الأصول» (١٠/٢٥٤ و٢٥٥)، «مصابيح السنة» (٣/٩٢)، «صحيح سنن النسائي» (٣/٩٨٢-٩٨٤).

نتصرف تصرفًا يتعارض مع مبادئ ديننا ودعوتنا، ونضع في يد خصمنا حجة يشهرها في وجوهنا، ويستطيع أن يذيع بها على أنها دليل على تخبطنا واضطراب أمرنا.

فقلت للأخ محمد جودة: هل هناك مانع من أن أقوم أنا بمهمة الاتصال؟

فإذا به يتلقى هذا السؤال بدهشة كأنها مفاجأة.. وسكت لحظة ثم اتجه إليّ كأنه كذب سمعه قائلًا: أنت تقوم بهذه المهمة؟! قلت: نعم أنا. قال: هذا شيء لم يكن يتوقع. قلت: يا أخ محمد.. ليس في هذا غرابة، إننا جميعًا جنود في هذه الدعوة، نستجيب لندائها في أي لحظة، ومن حقها عليّ في هذا الموقف – وقد انقطعت الاتصالات بيننا وبين رجال الثورة وتأزمت الأمور – أن نحاول معالجة الأمور، ونضع حدًا لهذا التفاقم الذي لا يعلم إلا الله مدى ما يخلفه من آثار على البلاد.

قال الأخ محمد: إنني أرحب بهذه الخطوة، ولكن ما الذي تقترح عليّ أن أفعله؟ قلت: تهيئ لي في محلك اجتماعًا لي مع الطحاوي وطعيمة.

جاءني الأخ محمد جودة في اليوم التالي وأخبرني بأن الطحاوي وطعيمة تلقيا نبأ رغبتك في الاجتماع بهما بدهشة واستغراب، وقالا: إننا نعتبر فلانًا هذا أشد من الهضيبي نفسه، ولكنهما رحبا بالاجتماع، وسيكونان عندي مساء اليوم في الساعة السادسة إن شاء الله في انتظارك.

رتبت في خاطري الطريقة التي أدير بها المناقشة بيني وبينهما، **وكانت تدور على محورين:**

أولهما: أن أشعرهما أنني أتكلم من موقع قوة.

والآخر: أننا نحن الإخوان مع ما نملك من قوة نؤثر السلام على أن يقوم على دعائم أخوية متكافئة».

هذا هو التكتيك الذي رسمه محمود عبد الحليم في مخيلته ليواجه به رجال الثورة، وهو تكتيك سياسي متبع في المفاوضات، ولكن المشكلة تكمن في سوء تقدير الإنسان لقوته وقوة من حوله، الحاصل أنه كانت هناك مفاجأة مذهلة نزلت على رأسه كالصاعقة، وهي أن جميع ما يظنه الإخوان أسرارًا كانت عند عبد الناصر معلومات طازجة تصل أولًا بأول؛ فكتب تحت عنوان: المفاجأة المذهلة يقول:

«ذهبت في الموعد المحدد إلى محل الأخ محمد جودة، والتقيت بالرجلين، وكان أول لقاء لي معهما، فتلقياني بترحيب وود، وما إن تبادلنا عبارات التحية والترحيب حتى ألقيا في وجهي بقنبلة مدوية أذهلتني وأذهبت صوابي، ونسفت كل ما كنت أعددته في خاطري، وغشت على عيني فظللت برهة لا أكاد أرى شيئًا أمامي لهول الصدمة، وفظاعة المفاجأة.. لقد تبددت أفكاري، وانعقد لساني، وارتج عليّ.. ولولا بقية من إيمان لجأت بها إلى ربي لما استطعت أن أواصل جلستي معهما.. ولكنني استلهمت ربي الذي عودني أن يكون بجانبي في لحظات تدلهم فيها الأمور وتنقطع أسباب الرجاء.

وكانت المفاجأة هي أنهما في أثناء ما أزجيا لي من عبارات الترحيب، قال أحدهما – ولا أذكر من منهما – موجهًا السؤال إليّ: ولكن يا فلان، لماذا لم تقبل المنصب (الفلاني) الذي عرضه عليك الأستاذ الهضيبي يوم كذا عندما اجتمعتما على انفراد بمكتبه بالمركز العام؟».

وسبب المفاجأة كما يقول عبد الحليم هو: «كان الاجتماع الذي ضمني والأستاذ المرشد على حدتنا لا ثالث معنا إلا الله في حجرة مكتبه بالمركز العام، وأبواب المكتب كانت مغلقة، طلب إليّ الأستاذ المرشد في هذه الجلسة الثنائية طلبًا بموضوع يعد في دعوة الإخوان المسلمين هو أدق أسرارها، ذلك أنه طلب إليّ أن أتولى قيادة النظام الخاص.

فلم أتوان عن الاعتذار عن إجابة هذا الطلب، فقال لي: أنت موضع ثقتي، ولك صلة قديمة بهذا النظام، والعاملون فيه يكنون لك الحب والثقة والاحترام، وأراك خير من يصلح لهذا المنصب، فقلت له: إنني أعتز بثقتك في، ولعلك تحس بأنني أبادلك هذه الثقة، وإنني على استعداد أن أكون حيث تريد في هذه الدعوة، ولكن الظروف التي وضعت فيها أصبحت تحول بيني وبين هذا المنصب، لقد كنت طيلة حياتي أتحاشى الظهور والشهرة، ولقد اعتذرت لهذا السبب عن عضوية مكتب الإرشاد حين عرضتها عليّ من قبل، ولكن الظروف والاستجابة لنداء الدعوة في أحرج مواقفها أجبرتني أن أتولى عملًا لم يكن لي خيار في تفاديه وكان سببًا في توجيه أنظار الجميع إليّ في أنحاء البلاد أعداءً وأحباء، وذلك بنشر اسمي تحت قرارات خطيرة في جميع الصحف، ورجل أصبح اسمه على كل لسان لا يجوز أن يتولى عملًا طبيعته السرية.

كما أن الأستاذ حسن الهضيبي من الشخصيات ذات الخبرة بالأمور السرية، وذات المقدرة على كتمان الأسرار، ولا يمكن أن يكون قد باح بما دار بيني وبينه من حديث لأي إنسان.

إذن فكيف وصل نبأ هذا السر الدفين – الذي لا يعرفه أقرب الناس إليّ ولا أقرب الناس إلى المرشد العام – إلى هذين الضابطين، حتى وجها إليّ هذا السؤال المحدد بالتاريخ والمكان على سبيل التحدي، بل على سبيل التهكم؟.. إنهما أرادا أن يفجعاني في أعز ما نعتز به، وهو مقدرتنا على حفظ أسرارنا، إنها إشارة واحدة، وكلمات وجيزة، أرادا أن يقولا لي: ابدأ كلامك معنا كما تشاء بعد أن تعلم أن كل أسراركم عندنا.

لقد ضاقت الدنيا في وجهي، واسودت أمام عيني، وكاد يغشى عليّ من هول المفاجأة، وهما يطلقان نحوي هذه القنبلة مبتسمين زيادة في التهكم والتحدي والسخرية، موقف عدو ملك من أمرك كل شيء، وأصبحت بكل إمكاناتك في قبضة يده أو بين فكيه».

تكتيك جديد:

«كنت معدًا نفسي على أساس أني سأتحدث من موقع القوة إلى قوم هم في رهبة مني لأنهم لا يعرفون ما ورائي، ولكنني فوجئت بأن أدق أسراري عندهم.. فعليّ إذن أن أغير أسلوب حديثي معهم، قد فعلت، إذ قلت لهما: دعونا نتكلم فيما جئنا من أجله، إني رأيت الخلاف بيننا وبينكم قد تفاقم أمره مع أننا جميعًا إخوة، وقد علمت أنكم تتهمون لجنة الاتصال التي بيننا وبينكم بأنها مغرضة وليست أمينة على نقل ما يقال في الاتصالات، ولما كنت حريصًا على أن لا يأخذ الخلاف هذا الوضع الخطير؛ فقد رأيت أن أقوم أنا بهذا الدور؛ آملًا أن أوفق فيما لم يوفق فيه غيري، وأنا ليس لي من هدف شخصي كما تعلمون، فما رأيكم؟

قال الرجلان: إننا نرحب بكل ما يقرب بين وجهات النظر.

قلت: أما وقد وافقتما على هذا المبدأ، وعلى أن أقوم بهذه الوساطة؛ فالخطوة التالية هي أن أعرض عليكم مذكرة أعددتها ولكني آثرت قبل أن أعرضها عليكم أن أعرف مدى استعدادكم للتفاهم، فإلى موعد آخر قريب إن شاء الله في بيت الأخ الحاج محمد جودة.

المذكرة:

«لم أكن أعددت مذكرة كما ذكرت، وإنما هي إحدى الأفكار التي نشأت في خاطري حين أفقت من المباغتة التي واجهني بها الضابطان، وكان عليّ إذن أن أعد هذه المذكرة في أقرب وقت، فذهبت إلى المركز العام الذي كان في ذلك الوقت شبه مهجور، فكل حجراته خالية ماعدا الحجرة التي يجلس فيها الدكتور خميس والإخوة المسمون «بمجموعة الروضة»..

وعكفت في إحدى حجراته على كتابة المذكرة، وقد شغلت المذكرة نحو ثلاث صفحات من الفلوسكاب، وكانت على صورة خطاب موجه مني إلى الأستاذ المرشد العام.

ولم تكن هذه المذكرة متعددة الصور بل كانت من صورة واحدة، ولذا فإنها فقدت أو أحرقت ضمن ما عبث بإحراقه مأجوروا جمال عبد الناصر فيما بعد بالمركز العام – ومع طول المدة التي كانت كفيلة بإنسائي ما كتبته بها، إلا أنها كانت ذات أهمية خاصة عندي فعلق في خاطري ما بنيت عليه من أفكار.. وتدور هذه الأفكار على النحو الآتي:

بدأتها بالتنويه برباط الأخوة الإسلامية بين رجال الثورة وبين الإخوان المسلمين، ثم أشرت إلى دخول شياطين الإنس والجن بين الطائفتين، مما نشأ عنه اختلافات بدأت صغيرة، وأخذت في الكبر حتى تفاقمت، وكادت تنذر بشر مستطير، ولا أعفي طائفة من الطائفتين من ملام على انسياقها لداعي التباعد وتوسيع شقة الخلاف، حتى وصل الأمر إلى حد لا يليق أن يصل إليه الطائفتان من المسلمين، **فإحداهما استباحت إلصاق التهم بالأخرى وعاملتها معاملة العدو، والأخرى رمت أختها بالكفر لأنها نكثت عن الحكم بكتاب الله وما يستتبع ذلك من استباحة الدم.**

ثم قلت: إنني أرى أن الانسياق مع داعي الخلاف قد خرج بكلتا الطائفتين عن الجادة، وعلى كل منهما أن تعيد النظر في موقفها وفي حكمها على الأخرى، لتصب إلى حكم صحيح غير ناشئ عن ثورة الغضب؛ فعلى الإخوان أن ينظروا إلى رجال الثورة على أنهم إخوان لهم ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وسردت الأعمال الطيبة التي قاموا بها من الإفراج عن الإخوان المسجونين، وإعادة التحقيق في قضية اغتيال الإمام، وعزمهم على إقامة السد العالي وغيرها مما لا أذكره الآن، وقلت: إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة، ومثل هؤلاء لا ينبغي رميهم بالكفر، وهناك مندوحة..

ثم نعيت على الطرف الآخر إلصاق التهم بالإخوان واعتبارهم أعداء ينالون بها ينال به الأعداء، وقلت: إن على رجال الثورة أن لا يستجيبوا لدواعي الغضب فينسوا أن الإخوان هم الذين تحملوا ما تحملوا في سبيل التمهيد لقيام هذه الثورة، وهم الذين آزروها ووقفوا بجانبها، وهم وحدهم الذين يستطيعون أن يبثوا روح الإيمان والجهاد في نفوس هذه الأمة، وهو ما لا غنى عنه لثورة تريد أن تنقذ هذه البلاد من وهدتها.

ثم قلت: إنني أرى أن يراجع كل طرف من الطرفين نفسه، وينظر إلى الآخر النظرة التي صورتها متجردًا من ثورة الغضب وهياج الانفعال، ثم نبحث عن طريقة للتقريب بين الطائفتين وإصلاح ذات بينهما.

واقترحت لذلك الإعداد لاجتماع بين الطرفين لا يكون في المركز العام ولا في دار من دور الحكومة، بل يكون برضاء الطرفين، ورشحت لذلك منزل الأخ الحاج محمد جودة على سبيل المثال – على أن يحضر هذا الاجتماع ممثلون عن الإخوان لا من القاهرة وحدها ولكن من جميع محافظات القطر، واقترحت أن يمثل كل محافظة اثنان من الإخوان – يجتمع هؤلاء الإخوان بالبكباشي جمال عبد الناصر ومعه من يشاء من رجاله..

ويقوم كل طرف بعرض وجهة نظره، وتناقش الطرفان في جو من التفاهم والرغبة في الوصول إلى نقطة التقاء، وبذلك لا يدعي أحد الطرفين أن رسل الطرف الآخر أساءت فهم ما صدر عنه أو حرفت نقله بحسن نية أو بسوء نية، وبذلك نقطع الشك باليقين، ونكون قد وضعنا ممثلي الطرفين وجهًا لوجه، والوصول إلى نتيجة طيبة شيء مأمول بإذن الله».

أضواء علي المذكرة:

«هذا هو ملخص ما جاء في هذه المذكرة، ويحسن أن ألقي بعض الضوء على ظروف أحاطت بهذه المذكرة أوجزها فيما يلي:

١ – كان صدور هذه المذكرة مني شيئًا مفاجئًا للجميع؛ أما مفاجأته للطرف الآخر -أي: رجال الثورة- فقد أومأت إلى ما صدر منهم من عبارات التعجب والدهشة لا للمذكرة فحسب بل لمجرد تعرضي للوساطة.. وقد وضحت الظروف المؤلمة التي رأيتها في المركز العام بعد رجوعي من قنا، مع اختفاء المرشد العام خشية اغتياله، وأما مفاجأته لطرفنا نحن الإخوان فكانت أشد؛ لأنني كنت دائمًا أنأى بنفسي عن الاتصال بالطرف الآخر لعدم ثقتي فيه.

٢ – كان الإخوان لاسيما إخوان الأقاليم في موقف لا يحسدون عليه؛ فقد وقعوا تحت تأثير شحن متواصل لا ينقطع من جميع الجهات، فالحملة الصحفية المضللة المستفزة تحملها الصحف وتنقلها الإذاعة كل صباح ومساء إلى أعينهم وأسماعهم فتلهب لها صدورهم وتشتعل مشاعرهم، **ثم يذكي هذه النار ويؤججها ما يصدر عن المرشد العام من مخبئه بين يوم وآخر من منشورات لاهبة** [1].

٣ – لمست الأسلوب الناري الذي يصدر به المرشد العام منشوراته أنه يصدرها بإحساس الذي يشعر أنه في موقع قوة.. وهو ما كنت أنا شخصيًا أعتقد أنه موقفنا جميعًا نحن الإخوان قبل أن تتكشف لي الحقيقة المرة عند لقائي بالضابطين، وقد وجدت لزامًا عليّ أن أتصل بالأستاذ المرشد لإحاطته علمًا بهذه الحقيقة..

فطلبت من الإخوة «مجموعة الروضة» أن يسهلوا لي مهمة الوصول إلى المرشد في مخبئه لإحاطته علمًا بتطورات هي في غاية الخطورة تتصل بسر بيني وبينه، فكان ردهم عليّ ردًا لم أكن أتوقعه من مثلهم لمثلي وهم يعلمون مدى ما أدين به من إخلاص للدعوة وقائدها.

ولكنهم كانوا يتصورون في ذلك الوقت أن مجرد اتصال أخ أيًا كان بالطرف الآخر بعد انقطاع الاتصال الذي أشرت إليه **يعد انحرافًا بل خروجًا على الدعوة وقيادتها،**

---

(١) ليس هذا سلوك من يخشى على نفسه من الاغتيال، بل هو سلوك من يختبئ لكي يشعل حربًا شعواء لا يريد أن يكتوي بنارها، أو أن تلحقه شظاياها.

ولذا فإنني مع شدة تأثري من ردهم عليّ بإنكارهم معرفة مكان المرشد، فإنني التمست لهم العذر؛ لأنهم لا يعلمون ما أعلم، ولولا بقية ثقة منهم فيّ لرموني بما كانوا يرمون به أي أخ غيري من الخروج على الدعوة والقيادة.

٤ - من العجيب أن الدكتور خميس - وهو نائب المرشد العام - **لم يكن يعرف مكان المرشد، وقد طلبت منه قبل أن أطلب من إخوة الروضة أن يصلني بالمرشد فأقسم لي أنه لا يعرف مكانه**، ولم يكن رده مفاجأة لي بل كنت أتوقعه؛ فقد سبق أن ذكرت أنه حين كان مفوضًا في الاتصال بجمال عبد الناصر تعهد لجمال بتعهدات خذله فيها الإخوان.

ومع ذلك فقد ظل الرجل مرابطًا بدار المركز العام ليل نهار تاركًا بلده - المنصورة - وأسرته ومصدر رزقه - صيدليته - على أمل أن يستطيع أداء خدمة لدعوته وإخوانه في أحرج الأوقات وأعقد الظروف.

٥ - سلمت المذكرة التي أعددتها للدكتور خميس باعتباره نائب المرشد وطلبت إليه أن يقرأها ويبدي لي رأيه فيها، كما طلبت إليه أن يطلع عليها الإخوة «الروضيين» باعتبارهم المسئولين الفعليين عن الدعوة في غياب المرشد، وقد فعل، وقال لي: إنه يؤيد كل ما جاء فيها، فطلبت إليه عرضها على أعضاء الهيئة التأسيسية في جلسة الهيئة المقرر عقدها في ٢٤ سبتمبر ١٩٥٤ والتي ستعقد بعد أيام قلائل».

لقاء عاصف مع حبيب:

«في صبيحة اليوم التالي حضر إلى المركز العام - حيث كنت أقضي أكثر وقتي فيه - الأخ الأستاذ عبد القادر عودة، وكانت تربطني به غير الأخوة العامة صداقة حب متبادل، وبعد أن صافحني طلب إليّ أن نجلس معًا جلسة على انفراد، فجلسنا في إحدى حجر المركز العام التي كانت كلها خالية وأغلقنا علينا الباب، ثم سألني عن الدافع الذي دفعني إلى كتابة هذه المذكرة، فقلت له: إن الذي دفعني إلى ذلك هو الآتي:

أولاً: انتقالنا من مركز القوة إلى مركز الضعف بتضييعنا الفرصة بعد خروجنا من المعتقل في مارس ١٩٥٤؛ حيث أضعنا الوقت في تبادل التهاني بخروجنا منتصرين في

حين استطاع جمال عبد الناصر أن ينتهز هذه الفرصة ويعد مظاهرات الحكومة – سواء بالرشوة أو غيرها –؛ مما أحبط كل الجهود، وقضى على كل الآمال، فقد أمكنه بذلك تبادل المواقف، فاحتل موقفنا الذي هو مركز القوة، ونقلنا إلى موقعه الذي كان مركز الضعف، وبذلك انتقلنا منذ ذلك اليوم من موقف المهاجم إلى موقف المدافع، وهذا التغيير في الأسلوب لا يمس أفكارنا ولا أهدافنا، ولكنه يتيح لهذه الأهداف وهذه الأفكار الفرصة.

ثانيًا: أن استمرار شحن الإخوان عن طريق منشورات المرشد الملتهبة وهو بعيد عن مجريات الأحداث، وعن طريق حملات الاستفزاز التي تطفح بها جميع الصحف كل يوم لابد أن ينتهي بكارثة، في الوقت الذي أرى فيه المركز العام خاليًا من الإخوان؛ فالمرشد غائب خشية أن يغتال، وصفوة الإخوان بين معتقل وهارب من السلطة..

هذا وضع لا ينبغي السكوت عليه، ولا تركه يزداد كل يوم تفاقمًا دون وضع حد له يتيح لهذه الجموع الضخمة اللاهثة من الإخوان أن تتنفس بحرية، وتدرس الموقف دراسة متأنية مستبصرة قبل أن تقدم على معركة لا يقدر أحد مدى ما تنتهي إليه، ولا ما تتمخض عنه، لاسيما إخوان الأقاليم الذين لا يعرفون الكثير مما يعرفه إخوان القاهرة من ظروف وتطورات.

ثالثًا: أن التقائي بالضابطين الطحاوي وطعيمة كشف لي عن حقيقة ما كنت أتصورها؛ هي أن أدق أسرارنا عندهم بتفاصيلها؛ فلقد واجهاني بأسرار خطيرة تتصل بي شخصيًا لا يعرفها إلا المرشد، وأنهم متمكنون منا تمكنًا يلزمنا أن نعيد النظر في جميع خططنا.

ولن نستطيع ذلك إلا إذا عملنا على إيجاد فرصة نتخلص في خلالها من حالة التشنج والثورة والعصبية التي صرنا فريسة لها.. وهذا هو ما أسعى إليه.

فلما أنهيت كلامي اتجه إليّ الأخ الأستاذ عبد القادر، وقال لي: **أطمئنك بأننا لسنا في مركز ضعف، بل إننا في مركز قوة وهم في مركز ضعف، وستظهر الأيام ذلك إن شاء الله، وسيعلمون أن الإخوان قوة لا تقاوم**[١].. وعلى ذلك فلا داعي لهذه المذكرة التي

(١) نبرة الاستعلاء والتحدي التي يتحدث بها عبد القادر عودة تعطي انطباعًا أن هناك أمرًا ما يدبره =

تطلب عرضها على الهيئة التأسيسية ولا لهذه الجهود التي تبذلها، فقلت له: يا أخي عبد القادر، أنت صادق فيما تطمئنني به مما يعده الإخوان من قوة، وأنا لا أجهل ما تشير إليه من هذه القوة.. ولكن الجديد في الأمر أنني اكتشفت أن القوم – بكل الوسائل التي أتيحت لهم من خزائن الدولة وولاء بعض الإخوان لهم ووسائل التسمع الحديثة – استطاعوا أن يعرفوا أسرارنا مما يتصل بهذه القوة، **فلا ينبغي لنا بعد ذلك أن نتعامى عن هذه الحقيقة المرة، ونكون كالنعامة التي تظن حين تدفن رأسها في الرمال فلا ترى الصائد أن الصائد لا يراها،** أنا لا أطالب بأكثر من أن نعطي لأنفسنا فرصة للتنفس فيها الصعداء، ونعيد فيها ترتيب بيتنا.

لما يئس الأخ عبد القادر رحمه الله من استجابتي لأسلوب المناقشة والإقناع، لجأ إلى أسلوب آخر كريم، فهو يعرف مكانته في نفسي ومدى ما يربطني به من صداقة وحب فقال لي: **من أجل خاطري، وبحق ما بيني وبينك من أخوة وحب وصداقة أستحلفك بالله إلا عدلت عن هذه المذكرة وعن جهود الوساطة التي تقوم بها؛ فإن هذه المذكرة ستعوق خطة الإخوان، وستكون عقبة في طريقها** [(١)]، ثم قال كلمة أبكتني هي قوله: إنني على استعداد أن أقبل قدمك، ولقد أدت هذه الكلمات الأخيرة إلى انفجاري قائلًا:

يا أخي عبد القادر، أنت أعز عليّ من هذا الذي تقول، وآثر عندي من أن ألجئك إلى هذا الأسلوب، إن الموضوع الذي نعالجه ليس موضوعًا شخصيًا حتى ترجوني فيه، إنه يتعلق بألوف الإخوان في الأقاليم، إنه يتعلق بألوف الأسر والنساء والأطفال، **إنه يتعلق بدماء هؤلاء الألوف التي ستهدر دون تروٍ ولا تبصر ودون إحكام خطط، إن دماء هؤلاء أمانة في أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم يتلقون منا دون مناقشة ولا**

=الإخوان بليل؛ لأن موازين القوة الظاهرة على الساحة وقتها لا تعطي هذا الشعور، ويعلم الله وحده ما الذي كان يدور في خلد عبد القادر وقتها، وما هي القوة التي لا تقاوم التي يعنيها.

(١) لا ندري ما هي خطة الإخوان التي يعنيها عبد القادر على وجه الدقة، وإن كان على ما يبدو أنها خطة معدة ومدروسة ووشيكة التنفيذ بالدرجة التي تجعله غير مستعد لسماع المقترح، بل يبذل جهده للحيلولة دون نجاح هذه المحاولة.

مراجعة[1]، فمن حقهم علينا أن نطلعهم على ما عندنا، وأن نظهرهم على ما جد مما كشفته لنا الظروف، أو على الأقل أن **لا نخاطر بدمائهم ما دام قد جد من الأمور ما يلقي على خططنا ولو بظلال باهتة من الشك**؛ لأن هذه الدماء أعز من أن تهدر دون أن تكون على بينة من الأمر لا يخالطها شائبة من شك.

يا أخي عبد القادر، إنني كنت حريصًا على لقاء الأستاذ المرشد في مخبئه لأطلعه على ما عندي، وأنا موقن أن الرجل – بثقته فيّ وبما أعرضه عليه من ظروف كشفتها تتصل بأسرار بيني وبينه – سيغير من خطته كما عودني؛ لأنه ليس بالرجل المستبد، **ولكن الإخوة الذين يستطيعون ذلك حالوا بيني وبين لقائه**، فلا أقل من أن أعرض رأيي على الهيئة التأسيسية في أقرب اجتماع لها؛ حتى أكون قد رضيت ضميري، وأعذرت إلى الله، **وبرئت من أبرياء ستهدر دماؤهم**.

وأقسم لك بالله -يا أخي عبد القادر- إنني لن أتراجع عن تقديم هذه المذكرة، ولا عن مواصلة وساطتي، ولو كان في ذلك سفك دمي؛ لأنني إذا لم أفعل فسأظل طول حياتي مؤرق النفس تحت تأنيب ضميري.

وهنا لم يكن بد من إنهاء الجلسة، وخرج كل منا وهو في حالة من الثورة النفسية تكاد تعصف بقلبه[2].

---

(١) تكرار الحديث عن إراقة دماء بالألوف لا يمكن حمله إلا على مواجهات مسلحة بين طرفين كل منهما يمتلك سلاحًا، فهذا الحديث ليس حديث خوف من مظاهرات تقوم بها الجماعة، وليس حديث رجل يخشى المعتقلات والسجون، ولكنه يتكلم صراحة عن بحور وأنهار من الدماء، ومن حق التاريخ أن يسأل: ما هو المخطط الذي كان سيترتب عليه هذه البحور من الدماء؟!!

(٢) يقول عبد الحليم: «وجلست بعد ذلك إلى نفسي ساعة حتى هدأت العاصفة النفسية التي استبدت بي، وأخذت في مراجعة ما كان من أمر هذه الجلسة العاصفة، وكيف تمت؟ ولم تمت؟ ومن الذي اختار الأستاذ عبد القادر ورشحه للقيام بهذا الدور معي؟ ولم اختير هو بالذات دون غيره؟ وقد وضح أمامي أن الإخوة «الروضيين» هم الذين اختاروا الأخ الأستاذ عبد القادر للقيام بهذا الدور، وقد اختاروه دون غيره لما يعرفون من حسن صلتي به أولًا، ولأنه كذلك بعد تحول اتجاهه – إثر أحداث شهر مارس ١٩٥٤ – كان متوائمًا في أفكاره ﵀ مع أفكارهم، وينبغي هنا أن أعيد ما سبق لي الإشارة إليه من أن الأستاذ عبد القادر ﵀ كان على علو كعبه في العلم، وسمو نفسه في الخلق، وعمق عقيدته في الإيمان، كان إذا أحب أفرط في الحب، =

هل كان اختفاء المرشد العام في ذلك الوقت إجراءً سليمًا؟

«هذا موضوع تجب مناقشته قبل المضي في سرد ما توالى من الأحداث؛ لأن له من الدلالات ومن المقدمات ومن النتائج ما لا بد للقارئ أن يلم به حتى ينظر إلى الأحداث التي وقعت في تلك الحقبة من الزمن نظرة كاملة.

وما من شك في أن وجود المرشد العام بشخصه بين الإخوان هو في ذاته أقوى عوامل الأمان في نفوسهم أو هو ما يسمونه صمام الأمان، وقلما تتمكن قوة معادية للدعوة مهما توفر لها من وسائل أن تنال من الدعوة نيلًا مؤثرًا في وجود شخصية قائدها بين ظهرانيها وعلى رأس أجهزتها وفي مركز إدارتها، ولهذا كان هدف من رأوا في دعوة الإخوان خطرًا يهدد نفوذهم، أو يختصروا الطريق في القضاء عليها بحرمانها من قائدها بأية وسيلة من وسائل الحرمان.

وأحد أخطر نتائج اختفاء المرشد العام في ذلك الوقت أن هذا الاختفاء مع توالي الأحداث وتفاقمها جعل تقييم هذه الأحداث خاضعًا لتقدير شخصي، مما كان سببًا في تشتت أفكار الإخوان وتشعب آرائهم،مما أفضى إلى إشاعة الفرقة والانقسام بينهم، وكان الذي يحسم هذا دائمًا هو وجود المرشد العام بينهم؛ تمر عليه الأحداث كما تمر عليهم، ويحس بآثارها كما يحسون، وبمناقشة كل ذي وجهة نظر منهم تجتمع عنده كل الآراء، فيصل في نهاية الأمر إلى قرار مبني على إحاطة كاملة يخضع له الجميع غير راغمين ولا متحرجين.

كما أن غياب المرشد العام عن موقع الأحداث مع ظهور منشورات صادرة منه بين الفينة والفينة عن طريق غير شرعي – والطريق الشرعي أن تكون عن طريق نائب

=وإذا أبغض أفرط في البغض، وليس من السهل عليه إلزام نفسه بالموقف الوسط الذي حث عليه الحديث النبوي: «أحبب حبيبك هونًا ما؛ عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما؛ عسى أن يكون حبيبك يومًا ما» [أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٤٣٤)، و الترمذي (٢٤٣/٤)].

المرشد – جعل بعض الإخوان يتشككون في هذه المنشورات، كما هز إيمانهم وضعضع ثقتهم بكفاءة البناء الإخواني، وجعل الكثيرين منهم يتهامسون: لم هذا التخطي؟ وما المقصود منه؟ وما الداعي إليه؟ وهل توجيهات المرشد العام التي تتضمنها المنشورات الصادرة عنه صدرت عن إحاطة بكل الظروف والملابسات أم صدرت عنه بناءً على ما وصل إليه عن طريق الفئة التي تتصل به في مخبئه وحدها؟ فإذا كان الأمر كذلك فإن هذه التوجيهات لم تبن على إحاطة كاملة، فهي إذن توضع موضع المناقشة وهي غير ملزمة».

حشد إخواني يتبنى المذكرة:

«حاولت مع الإخوة «الروضيين» أن يوصلوا هذه المذكرة إلى الأستاذ المرشد في مخبئه، ولكنهم أصروا على ما أعلموني به من قبل من أنهم لا يعرفون مكانه.

أخذ نبأ المذكرة يطرق أسماع عدد من قادة الدعوة في القاهرة، وأعطيت المذكرة للأخ الحاج محمد جودة ليسلمها إلى السيدين الطحاوي وطعيمة لعرضها على جمال عبد الناصر لإبداء رأيه في الاقتراح الذي تضمنته، على أن نلتقي في مساء اليوم بهما في بيته –أي: في بيت الأخ جودة–.

ذهبت مساء ذلك اليوم إلى منزل الأخ الحاج محمد جودة بالموسكي، فوجدت في انتظاري به مجموعة من قادة الدعوة في القاهرة تبلغ نحو الأربعين بعضهم أعضاء بمكتب الإرشاد والباقون من أعضاء الهيئة التأسيسية، وهذه المجموعة فيما أرى تمثل أعلى المستويات في الدعوة ثقافة وعلمًا وفكرًا وتاريخًا وسابقة فيها، كما أنها – بحكم وجودها الدائم في القاهرة – أكثر الإخوان القياديين اتصالًا بالأحداث، وأدقهم فهمًا لها، وأشدهم إحساسًا بواقعها، وألمسهم لآثارها، وأوسعهم إحاطة بظروفها، وأحسنهم تقديرًا لقيمتها.

كان لقاءً رائعًا أن ألتقي بهذا العدد الكبير من عيون الدعوة وأئمتها في هذا البيت الرحب الفسيح الذي كانت الحجرة الواحدة منه تسع لضعف هذا العدد جلوسًا على أرائكها الدائرة مع جدرانها الأربعة والملتصقة بهذه الجدران من الطراز الفاره القديم، فكان لهذا اللقاء حلاوة مسحت من حلوقنا – ولو إلى حين – ما تجرعناه من مرارة طيلة شهرين كاملين.

تعانقنا طويلًا، وبث كل لكل شوقه وحزنه وآلامه، وأخبرني هؤلاء الإخوة أنهم لما سمعوا بنبأ تعرضي لمحاولة الإصلاح هشوا لهذا النبأ؛ لأنه جاء في أحرج الأوقات، وفي موقف كادت فيه السماء تنقض على الأرض بعد أن أظلمت وأبرقت وأرعدت، ولزم كلٌّ داره، ثم جئنا للقائك لتسمعنا نص ما حوته مذكرتك لنناقشها ثم نصل بعد ذلك إلى قرار لعله ينقذ الدعوة مما هو محيط بها من أخطار نتيجة البلبلة والتشتت الذي نعيشه لاسيما بعد غياب المرشد العام».

اقتراح بخلع المرشد:

«وحضر الضابطان الطحاوي وطعيمة، وأخبرانا بأنهما أطلعا جمال عبد الناصر على المذكرة، فقرأها ووافق على ما جاء بها موافقة مبدئية على أن يلتقى غدًا صباحًا في منزله بوفد يمثل الإخوان للتباحث معه في هذا الموضوع.

وقرأت المذكرة على الاجتماع فنالت منهم موافقة إجماعية، وأمضينا معظم الليل في مناقشات حول الموقف، وتقدم بعض الإخوان بمقترحات كان أهمها وأخطرها اقتراح للأخ البهي الخولي بإعلان الإخوان خلع الأستاذ الهضيبي من منصب المرشد العام، وقد استغرقت مناقشة هذا الاقتراح أكثر الوقت، وكان الأستاذ البهي جادًا أشد الجد في عرض اقتراحه هذا، وجمع توقيعات أكبر عدد من إخوان الهيئة التأسيسية بالموافقة عليه، حتى إنه بعد أن طالت المناقشة في شأن اقتراحه، طلب إليّ أن ننتحي معًا في حجرة أخري، وطلب إليّ التوقيع بعد أن شرح لي وجهة نظره، وهي تتلخص في أنه يرى أن الأحداث تتفاقم يومًا بعد يوم، وقد بلغت حدًا لم يعد في طاقة الإخوان تحمله، وأن كيان الدعوة أضحى في خطر لاسيما بعد اختفاء المرشد العام؛ الذي يعده الأستاذ البهي هروبًا من المسئولية، ودليلًا على أن الأحداث قد وصلت في تفاقمها إلى الحد الذي لا يستطيع هو شخصيًا (يقصد: المرشد) الثبات أمامها، ويقول الأستاذ البهي: إن المسئول عن وصول الحالة إلى هذا الحد هو الأستاذ المرشد، وإذا كنا نريد إنقاذ الإخوان مما ينتظرهم من أهوال فعلينا أن ننحي المرشد العام لننهج نهجًا جديدًا.

كانت هذه وجهة نظر الأستاذ البهي، ومثل الأستاذ البهي لا تحوم حوله أثارة من شك حول حسن نيته وبراءة قصده، ولم يشب اختلافي معه في هذا الموضوع ثقتي فيه أدني شائبة من الشك، وإنما هي وجهات نظر في محاولة الوصول بالدعوة إلى بر السلام.

قلت له: يا أخي، إن تنحية المرشد العام في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة سيكون لها من الأخطار والأضرار ما يتضاءل أمامه أشد ما نخشاه على الدعوة من أخطار وأضرار؛ لأنها ستشقق الإخوان شيعًا وأحزابًا يقاتل بعضها بعضًا حتى يقضوا بأنفسهم على دعوتهم، ويوفروا بذلك على غيرهم الجهد في محاولة ذلك، قلت له: إن محاسبة القائد على أخطاء يرى بعض الجنود أنه مسئول عنها لا تكون وسط المعركة وهي تدور رحاها، وإنما يجب أن نتماسك حتى تنتهي المعركة، فإن كان حساب فليكن حينئذ، وقلت له: إن علاج ما نعانيه لا يكون بهذا الأسلوب، والذي أراه – وأختلف معك فيه – هو أن هذا الرجل لا عيب فيه، وهو قائد كفء وله في أعناقنا بيعة، ودعني أواصل طريقتي في الإصلاح التي عرضتها عليكم وحظيت منكم جميعًا بالقبول.

ورجعنا بعد ذلك إلى الاجتماع فطلبت إلى الإخوة الحاضرين أن يختاروا من بينهم وفدًا يمثلهم في مقابلة جمال عبد الناصر – رئيس الحكومة آنذاك – في بيته صباح الغد، فاختاروا من بينهم الإخوة: الدكتور خميس والأستاذ عمر التلمساني والدكتور عثمان نجاتي والأستاذ حلمي نور الدين والشيخ أحمد شريت ومحمود عبد الحليم، وبتنا جميعًا تلك الليلة عند الأخ الحاج محمد جودة، وأصبحنا حيث وافانا السيدان الطحاوي وطعيمة وتناولا معنا طعام الإفطار، ثم اتجه الوفد في رفقتهما إلى منزل جمال عبد الناصر في منشية البكري حيث التقينا به في الساعة التاسعة صباحًا».

اجتماع تاريخي: جلسة طويلة مع عبد الناصر في منزله:

«كانت هذه أول مرة ألتقي فيها بجمال عبد الناصر، وكنت حريصًا في هذا اللقاء أن استكشف الكثير من شخصية هذا الرجل، وكان إذ ذاك في ربيع عمره لم تتعقد أمامه

الحياة بعد، ولم تأخذ منه الأيام، فهو أقرب أن يكون على طبيعته، رأيت شابًا فارع الطول، عريض المنكبين، وهي إحدى مؤهلات من يرشح نفسه للزعامة، فالجسم القوي المتين مطلوب لمقارعة الخطوب وسهر الليالي وتلقي الضربات، وكان حتى ذلك الحين منتسبًا إلى منصبه العسكري؛ فهو مرتد بزته العسكرية.

وكان مجلسنا في حجرة صغيرة في الدور الأرضي على يسار الداخل من باب المنزل، مؤسسة بأثاث كأثاث بيوتنا لا يزيد عنه شيئًا، وقد شغلنا نحن الستة ومعنا الطحاوي وطعيمة كل مقاعد هذه الغرفة إلا مقعدًا قرب الباب جلس عليه جمال، وجيء بكرسي من خارجها ووضع بجانب جمال، وعلى يساره جلس عليه الضابط عبد الرحمن نصير الذي كان حارسه الذي لا يفارقه، وجاء ولداه الصغيران خالد وعبد الحكيم وجلسا بجانبه بعض الوقت.

وبدأ هو الحديث فقال: أنا قرأت مذكرة فلان وأرى فيها روحًا طيبة، ولهذا طلبت أن ألتقي بوفد يمثل الإخوان لمناقشة أسباب الخلاف بيني وبين الإخوان..

فقلنا له: أليس من الممكن أن نتجاوز أسباب الخلاف ونتجه إلى وسائل الإصلاح؟

فقال: إن هذا ليس بالطريق السليم لمعالجة الخلاف؛ لابد أولًا من معرفة أسباب الخلاف حتى نبحث بعد ذلك عن وسائل تلافي هذه الأسباب.

فقلنا: إذن ما هي أسباب الخلاف؟

أخذ جمال عبد الناصر يشرح أسباب الخلاف في حديث طويل لم يبق في خاطري منه بعد هذا الأمد الطويل إلا نقاط وإن كانت قليلة إلا أنها تعد رءوس المواضيع لأهم ما جاء في حديثه أسوقها فيما يلي:

أسباب الخلاف كما يرويها عبد الناصر:

أولاً: بدأ حديثه بالإشارة إلى اتصاله بالجهاز السري للإخوان (النظام الخاص)، وإلى تعاونه معهم، وذكر في سياق هذا التعاون أنه كان يسرق لهم السلاح والذخائر من الجيش، ثم ذكر أنه في آخر مرة أعطاه الإخوان ٢٥٠٠ جنيه لهذا الغرض فاتصل



بالمسئولين من مخازن السلاح (وذكر الجهة التي بها هذه المخازن ولكني نسيتها) وأعطاهم هذا المبلغ كاملًا، وملؤوا له عربة قطار بالأسلحة والذخائر أوصلها إلى الإخوان.

ثم قال: والآن تصدر نشرة الجهاز السري للإخوان تتهمني بأنني استوليت على هذا المبلغ لنفسي ولم أحصل لهم على أسلحة إلا بجزء يسير منه.

ثانيًا: تكلم بعد ذلك عن اتصالاته بالمرشد العام، فقال: إنني كنت حريصًا منذ قيام الثورة على أن أتشاور مع المرشد العام في الشئون المهمة للدولة (وشرح المناقشات التي دارت خلال بعض هذه الاجتماعات) ولكنني لاحظت أن المرشد العام لا يهتم بلقائي وزملائي معه، بل ينظر إلينا نظرات لا تشعرنا بالتقدير؛ حتى إنني عقب كل اجتماع لنا معه كنت أشكو هذا الشعور إلى صلاح سالم الذي كان يرافقني في أكثر هذه الاجتماعات، وكان صلاح يهوّن عليّ الأمر ملتمسًا الأعذار للرجل لطبيعته.

ولكنني عقب إحدى هذه الاجتماعات التي كانت تتم عادة في بيت المرشد شعرت بمهانة وعدم مبالاة بي لم أتعودها في حياتي إلى حد أنني قررت أن أقطع اتصالاتي بهذا الرجل، **وقلت لصلاح**: إن الاجتماع القادم تذهب إليه وحدك؛ لأنني لم أعد أطيق هذه المعاملة، ولكن صلاح رجاني أن أحضر معه الاجتماع القادم على أن تكون هذه آخر مرة إذا حدث فيها ما يحدث عادة لن أرغمك بعد ذلك.

قال جمال: وذهبنا أنا وصلاح إلى منزل المرشد، وجلسنا في حجرة الصالون حتى دخل علينا وألقى السلام وجلس دون أن يتكلم، وطال صمتنا وصمت الرجل الذي كنا ننتظر أن يبتدرنا بالكلام كما هو معتاد باعتباره صاحب البيت ونحن ضيوفه، إلا أن الرجل اعتصم بالصمت حتى تصبب العرق من وجوهنا خجلًا؛ لأننا شعرنا كأنما نحن دخلاء اقتحمنا على الرجل بيته دون رغبته مع أننا كنا على موعد.

قال جمال: فإنقاذًا لموقفنا، وحفظًا لماء وجوهنا بدأت أنا بالكلام؛ فقلت: يا فضيلة المرشد جئنا اليوم لنناقش موضوع كذا (وحدد الموضوع ولكني نسيته) فما رأيك؟ قال جمال: وبعد أن ألقيت السؤال انتظرنا أن يتكلم الرجل، ولكنه لم يتكلم،

فقلت: إننا نرى في هذا الموضوع كذا وكذا، ولم يرد الرجل بأكثر من كلمة «لا مانع» ممزوجة بنظرات معناها أنه غير مبال بنا، وهكذا مر الاجتماع ونحن نعاني هذا الشعور، وأنا أنتزع من الرجل الألفاظ القلائل انتزاعًا، حتى استطعت إنهاء الاجتماع، وخرجت أنا وصلاح عازمين على أن لا نضع أنفسنا بعد اليوم هذا الموضع المزري بالالتقاء مع هذا الرجل.

ثالثًا: ثم تكلم مرة أخرى عن الجهاز السري للإخوان (النظام الخاص) وقال: كان وجود هذا الجهاز للإخوان المسلمين فيما قبل الثورة ضرورة لا غنى عنها؛ لمقاومة الظلم، ولحماية الدعوة من ظلم الملك وظلم أذنابه الحكام، أما وقد قامت الثورة فلم يعد هناك داع لوجوده؛ حيث إن الإخوان والثورة شيء واحد، وقال: إنني سبق أن تحدثت مع المرشد العام في هذا الشأن، وقلت له: إن الواجب يقتضي من الإخوان أن يحلوا تشكيلاتهم التي في الجيش ويحلوا الجهاز السري؛ حيث لا مبرر لوجودهما الآن بعد أن قامت الثورة، فكان رد المرشد قوله: إننا ليس لنا تشكيلات في الجيش، نحن بصدد حل الجهاز السري، فقلت له: يا فضيلة المرشد، أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان في الجيش لازالت موجودة، ولكنه أصر على الإنكار.

رابعًا: وتحدث عن اتفاقية الجلاء، وقال: إن هذه الاتفاقية تضمنت كل ما نريد، وهي تضمن لنا الجلاء، وإن معارضة الإخوان لها هي نوع من التحدي لا أقبله، وأخذ في شرح محاسن الاتفاقية ووجهة نظره متجاوزًا النقاط التي تولاها الإخوان بالنقد، وشدد على أن تحدي الإخوان له في هذه الاتفاقية أمر خطير لن يسكت عليه.

خامسًا: أثار ما يطالب به الإخوان من إجراء انتخابات، وقال: إن إجراء انتخابات الآن معناه أن يحصل الإخوان على أغلبية مقاعد المجلس المنتخب إن لم يحصلوا على جميعها؛ لأن الإخوان تستطيع بتشكيلاتها العلنية والسرية أن تحصل على ذلك، ولذا فإنني لن أسمح بإجراء انتخابات تحت تأثير التشكيلات الإخوانية؛ لأن هذا يتعارض مع مناخ الحرية الذي يجب توفيره لإجراء هذه الانتخابات وسمى جمال إجراء الانتخابات الفورية انتخابات في ظل الإرهاب الإخواني.



سادسًا: وتكلم عن حركة مارس ٥٤ وأثرها في الجيش، وألقى مسئولية حدوثها على عاتق الإخوان، وأنها كانت لعبة خطيرة، ولن أسمح بتكرارها مرة أخرى، وقال في معرض حديثه عن تفصيلات هذه الحركة: «وحين ذهبت إلى سلاح الفرسان جاءني الولد الشيوعي (وذكر في وصفه لفظًا يعف القلم عن كتابته) خالد محيي الدين يطالبني بالاستقالة» ثم أعاد عدة مرات أنه لن يسمح بإعطاء الفرصة للإخوان لإثارة مثل هذا الذي حدث في مارس، ولذا فإنه مصمم على أن يصفي الإخوان تشكيلاتهم في الجيش وفي خارج الجيش إما من تلقاء أنفسهم وإما رغمًا عنهم.

سابعًا: وتحدث عن تسلط الإخوان على الجامعات، وقال: إنني لن أقف مكتوفًا أمام هذا التسلط، فسأعتقل كل من يقف في وجهنا من الطلبة، وقد كلفت كمال الدين حسين (كان وزير التعليم في ذلك الوقت) بفصل الأساتذة الذين يعارضوننا مهما كان عددهم، وقد أعددت لهم معتقلًا من نوع جديد.

إن المعتقلات التي تكلف الدولة إطعامهم وإسكانهم وكسوتهم لن نلجأ إليها، وإنما سنعد لهم معتقلات في الوادي الجديد يعملون فيها في إصلاح الأرض وفلاحتها، ويأكلون ويلبسون من عرق جبينهم، وقد أمرت فعلًا بإعداد هذه المعتقلات، أما أعضاء الجهاز السري والتشكيلات العسكرية فهؤلاء سيحاكمون بتهمة الإعداد لقلب نظام الحكم.

وقال: إن الإخوان ينظرون إلى الثورة على أنها جمال عبد الناصر الذي يعرفونه ويعرفهم، ويظنون أن الضباط الأحرار من الإخوان كجمال عبد الناصر، هذا ظن خاطئ؛ إن أكثر الضباط الأحرار ليسوا من الطراز الذي يتوهمه الإخوان، إن أكثرهم ليسوا على دين ولا على خُلق، ولولا كبحي جماحهم لانطلقوا كالكلاب على الإخوان بلا رحمة؛ وقد حاولوا مرارًا أن ينطلقوا عليكم ولكنني كنت في كل مرة أكبح جماحهم وأقول لهم: اتركوا لي التعامل مع الإخوان، ولكن إلى متى أكبح جماحهم وأقول لهم ذلك؟ لن أستطيع ذلك إلى الأبد، إنني ألقى أشد المقاومة منهم في منع شرهم عنكم، وإذا انطلقوا فسيكونون كالكلاب الهائجة.

هذا هو تلخيص لما بقي في خاطري الآن من حديث جمال عبد الناصر في هذه الجلسة، أما نص الحديث فكان من التفصيل والاتساع بحيث شغل قرابة ست ساعات متواصلة من الساعة التاسعة صباحًا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، لم يقطعه إلا أداء صلاة الظهر حيث أديناها -نحن الإخوان- جماعة في حديقة المنزل وكنا جميعًا على وضوء، وإلا مكالمة أو مكالمتان في التليفون أجراهما جمال وهو جالس معنا مع نائبه في رياسة الوزراء جمال سالم لم يستغرقا إلا دقائق، وإلا بضعة أسئلة وجهناها إليه في أثناء الحديث، وكان مما وجهناه إليه في أثناء الحديث حين تحدث بعنف عن الجهاز السري للإخوان ومزج هذا العنف الشديد بالتهديد والتوعد إذا لم يوقفوا أعمالهم العدوانية ضده من إصدار النشرات وغيرها أن قلت له: إنك تعلم أن هؤلاء الأفراد في الجهاز السري شباب، ومن صفات الشباب الاندفاع، ولا يمكن وقف هذا الاندفاع فجأة، وأنت أعرف الناس بهم، فيجب أن تعطي لنا فرصة كافية لإقناعهم.

وقلت له: إنك تقول في حديثك إنك لا تطاوع من وراءك من الضباط فيما يريدون أن يواجهوا به الإخوان من عنف، ولكنني أرى أن السياسة المتبعة في مواجهة الإخوان هي سياسة العنف والإثارة، فكيف نستطيع أن نقنع هؤلاء الإخوان بوقف ما يواجهون به هذا العنف والإثارة..؟ فقال لي جمال: وكيف كان ذلك؟ إن تعليماتي كانت غير ذلك، فقلت له: لا زالت سياسة الاعتقال سارية؛ فكل يوم يعتقل عدد من الأفراد. ولا زالت سياسة تشتيت الموظفين سارية، فقال لي: هذا شيء لا يمكن أن يحدث وقد تكون مبالغًا، فتذكرت أن برقية نقلي إلى قنا لا زالت في جيبي فأبرزتها له، وقلت له: لن أقول لك إن فلانًا وفلانًا نقل ولكن ما رأيك في هذه البرقية؟.

فأخذها وقرأها وأبدى ما يشعر بالاستغراب، ومال على من كان بجانبه من الضباط، كأنما يطلب إليهم مراجعة هذه الأمور».

ملامح من شخصية جمال عبد الناصر:

«لم أكن قد التقيت بجمال عبد الناصر من قبل؛ حيث كانت هذه الجلسة هي أول لقاء لي معه كما قدمت، وكنت حريصًا على أن أحدد ملامح الشخصية؛ لأن أول ما



يجب أن يتوفر لك للتعامل مع أي إنسان تعاملًا مثمرًا هو أن تحدد ملامح شخصيته؛ لأن التعامل مع إنسان هو في الحقيقة التعامل مع ما بني عليه من طبائع وصفات وأخلاق..

وكان قد وقر في صدري حين رأيت الاتصالات التي تتم بيننا وبين جمال عبد الناصر لا تثمر دائمًا إلا تباعدًا وتفاقمًا أن إخواننا الذين يقومون بهذه الاتصالات؛ **إما أنهم لم يعرفوا ما بنيت عليه شخصيته من طبائع وخصائص، وإما أنهم يعرفون ذلك ولكنهم لا يحفلون بمراعاتها ولا يجعلونها عنصرًا أساسيًا يقيمون على دعامة منه تعاملهم معه**[1].. ولذا كان همي الأكبر أن أعرف مقومات هذه الشخصية حيث هي مفتاح التعامل معه.

وقد وضحت لي هذه الجلسة كثيرًا من الملامح الأساسية لشخصية جمال مع أنها جلسة واحدة - وهي اللقاء الأول - للأسباب الآتية:

١ - أن الجلسة كانت من الطول بحيث لا يستطيع متحدث فيها أن يسيطر على أحاسيسه سواء منها السطحي والعميق طول هذا الوقت.

٢ - أن جمال شغل بحديثه أكثر من تسعة أعشار هذا الوقت.

٣ - أن حديثه كان متصلًا لا يكاد يقطعه إلا أقل القليل.

٤ - أن موضوع الحديث كان بطبيعته مثيرًا للعواطف؛ لأنه يدور حول محاور كلها تعتمد على أسس من الارتباط النفسي والامتزاج الروحي.

٥ - أن الحديث يمس شخصية المتحدث والمتحدث إليه في الماضي والحاضر والمستقبل؛ فهو يعالج أمورًا قد يتوقف عليها مستقبله.

٦ - حكمة الإمام علي -كرم الله وجهه- حيث يقول: «من كثر كلامه كثر خطؤه» أفهم منها فضلًا عما يفهم من ظاهرها أن الإنسان قد يستطيع تحضير كلام يحدث به قومًا فيتحكم في عواطفه ليبرز منها في أثناء الكلام ما يريد ويخفي منها ما يريد، ولكنه إذا طال به الحديث؛ فإن عواطفه التي أراد أن يخفيها ستظهر في أثناء حديثه بأعناقها رغم أنفه ودون إرادته..

---

(١) هذا إذا استبعدنا تعمد إفساد العلاقة بين الطرفين عن طريق عدم الدقة في نقل الكلام بين الجانبين.

أما الملامح التي وضحتها هذه الجلسة في شخصيته فهي:

أولاً: أنه يتمتع بذاكرة وحافظة قويتين؛ فقد كان في سرده للأحداث التي كانت بينه وبين الإخوان يذكر كل حدث منها بتاريخه محددًا مع أن منها أحداثًا كان قد مضى عليها أكثر من خمسة أعوام، وإذا فرضنا أنه كان قد عكف على تحضير هذا الحديث الذي تضمن عشرات الأحداث قبل أن نلتقي به؛ فإن حفظ تواريخ هذه الأحداث وإلقاءها إلينا دون خلط أو خطأ ينهض دليلًا على قوة ذاكرته ومتانة حافظته.

ثانيًا: أنه يتمتع بشخصية قيادية بدليل تزعمه لمجموعات متباينة من الضباط وكلها تدين بالخضوع له والائتمار بأمره.

ثالثًا: أنه ذو شخصية متماسكة ذات أعصاب قوية ثابتة، لا تكاد تستجيب للمؤثرات الخارجية مهما قويت هذه المؤثرات – وقد شعرت بذلك في أثناء إلقائه حديثه الطويل دون أن يجرفه الموقف المثير جرفًا يخرج به عن سياق حديثه أو ينسيه ما رتب في ذهنه من نقاط، كما شعرت بذلك حين كنا نتحدث إليه ونحن مجموعة لها وزنها في الإخوان، وكان حديثنا في ذلك اليوم حديثًا عاطفيًا فياضًا تثور له وتستجيب له عاطفة كل سامع، ومع ذلك فإن ذلك لم يحرك عواطفه حركة توائم ما نغمره به من عواطف، بل كانت إجاباته تتمشى مع المنطلق الذي اختاره لنفسه.

وتماسك الشخصية قد يكون نتيجة الثقة بالنفس أو قد تكون الثقة بالنفس وليدة تماسك الشخصية، أو قد يكون التعبيران لصفة واحدة.

رابعًا: هناك ملمح من ملامح شخصيته كشف لي عنه حديثه الممتزج بالمرارة حين كان يتحدث عن لقاءاته مع المرشد العام، وهذا الملمح لا زلت في حيرة من تسميته، **ولكني أشير إليه بما كان يبعث هذا الحديث في ملامح جمال، وفي قسمات وجهه، وفي تقطيب جبينه، وفي توقد عينيه ما يكاد يخيل إلينا أن لو كان الأستاذ المرشد أمامه لأطاح برأسه شفاءً لما يتأجج في صدره من غضب منه وحقد عليه،** وهو يرمي المرشد العام بصفات لم نعهدها فيه، ولم نسمع أن أحدًا نسبها إليه – وفحواها أنه يتجاهل جليسه

ويحقر ضيفه – ولست أدري لماذا يشكو جمال وحده دون غيره على كثرة من يجالس الهضيبي سواء منهم العدو والصديق[١] .. وأراني إزاء هذه الشكوى أمام أحد هذه الافتراضات:

١ – أن يكون احتفاء الأستاذ المرشد به وبزملائه كاحتفائه بسائر الأفراد من الإخوان، في حين أن جمال يرى نفسه أعظم من أن يقتصر المرشد في احتفائه به على القدر الذي يبذله في الاحتفاء بسائر الإخوان، وحينئذ يرى هذا القدر من الاحتفاء به نوعًا من الإهانة؛ لأنه ليس كسائر الإخوان، ولا يرى حتى كسائر الناس، بل هو القابض بيديه على مقاليد السلطة في البلاد، ويرى نفسه متفضلًا في زيارته للمرشد في بيته.

ونحن نرى فيمن نخالط من الناس أشخاصًا في بعض المناصب يرون في عدم مثول مرؤوسيهم أو ذوي المصالح عندهم قيامًا إذا مروا إهانة لهم تستحق أن يجأروا بالشكوى منها، وتستحق أن يوقعوا على من صدرت منهم هذه الإهانة العقوبة، فكيف بمن يرى نفسه رئيس البلاد والمتصرف في مقدراتها؟!.

٢ – أن لا يكون احتفاء المرشد به أقل مما يتناسب مع منصبه، ولكن شيئًا في نفس جمال جعله لا يرى إلا المساوئ، أما المحاسن فإنه لا يراها، وهذا داء شائع بين الناس في كل زمان ومكان، ولا ينجو منه إلا الأقلون ممن صفت نفوسهم، وطهرت قلوبهم.

٣ – أن يكون المرشد العام قد تجهمه فعلًا أو تجاهله، ولكن هذا التجهم الذي هو ليس من طبيعة الرجل لابد أن يكون حلقة في سلسلة أحداث أغفل المتحدث – جمال – ذكرها؛ لأنه يعلم أن ذكرها في غير صالحه؛ وفي هذا الصدد يتمثل بالقول المأثور: قبل أن تقول للباكي: لا تبك، قل للضارب: كف عن الضرب، والقول الآخر: إذا جاءك أحد الخصمين يشكو فقء إحدى عينيه فلا تعجل بالحكم، فقد يكون المشكو قد فقئت كلتا عينيه.

---

(١) من من الناس تعامل مع الهضيبي وأتيحت له فرصة الشكاية من طريقته وأسلوبه؟ إذا كان رئيس الوزارة نفسه يعاني من هذا التعامل كل هذه الفترة، ولم يتح له أن يحكي لأحد، مع استحضار أن من أرخوا للهضيبي يذكرون عنه أنه قليل الكلام، قليل المخالطة، يتعامل كما لو كان على منصة القضاء، هكذا نقلوا أوصافه، ومن الواضح أن الهضيبي لم يتعامل مع عبد الناصر على أنه رئيس وزارة، وتصور أنه يتعامل مع أحد أعضاء الجماعة ممن أعطوا البيعة والتزموا بالسمع والطاعة.

هذه أوضاع ثلاثة لا أعتقد أن تعليل هذه الظاهرة المشكو منها يخرج عن أن يكون واحدًا منها، وقد يكون خليطًا منها؛ لأن النفس البشرية بطبيعتها متشعبة المسالك، قد تستوعب الأوضاع الثلاثة معًا، بالرغم مما يبدو فيها من تعارض في بعض أجزائها.

وإذا كنت قد أجهدت نفسي في البحث عن تعليل لشكوى جمال من المرشد، فإنما أردت بذلك أن أجد تفسيرًا لحالة نفسية استبدت بجمال نحو هذا الرجل الذي يشغل منصب المرشد العام، وكنت أعرف من قبل أن عنده هذه الحالة، ولكنني لم أكن أعتقد أنها قد بلغت إلى الحد الذي لم يعد يستطيع معه السيطرة عليها أو إخفاءها..

ولقد تحدثت عن تماسك شخصية جمال وثبات أعصابه؛ فقد كانت هذه الصفة واضحة ملموسة في حديثه الطويل المتنوع الذي مس الكثير من الأمور الشديدة الحساسية التي من طبيعتها أن تثير الأعصاب، ومع ذلك كان في أثناء الحديث عنها والمناقشة حولها ثابت الأعصاب، **ولكنه كان حين يتكلم عن المرشد العام ولقاءاته معه تتغير حاله بالوصف الذي أوردته فيما يبدو في لهجة حديثه، ونبرات صوته، وتقاطيع وجهه، وبريق عينيه.**

ولقد شعرت أنني وصلت إلى ما كنت أسعى إلى الوصول إليه من معرفة العقدة الأصيلة التي انبثق منها هذا الخلاف المتشعب بين جمال وبين الإخوان، وهو الخلاف الذي لا يزداد على الأيام إلا تشعبًا، ولا يثمر أمام المعالجة إلا تفاقمًا؛ لقد فهمت أن كل ألوان الخلاف إن هي إلا مظاهر وأعراض لداء واحد متغلغل في نفس جمال عبد الناصر هو كراهيته لهذا الرجل وحقده عليه..

ولكن التخلص من هذا الرجل في ذلك الوقت هو هدم لكيان الدعوة، وتقويضها من أساسها، والخروج بها عن دائرة الدعوة الإسلامية وتحويلها إلى لعبة في أيدي الحكام، وهو مالا نستطيع أن نسمح به، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] [1] وإذن فليس أمامنا إلا المصابرة، ومحاولة كسب الوقت للخروج

(١) لا ندري سبب إيراد هذه الآية في هذا الموضع؟! وربما يقصد أن عبد الناصر لن يترك الإخوان حتى يكونوا كما يريد هو.

من المأزق القاتل الذي حصرنا فيه حتى نسترد أنفسنا، ونتصرف في ظل جو نسيطر فيه على أعصابنا فيكون تصرفنا سليمًا ومنتجًا.

خامسًا: والملمح الخامس والأخير في شخصية جمال هو عدم مبالاته بالقيم ولا بالعلاقات وهو ما يعبر عنه بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، وهذا المبدأ يستبيح الدم والعرض مادام ذلك يحقق هدف الشخص، والهدف في هذه الحالة عادة يكون هو السيطرة والاستئثار بالسلطة، وصاحب هذا المبدأ ما دام يملك القوة فإنه لا يرحم ولا يرعي إلًّا ولا ذمة».

القرارات التي اتخذت:

«في نهاية هذه الجلسة الطويلة المضنية كان لابد لنا من الوصول إلى اتفاق محدد، وكان أملنا جميعًا – نحن الإخوان – أن يكون اقتراحي الذي ذيلت به مذكرتي هو الذي يتم عليه الاتفاق، وتكون مهمتنا – نحن المجتمعين – أن نبحث تفاصيل تنفيذه، ولكن جمال فاجأنا في نهاية الجلسة برفضه هذا الاقتراح، بل رفض أي اقتراح للصلح قائلًا:

«إن الدعوة إلى إجراء صلح بيني وبينكم فات أوانها، ولم تعد الثقة التي هي أساس الصلح موجودة»، وتناقشنا معه حول هذه النقطة نقاشًا طويلًا غير أنه أصر على الرفض، وما كنا نملك شيئًا بعد أن صار هو يملك جميع أوراق اللعب في يده، ونحن لا نكاد نملك منها شيئًا.

قلنا: إذن لم كان هذا الاجتماع؟ ولو علمنا أنك ترفض الصلح لما أتعبنا أنفسنا، ولكن الأستاذ الطحاوي والأستاذ طعيمة أبلغانا أنك قرأت المذكرة ووافقت على ما جاء بها، وعلى هذا حضرنا، فقال: أنا وافقت على المذكرة كمبدأ، فالصلح هدف، ولكنه الآن ليس الهدف المباشر، ولكن الهدف المباشر الآن سيكون مقدمة الصلح، وإذا استطعتم أن تقوموا بأعباء الهدف المباشر انتقلنا إلى الصلح.

قلنا: ما هو الهدف المباشر؟

قال: كل الذي أستطيع أن أبذله لكم الآن أن أعقد معكم هدنة، فإذا نجحتم فيها كان لكم أن تطلبوا الصلح.

قلنا: وما شروط هذه الهدنة؟

قال: هما شرطان:

١ – أن توقفوا حملتكم على اتفاقية الجلاء.

٢ – أن توقفوا إصدار النشرات.

قلنا: ولنا شرطان مقابلان هما:

١ – أن توقف الاعتقالات والتشريد.

٢ – أن توقف الحملة الصحفية.

قال: أنا موافق على شروطكم إذا وافقتم على شروطي.

قلنا: نحن موافقون.

قال: إذا نفذتم الشروط فلنا اجتماع آخر بعد اجتماع الهيئة التأسيسية، أما إذا لم تستطيعوا تنفيذ الشروط فلا اجتماع ولا تلوموني بعد ذلك.

وهنا اختتمت الجلسة وخرجنا وكلنا أمل في الوفاء بما اشترط علينا لنخرج بالدعوة من هذا المأزق الخطير الذي وضعت فيه».

اجتماع الهيئة التأسيسية:

«لم يعد باقيًا في خاطري التاريخ الذي انعقدت فيه الهيئة التأسيسية،و لكنني أقرأ في الكتب التي تصدر في أيامنا هذه أن تاريخ هذا الاجتماع كان في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤، وعلى العموم فالذي أذكره أن اجتماعنا بجمال عبد الناصر كان قبل اجتماع الهيئة التأسيسية بيومين أو ثلاثة على الأكثر، وكنت متفائلًا بعد خروجنا من بيت جمال لثقتي في أن يؤدي اجتماع الهيئة إلى معاونتنا في تحسين الموقف أو في التخفيف من حدته للأسباب الآتية:

أولاً: أن الوفد الذي مثل الإخوان في الاجتماع بجمال كان فوق الشبهات؛ إذ يضم أعرق الإخوة في الدعوة، وأعلاهم ثقافة، وأشدهم غيرة، وأقدرهم على تقدير الموقف، وهم موضع احترام الجميع.

ثانيًا: أن الذي سيرأس الجلسة ويدير النقاش فيها هو الدكتور خميس نائب المرشد وهو أحد أعضاء الوفد.

ثالثًا: أنني اتفقت مع الدكتور خميس في ترتيب بنود جدول أعمال الجلسة أن يكون عرض مذكرتي أول هذه البنود، وأن يتيح لي فرصة قراءة هذه المذكرة وشرحها، وكان هو واثقًا بأن قيامي شخصيًا بهذا الدور كافٍ أن يقنع إخوان الأقاليم وهم الكثرة الغالبة من أعضاء الهيئة، وكان ثقة الدكتور خميس هذه مبنية على ما كان يعرف من حب هؤلاء الإخوان لي، وتقديرهم لآرائي، ولحسن ظنهم بي في عزوفي عن المناصب، وإيثاري البعد عن مواطن الشهرة، ولأنهم يعلمون أنني ملم من أسرار الدعوة بما لا يلم به أكثر قادتها.

هذا هو ما كان يبعث في نفسي التفاؤل بما قد يتمخض عنه هذا الاجتماع.

أما العقبات التي كانت ماثلة أمامي ولابد من اقتحامها لإنجاح الاجتماع فهي:

أولاً: أن إخوان الأقاليم من أعضاء الهيئة التأسيسية يكادون أن يكونوا في عزلة عن حقائق ما يجري في القاهرة؛ فهم خالوا الأذهان عنها، وكل ما يصل إلى أسماعهم **هو نشرات تشحنهم شحنًا يعدهم لدخول معركة فاصلة**(١).

ثانيًا: أن الظروف لم تتح لنا فرصة للمرور على هؤلاء الإخوان في الأقاليم لشرح حقائق الموقف لهم حتى يحضروا الجلسة وهم ملمون بكل أطراف الموضوع، وكان هذا الإجراء ضروريًا لولا أن ما وصلنا إليه من نتائج لم نصل إليه إلا قبل يومين فقط من موعد انعقاد الهيئة المحدد من قبل.

ثالثًا: أن المرشد العام مستمر في إصدار النشرات والبيانات من مخبئة لتزيد النار اشتعالًا، ومعلوماته ناقصة عن حقائق الموقف وما استجد بعد اختفائه من معلومات تدل على أننا مكشوفون للطرف الآخر دون أن ندري.

---

(١) من خلال ما سبق يتأكد أن حديث الإخوان عن قرب الدخول في معركة فاصلة أصبح يقينًا لا شك فيه.

رابعًا: أن الإخوة المسيطرين على المركز العام والمتصلين بالمرشد في مخبئه لا يريدون أن يقتنعوا بوجهة نظرنا، بل إنهم يرون في تحركنا تخاذلًا وانحرافًا، وإن كانوا لا يبدون به، ولكن تصرفاتهم إزاءنا كانت توحي بذلك، كما توحي بانعقاد **عزمهم على أن يخوض الإخوان المعركة** على أساس من معلوماتهم القاصرة، ولا قِبل لهم بسماع آراء أخرى، ولا بالسماح بتوصيل هذه الآراء إلى المرشد العام؛ اعتقادًا منهم بأن هذه الآراء تفت في عضد الإخوان، **وتعوق الخطة التي وضعوها لشحن الإخوان وإعدادهم لخوض المعركة**».

مفاجأة المفاجآت أو انفجار اللغم:

«كنا قد أبلغنا إخواننا المسئولين بالمركز العام بنص ما تم الاتفاق عليه من قرارات في اجتماعنا بجمال عبد الناصر فور انتهائنا من هذا الاجتماع، وكان أملنا أن يعاوننا إخواننا هؤلاء في النهوض بما يخصنا نحن الإخوان من هذه الشروط أو القرارات، وأهم ما فيها: «إيقاف النشرات»، وهم وحدهم القادرون على تنفيذ هذه الشروط؛ لأنهم هم المتصلون بالأستاذ المرشد، ولكن الذي حدث كان عكس ما توقعناه؛ ففي الليلة المقرر عقد جلسة الهيئة التأسيسية فيها، وفي أثناء توارد وفود إخوان الأقاليم، **وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمنشور صادر عن المرشد العام يوزع على هؤلاء الإخوان، يحرضهم فيه على مواجهة رجال الثورة ويرميهم بما يشبه الكفر!!**[(١)].

ومع أن هذا المنشور كافٍ أن يقوض كل ما بنيناه؛ فإننا لم نيأس لأن آمالنا كانت معقودة على جلسة الهيئة التأسيسية التي نشرح للأعضاء فيها الموقف شرحًا يبصرهم بما خفي عنهم من جوانبه ونواحيه، ثم نكلهم بعد ذلك إلى عقولهم وضمائرهم.. وهم نعم الأكفاء.

رأينا الأخ الأستاذ عبد القادر عودة يصعد هو الآخر إلى المنصة، وينحي الأخ الدكتور خميس – رحمهما الله – في غير رفق، ويقول له: أنا أحق منك بإدارة الجلسة،

(١) ما هو المنتظر من قيادة تتوحد على السعي الدؤوب لاستعجال الصدام وإعاقة الصلح؟ وكيف تكون أرواح الآلاف من الشباب تحت رحمة تصرفاتهم الرعناء؟.



ولشدة المفاجأة، وهول المباغتة، وخشية أن يُؤَوَّل الموقف على أن الإخوان يتنازعون المناصب، تنحى الدكتور خميس، وسكتنا – نحن الحاضرين – ونحن في ذهول من هذا التصرف المفاجئ وما فيه من تعدٍ على الحقوق، وخروج على النظام، وقلنا في أنفسنا: ربما كانت في نفس الأخ الأستاذ عبد القادر بقية من تأثر لما اتخذه الأستاذ المرشد إزاءه حين كان مفتونًا برجال الثورة؛ فلعل تبوؤه منصب رياسة هذه الجلسة يمحو من نفسه هذه البقية».

خطة مدبرة:

«ولكن ما لبثنا بعد برهة أن فهمنا أننا قد تورطنا بحسن الظن، وعلمنا أن المسألة لم تأت عفوًا، ولا جاءت بدافع شخصي، وإنما هي خطة مدبرة تكشف لنا أن إخواننا المسئولين في ذلك الوقت عن المركز العام لما يئسوا من أن أسحب مذكرتي أو أن أتراجع عن خطتي، رتبوا خطة أخرى لإحباط جهودي وجهود من معي..

وكما كان الأخ الأستاذ عبد القادر ﵀ هو رسولهم إليّ في محاولتهم الأولى، فقد اتخذوا منه هو نفسه الأداة المنفذة للخطة الجديدة، وهي خطة مضمون لها النجاح؛ لاسيما وقد احتفظوا لها بالسرية التامة، وأحاطوها بستار كثيف من الكتمان، كما أنهم كانوا واثقين من أننا مهما قلبنا الأمور، واستعرضنا مختلف الاحتمالات إلا أننا في استعراضنا للاحتمالات لم ولن نخرج بها عن حدود ما يمكن أن يحدث في المجتمع الإخواني القائم على المثل العليا والخلق الرفيع، فلن يخطر ببالنا هذا الذي بيتوه، ولكن يبدو أن إخواننا هؤلاء في هذه المرة – وإني أعدها منهم سقطة – **قد استباحوا القاعدة الميكافيلية التي تقول: «إن الغاية تبرر الوسيلة»**، فأمام ما اعتقدوا أنهم على الحق، وأن طريقهم هو الطريق الأمثل لمصلحة الدعوة، وعلى أساس أن التيار المخالف لهم صار من القوة بحيث لا يستطيعون التصدي له بالأساليب المشروعة.. لجئوا إلى أسلوب وإن كان غير كريم؛ إلا أنه يضمن لهم تحقيق ما يأملون».

تفاصيل الخطة:

«الذي أكد لنا أن هذا الذي فوجئنا به إنما هو خطة مدبرة، وخطوات مدروسة، وأسلوب تمخض عن بحث مستفيض، هو أن الأستاذ عبد القادر حين استوى على

المنصة تناول من الدكتور خميس الورقة المكتوب فيها جدول الأعمال، وكان أول بند فيها عرض مذكرتي وقيامي بشرح الموضوع من جميع جوانبه، ويلي هذا البند بنود أخرى عادية، فإذا بالأستاذ عبد القادر يبدأ مخاطبة أعضاء الهيئة بقوله:

«يشتمل جدول الأعمال على البنود الآتية: بند موضوع العلاقات بيننا وبين رجال الثورة، وهناك لجنة وكل إليها أمر الاتصال بهم منذ قامت الثورة ويجب أن نسمع منها ما تم في هذا الصدد.

فقام بعض أعضاء الهيئة القاهريين الذين يعلمون أهمية قراءة مذكرتي وقالوا: نسمع أعضاء اللجنة، ولكن يجب أن نسمع مذكرة فلان أيضًا؛ لأنها في غاية الأهمية. فقام آخرون قاهريون – وهم من الإخوة المسئولين عن المركز العام في ذلك الوقت – وقالوا: لا داعي لقراءة مذكرة فلان.. وكانت نبرات صوتهم توحي بأن زمام المبادرة أضحى في أيديهم.

ويبدو أن اتصالًا كان قد تم بين هؤلاء وبين إخوان الأقاليم ألقى في روعهم أن مذكرتي ومن يؤيدها ليس في مصلحة الدعوة، وإذا لم يكن قد تم هذا الاتصال فيكفي لإثارة شعورهم ولإشعال حماسهم ضد كل ما فيه معنى تقريب وجهات النظر ما تلقوه صادرًا عن الأستاذ المرشد ساعة حضروا إلى المركز لحضور الاجتماع.

وطال الخلاف بين أعضاء الهيئة، واحتدم النقاش، وتعالت الأصوات حول موضوع المذكرة، **وكان الفصل الأخير من المسرحية التي وُضعت بدقة، وأُخرجت بإحكام** أن قال الأستاذ عبد القادر واثقًا:

«حسمًا للخلاف نلجأ إلى الهيئة ونأخذ الأصوات: هل تقرأ مذكرة فلان أم لا تقرأ؟» وأخذت الأصوات فكانت الأغلبية في جانبهم، وهو ما كانوا واثقين منه، وإلا لما لجأوا إلى هذا الأسلوب».

تم إجهاض جهودنا:

«وبذلك تم إجهاض جهودنا، وبدأ اليأس يدب إلى نفوسنا، وفكرنا في مغادرة الاجتماع، ولكننا خشينا أن يؤخذ ذلك على أنه نوع من التمزق في صفوف الإخوان،



ومع أننا نحن وحدنا دون بقية إخوان الهيئة الذين كنا نعلم ما سوف يحيق بالإخوان من التنكيل بعد إهدار آخر سهم في جعبتنا لإنقاذ الموقف، فإننا قررنا أن لا ننجو دونهم من أن نكون معهم حطامًا لنيران أوقدوها أو ساعدوا على إيقادها ثم حالوا بيننا وبين محاولة إطفائها.

وقد يسأل سائل: ما الذي قيل في الاجتماع؟ وما القرارات التي انتهى إليها؟ ونجيب هذا السائل فنقول: إنك تستطيع أن تستنتج كل ذلك من اجتماع كانت مقدماته ما عرفت..»[1].

القرار:

«وخلاصة ما كان أن ظل الاجتماع ما ظل... لا تسمع إلا تهاترًا؛ هذا يطلب محاولة الإصلاح، وآخرون يردون عليه بصوت أعلى يرفضون الإصلاح، ثم كان القرار وهو: «تكليف اللجنة التي كان موكولًا إليها الاتصال برئيس الحكومة، وإخطار الهيئة بنتائج هذا الاتصال في اجتماع الهيئة التأسيسية القادم «ولا أذكر التاريخ الذي حدد له».

ومعنى هذا القرار هو أنك تريد أن ترغم الجانب الذي أضحى بيده زمام المبادأة على التحدث مع لجنة أعلن رفضه الاتصال بها من قبل، متهمًا أعضاءها بتهم مختلفة، منها: سوء النية، ومنها: عدم الأمانة في نقل الأحاديث.. تريد أن ترغمه على استقبالها والتحدث معها؛ وإلا فلا كلام معه».

في انتظار الكارثة:

«لم يكن إخواننا هؤلاء ولا إخوان الأقاليم يتوقعون ما كنا نتوقعه من أهوال

---

(١) بل إمعانًا في التحدي، قام عبد القادر عودة في أثناء استراحة الاجتماع وأعلن للصحافة قرارات صادمة؛ يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»: «وعندئذ أرجئ الاجتماع للاستراحة، أما ما حدث بعد ذلك فهو موضع خلاف على أن من الواضح أن قرارات أخرى تمت صياغتها ثم أعلنها عبد القادر عودة للصحافة تلك الليلة على أنها القرارات التي اتفق عليها الجميع... وهي كما يلي:

١- انتخاب مرشد عام الجماعة مدى الحياة وهو رفض صريح لمحاولة تحديد مدته بثلاث سنوات.

٢- حل الهيئة التأسيسية والإعداد لانتخابات جديدة.

٣- تعديل دستور الجماعة في نقاطه المتعلقة بانتخاب أعضاء الهيئة التأسيسية وسلطة ومسئولية مكتب الإرشاد».

ستنصب على رؤوسنا صبًّا؛ لأنهم حجبوا أنفسهم عن الحقائق، ورضوا أن يعيشوا سابحين في الأوهام، ولم يصدقوا ما أنذرتهم به من أن أسرارنا مكشوفة لهؤلاء الناس، وأرادوا أن يفرضوا على الواقع ما تخيلوه من أوهام.

والتضحية بالنفس والمال لا تغلو على الدعوة، بل إنها أمنية ترنو إليها نفوسنا جميعًا؛ ولكن ليس معنى هذا أن يطالب الإخوان بتقديم تضحيات دون مبرر، فإذا كانت هناك مندوحة لإرجاء هذه التضحيات أو لتقليص حجمها؛ فيجب أن نضن بكل قطرة دم، بل وبالخدش «مجرد الخدش» يصيب أخًا من الإخوان، ما لم يكن الضن به عقوقًا للدعوة، وتضييعًا لحقها، وفي الحديث «**ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثمًا**».

ولقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على حقن دماء أصحابه؛ فلم يقاتل بهم مكشوفين للعدو، ولم يقدهم إلى زحف إلا بعد أن يتحسس لهم الطريق، ويرسل السرايا لتعرف له قوة العدو، ومواضع الضعف فيه، وقد يبعث إليهم من يعطيهم معلومات مضللة عن جيش المسلمين، فإذا اطمأن بعد كل ذلك باغت العدو بالزحف باذلًا من جيش المسلمين أدنى حد من التضحية، محققًا أعظم قدر من النصر.

غادرنا اجتماع الهيئة التأسيسية، ونحن نقول: وداعًا أيتها الدار.. كنا نعرف ما نحن مقبلون عليه، وما ينتظر الإخوان في كل مكان مِن ظلم وعسف وتنكيل، ولكننا أو أقول في نفسي بالذات: إنني كنت مرتاح الضمير؛ لأنني بذلت آخر ما في وسعي لدفع النكبة عن إخوان لي في القاهرة والأقاليم، ولكنهم رفضوا.. فكنت وإياهم كما قال الشاعر العربي:

أبتغي إصلاح سُعدى بجهدي ... وهي تسعى جهدها في فسادي

وقد أيقنت أن لن يكون هناك اجتماع بعد اليوم، فقررت أن أترك عملي وأسافر إلى بلدتي رشيد أطلب إجازات حتى أستنفذها ثم أظل بها حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وسافرت إلى رشيد أنتظر ما تتمخض عنه جهود إخواننا الذين نجحوا في

إجهاض مساعينا، فكان أول خطوة قاموا بها أنهم ذهبوا يطلبون مقابلة جمال عبد الناصر، ولكنهم انصرفوا حين جاءهم رسول منه يقول لهم: إن الرئيس يرفض مقابلتكم».

وقبل التعليق على هذه المحاولات نود أن ننقل كلام الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»، تعليقًا على ذهاب الأستاذ حسن البنا إلى قصر عابدين في ١٩٤٨/١١/٢٥؛ حيث توجه إلى هناك بصحبة الأستاذ محمد حامد أبو النصر عضو مكتب الإرشاد العام وقيدا أسماءهما في سجل التشريفات الملكية محاولين التواصل مع الملك في تلك اللحظات الحالكة، فكتب يقول:

«سيدهش كثير من الناس.. كيف توجه الأستاذ المرشد إلى قصر عابدين، ولكن الذين خبروا المواقف وعاشوا في المحن، بل الذين يتحملون أعباء رسالة وقيادة جماعة، والذين يقدرون تبعة المحن وأخطارها والمصائب الكبرى التي تخلفها، تلك المحن التي تفرض على الجماعة وهي ما زالت في مهدها وقبل أن تتهيأ لتحمل أعبائها والترتيب لمواجهتها، الجماعة التي يقودها رجال لهم دعوة ولهم رسالة ولهم غاية كلها إسلامية روحًا ونصًا، هؤلاء القادة لهم قلوب وعواطف ومشاعر تربطهم بقلوب إخوانهم، وكل من يتصل بهم من زوجات وأطفال.

إن هؤلاء القادة لا يضحون بقطرة دم تراق في غير سبيل الله، ولا يضحون بأخ في سبيل غير سبيل الجنة؛ لأن هذا الأخ معدن غال ونفيس للغاية، بذلت الدعوة في سبيل الحصول على قلبه جهودًا روحية ونفسية وعلمية وثقافية حتى وفقهم الله تعالى إلى قلبه فكان جنديًا مخلصًا لعقيدته ودعوته.

لهذا كان الإمام البنا يريد أن يحول بين الإخوان المسلمين وبين هذه المحنة الشديدة القاسية التي لا يعلم نهايتها إلا الله تعالى، كان الإمام البنا يدرك تمامًا ماذا يحاك للإخوان المسلمين؛ وقد صرح بذلك في خطبته الأخيرة بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عامًا على تكوين أول شعبة للإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ بالإسماعيلية، لهذا أقدم على التوجه إلى قصر عابدين وقيد اسمه في سجل التشريفات؛ إعلانًا لحسن نية الإخوان وتأكيدًا لعدم رغبتهم في الخصومة ونفيًا لادعاءات أعداء الدعوة وخصوم

الإخوان الذين يرددون أن الإخوان تعد العدة لعمل انقلاب تنتزع فيه الحكم، لذلك نرى الإمام البنا يحرص على إبطال كل هذه المؤامرات بتوجهه إلى قصر عابدين».

من خلال متابعتنا للحوار السابق بين عبد القادر عودة وبين محمود عبد الحليم نرى كم كان إصراره على الصدام المدمر الذي جعل عبد الحليم في قمة الانزعاج، والمدقق في كلام عودة يجد أن هناك لغزًا ما لم يشأ عبد الحليم أن يكشف عنه، هذا اللغز ببساطة هو أن الإخوان يعدون العدة لمواجهة شاملة وعنيفة مع عبد الناصر تؤدي إلى إسقاط نظامه، ولكن السر الكامن في كلامه هو نوعية الوسائل التي عقدوا عزمهم على استخدامها.

جزء من هذا اللغز يكشفه لنا الأستاذ/ حسن العشماوي في كتابه «الإخوان والثورة» وقد نقل فيه بعض الأفكار المتداولة قبل حادث المنشية بأيام يقول:

«من الإنصاف اليوم أن أقول إن أحدًا من أعضاء المكتب أو من الإخوان المسئولين عن التنفيذ لم يقترح القيام بعمل فردي عنيف، حتى أن اللجوء والإجراء العنيف الوحيد الذي عرضه أحدهم هو اختطاف بعض رجال البوليس الحربي والمباحث العامة وأخذهم كرهائن مقابل من اعتقل من الإخوان، فهذا الإجراء يشل حركة الدولة ويسقط هيبتها ويجعل زملاءنا الرهائن أكرم معاملة للمعتقلين منا وأكثر تحرزا في تنفيذ أوامر القبض بالجملة، **وقد أقر هذا الإجراء أول الأمر وأعدت له وسائل تنفذه، ثم أرجئ بعض الوقت، ثم منع دوران عجلة الحوادث بعد ذلك العودة إليه.**

ولعل أوضح ما عرض في تلك الأيام من آراء؛ رأي بالقيام باعتصام سلمي يضم الإخوان وغيرهم من أفراد الشعب ومن رجال السياسة معهم من نسائهم وأطفالهم، يرابطون جميعًا أمام قصر الجمهورية (قصر عابدين) حتى تنزل الحكومة عند رأيهم أو **يبيدوهم بالرصاص، وعندئذ سيعلم الناس ويعلم العالم أجمعين حقيقة الحكم في مصر، وإن كان المؤكد أن الجيش سيعصي أمر إطلاق النار على قوم عزل مسالمين، وعصيان الجيش أول مراحل الثورة الشعبية الموفقة، وبهذا ستنطلق الشرارة التي تحرق النظام**



القائم [(١)]... وبرغم ما بدا على صاحب هذا الاقتراح من حماسة في عرض فكرته التي فكر فيها طويلًا فإن حماسه لم يلق من أغلبية زملائه آذانًا صاغية.

وحدد يوم الخميس ٢٩ أكتوبر١٩٥٤ لانعقاد الهيئة التأسيسية الجديدة التي سيحضرها الأستاذ الهضيبي شخصيًا على أن تخرج الهيئة بعد الاجتماع ومع أفراد الجماعة في مظاهرة سلمية يحميها بعض الأفراد المسلحين، ويسير في المظاهرة بعض كبار الساسة في الأمة، وكنا على اتفاق معهم في ذلك.

وكان المفروض أن هذه المظاهرة **بما يجمعها ويحميها من الأفراد المسلحين ستكون نقطة الانطلاق التي تسعى لإسقاط الدكتاتورية العسكرية** لتسليم مقاليد الحكم مؤقتة حتى تجري انتخابات عامة، وكان كل منا يعرف دوره في المظاهرة، ولكن الأحداث سبقت هذا التقدير الذي رسمناه».

لغز آخر يكشفه لنا د. زكريا سليمان بيومي في رسالته «الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ - ١٩٨١» فيقول:

«أما عن دور محمد نجيب في هذه الأحداث؛ فقد قام قبل حادث المنشية بالاتصال بالإخوان المسلمين للإعداد لعمل مشترك على غرار ما تم في مارس ١٩٥٤، وحدث الاتصال عن طريق مندوبه محمد رياض، وقد رفض الإخوان خلال هذه الاتصالات عرضًا بعودة الحياة النيابية، وإلغاء الرقابة على الصحف، ووافقوا على بقاء النظام العسكري في الحكم برئاسة محمد نجيب مع إقصاء جمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة، وتشكيل حكومة مدنية تؤلف بمعرفتهم وموافقتهم، وتعيين رشاد مهنا قائدًا عامًا للقوات المسلحة، لكن نجيب - كما ورد في مذكراته - قد رفض هذه المقترحات، وهو أمر نستبعده، وقد صدر قرار أثناء محاكمات الإخوان بالقبض على محمد رياض حيث وجهت إليه تهمة التآمر مع الإخوان لقلب نظام الحكم لكنه تمكن من الفرار إلى السعودية».

---

(١) ألا يذكرنا هذا الكلام بأحاديث قادة الجماعة على منصة رابعة؟!

ضربة النهاية وإعلان الحرب: «حادث المنشية»:

أشاعت جماعة الإخوان بمهارة فائقة أنها بريئة من حادثة المنشية، واستطاعت أن تنحت في ذاكرة التاريخ مقولة «تمثيلية المنشية»، وأصبحت الأجيال تردد هذه العبارة بلا تحقق، وطالما ترسخ في الأذهان أنها تمثيلية، فمن البدهي أن تكون السلطة هي المدبرة والمخططة لها.

والحقيقة الناصعة التي لا جدال عليها أن المتهم الأول بإطلاق النار على عبد الناصر هو الشاب الرامي الحاذق (النشانجي) محمود عبد اللطيف أحد أعضاء النظام الخاص، ومن رسم له الخطة وسلم له المسدس هو القيادي الإخواني هنداوي دوير أحد قادة النظام الخاص بالقاهرة الذي صرح له أن القيادة العامة للإخوان تعلم بهذه الخطوات وتباركها، وبالتالي فلا مجال لإنكار نسبة تخطيط الحادث وتنفيذه إلى النظام الخاص على الأقل، إذا سلمنا أن القيادة العامة لا تعلم شيئًا عنه.

في كتابه «الإخوان المسلمون والتنظيم السرى» يصف الدكتور عبد العظيم رمضان تفاصيل الحادث فيقول:

«في تمام الساعة السابعة وخمس وخمسين دقيقة من مساء يوم الثلاثاء ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ كان جمال عبد الناصر يقف خطيبًا في حفل أقيم بميدان المنشية بالإسكندرية بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء مع بريطانيا، ولم تكن قد مضت دقائق قليلة على بدء خطابه، وكان يتحدث عن ذكريات اشتراكه في العمل الوطني، ووصل إلى فقرة يقول فيها: «بدأت كفاحي في هذا الميدان في الإسكندرية، وكنت شابًا صغيرًا في عام ١٩٣٠ حين بدأت لأول مرة أهتف مع إخواني أبناء الشعب للحرية، واليوم أشكر الله؛ فقد أثمر كفاح آبائكم وأجدادكم وجميع الشهداء الذين استشهدوا في هذا السبيل.

وفي هذه اللحظة بالذات دوت ثماني رصاصات متتالية أطلقها محمود عبد اللطيف -العضو في التنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين- على جمال عبد الناصر لم تصبه، ولكنها أصابت جماعة الإخوان المسلمين بكارثة فظيعة لم يشهد لها تاريخ الحياة السياسية في مصر مثيلًا.

كان شعور جماهير الإسكندرية عند إلقاء عبد الناصر خطابه معبأ ضد اتفاقية الجلاء مع بريطانيا التي عارضتها كل القوى السياسية في مصر، وضد عبد الناصر الذي وقعها، وضد نظام الحكم الاستبدادي الذي أرساه، وعندما أقيم سرادق الاحتفال في ميدان المنشية، احتلته جماهير الإسكندرية، وأخذت هتافاتها تتعالى بالحرية وسقوط الظلم مما اضطر السلطات إلى إخلاء السرادق من هذه الجماهير في الخامسة مساء، وإعادة ملئه من جديد بجماهير مأجورة تتكون من عشرة آلاف من عمال مديرية التحرير الموالية، وكانت هذه الجماهير هي التي تسرب محمود عبد اللطيف من بينها ليجلس في الصفوف الأمامية على بعد عشرين مترًا من منصة الخطباء والضيوف وأطلق منها الرصاص على جمال عبد الناصر، على أن جمال عبد الناصر لم يسقط، لقد سقط المحامي أحمد بدر الذي كان يقف على بعد ربع متر إلى جوار عبد الناصر برصاص محمود عبد اللطيف، وساد هرج ومرج شديدان، ولكن عبد الناصر كان صامدًا، فقد طلب إلى الجماهير القبض على الجاني فأمسكته، وأوسعته ضربًا شديدًا، بينما كان عبد الناصر يطالب الجماهير بالثبات في مواقعها بعبارات متهدجة من فرط التأثر، أعلن فيها أن دمه فداء لمصر وأن حياة مصر لن تكون معلقة بكفاح عبد الناصر بل هي متعلقة بكفاح شعب مصر.

وقد جرت في أعقاب ذلك أكبر حملة اعتقال للإخوان المسلمين شهدتها مصر، وقد بدأ الأمر باعتقال هنداوي دوير رئيس محمود عبد اللطيف في التنظيم السري، والذي سلم نفسه لبوليس إمبابة في اليوم التالي مباشرة للاعتداء، وفي يوم ٣٠ أكتوبر قبض على الهضيبي في الإسكندرية بعد أن عثر على عنوانه عن طريق ورقة بها أرقام تليفونات عثر عليها مع صلاح شادي الضابط الإخواني الذي قبض عليه في الإسكندرية، وكان بها رقم تليفون المنزل الذي يقيم فيه الهضيبي، كذلك قبض على محمد نصيري وسعد حجاج.

وفي يوم ٦ نوفمبر أعلنت الحكومة في الصحف عن طلب القبض على يوسف طلعت رئيس التنظيم السري، وحسن العشماوي وإبراهيم الطيب وعبد المنعم عبد الرؤوف،

وفي نفس اليوم سقط في يد السلطة كل من عبد القادر عودة، وصالح أبو رقيق، ومنير الدلة، وكمال خليفة، ومحمد فرغلي، وحسين كمال الدين، وفي اليوم التالي تم اعتقال الجهاز السري في الإسكندرية.

وفي ١١نوفمبر ألقي القبض على محمد خميس حميدة وكيل الجماعة، وبعد أربعة أيام –أي: في ١٥ نوفمبر– سقط يوسف طلعت في يد البوليس، وكانت الحكومة قد رصدت مكافأة للقبض عليه قدرها ٢٠٠٠ جنيه، وهو مبلغ ضخم بمعيار ذلك الوقت.

وبعد ثلاثة أيام أخرى –أي: في ١٨ نوفمبر– ألقي القبض على عمر التلمساني وسيد قطب والضابط الإخواني عباس أبو كرم، كما ألقي القبض على خمسة عشر آخرين، وفي يوم ١٩ نوفمبر ألقي القبض على صالح عشماوي، وفهمي أبو غدير، ولكن تم الإفراج عنهما بأمر المباحث العامة، وتسابقت أنباء القبض على الخلايا في الوجهين البحري والقبلي ومحافظات القطر.

وفي ٢٢ نوفمبر نشرت الصحف أسماء المعتقلين من أعضاء مكتب الإرشاد وهم: محمد خميس حميدة وكمال خليفة وعبد القادر عودة ومنير الدلة وصالح أبو رقيق وحسن كمال الدين ومحمد فرغلي ومحمد حامد أبو النصر وعبد العزيز عطية وأحمد شريت، وكان قد تم القبض في اليوم السابق على طاهر الخشاب، وبعد خمسة أيام –أي: في ٢٧ نوفمبر– نشر البكباشي زكريا محي الدين بيانًا في الصحف ذكر أنه تم اعتقال ٧٠ بالمائة من أعضاء الجهاز السري البالغ عددهم سبعمائة.

وفي ٢٨ نوفمبر تألفت ثلاث دوائر فرعية للمحكمة التي أطلق عليها ابتداءً من ٦نوفمبر اسم «محكمة الشعب» فكانت رابع محكمة من هذا النوع تشكلها الثورة بعد المجالس العسكرية، ومحكمة الغدر، ومحكمة الثورة، وقد تألفت الدائرة الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة، والثانية برئاسة القائم مقام حسين محفوظ ندا، والثالثة برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن شحاتة عنان، وقد عقدت جلسات هذه الدوائر الثلاث في مبنى الكلية الحربية، بينما عقدت جلسات محكمة الشعب الرئيسية بمبنى قيادة الثورة بالجزيرة.

وقد عقدت أول جلسة لمحكمة الشعب صباح يوم الثلاثاء ٩نوفمبر ١٩٥٤ –أي: بعد أسبوعين تمامًا من حادث الاعتداء– واستمرت إلى يوم ٢ديسمبر ١٩٥٤ لتستأنف المحاكم الفرعية مهمتها ابتداء من ٥ ديسمبر، وقد حوكم أمام محكمة الشعب الرئيسية برئاسة جمال سالم كبار أعضاء الجماعة والتنظيم السري، وهم - بالإضافة إلى محمود عبد اللطيف-: حسن الهضيبي المرشد العام، ويوسف طلعت رئيس التنظيم السري، وهنداوي دوير رئيس منطقة إمبابة في التنظيم السري، وإبراهيم الطيب رئيس مناطق القاهرة، ومحمد خميس حميدة نائب المرشد، والشيخ محمد فرغلي عضو مكتب الإرشاد، وعبد القادر عودة وكيل الجماعة، والدكتور حسين كمال الدين، وكمال خليفة، ومنير الدلة، وصالح أبو رقيق، ومحمد حامد أبو النصر، والشيخ أحمد شريت، وعمر التلمساني، وعبد العزيز عطية، وعبد الرحمن البنا، والبهي الخولي، وعبد المعز عبد الستار، وكان الثلاثة الأخيرون مفرجًا عنهم.

وصدر الحكم بإعدام عبد اللطيف ومعه ستة من كبار قادة الإخوان وهم: عبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وهنداوي دوير، وحسن الهضيبي، وقد نفذ الحكم في الستة الأولين، واستبدل به الأشغال الشاقة المؤبدة لحسن الهضيبي، كما حكم على سبعة آخرين من كبار الإخوان بالأشغال الشاقة المؤبدة هم: محمد خميس حميدة، وصالح أبو رقيق، ومنير الدلة، والدكتور حسين كمال الدين، ومحمد كمال، وعلى كل من عمر التلمساني وأحمد شريت بالسجن ١٥ عاما».

كان هذا هو الوصف الإجمالي للحادث، مع بيان موجز عن تبعاته، وفيما يلي نستعرض شهادة أقلام إخوانية خالصة عن هذه الحادثة الخطيرة.

ينقل الدكتور يوسف القرضاوي في مذكراته «سيرة ومسيرة» شهادته الخاصة عن هذه الحادثة فيقول :

«ولا نزاع أن الجو كان مكهربًا، والعلاقة كانت متوترة، بل مشتعلة بين الإخوان والثورة منذ مدة، **وزادها اشتعالًا وتوترًا اختفاء المرشد العام الذي طال نسبيًا، وإصدار النشرات السرية التي كانت باستمرار تنتقد الثورة، أو قل تهاجمها بعنف في سياستها،**

وتتهمها بأشياء يصعب على الثورة أن تسكت عنها، وقد فشلت كل الجهود التي حاولت التقريب والمصالحة بين الطرفين؛ مثل محاولة الأخ الأستاذ محمود عبد الحليم التي قدم فيها مذكرة، وحكاها بتفصيل في كتابه: «الإخوان المسلمون؛ أحداث صنعت التاريخ» - الجزء الثالث-[1].

وقد منح هذا الحادث كل الفرصة لعبد الناصر ليضرب بيد من حديد، ويأخذ الإخوان كلهم بجريرة هذا الحادث الذي اتهم جماعة الإخوان وقيادتهم بتدبيره، أما كيف تم هذا الحادث؟ ومن المسؤول عنه؟ وما مدى مسؤولية الجماعة وقيادتها ومرشدهم العام عن هذا الحادث؟ فيلزمنا أن نقف هنا قليلًا -بل طويلًا- لننظر في تسلسل الأحداث، وكيف مضت في تسارعها قبل أن نسارع بتصديق الاتهام أو تكذيبه.

ونذكر هنا ما رواه د.ريتشارد ميتشل في كتابه عن (الإخوان) حيث يقول عن تلك الفترة: «في ٤ أكتوبر زار» يوسف طلعت» الهضيبي في الإسكندرية، وأخبره بوجود الكثير من البلبلة واللبس الفكري في الصفوف حول أفضلية ما يجب عمله، ونوع ذلك العمل، وطلب من المرشد أن يخرج على الناس حتى يوضح الأمر، ويرفع من الروح المعنوية المتدهورة للجمعية، وقد أجاب الهضيبي أن مكتب الإرشاد يرغب في أن يبقى مختفيًا، كما أخبره أنه أحس بالقلق في الأيام القليلة الماضية من خشية احتمال وقوع عنف واغتيال، وأضاف: «إذا أردتم القيام بمظاهرة تؤيدها جميع طبقات الشعب، فذلك هو الصواب»، ومع ذلك فيجب أن تقتصر المظاهرة على المطالبة «بحرية الصحافة، وبمجلس نيابي، وبعرض اتفاقية الجلاء على الشعب»، كما يجب أن تكون «مظاهرة شعبية»، وأكد أنه يرفض قبول أي «عمل إجرامي»، مؤكدًا أنه يعتبر نفسه «بريئًا من دم أي شخص كان[2]». انتهى.

---

(١) سبقت الإشارة لها.

(٢) نؤكد مرة أخرى أن الحديث الدائم والمستمر عن الدم يوحي بعكس المقصود الذي يحاول المؤرخون الإخوان إثباته، فلا يوجد سحب بلا أمطار، ولا دخان من غير نار؛ فالأجواء كلها كانت مشحونة ومستعدة للمعركة، وسبق نقل تخوفات محمود عبد الحليم من بحور الدماء المتوقع سيلانها.

في هذا الوقت كان هناك شخص واحد يفكر وحده في علاج هذه القضية، قضية علاقة الإخوان بالثورة -بطريقته الخاصة- هذا الشخص هو هنداوي دوير المحامي، وأنا أعرف هنداوي دوير وأعرف نوع تفكيره؛ فقد لقيته عدة مرات بالمحلة الكبرى؛ إذ كان يعمل في مصنعها قديمًا قبل أن يحصل على ليسانس الحقوق وينتقل إلى القاهرة، ومن عرف «دوير» عرف أنه رجل ذكي، ورجل مغرور، ورجل متحمس عجول، **كما أنه رجل مخلص للدعوة لا يمكن أن يتهم بخيانة أو عمالة للخصوم.**

تفكير هنداوي دوير يقوم على أن هذا النظام يعتمد في بقائه على شخص واحد هو سنده وعموده الأساسي، فإذا سقط هذا الشخص سقط النظام كله، هذا الشخص هو جمال عبد الناصر، وكيف يذهب أو يسقط عبد الناصر عمود النظام الثوري؟ إنه أمر في غاية السهولة: رصاصات يطلقها رامٍ ماهر في صدره فيخر صريعًا، ويخر معه نظامه أيضًا.

فهل عجزت جماعة كبرى كالإخوان أن يكون فيها رام ماهر؟ كلا، بل هو موجود، بل هو أقرب ما يكون إليه، إنه في شعبته نفسها، **إنه الشاب الرامي الحاذق (النشانجي) محمود عبد اللطيف السباك أو السمكري المعروف**، ما أبسطه من حل، وما أسهله من علاج لا يحتاج إلى جماعات مسلحة، ولا إلى تدبير انقلاب على نظام الحكم وما يحتاج إليه من إمكانات وتدبيرات، وما يحوط به من محذورات وتخوفات، بخلاف هذا الحل الذي يقوم على مجرد يد رامية ماهرة وعدة رصاصات!!

ولم يفكر المحامي الذكي المعجب بنفسه: ما العمل إذا أخفق هذا الحل، وفشلت هذه الخطة؟ لم يسمح لنفسه أن يفكر في الوجه المقابل؟ بل افترض النجاح أبدًا، اختار هنداوي دوير محمود عبد اللطيف، وأوهمه [1] أنه مكلف من قيادة الإخوان باغتيال عبد الناصر، ودوير هو رئيسه في شعبة إمبابة، وله عليه حق السمع والطاعة، وكما يقول ريتشارد ميتشل: أمهله ثلاثة أيام ليتخذ قراره.

(١) هذا هو رأي الدكتور القرضاوي، ويصعب عند التمعن تصديق ذلك إذا استحضرنا التعليمات الصارمة شبه العسكرية التي يتعامل بها النظام الخاص، خصوصًا وأن المطلوب اغتياله هو رئيس الدولة وليس شخصًا عاديًا، ومعلوم ما لهذا العمل من تبعات خطيرة.

يقول ميتشل:

«وفي ١٩ أكتوبر، وهو اليوم الذي أمضى فيه عبد الناصر المعاهدة مع بريطانيا قبل عبد اللطيف مهمة اغتياله بسبب «ارتكابه الخيانة» بإمضاء المعاهدة التي «ضيعت حقوق البلاد»، ووضعت الخطط للقيام بهذا العمل في نفس اليوم، إلا أن الظروف التي أحاطت بعبد الناصر في الاجتماعات العامة لم تساعد على تنفيذ الخطة بنجاح، وبناءً على ذلك فقد أجّل تنفيذها لوقت أكثر ملاءمة.

وفي ٢٤ أكتوبر، قام كمال خليفة -وكان من أكثر أعضاء مكتب الإرشاد احترامًا- بزيارة لجمال سالم نائب رئيس الوزراء، وقدم التهنئة للحكومة على إكمالها المفاوضات وإمضائها للمعاهدة، وشاع من مصادر يعتد بها أن الهضيبي قرر إصدار بيان جديد يبين فيه انطباعه الحسن عن المعاهدة، على خلاف انطباعه عن الخطوط الرئيسية السابقة للاتفاق، واستمرت «لجنة الاتصال مع الحكومة» في جهودها لرأب الصدع[١].

وفي عصر يوم ٢٦ أكتوبر كان أحد أعضاء مكتب الإرشاد في مكتب أنور السادات؛ ليطلب تحديد موعد مع رئيس الوزراء لحل بعض المشاكل القائمة، وفي نفس الوقت زار عبد العزيز كامل أحد الأعضاء البارزين في الجماعة ورئيس قسم الأسر منزل صديقه هنداوي دوير[٢] الذي كان زميلًا له في شعبة إمبابة بقسم القاهرة، ولم يذكر دوير لعبد العزيز كامل آنئذ أنه عمل على إرسال عبد اللطيف إلى الإسكندرية في صباح ذلك اليوم كجزء من المؤامرة الإرهابية.

---

(١) سبق الكلام على أن هذه اللجنة توقف عملها، وأجهضت أي محاولات من غيرها مثل محاولة محمود عبد الحليم.

(٢) يعلق الأستاذ صالح أبو رقيق على هذا بقوله: «خالف هنداوي دوير تعليمات قسم الأسر الذي يقضي بأن يكون رئيس القسم الدكتور عبد العزيز كامل على علم تام بكل أسرار الأسر عندما لم يبلغه بإرسال محمود عبد اللطيف إلى الإسكندرية، ويفسر هذا إلى حد كبير المعاملة الحسنة التي كان يلقاها هنداوي في السجن الحربي، وانهياره التام عند قدومه على حبل المشنقة، وهو يصيح: «أين جمال عبد الناصر؟ إننا لم نتفق على هذا»!! ودفن ومعه السر الكبير..».

وفي المساء حيث وقف عبد الناصر أمام جموع حاشدة؛ ليذكر مصر جهوده الوطنية الشخصية، وليحتفل بنتائجها التي تجلت في اتفاقية الجلاء، أطلقت عليه النار ثماني مرات، وتوقف رئيس الوزراء لحظة ستظل ذكراها الحزينة باقية لأمد طويل، وقطع خطابه حينما دوت الطلقات النارية، ثم استأنف الكلام، وقد تمكن وحده من حفظ النظام حينما اخترق أثر هذه الرصاصات نفوس الجماهير، ولم تمض ساعات حتى أذيعت كلمات عبد الناصر في تلك اللحظة، وتكررت إذاعتها في القاهرة ومنها إلى سائر العالم العربي؛ قال عبد الناصر:

«أيها الشعب... أيها الرجال الأحرار... جمال عبد الناصر من دمكم، ودمي لكم، سأعيش من أجلكم، وسأموت في خدمتكم، سأعيش لأناضل من أجل حريتكم وكرامتكم، أيها الرجال الأحرار... أيها الرجال... حتى لو قتلوني فقد وضعت فيكم العزة، فدعوهم ليقتلوني الآن، فقد غرست في هذه الأمة الحرية والعزة والكرامة في سبيل مصر، وفي سبيل حرية مصر سأحيا، وفي خدمة مصر سأموت».

لم يصب رئيس الوزراء فأتم خطابه، واستأذن من الجماهير منصرفًا، لقد أمده هذا الحادث بفرصة العمر الوحيدة التي تمتع بها ذلك الوقت في صراعه العدائي الذي تميزت به علاقته مع الشعب الذي حاول أن يحكمه، كما أمده دون جدال بفرصة الإجهاز على الإخوان المسلمين.

وفي ٩ من ديسمبر اللاحق شُنق ستة من الإخوان وكان قد أُعتقل آلاف منهم، وقضى على الجماعة قضاءً مبرمًا، وبهذه الأحداث ينتهي هذا الفصل».اهـ.

وبالتالي فهذا اعتراف صريح من الدكتور القرضاوي -وممن أرخوا لهذه الحادثة- أن من قام بهذه الحادثة فرد من أفراد الإخوان، بل ومن أعضاء النظام الخاص، وأنه لم يُقدم على ذلك من تلقاء نفسه، بل فعل ذلك امتثالًا لأوامر قائده المباشر في النظام الخاص - هنداوى دوير - بعدما تأكد أن الأمر تم الاتفاق عليه بين القادة الكبار.

يبقى هنا تحليل مسألتين:

الأولى: هل قام هنداوي بتدبير هذا الأمر الخطير من تلقاء نفسه؟ أم أن هناك اتفاق

سري بين القيادة وبين هنداوي، لكن لما فشلت عملية الاغتيال تم الاتفاق على أن يتحمل هنداوي تبعية الحادث على اعتبار أنه تم اكتشافه بطبيعة الحال؟!

الثانية: كيف لهذا الرامي الماهر (النشانجي) أن يخطىء في إصابة الهدف بعد ثمان رصاصات من مسدسه؛ لأن من يزعم أن حادث المنشية تمثيلية من أوله إلى آخره يبني ذلك على عدة أسباب، منها: أن هذا الرامي الماهر لم يصب عبد الناصر رغم أنه كان قريبًا منه جدًا، وبالتالي فلابد أن يكون هذا الأمر غير حقيقي وفقًا لظنه.

ومع أن هذه النقاط لا تغير من حقيقة مسئولية الجماعة عن الحادثة، إلا أنه من المفيد معرفة آراء المحللين تجاهها.

تحليل الدكتور يوسف القرضاوي الذي اعتمد فيه على تحليل الأستاذ صالح أبورقيق:

يقوم تحليل الدكتور القرضاوي على فرضية عدم علم قيادة الإخوان ممثلة في الهضيبي، وكذلك عدم علم قيادة النظام الخاص ممثلة في يوسف طلعت بما يخطط له هنداوي دوير، وبالتالي ألقى التبعية كاملة على هنداوي دوير وحده، وهو كما قال: أفضى إلى ما قدم ودفن معه السر الكبير وراء هذه الحادثة.

أما إجابة سؤال: هل قام هنداوي دوير بهذا العمل اجتهادًا منه أم عمالة للأمن؟ فالقرضاوي لا يتهمه بالعمالة، وإن كانت بعض الآراء الإخوانية لا تتورع عن اتهامه بذلك.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي في مذكراته «سيرة ومسيرة»:

«من الواضح الجلي، ومن المؤكد المستيقن أن قيادة الإخوان لا تتحمل وزر هذا الحادث عند كل دارس أو مراقب عنده ذرة من عقل أو إنصاف؛ فقد أكدت كل المصادر أن المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي كان ضد فكرة الاغتيالات بكل قوة ووضوح، وأعلن هذا بصريح العبارة لرئيس الجهاز السري: أنه بريء من دم أي شخص كان، وهذا ما شهد به الخاص والعام، وأن النظام الخاص أو الجهاز السري للجماعة لم يكن هو المدبّر لها ولا المسؤول عنها؛ إنها في رقبة هنداوي دوير ﵀ الذي

أراد أن يقوم عن الجماعة بتنفيذ ما فرطت فيه في نظره! **ومن يدري ربما لو نجحت خطته لأصبح من الأبطال، وعدّ منقذًا للدعوة**[١].

وبقدر اندفاعه في التدبير والتنفيذ، كان اندفاعه وانهياره السريع عند فشل الخطة، ويظهر أنه أيقن أن كل شيء قد ضاع، ولم يبق إلا أن يقر ويعترف بكل شيء، فسارع إلى تسليم نفسه طوعًا واختيارًا، كما يبدو أنه ساومهم أو ساوموه على أن يكون (شاهد ملك) كما يقولون، وفي مقابل اعترافه يعفى من العقوبة أو تكون مع إيقاف التنفيذ أو نحو ذلك، ولكنهم لم يفوا له بما وعدوه، وربما كان هذا هو السبب في صياحه ساعة ساقوه إلى حبل المشنقة: ضحكوا عليَّ.. خدعوني.. ضحكوا عليّ، مش دا اتفاقنا... إلخ.

وبعض الإخوان اتهموا هنداوي -أو كادوا- بأنه كان عميلًا للثورة في ذلك الحادث، وأنا أستبعد هذا كل الاستبعاد عن الرجل، وإن كان هناك علامات استفهام في القضية لم نجد لها حتى الآن جوابًا مقنعًا، ولكن يبدو أن هنداوي رحمه الله كان ثرثارًا، ولم يكن كتومًا كما ينبغي، حتى ذكر الأستاذ فريد عبد الخالق أنه قال في المركز العام أمام عدد من الناس: لازم نقتل جمال [٢]، وأن محمد الجزار رجل البوليس السياسي في عهد الملكية سمعه، وربما أبلغ ذلك إلى الجهات المسؤولة.

كما أن هنداوي طلب من محمود الحواتكي رئيس الجهاز السري في محافظة الجيزة مسدسًا لمحمود عبد اللطيف لينفذ به مهمة الاغتيال، فرفض إعطاءه، قائلًا: إن المرشد يرفض فكرة الاغتيال مطلقًا، وربما كان هذا أو غيره سبب تسرب الخبر، لا يستطيع أحد الجزم[٣].

---

(١) هذه الجملة هي مربط الفرس في القصة كلها، لو كانت هذه الخطة نجحت لأعلن الإخوان أنهم هم من قاموا على تدبيرها منذ اللحظة الأولى، ولكن لما فشلت لم يمتلكوا جرأة الاعتراف بها، وألقوا بها على كاهل هنداوي دوير بمفرده.

(٢) كونه ثرثارًا لا يتفق مع صفات القادة في النظام الخاص كما هو معروف، أما كونه يفصح عن ذلك في المركز العام وبلا نكير ممن كان موجودًا هناك، فمعنى ذلك أن قصة الاغتيال كانت مطروقة بينهم وكانوا يتداولون الحديث بشأنها.

(٣) هل من المنطقي ألا يخبر رئيس الجهاز السري في محافظة الجيزة الرئيس الأعلى في التنظيم بطلب هنداوي =

وهكذا يبدو من سير الحوادث **أن سر هذه المؤامرة لاغتيال عبد الناصر قد انكشف قبل أن تقع الواقعة**، وأن عبد الناصر علم بها، وعلم من المكلف باغتياله، ولكنه لم يقبض على الشخص ويودعه السجن كما يتوقع في مثل هذه الحالات، بل أراد أن يستفيد من الحادثة بعد أن انكشف قناعها(١).

أما كيف انكشفت فعلم ذلك عند الله تعالى، ولكن سمعت من بعض الإخوان أن أحد رجال الأمن -نسي اسمه- قال في مقابلة تليفزيونية في القاهرة: إن الأستاذ عبد العزيز كامل -وكان يسكن في إمبابة مع هنداوي دوير في بناية واحدة- علم بتدبيره عملية اغتيال عبد الناصر، فأفهمه خطورة هذا العمل، وسوء أثره على الجماعة، وحاول أن يثنيه عن عزمه، فلم ينثن، فلما رأى تصميمه على التنفيذ، أراد أن يبلغ قيادة الجماعة، لتمنع هنداوي من تصرفه المنفرد، ولما لم يستطع الوصول إلى قيادة الجماعة لاختفاء المرشد، اتصل بمن يعرف من رجال الأمن وأبلغهم بنية هنداوي؛ ليبرئ ذمة الجماعة، وكان غرضه أن يقبضوا عليه وعلى محمود عبد اللطيف قبل أن يحدث أي شيء، وأبلغ مسؤول الأمن عبد الناصر، ولكنه لم يقبض على المدبِّر، ولا على المكلف بالاغتيال؛ لأمر أراده كما تدل على ذلك الشواهد.

وذكر الأستاذ حسن العشماوي أنه فوجئ بالحادث، وفوجئ بإسناده إلى الإخوان، وقد سأل في ذلك يوسف طلعت رئيس الجهاز السري، فأكد أنه لا يعرف شيئًا عن ذلك، والمفروض أنه المسؤول عن الحركات السرية، ووضح يوسف طلعت أن الخطة الموضوعة كانت تقتضي أن تجتمع الهيئة التأسيسية بعد غد، وأنه ستعقبها مظاهرة لإعلان قراراتها، كما أكد يوسف طلعت أنه أيقن أن الأستاذ إبراهيم الطيب المسؤول

=وعزمه على تنفيذ عملية الاغتيال؟! إلا إذا كان هناك اتفاق بينهم على أنهم موافقون لكن بدون تحمل مسئولية التوجيه المباشر.

(١) هذا الأمر من الاحتمالات الواردة بقوة، فربما علم الأمن بالمؤامرة قبل وقوعها، وقرر أن تمضي كما هي مع أخذ الاحتياطات ليبطل مفعولها، ولكن ليستغلها بعد ذلك في القضاء على الإخوان بعلة العزم على اغتيال رئيس الوزارة.

عن الجهاز السري في القاهرة لم يكلف الأستاذ هنداوي دوير بأن يعمل لاغتيال جمال عبد الناصر، ويستنتج الأستاذ حسن عشماوي من ذلك كله أن الحادث على هذا النحو فردي يحاسب عليه فاعله.

ثم يعود ليذكر أنه يؤيد اتجاه الأستاذ يوسف طلعت الذي كان إيمانه يصل إلى أن الحادث ملفق.. لأن المسافة بين مُطْلِق النار وموقف عبد الناصر ٣٠٠ متر وللميل الشديد في الاتجاه؛ إذ كان عبد الناصر يقف على منصة عالية، ثم لوقوف عبد الناصر وراء حاجز من البشر، وذهاب المتهم وحده دون شريك يسنده، واستعمال مسدس وهو أداة ضعيفة في مثل هذه الحال، وعدم إصابة الهدف من شخص معروف جيدًا بالمهارة الفائقة، ومعروف كذلك بأنه لا يطلق النار بغير تأكد من الإصابة... كل ذلك يوحي أن الحادث غير معقول.

ويوسف طلعت كان دائمًا يتساءل: أمن الممكن أن يرسل هنداوي دوير شخصًا واحدًا لهذا الحادث، مع أنه يستطيع أن يرسل عدة أشخاص؟ وهل يمكن أن يرسل مسدسًا واحدًا بدلًا من عدة مسدسات وعدة قنابل؟ ويذكر الأستاذ حسن العشماوي أنه سمع من موظف عاين مكان الحادث رسميًا أن الحائط المواجه لإطلاق النار ليس به أي أثر للرصاص، وأنه يعتقد أن المسدس الذي سُمعت طلقاته كان محشوًا بالبارود فقط دون رصاص، وأن عبد الناصر كان يعلم سلفًا لحظة الإطلاق».

تحليل الدكتور فريد عبد الخالق:

نقل الأستاذ عباس حسن السيسي في كتابه «جمال عبد الناصر وحادثة المنشية بالإسكندرية ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤» شهادة وتحليل الدكتور فريد عبد الخالق عن حادثة المنشية فقال:

«إن المعلومات التي وصلته هي أن الحكومة هي التي دبرت المحاولة للتخلص من الإخوان، وأن محمد الجزار الذي كان ضابطًا في القلم السياسي قبل الثورة واتهم بالاشتراك في حادث اغتيال المرشد السابق المرحوم حسن البنا كان يتردد على مركز

الإخوان المسلمين محاولًا تبرئة نفسه أمام قادة الإخوان، وفي إحدى مرات تردده وكانت العلاقات بين الحكومة والإخوان متوترة سمع المرحوم هنداوي دوير -وكان من الشبان المتهورين- يردد: (لازم نقتل جمال)...

والتقط الخيط وذهب إلى المباحث العامة في محاولة للتقرب من السلطات، وأبلغهم أن هنداوي دوير خطة لاغتيال عبد الناصر.

ووجدها المسئول فرصة... تعقبوا هنداوي وعلموا أنه يرأس خلية في إمبابة أعضاؤها طلبة بالجامعة، والسمكري محمود عبد اللطيف... ووقع اختيارهم على تدبير المحاولة وإسنادها إلى محمود عبد اللطيف ليكون بداية خيط التخلص من الإخوان.

واختاروا الزمان والمكان... ونفذوا الخطة... اختطفوا محمود وأخذوه إلى الإسكندرية ومعه مسدس عثروا عليه في منزله.

واقتاده ثلاثة منهم إلى ميدان المنشية، وأجلسوه في الصفوف الأمامية وأحاطوا به، وفي لحظة أطلق أحدهم، -ولابد أنه من أمهر الرماة- ثماني رصاصات لم تصب واحدة منها أحد من الذين فوق المنصة رغم كثرة عددهم باستثناء إصابة سطحية للمحامي أحمد بدر، بينما أصابت الرصاصات اللمبات الكهربائية...

ويؤكد ذلك أن الجماهير قبضت على ثلاثة كانوا مع محمود عبد اللطيف ثم لم يأت ذكرهم بعد ذلك، كما أن المسدس الذي كان مع محمود تبين أن طلقاته ليست من نفس نوع الطلقات التي أطلقت، وبعد الإعلان أنه تم ضبطه وفي يده المسدس عادت الصحف ونشرت أن عامل بناء عثر على المسدس الذي استخدم في الحادث، واختفت سيرة المسدس الأول تمامًا...

كما أن المحكمة لم تستمع إلى أقوال الذين قيل إنهم قبضوا على الجاني وكذلك إلى أقوال عامل البناء الذي قيل إنه عثر على المسدس رغم أهمية شهادتهم، ولعل ذلك يرجع إلى خوف المسئول عن تدبير الحادث أن يخطئوا في أقوالهم فيكشفوا عن أن الحادث كان مدبرًا...

ويضيف فريد عبد الخالق قائلاً:

– ولا شك أنه تم التغرير بمحمود عبد اللطيف وبهنداوي دوير لسرد اعترافات مملاة عليهما بعد وعدهما بالإفراج عنهما، ويؤكد ذلك ما ردده هنداوي وهو يقاد لحبل المشنقة: ضحكوا علينا... مكانش ده اتفاقنا...

هذه رواية، وهناك رواية أخرى ذكرها لي أحد الصامتين وكان سمعها من بعض الإخوان، وتتلخص في أن المحاولة تمت بتدبير بين عبد الناصر وهنداوي دوير الذي استطاع أن يقنع محمود عبد اللطيف بضرورة اغتيال عبد الناصر، وأعطاه المسدس، ورسم له الخطة، بينما نفذ إطلاق الرصاص أحد أعوان عبد الناصر بمسدس آخر، ويؤكد هذه الرواية أن هنداوي دوير قام بتسليم نفسه بعد وقوع الحادث مباشرة، ولو كان مشتركًا في الجريمة فعلًا لظل هاربًا حتى يقبض عليه، إنما سلم نفسه حتى يسرد اعترافات تطيح بكل جماعة الإخوان وبالرئيس السابق محمد نجيب، على أمل أن يكون له مكان مرموق بعد ذلك...

ولكن عبد الناصر تخلص من الشاهد الوحيد ضده الذي يكشف الحقيقة بإعدامه، وكان ذلك سببًا في أنه كان يردد وهو في طريقه إلى حبل المشنقة: ضحكوا علينا... مكانش ده اتفاقنا.

والروايتان قد تكون إحداهما حقيقية، ولكن الشيء المؤكد أن جميع أعضاء مجلس الثورة في ذلك الوقت كانوا متأكدين أن الإخوان المسلمين أرادوا قلب نظام الحكم واغتيالهم جميعًا، وهي الصورة التي كان ينقلها لهم عبد الناصر من اعترافات الإخوان المسلمين، ولكنه كان يخفي عنهم الوسيلة التي تم بها الحصول على هذه الاعترافات والتي يعرفها كمال رفعت وعلي صبري وصلاح الدسوقي، ولو كان أحدهم عرف الوسيلة لاعترض وثار عليها، والدليل على ذلك أن كمال الدين حسين عندما علم في عام ١٩٦٥ بألوان التعذيب التي يتعرض لها الإخوان المسلمون في المعتقلات سارع وأرسل إلى عبد الناصر رسالته الشهيرة (اتق الله) والتي كانت سببًا في اعتقاله».

الرأي الذي نميل إليه:

نَنوه في البداية إلى ملاحظة مهمة للغاية قام بتلخيصها د. زكريا سليمان بيومي في رسالته «الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ - ١٩٨١»:

«وقبل الخوض في تفصيل حادث المنشية ينبغي أن نوضح أنه على الرغم من كثرة الكتابات التي تناولت هذا الحادث إلا أن عدم توفر الوثائق قد حصر أغلب هذه المحاولات في إطار وجهات النظر الخاصة، وهو أمر يفرض حذرًا شديدًا في الاستعانة بها، ومع أن بعض أصحابها قد شاركوا بشكل أو بآخر في صنع أحداث الفترة، وتعتبر كتاباتهم مصدرًا لها إلا أنهم يمثلون وجهة نظر النظام.

كما أن الاعتماد على الدوريات في هذه الفترة كما هو واضح عند ميتشل -في الغالب- أو على محاضر محكمة الشعب التي اعتمدت عليها دراسة الدكتور عبد العظيم رمضان، إلا أنها في مجموعها لا تعطي تفسيرًا قاطعًا عن أحداث هذه الفترة، وبخاصة أن كلا المصدرين يمثلان وجهة نظر جانب واحد من جانبي الصراع؛ وهو النظام العسكري، مما دعا الدكتور عبد العظيم رمضان لأن يهاجم محاضر محكمة الشعب برغم اعتماده عليها، فحكم بأن المحاكمة كانت صورية، وأن الإدانة وأحكام الإعدام كانت مقررة سلفًا، وأن الهدف كان إخراج الجماعة من الحياة السياسية ما بقيت الثورة في الحكم».

ما سبق ذكره من رواية الدكتور القرضاوي، ورواية الأستاذ فريد عبد الخالق، وغيرهما من الأقلام الإخوانية، يتبين أنها تقوم على أساس إثبات فردية الحادث، وبالتالي تبرئة القيادة من مسئولية الأمر والتوجيه، ثم تتفرق الأقوال بعد ذلك ما بين رأيين، الأول يقول: إن هناك من أخبر الأمن عن الواقعة، والرأي الثاني يقول: إن الأمن علم بها من خلال بعض عملائه.

الاحتمال الأول: وهو إخبار الأمن عن الواقعة عن طريق الإخوان ينتهي إلى أحد احتمالين؛ إما اتهام هنداوي دوير بالعمالة والتعاون مع الأمن حيث إنه كان هناك اتفاق بينهما على إجراء الحادث، أو اتهام الأستاذ عبد العزيز كامل بإخبار الأمن حرصًا على الجماعة وحماية لها بعد رفض هنداوى دوير الامتثال للتعليمات.

الاحتمال الثاني: وهو علم الأمن بالواقعة عن طريق بعض عملائه، ويكون من خلال المعلومات التي أدلى بها محمد الجزار حينما سمع هنداوي يردد: (لازم نقتل جمال)...

وخلاصة كل هذه الاحتمالات أن رجال الأمن هم الذين قاموا بمحاولة الاغتيال، وألصقوها بالجماعة لكي يقضوا عليها.

وأرى أن من يتعرض لتحليل الحادث منبتًا عن السياق العام الذي وقع فيه، فإنه لا يكاد يصل إلى لب الحقيقة، أو لا يريد أن يصل لها، لذا فقد أعجبني تحليل الدكتور القرضاوي حينما بدأ كلامه قائلًا: «أما كيف تم هذا الحادث؟ ومن المسؤول عنه؟ وما مدى مسؤولية الجماعة وقيادتها ومرشدهم العام عن هذا الحادث؟ فيلزمنا أن نقف هنا قليلًا -بل طويلا- لننظر في تسلسل الأحداث، وكيف مضت في تسارعها قبل أن نسارع بتصديق الاتهام أو تكذيبه؟».

لأن الحادث لا يمكن بحال فصله عن السياق العام الذي نشأ فيه، وأجدني هنا مضطرًا لاستعارة جملة عبد القادر عودة التي أنهى بها حواره مع محمود عبد الحليم محمود بعدما أعياه إقناعه، فقال له بالحرف الواحد: «من أجل خاطري، وبحق ما بيني وبينك من أخوة وحب وصداقة أستحلفك بالله إلا عدلت عن هذه المذكرة وعن جهود الوساطة التي تقوم بها؛ فإن هذه المذكرة ستعوق خطة الإخوان، وستكون عقبة في طريقها».

وإذا حاولنا تجميع أجزاء الصورة سنجد أن هناك مرشدًا متخفيًا لا يعرف أحد مكانه، هناك منشورات ترمي رجال الثورة بالكفر وتستبيح دماءهم، هناك حديث دائم عن خطة ما يقترن بها دائمًا استدعاء لغة الدم والقتل والمواجهة والصدام وغيرها.

هذه الصورة المركبة ماذا تعني؟ تعني في نظري أن هناك ترتيبًا لحدث جلل له سيناريوهات عديدة، ولا يستبعد أن يكون اغتيال الرئيس أحدها أو جزء منها، وسبق كلام حسن العشماوي عن بعض هذه السيناريوهات.

يبقى الكلام عن سيناريو الاغتيال تحديدًا من خلال ما سبق من تحليلات – ومع استبعاد احتمال الخيانة من هنداوي أو من غيره – يزيد احتمال تورط القيادة بشكل

رسمي ومباشر في تكليف الجهاز الخاص في القاهرة بالترتيب لحادث الاغتيال، ولكن مع التكتم الشديد اللازم لضمان نجاح العملية، وبالتالي فمن المنطقي أن العدد الأكبر من الإخوان لا يعرفون هذه المعلومة لا قبل وقوع الحادثة ولا بعدها، ومن هنا كان حرص المؤرخين الإخوان على نفي صلة قادة الجماعة بالواقعة مبني على أساس عدم توفر المعلومة التي من الواضح أنها كانت سرية للغاية ولا يعرفها إلا أفراد معَدودون، ربما يكون عبد القادر عودة أحدهم.

ومما يقوي هذا الاحتمال عدم جرأة قادة الجهاز الخاص على الإقدام على هذه الخطوة بدون علم القيادة، ولا ننسى أن الجهاز الخاص كان تحت السيطرة التامة من جانب الهضيبي ومكتب الإرشاد، ولا ننسى أن حرب النشرات كانت تحت علم وتوجيه وإشراف قادة الجماعة.

إذا سلمنا بذلك فسيكون من لوازم هذا التحليل وضع الجماعة لاحتمالية انكشاف المخطط قبل وقوعه، وهنا لابد من نفي صلة الجماعة بالموضوع تمامًا، وإلا فالنتيجة الطبيعية لاكتشاف مخطط اغتيال رئيس الوزراء ستكون مدمرة وعنيفة، ولن تتوقف الإعدامات عند فردين أو ثلاثة، بل ربما تمتد لتنال قادة الجماعة ورموزها.

أما عن آخر حلقة من هذا المخطط؛ وهي إجابة سؤال: هل اكتشف الأمن الخطة وصمم على أن تسير كما هي؟ أم أنه لم يكتشفها إلا بعد تنفيذها؟ تبدو أن الاحتمالات في ذلك متساوية؛ فالأول أقرب، والثاني غير مستبعد.

ويستمر العنف: حادث شبرا:

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«عقب هذا الحادث الذي فاجأ الإخوان المسلمين في ميدان المنشية بالإسكندرية، ساد الذعر والفزع الجو السياسي في مصر، مما جعل أفراد جماعة الإخوان يلجأون إلى الاختفاء عن أعين رجال البوليس الذين أخذوا يتعقبونهم في كل مكان للقبض عليهم وإيداعهم المعتقلات والسجون، واستطاع ثلاثة منهم اللجوء إلى شقة بالدور الخامس بالعمارة رقم ٤٠ بشارع فخر الدين بشبرا.

وفي صباح يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ حاصرت قوات البوليس بقيادة القائم مقام يوسف عبد الله القفاص مفتش المباحث العامة تلك العمارة من كل جانب، وحاولوا اقتحام الشقة العالية ولكنهم عجزوا عن ذلك، مما دعاهم إلى طلب النجدة من قوات الأمن المدرعة والمدربة على حرب المنازل، ورسمت خطتها على أن تصعد قوة إلى سطح العمارة المقابلة للعمارة التي يسكنها الإخوان، وتطلق عليهم قنابل مسيلة للدموع لإرغامهم على الخروج من الشقة ونقل المعركة إلى خارجها...

وقد نجحت هذه الخطة، والتقى الجمعان في معركة مكشوفة، ولكن شباب الإخوان استطاعوا أن يرابطوا أنفسهم بحيث يقوم أحدهم بإعداد الذخيرة، ويقوم الآخران خلف **مدفعين رشاشين وراحا يدافعان عن أنفسهم بقوة وشجاعة،** ولكن رجال القوات المدرعة كانت تحمي نفسها بستار كثيف من النيران حين فتحوا مدافعهم الرشاشة وبنادقهم الأوتوماتيكية بوابل من الرصاص.

واشتد أوار المعركة، وتحول المنزل إلى قلعة حربية، وواصلت قوات الأمن صعودها إلى الطابق العلوي تحت ستار كثيف من الرصاص، وسرعان ما تبين أن المقاومة قد توقفت حيث استشهد الأخوين أحمد حسين الموظف بالسكة الحديد والأخ عبد العزيز العراقي إسماعيل الكهربائي وكان هو صاحب الشقة التي بدأت منها المعركة، وتم القبض على الأخ محمد شاكر خليل الطالب بالسنة الرابعة بكلية الهندسة حيث وجد في حالة إغماء إثر إصابته بطلق ناري في يده...».

جاء في كتاب «جرائم عصابة الإخوان» بعد سرد حادثة شبرا بكافة تفاصيلها -والتي اختزلها الأستاذ السيسي – ما يلي:

«أسفر تفتيش وكر الإرهاب في شبرا عن ضبط كميات كبيرة من المنشورات التي قام بطبعها الجهاز السري للإخوان وشرع أخيرًا في توزيعها، وكانت هذه المنشورات من أنواع ثلاثة، ولعل أخطر ما ضبط من منشورات الجهاز السري تلك النشرة التي تم ضبطها، وضبطت منها عدة آلاف في هذا الوكر، والتي عنوانها: (الإخوان المسلمين والتأمين الفردي).

فقد دلت هذه النشرة على أن المعركة التي نشبت بين الإرهابيين الثلاثة ورجال البوليس لم تكن بنت الساعة أو اقتضتها ظروف خاصة اضطرت الإرهابيين إلى البدء بالعدوان فيها، وإنما كانت تنفيذًا لتعليمات صادرة من قيادة الإخوان صدرت بها هذه النشرة.

وهذه التعليمات تقضي بأن يقوم أفراد الجماعة بمقاومة رجال البوليس الحربي والمباحث العامة الذين يحاولون القبض عليهم بكل عنف وشدة، وألا يسلم أي منهم نفسه إلا جثة هامدة.

كما تضمنت هذه التعليمات إرشادات للمقاومة لتأمين أفراد الجماعة عند مهاجمتهم، وقد اتضح أن الإرهابيين الثلاثة كانوا يديرون معركة شارع طوسون بشبرا على ضوء ما ورد في هذه النشرة من تعليمات المقاومة».

محكمة الشعب:

وإتمامًا للفائدة نرى أن نعرج على بعض كواليس محكمة الشعب التي حُوكم الإخوان أمامها، وقد قام أحمد عادل كمال في كتابه «النقط فوق الحروف»بنقل طرفٍ مما جرى في المحكمة بين قادة الإخوان وجمال سالم -رئيس المحكمة- كما يلي:

من محضر الجلسة رقم ١٣ بتاريخ نوفمبر ١٩٥٤(جمال سالم - محمد خميس حميدة):

«**جمال سالم**[١]: رئيس الحكومة من مايو سنة ١٩٥٣ بلغك علشان أنك تحل الجهاز السري، وتسلم سلاحه، وبيّن لك النتائج البطالة التي ممكن أن تصل إليها البلاد بوجود هذا الجهاز السري المسلح، عملت إيه من مايو (١٩٥٣)؟ قل لنا الخطوات التي عملتها من الألف إلى الياء.

د.محمد خميس حميدة[٢]: لم يُتخذ شيء إلا اللي قلته لسيادتك.

---

(١) ضابط طيران مصري وأحد الضباط الأحرار، ولد في ١٩١٨، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار، وشارك في حرب فلسطين، وبعد نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢ وسيطرتها على السلطة اختير جمال سالم رئيسًا للجنة العليا للإصلاح الزراعي التي لعبت دورًا بارزًا في تصفية ممتلكات كبار ملاك الأراضي الزراعية، ثم ترأس محكمة الثورة التي أصدرت الحكم بالإعدام على عدد من قيادات جماعة الإخوان المسلمين.

(٢) كان الدكتور خميس واحدًا من الرجال الخمسة المؤتمنين لمعرفة سرية التنظيم الخاص؛ يقول الأستاذ =

جمال سالم: ما هي الخطوات يا محترم اللي عملتها؟ رئيس الحكومة جابك، وقال لك: تروح تبلغ المسئولين باعتبارك واحد منهم في جمعية الإخوان بإنك تحل الجهاز السري وتسلم السلاح بتاعه، وأنت باعتبارك واحد من المسئولين ووكيل الجماعة (١) تقر: أن المسئول الأول والأخير عن الجهاز هو المرشد، والمفروض أنك قابلته فإيه نتيجة المقابلة؟ قلت له (إيه)؟ وقال لك (إيه)؟

د.خميس: قلتُ للمرشد: إن السيد الرئيس يطلب أن تشكيلات الجيش والبوليس والنظام تُسرَّح، فهو قال: إحنا ماشيين في حل النظام والإجراءات اللي متخذينها إننا نحله، وماشيين في هذا الطريق. (ج٥ ص١٠٦٢).

جمال سالم: لما طلب رئيس الحكومة منك ومن الناس اللي طلب منهم في مايو سنة (١٩٥٣) حل الجهاز، (إيه اللي) أنت عملته؟

=محمود الصباغ في كتابه «حقيقة التنظيم الخاص»: «أما الخمسة الآخرون المرموز إليهم بخمس دوائر صغيرة داخل المستطيل، ولا يتصل أحد منهم اتصالًا مباشرًا بأي من أعضاء النظام؛ فهم من رجال الدعوة العامة المؤتمنين على سر وجود تنظيم للجماعة، وهؤلاء الخمسة لا يتحملون مسئولية أي أعمال تنفيذية في النظام لانشغالهم التام في أعمال الدعوة العامة، ولكن يمكنهم أن يشتركوا في اجتماعات قيادة النظام كلما وجهت إليهم الدعوة حين اقتضاء الضرورة؛ مثل دراسة تعديل قواعد العمل في النظام الخاص، أو دراسة مشكلة من المشكلات الطارئة في سير أعمال النظام، ويتطلب الأمر مناقشتها على نطاق أوسع من نطاق الخمسة المسئولين.

ولقد صدقت حسن الفراسة مع النيابة العامة، وهي ترتب المتهمين في قضية السيارة الجيب في قرار الاتهام؛ فوضعت الخمسة المسئولين عن النظام في الصف الأول، وبنفس ترتيبهم في قرار الاتهام حيث تلاحظ أن هؤلاء الخمسة هم:

عبد الرحمن السندي – مصطفى مشهور – محمود الصباغ– أحمد زكي حسن –أحمد محمد حسنين، وهم على هذا الترتيب في قرار الاتهام وبنفس الترتيب في قيادة النظام.

ولم يكن ذلك إلا لأنَّ الأوراق المضبوطة في السيارة الجيب قد حددت كل معالم التكوين والتنفيذ، فصار مثل هذا الاستنتاج سهلًا وممكنًا ولكنه لا يخلو من فراسة.

أما الخمسة الآخرون فقد كانوا الإخوة: صالح عشماوي – محمد خميس حميدة– فضيلة الشيخ محمد فرغلي– الدكتور عبد العزيز كامل –الدكتور محمود عساف وهو ما لم تعرفه النيابة».

(١) شغل الدكتور خميس موقع نائب المرشد في واقعة غريبة حكاها الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان أحداث صنعت التاريخ»، وقد سبقت الإشارة إليها في الصفحات السابقة.

د.خميس: بلغت هذا للهضيبي، وكان رده..نصفي هذا الوضع. (ج٥ ص١٠٧٦).

جمال سالم: لماذا سمحت لنفسك وأنت وكيل جماعة الإخوان المسلمون أن ينشأ باسم الجماعة أو يظل ناشئًا باسم الجماعة جهاز سري مسلح مع علمك بأن هذا مخالف لقوانين البلاد؟

د.خميس: أُشهد الله أن مهمة يوسف طلعت كانت علشان نخلص الجماعة من الوضع اللي كان فيه النظام(ده)، وإنهاء هذا الوضع، وقلنا ليوسف طلعت: أنت مهمتك أن تُنهي هذا الوضع.

الدفاع: مين اللي قابل رئيس الحكومة وإيه الحديث اللي جرى بينه وبينهم؟

د. خميس: الأستاذ عمر التلمساني والشيخ أحمد شريت ومحمد الخضري وحلمي نور الدين وأنا كنت معاهم، ده كان في أكتوبر ١٩٥٣ (واضح أن هذا كان تكرارًا للمطلب السابق في مايو ١٩٥٣).

الدفاع: الحديث اللي جرى في هذا الاجتماع كان إيه؟

د.خميس: كان في حتتين؛ المعاهدة والنظام الخاص، وأنه لابد أن هذا النظام ينتهى منه، لأنه ما يصحش إنه تبقى فيه هيئة من الهيئات عاوزة ديمقراطية حقيقية ويكون فيها نظام خاص.

جمال سالم: مخاطبًا الجمهور!) من مايو سنة ١٩٥٣ وإحنا بنطلب منهم إنهم يحلوا الجهاز بتاعهم ويسلموا الأسلحة بتاعتهم.

الدفاع: ما هي الإجراءات التي اتخذت لإبلاغ نتيجة الاجتماع؟

د. خميس: ليس عندنا إجراء يتخذ إلا أننا نتخلص من النظام مفيش غير هذا.

الدفاع: ماذا كان جواب المرشد حينما أبلغته؟

د. خميس: كان موافق على هذا.

وكيل النيابة: إيه أسباب خلاف عبد الرحمن السندي مع المرشد؟

الشيخ محمد فرغلي [١]: ذكرت أن الخلاف كان بسبب قيام النظام، وكان الأستاذ الهضيبي لا يريد أن يكون النظام موجودًا في الجماعة، ولكن عبد الرحمن السندي باعتباره أول من كوّن هذا النظام، وهو طبعا مؤمن بفكرته ومتعصب لها هو ومن معه من الشبان، فوقف في وجه المرشد باعتبار أن هذا الجهاز هو خلاصة الجماعة ولا يمكن بحال من الأحوال أن يُلغى هذا النظام ولابد من بقائه واستمراره[٢].

جمال سالم موجهًا سؤاله للهضيبي: هل لم يرسل لك الرئيس جمال عبد الناصر من مايو سنة ١٩٥٣ عدة مرات وتكلم معك شخصيًا، ولما بعت لك هذه الإرساليات على يد ناس أعضاء في مكتب الإرشاد يطالبك فيها بحل الجهاز السرى وتسليم الأسلحة التي معهم، وعدم تكوين أي نشاط لجمعية الإخوان المسلمون في القوات المسلحة وقوات الأمن والبوليس، هل وصلك؟

---

(١) عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين، أُعدم في ٧ ديسمبر ١٩٥٤ ضمن مجموعة من قادة الإخوان في محكمة عسكرية بعد الحادثة التي عرفت باسم حادثة المنشية، رغم أنه كان أحد المرشحين لمشيخة الأزهر الشريف؛ يقول الأستاذ محمد حامد أبو النصر حاكيًا عن تلك الواقعة: «وكان من بواكير اللقاءات التي تمت هي دعوة الضابط عبد الناصر قائد الحركة لفضيلة الشيخ محمد فرغلي، ومعه (الشاهد على الطريق) محمد حامد أبو النصر لتناول الإفطار في منزله بمنشية البكري، وفي الساعة السادسة صباحًا -الميعاد المحدد لهذا اللقاء- توجهنا إلى منزله فوجدناه في انتظارنا في حجرة الاستقبال، وبعد قليل جلس ثلاثتنا حول مائدة صغيرة أعدت بإفطار بسيط عادي، وأذكر أن دارت بيننا أحاديث بدأها الضابط عبد الناصر- من أهمها:

- العمل على إزالة آثار العوائق التي وقعت بين قيادة الإخوان وقيادة الحركة، كما كانت مسألة إصلاح الأزهر الشريف منار الإسلام، وما يجب أن يكون عليه من كفاءة حتى يؤدي رسالته، وهنا لوح الضابط عبد الناصر بإشارات خفيفة حول إسناد مشيخة الأزهر لفضيلة الشيخ فرغلي، كما تناول الحديث إرسال بعثات إسلامية من الإخوان المسلمين إلى جنوب أفريقيا لحاجة شعوبها إلى الإسلام».

(٢) يعلق أحمد عادل كمال على هذا بقوله: «وتكرر هذا المعنى على لسان الأستاذ محمد فريد عبد الخالق وغيره بالمحكمة بما يقطع بأن جمال عبد الناصر طلب حل النظام الخاص- وهو ما لم نعرفه في حينه ولم يخبرنا به أحد – وأن الأستاذ الهضيبي قد وافق على ذلك واتجه إليه وأن قرار مكتب الإرشاد بفصلنا وتكليف يوسف طلعت بالقيام بأمره تنفيذًا لذلك، ولكن العجيب أن الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لم يذكر ذلك في المحكمة».

الأستاذ حسن الهضيبي: وصلني.

جمال سالم: ماذا عملت في الجزء الخاص بالمدنيين؟ والرئيس طلب منك في نفس الوقت في مايو ١٩٥٣ عدة مرات متوالية إما مباشرةً أو عن طريق غير مباشرٍ عن طريق أعضاء مكتب الإرشاد ويطالبك بحل الجهاز الخاص بجمعية الإخوان المسلمين القسم المدني وتسريحهم وتسليم أسلحتهم، وأفهمك الخطر الذي ينجم من وجود هذا، فماذا فعلت؟

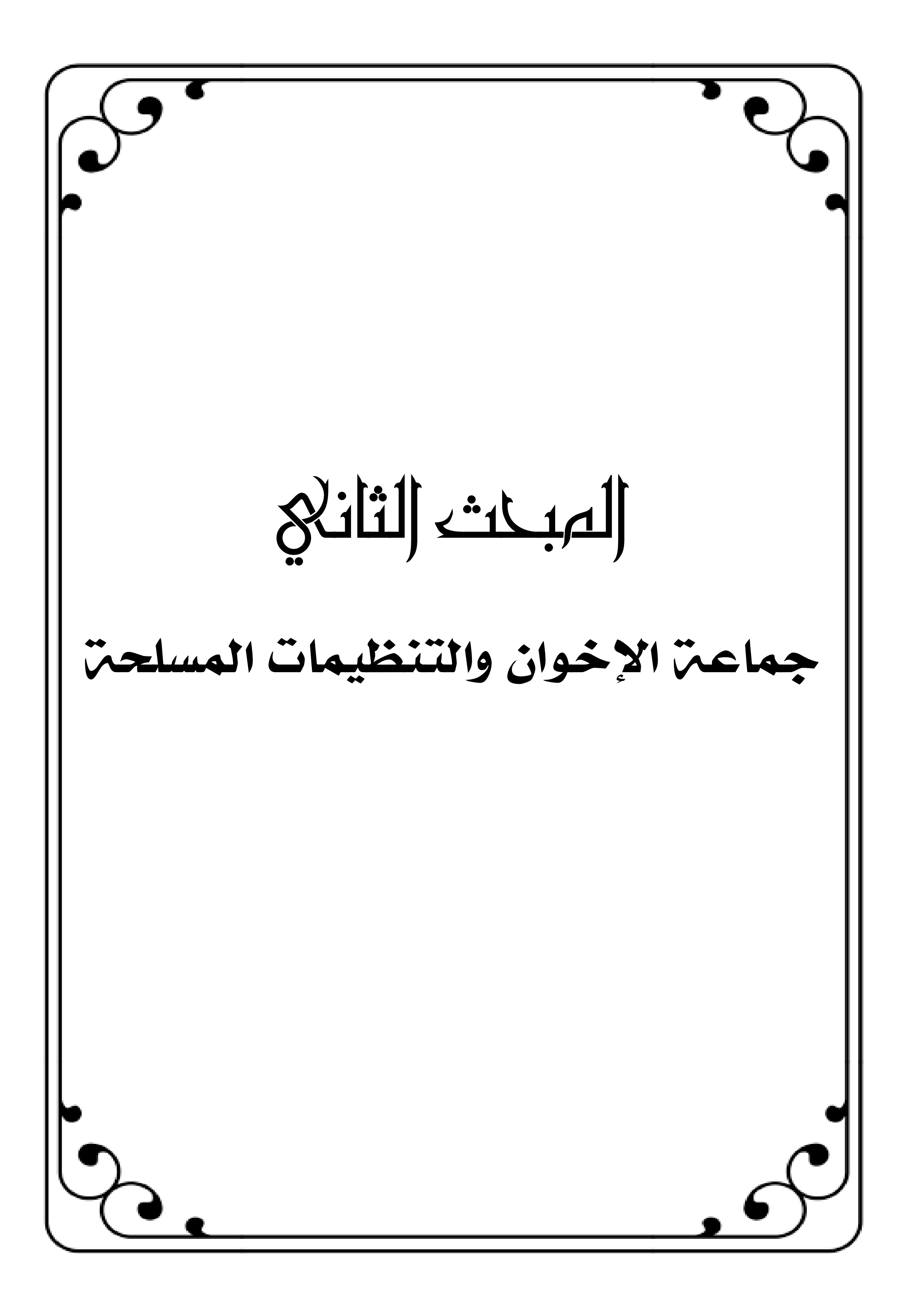
الأستاذ حسن الهضيبي: كنت أعتقد أنه لا يوجد عندهم سلاح.

جمال سالم: يعني مشيت على اعتقادك وسبت اعتقاد رئيس الحكومة ولم تعره أي اهتمام.

الأستاذ حسن الهضيبي: لا ما عرفتش ولا أعتقد أن فيه سلاح لدى هذا الجهاز، وعلى الصورة اللي عملناها مكنش ممكن يكون فيه حاجة».

أمضى الإخوان قرابة السنتين في المعتقل وخرجوا في منتصف عام ١٩٥٦، ولم يمض على خروجهم عشر سنوات حتى تمت إعادتهم للمعتقلات مرة أخرى بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم، والترتيب لقائمة اغتيالات لكبار المسئولين بالدولة وهو ما عرف باسم تنظيم ٦٥.





المبحث الثاني

جماعة الإخوان والتنظيمات المسلحة

المبحث الثاني: جماعة الإخوان والتنظيمات المسلحة

لم يقف التاريخ عند هذا الحد، بل استمر الخط العام للعنف لدى الجماعة، يظهر في مرحلة ويكمن في أخرى، تتبناه الجماعة في موقف وتحتضنه وترعاه في موقف آخر، ثم تتبرأ منه في مرات أخرى، وهكذا تظل المناورة والمراوغة سمتًا عامًا في هذه القضية الحساسة وفي غيرها من القضايا.

الإخوان وتنظيم سيد قطب ١٩٦٥:

بعد هذا التاريخ الحافل بالصدام مع الأنظمة، وبعد كل ما لحق بالجماعة من أذى واضطراب بسبب هذا النهج العنيف، وبعد تعرض الجماعة للحل مرة ثانية على يد جمال عبد الناصر - أحد أبناء الجماعة بالأمس القريب - إذ بالجماعة تتجه للتنظيم السري مرة أخرى وتحاول أن تلملم شتاته ليعود إلى سيرته الأولى من جديد.

تروي زينب الغزالي في مذكراتها «أيام من حياتي» تفاصيل مهمة عن طبيعة التنظيم خارج السجن فتقول:

«لما كانت جماعة الإخوان المسلمين معطلًا نشاطها بسبب قرار الحل الجاهلي لسنة ١٩٥٤، كان ضروريًا أن يعود إحياء هذا النشاط، لكنه بالطبع سيكون سريًا، وقد تكثفت تحركات مجموعة من الكوادر الإخوانية الذين لم تطلهم حملة الاعتقالات من أجل إعادة تنظيم صفوف الجماعة من جديد، من أبرزهم عبد الفتاح إسماعيل، وعليّ عشماوي، وأحمد عبد المجيد، ومحمد فتحي رفاعي، وعوض عبد العال، وآخرون ضمن ما عرف بتنظيم سيد قطب، أو تنظيم ١٩٦٥».

كيف تجمع هؤلاء الإخوة؟ وما الهدف الذي تجمعوا عليه؟ ومن الذي أشرف على تجميعهم في ظل غياب كثير من قادة الإخوان داخل السجون؟ يجيب على هذه الأسئلة أحد قادة هذا التنظيم، وهو الأستاذ أحمد عبد المجيد في كتابه «الإخوان وعبد الناصر

القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥». وبشكل مجمل يمكن القول بأن التنظيم قد مر بثلاث مراحل:

١ – الفترة من عام ١٩٥٧ إلى ١٩٦٢.

٢ – الفترة من عام ١٩٦٣ إلى ١٩٦٤.

٣ – الفترة من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥.

أولاً: الفترة من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٢:

يقول الأستاذ/ أحمد عبد المجيد في كتابه «الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥»:

«في خلال عام ١٩٥٧ ولا أذكر التاريخ بالضبط كنت في شقة بعض الإخوة بالزيتون بالقاهرة معظمهم من الطلبة الجامعيين، ومعهد الزيتون الفرنسي، وكانت هذه الشقة أشبه بمنتدى يرتاده الناس، إلا أن الذي يرتاد هذه الشقة طائفة ذات صبغة معينة وهم الإخوان الشبان.

وفي أحد الأيام حدثني علي عشماوي عن وجوب سعينا سويًا لتجميع الإخوان بدلًا من التشرذم الذي يعيشونه، وعدم الثقة الذي يخيم عليهم، والخوف من الضياع والانصهار في دوامة المجتمع إذا استمر هذا الحال، ورفضت الفكرة لصغر عمرنا، وقلة خبرتنا، وصعوبة استجابة الإخوان لنا، والشك في نوايانا، وأنه يحتاج إلى شخصيات قيادية معروفة يستجيب لها الإخوان، وقال: علينا أن نبدأ ونسعى، ونبحث في نفس الوقت عن القيادة التي نسلمها الزمام ونعمل معها كجنود، وانتهينا على ذلك، وأبلغني بعد ذلك أنه تفاهم مع المرحوم أمين شاهين على ذلك ووافق.

واتفقنا على عقد لقاء بحديقة الدمرداش بالعباسية بالقاهرة حتى لا نلفت الأنظار، وتناقشنا طويلًا حتى انتهينا إلى الآتي:

١ – علي عشماوي – الأمير.

٢ – أمين شاهين – مسئول عن النواحي المالية.

٣ – أحمد عبد المجيد – المعلومات.

٤ – وضع برنامج دراسي تربوي.

٥ – السرية التامة مع الحذر الشديد في التحرك والاتصالات.

٦ – عدم التقيد بالتقسيم الجغرافي لحركة كل منا، والاتصال بمن يعرف في أي مكان بمصر.

٧ – الاتصال بقيادات الإخوان -بالذي يعرفه كل منا- في محاولة جس النبض في العمل وعدم المصارحة إلا بعد التيقن من رغبته في العمل.

٨ – استبعاد أي أخ سبق له التأييد مهما كان استعداده، كذلك استبعاد انضمام أي شخص فيه شك ولو ١٪».

ثانيًا: الفترة من عام ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤:

يقول الأستاذ/ أحمد عبد المجيد في كتابه «الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥»:

«وأثناء تحركنا في المحافظات شعرنا بأن هناك حركة أخرى قائمة من إخوان آخرين، ثم تأكد لنا ذلك، وقمنا بالتحري عنهم فتأكد لنا أنهم ثقات ويتحركون بدافع الإخلاص، وعلمنا بعد ذلك أنهم فعلوا نفس الشيء بالنسبة لنا، وبدأ التماس بيننا وبينهم عندما اتصلنا بإخوة في الدقهلية على صلة بهم في نفس الوقت، وبعد فترة تم ترتيب لقاء بين علي عشماوي ومن الطرف الآخر الأخ عوض عبد العال، وكان الأخ عوض ينقل ما يدور بينه وبين علي عشماوي لإخوانه، ولقد تم ترتيب لقاء آخر مع الأستاذ محمد عبد الفتاح شريف – مهندس بالبحيرة – ولم يتفقا على شيء؛ حيث كانت وجهتا النظر مختلفتين، وخاصة فيما يتعلق بموضوع اغتيال جمال عبد الناصر.

وتم اجتماع بين المجموعتين بمنزل علي عشماوي بشبرا بالقاهرة، وحضر فيه:

- الشيخ عبد الفتاح إسماعيل.
- الشيخ محمد فتحي رفاعي.
- أحمد عبد المجيد.
- علي عشماوي.

يقول: «واتفقنا على أنه إذا كانت هناك ثقة مبدئية بيننا فيجب المصارحة لكي نبدأ بخطوات واضحة، وقد تم ذلك، وعلمنا منهم بالإضافة إلى معرفة القصد والغاية مما هم عليه، وعُرض مرة أخرى فكرة اغتيال عبد الناصر من عشرين إلى ثلاثين مستعدون للشهادة وعارضت أنا وعليّ الفكرة، وقلنا: إن كل ما يهمنا هو إعادة تنظيم الجماعة وتربية الأفراد، فوافقوا أخيرًا على وجهة نظرنا، وقد عرفنا منهم ما يأتي:

١- أنهم على صلة بالأستاذ المرشد حسن الهضيبي ﵀، واستأذنوه في العمل فوافق، وبالتالي يعتبرون عملهم شرعيًا لأنه موثق من القيادة الشرعية للجماعة.

٢- أنهم مثلنا على صلة ببعض الإخوان في الخارج، ونحن كذلك مع اختلاف الأشخاص.

٣- يوجد لديهم بعض المال من الإخوان بالخارج مرصود للعمل الإخواني في مصر، ومقدم بواسطة الشيخ عشماوي سليمان ﵀.

٤- يوجد تحرك مماثل بالإسكندرية والبحيرة وهم على اتصال به والتفاهم معهم للدمج وتوحيد العمل.

٥-أنهم على صلة بالإخوان بالسجون، خاصة الأستاذ سيد قطب ﵀.

في هذه الفترة وصلت إلينا مخطوطات من الشهيد سيد قطب من السجن أذكر أن بها فكرة عن تكوين الكيان المسلم وتربيته، وفكرة عامة عن المخططات الصهيونية العالمية، والصليبية الدولية، ومحاربتها للإسلام ووسائلها وعملائها في المنطقة وبعض الأسماء كذلك.

وكان الكلام بها في غاية الخطورة وقتها؛ حيث لم يكن الكثير من هذه المخططات قد انكشف بعد واتضحت بالصورة التي ظهرت عليها بعد ذلك، وكان عنوان هذه المخطوطات: (خيوط خطة)، وأحضر لنا كذلك مذكرات من الشهيد محمد يوسف هواش بواسطة الشهيد سيد قطب كانت بعنوان: (جولة في العقيدة والحركة) وكانت مكتوبة بروحانية عالية وموضوعها في غاية الدقة والأهمية للعاملين في حقل الدعوة

الإسلامية؛ حيث يصف فيها حزب الله ومواصفاته، وحزب الشيطان وحدوده كذلك وكيفية التعامل معه، وكان هناك باب بعنوان (من نحن؟) وآخر (مَن الناس؟)، وكانت هذه المذكرات تذهب للمرحوم الأستاذ المرشد حسن الهضيبي أولًا لقراءتها ومراجعتها، ثم تصلنا بعد ذلك منه.

في هذه المرحلة، بدأ كل منا الاتصال بمن يعرفه والتفاهم معه بعد مناقشة الأمر مع المجموعة، وتم الاتصال بكثير من قيادات الجماعة التي على الساحة خارج السجون وعلى كافة مستوياتها القيادية، بدءًا من نواب الشُّعب فأعضاء الهيئة التأسيسية فالنظام الخاص السابق، وفدائيي فلسطين، حتى مكتب الإرشاد، وكنا نسعى جهدنا لذلك ليتولوا قيادتنا وتوجيهنا بعد تسليم الزمام لهم، باعتبارهم أقدم منا وأقدر بذلك، وكذا لسرعة استجابة الإخوان لهم بحكم وضعهم ومسئوليتهم السابقة، وكذلك أعمارهم، حيث كان أكبرنا سنًا يومها أو وقتها الشيخ عبد الفتاح وعمره ذلك الوقت لا يتجاوز ٣٧ سنة.

إلا أنه للأسف باءت كل هذه المحاولات بالفشل، ولم يكن موقفهم الرفض فقط، بل بدءوا يحاربوننا ويطاردوننا ويحذرون منا الإخوان في كل مكان، ويضعون أمامنا العراقيل، ونحمد الله أن ذلك لم يتعد دائرة الإخوان، وقد أبلغوا الأستاذ المرشد وشكونا إليه، وكانوا يبررون تصرفاتهم بدافع حرصهم على الجماعة، ولا يعلم حقيقة هذه الدوافع إلا الله، فهل هو الخوف من الاعتقال وما سيترتب عليه؟ أم أن الوقت غير مناسب؟ أم أنهم أدوا دورهم وكفى ولا داعي لمواصلة الدعوة في هذه المرحلة التي تعيشها مصر؟! كل ذلك جائز أو بعضه».

وكان الاتصال بالمرشد يتم عن طريق الشيخ عبد الفتاح إسماعيل بواسطة الحاجة زينب الغزالي التي كانت تقوم بالذهاب للأستاذ المرشد في بيته أو في أي مكان آخر، وكان الاتصال بالسجن يتم بواسطة الشيخ عبد الفتاح كذلك والحاجة زينب، ثم الأخت حميدة قطب شقيقة سيد قطب.

ثالثًا: الفترة من عام ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥:

يقول الأستاذ/ أحمد عبد المجيد في كتابه: «الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥»:

«في عام ١٩٦٤ خرج الشهيد سيد قطب من السجن بإفراج صحي، وذهب إليه الشيخ عبد الفتاح مهنئًا، وتكلما سويًا في بعض أمور الدعوة وطبيعة العمل الحالي، وأفهمه باختصار أنه على صلة ببعض الشباب الذين عندهم رغبة للعمل الإسلامي ويبحثون عمن يرشدهم ويوجههم، ثم طلب من الشيخ عبد الفتاح إسماعيل مقابلتنا، وتقابلنا معه في صيف ١٩٦٤ في رأس البر، واستقبلنا استقبالًا طيبًا كأنه يعرفنا منذ سنوات طوال، وتحدث معنا حديثًا شيقًا بأسلوب جذاب يشد الانتباه، وسمعنا منه مفاهيم جديدة لأول مرة، وعرضنا عليه ترشيح شقيقه الأستاذ محمد قطب للجلوس معنا والاستفادة منه، ولكنه اعتذر لنا اعتذارًا رقيقًا وقال: إن محمدًا له مجال آخر، وأي شيء تطلبونه أنا تحت أمركم، وفي أي وقت ترغبونه، وألا يكون لصحته أو وقته أي اعتبار.

ولقد تركت هذه المقابلة في نفوسنا أثرًا كبيرًا؛ فعلى الرغم من أنه لم يخرج من السجن إلا لأيام معدودة مضت، إلا أن كل انشغاله واهتمامه هو أمر هذا الدين، وضرب لنا موعدًا نلتقي به في منزله بحلوان بعد ذلك، وتم اللقاء وتكررت اللقاءات بعد ذلك، وهو يوجه فكرنا إلى منحى آخر وبطريقة ذكية، وكانت هذه اللقاءات قاصرة علي ما نسمعه منه من توجيهات عامة أو ما نعرضه عليه من استفسارات أو قضايا، وكنا نتلاقى خارج هذه الجلسة لمناقشة شئون التنظيم المختلفة، وبعد عدة لقاءات اتفقنا على أن نفاتحه في أن يشاركنا في الأمر كله، ويوجهنا توجيهًا كاملًا.

وبعد أن استمع إلى وجهة نظرنا هذه، قال: «ليس لدي مانع ولكن قبلها لي مطلبان:

الأول: أريد معرفة كيف التقيتم مع بعضكم البعض، خاصة أني أرى أن كل واحد منكم من بلدة بعيدة عن الأخرى، ولا يوجد اثنان منكم من بلدة واحدة.

الثاني: لابد من أخذ إذن بذلك من الأستاذ المرشد.



فشرحنا له الظروف التي مررنا بها والمشاكل التي واجهتنا، ولازالت تواجهنا خاصة عدم موافقة المسئولين على ذلك، وذكرنا له الأسماء، ومضايقاتهم لنا، وبناءً على ذلك نطلب أن يتقدم العشرات الذين خرجوا من السجن ويعرفهم بدلًا منا ونتأخر نحن ونعمل تحت إمرتهم، وأجبناه عن المطلب الثاني بأن لدينا إذنًا سابقًا من فضيلة المرشد.

ولقد عقب على كلامنا بالآتي: بالنسبة للنقطة الأولى: ظهر عليه عدم الارتياح من اتصالنا بإحدى المجموعات القيادية للإخوان، والتي تعتبر دائرة مغلقة على نفسها بحكم التقارب الفكري والعائلي والاجتماعي بينها، وقال: «سيحاربونكم حربًا لا هوادة فيها» وقدر الله وما شاء فعل، فإنهم لا يوافقون على شيء خارج عنهم وعن دائرتهم.

ولقد تحقق كلامه فعلًا بعد ذلك من كثرة المحاربة والمطاردة في كل مكان وتحذير الإخوان منا، حتى قال أحدهم: أبلغوا عنهم المباحث حتى لا يعرضوا الجماعة للخطر. وكنا نخشى أن نكتشف من كثرة الكلام بين صفوف الإخوان منهم، ولكن الله سلم.

وبالنسبة للنقطة الثانية أجاب: أن هذا الإذن خاص بي شخصيًا لا بكم، وأنا لا أفعل شيئًا بدون مشورته، ولابد من استئذانه أولًا قبل البدء معكم، وسوف أكتب له مذكرة بما سمعت منكم، وأرسلها له أولًا حيث إن وقته وصحته لا يسمحان بالشرح والجلوس معه لفترة طويلة، وبعد ذلك أرسل للأستاذ المرشد المذكرة مع الشرح والتعليق في عدة صفحات كما أبلغنا، وبعدها تم ترتيب لقاء في بيته بالمنيل وتناقش معه في أمر التنظيم، وسأله الأستاذ المرشد عن العدد فأجابه بأنهم ما بين ٣٠٠ إلى ٣٥٠ شخصًا، فقال: أنا لا أتصور أنه في مصر ٣٠٠ رجل، فما بالك بثلاثمائة رجل مسلم؟!! عليك بتربيتهم والاهتمام بهم، ولا داعي لإضافة أحد جديد حاليًا.

ولما أثار معه موضوع الإخوان المخالفين لنا والسابق ذكرهم، قال فضيلته: إن فلانًا حضر إليَّ عدة مرات يشكو من ذلك، وقال: إن هؤلاء حيودوا الجماعة في داهية، ويشكون من خطورة كتاب «المعالم» فأجابه: «إنتو خايفين من إيه؟! وجماعة إيه اللي انتو خايفين عليها؟! ما انتو موتوها طول العشر سنين، هوه انتو فاكرين اللي قدمتموه

هو ده كل شيء؟! دا المسيحيين على خلاف بينهم مات منهم ييجي ستين ألف، دا الفلاحين بيموت منهم عشرين ولا ثلاثين في أكله...» وأضاف «إذا كنتو خايفين على أنفسكم، طيب ما تسيبو الشباب اللي عايز يعمل ويستشهد في سبيل الله، ناس عايزين يستشهدوا ما تسيبوهم يستشهدوا».

وعن «المعالم» قلت له: «أنا قريت المعالم، وإنت خايف من إيه؟! هوه مكتوب عليه اسم المؤلف؟! ولا منشورات الإخوان المسلمين؟!». وأخيرًا طلب الشهيد من فضيلة المرشد أن يكفوا عن الكلام عن الإخوان -يقصد التنظيم- فقال: سأفعل إن شاء الله.

ولا نريد أن نجري مقارنة هنا بين موقف هؤلاء الإخوان من التنظيم وموقف الأستاذ سيد الذي اتصل به من داخل السجن رغم خطورة ذلك عليه كسجين، أو بعد خروجه مباشرة وتوليه القيادة بعدها بشهور واستمراره حتى قدم حياته راضيًا بذلك، ونفترض حسن النية فيهم ونترك نياتهم لله ﷻ وحسابهم على الله».

في نفس السياق تحكي زينب الغزالي تفاصيل هذا النشاط السري الذي ظنوا أنهم يحاكون به تجربة النبي ﷺ في مكة قبل أن تستقر دولته في المدينة حتى أنهم اختاروا نفس المدة التي مكثها النبي في مكة وهي ١٣ عامًا، فتقول في كتاب: «أيام من حياتي»:

«بتعليمات من الإمام سيد قطب، وبإذن الهضيبي، قررنا أن تستمر مدة التربية والتكوين والإعداد ثلاثة عشر عامًا – عمر الدعوة في مكة – على أن قاعدة الأمة الإسلامية الآن هم (الإخوان) الملتزمون بشريعة الله وأحكامه، فنحن ملزمون بإقامة كل الأوامر والنواهي الواردة في الكتاب والسنة في داخل دائرتنا الإسلامية، والطاعة واجبة علينا لإمامنا المبايَع، على أن إقامة الحدود مؤجلة -مع اعتقادها والذود عنها- حتى تقوم الدولة، وكنا على قناعة كذلك بأن الأرض اليوم خالية من القاعدة التي تتوافر فيها صفات الأمة الإسلامية الملتزمة التزامًا كاملًا، كما كان الأمر في عهد النبوة والخلافات الراشدة، ولذلك وجب الجهاد على الجماعة المسلمة، حتى يعود جميع المسلمين للإسلام فيقوم الدين القيم، لا شعارات ولكن حقيقة عملية واقعة».

وهكذا.. لا جديد في تاريخ الإخوان، الهضيبي الذي عانى بنفسه من ويلات النظام الخاص، وما أصاب الجماعة بسببه، تجده للمرة الثانية يأذن بتشكيلات مسلحة وتنظيم سري ضخم داخل السجن وخارجه مع تطور نوعي في التدريب والسلاح والإعداد البدني والفكري بدرجة من الإتقان ربما تفوق طبيعة إتقان إعداد النظام الخاص أيام البنا.

ينقل الأستاذ عباس السيسي تجربته مع تنظيم ٦٥، فيقول في كتابه «في قافلة الإخوان المسلمين»:

«تكونت لجنة قيادة العمل للإخوان بالإسكندرية من الإخوة.

١-الأخ عباس حسن السيسي مسئولًا عامًا.

٢-الأخ الكيميائي عبد المجيد الشاذلي عن التنظيم الخاص.

٣-الأخ الأستاذ محمود عيد أبو العنين عن التنظيم العام.

٤- الأخ الأستاذ سيد إسماعيل أبو شلوع مندوب عن محافظة البحيرة.

٥- الأخ الكيميائي مجدى عبد العزيز متولي –مندوب اتصال بين القاهرة والإسكندرية.

وكان الهدف من تشكيل هذا التنظيم هو تكوين جيل امتداد لجماعة الإخوان المسلمين الذين لا تزال قيادتهم مع كثير من قواعدهم يمضون فترة السجن المؤبد في ليمان طره وبني سويف وأسيوط وقنا والواحات.

وتقوم تنشئة الشباب على الأصول التربوية التي انتهجها الإخوان حسب رسائل الإمام الشهيد حسن البنا ومناهج الأخلاق والسلوك والمعاملات الموحاة من سيرة الرسول ﷺ.

وتكون مهمة الأستاذ محمود عيد أبو العينين – هي الدعوة العامة لشرح وتوضيح منهج الإخوان لإحياء ما اندثر من معالم هذا الدين وتصحيح ما لصق في عقول الناس وأفهامهم من تهم باطلة وادعاءات كاذبة نشرتها وأذاعتها وسائل الإعلام المضللة، وتكون وسائله في تحقيق ذلك: إلقاء الدروس في المساجد مع تجنب الإثارة والإعلان المباشر عن دعوة الإخوان، والتعارف بالشباب وتوثيق الصلة بهم عن طريق إهداء الكتب والزيارات والدعوة إلى زيارات محدودة في المنازل ومناقشة القضايا الإسلامية وخاصة قضية الإخوان.

وتكون مهمة الأخ الكيميائي عبد المجيد الشاذلي هي تلقي الأسماء المرشحة لبناء التنظيم الخاص الذي يشكل الأساس من الإخوان الذين يأخذون الأمر بالجدية والعزيمة، وهؤلاء تدرس لهم مناهج في العقيدة الإسلامية وأصول الفقه والسيرة الشريفة، والسنة من كتاب الدكتور مصطفى السباعي مراقب الإخوان في سوريا بالإضافة إلى رسالة التعاليم ورسالة المؤتمر الخامس والسادس وغيرها.

وتكون مهمة الأخ الكيميائي مجدي عبد العزيز متولي هي حلقة الاتصال بين قيادة العمل في مدينة الإسكندرية وبين القيادة العامة في القاهرة، والتي لم تكن تعرف أحد منهم.

وكان الأخ الأستاذ سيد إسماعيل أبو شلوع المحامي يمثل الإخوان في محافظة البحيرة الذي قد تكون لهم تنظيم على نفس الصورة.

ومن أهم ما اتفقنا عليه جميعًا وبكل وضوح.. هو البعد بالتنظيم عن التسليح بكل أشكاله حتى السلاح الأبيض، وأن يكون التدريب على كل أنواع الرياضة بالاشتراك في الأندية الرياضية المنتشرة في المدينة.

وأن لا ينضم إلى التنظيم إلا من اجتاز الشروط المتفق عليها ووافقت عليه اللجنة المكلفة بذلك.

وكل الأمور يجب أن تكون بالشورى وبإجماع المكتب، وأن تكون مدة المرحلة الأولى لهذا التنظيم خمس سنوات اعتبارًا من أول عام ١٩٦٣».

ثم يقول تحت عنوان: «لقاء هام في منزل الكيميائي عبد المجيد الشاذلي»:

«دعيت لتناول الإفطار في شهر رمضان المبارك بدعوة من الأخ عبد المجيد الشاذلي في منزله، وهناك وجدت الأستاذ مجدي عبد العزيز متولي والأستاذ سيد أبو شلوع والأستاذ محمد عبد الفتاح الشريف والمهندس عبد الحميد راجح وكيل وزارة الري والذي كنت أراه لأول مرة..

بعد الإفطار جلسنا نتحدث حول ظروف الدعوة وخطاب الرئيس عبد الناصر- وكان أخطر ما قيل في هذا اللقاء هو الحديث الذي أدلى به الأستاذ محمد عبد الفتاح

الشريف – إذ قال: إنه كان في زيارة لفضيلة العالم الجليل الشيخ محمد الأودن – وهو من هيئة كبار العلماء ومعروف بنشاطه الإسلامي، وله صلة معرفة سابقة بالضباط الأحرار حيث كانوا يستمعون إليه في أحاديث إسلامية قبل قيام حركة ٢٣ يوليو.

قال الشيخ محمد الأودن للأستاذ محمد الشريف. إن بعض الضباط الذين هم على صلة به شخصيًا غير راضين عن الأوضاع السياسية في مصر، وهم مستعدون لعمل انقلاب ضد النظام على شرط أن يقوم الإخوان المسلمون بعملية اغتيال للرئيس عبد الناصر أولًا، وعندما يتم ذلك سوف نقوم نحن الضباط بالاستيلاء على الحكم فورًا!!

كان هذا الكلام الخطير صدمة عنيفة للمنهج الذي اتفقنا عليه، والذي لم يكن في حسابنا من قبل، ومع هذا فقد أخذَنا سياق الكلام إلى مناقشته.

فقال بعضنا: إنه يجب الحذر من دسائس المخابرات التي تريد أن تورطنا في محنة جديدة كي تصفي ما بقي من شباب الإخوان؛ فقد حدث أن بعضًا من ضباط المخابرات تقربوا من شباب الإخوان وشجعوهم على جمع تبرعات للمعتقلين من الإخوان عام ٤٥، ٥٥ وبعد أن استجاب الشباب تم القبض عليهم وأطلقوا عليهم التنظيم المالي وصدرت ضدهم أحكام.

وقال بعضنا: إننا لا ولن نثق على الإطلاق بأى ضابط ولو أقسم على المصحف.

إذا كان هؤلاء الضباط يفكرون في عمل انقلاب وهم جادون في ذلك، فإن الأقرب إلى العقل لسلامة الخطة وتحقيق الهدف، أن يقوموا هم بكل الأدوار من الألف إلى الياء، ولا يجوز أن يشركوا أحدًا ليست عنده الإمكانيات الهائلة المتوفرة لديهم، وأن تسرب مثل هذه الأفكار إلينا دليل قاطع على أن هناك نية لتوريط الإخوان في محنة جديدة.

وقال أحدنا: إن تنظيمنا هذا لم يقم على فكرة اغتيال جمال عبد الناصر، ولو كان الأمر كذلك فما كان هناك داع لتشكيل هذا التنظيم الواسع، بل كان الأمر يقتضي عددًا قليلًا من الإخوان للقيام بالمهمة.

وانتهت المناقشة على رفض ما جاء به الأستاذ محمد الشريف، بل واستنكاره وانقضى اللقاء وانصرفنا».

انكشاف الخطة وسقوط التنظيم:

يقول الأستاذ/ أحمد عبد المجيد في كتابه: «الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥»:

«ومع شهر إبريل عام ١٩٦٥ بدأت دلائل تنذر بالخطر، وتنبئ بأن الحكومة تدبر أمرًا ما للإخوان، وبدأ هذا الأمر مع توالي المعلومات، ويتأكد يومًا بعد يوم، ونذكر من الدلائل:

أنه بعد ظهور كتاب «المعالم» بدأت أجهزة المباحث تنشط خوفًا من وجود تجمع على هذه الأفكار التي وردت فيه، أو الخوف من أن يحدث تجمع على ذلك خاصة مع ورود فقرات منه تدعو لذلك صراحة، وبدأ فعلًا رجال المباحث يستدعون بعض الإخوان في مناطق مختلفة، يناقشونهم ويستفسرون منهم، وكثيرًا ما كان محور المناقشة هو كتاب المعالم وما به من أفكار... إلخ».

«وعند شعورنا بالقلق والخشية من تكرار ضربة مثل ضربة ١٩٥٤ وتذكر الأهوال التي تصيب الإخوان من التعذيب والتشريد وغيره، ثم الخوف على هذا التنظيم الوليد من وأده في مهده، كل هذه الاعتبارات وغيرها جعلتنا نفكر: وما السبيل؟ هل نصبر ونسلم أنفسنا كما يحدث في كل مرة؟! أم أن هناك وسيلة أخرى لرد هذا الاعتداء ودفعه أو سحقه إن أمكن، أو على الأقل للدفاع عن أنفسنا؟!

وتم بناءً على ذلك عرض الموضوع ومناقشته مع الأستاذ سيد، وكان ملخص ما ورد في عدة جلسات ما يلي:

كانت هناك موافقة مبدئية من الجميع على رد الاعتداء والدفاع عن النفس؛ وذلك لحماسة الدعوة، وقال الشهيد في ذلك: كسيوف بني هاشم في مكة، وبدأ السؤال عن الإمكانية والأفراد الذين يكونون على استعداد وذوي كفاءة معينة، وكان أكثر المتحمسين لذلك: علي عشماوي والذي عرض إمكانية الأفراد بالقاهرة والجيزة وعددهم وإمكانياتهم واستعدادهم، واتضح بعد ذلك عقب الاعتقال أن كلامه كان مبالغًا فيه مما يزيد من علامات الاستفهام حوله.

وبدأنا معاودة الاتصال بالإخوان بالخارج لتسلم السلاح السابق الاتفاق عليه مع علي عشماوي، وبعد التحري والتأكد أن تجهيزه تم بعيدًا عن أي أحد، وتم بأيدي الإخوان وحدهم، وأنه موجود في أفريقيا، وممكن الوصول عن طريق السودان إلى أسوان وعمل ترتيب كل ذلك لاستلامه بدقة متناهية، ومن ناحية أخرى بدأ حصر العمليات التي ستتم داخل مصر، وتحديد كل مجموعة لها وتمرينهم عليها، وبدأت عمليات التدريب على السلاح والمتفجرات وغير ذلك على أن يكون ذلك للدفاع الشرعي فقط ورد العدوان ولا يكون البدء من جهتنا أبدًا.

وأثناء التجهيز والاستعداد لذلك تم اكتشاف التنظيم بصورة متسلسلة عجيبة أشبه بالروايات البوليسية دون خطأ أو تقصير أحد، ودون مهارة أو قدرة أجهزة الاستخبارات المختلفة، وهم غالبًا لا يعرفون قضاياهم إلا عن طريق السياط والتعذيب ولكن كيف حدث ذلك؟ وفي هذا التوقيت بالذات [1]، لقد تم ذلك بقدر الله لحكمة لا يعلمها إلا المولى سبحانه، ربما لم تتضح نتائجها إلا بعد ذلك».

أما جناح التنظيم في الإسكندرية، فيستكمل الأستاذ عباس السيسي تجربته مع تنظيم ٦٥، فيقول في كتابه: «في قافلة الإخوان المسلمين» تحت عنوان: «جلسة أخرى في منزل الحاج أحمد حسين»:

«واستدعيت للحضور للإسكندرية، وحددت المقابلة في محل الأخ الحاج أحمد حسين صاحب محل بقالة في المندرة، والذي كنت أتعامل معه في تجارة الجبنة، وقد لاحظ الأخ الحاج أحمد أننا في حاجة إلى مكان نلتقي فيه، فعرض علينا أن نلتقي في منزله المجاور حيث لا يوجد أحد في المنزل.

وكان الحاضرون: الأخ مجدي متولي، والأخ عبد المجيد الشاذلي، والأخ سيد أبو شلوع، وتحدث الأخ مجدي فقال: إن الموقف في القاهرة خطير جدًا؛ فقد تم القبض على الأستاذ محمد قطب شقيق الأستاذ سيد قطب، والأمر ربما يتطور إلى أسوأ من ذلك

---

(١) بدأت الاعتقالات في شهر يوليو ١٩٦٥ بالأستاذ محمد قطب ومجموعات من الإخوان الذين سبق الحكم عليهم سنة ١٩٥٤ وأفرج عنهم، وشمل الاعتقال الأستاذ سيد قطب الذي اعتقل يوم ٩ أغسطس ١٩٦٥.

وندخل في محنة لا تقل عن محنة ١٩٥٤، لهذا فلابد أن نستعد للمقاومة إذا حدثت مواجهة بيننا وبين الحكومة.

قلنا للأخ مجدي أننا هنا لسنا على استعداد لهذه الخطوة المفاجئة ولم يكن في برنامجنا هذا الاصطدام، ومع تقديرنا للظروف التي تمر بها الدعوة فإن لنا طلب هام جدًا، وهو أننا قبل الدخول في أية عمليات لمواجهة الموقف -لأن المسألة سوف يكون فيها كثير من التضحيات، فإن الجندي في هذه الحالة يجب أن يتعرف على قائده ويكون على ثقة من تقديره للأمور، ويطمئن على أن قائده على مستوى هذه المسئولية الخطيرة – لهذا فنحن نريد معرفة اسم (القائد) الذي سوف نعطيه الولاء، ولكن الأخ مجدي أصر على أنه ليس في حل أن يعرفنا عن اسم القائد وقال: دعوني أسافر للقاهرة وأستأذن في ذلك!!».

المحاكمة:

تم تسليم ادعاء الاتهام للمتهمين وكانت ديباجة الأوراق كالآتي:

نيابة أمن الدولة العليا «أمر إحالة» إلى محكمة أمن الدولة العليا في الجناية رقم ١٢/١٩٦٥ أمن دولة العليا.

نحن صلاح نصار.. رئيس نيابة أمن الدولة العليا

بعد الاطلاع على القضية، وما تم فيها من تحقيقات نتهم:

ذكرت النيابة ٤٣ متهمًا أبرزهم: سيد قطب – محمد يوسف هواش – عبد الفتاح عبده عشماوي – أحمد عبد المجيد عبد السميع – عبد المجيد يوسف الشاذلي – عباس حسن سعيد السيسي – مجدي عبد العزيز – محمد بديع – محمود عزت – زينب الغزالي.

أنهم في الفترة من سنة ١٩٥٩ حتى آخر سبتمبر ١٩٦٥ بالجمهورية العربية المتحدة وبالخارج حاولوا تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها بالقوة، بأن ألفوا من بينهم وآخرين تجمعًا حركيًا وتنظيمًا سريًا مسلحًا لحزب الإخوان المسلمين المنحل يهدف إلى تغيير نظام الحكم القائم بالقوة باغتيال السيد/ رئيس الجمهورية والقائمين على الحكم في البلاد، وتخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة في البلاد، وتزودوا في سبيل

ذلك بالمال اللازم وأحرزوا مفرقعات وأسلحة وذخائر، وقاموا بتدريب أعضاء التنظيم على استعمال هذه الأسلحة والمفرقعات، وحددوا أشخاص المسئولين الذين سيجري اغتيالهم، وعاينوا محطات توليد الكهرباء والمنشآت العامة التي سيخربونها، ورسموا طريقة تنفيذ ذلك، وتهيئوا للتنفيذ الفعلي، وعينوا الأفراد الذين سيقومون به، وحال ضبطهم دون تمام مؤامراتهم، وكان المتهمون السبعة الأول هم المتولين زعامة التنظيم.

وبعد فترة من المحاكمة وفي صباح يوم الأحد ٢١ من أغسطس ١٩٦٦ أعلنت الأحكام:

أحكام الإعدام:

١- سيد قطب. ٢- محمد يوسف هواش.

٣- عبد الفتاح إسماعيل.

الإخوة المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة منهم:

١- عبد المجيد الشاذلي. ٢ - زينب الغزالي.

٣- علي عبده عشماوي. ٤ - أحمد عبد المجيد عبد السميع.

الإخوة المحكوم عليهم بخمسة عشر عامًا أشغال شاقة منهم:

١- محمد بديع ٢ - عباس حسن السيسي.

ولعل من المفيد - بعد هذا العرض - أن نتناول الشهادة الكاملة لأبرز رأسين في هذا التنظيم، وهما: سيد قطب، وعلي عشماوي؛ فقد تناول الأول شهادته تحت عنوان: «لماذا أعدموني؟»، وتناول الثاني شهادته تحت عنوان: «الإقرار الشامل».

مقتطفات من نص أقوال سيد قطب أمام النيابة بالإضافة إلى الإقرار الذي كتبه بخط يده وحمل عنوان: «لماذا أعدموني؟»:

نقل الأستاذ/ سامي جوهر في كتابه: «الموتى يتكلمون» نص أقوال سيد قطب أمام النيابة التي كان يرأسها صلاح نصار؛ حيث عقدت عدة جلسات في السجن الحربي أدلى فيها سيد قطب بشهادته بشكل مفصل، ثم أضاف إليها التقرير الذي كتبه بخط يده، والذى اشتهر باسم: «لماذا أعدموني؟»، وقد أكد فيها على نفس المعلومات

والحقائق التي أوردها في شهادته أمام النيابة، والتي يبدو أنها تسببت في غضب بعض القريبين منه؛ يقول الأستاذ سيد قطب في مقدمة شهادته «لماذا أعدموني؟»:

«لقد كتبت بيانًا مجملًا قبل هذا تنقصه تفصيلات كثيرة، كما تنقصه وقائع وبيانات كثيرة، ولقد أسيء فهم موقفي وتقدير دوافعي في كتابة ذلك البيان على ذلك النحو، وأرجو أن يكون في هذا التقرير الجديد المفصل ما يفي بالمطلوب، وما يجعل موقفي مفهومًا على حقيقته.

والله يعلم أنني لم أكن حريصًا على نفسي ولا قصدت تخليص شخصي بذلك الإجمال، ولكنني - ويجب أن أعترف بذلك - كنت أحاول أولًا وقبل كل شيء حماية مجموعة من الشباب الذي عمل معي في هذه الحركة بقدر ما أملك؛ لاعتقادي أن هذا الشباب من خيرة من تحمل الأرض في هذا الجيل كله، وأنه ذخيرة للإسلام وللإنسانية حرام أن تبدد وتهدر، وإنني مطالب أمام الله أن أبذل ما أملك لنجاتهم، وإن ذلك البيان المجمل الذي لا يحتوي كل التفاصيل الدقيقة هو كل ما أملكه في الظرف الحاضر للتخفيف عنهم، وقد يشملني هذا التخفيف ضمنًا، ولكن الله يعلم أن شخصي لم يكن في حسابي.

وقد احتملت المسؤولية كاملة منذ أول كلمة، وقلت إنه آن أن يقدم إنسان مسلم رأسه ثمنًا لإعلان وجود حركة إسلامية وتنظيم غير مصرح به قام أصلًا على أساس أنه قاعدة لإقامة النظام الإسلامي، أيًا كانت الوسائل التي سيستخدمها لذلك، وهذا في عرف القوانين الأرضية جريمة تستحق الإعدام!

ويجب أن أبين في هذه المقدمة القصيرة أن تقديمي ذلك البيان الأول المجمل بهذا القصد هو واجبي كمسلم؛ فالأسير المسلم لا ينبغي له أن يدل على ما وراءه من جند الإسلام ولا يكشف مقاتل المسلمين وعوراتهم ما أمكنه، وقد كنت أؤدي واجبي بمفهومي الإسلامي متعاملًا فيه مع الله، بغض النظر عن نظرة القوانين والهيئات البشرية.

ولكني الآن؛ وقد بينت أن هذا الشباب قد قرر كل تفاصيل أدواره الخاصة والعامة، وإنني أنا لا أدل عليهم بشيء، فقد ارتفع الحرج عن صدري في ذكر كل



التفاصيل، مع محاولة ترتيبها ترتيبًا زمنيًا بقدر الإمكان، فإذا غاب بعضها عن ذاكرتي؛ فيمكن السؤال عنها وتذكيري بها عن طريق أقوال مجموعة الشباب الخمسة أو غيرهم ممن ورد في أقوالهم شيء عنها، والترتيب الزمني التاريخي هو خير وسيلة تساعدني على التذكر.

ولابد أن أقول للسادة المشرفين على القضية: إنني لا أستطيع أن أكتب إلا بطريقتي الخاصة؛ طريقة الكاتب الذي زاول الكتابة أربعين سنة بأسلوب معين وطريقة معينة، فبعض الوقائع لابد من التعليق عليها عند ذكرها وبيان أسبابها ودوافعها والظروف المحيطة بها، وبعضها يمكن ذكره مجردًا بلا تعليق ولا تعقيب، وهذا قد يضايقهم أحيانًا؛ لأنهم يريدون فقط سلسلة الحوادث والوقائع والأشخاص».

قام سيد قطب رحمه الله باختصار تجربته في الحياة العامة بشقيها الأدبى والسياسي، قبل انضمامه لجماعة الإخوان وبعدها، وافتتح به الحديث في شهادته «لماذا أعدموني؟» فقال:

«سأختصر في بياني هذا النشاط من وقت التحاقي بالجماعة سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٦٢ لأتوسع فيما بعد ذلك؛ إذ أن هذه الفترة الأولى ليس فيها - بالنسبة لي - شيء ذو أهمية أكثر من أنه تمهيد للفترة التالية، ثم إن أحداثها قد انتهى أمرها، فيما عدا حادثًا واحدًا شديد الأهمية، ولو ثبت فقد يغير وجه تاريخ العلاقات بين الدولة والإخوان المسلمين، ويغير وضع قضية ١٩٥٤، وسأذكره في مناسبة في سياق التقرير[1].

لم أكن أعرف إلا القليل عن الإخوان المسلمين، إلى أن سافرت إلى أمريكا في ربيع ١٩٤٨ في بعثة لوزارة المعارف - كما كان اسمها في ذلك الحين - وقد قتل الشهيد حسن البنا وأنا هناك في عام ١٩٤٩، ولقد لفت نظري بشدة ما أبدته الصحف الأمريكية وكذلك الإنجليزية التي كانت تصل إلى أمريكا من اهتمام بالغ بالإخوان، ومن شماتة وراحة واضحة في حل جماعتهم وضربها وفي قتل مرشدها، ومن حديث عن خطر هذه الجماعة على مصالح الغرب في المنطقة وعلى ثقافة الغرب وحضارته فيها، وصدرت كتب بهذا المعنى سنة ١٩٥٠، أذكر منها كتابًا لـ «جيمس هيوارث دن»

---

(١) يقصد حادث المنشية، وقد سبق بيانه.

بعنوان: «التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة»... كل هذا لفت نظري إلى أهمية هذه الجماعة عند الصهيونية والاستعمار الغربي.

في الوقت ذاته صدر لي كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» سنة ١٩٤٩ مصدرًا بإهداء هذه الجملة: (إلى الفتية الذين ألمحهم في خيالي قادمين يردون هذا الدين جديدًا كما بدأ، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم... إلخ)، ففهم الإخوان في مصر أنني أعنيهم بهذا الإهداء، ولم يكن الأمر كذلك، ولكنهم من جانبهم تبنوا الكتاب، واعتبروا صاحبه صديقًا، وبدأوا يهتمون بأمره.

فلما عدت في نهاية عام ١٩٥٠؛ بدأ بعض شبابهم يزورني ويتحدث معي عن الكتاب، ولكن لم تكن لهم دار، لأن الجماعة كانت لا تزال مصادرة، واستغرقت أنا عام ١٩٥١ في صراع شديد بالقلم والخطابة والاجتماعات ضد الأوضاع الملكية القائمة والإقطاع والرأسمالية، وأصدرت كتابين في الموضوع غير مئات المقالات في صحف «الحزب الوطني الجديد» و«الحزب الاشتراكي» و«مجلة الدعوة» التي أصدرها الأستاذ صالح عشماوي و«مجلة الرسالة»، وكل جريدة أو مجلة قبلت أن تنشر لي، بلا انضمام لحزب أو جماعة معينة، وظل الحال كذلك إلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢.

ومرة أخرى استغرقت كذلك في العمل مع رجال ثورة ٢٣ يوليو، حتى فبراير سنة ١٩٥٣ عندما بدأ تفكيري وتفكيرهم يفترق حول هيئة التحرير ومنهج تكوينها وحول مسائل أخرى جارية في ذلك الحين لا داعي لتفصيلها... وفي الوقت نفسه كانت علاقاتي بجماعة الإخوان تتوثق، باعتبارها -في نظري- حقلًا صالحًا للعمل للإسلام على نطاق واسع في المنطقة كلها بحركة إحياء وبعث شاملة، وهي الحركة التي ليس لها في نظري بديل يكافئها للوقوف في وجه المخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية التي كنت قد عرفت عنها الكثير، وبخاصة في فترة وجودي في أمريكا. وكانت نتيجة هذه الظروف مجتمعة؛ انضمامي بالفعل سنة ١٩٥٣ إلى جماعة الإخوان المسلمين.

ومع ترحيبهم - على وجه الإجمال - بانضمامي إلى جماعتهم إلا أن مجال العمل بالنسبة لي في نظرهم كان في الأمور الثقافية لقسم نشر الدعوة ودرس الثلاثاء والجريدة

التي عملت رئيسًا لتحريرها وكتابة بعض الرسائل الشهرية للثقافة الإسلامية، أما الأعمال الحركية كلها فقد ظللت بعيدًا عنها.

ثم كانت حوادث ١٩٥٤ فاعتقلت مع من اعتقلوا في يناير وأفرج عنهم في مارس! ثم اعتقلت بعد «حادث المنشية» في ٢٦ أكتوبر كذلك، واتهمت بأني في الجهاز السري ورئيس لقسم المنشورات به، ولم يكن شيء من هذا كله صحيحًا!

وأرجو أن يلاحظ أنني لا أقصد تبرئة نفسي من عمل سجنت من أجله عشر سنوات وانتهى أمره، ولا قيمة لتبرئة نفسي منه الآن، وإنما هذا جانب من الصورة التي لها دخل قوي في الوقائع الجديدة وهذه كل أهميتها».

والملاحظ أن سيد رحمه الله لم يتطرق في حديثه أمام النيابة إلى بدايات تكون التنظيم داخل السجن، وبدأ حديثه مباشرة بتحركات ما بعد الخروج من المعتقل، ولكنه في شهادته المكتوبة سرد القصة من بداياتها؛ يقول الأستاذ سيد قطب في شهادته «لماذا أعدموني؟»:

«وبعد مذبحة «طرة» [1] لم يعد في «الليمان» أحد من الإخوان معي إلا الأخ محمد يوسف هواش، والأخ محمد زهدي سليمان، وهذا الأخير -بحكم ثقافته المحدودة- لا يتمكن من المشاركة في أي تفكير من هذا النوع، فلم يبق معي إلا هواش.

وبعد مراجعة ودراسة طويلة لحركة الإخوان المسلمين ومقارنتها بالحركة الإسلامية الأولى للإسلام؛ أصبح واضحًا في تفكيري -وفي تفكيره كذلك- أن الحركة الإسلامية اليوم تواجه حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية يوم جاء الإسلام أول مرة من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة الإسلامية، والبعد عن القيم والأخلاق الإسلامية، وليس فقط البعد عن النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية، وفي الوقت نفسه توجد معسكرات صهيونية وصليبية استعمارية قوية تحارب كل محاولة للدعوة الإسلامية وتعمل على تدميرها عن طريق الأنظمة والأجهزة المحلية؛

---

(١) محاولة تمرد فاشلة داخل السجن من ١٨٠ من المساجين، أسفرت عن مقتل حوالي عشرين سجينًا، وإصابة ٣٥ آخرين.

بتدبير الدسائس والتوجيهات المؤدية لهذا الغرض، ذلك بينما الحركات الإسلامية تشغل نفسها في أحيان كثيرة بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة المحلية؛ كمحاربة معاهدة أو اتفاقية، وكمحاربة حزب أو تأليب خصم في الانتخابات عليه.

كما أنها تشغل نفسها بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية، بينما المجتمعات ذاتها بجملتها قد بعدت عن فهم مدلول العقيدة الإسلامية والغيرة عليها، وعن الأخلاق الإسلامية.

ولابد إذن أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة؛ وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول، وتربية من يقبل هذه الدعوة وهذه المفهومات الصحيحة تربية إسلامية صحيحة، وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولات فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي؛ لأنها عرفته على حقيقته وتريد أن تحكم به.

إذ أن الوصول إلى تطبيق النظام الإسلامي والحكم بشريعة الله ليس هدفًا عاجلًا؛ لأنه لا يمكن تحقيقه إلا بعد نقل المجتمعات ذاتها أو جملة صالحة منها ذات وزن وثقل في مجرى الحياة العامة؛ إلى فهم صحيح للعقيدة الإسلامية ثم للنظام الإسلامي، وإلى تربية إسلامية صحيحة على الخلق الإسلامي، مهما اقتضى ذلك من الزمن الطويل والمراحل البطيئة.

وأصبحت هذه الصورة للحركة الإسلامية واضحة في حسي تمامًا -كما أصبحت واضحة في حس الأخ هواش- وبقيت مهمة نقلها إلى أفراد ومجموعات أخرى من الإخوان بأية وسيلة لبدء حركة على أساسها.

وفي سنة ١٩٦٢ بدأت الحركة فعلًا، بدأت بحضور أفراد من الإخوان المسجونين، أكثريتهم من «سجن القناطر» وأقليتهم من «سجن الواحات» للعلاج في مستشفى ليمان طرة، أو مستشفى سجن مصر كذلك ثم «سجن طرة» حسب الإمكانيات



العلاجية بهما، وإن كان الاتصال بهم في فترات الرياضة في فناء المستشفى وفي كل فرصة تسنح، وإن كان اتصالًا محدودًا وقصيرًا من ناحية الزمن اليومي ومن ناحية زمن بقائهم بالمستشفى لعملية أو علاج ينتهي في فترة محدودة ويعودون إلى سجونهم، ما عدا أفرادًا منهم مكثوا فترات طويلة – وسأذكر شأنهم معي تفصيلًا –.

ولكن قبل ذلك لابد من تصوير الظروف التي تمت فيها هذه الاتصالات التي حاولت فيها نقل مفهوماتي لهؤلاء القادمين؛ أنا إلى ذلك الوقت في محيط الإخوان المسلمين مجرد أخ مسلم، حقيقة أن له من نفوسهم قيمته ومكانته الشخصية بوصفه كاتبًا مفكرًا إسلاميًا له خبرته وتجربته في المجالات العامة، وله شهرته ومكانته في العالم الإسلامي، ولكنه مع ذلك كله ليست له صفة حركية إدارية في الجماعة تعطي له الحق الشرعي في رسم خطة حركية ولا من توجيه الإخوان إليها؛ لأن هذا الحق لـ «مكتب الإرشاد» وحده ولمن يكلفه بذلك، ولست من أعضاء المكتب ولا مكلفًا منه بشيء.

هذا الظرف كان يحتم علي أن أبدأ مع كل شاب وأسير ببطء وحذر من ضرورة فهم العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا قبل البحث عن تفصيلات النظام والتشريع الإسلامي، وضرورة عدم إنفاق الجهد في الحركات السياسية المحلية الحاضرة في البلاد الإسلامية لتوفير التربية الإسلامية الصحيحة لأكبر عدد ممكن، وبعد ذلك تجيء الخطوات التالية بطبيعتها بحكم اقتناع وتربية قاعدة في المجتمع ذاته؛ لأن المجتمعات البشرية اليوم –بما فيها المجتمعات في البلاد الإسلامية– قد صارت إلى حالة مشابهة كثيرًا أو مماثلة لحالة المجتمعات الجاهلية يوم جاءها الإسلام، فبدأ معها من العقيدة والخلق لا من الشريعة والنظام، واليوم يجب أن تبدأ الحركة والدعوة من نفس النقطة التي بدأ فيها الإسلام، وأن تسير في خطوات مشابهة مع مراعاة بعض الظروف المغايرة.

ولم يكن الزمن الذي يقضيه كل منهم يسمح بتكوين فهم كامل ولا واسع لهذا المنهج، ولكن فقط يفتح له نافذة للتفكير من جديد والقراءة في الكتب التي تساعده على هذا التصور والتي كنت أسمي له عددًا منها، وبعضها كان عندي في «الليمان» ومن

مكتبته، فيقرأ منها ما يمكن ويكمل الباقي بعد عودته، أولًا في صورة فردية، وفيما بعد تكونت أسر في «سجن القناطر» لدراسة هذه الكتب بالإضافة إلى كتب أخرى اختاروها بأنفسهم هناك.

كانت أول مجموعة تكلمت معها في هذه المفهومات بتوسع -سنة ١٩٦٢ على ما أذكر- مكونة من الإخوان: مصطفى كامل، وسيد عيد، ويوسف كمال من «سجن القناطر» في فترة أقل من أسبوع، ولكنهم تحمسوا لهذه المفهومات وعادوا فتكلموا فيها مع بعض إخوانهم بحماسة كان لها رد فعل شديد في وسطهم، فبعضهم أخذ يتحمس لهذا الاتجاه من التفكير ويطلب منه المزيد، وبعضهم أخذ يتحمس ضده بشدة باعتبار أن فيه مخالفة للخط الحركي الذي سارت عليه الجماعة من قبل وتخطئته لها في بعض تحركاتها، وباعتبار آخر وهو أنه صادر عن جهة غير شرعية بالنسبة لهم.

وتوالى خلال هذه الفترة -من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٤- مجيء أفراد آخرين أذكر منهم من تعيه ذاكرتي على غير ترتيب زمني، ومن السهل معرفة الجميع سواء من أحد الإخوان الذين كانوا في «القناطر» أو من السجلات...

هؤلاء الذين حضروا من «القناطر» وسمعوا مني ما ينبغي أن يكون عليه منهج الحركة الإسلامية، وسمعوا المفهومات العقيدية الصحيحة، ومدى بُعد المجتمعات الإنسانية اليوم عنها -بما فيها المجتمعات الإسلامية التقليدية ذاتها- ليسوا كلهم من سن واحدة ولا من ثقافة واحدة؛ فعدد منهم عمال، وعدد طلاب متفاوتوا المستوى والاستعداد، كما أن بعضهم أقام أيامًا لقيني ساعة أو ساعتين في المجموع، وبعضهم أقام أسابيع، وبعضهم أقام أشهرًا طويلة، لذلك كله اختلفت الصور التي نقلوها لإخوانهم في «القناطر»، وبعض هذه الصور كانت مشوهة أو مبتورة، وبعضها كان كاملًا وصحيحًا، مما جعل المسؤولين عنهم في «القناطر»-وكانوا يختارون من بينهم مجموعة من خمسة أو أقل أو أكثر تشرف على شؤونهم فترة من الزمن حتى تتعب فيختارون غيرها- تطلب مني أسماء مجموعة من الكتب تكون مراجع لدراسة الإخوان؛ لأن الكتاب ينقل الفكرة نقلًا كاملًا صحيحًا.



فكتبت لهم أسماء نحو أربعين كتابًا، اختاروا هم من بينها بعضها، وأضافوا بعضًا آخر، وجعلوها برنامجًا ثقافيًا تدرسه فيما بينها أسر بقدر ما يسمح نظام السجن، والأسرة عادة سكان زنزانة فيما أظن -ولا أعرف على وجه الدقة تفصيلات ذلك- ولكن هذا لم يضع حدًا للمشكلة التي نشأت من رفض مجموعة منهم أن تتلقى أفكارًا أو تدرس برنامجًا لم يأت من الجهة الشرعية في الجماعة ومعي الباقون من أعضاء مكتب الإرشاد في السجون وكانوا إذ ذاك في الواحات.

وفي خلال الفترة من سنة ١٩٦٢ إلى سنة ١٩٦٤ انتهى الحال إلى أن تكون المجموعة التي في «القناطر» - وعددها حوالي المئة - مصنفة كالآتي: حوالي ٣٥ اندمجوا في الدراسة، وأصبحت لهم مفهومات واضحة في العقيدة الإسلامية وفي منهج الحركة الإسلامية، وحوالي ٢٣ آخرين يعارضون تمامًا هذا الاتجاه، ويرفضون مبدأ السماع إلا من قيادة الجماعة في الواحة، وحوالي ٥٠ يدرسون ولكنهم لم يصلوا إلى الوضوح الكافي وهم في الطريق... إلى أن انتهت مدة سجن الجميع وخرجوا خلال ١٩٦٥.

وفي مقدمة الذين عارضوا بشدة وأقاموا ضجة: أمين صدقي، وعبد الرحمن البنا، لطفي سليم، عبد العزيز جلال، والبقية يتذكرها الطوخي أو فوزي نجم أو مصطفى كامل، وبعض هؤلاء أوصلوا إلى الأستاذ عبد العزيز عطية وغيره في الواحات صورة مضخمة ومشوهة عن الانقسامات الخطيرة التي وقعت في مجموعة «القناطر»، وصورة كذلك مشوهة عن أصل الأفكار والمنهج الذي يدور حوله الخلاف، مما جعلهم في الواحات ينزعجون انزعاجًا شديدًا سواء من الفكرة ذاتها أو من الخلاف حولها.

وقد حضر من عندهم للعلاج في «طرة»؛ الأخ عبد الرؤوف أبو الوفا، فأبلغني خبر هذا الانزعاج من ناحية واتجاه المجموعة في «الواحة»إلى عدم تكفير الناس من ناحية أخرى! وقد قلت له: (إننا لم نكفر الناس وهذا نقل مشوه، إنما نحن نقول: إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة، وعدم تصور مدلولها الصحيح، والبعد عن الحياة الإسلامية، إلى حال تشبه حال المجتمعات في الجاهلية، وإنه من أجل هذا لا

تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي، ولكن تكون إعادة زرع العقيدة والتربية الأخلاقية الإسلامية... فالمسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية أكثر مما تتعلق بالحكم على الناس!).

ولما عاد أبلغهم الصورة الصحيحة بقدر ما فهم منها، ولكن ظل الآخرون في «القناطر» يلحون عليهم بوجوب وقف ما أسموه بـ «الفتنة» في صفوف الجماعة، وظل الحال كذلك حتى نقل إلى مستشفى «طرة» الأستاذان عبد العزيز عطية وعمر التلمساني من أعضاء «مكتب الإرشاد» الباقين في السجون، والتقيا بي وأفهمتهما حقيقة المسألة فاستراحا لها.

المهم؛ أن المجموعة الأولى التي تعتبر داعية للمفهوم الإسلامي الصحيح، جعل معظم أفرادها يزورونني بعد خروجهم، وإن كان قصر الفترة التي قضيتها في القاهرة وكلها من الخروج إلى الاعتقال ثمانية أشهر بالضبط، جعل هذه الزيارات معدودة، وكذلك زارني أفراد من المجموعة الثانية التي لم تنضج مرة واحدة أو مرتين، وكانت علاقتي أكثر بالأخ هواش؛ باعتباره الرجل الذي عشت معه قرابة عشر سنوات، وفكرنا معًا في المنهج واتفقنا على تصورنا له كل الاتفاق والذي كنت أرشحه في نفسي لأن يتولى إكمال عملية التوعية سواء للمجموعة الثانية أو الأولى الخارجة من «سجن القناطر»، كما كنت أرشحه للاتصال بالتنظيم الجديد، ولكن ذلك لم يتم.

ولكن لم يقع أن وضعت تنظيمًا لهؤلاء الخارجين من السجن ولا حتى للمجموعة الأولى المؤلفة من نحو ٢٥ شابًا... لعدة أسباب:

١- إنها معتبرة كبقية الإخوان ضمن الجماعة في حالة سكون عن الحركة في الظروف الحاضرة، وليس لها وضع مستقل يربطها بي إلا نوع التفكير.. ولم أكن أريد أن أدخل في أية إشكالات كالتي أثارتها المجموعة المعارضة في القناطر.

٢- إن الخارج من السجن بعد عشر سنوات يكون كالأعمى من ناحية الرؤية الاجتماعية، ولابد أن تترك له فرصة للتعرف إلى المجتمع، ولمعالجة أحواله وأوضاعه الاجتماعية، فضلًا على أن تحركاته مراقبة بشدة.

٣- إن الجو في الخارج غيره في السجن؛ ففي السجن تكون الطاقة حبيسة ومتجمعة ومندفعة في الاتجاه الذي دخل صاحب العقيدة من أجله السجن.. أما وهو في الخارج فستستغرقه مشاغل ومشكلات واهتمامات متنوعة.. ولم يكن بد من تركهم فترة يتبين فيها من تستغرقه الحياة الدنيا ممن تبقى فيه بقية لعقيدته ودعوته..

لذلك كله؛ كنت أؤجل الحديث في مسألة تنظيمهم، سواء إذا تحدث فيه أحد منهم، أو إذا سألني أحد من الشبان الخمسة المشرفين على التنظيم الجديد الذي وجد في غيبتي في السجن والتقيت به بعد خروجي -والذي هو الموضوع الأساسي للجزء التالي من هذا التقرير-: (ما رأيك في فلان من الخارجين من السجن؟ ولماذا لا ينضمون كلهم أو بعضهم إلى تنظيمنا؟).

ومرة قلت لهم: (إننا لابد أن نتركهم ستة أشهر على الأقل، وحتى لو عملنا لهم تنظيمًا فسيبقى مستقلًا)، وإنني أفكر في أنه - عند ذلك - يشرف عليهم الأخ هواش وهو وحده يتصل بالتنظيم الجديد... إلا أن شيئًا من هذا كله لم يتم.

والذي حدث فقط؛ أنني استدعيت الأخ الطوخي لأعرف منه حقيقة كل واحد من الذين خرجوا، وتصنيف فئاتهم من ناحية الفهم والوعي... وذلك لأنه كان ملاصقًا لهم أكثر مني، وأنا أثق بحسن تقديره وصدق شهادته.

وفيما عدا هذا الاستفهام من الأخ الطوخي عن أحوال الخارجين لم تقع مني خطوة أخرى لتنظيمهم مستقلين أو متصلين بالتنظيم الجديد، ولكني علمت من الأخ الطوخي أنهم - قبل خروجهم من السجن - كانوا قد كلفوا واحدًا من كل ثلاثة أو أربعة أو أكثر لا يقيمون في مساكن متقاربة أن يتعهد الآخرين معه بالزيارة والسؤال عن أحوالهم دون أن يعرفوا هم ذلك ولا يشعروا بأن وراءه شيئًا، وذلك فقط كمجرد رابطة - ولا يزيد - وذلك في انتظار أية تعليمات أخرى إذا سمحت الظروف بإعادة تنظيمهم، فقلت له: (هذا يكفي).

ولم يزد الأمر على ذلك شيئًا فيما يختص بالخارجين من السجون، ولم يتسع الوقت لأعرف إن كان هذا الإجراء الذي اتفق عليه في «القناطر» بالنسبة للخارجين؛ إجراءً محليًا فكروا فيه من أنفسهم، أو أنه تنبيه عام وارد لهم من جهة قيادتهم من أعضاء «المكتب»، فأنا لم أكن الآمر به، ولكني أرجح أنه إجراء ذاتي من عندهم؛ لأنه كما فهمت يتعلق فقط بالمجموعة الواعية والتالية، ولا يشمل جميع الخارجين، وقد رأيته أنا كافيًا في الظروف الحاضرة؛ لأن موضوع تنظيم الخارجين من السجون كان مستبعدًا مؤقتًا في تقديري اكتفاءً بالتنظيم الجديد الذي خرجت فوجدته قائمًا واشتغلت معه واهتممت بتعديل وتحسين وتكوين عقليته ومفهوماته ومنهج حركته - كما سيأتي بالتفصيل -.

وفي الوقت نفسه لم أخبر أحدًا منهم بشيء عن التنظيم الجديد، وفيما عدا الأخ هواش الذي ذكرت له عموميات عنه وليس تفصيلات، فإن أحدًا غيره لم يعلم مني شيئًا عن ذلك التنظيم، لا من الخارجين من السجون، ولا من الإخوان بصفة عامة، ولا من الناس على العموم».

من خلال الاعتراف السابق من سيد، يتبين لنا أن الفكرة كانت مختمرة عنده وهو داخل المعتقل، وقد سعى لإيجاد مجموعات تدين بهذا الفكر وتؤمن به، ولم يدخر جهدًا في سبيل إعدادها وتجهيزها فكريًا، وعندما حان وقت الافراج والخروج من المعتقل كان التصور النظرى قد اكتمل في ذهنه، وفى أذهان كثير من تلامذته، ولم يبق سوى التطبيق العملي لهذه الأفكار.

يقول الأستاذ سيد قطب في شهادته «لماذا أعدموني؟»:

«خرجت من السجن وفي تصوري صورة خاصة محددة لما يجب أن تكون عليه أية حركة إسلامية في الظروف العالمية والمحلية الحاضرة، وصورة لخطوات المنهج الذي يجب أن تسير عليه، وقد ذكرت ذلك من قبل، ولكني ألخصه هنا قبل البدء في التفصيلات:

١ - المجتمعات البشرية بجملتها قد بعدت عن فهم وإدراك معنى الإسلام ذاته، ولم تبعد فقط عن الأخلاق الإسلامية والنظام الإسلامي والشريعة الإسلامية، وإذن

فأية حركة اسلامية يجب أن تبدأ من إعادة تفهيم الناس معنى الإسلام ومدلول العقيدة وهو أن تكون العبودية لله وحده؛ سواء في الاعتقاد بألوهيته وحده، أو تقدير الشعائر التعبدية له وحده، أو الخضوع والتحاكم إلى نظامه وشريعته وحدها.

٢ - الذين يستجيبون لهذا الفهم يؤخذ في تربيتهم على الأخلاق الإسلامية وفي توعيتهم بدراسة الحركة الإسلامية وتاريخها وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية، والعقبات التي كانت في طريقه والتي لا تزال تتزايد بشدة، وبخاصة من المعسكرات الصهيونية والصليبية الاستعمارية.

٣ - لا يجوز البدء بأي تنظيم إلا بعد وصول الأفراد إلى درجة عالية من فهم العقيدة، ومن الأخذ بالخلق الاسلامي في السلوك والتعامل، ومن الوعي الذي تقدم ذكره.

٤ - ليست المطالبة بإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الاسلامية هو نقطة البدء، ولكن نقطة البدء هي نقل المجتمعات ذاتها -حكامًا ومحكومين- عن الطريق السالف إلى المفهومات الإسلامية الصحيحة، وتكوين قاعدة إن لم تشمل المجتمع كله فعلى الأقل تشمل عناصر وقطاعات تملك التوجيه والتأثير في اتجاه المجتمع كله إلى الرغبة والعمل على إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الاسلامية.

٥ - وبالتالي لا يكون الوصول إلى إقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة الإسلامية عن طريق انقلاب في الحكم يجيء من أعلى، ولكن عن طريق تغير في تصورات المجتمع كله - أو مجموعات كافية لتوجيه المجتمع كله - وفي قيمه وأخلاقه والتزامه بالإسلام يجعل تحكيم نظامه وشريعته فريضة لا بد منها في حسهم!

٦ - في الوقت ذاته تجب حماية هذه الحركة وهي سائرة في خطواتها هذه؛ بحيث إذا اعتدى عليها وعلى أصحابها يرد الاعتداء، وما دامت هي لا تريد أن تعتدي، ولا أن تستخدم القوة في فرض النظام الذي تؤمن بضرورة قيامه - على الأساس المتقدم وبعد التمهيدات المذكورة - والذي لا يتحقق إسلام الناس إلا بقيامه حسب ما يقرر الله سبحانه، ما دامت لا تريد أن تعتدي ولا أن تفرض نظام الله بالقوة من أعلى فيجب أن تترك تؤدي واجبها وألا يعتدى عليها وعلى أهلها، فإذا وقع الاعتداء كان الرد عليه من جانبها.

هذه كانت الصورة المتكاملة في تصوري لأية حركة إسلامية حاضرة... ولكن حدث أن التقيت بعد خروجي على التوالي بالشبان الآتية أسماؤهم من بين من التقيت بهم من الإخوان وغير الإخوان ممن لهم اتجاه إسلامي: عبد الفتاح إسماعيل، علي العشماوي، أحمد عبد المجيد، وقد عرفت بقية أسمائهم هنا في السجن الحربي - مجدي - صبري... وعلمت منهم بعد لقاءات متعددة أنهم مكونون بالفعل تنظيمًا يرجع تاريخ العمل فيه إلى حوالي أربع سنوات أو أكثر، وأن أقلية منه ممن سبق اعتقالهم من الإخوان، والأكثرية ممن لم يسبق اعتقالهم، أو ممن لم يكونوا من الإخوان من قبل، وأن هذا التنظيم تم بأن كلًا منهم على انفراد فكر في وقت من الأوقات السابقة - في هذه السنوات - في ضرورة العمل لإعادة حركة الإخوان المسلمين وعدم الاكتفاء بهذه الصورة القائمة لوجود الجماعة؛ وهي أن تكون هناك بعض الاشتراكات والمساعدات لإعالة الأسر التي لم يعد لها مورد رزق، مع مجرد التجاوب الصامت بين الإخوان والقعود والانتظار.

وأنهم في أثناء تحركهم كل على حدة لتنظيم أي عدد من الإخوان الراغبين في الحركة أو تحريكهم؛ التقوا بعضهم ببعض، وبعد أن استوثق بعضهم من بعض؛ انضم كل منهم بالمجموعة التي كانت قد انضمت إليه وكونوا هذا التنظيم الواحد، وأنهم - وكلهم من الشبان القليلي الخبرة - ظلوا يبحثون عن قيادة لهم من الكبار المجربين في الجماعة، فاتصلوا بالأستاذ فريد عبد الخالق، كما اتصلوا بإخوان الواحات - الذين اتصلوا بالأستاذ فريد والذي اتصل بالواحات عبد الفتاح - وبغيرهم، ولكنهم لم يجدوا حتى الآن قيادة لهم، وهم يريدون أن أتولى أنا هذا بعد خروجي، ذلك أنهم بعد أن قرأوا كتاباتي وسمعوا أحاديثي معهم قد تحولت أفكارهم وتوسعت رؤيتهم إلى حد كبير، وقد كانوا يفكرون من قبل على أساس أن المسألة مسألة تنظيم مجموعة فدائية لإزالة الأوضاع والأشخاص التي ضربت جماعة الإخوان المسلمين وأوقفت دعوتهم، وإقامة الجماعة وإقامة النظام الإسلامي عن هذا الطريق.



أما الآن فقد فهموا أن المسألة أوسع من ذلك بكثير، وأن طريق العمل طويل، وأن العمل في المجتمع يجب أن يسبق العمل في نظام الدولة، وأن تكوين وتربية الأفراد يجب أن يسبق التنظيم... إلى الآخر، وأن مَنْ وراءهم من الشبان أخذوا يتصورون الأمور على هذا النحو إلى حد ما... ولكنهم هم في حاجة إلى قيادة تزودهم بالمزيد في التحرك ليستطيعوا هم أن يؤثروا فيمن وراءهم، ويوسعوا إدراكهم، ويغيروا تصوراتهم.

وكنت أمام أمرين؛إما أن أرفض العمل معهم... وهم لم يتكونوا على النحو الذي أنا مقتنع به، فلم يتم تكوين الأفراد وتربيتهم وتوعيتهم قبل أن يصبحوا تنظيمًا، وقبل أن يأخذوا في التدريب الفعلي على بعض التدريبات الفدائية.

وإما أن أقبل العمل على أساس إدراك ما فاته من المنهج الذي أتصوره للحركة، وعلى أساس إمكان ضبط حركاتهم بحيث لا يقع اندفاع في غير محله، خصوصًا وبعضهم ينوي فعلًا، وعقلية البدء بإقامة النظام الإسلامي من قمة الحكم قد تغلب على الفهم الجديد وعلى عقلية البدء بإقامة العقيدة والخلق والاتجاه في قاعدة المجتمع... وقررت اختيار الطريق الثاني والعمل معهم وقيادتهم.

ولكني قلت لهم مخلصًا في ذلك: (حقيقة أن الحركة الإسلامية في الظروف الحاضرة تحتاج إلى نظرة واسعة وفهم ووعي الإسلام ذاته وتاريخ حركته، وكذلك فهم للظروف العالمية المحيطة بالإسلام وبالعالم الإسلامي... إلخ، وأنتم تقولون إنكم لم تجدوا قيادة، وتريدون أن أقوم لكم بهذا الدور، ولكنني كما تعلمون رجل مريض بأمراض مستعصية على الطب حتى الآن وخطيرة، والآجال نعم بيد الله، ولكن قدر الله يتم بأسباب يوجدها الله، لذلك يجب أن تعتمدوا على الله وتحاولوا أن تكونوا أنتم قيادة، ومهمتي الحقيقية معكم؛ هي بذل كل ما أملك لتوعيتكم وتكوينكم العقلي لتكونوا قيادة، أما دينكم وخلقكم وتقواكم وإخلاصكم وتعاملكم مع الله؛ فأنا أرى وأحس أنكم سائرون فيها بخير والحمد لله).

وكنت أكرر عليهم هذه المعاني وأتجه بهم هذا الاتجاه... وكانت الوسيلة لتحقيق ذلك هي اجتماعي بهم أحيانًا مرة كل أسبوع، وأحيانًا مرة كل أسبوعين، وفي فترات

انشغالي مرة كل ثلاثة أو كل شهر، وقد بدأت أدرس معهم تاريخ الحركة الإسلامية، ثم مواقف المعسكرات الوثنية والملحدة والصهيونية والصليبية قديمًا وحديثًا من الإسلام، مع إلمام خفيف بالأوضاع في المنطقة الإسلامية في التاريخ الحديث منذ عهد الحملة الفرنسية، وأحيانًا التعليق على الأحداث والأخبار والإذاعات، مع محاولة تدريبهم على تتبعها بأنفسهم، فقد كلفتهم أن يخصصوا منهم ومن بعض من يختارونهم ممن وراءهم تتبع الصحف العالمية والإذاعات العالمية، وإذا أمكن الكتب التي تصدر باللغتين الإنجليزية والفرنسية وتهتم بالإسلام وبالمنطقة الإسلامية».

الجلسة الأولى لتحقيق النيابة مع سيد قطب (يوم الأحد: ١٩٦٥/١٢/١٩):

س: ما قولك فيما هو منسوب إليك؟

ج: أنا سجنت بحكم من محكمة الشعب في سنة ١٩٥٥ وحكم علي بـ ١٥ سنة بتهمة تآمري مع الإخوان المسلمين ضد نظام الحكم القائم، وأفرج عنى بعفو صحى في مايو سنة ١٩٦٤، وبعد خروجي اتصل بي خمسة من الشبان على التوالى أولهم الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وما كنتش أعرفه قبل كده، وكان وحده، وعرفني بنفسه على أنه من جماعة الإخوان المسلمين وأنه قرأ بعض كتبي ويرغب في الاستزادة، وقال لى إن معاه بعض الزملاء يرغبون كذلك في زيارتي والتعرف علي، وفهمت من كلامه أن معاه مجموعة قليلة من شباب الإخوان المسلمين وأنهم عاوزين يتعرفوا علي فوافقت أنه يجيبهم وييجي.

وبعد فترة قصيرة حضر ومعاه شخص آخر عرفني به وهو علي عشماوي، وقال لى إنه ده من ضمن مجموعته، وتحدثت معهما عن أفكار عامة عن الإسلام، وكان الحديث عامًا عن موضوعات تناولتها في كتبي، ولا أذكر المرة التالية التي جاءني فيها عبد الفتاح إسماعيل وعلي عشماوي وثلاثة آخرون عرفت أسماءهم الأولى فقط وهم: أحمد ومجدي عشماوي وصبري، وفهمت في لقاءاتهم الأولى أنها دي المجموعة اللي عاوزة تتصل بي وتتزود من المعرفة.

وبعد عدة لقاءات معهم ماكنتش في الأول محددها وكانت بتبقى في المواعيد اللي يحددوها بدأوا يقولوا إن وراءهم عددًا آخر من الإخوان المسلمين، وأن لهم تنظيمًا سريًا يرجع إلى عدة سنوات سابقة، وإن هذا التنظيم كان قائمًا على أساس أنه تنظيم فدائي للانتقام مما جرى للجماعة في سنة ١٩٥٤ -أي لجماعة الإخوان المسلمين- ولكنهم بعد أن قرأوا كتاباتي وسمعوا ما سمعوا في هذه اللقاءات يدركون الآن أن عملية الانتقام عملية تافهة بالنسبة لمستقبل الإسلام، وأن إقامة النظام الإسلامي تستدعي جهودًا طويلة في التربية والإعداد، وأنها لا تجيء عن طريق إحداث انقلاب من القمة، وأنهم أصبحوا مقتنعين بذلك، وأنه يجب تربية الأفراد قبل أن يوجدوا في تنظيم، ولكنهم الآن أمام تنظيم قائم بالفعل وكان قائمًا على عقلية أخرى غير هذه العقلية، وهم لا يملكون الآن حل هذا التنظيم وإعادة بنائه على الأسس التي فهموها من حديثهم معي، غير أنهم يمكنهم تحويل عقلية هذا التنظيم عن طريقهم هم إذا أنا بذلت معهم جهدًا في إعدادهم وتربيتهم ليقوموا بتربية الآخرين من ورائهم.

وكانت هذه أول جلسة، ثم في جلسة لاحقة لها قالوا لي أنهم كلهم في أعمار متساوية، وأنهم تنقصهم القيادة، وأنهم بحثوا عنها في الجماعة فلم يجدوها، وبحثوا خارج الجماعة واتصلوا ضمن من اتصلوا بهم الأستاذ فريد عبد الخالق من الجماعة والأستاذ عبد العزيز علي من خارج الجماعة، ولكن الأستاذ فريد عبد الخالق رفض والأستاذ عبد العزيز علي لم يستريحوا إليه؛ لأنه طلب منهم في أول مقابلة بيانات كاملة عن كل شخص وأن فكرته في العمل في الحقل الإسلامي ضعيفة.

وفي هذا الوقت طلبوا مني قيادتهم في الناحية الفكرية فقط على أساس أنهم هم الخمسة متولين قيادة التنظيم الفعلية وسيتولون هم تحويل أفكار مَن وراءهم، وفعلًا صارت المقابلات منتظمة في فترات تتراوح بين أسبوع وثلاثة أسابيع، وكنا نحدد في نهاية كل مقابلة ميعاد المقابلة التالية.

وكنت بأجتمع معهم في كل مرة هم الخمسة، وكان أحيانًا بيتغيب منهم واحد أو اثنين، وبعد فترة أخرى وفي حوالي ديسمبر سنة ١٩٦٤ أو يناير سنة ١٩٦٥ بدأوا

يكشفون لي عن طبيعة هذا التنظيم، وفهمت أنه تكوين من عدة تنظيمات قام بها هؤلاء الأفراد كل على حدة في أول الأمر ثم تلاقوا في أثناء تحركهم واستوثق بعضهم من بعض، فتم تكوين التنظيم برؤسائه الخمسة، وأن كلًا منهم يتولى مجموعة من ناحية، ولم يحددوا نواحي مسئوليات كل منهم، وإن كنت فهمت فيما بعد بعض هذه النواحي أثناء الكلام مثل أن «صبري» مثلًا مسئول عن المنصورة بحكم عمله هناك، و«علي» في الغالب في القاهرة، و«عبد الفتاح» و«مجدي» و«أحمد» لا أعرف بالتحديد نواحي عملهم ومقدرش أحدد ما دار من حديث في كل جلسة، إنما ممكن أذكر الوقائع بترتيبها الزمنى تقريبًا.

ففي مرة قص علي كل منهم طريقة بدئه في العمل إلى أن التقى بعضهم ببعض.. ومرة علمت أن لعلي وعبد الفتاح اتصالات سابقة بالإخوان في السعودية وحددا منهم اسم الشيخ عشماوي سليمان، وأن المتصل به هو الشيخ عبد الفتاح، وأن علي كان متصلًا بواحد منهم تاني مش فاكر اسمه، وإن كنت فهمت من عبد الفتاح أنه قطع صلته بعشماوي أو أن عبد الفتاح طلب منه عدم الاتصال به، وأذكر أنه في إحدى المرات جاءني علي عشماوي بمفرده على غير ميعاد وأبلغني أنه لما كان في السعودية سنة ١٩٦٢ أو سنة ١٩٦٣ طلب من أحد الإخوان هناك مجموعة قطع أسلحة وكتب له بها كشف ثم نسي المسألة لطول الزمن، ولكنه فوجىء بخبر من هذا الأخ أي وقت حديثه معي – بأن هذه الأسلحة ستصل عن طريق السودان.

فتحدثت مع علي أولًا فيما اتفقنا عليه من برنامج جديد للعمل قائم على أساس التربية الطويلة المدى، وقال إنه لا يزال مقتنعًا بما نحن سائرون عليه، ولكن هذه الأسلحة التي أرسلت لابد من استلامها لأن تركها غير ممكن ويكشف التنظيم، علاوة على أنهم في حاجة إلى قطع أسلحة للتدريب، واتفقنا على عرض المسألة على المجموعة -أي: على الخمسة – ولا أتذكر إن كنت تحدثت في هذه المرة عن طبيعة البلد – وهي دراو – الذي ستصل إليها الأسلحة، وأنها قرية وكل ما يصل إليها يكون مكشوفًا، وأنه



يجب أن يعرف طبيعة البلد، وطبيعة الطريق، أو أن هذا كان في جلسة تالية، إنما اللي أذكره أني قلت له بهذه المناسبة أنه إذا كان لابد أن هذه الأسلحة تصل عن طريق دراو فلازم يدرس الطريق ويدرس البلد لضمان السرية وعدم الكشف.

وأذكر أن عبد الفتاح جاءني في اليوم التالي لمقابلتي لعلي عشماوي وكان لوحده وأبدى اعتراضه على المسألة بجملتها، وكان وجه اعتراضه أن العملية قد تكون مكشوفة وتكشف التنظيم، فأنا قلت له: إحنا حانجتمع كلنا ويتحدث كل ما عنده، وفعلًا اجتمعنا في بيتي لمناقشة الموضوع، وأذكر أن عبد الفتاح وصبري كانا معترضين على أساس أن أسلحة زي دي لا يمكن أنها ماتنكشفش طوال الطريق من السلطات المصرية، علاوة على أنهم لا يعرفون من أين اشتريت وبأي أموال، وتقرر بعد المناقشة أن يرسل علي عشماوي إلى مصدر الأسلحة -ولم يذكر اسمه – ويطلب منه إيقاف شحن هذه الأسلحة والإجابة على الأسئلة التالية:

- من أين المال الذي اشتريت به؟
- من أين اشتريت؟
- هل اشتريت صفقة واحدة أو صفقات متقطعة؟
- هل يضمن عدم كشفها في أي مرحلة من المراحل؟
- ألا يرسل منها شيئًا إلا بعد إخطار يصله بالإرسال أو عدمه.

وبعد فترة حوالي أسبوعين جاءه رد بأن هذه الأسلحة مشتراه بأموال إخوانية صرفة، وأنه مضمون عدم كشفها في أي مرحلة، ولم يجب على السؤالين الثاني والثالث فيما عرضه علي علينا، وأنها أرسلت فعلًا قبل إرسال رسالته ولا يمكن استردادها، وبناء عليه تقرر ضرورة تسلمها، وكان في تقدير علي أنها ستصل خلال شهرين أو ثلاثة، والحديث ده كان في الغالب في إبريل سنة ١٩٦٥، وأذكر أنه كان في أواخر ذلك الشهر، وكلف علي بأن يتولى استلام الأسلحة وتخزينها، وكان المفروض أن التنفيذ منوط بالمجموعة دون الرجوع إلي، وأنا مهمتي تقرير المبدأ فقط في هذه المسألة

وغيرها، وأي عملية تنفيذية خاصة بالتنظيم، ولم يحصل بعد كده معي حديث بخصوص هذه الأسلحة، ومعرفش إيه اللي تم فيها إلى أن اعتقلت.

نترك أقوال سيد أمام النيابة، لنستوضح بعض التفاصيل التي أضافها في شهادته المكتوبة؛ يقول الأستاذ سيد قطب في شهادته «لماذا أعدموني؟»:

«كنا قد اتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم أو إقامة النظام الإسلامي، وفي الوقت نفسه قررنا استخدامها في حالة الاعتداء على هذا التنظيم الذي سيسير على منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق وإنشاء قاعدة للإسلام في المجتمع، وكان معنى ذلك البحث في موضوع تدريب المجموعات التي تقوم برد الاعتداء وحماية التنظيم منه، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض، وموضوع المال اللازم كذلك.

فأما التدريب؛ فقد عرفت أنه موجود فعلًا من قبل أن يلتقوا بي، ولكن لم يكن ملحوظًا فيه أن لا يتدرب إلا الأخ الذي فهم عقيدته ونضج وعيه، فطلبت منهم مراعاة هذه القاعدة، وبهذه المناسبة سألتهم عن العدد الذي تتوافر فيه هذه الشروط عندهم، وبعد مراجعة بينهم ذكروا لي أنهم حوالي السبعين، وتقرر الإسراع في تدريبهم نظرًا لما كانوا يرونه من أن الملل يتسرب إلى نفوس الشباب إذا ظل كل زادهم هو الكلام من غير تدريب وإعداد... ثم تجدد سبب آخر فيما بعد عندما بدأت الإشاعات ثم الاعتقالات بالفعل لبعض الأخوان.

وأما السلاح فكان موضوعه له جانبان:

الأول: أنهم أخبروني - ومجدي هو الذي كان يتولى الشرح في هذا الموضوع - أنه نظرًا لصعوبة الحصول على ما يلزم منه حتى للتدريب فقد أخذوا في محاولات لصنع بعض المتفجرات محليًا، وأن التجارب نجحت وصنعت بعض القنابل فعلًا، ولكنها في حاجة إلى التحسين، والتجارب مستمرة.

والثاني: أن علي عشماوي زارني على غير ميعاد وأخبرني أنه كان منذ حوالي سنتين -قبل التقائنا- قد طلب من أخ في دولة عربية قطعًا من الأسلحة، حددها له في كشف،

ثم ترك الموضوع من وقتها، والآن جاءه خبر منه أن هذه الأسلحة سترسل، وهي كميات كبيرة -حوالي عربية نقل- وأنها سترسل عن طريق السودان، مع توقع وصولها في خلال شهرين، وكان هذا قبل الاعتقالات بمدة، ولم يكن في الجو ما ينذر بخطر قريب.

ولما كان الخبر مفاجئًا فلم يكن ممكنًا البت في شأنه حتى نبحثه مع الباقين، فاتفقنا على موعد لبحثه معهم، وفي اليوم التالي -على ما أتذكر- وقبل الموعد جاءني الشيخ عبد الفتاح إسماعيل وحدثني في هذا الأمر، وفهمت أنه عرفه طبعًا من علي، وكان يبدو غير موافق عليه ومتخوفًا منه، وقال: (لابد من تأجيل البت في الموضوع حتى يحضر صبري)، وقلت له: (إننا سنجتمع لبحثه).

وفي الموعد الأول -على ما أتذكر- لم يحضر صبري، لذلك لم يتم تقرير شيء في الأمر، وفي موعد آخر كان الخمسة عندي وتقرر تكليف علي بوقف إرسال الأسلحة من هناك حتى يتم الاستعلام من مصدرها عن مصدر النقود التي اشتريت بها، فإن كان من غير الإخوان ترفض، والاستفهام كذلك عن طريق شرائها دفعة واحدة أو مجزأة وطريقة إرسالها، وضمانات أنها مكشوفة أم لا؟ وبعد ذلك يقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يخبر «طرة» بإرسالها.

ومضى أكثر من شهر - على ما أتذكر - حتى وصل للأخ علي رد مضمونه الباقي في ذاكرتي؛ أن هذه الأسلحة بأموال إخوانية من خاصة مالهم، وأنهم دفعوا فيها ما هم في حاجة إليه لحياتهم تلبية للرغبة التي سبق إبداؤها من هنا، وأنها اشتريت وشحنت بوسائل مأمونة.

ولا أتذكر إن كان هذا الرد أو رد تال جاء بعده؛ قد تضمن أن الشحنة أرسلت فعلًا ولا يمكن وقف وصولها، وأنهم يفكرون في طريق ليبيا إلى جانب طريق السودان، أو لأنه قد يكون أيسر من طريق السودان - لا أتذكر النص بالضبط - والأرجح أنه رد واحد».

(عودة لنص كلام سيد أمام النيابة)

وأحب أن أقول: قبل أن أتكلم في موضوع الأسلحة أنه نوقشت في عدة جلسات

الإجابة على سؤالهم المتكرر التالي: ماذا نصنع إذا كنا في أثناء سيرنا السلمي الذي اتفقنا عليه انكشف هذا التنظيم وأخذنا لنعذب كما حدث سنة ١٩٥٤؟

وكان السؤال بيتكرر في جلسات كثيرة من أشخاص عديدين وأكثر من يسأل هو عبد الفتاح وكانت إجابتى أنه في هذه الحالة فقط يرد الاعتداء.

وفى حسي صورة سنة ١٩٥٤ دائمًا لا تفارقني وأنا في الواقع لما طرح علي هذا السؤال في بادىء الأمر كانت إجاباتي عنه غير حاسمة وكنت أزحلق الإجابة بمعنى أني أقول مثلًا: نبقى ندرس المسألة دي أو نرجئها لوقتها أو أن المسألة دي تحتاج لبحث، وإجابات من هذا النوع، وكان مفهومي من اتجاهاتهم أنهم أميل إلى رد الاعتداء وعدم الوقوع مرة أخرى في صورة سنة ١٩٥٤، وكانوا بيقولوا في الأول أنهم بيبدأوا بتدريبات رياضية قبل التدريب على السلاح.

فلما فكرت في الموضوع انتهيت لرأى قلته لهم وهو أنه في حالة وقوع التنظيم فقط يرد الاعتداء، ودي كانت الإجابة كمبدأ، أما السبيل لرد الاعتداء فنوقش بعد ذلك في أواخر أبريل أو أوائل مايو سنة ١٩٦٥ وكان قبل سفري لرأس البر لأني سافرت في ٥ يونيو سنة ١٩٦٥.

أكد سيد في شهادته: «لماذا أعدموني؟» أن هذا المنهج كان متفقًا عليه داخل السجن مع هواش وليس أنه وليد رد اندفاعي أملته طبيعة الموقف فقال:

«وفي الوقت نفسه، ومع المضي في برنامج تربوي كهذا، لابد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج وتدميرها، ووقف نشاطها وتعذيب أفرادها، وتشريد بيوتهم وأطفالهم تحت تأثير مخططات ودسائس معادية؛ كالذي حدث للإخوان سنة ١٩٤٨، ثم سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٥٧، وكالذي نسمع ونقرأ عنه مما يحدث للجماعات الأخرى؛ كالجماعة الإسلامية في باكستان، وهو يسير على نفس الخطة وينشأ عن نفس المخططات والدسائس العالمية.

وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدربة تدريبًا فدائيًا بعد تمام تربيتها الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق... هذه المجموعات لا تبدأ هي اعتداء، ولا



محاولة لقلب نظام الحكم، ولا مشاركة في الأحداث السياسية المحلية، وطالما الحركة آمنة ومستقرة في طريق التعليم والتفهيم والتربية والتقويم، وطالما الدعوة ممكنة بغير مصادرة لها بالقوة، وبغير تدمير لها بالقوة، وبغير تعذيب وتشريد وتذبيح وتقتيل، فإن هذه المجموعات لا تتدخل في الأحداث الجارية، ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القوة المتعدية بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها».

(عودة لنص كلام سيد أمام النيابة) واللي حصل أنه كان هناك إحساس عام بيننا بقرب اعتقالات للإخوان منشأه عدة ظواهر:

الظاهرة الأولى: كثرة المناقشات حول كتاب «معالم على الطريق» بين مجموعات الإخوان الخارجة من سجن القناطر ووصولها إلى حد الجدل العنيف بين الموافقين والمعارضين لاتجاه الآراء الواردة في الكتاب، وهذا الخلاف نشأ داخل سجن القناطر واستمر واحتد بعد خروجهم، ومفهوم كثرة الجدل حول هذا الأمر بين صفوف الإخوان أنه يكشف للحكومة التنظيمات المختلفة داخل جماعة الإخوان.

والظاهرة الثانية: ما كان يبلغنا من أن الشيوعيين يدبرون مؤامرات يريدون نسبتها للإخوان المسلمين، ولما كانوا بيجتمعوا كان كل واحد بيقول الإشاعات اللي وصلته، وكان من ضمن هذه الإشاعات أن الشيوعيين ينوون تدبير مؤامرات عليها طابع الإخوان المسلمين، كما ذكر بالفعل أنه وجدت منشورات في نقابة الصحفيين عليها اتجاه الإخوان للإساءة إليهم، كما أذكر أيضًا أنه وضعت قنبلة في طريق زائر كبير أجنبي لا أذكر إذا كان شواين لاي أو لا وأحمد عبد المجيد فيما أذكر قد يكون هو اللي نقل الخبر وأشيع وقتها أن الإخوان هم اللي وضعوا هذه القنبلة، وإن طريق الموكب الرسمي تغير وكشفت القنبلة، وهذا الخبر نقل كإشاعة.

والظاهرة الثالثة: أن الحاج عبد الرازق هويدي تكلم معي في أنه يسمع أنه يوجد شباب متهورون في جماعة الإخوان وأنهم يتحركون حركات هوجاء، وأن السلطات على علم بتحركاتهم، وهذا الرجل موظف في شركة عثمان أحمد عثمان وكان عضوًا في

الهيئة التأسيسية فيما أظن، وقال لى هذا الكلام على أساس إنه واحد من الإخوان العقلاء، فأنا قلت له: والشبان المتهورون دول لو وضعوا تحت قيادة حكيمة يمكن ضبط تصرفاتهم بدلًا من تركهم يتصرفون بحماقة، وأنا لم أكشف له علاقتي بهؤلاء الشبان؛ لأنه هو كان من الإخوان اللي بيروا أن مفيش داعي لأي تحركات للإخوان، والحديث ده كان حديث عابر بيني وبينه ولا أعتقد أنه فهم أن لي علاقة بالتنظيم، وهو كرر هذا الحديث مرتين أو ثلاثة وقاله لي في رأس البر في السنة الماضية قبل اتصالي بهذه المجموعة ثم ردده في مقابلتين بعد اتصالي بهم.

وكان الكلام بيدور في المرات الثلاث في الحدود اللي قررتها، وكذلك خوفني الأستاذ منير الدلة والأستاذ فريد عبد الخالق بألفاظ تكاد تقارب ألفاظ الحاج عبد الرزاق هويدي عن وجود بعض شبان متهورين راكبين راسهم بيتحركوا تحركات خطرة وأنه يخشى أن تسبب هذه التحركات كارثة عامة للإخوان، وكان الكلام ده في حوالي نصف مايو سنة ١٩٦٥، فقلت له: إن الشبان يركبون رءوسهم إذا لم يجدوا قيادة تضبطهم، فلماذا لا تجعل لهم قيادة حتى تأمن تصرفاتهم الفردية، وتقدم لهم النصيحة حتى لا يركبوا رءوسهم؟ فقال: مفيش فايدة، نصحناهم كثير ومش عاوزين يسمعوا النصيحة.

وأنا كنت عارف منهم سبق اتصالهم بفريد عبد الخالق وانفصالهم عنه وتشنيعه عليهم، وعشان كده لم نستطرد في الحديث أكثر من هذا، وما قلتش له أني عارف هؤلاء الشبان أو متصل بهم لأني ما أحبش أن هذه الصلة تنكشف حتى ولو لأعضاء جماعة الإخوان القدامى، وأنا عارف أن الأستاذ فريد من الفريق الذي آثر عدم الحركة، وكان من رأيه أن خير أحوال التنظيم ألا يكون هناك تنظيم للجماعة، وأن الجماعة موجودة بطبيعتها من غير تنظيم ومفيش داعي لحركات تنظيمية.

منير الدلة لم يتكلم في هذه المرة إنما زارني بعد ذلك بحوالي أسبوعين أو ثلاثة وعلى وجه التحديد في أواخر مايو، وكان هو ومراته بيزورونا زيارة عائلية لأول مرة. وانفرد بى وكرر لي تقريبًا ما قاله فريد عبد الخالق وأضاف إليه أن تحركات هؤلاء الشبان

مكشوفة وأنهم في مكتب المشير يفكرون في ضربهم – وأنا شخصيًا أعتقد أن منير الدلة يزن كلماته ويعنيها ولم أسأله عن مصدر هذا العلم حتى لا أحرجه فأنا رديت ما مضمونه أن الشباب المتحمسين في الجماعة قد يكون اندفاعهم ناشئًا من شعورهم أنه لا أحد يتحرك في الجماعة غيرهم، ولو أحسوا أن الكبار معنيين بالمسألة مثلهم فربما تهدأ أعصابهم ويسلمون قيادتهم للعقلاء وتضبط بذلك تصرفاتهم، ولم أحس أنه فهم أني على علاقة بهذا التنظيم، وانتهى الحديث عند هذا الحد، وأنا نقلت للمجموعة هذه الأحاديث التي دارت بيني وبين فريد عبد الخالق ومنير الدلة.

وكل هذه الظواهر كانت توحي في تقديرنا عند بحث الأمر مع بعض بقرب اعتقالات الإخوان المسلمين، وعند بحث هذه الظاهرة في أحد الاجتماعات في أواخر أبريل أو أوائل مايو سنة ١٩٦٥ برز سؤال: كيف يرد الاعتداء؟ لأن زي ما قلت: كنا أخذنا مبدأ في أنه عند الاعتداء يجب الرد، واقترحت بحث الوسائل الكفيلة برد الاعتداء إذا وقع.

وفي الجلسة التالية جاء أحمد عبد المجيد يكشف اقتراحات عن اغتيال أشخاص وتدمير منشآت، وبدأ يقرأ الأشخاص المقترح اغتيالهم فقال: رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ورئيس المخابرات –ومش فاكر العامة أو العسكرية– ورئيس المباحث العامة ومدير مكتب المشير شمس بدران،ولما وصل إلى هذا القدر من الكشف وكان لستة أسامى كاتبها أشرت بأن دول كفاية وده يعتبر نجاح عظيم، ثم بدأ أحمد عبد المجيد في قائمة المنشآت فقال: محطتى كهرباء القاهرة وكباري القاهرة، وأذكر تعليق من واحد من المجموعة مش فاكره وجايز يكون على عشماوي قال: أن ده يعمل تعطيل لحركة تعقب الإخوان ويحدث ارتباك في الإذاعة وفي تنقلات القوات التي تريد القبض على الإخوان، فأضفت أنا: قناطر محمد علي إذا كان المقصود هو إحداث الارتباك ثم سألت: هذه اقتراحات، فماذا عندكم من وسائل التنفيذ؟.

فبدأ بعضهم ينظر إلى البعض الآخر وكان الخمسة موجودين من أول الجلسة ولم يتخلف أحد واتكلموا جميعًا في الإمكانيات بما فهمت منه أنه في الوقت الحالي ليس

لديهم إمكانيات للتنفيذ وخصوصًا أنهم يعلمون أن الحراسة مشددة على شخص الرئيس، وأذكر أن اللي قال هذا الكلام هو أحمد عبد المجيد بحيث يتعذر التنفيذ، وكذلك عن عمليات التدمير فليس لديهم المتفجرات اللازمة.

وتكرر ما كان في جلسة سابقة من أنهم بصدد إجراء تجارب لم تتم لعمل متفجرات محلية من صنع أيديهم، وقالوا إن مجموعة عندهم هي التي بتجري هذه التجارب واللي تكلم عن كدة مجدي وأنا أعرف أنه في كلية العلوم.

وسألتهم عن رجال الصف الأول عندهم وكان عبد الفتاح إسماعيل في مرات سابقة يسألني: وماذا بعد تفهيم الإخوان معاني الإسلام، هل نظل نكرر لهم الكلام فهم يملون، ولابد أن نعطيهم تدريبًا عسكريًا، وكنت أجيب بأن التدريب ينبغي ألا يكون قبل استكمال تربيتهم ليتدربوا، فتكلموا مع بعض وحصروا العدد في ٧٠ شخصًا، فاستنتجت من هذا أن التنظيم يكون إذن بين ٢٠٠ أو ٣٠٠ فرد، ولم يكن قد سبق أن عرفت أي عدد لأفراد التنظيم وراء هؤلاء الخمسة، واتفقنا على أن هؤلاء السبعين هم الذين سيبدأ تدريبهم للقيام بهذه العمليات، وانتهت الجلسة عند هذا الحد، وكان الكلام ده في مايو سنة ١٩٦٥ وظلت هذه آخر معلوماتي عن التسليح والتدريب إلى يوم اعتقالي.

وقد قام سيد بشرح خطة رد الاعتداء على الحركة الإسلامية في شهادته «لماذا أعدموني؟» فقال:

«كنا قد اتفقنا على مبدأ عدم استخدام القوة لقلب نظام الحكم، وفرض النظام الإسلامي من أعلى، واتفقنا في الوقت ذاته على مبدأ رد الاعتداء على الحركة الإسلامية التي هي منهجها إذا وقع الاعتداء عليها بالقوة، وكان أمامنا المبدأ الذي يقرره الله سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وكان الاعتداء قد وقع علينا بالفعل في سنة ١٩٥٤ وفي سنة ١٩٥٧ بالاعتقال والتعذيب وإهدار كل كرامة آدمية في أثناء التعذيب، ثم بالقتل وتخريب البيوت وتشريد الأطفال والنساء.

ولكننا كنا قررنا أن هذا الماضي قد انتهى أمره فلا نفكر في رد الاعتداء الذي وقع علينا فيه، إنما المسألة هي مسألة الاعتداء علينا الآن، وهذا هو الذي تقرر الرد عليه إذا وقع، وفي الوقت نفسه لم نكن نملك أن نرد بالمثل؛ لأن الإسلام ذاته لا يبيح لمسلم أن يعذب أحدًا، ولا أن يهدر كرامته الآدمية، ولا أن يترك أطفاله ونساءه بالجوع، وحتى الذين تقام عليهم الحدود في الإسلام ويموتون؛ تتكفل الدولة بنسائهم وأطفالهم، فلم يكن في أيدينا من وسائل رد الاعتداء التي يبيحها لنا ديننا إلا القتال والقتل.

أولاً: لرد الاعتداء، حتى لا يصبح الاعتداء على الحركة الإسلامية وأهلها سهلًا يزاوله المعتدون في كل وقت.

وثانياً: لمحاولة إنقاذ وإفلات أكبر عدد ممكن من الشباب المسلم النظيف المتماسك الأخلاق في جيل كله إباحية وكله انحلال وكله انحراف في التعامل والسلوك، كما هو دائر على ألسنة الناس وشائع لا يحتاج إلى كلام.

لهذه الأسباب مجتمعة؛ فكرنا في خطة ووسيلة ترد الاعتداء، والذي قلته لهم؛ ليفكروا في الخطة والوسيلة، باعتبار أنهم هم الذين سيقومون بها بما في أيديهم من إمكانيات لا أملك أنا معرفتها بالضبط ولا تحديدها الذي قلته لهم: (إننا إذا قمنا برد الاعتداء عند وقوعه فيجب أن يكون ذلك في ضربة رادعة توقف الاعتداء وتكفل سلامة أكبر عدد من الشباب المسلم).

ووفقًا لهذا جاءوا في اللقاء التالي ومع أحمد عبد المجيد قائمة باقتراحات تتناول الأعمال التي تكفي لشل الجهاز الحكومي عن متابعة الإخوان في حالة ما إذا وقع الاعتداء عليهم كما وقع في المرات السابقة لأي سبب؛ إما بتدبير حادث كـ «حادث المنشية» الذي كنا نعلم أن الإخوان لم يدبروه، أو مذبحة «طرة» التي كنا على يقين أنها دبرت للإخوان تدبيرًا، أو لأية أسباب أخرى تجهلها الدولة، أو تدس عليها وتجيء نتيجة مؤامرة أجنبية أو محلية.

وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم، بإزالة رؤوس في مقدمتها؛ رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، ومدير مكتب المشير، ومدير المخابرات،

ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها - كمحطة الكهرباء والكباري - وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما سيجيء.

وقلت له: (إن هذا إذا أمكن يكون كافيًا كضربة رادعة، ترد على الاعتداء على الحركة - وهو الاعتداء الذي يتمثل في الاعتقال والتعذيب والقتل والتشريد كما حدث من قبل - ولكن ما هي الإمكانيات العملية عندكم للتنفيذ؟).

وظهر من كلامهم أنه ليس لديهم الإمكانيات اللازمة، وأن بعض الشخصيات - كرئيس الجمهورية ورئيس الوزارة فيما يذكر وربما غيرهما كذلك - عليهم حراسة قوية لا تجعل التنفيذ ممكنًا، فضلًا على أن ما لديهم من الرجال المدربين والأسلحة اللازمة غير كاف لمثل هذه العمليات».

الجلسة الثانية لتحقيق النيابة مع سيد قطب (يوم الإثنين: ١٩٦٥/١٢/٢٠):

س: ما الذي تم في أمر التنظيم بعد انفضاض الجلسة التي أوردت ذكرها في ختام أقوالك السابقة في شهر مايو سنة ١٩٦٥؟

ج: اللي حصل أن بعد الجلسة دي اللي نوقش فيها التدريب والتسليح والتدمير والاغتيال اجتمعت مع الخمسة بعد أسبوع واحد وكنت أحدثهم عن المخططات الصهيونية وهي تقوم على أساس تدمير العقائد والأخلاق والقيم الاجتماعية ثم الاقتصاد والنواحي العسكرية أخيرًا، وهنا قال علي عشماوي: إذا كانت هذه مخططات الصهيونية فقد نكون نحن بتدمير المنشآت منفذين لبعض هذه المخططات من غير أن نشعر أو نقصد، وكنت أنا قد قلت لهم إنه كثيرًا ما يحدث أن وطنيين ينفذون المخططات الصهيونية دون أن يعلموا أنهم ينفذونها.

فلما أبدى علي عشماوي هذه الملاحظة قلت له: في محلها، وأنه يجب ألا يقع تدمير إلا في أضيق الحدود اللازمة لعملية التعويق والارتباك اللي دار عليها الكلام؛ لأن التصور كان أن هذه التدميرات ستعوق السلطات عن إمكانية القبض عليهم فترة

تمكنهم من التصرف في أنفسهم، وأنا كنت سايب مسائل التنفيذ زي ما قلت باعتبار أنها مسألتهم وهم يدبروها.

ودي كانت آخر جلسة معاهم في أواخر مايو سنة ١٩٦٥ وسافرت أنا رأس البر مع عائلتي في ٥ يونيو، وفي رأس البر فتش البيت بحثًا عن محمد زي ما قالوا لي وذلك قبل اعتقال محمد بيومين، ولما جيت القاهرة أرسلت رسالة للصاغ أحمد راسخ بالمباحث العامة وسلمت باليد لاستعلامات المباحث، والرسالة كانت احتجاج على اعتقال محمد دون أن نعرف أين مقره وعلى طريقة تفتيش العشة في رأس البر ومعاملتي معاملة قاسية وأنا مريض ولم يحصل ضرب، إنما اللي حصل أن ضابط المباحث خبط على الشباك بعد نص الليل فلما فتحت له مسك إيدى ونط من الشباك ودخل وفتش، وبالنظر لمرضي فأنا اعتبرت أن هذا الإجراء غير طبيعي، وكان احتجاجي على هذين التصرفين، وقلت في الرسالة له أن برتراند رسل لما اعتقلته حكومته لمهاجمته لها كان معروف هو فين، وده مفكر ومحمد قطب مفكر، وقارنته بالإعلان عن القبض على مصطفى أمين، وقلت إنه كان المنتظر أننا نحن عائلة محمد قطب نعرف مكان وجوده، وبعد حوالي ٥ أيام من تقديم هذه الرسالة وفي يوم ٩ أغسطس اعتقلت.

وحصل بعد سفرى لرأس البر أن حضر لي عبد الفتاح إسماعيل وعلي عشماوي في يوليو سنة ١٩٦٥، وكان علي عشماوي متزوج جديد وجه قضى يومين أو ثلاثة في رأس البر، وتقابل عندي مع عبد الفتاح إسماعيل لأنه كان عازمه هو ومراته في بلدهم كفر البطيخ، وفي هذه المقابلة لم يزيداني أي معلومات لا عن الأسلحة ولا عن التدريب عما تركتهم عليه آخر مرة وأنا لم أسألهم، ولا أذكر في المقابلة دي أن حصل نقاش في مسائل التنظيم، وبقيت معلوماتي عن استعداداتهم على آخر ما كنا عليه على ما ذكرت.

وبعد تفتيش بيتي في رأس البر بيومين تقريبًا جاني عبد الفتاح إسماعيل ورن الجرس وخرجت له، قلت له: إن لا داعي لوجوده الآن عندي لأن البيت فتش وربما يعاد تفتيشه، ولم يدر بيننا أي كلام في هذه المقابلة – وأنا لما جيت مصر لم أقابل أحدًا

منهم لغاية ما رجعت رأس البر يوم ٦ أغسطس واعتقلت هناك يوم ٩ أغسطس، ولكني أرسلت لهم أختي حميدة قطب يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٦٥ لتبلغ زينب الغزالي الرسالة المجملة الآتية:

تقولي للأولاد أنهم يلغوا كل العمليات بما فيها عملية السودان، وكنت أقصد أن تكون ملفوفة حتى لا تعرف حميدة وهي لا تعرف شيئًا عن التنظيم، وزينب الغزالي تعرف تجمع عبد الفتاح إسماعيل وتعرف مجموعته وتعرف اتصالهم بي، وأنا أعرف كده من مناقشتهم مع بعض وكراهية بعضهم لاطلاعها على وجودهم وعملهم، وعبد الفتاح إسماعيل كان مطمئن لها ومدافع عن اتصالها بهم بيقول أنها سيدة مسلمة مؤمنة، وينفى ما كان يقوله فريد عبد الخالق من أنها متصلة بجهات أجنبية وكان يقصد السعودية لأنه قال عليها كده وقال على «عبد العزيز علي» أنه متصل بالأمريكان.

فأنا لما جيت أتصل بهذه المجموعة بعثت أختي لزينب عشان تبلغهم لأني مكنتش عاوز أتصل بهم مباشرة ضمانًا للسرية، وأنا في الواقع كنت فكرت بينى وبين نفسي في عدم جدوى أية عمليات مضادة للاعتداء وكنت بأعتقد دائمًا أن اعتقالنا معناه الموت وأنه لا يراعى فيه أي قانون ولا يجرى بصفة نظامية، ولذلك كنا نسميه اعتداء لمخالفة ما يجرى فيه لأي قانون معروف.

وكان سبب إرسال هذه الرسالة عدة دوافع:

أولها: شعوري بما جرى من اقتراحات في وقتها كان شعورًا بعدم جدية الاقتراحات من ناحية التنفيذ وعدم وجود الامكانيات كذلك، فلما صرنا أمام الخطر مواجهة بدأت أتحرج من أن هذه الاقتراحات قد تأخذ طريقها للتنفيذ فعلًا ولو باحتمال ضعيف من ناحية ما يكونون قد وصلوا إليه في خلال هذه الفترة من استعداد حقيقي، وإن كانت في نظري فترة قصيرة لا تكفي لأي استعداد، وبدأ شعوري بهذا أمام فكرة استخدام العنف، وأرجع إلى طبيعتي العادية كرجل فكر يصارح بالفكرة لا بالسلاح، ودي حقيقة دوافعي النفسية التي دعت لإرسالي هذه الرسالة وأطلب فيها إيقاف جميع العمليات.



والدافع الثاني: أنه أمام إمكانية التنفيذ العملي ولو باحتمال ضعيف أخذ يتكشف لي عدم جدوى مثل هذه الإجراءات من الناحية العملية، وبدأت أعود إلى منهجي المستقر في نفسي من أن الحياة الإسلامية لا تقوم إلا على تربية طويلة المدى بطيئة وعلى نطاق قاعدة شعبية واسعة، وأن أي عمل في القمة لا قيمة له.

وراحت حميدة بلغت الرسالة وعادت بسؤال من زينب الغزالي على لسان على عشماوي وأنا معرفش كيف اتصلت زينب، قالت لها: إن علي عشماوي بيسأل: هل هذه تعليمات نهائية حتى في حالة إذا وقعنا؟ ونطلب ردًا قبل عودتي لرأس البر لأنه كان معروفًا أني راجع تاني يوم، وعندئذ اهتز شعوري مرة أخرى أمام صور التعذيب والتقتيل الذي لاقاه الإخوان سنة١٩٥٤ والمحتمل في نظري دائمًا عند كل اعتقال، فقلت لحميدة تقول لزينب تقولّه: في هذه الحالة فقط على أن يكون في الإمكان توجيه ضربة شاملة، فإذا لم يكن هذا ممكنًا فلنلغي جميع التعليمات، وكان إحساسي وأنا بأقول هذا الكلام إنه ليس في إمكانهم توجيه ضربة شاملة فيكون هذا كأنه إلغاء، ولكن بصورة تتفق مع مشاعرهم واندفاعاتهم.

وأحب أقول أن نفسيتي في هذه الفترة كانت تتأرجح بين عوامل مختلفة تتنازعني بين طبيعتي في عدم استعمال العنف وبين تأثيرات ورواسب وصور من حوادث سنة ١٩٥٤ وبين شدة حساسية المجموعة من صورة سنة ١٩٥٤، وأنا أرسلت هذه الرسالة مع حميدة في يوم سفري وسافرت وهي قعدت في حلوان وفضلت أنا في رأس البر إلى أن اعتقلت وماشفتش حميدة بعد كده.

وبدأ صلاح نصر مناقشته سيد قطب على النحو التالي:

س: ألم تتصل بهذا التنظيم قبل خروجك من السجن؟

ج: لم يقع اتصال مباشر والاتصال الذي وقع لم يشعرني في وقتها أن هناك تنظيمًا لأن صورته كانت كما يأتي: أنه بلغني أن زينب الغزالي تقول إن فيه شباب متفتح يقرأ لك ويتأثر بما تكتب، فهل تأذن بأن يقرأ رسائلك التي تتحدث فيها عن الإسلام

وآرائك في بعض المسائل الإسلامية؟ فأذنت، والصورة التي في حسي أنهم أفراد عاديين يحبوا يقرأوا لي، حميدة قطب هي اللي قالت لي هذه الرسالة، وكنت عرفت عن زينب اهتمامها هي شخصيًا بأن تقرأ الإسلام على أصوله وعلى ذلك ما كانت تفهمه في جماعة السيدات المسلمات.

س: هل كنت تحرر رسائلك داخل السجن؟

ج: أيوه، حررت بعض الرسائل التي فيها شرح لبعض وجهات النظر الإسلامية، والفكرة الأساسية فيها كانت أصول العقيدة بما فيها أن الحاكمية من الاعتقاد وليس فقط من التنظيم، والرسائل كانت مختصرة إنما تقوم على ذات الأسس التي تكلم عنها كتاب «معالم على الطريق» وأقدر أقول أن ذات الأفكار اللي في الرسائل وسعت وصارت أفكار كتاب «معالم على الطريق».

س: ألم تتقابل مع زينب الغزالي قبل خروجك من السجن؟

ج: لا، وكانت الصلة عن طريق حميدة.

س: وكيف اتصلت حميدة قطب بزينب الغزالي؟ وما هي الصلة بينهما؟

ج: لا أعرف بالضبط إذا كانت عرفتها عن طريق بيت الهضيبي أو بيت الحاج حسين صدقي.

س: هل اطلع حسن الهضيبي على رسائلك قبل خروجك من السجن؟

ج: أظنه اطلع عليها عن طريق بيته.

س: هل استؤذنت في عرض رسائلك على حسن الهضيبي وأهل بيته؟

ج: استؤذنت في عرضها على بناته وكان مفهوم لي ضمنًا أنه سيطلع عليها.

س: هل تقابلت مع حسن الهضيبي بعد خروجك من السجن؟

ج: أيوه، قابلته ثلاث مرات:

الأولى: كانت حوالي أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر سنة ١٩٦٤.

والثانية: كانت حوالي أبريل سنة ١٩٦٥.



وكانت الثالثة برضه في أبريل سنة ١٩٦٥.

وتمت هذه المقابلات في بيتي في القاهرة ولم يحضر هذه المقابلات الثلاث أحد غيري أنا وهو.

س: ألم تذكر أمر اتصالك بهذا التنظيم لأحد؟

ج: ذكرت ذلك فقط لمحمد يوسف هواش، وعلى وجه الإجمال بدون تفصيل طبيعة تكوين ذلك الاتصال، وربما يكون في أوائل سنة ١٩٦٥، ولا أذكر التاريخ بالضبط، وقلت له ما معناه أننا كنا حريصين على أننا نجد شبابًا متنور فكريًا من ناحية الفكر الإسلامي الذي نفكر فيه أو فيه قابلية لهذا، وأني بعد خروجي وجدت مجموعة من هذا الشباب وأن مندوبين عن هذه المجموعة أو الممثلين لهذه المجموعة وهم خمسة يتصلون بي لتوصيل أفكاري لمن وراءهم، وكانت مجمل الصورة في أوائل الأمر.

وفي مرة أخرى قلت له إنه في وقت ما سأوصل هذه المجموعة بك، وهو في وقتها قال: أنا مش أستاذ عشان يتلقوا عني، فقلت له: أنت عندك من الأفكار ما يمكن أن يفيدهم، وكنت أمهد بهذا إلى أنه في وقت مناسب يتولى الإشراف على قيادتهم، ولما عرفت مسألة السلاح أخبرته عنها بصورة أن أحد الشبان الخمسة ذكر لي أن هناك صفقة أسلحة ستأتي من السعودية عن طريق السودان، وكان من رأيه وقتها إن لا لزوم لهذه الخطوة إطلاقا لأن ما كنا اتفقنا عليه أنا وهو داخل السجن يخالف هذا الاتجاه ويقوم على أساس مجرد تربية جيل من الشباب المؤمن تربية إسلامية، ولكني قلت له إن هذه الصفقة سابقة لاتصالي بهم، وأنه لا يمكن ردها، وأنها لن تستخدم إلا لمجرد التدريب.

حديثى معهم عن الحركات الإسلامية ومنها حركة الإخوان المسلمين أن استشهاد الشيخ البنا فجأة وغيبته عن الجماعة دون أن يكون وراءه صف ثان يعرف منهجه الطويل الذي أوجد ارتباكًا واضطرابًا في الجماعة، فسألوني عمن يخلفني في توجيههم، فقلت لهم أن مهمتي تكوينكم لتكونوا قيادة، فقالوا: وقبل أن تتكون إذا حدث أنك غبت لأي سبب فمن يتولانا؟ فقلت: لا أرى من يصلح لهذه المهمة إلا محمد يوسف هواش، ومن هنا أخذت أمهد عند هواش لايجاد الصلة في المستقبل.

س: ألم يحصل اتصال بين محمد يوسف هواش وبينهم؟

جـ: أنا لا أعرف إذا حصل اتصال أو لا، ولكن لما أحسست بقرب اعتقالي بعد اعتقال محمد أخي، قلت لرفعت بكر شافع: إذا اعتقلت يوصل الأخ علي عشماوي بالأخ يوسف هواش،واعتقلت وأنا لا أعرف ما تم بعد ذلك لأنه كان التوصيل مرهونًا باعتقالي.

س: وما الذي قصدته من ذلك؟

جـ: أن يكون لهذه المجموعة من الشباب موجه فكري؛ لشعوري أنهم لا يزالون في دور التكوين، ولثقتي بحسن تصرف هواش وضبطه لتحركاتهم.

س: ألم يكن يقصد من ذلك هو أن يقودهم محمد يوسف هواش في عمليات الاغتيال والتخريب التي تقرر القيام بها؟

جـ: الحقيقة لا من ناحية مهمة هواش في نظري، وخصوصًا لسابق اعتراضه على صفقة الأسلحة وعلى أي تغيير في المنهج الذي كنا قد اتفقنا عليه داخل السجن، ولأنه كان يعلم مني نوع التحول الذي تم في تفكيرهم بعد لقائهم بي، وأن اتجاههم الآن اتجاه تربوي طويل المدى.

س: ولكن سبق وقررت أنه كان اتفاق فيما بينك وبينهم على أن يقوموا بارتكاب حوادث الاغتيال والتخريب على أوسع نطاق إذا ما توافرت إمكانياتهم، فما الذي كنت تتصور أن يقوم به يوسف هواش إزاء ما أمرت به وما اتفقتم عليه طالما أن إمكانياتهم تؤهلهم للتنفيذ؟

جـ: أحب أن أكرر أني كنت أشعر أن ليس لديهم إمكانيات التنفيذ في الصورة التي جعلتها شرطًا للقيام بأي عمل ومع وجود احتمال ضعيف.

س: وما هي الإمكانيات التي كنت تتصورها للقيام بهذه الأعمال التي ذكرتها؟

جـ: كنت أتصور أنها لابد أن تكون إمكانيات ضخمة من ناحية العدد المدرب تدريبًا عاليًا يحتاج لزمن طويل أطول بكثير من الزمن الذي انقضى فعلًا، وإلى كميات



من الأسلحة والذخيرة كبيرة كذلك، وأنا الحقيقة معرفش في العمليات دي عشان أقدر بالضبط أكثر من الشعور بضخامتها وخصوصًا من تقريراتهم في الجلسة التي نوقشت فيها الإمكانيات وأحسست منها أن المسألة ليست هينة، وكذلك من أقوالهم أنهم لا يجدون في مصر ما يستطعون الحصول عليه من هذه المواد، ولما ذكرت أسلحة السودان ليه لازم تيجى؟، فقالوا أنهم مش لاقيين سلاح كافي للتدريب، وده يديني صورة عن ضخامة المسألة.

س: ولم لم تناقشهم في هذا الرأي -إذا ما صح قولك- دون مواربة وبصراحة حتى تتبين مدى الإمكانيات اللازمة لتنفيذ العمليات التي قررتم القيام بها والإمكانيات التي يمكن الحصول عليها.

جـ: كانت طبيعة موقفي منهم وصلتي بهم أنها توجيه فكري وتكوين لأشخاصهم ولثقافتهم، وأن أي مسائل تنفيذية هي من اختصاصهم، هم أقدر مني فيها على التقدير ووسائل التنفيذ.

س: ألم يكن جديرًا بك إذا ما صدق قولك أن تتنحى عن التوجيه في استعمال العنف قبل أن تعرف الإمكانيات أو أن تعرف الإمكانيات قبل أن تدلي برأيك في الأمر دون تعليق الأمر على الشرط الذي تقرره؟

جـ: قد يكون هذا هو الأجدر، ولكنه لم يقع مني وأحس الآن أنه كان خطأ.

س: ألم تستأذن الأستاذ حسن الهضيبي الرأي بالنسبة لقيادتك هذه المجموعة قبل اجتماعك بهم بصفة مستمرة؟

جـ: لا لم يقع استئذان، واللي حصل في المقابلة الأخيرة بيننا سنة ١٩٦٥ أن أشرت فقط إشارة مجملة إلى وجود شباب يتقبل أفكار «معالم على الطريق» وكان هذا بمناسبة حديث عن الكتاب وسماعه؛ هو أن بعض الإخوان يتخوفون من نشر هذا الكتاب، وكان تعليقه أن هذا الكتاب مطبوع ومنشور، وأن الذي يقرؤه يجب أن يأتي إليك ليستزيد أو يفهم ما غمض عليه فطبعًا تفهمه، واللي ما يجيبش ما يجيش... وفهمت أنا من هذا الكلام ألا مانع عنده من أن أتصل بمن يريد مني التزود والفهم.

س: هل فهم من حديثك معه أن هناك تنظيمًا يؤمن بمبادئك التي ناديت بها في كتاب «معالم على الطريق» وأنك تجتمع بهم، وعلى صلة مستمرة معهم وترأسهم؟

ج: لا أظن أنه فهم المسألة على هذا الوجه، ولكن أعتقد أنه فهم أنهم أفراد من الإخوان وغيرهم يأتون إلي للتزود بأفكاري، إنما ما افتكرش أنه فهم أنها مجموعة منظمة ذات أهداف محددة.

س: ولم لم تصارحه بأمر هذه المجموعات التي رأستها طالما تقرر أنك ترى أن جماعة الإخوان المسلمين قائمة في الواقع رغم قانون حل الأحزاب السياسية والقرار الصادر بحلها في هذا الشأن وأنه مرشدها؟

ج: أنا تقديري لوضع الجماعة الآن أنها في حالة وجود، وأنها كذلك ممزقة من الناحية التنظيمية، وأن كل من يملك إحياء جانب فيها -وخصوصًا من ناحية الثقافة والتربية- له الحق أن يزاوله باجتهاده إلى حين أن يوجد للجماعة وجود فعلي.. وكان أملي دائمًا أن هذا الاتجاه الواضح في فهم الإسلام وفهم البيعة وبرنامج حركتها أنه سيتغلب في النهاية ويصبح هو الفكر السائد في الجماعة وعلى هذا الأمل كنت أتحرك وأشتغل باعتبار أني أبشر بمنهج متكامل لحركة إسلامية.

س: أليس مفروضًا على ما ذهبت إليه أن تبلغ مرشد الجماعة حسن الهضيبي بما تقوم به حتى تتجمع لديه كل الخيوط المحركة للعملية؟

ج: كنت أعرف عن اتجاه الهضيبي أنه لا يريد أن يكون له أي دور إيجابي في الظروف الحاضرة – ولهذا لم أرد أن أحرجه بطلب أمر أو إذن أو توجيه مكتفيًا بقوله إن الذي يريد أن يحضر إليك فطبعًا تفهمه، وأنا اعتبرت أن ده إذن ضمني في حدود ما أعلمه من موقفه.

س: قرر علي عشماوي أنك أبلغتهم عند بدء اجتماعك معهم أنك ستتصل بالمرشد حسن الهضيبي لاستئذانه في قيادة التنظيم، ثم أخبرتهم أنه موافق على أن تقودهم وبدأت بالفعل بعد ذلك بمباشرة نشاطك معهم.

ج: هذه الصورة غير دقيقة، إنما اللي حصل أني قلت لهم بالفعل بعد فترة طويلة من

اتصالي بهم وعندما طلبوا مني قيادتهم لأن هذا الطلب يأتي في بادىء الأمر، وكان هذا الكلام في مارس سنة ١٩٦٥ تقريبًا أو فبراير سنة ١٩٦٥، قلت لهم إني محتاج إلى تصريح أو إذن من المرشد إذا كان وضعي معهم سيأخذ صفة القيادة؛ لأن وضعي قبل ذلك كان مجرد توجيهات غير قيادية هم مش ملتزمين بها، وقد تراخيت في الكلام مع الأستاذ الهضيبي في الموضوع نظرًا لما أعرفه من موقفه، فلما جاءت مناسبة حديث معه على النحو الذي ذكرته اعتبرت هذا أقصى تعبير يقوله للموافقة، وقلت لهم بعد كده أن المرشد وافق، وهم اعتبروني قائدهم بعد ٤ شهور من لقائي بهم، وكانوا بيحسوا بقيادتي لهم من أول لقاء، ولكن أنا كنت ماشي معاهم على أساس أني مجرد موجه لهم في حدود النصح والمشورة حتى أوائل سنة ١٩٦٥ فأخذت صيغة القيادة.

س: وما الذي أبلغوك به عن التنظيم عند بدء اتصالك بهم؟

ج: في أول الأمر لم أفهم إلا أنهم هم الخمسة، وبعد فترة فهمت أن لكل منهم اتصالات بعدد آخر، وبعد فترة أخرى أخبروني بطبيعة تنظيمهم، وأنه قائم على أساس مجموعات في شكل أسر، وأن كل أسرة لها نقيب، وأن الخمسة يعرفوا بعض كقيادة وتحت كل واحد منهم ثلاثة، وتحت كل واحد من الثلاثة من هو يتولى ترتيبها وتكوينها وتوصيل الأوامر إليها، ولم يذكروا لي العدد حتى أبريل سنة ١٩٦٥ لما سألت عن الصف الأول فقالوا لي أنهم ٧٠، وفهمت في تقديري أن المجموع يتراوح بين ٢٠٠ و٣٠٠ فرد.

س: ألم يذكروا لك مالية التنظيم والمبالغ المرصودة له؟

ج: المالية لم يجر ذكرها إلا بمناسبة صفقة الأسلحة والحاجة إلى مال، وأن لدى الشيخ عبد الفتاح مبلغًا لم يحدده أحد لي، وأنه دائمًا يمتنع عن إعطائهم شيئًا منه ويقول أنه أمانة لديه لا يتصرف فيه إلا بإذن، وفي مناسبة الأسلحة قلت له: ما دام عندكم مبالغ ليه هذه الشكوى؟ فقال إنه كان ينتظر إذنًا وهو يعتبر كلامي إذن، وتحت تصرفهم أي مبلغ حتى ١٠٠٠ جنيه، وكان طلب علي عشماوي في حدود (٢٠٠ أو ٣٠٠ ج) لشراء السلاح، وكانت دي مجمل معلوماتي عن مسألة المالية عندهم.

س: ألم تستفسر من عبد الفتاح إسماعيل عن مصدر هذه المبالغ ومقدارها وأماكن إيداعها؟

ج: لا، لأن هذه كانت معتبرة عندى من خصوصياتهم التي لا علاقة لي بها – أي: باعتبارها مسائل تنفيذية للتنظيم-.

س: أليس من المعقول أن تتبين مصدر هذه المبالغ المتجمعة بيدهم وأنت تقودهم حتى تستوثق من الجهات المحركة لهم؟

ج: كان مفهوم عام من مجموع كلام عبد الفتاح إسماعيل أن هذه المبالغ من إخوان السعودية الذين اتصل بهم أثناء وجوده بالحجاز.

س: معنى ذلك أنك فهمت أن تمويل هذا التنظيم كان من الخارج؟

ج: نعم من الخارج، ولكن في إحساسنا اعتبار عام أن أي أخ في أي بلد هو مرتبط بنا على أساس العقيدة والفكرة لا على الأساس الإقليمي، وعندما تذكر «إخوان» لا نسأل عن جنسياتهم من الناحية الإقليمية.

س: وهل الارتباط الذي تُقِرُّ بوجوده بين الإخوان المسلمين بمختلف جنسياتهم يتفق مع الوطنية؟

ج: أنا اعتبرت أن صلة العقيدة أكبر وأثبت من صلة المواطنة الإقليمية، وأن هذه التفرقة بين المسلمين على أساس إقليمي أثر من آثار الاستعمار الصليبي والصهيوني يجب أن يزول.

س: ولكن قررت أن الصلة التي ترفعها عن مستوى الوطنية هي الانتماء لجماعة الإخوان المسلمين دون الإسلام؟

ج: الصفة الظاهرة في الإخوان هي صفة الإسلام في اعتقادي.

س: هل ترى أن هناك فرقًا بين المسلم المنتمي لجماعة الإخوان وغير المنتمي لتلك الجماعة؟

ج: الذي يميز الإخوان أن لهم برنامجًا محددًا في تحقيق الإسلام فيكونون مقدمين في نظري على من ليس لهم برنامج محدد.



س: وهل تعتقد أن كل من هو منتمٍ لجماعة الإخوان إنما يعمل في سبيل الله دون مآرب أخرى؟

جـ: أنا اعتبرت أن العبرة في الجماعة بخطة الجماعة وأهدافها وبرامجها ولو وجد فيها أفراد ليسوا على مستوى الجماعة ولهم أخطاء وانحرافات.

س: فلم التمييز إذن بين أفراد هذه الجماعة وبين المسلمين قاطبة وهم جميعًا أصحاب عقيدة وأهداف وبرنامج؟

جـ: التمييز في رأيي ليس تمييز شخص على شخص، ولكن فقط باعتبار أن الجماعة ذات برنامج، وأن كل فرد فيها مرتبط بهذا البرنامج لتحقيق الإسلام عمليًا، وهذا وجه التمييز في رأيي.

س: وهل ترى التعاون مع أي شخص ينتمي أو كان ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين أثناء وجوده بالبلاد دون أن تعرف حقيقة نواياه؟

جـ: طبعا لا، ولازم من محاولة التحقق من أنه يعمل للإسلام.

س: وهل ترى أن اتصال جماعة الإخوان بالخارج بالمواطنين من داخل البلاد لإثارتهم ضد نظام الحكم ودفع مبالغ لهم ومدهم بالسلاح – أنهم بذلك يهدفون فيما تعتقد إلى نصرة الإسلام؟

جـ: الاحتمالين قائمين في نظري؛ احتمال أنه مخلص لإقامة الإسلام، واحتمال أن يكون له أهداف أو أحقاد شخصية.

س: ألا ترى أن في عدم إثارتهم للأشخاص الموجودين بأماكن وجودهم والالتفات إلى المواطنين دون ما يرجح معه أنهم لا يعملون لنصرة الإسلام؟

جـ: جايز بيروا أن إمكانيات العمل بالنسبة للتجمعات في بلد أقرب للنجاح منها في بلد آخر.

يؤكد سيد قطب في شهادته «لماذا أعدموني؟» على محدودية علمه فيما يخص تمويل التنظيم وعدم اهتمامه بقضية الأموال سواء مصادرها أو مصارفها فيقول:

«وأما مسألة المال؛ فقد جاء ذكرها مرات في اجتماعاتنا أو في أحاديثهم متفرقين معي، وعرفت أن لدى الشيخ عبد الفتاح مبلغًا، ولكنه كان يقول لهم دائمًا؛ أنه هو مؤتمن عليه، وهي وديعة عنده لينفق في أغراض معينة، ولذلك فهو لا يملك أن ينفق منه في إعانات البيوت -مثلًا- ولا يملك التصرف في شيء إلا بإذن... وقد قال لي الشيخ عبد الفتاح مثل هذا الكلام.

ولكن لما عرضت مسألة الإنفاق على الصناعة المحلية للمتفجرات، وعلى الإنفاق لتسلم شحنة الأسلحة التي أُرسلت بعدما تبين أنه لا يمكن وقفها ولا يمكن تركها كذلك، قال (أن أي مبلغ تحت تصرفكم)، واستأذنني في هذا فأذنت له، وفهمت أنه كان يعتبر المبلغ أمانة لا يتصرف فيه إلا بإذن قيادة شرعية، ولكني لم أعلم بالضبط مصدر هذا المبلغ ولا مقداره... كل ما كان واضحًا أنه من إخوان في الخارج وليس من أية جهة أخرى، فهذا ما كنت أحب أن أتأكد منه في علاقاتهم السابقة؛ لأني - كما قلت لهم - لا أجيز للحركة الإسلامية أن تستعين بأجنبي عنها، لا في مال ولا في سلاح ولا في حركة».

الجلسة الثالثة لتحقيق النيابة مع سيد قطب (يوم الثلاثاء: ١٩٦٥/١٢/٢١) [(١)]:

س: ما أهداف التنظيم الذي أقاموه وشكلوا قيادته – فيما قرروا لك؟

جـ: قرروا لي أن أهدافهم كانت فدائية بحتة والانتقام لجماعة الإخوان المسلمين من حوادث ١٩٥٤، وكانوا متفقين على القيام بالاغتيالات واضطرابات وقلب نظام الحكم القائم بالقوة، ولم يفكروا في إيه اللي حايحصل في البلد ولا مين اللي حايتولى الحكم، وقالوا لي لما اجتمعوا بي أنهم عدلوا عن هذا التفكير الضيق وأصبحوا يعرفون أن قلب نظام الحكم القائم لا يقيم النظام الإسلامي، وأن العقبات في وجه قيام النظام الإسلامي أكبر بكثير من حكاية نظام الحكم المحلي، وأنه يحتاج إلى زمن طويل وتمهيد طويل وتربية لجيل أو أجيال كثيرة، وأنه لابد من وضع برنامج آخر، وأنهم مقتنعون

---

(١) غلب على هذه الجلسة الاقتضاب الشديد في الإجابات؛ حيث كانت معظم الأسئلة تقريرية لما سبق أن اعترف به سيد تفصيليًا في الجلسة الأولى والثانية، لذلك رأينا اقتباس بعض المواضع الزائدة فقط.



الآن بهذا الاتجاه، ولكن من وراءهم يحتاجون لتغيير عقلياتهم أيضًا على هذا النحو، وهم لا يملكون تغيير عقلياتهم تدريجيًا إلا إذا أنا ساعدتهم في تكوين أنفسهم، فقبلت أن أخصص لهم دراسات في جلسات، ثم قبلت رئاسة تنظيمهم في أوائل سنة ١٩٦٥، وعادوا وقالوا إنهم هم الخمسة هم رؤساء التنظيم، وأنا موجه للخمسة.

س: أليس مفروضًا فيك عندما تتولى قيادة التنظيم أن تعرف كافة أبعاده وإمكانياته حتى تسيِّر التنظيم على الوضع الذي تراه بصفتك قائده؟

ج: أرى الآن أن هذا كان ما يجب، ولكن الذي حدث فعلًا هو أني ظللت أرى أن كل مهمتي معهم هي توجيه الخمسة توجيهًا فكريًا وإعدادهم شخصيًا لأن يكونوا قيادة واعية وظل هذا المقصود لمهمتى معهم يسيطر على كل تصرفاتي معهم.

س: وما أهداف التنظيم – فيما اتفقتم عليه– بعد اتصالك بهم؟

ج: أولًا: تربية المجموعات الموجودة فعلًا تربية إسلامية كاملة قبل ضم أحد آخر إليهم لأقبله، وبعد ذلك يبدأ التوسع في ضم أفراد آخرين سواء من داخل جماعة الإخوان المسلمين أو من خارجها من الراغبين للعمل للإسلام لتربيتهم على هذا المستوى، وفي برنامج طويل المدى ومتروك فيه الزمن بلا حساب يتوصل إلى تكوين جيل مسلم أو على الأقل قاعدة واسعة يمكن أن يقوم عليها النظام الإسلامي باعتبار أن التربية الإسلامية الأخلاقية لابد أن تسبق النظام، وبناءً على هذا الفهم بدأت معهم تدريس العقيدة وتاريخها على أن يحمي هذا التنظيم نفسه من الاعتداء عليه بتدريب مجموعات فدائية تتحرك فقط عند الاعتداء، وذلك بعد أن استبعدنا البدء بأي عمل لقلب نظام الحكم أو بأي عنف غير هذه الحالة – وهذا ما فهمت أنه واضح في حسهم.

س: وما الظروف التاريخية التي تعرفها عن حل هذه الجماعة؟

ج: أنا أعرف أن الجماعة انحلت بقرار حكومى معرفش صادر من أي جهة، ومعرفش نصه ولا القانون المنطبق عليه، وأنا أعتقد أنها انحلت بسبب نشاطها الديني، وبسبب أنها حركة إسلامية، والقوى المعادية للإسلام ذات ثقل في تقدير الظروف

المختلفة، وقد تمكنت بدسائسها من إيجاد هوة من التوجس والتخوف وعدم الثقة بين الثورة وبين جماعة الإخوان المسلمين انتهت بالتصادم الذي أدى إلى الحل.

س: ولكن الثابت على ما تعرف بيقين أن حزب الإخوان المسلمين كان يشكل تنظيمًا سريًا إرهابيًا داخل الدولة ارتكب بواسطته عدة جرائم قتل المرحوم الخازندار المستشار وقتل آخرين من الأبرياء وتخريب بعض المرافق – الأمر الذي لم يكن معه بد من حل هذا التنظيم السري وهذه الجماعة السياسية تمشيًا مع مبادىء الثورة التي تنادي بها منذ قيامها سنة ١٩٥٢.

ج: الذي أعرفه شخصيًا أن الإخوان المسلمين كان لها تنظيم سري، وأنا على ما أعرف ليس هو السبب المباشر في حل الجماعة؛ إنما السبب هو الدسائس التي تآمرت وأدى ذلك إلى حل الجماعة.

س: هل ترى أنه كان من الممكن أن تسمح الثورة بقيام جماعة ذات تنظيم سري مسلح داخل الدولة؟ وهل ترى أن قيام تلك الجماعة افتئات على الدولة وعلى نظام الحكم القائم في البلاد بما لا ترضاه أي دولة في العالم ولا يرضاه أي نظام ولا قانون؟

ج: طبعًا لا ترضى الدولة، ولكن كان ممكنًا حل هذا التنظيم السري بالتراضي على أساس حل التنظيم وإبقاء الجماعة كحركة علنية.

س: وهل ترى أن جماعة الإخوان وحدها هي القائمة على أمور الدين الإسلامي قاطبة حتى إذا ما حرم القانون نشاطها كحزب سياسي له تنظيم سري تكون الدولة قد أهدرت الدين الإسلامي ومنعت المسلم من القيام بواجباته الدينية؟

ج: أنا أرى أن حركة الإخوان المسلمين كانت هي أنجح تجربة في خلال القرون الأربعة الأخيرة في كل البلاد الإسلامية؛ فإهدارها بسبب أخطاء جانبية أنا أعرف أنها أخطاء هو بدون شك إهدار لأكبر محاولة في إقامة هذا الدين، ومن أجل هذا كنت أرى أنه يمكن فصل حركتها الإسلامية عن مسألة التنظيم السري، وأنه كان يجب بذل جهد من الدولة في هذا.

س: قرر قادة أعضاء التنظيم أنك أفهمتهم أنهم هم الأمة المؤمنة وسط مجتمع جاهلي، وأنه لا تربطهم لا بالدولة ولا بالمجتمع ولا بنظام الحكم القائم فيه أي رباط، وأنهم كأمة مسلمة عليهم أن يعتبروا أنفسهم في حالة حرب مع الدولة والمجتمع الذي يعيشون فيه، وكنت تسمي لهم البلاد بأنها دار حرب طبقًا للاصطلاح الإسلامي، وتبني على ذلك أن أي عمليات قتل وتخريب لا ضير منها ولا عقاب عليها بل بالعكس فيها مثوبة.

ج: في هذا الفهم أخطاء كثيرة، فهم أولًا مجرد نواة تربى وتتكون لتكون في مستوى الطليعة المؤمنة، وهذا ما كان مفهومًا بيني وبينهم بوضوح، وثانيًا أن الكلام عن علاقة الأمة المؤمنة بدار الحرب ودار الإسلام كان الحديث فيها كأحكام نظرية لبيان الأحكام في ذاتها لا لأنها منطبقة على أحد في الوقت الحاضر؛ لأنه سبق تقرير أن وجود الأمة المسلمة أمر من أمور المستقبل التي يقع النشاط وتقع الحركة لتحقيقها، وهذه هي المفهومات التي كنت أريد أن يفهموها، ولكن مع الأسف فهموا خطأ عني ما أرى الآن.

س: وكيف يكونون قد أخطأوا الفهم خاصة وقد قرر أحدهم وهو علي عشماوي أنه عند الحديث معك عن القتل ناقشك في حديث رسول الله ﷺ بأن: «من قال: لا إله إلا الله حرم قتله» وفي هذا دلالة صريحة على أنك كنت تحرضهم على ارتكاب جرائم القتل والاغتيال، وقد أجزت لهم قتل المسلم، كما استنتجت لهم أقوال المسلمين الذين لا يفهمون معنى عبارة لا إله إلا الله بالمعنى الذي تفهمه أنت.

جـ: أنا لا أذكر هذه المناقشة، وإذا كانت حصلت فلابد أنها كانت في معرض الدفاع عن النفس، وفي هذه الحالة يكون المعتدي هو الذي عليه الوزر لا من يزد.

مقتطفات من الإقرار الذي كتبه علي عبده عشماوي تحت عنوان «الإقرار الشامل»[1] **:**

في صيف سنة ١٩٦٣ تقريبًا تقابلت مع عوض عبد العال عوض بميت غمر وقد تمت بيننا مناقشة حول موقف الجماعة ووجوب القيام بإعادة تنظيمها، وقد ألح على أنه في حالة وجود تنظيم هل أقبل الاشتراك به، ولم يزد في هذه المقابلة على ذلك.

---

(١) جاء نص هذا الاقرار في كتاب: «الموتى يتكلمون» للأستاذ سامي جوهر.

ثم بعد ذلك حضر لي بالقاهرة وأخبرني بوجود تنظيم لمحاولة القيام باغتيالات، وحدثت مناقشة بيننا حول هذا الموضوع ثم عرض علي أن أقابل المسئول، ورتب لي موعدًا بالمنصورة، فذهبت حيث قابلت الأستاذ عبد الفتاح الشريف لأول مرة في إحدى اللوكاندات وقد عرض علي في هذه المقابلة فكرته القائلة بإعداد مجموعة تستطيع أن تقوم بعمل فدائي ضد الحكام، وقد ناقشته في النتيجة ومن يتولى الأمر بعد ذلك، فقال: ذلك لا يهم، وكان رأيه عدم العمل بالقاهرة والاعتماد على الأقاليم فقط، وحاول أن يسألني إن كنت أعرف أحدًا ويسأل عن أسمائهم، ولكني لم أجاوبه فلم يعجبه مني هذا التصرف، وانتهت المقابلة، ثم حدد لي عوض موعدًا آخر معه بالقاهرة، وكان كل همه معرفة ما إذا كنت متصلًا ببعض الشخصيات الإخوانية بالقاهرة وأسمائهم، ولكني لم أجاوبه فانتهت المقابلة ولم أقابله بعدها.

ثم جاءني عوض وأخبرني أنه توجد بالجيش مجموعة ضباط تابعة لرشاد مهنا، وأن عبد الفتاح الشريف يعرف واحدًا منهم، وأنهم عرضوا عليه أن يقوم الإخوان باغتيال الرئيس ثم يقومون هم بعد ذلك بانقلاب لصالح رشاد مهنا.

ولكني عارضت هذه الفكرة وأخبرته أن في هذا خطورة على الإخوان في حالة الفشل؛ فالإخوان هم فقط الذين سيصابون، أما الضباط فيكونون في أمان، ثم أخبرني أنهم يفكرون في الوسائل الممكنة لتنفيذ عملية الاغتيال، وأنهم يدرسون محاولة نسف القطار، وقد أخبرتهم أنه يمكن أن يتم النسف بواسطة جهاز لاسلكي، ولكن يبدو أن إمكانياتهم لم تكن كافية.

ثم بعد ذلك رتب لي عوض مقابلة مع الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، وقد قابلني وأخبرني أنه لابد أولًا من تكوين مجموعة من قيادة لتنظيم هذا الأمر، ويتم فيها مناقشة الموضوع وقد رشح هو محمد فتحي، ورشحت أنا أحمد عبد المجيد، وكانت تلك أول مجموعة قيادة تتشكل بعلمي، وهم كانوا في أول سنة ١٩٦٣:

١- عبد الفتاح إسماعيل.
٢- محمد فتحي رفاعي.
٣- علي عثمان.
٤- أحمد عبد المجيد.

وقد تم الحديث حول ما يرون من إعداد حوالى من ٢٠ إلى ٣٠ فردًا للقيام بعملية اغتيال الرئيس.

وقد عارضت أنا وأحمد عبد المجيد تنظيم الجماعة مرة أخرى بقدر المستطاع، فوافقوا أخيرًا وقسمنا العمل كالآتي:

١- **عبد الفتاح إسماعيل**: يتولى الإشراف على الشرقية وخط القناة.

٢- **محمد فتحى رفاعي**: يتولى الإشراف على الدقهلية والغربية والاتصال بالإسكندرية.

٣ - **علي عشماوي**: يتولى الإشراف على القاهرة.

٤- **أحمد عبد المجيد**: يتولى الإشراف على وجه قبلي.

وفي هذه الجلسة أخبرنا عبد الفتاح إسماعيل أنه يوجد مبلغ أربعة آلاف جنيه لخدمة هذا التنظيم، ولكنه رفض نهائيًا وقتها أن يخبرنا بمصدرها، وظلت هذه المجموعة تزاول عملها فترة شهور بسيطة حتى سافر فتحي رفاعي إلى الجزائر، فتم إعادة تشكيل المجموعة مرة أخرى كالآتي بعد تمثيل الإسكندرية؛ فيها:

١- **عبد الفتاح إسماعيل**: الشرقية وخط القنال (ومسئول عن التمويل).

٢- **صبري عرفة**: الدقهلية والغربية (وانتخب رئيسًا للمجموعة)

٣- **مجدي عبد العزيز متولي**: الإسكندرية والبحيرة (ومسئول عن المعلومات العسكرية).

٤- **علي عشماوي**: القاهرة والجيزة (ومسئول عن تخزين السلاح).

٥- **أحمد عبد المجيد**: وجه قبلي (ومسئول عن المعلومات).

وفي هذه الفترة أخبرنا عبد الفتاح إسماعيل أنه توجد شخصية متمرنة على مثل هذه الأعمال، وأن هذه الشخصية يمكن الاتصال بها، وأن المرشد يزكيها؛ وكانت تلك الشخصية هي الوزير السابق عبد العزيز علي.

وقد كلفناه أن يقوم هو بمقابلة هذه الشخصية أول مرة، وعلمنا أنه قابله في منزل زينب الغزالي، وأنه –أي: الرجل- يريد أن يلقانا، ورتبنا اللقاء بمنزلي، وكان في حديثه

هذه المرة لا يخرج عن حدود الدعوة العامة للإسلام، وأنه لا يمكن أن ندخل عددًا من الشبان المسلمين وخلافه في أوجه النشاط، ولم تطل المقابلة وكانت هذه رغبته، والتقينا به حوالى ٧ –٨ مقابلات تمت في دار يرأسها هو تابعة لوزارة الشئون ومقرها بجوار سينما روكسي، وفي آخر مقابلة طلب إلينا أن نعطيه كشفًا بأسماء وعناوين جميع الأفراد المشتركين في التنظيم، ولكننا رفضنا ذلك ولم نقابله بعدها.

وفي هذه الأثناء كان الحاج عبد الفتاح إسماعيل يحضر لنا بعض ما يكتبه سيد قطب من السجن نتداوله في هيئة مخطوطات باليد، وبعد ذلك خرج سيد قطب من السجن ورتب معه الحاج عبد الفتاح إسماعيل مقابلة لنا وذهبنا له برأس البر، وتوالت بعد ذلك اجتماعاته بنا كل حوالي ١٥ يومًا أو أسبوع كان فيها يحاول أن يرسم لنا خطًا، وأن أيَّ خروج عليه يعتبر انحرافًا عن منهج الإسلام، وهذه الفكرة تتلخص في وجوب تكوين قاعدة من الأفراد يفهمون الإسلام بالطريقة التي يحددها في كتبه ويظلون على ذلك أطول فترة ممكنة حتى تتعمق فيهم الفكرة، ثم بعد ذلك تعتبر المجموعة نفسها أمة داخل الأمة ولكنها منفصلة انفصالًا كاملًا ولا تتصل بها إلا في حكم الضرورة.

ويأتي وقت تعلن فيه هذه المجموعة لباقي المجتمع أنهم هم المجموعة المسلمة؛ من انضم معهم فقد أسلم؛ ومن امتنع فقد حكم على نفسه بالكفر، وبعدها يفصل الله بينهم بأي شكل؛ إما بقتال أو بهجرة أو أي شيء آخر، وتمت معه مناقشة موضوع انكشاف التنظيم قبل القيام بأي خطوة مما يذكر، فقد اتفق معنا أنه لابد من تكوين قوة رد في حالة أي طارىء تستطيع أن ترد بحيث تكون قوة الرد كبيرة ما أمكن، ولا تكون المسألة (زوبعة في فنجان) وكان قد أخبرنا أن من يخلفه في هذا العمل هو محمد يوسف هواش وأنه يجب الاتصال به في حالة اعتقاله.

علمت من عبد الفتاح إسماعيل أنه كان يشارك معروف الحضري في تصدير البرتقال، وأنهم في هذه الأثناء وبالاشتراك مع الشيخ عشماوي سليمان من قويسنا قد حاولوا تجميع عدد من الإخوان لعمل ما لا أعرف نوعه، ولكن المحاولة فشلت لعدم استجابة الإخوان لهم في هذه المرحلة.

ثم بعد ذلك انشغل معروف بأحواله الخاصة، ولقد قمنا بإعادة المحاولة معه؛ حيث زرته في منزله أنا وعبد الفتاح إسماعيل تقريبًا في أوائل ١٩٦٤ وكلمه عبد الفتاح في الأمر، ولكنه بعد أن طلب مهلة يفكر رجع بعدم الموافقة في الاشتراك في هذا وأن المسألة تحتاج إلى عدد كبير من الأفراد يعدون لدخول الكلية الحربية من جديد، والانتظار حتى يصيروا في أماكن قيادية وأنه لا يوجد طريق آخر، ثم لما التحقت بالشركة التي كان فيها عضو مجلس إدارة جاء في أحد الأيام وأخبرني أن نوايا الحكومة تجاه الإخوان سيئة، فسألته كيف عرف ذلك، فأخبرني أنه كان مدعوًا في عقد قران شقيق الرئيس وابنة المشير وأن المقابلة لم تكن ودية، ثم قال لي: (يجب أن تعلموا أنني لست على استعداد أن أضحي بقطرة من دمي في سبيل هذا الشعب).

كنا نعتمد في السلاح على الشراء من التجار الذين يبيعون السلاح سرًا، وقد اشتريت ٢ مدفع كارل جوستاف، وقام الحاج عبد الفتاح بشراء باقي كمية السلاح، وقد اشتريتهم من كرداسة من تاجر اسمه (السنوسي) شريك نصار مكاوي.

أما عن الحاج عبد الفتاح فأعتقد أنه كان يشتري من تجار بالقرب من منطقتهم ولا أعرف منهم أحدًا بالتحديد (تفسير ذلك أن هناك تاجر جبنة في بلدة بجوار بلقاس كان وسيطًا في شراء السلاح، وقد أرسل مرة الحاج عبد الفتاح لهذا التاجر محمد عواد واسم التاجر الحاج نجاح صاحب معمل جبنة بقرية بجوار بلقاس).

أما عن كمية القنابل فهي: ٨ قنابل روسية و٤ قنابل ايطالية، وصندوقان من المواد المتفجرة، وبعض مفجرات الكهرباء فقد علمت أنها كانت عندهم أيام كانوا يفكرون في العمل الذي كان يتزعمه عبد الفتاح الشريف، وقد كان الذي قام بالشراء يدعى أحمد سلام من الغربية، وكانوا يصفونه أنه ذو خبرة واسعة في هذه المسائل، وأن له معرفة بأشخاص يحضرون له ما يريد من العريش، وهو يعمل الآن بالسد العالي حسب علمي بعد أن نصب على أحد فلاحي المحلة الكبرى وأخذ منه ثمن فدانين وأخبره أن المبلغ قد انتهى في التجارة ومن وقتها قطعوا صلتهم به.

وقد سلموني هذه الكمية بعد تولي صبري عمله بالمنطقة واتصل بأفراد طنطا وبحث عن الشخص الذي عنده هذه الأشياء وأرسلها إلي مع كمية من الطلقات يعلوها الصدأ وقد رميتها، علاوة على ذلك كان بعض الكيماويين الذين يتبعون مبارك عبد العظيم يصنعون لنا مادة متفجرة من نترات الأمونيوم ويصنعون لنا قنابل مولوتوف.

قام الحاج عبد الفتاح في أثناء سفره إلى السعودية ثلاث سنوات متتالية بالاتصال بسعيد رمضان وكامل الشريف والشيخ عشماوى سليمان، وقد علمت بعد مرة أنهم مصدر مبلغ الأربعة آلاف جنيه التي حدثنا عنها، وكان صبري منتدبًا بالسعودية، وقد علمت أن المبلغ أحضر بمعرفة صبري وأنه كان يقوم بحلقة اتصال بين الشيخ وبين السعودية، وقد قمت سنة ١٩٦٤ بالسفر إلى السعودية في موسم الحج وحدث بسبب ذلك خلاف شديد بيني وبين عبد الفتاح إسماعيل، ولا أعرف لماذا كان يصر على عدم سفري.

وقمت في السعودية بالسؤال عن اتصال عبد الفتاح، فأخبروني أنه قد أشاع أن العملية معدة في مصر ولكنها تحتاج إلى مبلغ عشرين ألف جنيه، وأن هذا الأمر انتشر جدًا مما أغضب من اتصلت بهم وهم محيي هلال ومصطفى العالم، وقد وجدت إصرارهم على أن الجميع بالسعودية لا ينوي التعامل مع من بمصر في حالة وجود عبد الفتاح بينهم، فحاولت تهدئتهم وأخبرتهم أنه لا أمر له ولكن الأمور في يد مسئولين وهكذا قد اقتنعوا وعرفوني أنهم يمكن أن يرسلوا لنا أي مبلغ بعد فترة، وأنه يمكن إرسال أسلحة عبر حدود السودان أو ليبيا.

وبعد ذلك حين حضرت ثارت مشاكل بين كل منا حول هذا الأمر الشيخ وصبري من جهة وأنا من جهة.. كل منا يشكك في جهة اتصال الآخر، وبعد ذلك أرسل لنا من بالسعودية مع رسول سوداني خطابًا أخبروني فيه أنهم على استعداد لإرسال بعض الأسلحة لم يحدد كميتها، فعرضت الأمر على سيد قطب فرفض وقال: أخبرهم بتأجيل هذه العملية حتى تتحسن الأحوال.

وبعد ذلك أرسلوا متشككين في قدرتنا وزعلانين أننا كلفناهم مالًا ومشقة وبعد ذلك لم تتم العملية، وكان لسيد قطب صلة خاصة ببعض العراقيين والليبيين، وقد

حضرت مرة لقاء له مع عراقيين وسلموه مبلغ مائتي جنيه وأخبروه أن هذا المبلغ هدية من إخوان العراق.

منذ حوالي ثلاثة شهور وبعد لقاء لنا مع سيد قطب أخبرنا أن هناك إشاعات وكنا قد سمعنا الكثير عنها، وكان تفسيره لهذه الإشاعات أنها بداية ضربة جديدة سوف توجه للإخوان، واتفقنا على إطلاق إشاعة مضادة تقول إن الشيوعيين باتفاق مع الحكومة تطلق هذه الشائعات وترتب أحداثًا تبرر بعد ذلك ضرب الإخوان مرة أخرى، واتفقنا على أن نجلس وحدنا وندرس إمكانياتنا والعمل الممكن تأديته، وجعلنا نقترح أسماء أعضاء القيادة جميعًا مع كبار ضباط الجيش مع كبار رجال المباحث.

وبعد استعراض إمكانياتنا تبين أننا لا نستطيع تأدية العمل إلا في شخصية الرئيس والسيد علي صبري مع ضرب جميع محطات الكهرباء بالقطر والتليفونات، وعرضنا النتيجة على سيد قطب وكنت أنا وأحمد عبد المجيد والحاج عبد الفتاح فقط برأس البر، وقد أعلن موافقته على أن نحاول إذا استطعنا أن نضرب مدير البوليس الحربي وشمس بدران مدير مكتب المشير؛ فإن الأحوال بذلك تصل إلى درجة من الارتباك.

وبعد ذلك اجتمعنا وتقرر أن يتولى مجدي العملية الأولى وهي عملية اغتيال الرئيس، ولكنه علقها على دراسة إخوان إسكندرية للأوضاع وأنسب مكان يمكن تأدية العملية منه، وكنا في انتظار سفرة يوم الخميس ونلتقي يوم السبت مساءً حيث تتقرر طريقة العمل والإمكانيات المطلوبة، ولكن الجمعة تم القبض علينا.

ملاحظة: بعد اعتقال سيد قطب اتصلت بي حميدة قطب عن طريق زينب الغزالي وأخبرتني أن أخاها أخبرها أن يتصل أحدنا بمحمد يوسف هواش إذا اعتقل هو، ورتبت لنا موعدًا في كازينو الحمام بالجيزة، ولكنه لم يحضر واعتذر وأخبر أنه مطلوب القبض عليه، وأصبح اللقاء غير ذي قيمة، وبعد ذلك قابلت حميدة في منزل زينب الغزالي فأخبرتنى أن هواش يوصي إن كان لابد من العمل فلابد من ضرب أربعة هم: الرئيس والمشير والسيد علي صبري والسيد زكريا محيي الدين، ولم أقابله بالمرة.

وكما أن البنا ختم حياته مع الجماعة بالرسالة التحريضية المسماة: «القول الفصل»، فإن الهضيبي أيضًا أسلم كثيرًا من أبناء الجماعة إلى السجون والمعتقلات، بل إلى منصات الإعدام وأعواد المشانق، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

جماعة الإخوان واحتضان تنظيم الفنية العسكرية عام ١٩٧٤(صالح سرية - كارم الأناضولي - طلال الأنصاري) (١):

هل يمكن أن ينتهي العنف لدى جماعة تعشق السرية وتدمن العمل المسلح، ولا تمل من تكوين الميليشيات المسلحة والكتائب المدربة رغم ما تتعرض له من السجن والأذى؟

غالب الظن أن هذا العنف داخل الجماعة لن يزول طالما بقيت الجماعة محافظة على تراثها معتزة بتاريخها؛ لأنها تظن أن هذا هو طريق الجهاد، حيث إن جهاد الأنظمة ومواجهتها أحد أهم أصول الجماعة الكبرى، وها نحن قد تقدمت بنا الأحداث إلى سبعينيات القرن الماضي، إلا أن الموعد مع العنف لم يتخلف، بل يحيا ويتجدد في محاولة جديدة.

يقول الدكتور أيمن الظواهري في كتاب: «فرسان تحت راية النبي» شارحًا طبيعة تنظيم الفنية العسكرية:

«حيث بدأ تكون مجموعة الفنية العسكرية بوصول صالح سرية إلى مصر، وبدأ في الاتصال برموز الإخوان من أمثال السيدة زينب الغزالي وحسن الهضيبي، ونشط في تكوين مجموعات من الشباب، وحثهم على وجوب التصدي للنظام الحاكم، واتسعت المجموعة التي كونها صالح سرية واستطاعت أن تجند عددًا من طلاب الكلية الفنية العسكرية وعلى رأسهم كارم الأناضولي.

وبدأ الشباب يضغطون على صالح سرية من أجل البدء في المواجهة، فوافق تحت ضغطهم على القيام بمحاولة لقلب نظام الحكم تتلخص في مهاجمة أفراد الجماعة لحرس بوابة الكلية الفنية في صمت لإدخال عدد كبير من الشباب إلى الكلية، ثم بعد ذلك الاستيلاء على الأسلحة والسيارات والمدرعات من الكلية الفنية العسكرية بمساعدة

---

(١) ليس الغرض من ذكر القضية أن نتتبع مساراتها، أو نحيط بجميع جوانبها، ولكن الغرض المقصود هو تحديد مدى مسئولية جماعة الإخوان عن المشاركة في هذا التنظيم.

إخوانهم الطلبة داخل الكلية مستغلين صلاحياتهم كقادة مناوبين أثناء الليل، ثم التوجه بما حصلوا عليه إلى مقر الاتحاد الاشتراكي لمهاجمة السادات وأركان حكمه أثناء اجتماعهم.

لم تنجح محاولة الانقلاب لعدم مراعاتها للظروف الموضوعية للواقع ووجوب الإعداد الجيد له؛ فقد كانت تلك المحاولة تفتقر إلى التدريب في جانب الشباب المكلف بالهجوم على حرس بوابة الكلية، كما أن الخطة كانت تمر بعنق زجاجة في أكثر من مرحلة.

ولكن المعنى الذي أود التأكيد عليه هو أن الحركة الإسلامية بعد ضربات عبد الناصر المتتالية أثبتت أنها أكبر من أن تُستأصل وأقوى من أن تدفع إلى اليأس والعجز، فها هي الحركة الإسلامية تفرز جيلًا جديدًا بعد سنوات قلائل من محنة ١٩٦٥ تعود به إلى ميدان الجهاد مرةً أخرى شاهرةً سلاحها في وجه النظام المعادي للإسلام والمتحالف مع أمريكا هذه المرة، وقد أثبتت هذه العملية أن الشباب المجاهد لا يفرق بين العهد الناصري الروسي القديم والعهد الساداتي الجديد، وأنهما في العداء سواء».

أما عن صلة الإخوان بهذا التنظيم فقد كشف طلال الأنصاري أحد قادة التنظيم في مذكراته المعنونة: «صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة من النكسة إلى المشنقة» عن الحقائق التالية:

أنهم كانوا قد شكلوا تنظيمًا سريًا بمدينة الإسكندرية عام ١٩٦٨، وظل هذا التنظيم قائمًا إلى أن خرج الإخوان من السجون، وذهب إلى أحد كوادر جماعة الإخوان بالإسكندرية وهو الشيخ عليّ عبده إسماعيل؛ ليقوم بترتيب لقاء مع زينب الغزالي التي رتبت لقاء يجمعه بالمرشد العام آنذاك المستشار حسن الهضيبي أواخر عام ١٩٧٢، وذلك بمنزله بحي منيل الروضة ليقدم له البيعة.

ثم يروي الاتفاق على جعل صالح سرية هو همزة الوصل الوحيدة بينهم وبين الإخوان فيقول:

«كان اللقاء الذي تم في رعاية وترتيب زينب الغزالي بداية مرحلة جديدة من تاريخ الجماعة، وكان أول تعليمات صالح سرية للشباب أنه هو وحده حلقة الوصل بالإخوان،

وأنه اعتبارًا من هذا التاريخ لابد أن يتوارى أي دور ظاهر للإخوان، كما ينبغي عدم الإعلان عن أي صلة بهم، وتنفيذًا لذلك أعد صالح سرية سيناريو درب عليه الأنصاري لتنفيذه عند ظروف التحقيق الأمني بهدف إبعاد الإخوان عن أي صلة بالأحداث المقبلة؛ كان السيناريو يهدف إلى إظهار أن معرفة صالح بالأنصاري تمت عن طريق آخر غير طريق الإخوان وزينب الغزالي، وكان البديل الذي رتبه صالح ينص على أن الأنصاري قرأ حديثًا صحفيًا أجرته مجلة مصرية مع صالح أثناء حضوره جلسات المؤتمر الوطني الفلسطيني في القاهرة عام٦٨، وأنه أُعجب به وسعى للقائه في فندق سكاربيه بالقاهرة، حيث بدأت الصلة بينهما».

ثم يختتم كلامه قائلاً:

«ليس منطقيًا القول بأن تاريخ صالح سرية ونزوعه إلى الانقلاب والثورة كان خافيًا على الإخوان المسلمين في مصر! لقد احتضنته جماعة الإخوان في مصر ورحبوا به! والأهم من ذلك أن قام الإخوان وفي بيت من أقرب بيوتاتهم -بيت زينب الغزالي- بتقديم تنظيمهم الشبابي الوحيد في حينها إلى صالح سرية! هذه نقاط لم يسبق أن طُرحت من قبل؛ لأن أحدًا لم يطرح هذه الوقائع الجديدة؛ ولذا يتعامل الإخوان مع هذه القصة الغريبة بحذر شديد حتى الآن، وقد أخفاها تمامًا مؤرخوهم وكتابهم، بل قل إنهم قد تحاشوا جميعًا التعرض لهذه المسألة رغم مرور ثلث قرن عليها! لكن الحقيقة أنه قد دارت العجلة، وتولى الدكتور صالح عبد الله سرية قيادة أول جهاز سري بايع الهضيبي شخصيًا بعد محنة [٦٥ – ٦٦!]».

العجيب في هذا الأمر أنه عندما أُكتشف أمر هذا التنظيم، وتم القبض على رموزه أسرعت الحاجة زينب الغزالي بنفي صلتها بهؤلاء الشباب؛ حيث نشرت الصحف في أعقاب ذلك بيانًا تنفي فيه الغزالي ما قاله صالح سرية من أنه اتصل بها بشأن تنفيذ عملية الاقتحام وقالت: «ليس أنور السادات هو ذلك الرجل الذي تقبل زينب الغزالي أن تلتقي برجل تعلم أنه ضده، إنني أقول: إن أنور السادات جاء لحكم جمهورية مصر

العزيزة المسلمة وبحار من دماء الظلم تجري فعمل على أن يوقفها وأوقفها فعلًا... وإن أنور السادات رجل مؤمن ابن رجل مؤمن، وأنا أعرف أباه وأعرف إيمان أبيه وتقواه».

يعلق الأستاذ عمر التلمسانى على هذا التصريح في كتاب «عمر التلمسانى شاهدًا على العصر... الإخوان المسلمون في دائرة الحقيقة الغائبة» للأستاذ إبراهيم قاعود:

«عندما وقعت أحداث صالح سرية الخاصة بمهاجمة الكلية الفنية العسكرية ذكر اسم زينب الغزالي والأستاذ صالح أبو رقيق، وطبعًا الجريمة كانت جريمة خطيرة؛ فكل منهم كان يحاول الدفاع عن نفسه، فسلكوا هذا المسلك، أما الإخوان المسلمون في مجموعهم فلم يؤيدوا أنور السادات..».

وبالتالي فنحن الآن أمام شهادة موثقة من صالح سرية يعترف فيها بتعاون الحاجة زينب الغزالي معه في ترتيبات تنظيم الفنية العسكرية، ومن المفترض أن صالح سرية لا يُقحم اسم زينب الغزالي في القضية إلا إذا كان لها عنده أصل، وإلا فلماذا جاء ذكرها تحديدًا على لسانه؟!

ولكن بمجرد اكتشاف أمر التنظيم سارعت الغزالي بإنكار صلتها به وبتحركاته، وكان من الممكن أن ينتهي الأمر عند ذلك الحد، ونقنع أنفسنا بأن ادعاء صالح سرية غير صحيح، إلا أن فرحتنا لم تكتمل، وجاء عمر التلمساني ليكشف لنا القصة كاملة، وليوضح أن إعلان الغزالي تأييدها للسادات والشهادة له ولأبيه بالتقوى والإيمان ما هو إلا اضطرار لتتخلص به من التبعية الثقيلة إذا ثبت اشتراكها مع صالح في ترتيبات التنظيم الذي يهدف لاغتيال السادات!!

ونختم هذه المسألة بشهادة الدكتور عبد المنعم أبوالفتوح في الجزء الرابع من مذكراته، والتي نشرتها جريدة الشروق تحت عنوان: «عبد المنعم أبو الفتوح؛ شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر»، ومع أنه يعارض طلال الأنصاري في شهادته ويرجح أن اتصاله بالجماعة كان اتصالًا عاديًا ولم يكن تنظيميًا، إلا أنه اعترف أن فكر العنف كان مقبولًا لديهم بدرجة من الدرجات؛ فقال تحت عنوان: «نحن والفنية العسكرية»:

«وحين وقعت المحاولة التي كان محكومًا عليها بالفشل وأُعلن عنها في الصحف وجدنا أن بقائمة المتهمين عضوين في تنظيم الفنية العسكرية يعملان معنا في العمل العام بكلية طب القصر العيني، وهما مصطفى يسري وأسامة خليفة، ولم نكن نعرف أنهما منضمان لهذا التنظيم؛ إذ لم يخبرا أحدًا منّا، ولم يكن هناك ما يدل – من سلوكهما – على أنهما بصدد القيام بعمل عسكري.

وباعتباري رئيسا لاتحاد الطلاب فقد حضرت جميع جلسات القضية مدافعًا عن الطلبة المتهمين باعتباري رئيسًا لاتحاد الكلية التي يدرسان بها، كما وكّل اتحاد الطلاب المحامي الأستاذ الدكتور عبد الله رشوان للدفاع عنهما... وقد حُكم عليهما في القضية بالسجن بعد فشل عمليتهم.

في ذلك الوقت كانت فكرة استخدام العنف في التغيير مقبولة عندنا أو على الأقل لا تجد منا رفضًا صريحًا لها... فالمسألة لم تكن محسومة لدينا كما هي الآن، وكان أقصى خلافنا مع من تبنوا العنف منهجًا للتغيير أنهم يتعجلون بطرح أفكارهم في غير أوانها، وكان خلافنا **حول التوقيت فقط والملاءمة لأننا كنّا** نعتبر أننا – في هذا الوقت- لا نملك القدرة ولا نرى الوقت مناسبًا، ولم يكن رفضنا مبدئيًا، فالعنف كان مقبولًا والاختلاف حول توقيته وجدواه فحسب».

مأمون الهضيبي والجهاز السري:

وتستمر المسيرة؛ ففي عام ١٩٩٢ تُعقد مناظرة في معرض الكتاب حول الدولة الدينية والدولة المدنية بين مرشد الجماعة وقتها الأستاذ مأمون الهضيبي والصحفي فرج فودة؛ قال فيها الهضيبي:

«أما ما تقوله عن الإرهاب والجهاز السري، فنحن نفخر ونتقرب إلى الله بالجهاز السري، فصاح الجموع: الله أكبر الله أكبر»[1].

---

(١) منشور على اليوتيوب تحت عنوان فيديو نادر: «مرشد الإخوان:نحن نفخر ونتقرب إلى الله بالجهاز السرى».

مهدي عاكف والعشرة آلاف مقاتل:

ثم تمر الأيام ويأتي عام ٢٠٠٦، وقد قام الإخوان بدعم إعلامي وشعبي لحسن نصرالله وحزب الله في حربه «الشكلية» مع إسرائيل؛ فقال مرشد الإخوان وقتها الأستاذ مهدي عاكف في مؤتمر عقدته «الجبهة الوطنية من أجل التغيير» بالتعاون مع لجنة الشريعة بنقابة المحامين في (٢٠٠٦/٨/٧):

«أنَّ لديه جيشًا مكونًا من عشرة آلاف مقاتلٍ، وأنه مستعد لإرسال عشرة آلاف مجاهدٍ في الوقت الحالي للقتال إلى جانب حزب الله الشيعي اللبناني» ثم أكد قائلًا: «إن الجماعة عندما تُبدي استعدادها لإرسال المقاتلين فإنها لا تعني مجرد إرسال عناصرها فقط، وإنما تعني أنها ترسل عشرة آلاف مقاتل على أعلى مستويات التدريب والعلم والتكنولوجيا كي تستطيع التعامل مع العدو الإسرائيلي وتلحق به الهزيمة».

ميليشيات الإخوان في جامعة الأزهر:

لم يمر على تصريح عاكف بضعة أشهر حتى فوجئنا في٢٠٠٦/١٢/١٠ بميليشيات إخوانية تستعرض مهارات قتالية داخل جامعة الأزهر؛ حيث ارتدى نحو ٥٠ طالبًا زيًا أسودَ، ووضعوا أقنعة على رؤوسهم مكتوبًا عليها «صامدون» وأجروا استعراضًا لمهاراتهم في الألعاب القتالية، وذلك احتجاجًا على فصل خمسة من طلاب الاتحاد لمدة شهر، مع اعتصامات مفتوحة في عدد من جامعات ومدن الأزهر.

والعجيب أيضًا أن رد المرشد على هذه الأحداث جاء في حوار صحفي كما يلي: «بداية.. ما وقع لم يكن عرضًا عسكريًا، بل مجرد أداء رياضي تم تضخيمه من قبل أجهزة مغرضة أمنية وإعلامية؛ لتشويه صورة الجماعة وللنيل من نبل رسالتها وسلمية دعوتها، بصرف النظر عن كون ما حدث خطأ، والطلاب قدموا اعتذارًا عنه؛ حيث إن هذا كله لم يؤثر من قريب أو بعيد على أصحاب العقول المتابعين لحركة الإخوان ومسيرتهم الإصلاحية الدعوية التي ترتكز على الدعوة بالحسنى والنصح الهادئ والانتقاد البناء»[1].

---

(١) جاء رد النظام على هذه الواقعة قاسيًا؛ حيث تم القبض على نحو ١٤٠ متهمًا من جماعة الإخوان =

الإخوان أثناء ثورة يناير ٢٠١١ وما بعدها:

ليس هناك خلاف على أن الإخوان لم يكونوا من الداعين لثورة ٢٥ يناير منذ بدايتها، وكذلك لم يكونوا معارضين لها، بل على ما يبدو أنهم لم يتوقعوا نجاحها مثل كثير ممن دعوا إليها، ولكنهم تركوا الخيار لأتباعهم للمشاركة فيها من عدمه، كل حسب تقديره للأمر؛ فشارك فيها كثير من شبابهم بصفتهم الشخصية في أول ثلاثة أيام لها، إلى أن جاءت جمعة الغضب في يوم الثامن والعشرين من يناير لتحمل أوامر مباشرة من مكتب إرشاد الجماعة لجميع أتباعها بالاشتراك في الثورة، مما ساعد على اشتعال الثورة في محافظات عدة، ثم ما لبثوا أن أصبحوا المنظم الرئيس للثورة في الشارع المصري على الرغم من أنهم لم يمثلوا أغلب المشاركين بها بطبيعة الحال؛ حيث أصبح الشعب المصري هو التيار الرئيس للثورة، وقد كانت تحركات شباب الإخوان في ميدان التحرير ملحوظة ومنظمة وتحت توجيه ورعاية قيادات الجماعة أمثال الدكتور محمد البلتاجي، والدكتور أسامة ياسين، وقد تردد وقتها الحديث عن فرقة شبه عسكرية تعمل تحت قيادة أسامة ياسين، ويطلق عليها الفرقة ٩٥ إخوان.

أسامة ياسين والفرقة ٩٥ إخوان:

العجيب أن الدكتور أسامة ياسين أمين مساعد حزب الحرية والعدالة، والذي أصبح بعد ذلك وزيرًا للشباب، هو أول من أفصح عن وجود هذه المجموعة، وقد اعترف في حوار له على قناة الجزيرة مع الصحفي أحمد منصور بأنه كان قائدًا في ميدان التحرير لمجموعة من الشباب يُسمَّون «الفرقة ٩٥ إخوان»[1] وقد قامت هذه المجموعة

=المسلمين، على رأسهم خيرت الشاطر -النائب الثاني لمرشد الجماعة- والدكتور محمد عليّ بشر -عضو مكتب الإرشاد- وحسن مالك، وبينهم نحو ٩٧ طالبًا بجامعة الأزهر.

(١) يُقال إن هذه الفرقة تكونت بواسطة المهندس خيرت الشاطر -نائب مرشد الإخوان- عام ١٩٩٥، وهو العام الذي سجن فيه الشاطر في القضية المعروفة إعلاميًا بمجلس شورى الجماعة لمدة ٥ سنوات بتهمة إحياء التنظيم المحظور، وأنها عبارة عن مجموعات من عناصر الردع في الجماعة، ومدربة تدريبًا رياضيًا عاليًا، وأن للإخوان مجموعات في كل محافظة لحماية الانتخابات البرلمانية تسمى: «مجموعة الردع».



باحتلال أسطح العمارات المطلة على ميدان التحرير، وقامت بقذف المولوتوف على أنصار مبارك ومن معهم من البلطجية، واعترف أنهم كانوا مسلحين أيضًا، وأنه شاهد عربات الإسعاف وهي تنقل المصابين من جراء قذائف شباب الإخوان عليهم من أعلى أسطح العمارات، وذكر أن هذه المجموعة كانت مكلفة بحماية الميدان من أي اعتداءات.

من المريب في أمر هذه المجموعة أن اللجنة العامة لتقصي الحقائق في قتل المتظاهرين التي شكلها الدكتور محمد مرسي رئيس الجمهورية في ذلك الوقت، كانت قد قررت في توصياتها مطالبة النيابة العامة بالتحقيق في حقيقة مشاركة تلك الفرقة في أحداث موقعة الجمل؛ استنادًا إلى بلاغ مقدم إلى النيابة العامة في أغسطس ٢٠١٢، تضمن اتهامًا لياسين بأنه كان يقود «الفرقة ٩٥ مسلحة إخوان» باعتباره المنسق العام للجماعة في الميدان خلال موقعة الجمل، وأن عناصر الجماعة اعتلت أسطح عمارات النصف الأول من ميدان التحرير بدءًا من الساعة الحادية عشرة مساء الأربعاء ٢ فبراير حتى السابعة صباح الخميس ٣ فبراير.

وهناك شهادة اللواء حسن الرويني -مساعد وزير الدفاع السابق والقائد العام السابق للمنطقة المركزية- يقول إنه طلب من الدكتور محمد البلتاجي في وجود الدكتور صفوت حجازي أن يقوم بإنزال شباب الإخوان الموجودين أعلى أسطح العمارات المطلة على الميدان وعلى كوبري ٦ أكتوبر إذا كانت للجماعة سيطرة عليهم، فتحفظ في البداية، وعندما هددته بالقبض عليهم وإطلاق النار عليهم وعد بالتدخل وإنزالهم من على أسطح العمارات.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمر الأيام أيضًا وتتولى جماعة الإخوان حكم مصر (رئاسة ووزارة وبرلمانًا)، ويأتي الأستاذ مهدي عاكف أيضًا في مؤتمر عام ليقول:

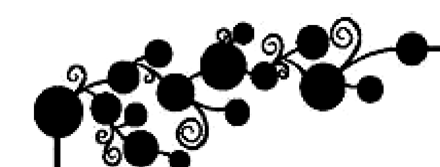
«رئيس الجمهورية لازم يكون على هذا المستوى الرفيع من الخلق والعزم؛ هو مازال حتى الآن مستهدي بالله، إنما بقا العيال اللي قاعدة عند الاتحادية والأسلحة اللي في التحرير اللي قافلين مجمع التحرير، دول هل يحتاجوا لعفو؟! والله ما يحتاجوا إلا لقطع رقابهم، وأنا مستغرب حقيقة أن الأمن هزيل، لازم يمسك الميكرفون يقول: محدش ييجي هنا واللي حيجي حضربه بالرصاص على طول».

الخلاصة:

أننا أمام مسيرة متكاملة لا تحيد عن مبادئها ولا تغير قناعاتها؛ فالهضيبي في بداية التسعينيات يفخر بأعمال النظام الخاص، ومهدي عاكف يبدي استعداده لإرسال عشرة آلاف مقاتل على أعلى مستويات التدريب والعلم والتكنولوجيا، ثم تأتي الميليشيات الإخوانية تستعرض قوتها في الجامعة علنًا أمام الجميع، ثم نُصدم جميعًا بأن الإخوان لديهم فرقة مدربة ومسلحة تحمل اسم الفرقة ٩٥؛ لذا فليس هناك ما يدعو للعجب من استمرار مسلسل العنف بعد ذلك على أيدي قادة الجماعة وشبابهم المدرب.

أما ما قام به الإخوان مؤخرًا من حوادث عنف وترويع في النصف الثاني من حكم الدكتور مرسي مع من عارضه، بالإضافة إلى المسلسل الأكثر عنفًا قبيل أحداث ٦/٣٠ وما تلاها حتى الآن، فسوف نتناوله في الفصل القادم بإذن الله.





الفصل الرابع

دلالات واقعية على تورط الجماعة في التكفير والعنف



الفصل الرابع:
دلالات واقعية على تورط الجماعة في التكفير والعنف

وإن تعجب فاعجب لمن يصر حتى الآن أن يُبريء الجماعة من تبني التكفير وممارسة العنف، رغم أن تاريخها الطويل شاهد عليها لا لها، وكتابات مؤرخيها تعترف بانتهاج العنف وممارسته بدوافع مختلفة وتبريرات متنوعة، ثم جاء العصر الحديث بكل ما فيه من تطور وسائل الميديا، وطرق حفظ المعلومات، وانتشار الفيديو على شبكة الإنترنت، ووجود الفضائيات المختلفة، كل هذه الوسائل أسهمت بشكل فعال في الوصول إلى الحقيقة وتحري الصواب، ولكن لمن أتعب نفسه في البحث والتفتيش؛ لأن الإعلام سلاح ذو حدين، وكما يمكن أن يُستخدم في بيان الحق، فيمكن أيضًا أن يُستغل في التضليل والخداع، وفي هذا الفصل سوف نجتهد في ذكر بعض النماذج الحية على انتهاج الجماعة السلوك العنيف والمنحرف، مع توضيح نتائج هذه السلوكيات على الدولة والجماعة.

وقد احتوي الفصل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مشاهد من العنف الممنهج.

المبحث الثاني: في ظل الصراع الصفري بين الدولة والإخوان مصر إلى أين؟

المبحث الأوّل

مشاهد من العنف الممنهج

المبحث الأول: مشاهد من العنف الممنهج

اتخذت ممارسة العنف لدى الجماعة في الفترة الأخيرة ألوانًا متعددة، وقد تعمدت الجماعة ألا تُخفي هذه الممارسات، بل كانت المنابر الإعلامية التي تتحدث باسمها هي التي توجه الشباب نحو ممارسة العنف علنًا وبلا تورية، بالإضافة إلى البيانات الرسمية الصادرة عن الجماعة، والصفحات الإلكترونية التي تديرها لجانهم الإعلامية، وبالتالي فالأدلة في هذا الباب أوسع وأكبر من أن تُحصر، وسوف نُعرج في هذا المبحث حول نماذج من هذه الأدلة.

أولاً: البيانات الرسمية التي صدرت عن الجماعة:

على الموقع الرسمي للجماعة عدد كبير من البيانات الصادرة على لسان الجماعة، أغلبها مكتوب، وبعضها على لسان المتحدث الرسمي، وبعضها مذاع أيضًا على القنوات التابعة للجماعة مثل رابعة ومكملين والشرق وغيرها، وسوف نذكر نماذجَ لهذه البيانات لا لغرض الحصر، ولكن لمجرد الاستشهاد، خصوصًا وأن بعض هذه البيانات تُحذف من على الموقع بعد فترة من الزمن.

١ - بيان جماعة الإخوان المسلمين بتاريخ ٢٠١٥/١/٢٧ - رسالة إلى صفوف الثوار: «وأعدوا..»[(١)]:

أخي الثائر.. وأختي الثائرة: سيفان متقاطعان.. وبينهما «وأعدوا» وتحتهما «صوت الحق والقوة والحرية» ذلك هو شعار دعوة الإخوان المسلمين، فكل مفردات الشعار تعني القوة؛ فالرمز وهو السيفان وكلمة «وأعدوا» التي هي شعار القوة في القرآن

---

(١) هذا البيان قام الموقع بحذفه بعد فترة من نشره، ولكنه موجود على صفحات الفيس بوك، وقد تناقلته المواقع الإلكترونية وقتها على نطاق واسع، والبيان كله من بداية عنوانه وحتى خاتمته يعطي رسائل ساخنة تحث على المواجهة واستعمال القوة والإعداد البدني، وتتغنى بأمجاد النظام الخاص وفرق الجوالة وغيرها، وهو في المجمل بيان منهجي توجيهي أكثر من كونه حماسي ثوري.

الكريم، والكلمات الثلاث التي كُتبت تحت السيفين تعني ذلك أيضًا، فـ«الحق» لا بد له من قوة تحميه، و«الحرية» لا توهب ولكنها تُنْتَزع انتزاعًا بالقوة، ولذلك جاءت كلمة القوة بين الحق والحرية، وحرص الإمام المؤسِّس على تشكيل «فرق الكشافة» التي هي مظهر اللياقة والانضباط، وتشكيل «النظام الخاص» الذي هو أبرز ملامح القوة.

وجهَّز الإمام البنا كتائب الجهاد التي أرسلها إلى فلسطين لقتال اليهود المغتصبين، وأعاد المرشد الثاني حسن الهضيبي تشكيلات «النظام الخاص»[1] لاستنزاف البريطانيين المحتلين.

ويقول الإمام البنا ﷺ: «ونحن نعلم أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح، ولا يصحّ أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال، مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك»، ولكي ينصرنا الله ﷻ لا بد من تحقيق شرط النصر المتمثل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وإعداد القوة يحتاج أولًا إلى إرادة؛ إرادة البدء، وإرادة الاستمرار والرعاية، والقيادة والجنود شركاء في هذا، وعملية إعداد القوة تعني..

أولاً: الحالة النفسية:

أو ما يُسمى بالحالة المعنوية، والتي عُرِّفت بأنها (القوى الكامنة في صلب الإنسان، التي تُكسبه القابلية على الاستمرار في العمل والتفكير بعزم وشجاعة مهما اختلفت الظروف المحيطة به) (المصطلحات العسكرية للواء محمود شيت خطاب).

ويعلق فيقول: «معنى هذا التعريف أن الفرد يجب أن يكون شجاعًا لا يجبن، قويًا لا يضعف، عزيزًا لا يهون، صامدًا لا يتراجع، صابرًا لا ينهار، متفائلًا لا يقنط، مستعدًّا للتضحية بروحه وماله من أجل مُثُله العليا».

---

(١) اعتراف صريح بأن النظام الخاص استمر بعد رحيل البنا، وأن الهضيبي أعاد تشكيله مرة أخرى، ولكن السؤال هنا: أي محتل أجنبي أراد النظام الخاص للإخوان استنزافه في عهد الهضيبي خصوصًا بعد عام ١٩٥٢؟!!.

وعرَّف الإمام حسن البنا القوة النفسية هكذا: «إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه أو الانحراف عنه، أو المساومة عليه أوالخديعة بغيره».

وتعني ثانيًا: القوة البدنية:

ففي أدبيات الإخوان كانت الرياضة «وِرْدًا» كما القرآن ورد والمأثورات ورد، ولقد حصلت فرق الإخوان الرياضية على بطولات الجمهورية لسنوات في العديد من المسابقات الرياضية؛ كألعاب القوى «الجودو والكراتيه والملاكمة والاشتباك وغيرها» والذي يطالع كتاب الباحث محمد شوقي ذكي: «الإخوان المسلمون والمجتمع المصري» يجد تفصيلًا أوسع في ذلك، وبناءً على هذا فلابد من ترتيب الورد الرياضي الفردي والبدء فيه عاجلًا لا آجلًا، موسَّعًا لا مُضَيَّقًا.

ومن كلمات الإمام البنا للإخوان: «وفي الوقت الذي يكون فيه منكم -معشر الإخوان المسلمين- ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيًا وروحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: «**ولن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة**».

و يقول أيضًا: «وما أحكم ذلك القائل: (القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنبًا إلى جنب)، وكذلك نجده يقول: «وتحتاج كذلك الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية، ولا سيما في هذه العصور التي لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتي صار شعار أبنائها جميعًا: (القوة أضمن طريق لإحقاق الحق)»، ويقول: «إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا، والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم،

واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة، فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة، رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله»، ثم يقول: «إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة»(١).

فعلى الجميع أن يدرك أننا بصدد مرحلة جديدة نستدعي فيها ما كمن من قوتنا، ونستحضر فيها معاني الجهاد، ونهيء أنفسنا وزوجاتنا وأولادنا وبناتنا ومن سار على دربنا لجهاد طويل لا هوادة معه، ونطلب فيها منازل الشهداء. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠](٢).

٢ - بيان جماعة الإخوان المسلمين بتاريخ ٢٨ مايو ٢٠١٥ في تأييد بيان «نداء الكنانة»:

قام عدد من دعاة الإخوان ومؤيديهم بكتابة بيان في ٢٧مايو ٢٠١٥ تحت عنوان «نداء الكنانة»: بيان من علماء الأمة بشأن جرائم الانقلاب في مصر والواجب نحوه، وقد خلطوا فيه الحابل بالنابل، **وصوروا الواقع على خلاف ما هو عليه بالزيادة أحيانًا وبالتضخيم أحيانًا،** ثم قاموا بالتحريض المباشر على الهيئات والمؤسسات والأفراد بما فيها الأزهر.

ولم يَفُتهم أن يقعوا في المغالطات والأكاذيب المفضوحة رغبةً في التشويه والتضليل؛ مثل: ادعاء تحالف الدولة مع الصهاينة، وخنق المقاومة الفلسطينية، وتهجير أهالي سيناء من أجل أن تكون هدية لليهود، وغير ذلك من التهم التي لا دليل عليها.

---

(١) كل هذه النقول عن الأستاذ البنا تؤكد ما قررناه في هذه الدراسة أن البنا له ألوان مختلفة من الخطاب، كل منها قد مثل مرحلة معينة من حياته، والإخوان عبر تاريخهم لديهم أيضًا هذا التنوع في لغة الخطاب، وهم يستدعون كل لغة في الوقت الذي يرونها تخدم أغراضهم، وهنا كما نرى استدعاء صريح لكل معاني القوة والمواجهة، واستعمال ألفاظ الجهاد والشهادة والنصر على الأعداء، وكلها مفردات لها دلالات قوية وصريحة.

(٢) استعمال لفظ الجهاد لا يكون إلا مع الكفار، ولا يمكن استعماله مع المسلمين بحال من الأحوال، وكذلك أيضًا لفظ الشهادة فإنه يوحي بأن من يقاتلهم من الكفار كما قال أحد دعاتهم على منصة رابعة «لسنا سواء؛ قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» وهذه الجملة التي أُختتم بها البيان في غاية الخطورة، وتحمل بصمات تكفيرية ظاهرة ولغة تحريضية صارخة.

ثم كان التوجيه الصريح بالمقاومة للنظام ومحاولة كسره والإيقاع به، والأخطر من ذلك هو الحث على القصاص لكل من الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين إذا ثبت منهم ما يستوجب القصاص، وهي دعوة مفتوحة للقتل والاغتيال خصوصًا مع انتشار الجهل والرغبة في الثأر.

وقد جاء البيان كما يلي:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد،،

نظرًا لما يحدث في مصر الكنانة - منذ قرابة عامين - من سفك للدماء المحرمة، وهتك للأعراض المصونة، وإزهاق للأرواح البريئة، ونهب الأموال، وتكسير الممتلكات الخاصة، وتدمير للبلاد، وتهجير للآمنين، ومعاداة فجة للإسلام والمسلمين؛ بمحاربةٍ لمنهجه، وقتلٍ لعلمائه، وتطاولٍ على قيمه وثوابته ومقدساته، وموالاة لأعدائه، ومعاداة لأوليائه؛ فإننا - صدعًا بالحق، ودفعًا للباطل، وبيانًا للناس، كما أمرنا الله تعالى - نعلن للأمة الموقف الشرعي من هذا النظام والواجب نحوه، والمتمثل في النقاط الآتية:

١- إن المنظومة الحاكمة في مصر منظومة مجرمة قاتلة، انقلبت على إرادة الأمة واختيارها، وخطفت رئيسها الشرعي المنتخب، واغتصب قائد الانقلاب كرسي الرئاسة بانتخابات صورية مزورة، وجمع في يده السلطات جميعًا بما فيها سلطة التشريع، وسن قوانين جائرة تكمم الأفواه، وتجفف منابع الحياة بشكل شامل.. هذه المنظومة قتلت الآلاف بغير حق، واعتقلت عشرات الآلاف بلا مسوِّغ، وحكمت بالإعدام والسجن على الآلاف من خيرة رجال مصر ونسائها في قضايا ملفقة، وطاردت الآلاف داخل مصر وخارجها، وشردت آلاف الأسر، وظاهرت أعداء الأمة عليها، وفصلت تعسفيًّا مئات القضاة وأساتذة الجامعات والمدرسين والأئمة والخطباء وغيرهم؛ فارتكبت -بذلك وغيره- المنكرات كلها، وانتهكت الحرمات جميعها.

٢- يجب شرعًا على الأمة -حكامًا وشعوبًا- مقاومة هذه المنظومة، والعمل على كسرها والإجهاز عليها بالوسائل المشروعة كافة؛ حفاظًا على ثوابت الأمة، وحرصًا على المقاصد العليا للإسلام.

٣- إن موالاة الصهاينة المعتدين ودعمهم وحمايتهم، ومعاداة المقاومة الفلسطينية والتآمر عليها وحصارها من خلال تدمير سيناء وتهجير أهلها، يعدُّ خيانة للدين والوطن، وتفريط في مسرى رسول الله ﷺ، لا تصدر إلا عن عدو لله ورسوله والمؤمنين، والله -تعالى- يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

٤- إن الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين، وكل من يَثْبُتُ يقينًا اشتراكُهم ولو بالتحريض في انتهاك الأعراض وسفك الدماء البريئة وإزهاق الأرواح بغير حق.. حكمهم في الشرع أنهم قتَلَةٌ تسري عليهم أحكام القاتل، ويجب القصاص منهم بضوابطه الشرعية، والله -تعالى- يقول: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٥- يؤكد العلماء الموقعون على هذا البيان أن الأستاذ الدكتور محمد مرسي هو الرئيس الشرعي للبلاد، وأن الإجراءات اللاحقة التي اتُّخذت معه، والأحكام التي صدرت بحقه وحق الرافضين للانقلاب باطلة شرعًا ومنعدمة قانونًا، ويجب على الأمة شرعًا السعي في فكاك حاكمها المنتخب وتحريره من أسره.

٦- إن كل من تم اعتقاله من قِبَل هذه المنظومة الإجرامية بسبب رفضه للانقلاب ومطالبته باحترام إرادة الأمة وحريتها -وبخاصة النساء- يجب على الأمة السعي في بذل كلِّ غالٍ وثمين في سبيل تحريرهم وفكاك حبسهم بالوسائل المشروعة في دين الله.

٧- إن معاونة هذه المنظومة الإجرامية ومساعدتها على الاستمرار بأية صورة من الصور هو من المحرمات شرعًا والمجرمات قانونًا، ومشاركة صريحة في الجرائم التي ترتكبها، ومرتكب للنهي في قول الله -تعالى-: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١٣].

٨- إن حضور شيخ الأزهر مشهد الانقلاب، وصمته عن جرائمهم جريمة شرعية تُسقط شرعيته وتهدر مكانته، وتجعله شريكًا للمجرمين في كل ما اقترفوه، وتشوه تاريخ الأزهر المجيد وتفسد حاضره وتدمر مستقبله.

٩- نحمِّل مفتي مصر المسئولية الشرعية والجنائية عن الأرواح البريئة التي وافق على إعدامها، ونحذره من مغبة التمادي في التوقيع بالموافقة على المزيد من أحكام القتل الجائرة الطاغية، وما قد ينتج عن هذه الأحكام من مفاسد عظيمة على المستويات جميعًا، وقد لا يخفى عليه -وهو من الموقعين عن رب العالمين! - أنه ليس في القتل ولا في الزنا إكراه، فلا حجة له في الدنيا ولا في الآخرة إن صدّق على قتل الأبرياء.

١٠- إن الدفاع بأية وسيلة مشروعة عن النفس والعرض والمال حق مشروع، بل واجب شرعي لا يملك أحد أن يمنعه أو يمنحه؛ فللمعتدَى عليه صدُّ المعتدِي بذاته دون غيره، وبالقدر الواقع عليه دون تعدٍّ أو تفريط؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى].

١١- نطالب الحكام والملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية وأهل العلم والمثقفين والأحرار كافة في العالم بسرعة السعي لحماية مصر من إجرام تلك المنظومة الطاغية، وردعهم عن القتل والسفك والسلب والإفساد والتدمير، والانتصار لإرادة الشعب وخياراته.

١٢- يستهجن العلماء الموقعون على هذا البيان موقف الدول الداعمة للانقلاب، والموقف الدولي المدعي احترام حقوق الإنسان وخيارات الشعوب، ويناقض ذلك كله بدعمه للأنظمة الانقلابية وتعامله معها، ويحملونهم المسئولية القانونية عن الدماء التي سالت، والأرواح التي أزهقت ظلمًا وعدوانًا.. ويثمِّنُون -في الوقت نفسه - مواقف الدول والمنظمات الحقوقية والعلماء والإعلاميين والسياسيين وغيرهم ممن وقفوا ضد قمع الشعب المصري وأحكام القتل بالجملة، وسوف يسجل التاريخ لهؤلاء وأولئك مواقفهم وأعمالهم.

١٣- نطالب القوى التي تعارض الانقلاب والأحرار في مصر وخارجها أن يتوحدوا صفًّا واحدًا في مقاومة هذه المنظومة المجرمة، مستخدمين الوسائل المناسبة؛ كالعصيان المدني وغيره لتطهير البلاد من طغيان الانقلابيين وجرائمهم، والانتصار لدماء الشهداء، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

بيان من الإخوان المسلمين بخصوص (بيان نداء الكنانة):

في اليوم التالي لصدور بيان نداء الكنانة، قامت جماعة الإخوان بشكل رسمي بإصدار بيانٍ آخر تؤيد فيه ما جاء في بيان الكنانة، وتثمن الجهد الذي قام به هؤلاء العلماء – في زعمهم – في سبيل بيان الحق والصدع به، وذلك ليوهموا الناس أن علماء الأمة من ورائهم ومؤيدين لموقفهم، وأن جماعة الإخوان ليس لها علاقة ببيان الكنانة، ولكنها تحترمه وتقدر ما جاء فيه، مع أن المتأمل في كشف أسماء من وقعوا على نداء الكنانة سيجده ما بين منتسب لجماعة الإخوان صراحة، وما بين مؤيد لهم وموافق على منهجهم وسبيلهم، لذا فالبيان لم يأت بجديد، فالأمر في النهاية ما هو إلا **أن دعاة الإخوان يؤيدون جماعة الإخوان، وجماعة الإخوان تشكرهم على ذلك.**

وقد جاء البيان كما يلي:

استقبلت جماعة الإخوان المسلمين بيان السادة الأفاضل علماء الأمة وعنوانه (نداء الكنانة) بكل التقدير والتثمين لهذه النفرة للعلماء في مواجهة جرائم العسكر الانقلابيين في مصر وآخرها أحكام الإعدام بحق الرئيس الشرعي د/ محمد مرسي، ومئات الأبرياء من المصريين الثائرين ضد الطغيان.

لقد قام العلماء بواجب الفتوى الشرعية وبيان الحق في توصيف الحالة الإجرامية للانقلاب الدموي وارتكابه المجازر والاعتقالات وجرائم التعذيب والاغتصاب.

ولقد بَيّن العلماء الواجب الشرعي في مقاومة هذا الانقلاب بكل الوسائل حتى يسقط وتعود الشرعية، وبيّنُوا حق الدفاع الشرعي عن النفس والأعراض والأموال.

والإخوان المسلمون جماعة التزمت بالعمل للإسلام بشموله، وتلتزم بالواجبات الشرعية التي يوجبها عليها الإسلام ولا تتراجع عنها مهما كانت التضحيات.

نحن على ثقة كاملة في نصر الله – تعالى – وفي قدرة الشعب المصري والثوار على إسقاط الإنقلاب، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

٣ - بيان عاجل رقم ٧ من قيادة شباب الثورة:

أُذيع هذا البيان مصورًا على قناة رابعة في الثاني من فبراير ٢٠١٥، والهدف من البيان –كما يبدو– الضغط على العالم الخارجي لسحب اعترافه بالنظام الجديد، فجاءت التهديدات الشديدة للدول الأجنبية والسفارات والقنصليات، وكذلك السياح والدبلوماسيين، وفيما يلي تفريغ هذا البيان:

«**بعد الاجتماعات المتتالية مع الثوار في الميادين قررنا ما يلي:**

١ - إعطاء فرصة لجميع الرعايا الأجانب من جميع الجنسيات الأجنبية والعربية والإفريقية وجميع موظفي الشركات العاملة بمغادرة البلاد فورًا، وتنتهي هذه المهلة بنهاية يوم ١١ /٢٠١٥/٢، وبعدها سيكونون محل استهداف من حركات العقاب الثوري، لذا جرى التحذير والتنبيه.

٢ – جميع الشركات الأجنبية العاملة على أرض مصر أعطيت لها فرصة حتى يوم ٢٠١٥/٢/٢٠ بسحب جميع تراخيصها من مصر وإنهاء أعمالها وإلا ستكون كل مشاريعها محل استهداف من الثوار.

٣ – جميع رعايا السفارات من الدبلوماسيين والسفراء تم إعطاؤهم مهلة حتى يوم ٢٠١٥/٢/٢٨ لمغادرة أراضي الوطن.

٤ – جميع السائحين الراغبين في القدوم إلى مصر عليهم إلغاء رحلاتهم فغير مرحب بهم على أرض مصر في تلك الأيام العصيبة.

٥ – جميع الدول المؤيدة للانقلاب والداعمة له ماديًا وسياسيًا عليها التوقف فورًا عن دعم الانقلاب خلال شهر من البيان وإلا سوف تتعرض جميع مصالحها في دول الشرق الأوسط للاعتداءات الشديدة وما لا يحمد عقباه.

انتهى البيان وعلى الجميع الالتزام بما تم تحديده، ولن يكون هناك أي تنازلات أو رحمة؛ لأن الجميع تسابق نحو انتهاك العرض والمال والجسد، وتعاونوا على قتل الأبرياء واغتصاب النساء وهتك الأعراض واعتقال الآلاف وتشريد ملايين الأسر ونهب أموال الشعب بدون وجه حق».

ثانيًا: التصريحات الرسمية التي صدرت عن قادة الجماعة ومؤيديها:

هناك سيلٌ هادرٌ من التصريحات التحريضية العنيفة التي جاءت على لسان قادة الجماعة في الداخل والخارج، معظمها أذيع في البرامج الحوارية، وبعضها من مقدمي البرامج على قنوات رابعة ومكملين والشرعية وغيرها، وبعضها تدوينات شخصية على مواقع التواصل الاجتماعي.

ذكرنا بعض التفريغات لعدد من المنتسبين إلى الجماعة بشكل مباشر، أو من المحسوبين عليها سياسيًا، وأعرضنا عن ذكر آخرين كُثر مثل: وجدي غنيم، محمد عبد المقصود، محمد الصغير، ممدوح إسماعيل، عصام تليمة وغيرهم حتى لا يزدحم الكتاب بالتصريحات، ولكن كلامهم مسجل عليهم ومنشور أيضًا على شبكة الإنترنت.

١ - **سلامة عبد القوي**[(١)]:

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٧/٤ قال:

«بعد ما (ولاية سيناء) بهدلوا الجيش الصهيوسيساوي (يقصد: الجيش المصري)؛ لأن من يقبل مع هذا الطاغية المستبد فهو مثله، هو مجرم مثله وقاتل مثله، لذلك أنا بقول: متخليش ابنك يروح الجيش، ولو رحت الجيش مترحش سيناء».

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٢ قال:

«احنا بنرصد كل يوم سقطات لناس كنا في يوم من الأيام بنحسن الظن بيهم، وقام بالتعليق على بيان الشيخ محمد حسان بشأن تفجير القنصلية الإيطالية وقال: ألا يوجد في كتاب الله ولا في السنة ما يفضح جرائم العسكر ولا إنتا بقيت شغال بالريموت فإن

(١) مستشار وزير الأوقاف في عهد الدكتور محمد مرسي.

قالوا لك تكلم تتكلم وإن قالوا اسكت تسكت، ولا مانع من أن تدعي المرض لكي تبرر به سكوتك؟ ثم قال: الإسلام بريء من كل شيخ باع آخرته بدنيا غيره، الإسلام بريء من كل شيخ استخدمه الحاكم ألعوبة في يده»، وله كلام مشابه لذلك أيضًا ولا يقل عنه في القبح في فيديو آخر بتاريخ ٢٠١٥/٧/١١.

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٤/١١/٢٢ قال محرضًا على قتل رجال الشرطة:

«الواجب على كل الشرفاء الأحرار أن يطهروا مصر من هؤلاء الفسدة الخنازير ولتقطع أيدي رجال الشرطة وأرجلهم فيجوز لكم شرعًا أن تقطعوا أيديهم وأرجلهم، هذا حكم الله ﷻ في هؤلاء، ومن الآن انتهى زمن السلمية.. فقد أمهلناكم كثيرًا يا خنازير الانقلاب»!

٢ - الاعلامي محمد ناصر[١]:

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/١/١٠ يوجه محمد ناصر سؤالاً لسلامة عبد القوي: هل يجوز لو أنَّ حد تأثر بكلامك دلوقتي يروح يقتل السيسي ويخلصنا منه؟ فرد عليه:

«اللي يعرف يعمل كده فهذه قربة يتقرب بها إلى الله، وإن قُتل فهو شهيد، وكذلك كل القادة المجرمين».

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢:

«أنا بقول لزوجة كل ضابط وابن كل ضابط: خلي بالك جوزك حيموت، ولادك حيتيتموا، وأنا بقولك: العيال ديه (يعني: الثوار) رصدت الضباط في مصر، والعيال ديه حتقتل الضباط في مصر، ومن قتل يُقتل ولو بعد حين، والعيال المرة دية ناوية على جريمة، مفيش بقا سلميتنا أقوى من الرصاص والجو البلدي ده، العيال رصدوا عناوين الضباط وأسرهم وزوجاتهم وأولادهم وأقربائهم، الدور اللي جاي العنف حيبقى جوا بيوت الضباط».

---

(١) خريج كلية الفنون الجميلة، واشتغل في العمل الروائي السينمائي والمسرحي، وقام بكتابة العديد من المسرحيات والأفلام، انتقل بعد الثورة للعمل في قناة «أون تي في»، ثم تركها وانتقل إلى قناة المحور الفضائية، وبعد أحداث ٦/٣٠ سافر إلى تركيا وقام بإذاعة حلقاته من خلال قناة الشرق الفضائية التابعة لجماعة الإخوان.

٣ - أشرف عبد الغفار[(١)]:

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٧/٤ردًا على سؤال من المذيعة: هل سيتخلى الإخوان عن السلمية؟ فقال:

نحن لا نتحدث عن السلمية المطلقة ولا عن المواجهة المطلقة، وذكر أن هناك درجات من السلمية؛ هناك عمليات نوعية على سبيل المثال **تفجير محطات الكهرباء، وعندما استهجنت المذيعة اعتبار أن تفجير محطات الكهرباء درجة من السلمية وأن هذه مرافق عامة لها انعكاساتها على المواطن المصري العادي،** أكد على ذلك مرة ثانية، وقال المواطن المصري العادي الذي رضي أن يعيش تحت ظل السيسي يستحق الظلام».

في اتصال هاتفي مع سلامة عبد القوي بتاريخ ٢٠١٥/٧/١١قال:

«لا نقول سلميتنا أقوى من الرصاص، ولا أن السلمية أمر مطلق، ولا أن السلمية ثابت من ثوابت الجماعة، ولكن السلمية درجات، وهنا أصبحت السلمية أي شيء يحدث ما دون القتل؛ فقطع الطريق سلمية لأني أريد أن أضعف هذا الكيان، إذا أحرقنا سيارة شرطة فهذا ليس عنفًا، إذا أحرقنا سيارات جيش كذلك؛ فهذا ليس جيش مصر ولا شرطة مصر، هذا الجيش تحول إلى جيش عميل يعمل لدى إسرائيل وعقيدته حماية إسرائيل ضد شرفاء مصر وشرفاء العالم العربي والإسلامي، إذًا هؤلاء لا قيمة لهم عندنا ولا ثمن لهم عندنا ولا يستحقون أي شيء، فلماذا لا أروعه ولا أخوفه؟! ولماذا لا أدعو إلى عصيان مدني تُشل به القاهرة وما حولها؟! كفانا الحديث عن سلمية عمياء».

٤ - عمرو عبد الهادي[(٢)]:

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٢/٢ يسأله الإعلامي محمد ناصر: هل ترى أن ضرب برج كهرباء يعد عملاً نوعيًا أم عشوائيًا؟ فأجاب:

«**أن هناك خطة بنت** قالتها وهي أن يتم حرق كل محولات الكهرباء في لحظة واحدة

---

(١) أحد قيادات جماعة الإخوان بالخارج، وتقلد منصب الأمين العام المساعد لنقابة الأطباء، وقد حصل على حكم غيابي بالسجن المشدد خمس سنوات في قضية التنظيم الدولي للإخوان، وقد أصدر الدكتور محمد مرسي عفوًا رئاسيًا بعد توليه الرئاسة عن عدد كبير من قيادات الجماعة بالخارج كان منهم د/ أشرف عبد الغفار، وعاد على إثر ذلك إلى مصر.

(٢) عضو مؤسس بجبهة الضمير – عضو التحالف الوطني لدعم الشرعية.

في مصر كلها، وأن الثورة الإيرانية كانت بتقول إن السلمية أقوى من الرصاص، لكن بعدها قامت بعمليات نوعية ضد السلطة، وقامت بحرق المنشآت وقطعت الطرق، وقال إنه يرى في العمليات النوعية بعدًا جديدًا؛ وهو أن الدولة مركزة في حماية المنشأت الشرطية وغيرها، ولكن أنا حروحلك على المستثمر».

٥ - جمال عبد الستار[1]:

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٨سأله المذيع: لماذا لم يتم منع الشيخ السديس من الإمامة بالحرم المكي [2]؟ فقال:

«الشيوخ اللي بيشتغلوا بالطلب وبيدعوا بالطلب لا يشغلونا، الشيوخ اللي بيقولوا على أهل الشرعية أنهم إرهابيين ثم يدعو على الطغاة المستبدين عشان الدنيا اتغيرت لا يلزمونا؛ فهذا قد خالف القرآن الذي في صدره وخالف العلم الذي ينتسب إليه، وكذب على الله وعلى رسوله، لو قال ما قال فلا قيمة له ولا مكانة له» وأكد أنه يقصد كل الشيوخ الذين مشوا على هذه الطريقة والسديس نموذجًا لذلك.

٦ - صابر مشهور[3]:

في فيديو تم نشره بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٢ قال:

«توصيف الجيش المصري العلمي والدستوري والعسكري أنه ميليشيات، والناس بتقول بلاش تسرحوا ميليشيات العسكر عشان لا نكون مثل العراق وسوريا **ثم يرفع يديه إلى السماء ويدعو: يا رب يا رب نكون زي العراق وسوريا يا رب»**.

٧ - أكرم كساب[4]:

في برنامج على قناة رابعة يقدمه محمد القدوسي مستضيفًا في الحلقة الأستاذ أكرم

---

(١) وكيل وزارة الأوقاف في عهد الدكتور محمد مرسي.

(٢) الحقيقة أن قصة منع الشيخ السديس من الإقامة بالحرم كذب وافتراء الغرض منه تشويه صورة الشيخ؛ لأن بياناته وتصريحاته لا تروق لهم خصوصًا فيما يتعلق بالأحداث الراهنة، والعجيب في ذلك أنهم يكذبون الكذبة ثم ينسجون حولها قصصًا وأوهامًا من عنديات أنفسهم.

(٣) كان يعمل صحفيًا لدى جريدة الشروق، ثم عمل كإعلامي في قناة الجزيرة مباشر مصر، ثم انتقل إلى قناة مصر الآن.

(٤) أحد دعاة جماعة الإخوان – الأمين العام لرابطة تلاميذ القرضاوي.

كساب، وفي اتصال هاتفي من شخص يتساءل ببراءة في جواز (تفجير) شخص لنفسه وسط أهل بيته في حال وصول الشرطة للبيت للقبض عليه، فرد عليه قائلًا:

«يجوز ذلك، وهذا لا يعد انتحارًا، وأنه سيكتب شهيدًا عند الله، وأن هؤلاء الشرطة لا يجوز فيهم إلا (القتل)».

٨ - **المستشار محمد عوض**(١):

وجه المستشار محمد عوض في بيان له نشرته جريدة المصريون بتاريخ ٨ نوفمبر ٢٠١٤ الدعوة لشباب الإخوان المسلمين لحمل السلاح خلال تظاهراتهم ومسيراتهم، مشيرًا إلى أنه لابد من تكملة المظاهرات التي وصفها بالفاعلة، وحمل السلاح لحماية أنفسهم ضد البلطجية ووزارة الداخلية، وأكد «عوض» خلال لقاء له على فضائية «مكملين» أنه لابد أن يعتدوا على من يعتدي عليهم، ويقتلوه قبل أن يقتلهم حتى يكسروا النظام ويعيدوا الدكتور محمد مرسي.

وقال محمد عوض: إن السلمية التي رفعها «الإخوان المسلمون» شعارًا لهم لن تسقط ما سماه «الانقلاب» ولو بعد مائة عام، في تكرار لدعوته التي أطلقها قبل أيام للتحول من «السلمية» إلى «الجهاد» ضد السلطة الحالية في مصر، وأضاف عوض عبر صفحته على موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»: «بعد ارتقاء شهيدين (برصاص الأمن خلال مظاهرات أمس) أقول بكل صراحة ووضوح أن السلمية بكافة أنواعها لن تسقط الانقلاب العسكري ولو بعد مائة عام إلا بالدفاع الشرعي والجهاد الحقيقي وبكافة الوسائل الممكنة».

٩ - **محمود فتحي**(٢):

كتب محمود فتحي على صفحته الشخصية بالفيس بوك تحت عنوان: «الثورة الساخنة» بتاريخ (٢٦/٤/٢٠١٤) ما يلي:

---

(١) عضو المكتب التنفيذي لحركة قضاة من أجل مصر.

(2) (https://www.facebook.com/Mahmood.M.Fathy).

رئيس حزب الفضيلة، والقيادي في «تحالف دعم الشرعية» والمنسق العام للتحالف الثوري، الذي يضم حركات المقاومة الشعبية، والقنص الشرعي، وثوار بني سويف، ومجهولون».

«أولاً: التكتيكات الساخنة:

إن تغيير الأدوات والتكتيكات والأساليب والأهداف والمراحل والخطط المقاومة يعطي نتائج مبهرة، وهذا ما نسميه «الثورة الساخنة».

إن المظاهرات السلمية «والتي لا تمتنع عن الدفاع عن نفسها، بل وتهاجم المعتدين عليها» لا يمكنها القضاء على عصابات الانقلاب فضلًا عن إسقاط دولة مبارك العميقة واقتلاعها من جذورها.

الحل إذًا في وجود مظاهرات على مدار اليوم بلا انقطاع، ثوار يعملون بالوردية؛ حيث تقسم المظاهرة الواحدة إلى ٣ مظاهرات متتابعة التوقيت، حتى يظل الشارع ساخنًا، مع استهداف مناطق الضعف في قوات الأمن؛ حيث يتم تعويض «النقص العددي» في المظاهرات بـ«الزيادة النوعية» في تأثيرها، وبهذا يتحقق أمران؛ أولهما: النجاح الفعلي في إيقاع خسائر في قوات الأمن مع تقليل الخسائر في صفوفنا، وثانيهما: إلجاء الداخلية وعصابات البلطجية إلى الدفع بأعداد كبيرة من القوات منعًا لفتك الثوار بهم مما يعجل بالقضاء على شرهم.

ولا ننسى أبدًا:

١- أن هيكلة ٥ آلاف مجموعة ثورية مكونة من ١٠ أفراد موزعة على عموم محافظات ومراكز الجمهورية خير من وجود مئات المظاهرات كل مظاهرة قوامها ٥٠ ألف فرد مع حتمية استمرار المظاهرات والتصعيد فيها أيضًا.

٢- أن كل مؤيد للثورة سينزل في هذا اليوم، وبعد أن كان ينزل بعض الثوار بعض الوقت سينزل كل الثوار كل الوقت إن شاء الله.

٣- أن كل من معه وسيلة تصعيدية سيستخدمها ولا ينتظر تصعيد الآخرين، بل الجميع سيصعد في وقت واحد إن شاء الله ولا ينتظر أحد أحدًا.

٤- أن كل الحركات الثورية المشكلة حديثًا أو القائمة ستحدد في ذلك اليوم أهدافًا ثورية تصعيدية تفاجىء بها دوائر الانقلاب الثلاث من عسكر كامب ديفيد وداخليته وبلطجيته.

ثانيًا: الأدوات الساخنة:

ندرك جيدًا أن جسد الدولة العميقة قد اكتسب مناعة من المظاهرات السلمية بعد تجربة طويلة منذ ٢٥ يناير ٢٠١١، لكن هذا لا يعني أن الحراك الحالي غير مؤثر أو مؤلم في جسد الدولة ورأس الانقلابيين.

إن الحراك الحالي غير كاف لإسقاط الانقلاب، لكنه من العوامل المهمة فيه، ثم مع استمراره وتصاعده كما هو صائر الآن في الشوارع والميادين سيأتي اليوم الذي يتم فيه التصعيد الثوري الحقيقي منكم وبكم ولكم.

تصعيد أيام قبل الموجة الثورية ثم استمرار التصعيد بعدها كافٍ لإصابة الانقلاب إصابة بالغة ينزف بعدها حتى الموت.

وهذه ستة أمور لازمة للحراك الثوري ينبغي أن يحفظها ويعمل عليها الجميع:

أولاً: الحفاظ على الحراك اليومي في الشوارع والميادين مع زيادة الأعداد والأماكن؛ فهو الوسيلة الأولى لإرهاق الانقلابيين وقض مضاجعهم.

ثانيًا: موجات ثورية تصعيدية على غرار ٣٠ أغسطس و ٦ أكتوبر و ٢٧ ديسمبر و ١٩ مارس يستشعرون بها زلزال الأرض من تحت أرجلهم، ينبغي في هذه الموجات الآتي:

١- هل تذكرون مولوتوف عصابات المخبرين والبلاك بلوك وجبهة الإنقاذ حين كانوا يعتدون على المقرات والمساجد؟!! ماذا لو تم استخدامه من نفس العصابات؟!!!

٢- هل تعرفون حرق الكاوتش وتأثيره في غلق الشوارع، ماذا لو فعلوا ذلك أيضا؟!!!

٣- البوية الملونة في زجاجات أو بلالين على زجاج السيارات والمدرعات تمنع الرؤية تمامًا، كيف ستتحرك السيارات مع انعدام الرؤية؟!!!

٤- المسامير مع عجينة السيراميك مؤذية جدًا لكاوتش سيارات البلطجية والانقلابيين.

٥- قنابل الصوت في زجاجات بلاستيك لها تأثير كبير في تفريق صفوف البلطجية.

٦- إلقاء زيت سيارات مستعمل على الأسفلت ومطالع ومنازل الكباري.

ثالثًا: استمرار الموجة الثورية لأكثر من ٣ أيام متواصلة؛ لأن الموجات الثورية ذات اليوم الواحد منهكة لقوى الأمن لكنها تعطيه فرصة الراحة والتقاط الأنفاس، أما استمرار الموجة الثورية لعدة أيام فكافٍ لكسر الداخلية وبلطجيتها خاصة إذا رتبنا أن الحراك الثوري يكون على ورديات من الثوار.

رابعًا: التصدي وبمنتهى الحسم لكل اعتداء خاصة من قبل البلطجية؛ فسلميتنا تشتمل على أن نصد العدوان في جميع الأعراف والقوانين والدساتير وقبلها تأمر به الشرائع، وهذا كفيل بتحييد هؤلاء المجرمين وبقاء الداخلية وحدها في المقدمة.

خامسًا: تنظيم وترتيب لجان شعبية في المناطق والقرى والمراكز والمحافظات المختلفة لحفظ الأعراض والأموال والأنفس أولًا ثم لتولي زمام الأمور مع كسر الانقلاب ثانيًا.

سادسًا: ثورتنا لم تستنفذ كل وسائلها الموجعة بعد؛ فهناك العديد من الوسائل يمكننا انتهاجها ولنا في ثورات الشعوب المختلفة أسوة (سننشر هنا تباعًا أفكارًا تصعيدية مهمة).

ثالثًا: الأهداف الساخنة:

إن معرفة هذه الأهداف يوفر الكثير من الوقت والجهد على الثورة والثوار كما يوفر قدرًا كبيرًا من الأمان، بالإضافة للتأثير الكبير على الانقلابيين وميليشياتهم وأدواتهم من القضاء والإعلام، ومموليهم من رجال الأعمال الفاسدين والشركات المتعددة الجنسيات الموجودة؛ لكي تزداد معاناة المحتاجين والمطحونين من أبناء هذا الشعب.

أهم هذه الأهداف على الإطلاق أن نصل إلى العصيان المدني الكامل والشلل التام في مرافق النظام الفاسد المجرم ومؤسساته وشوارعه وطرقه والموانئ والمطارات والمواصلات، مع ملاحظة أن هذا يستوجب التكافل الاجتماعي التام بين أفراد الحراك جميعًا، لكن هذا لا يمنع من البدء بالتعطيل الجزئي والاستهداف التراكمي والمتصاعد لما يلي:

١ - أولًا: أهداف منظومة الفساد الاقتصادي (الشركات المتعددة - الإقطاعيون الجدد).

٢ – أهداف أدوات الفساد (القضاء – الإعلام).

٣ – أهداف ميليشيات الانقلاب (العسكر – الداخلية – البلطجية).

١٠ـ أحمد المغير وسرية طيبة مول :

كتب أحمد المغير أحد كوادر شباب الإخوان على صفحته الشخصية شهادتَه على وجود السلاح في اعتصام رابعة، وعلى وجود كتيبة مجهزة بالسلاح ومدربة تدريبًا عاليًا، كانت متمركزة في جزء محدد من الاعتصام، خلف طيبة مول، يقول المغير :

«في السطور الجاية أنا هحكي لأول مرة رابعة اللي أنا حضرتها يوم ١٤-٨-٢٠١٣، حكاية متحكتش من آلاف الحكايات بس حكاية مختلفة تماما، حكاية نقطة مضيئة وسط عتمة الدخان وأزيز الرصاص يومها، حكاية غيَّرت حياتي للأبد وما زالت بتغير كل ما بفتكرها، حكاية «**سرية طيبة مول**».

نبدأ باسم الله

هل اعتصام رابعة كان مسلحًا ؟

الإجابة ممكن تكون صادمة للكثيرين : أيوه، كان مسلحًا...أو مفترض أنه كان مسلحا، ثواني بس عشان اللي افتكر أنه كان مسلحا بالإيمان أو عزيمة الشباب أو حتى العُصيان الخشب، لا، اللي بتكلِّم عليه: الأسلحة النارية (كلاشات، وطبنجات، وخرطوش، وقنابل يدوية، وملوتوف) ويمكن أكثر من كده، كان فيه سلاح في رابعة كافي أنه يصد مجرمي الداخلية ويمكن الجيش كمان إلا أن قبل يوم المجزرة بيومين كان ٩٠٪ من السلاح ده خارج رابعة، خرج بخيانة من أحد المسؤولين من «إخوانا اللي فوق» بس دي قصة تانية هحكيها في يوم تاني إن شاء الله.

ليه بدأت البداية الغريبة الصادمة المفاجئة دي؟ لأنها مهمة جدا لرواية الأحداث اللي حصلت في أسوَد يوم مرَّ على مصر في تاريخها الحديث...والقديم

طيبة مول ....المكان ده كان عارفينه أهل رابعة على أنه المكان اللي وراء طيبة مول المطلّ على شارع أنور المفتي، المكان ده كان مميزا جدا وكان مشهورا على أنه مكان إقامة



«الجهاديين»، مكان بيرفض الظلم وبينصر المظلوم وبيقول الحق، الحق كله مش جزء منه وبيعلن مواجهة عقائدية سليمة بين حق وباطل لا ديمقراطية ولا تعددية ولا حزبية ولا الكلام ده كله، رجالة أو سرية طيبة مول ليهم حكايتهم الخاصة هما كمان وغالبا هيفْضلوا مجهولين للأبد في الأرض لكن حسبهم أن الله يعرفهم في السماء.

قبل المجزرة بأيام كان تقريبا فيه كل يوم إشاعة عن الفض، كانت حرب نفسية **عشان لما يجي يوم الفض نفسه الكل يبقى مسترخي ويفتكرها إشاعة كالعادة**، زي ما قلت من شوية معظم السلاح في رابعة كان تم إخراجه بخيانة حصلت، ولم يتبقَّ إلا سلاح سرية طيبة مول اللي كانوا جايبينه بفلوسهم الخاصة ومكنش لحد سلطان عليهم إلا الله، بعد شوية هتعرف **أن الاعتصام ده لم يكن بالإمكان فضه نفسه نهائيا لو كان سلاحه فضل فيه** بس الهزيمة كانت من الخونة داخلنا...وما زالت.

يوم الفض كنت موجودا مع شباب طيبة مول، مكنتش شخصيا مسلح ولا عارف أي حاجة أكثر من أن فيه سلاحا، وأن مفروض فيه خطة مواجهة إذا حصل اقتحام، الساعة ٦ صباحا تقريبا بدأ الاقتحام من جهة شارع أنور المفتي وشارع الأتوستراد من جهة طيبة مول، ٥ دقائق غاز وبعدها بدأ الرصاص الحي مباشرة، انهارت خطوط الدفاع اللي الإخوان كانوا مسؤولين عنها طبعا خلال ربع ساعة، الخطوط اللي اتسحب سلاحها قبلها بيومين واتسابت في مواجهة ظالمة جدا مع شرطة وجيش وبلطجية بدون أخلاق أو ضمير أو دين، **بدأ الشباب في طيبة مول بالرد على الرصاص برصاص**، كنا متحصنين في المبنى اللي وراء طيبة مول، قوات الاحتلال مقدرتش تقتحم النقطة بتاعتنا لكنها اكتسحت أنور المفتي والأتوستراد، وبدأت تتقدم واحنا في النُّص، مع كل دقيقة الحصار بيطوقنا والشباب بيجري كله ناحية المنصة والغاز والرصاص في كل مكان في لحظات تشعر فيها فعلا أن القلوب بلغت الحناجر، وتبدأ تفكر بشكل تلقائي أنك تمشي مع الجموع حتى لو بدون خطة واضحة، وحدهم شباب طيبة مول ثابتين جدا ومتوزعين بيقاوموا بكل قوة غير عابئين باللي بيحصل، الحصار قرب يبقى كامل

والكل بيجري، بدأت أكلم الشباب إننا هنتحاصر ولازم نتحرك فورا فأُقابل بابتسامة وثبات عجيب، بصيت باتجاه المنصة وهممت أني أسيبهم وامشي لكن التفت ورايا وشفت منظر لا يمكن أنساه أبدا، **اللي ماسك آلي واللي ماسك خرطوش واللي بيغسل وش الشباب بالخل واللي بيولع ملوتوف** فقلت لنفسي أنا مش ممكن أبدا هقدر ابص في المراية بعد النهاردة لو سبت الشباب دول ومشيت وقررت أني أرجع وافضل معاهم ويكون مصيري من مصيرهم، حزمت قراري ورجعت تاني للمكان اللي كنت فيه وأنا موقن أن ده قرار موتي اللي ذهلت في نهاية اليوم أن ده كان قرار حياتي وأني لو كنت اتحركت ناحية المنصة كنت هكون قتيل أو أسير، الشيء اللي هزني تماما وخلاني أعيد التفكير في كل شيء في حياتي وآخد طريقي اللي أنا فيه النهاردة.

بعد عشر دقائق اتحاصرنا بالكامل وأيقنت النهاية فكلمت والدتي ووالدي أودعهم وأحكي ليهم اللحظات الأخيرة ليا ... وللحديث بقية»[1].

وقد خرج المغير بعدها على قناة الشرق في مداخلة مع الأستاذ هيثم أبوخليل ليؤكد ما قاله على صفحته.

ثالثًا: الصفحات الرسمية التابعة للجماعة وتدوينات شباب الإخوان عليها:

على الرغم من أن الصفحات الرسمية التابعة لجماعة الإخوان مليئة بما لا يُحصى من التجاوزات والانحرافات إلا أننا آثرنا عدم النقل عنها لأنها تحتاج لصورة ضوئية حتى لا يُطعن عليها من حيث المصداقية، إلا أن هناك ملامح متكررة وظاهرة في هذه الصفحات منها:

♦ عدم التورع عن نشر الفحش والبذاءة والفضائح بكل أنواعها نكايةً في خصومهم؛ مثل ما قامت به الصفحة الرسمية لحزب الحرية والعدالة من نشر فيديو إباحي لمدرب الكاراتيه في القضية المعروفة وقتها بمدرب المحلة، وكانت صفحاتهم

---

(١) صفحة أحمد المغير على الفيس بوك، بتاريخ ١٤ أغسطس ٢٠١٦م.
https://www.facebook.com/ElmoghirOfficial/posts/231229950611012

تتناقل هذا الفيديو نكايةً في صاحبه لما قد قيل عنه أنه كان مسئول الحملة الانتخابية للسيسي في المحلة.

♦ ملمح آخر تجده على هذه الصفحات؛ وهو اتباع أسلوب السب والقذف والاتهام في الأعراض والرمي بالعمالة والخيانة لكل من خالفهم أو انتقدهم أو حتى لم يُظهر تأييدًا لمنهجهم وطريقتهم، ولا يفلت من هذه الحملات المسعورة أحد مهما كانت منزلته وقدره، وحتى لو كان من رموز الجماعة في يوم من الأيام، والأمثلة على ذلك كثيرة.

♦ كذلك تجد التهكم والسخرية من كل مخالف، مع نشر الإشاعات والأخبار المكذوبة لنشر الذعر وإشاعة روح الإحباط واليأس، ولا أدل على ذلك من نشر الأراجيف عن الجيش المصري في مواجهته مع المتطرفين في سيناء، وأن المجاهدين في سيناء أوقعوا بالجيش المصري، وأن سيناء خرجت عن سيطرة الجيش وغيرها.

♦ الأخطر من ذلك كله هو تبني عمليات العنف التي تتم على الأرض من هجوم مسلح على نقاط شرطية، أو تفجيرات في أماكن حيوية أو في الطريق العام، أو تفجير لأبراج الكهرباء، وغيرها من العمليات الإجرامية التي إما أن يعترفوا بها أو يروجوا لها أو يؤيدوها، فضلًا عن ظهور ما يُسمى بحملات العقاب الثوري التي تنتقم من الخونة والعملاء على حد تعبيرهم، وهذه بعض الأمثلة اليسيرة لا على سبيل الحصر:

راديو ميدان Radiomidan 1[1]:

عاجل حصيلة المقاومة الشعبية اليوم فقط:

- العقاب الثوري تتبنى هجوم مسلح على نقطة شرطة عرب جهينة بشبين القناطر وتفجير عبوة ناسفة بها.

- المقاومة الشعبية ببني سويف تتبنى حرق برج لشبكة موبينيل.

---

(1) (https://www.facebook.com/radiomidan?fref=nf. بتاريخ ٢٠١٥/٢/١٠)

– العقاب الثوري بالإسكندرية تتبنى تنفيذ سلسلة تفجيرات بأقسام رمل أول ومنتزه أول ومنتزه ثان.. وخبراء المفرقعات يبطلون مفعول ٣ قنابل بمحيط مديرية أمن الإسكندرية.

– حركة العقاب الثوري في بني سويف تنسف سيارة الضابط محمد عصام معاون مباحث قسم بني سويف أمام منزله ردًا على اعتقاله لثلاث فتيات من مدينة بني سويف.

– مجهولون يضرمون النار في عدة حافلات مملوكة لبنك الإسكندرية بمنطقة كفر عشري غرب الإسكندرية.

– العقاب الثوري بالقليوبية تتبنى ثلاثة تفجيرات خلال ساعة واحدة فجر اليوم بمركز شرطة الخانكة ومحكمة الخانكة، وتوقع عدد من الإصابات في صفوف الضباط والجنود.

– حركة العقاب الثوري بأبي كبير تتبنى استهداف نقطة شرطة الرحمانية فجر اليوم بالرصاص الحي وإصابات في صفوف شرطة الانقلاب.

– العقاب الثوري تعلن مسئوليتها عن استهداف موكب أمني فجر اليوم بمنطقة سيكلام شرق الإسكندرية ما أسفر عن تدمير إحدى المركبات الشرطية وإصابة ٣ جنود.

– العقاب الثوري تتبنى هجوم مسلح على حملة أمنية بطريق أبشواي العجميين بمدخل عزبة جبر بالفيوم وتصيب عددًا من أفراد الحملة بشكل مباشر.

– المقاومة الشعبية تحرق موتوسيكل شرطة فجر اليوم بشارع الهرم.

– المقاومة الشعبية تحطم سيارة شرطة بشارع المحطة فجرًا بالجيزة والضابط والجنود يهربون.

– المقاومة الشعبية تقطع دائري الوراق قبل فجر اليوم.

– المقاومة الشعبية بسيناء تقطع الطريق الدولي بالقرب من الساحة الرياضية لوزارة الدفاع بمركز بئر العبد.

حرب الستين يوم[1] **:**

أعلنت الصفحة عن حرق محلات دادي للفطائر بشارع جميلة أبو حريد بالإسكندرية، واتهمته بأنه كان يقوم بتسليم المتظاهرين للجيش والشرطة، مع العلم أن هذا الهجوم تم قبيل الفجر وتم إضرام النيران في المحل بمن فيه من العمال مما أدى إلى إصابتهم بحروق شديدة أوشكت أن تودي بحياتهم.

Ultras Hazmian[2] **:**

أعلنت الصفحة عن حرق محل أبو فارس السوري بالإسكندرية، واتهمته بأنه كان يقوم بتسليم المتظاهرين للشرطة وتتوعد الحركة بالرد القوي على كل من يتعرض للمتظاهرين بالسوء.

رابعًا: أعمال العنف التي صدرت عن الجماعة:

الاتهام يثبت بعدة طرق إما عن طريق الاعتراف، أو عن طريق الضبط أثناء الفعل، أو الضبط بعد انتهاء الفعل وتكون هناك قرائن أو شهود يثبتون الفعل على صاحبه، والأنواع الثلاثة السابقة متوفرة في الحوادث التي قام بها الإخوان، إلا أننا سنكتفي بأكثرها وضوحًا وثبوتًا، وهو القسم الذي يُضبط متلبسًا أثناء مزاولة الفعل أو بعده مباشرة.

وقد أجاد الشيخ غريب أبو الحسن حينما قام بجمع بعض الحوادث التي ثبت ثبوتًا يقينيًا أن من قام بها أعضاء من جماعة الإخوان معروفون للقاصي والداني؛ فذكر في بحث له بعنوان: «منحنى العنف الصاعد عند الإخوان المسلمين... هل يعود بهم للسلطة؟ «نشره موقع أنا السلفي، يقول فيه:

«وقبل أن نرصد منحنى العنف المتسارع عند الإخوان المسلمين، وحتى ننطلق مِن أرضية مشتركة؛ دعونا أولًا نجيب على هذا السؤال: هل مَن يقوم بالتفجير وإراقة دماء المصريين هم جماعة الإخوان المسلمين؟!

---

(1) https://www.facebook.com/60day بتاريخ ٢٠١٤/٢/١٥

(2) https://www.facebook.com/SalahAbuIsmail?ref=stream بتاريخ ٢٠١٥/٢/١

أعلم أن هذا السؤال سيثير استهجان الكثير «وخاصة المقيمين داخل الوطن ولهم دراية بالواقع»؛ وما ذاك إلا لأن هناك مَن لا يزال يحيا في العالم الموازي ويخشى أن يصارح نفسه بالحقيقة؛ فتنهار بيْن يديه مظلومية قطع بسببها أرحامه، وخسر أصدقاءه، وسبَّ مَن علَّمه، وأهان مَن أكرمه!

لا بأس دعونا نتنزل ونحصر «بعض الوقائع الواضحة والدامغة»، ولن ألجأ لوسائل الإعلام على كثرة ما بها، ولن ألجأ كذلك إلى الفيديوهات التي تبثها وزارة الداخلية لاعترافات اللجان النوعية الذين تم القبض عليهم، واعترفوا بالتفجير والتخريب، واعترفوا بتبعيتهم لجماعة الإخوان المسلمين، وسأكتفي ببعض الوقائع التي انفجرت فيها «القنابل» في زارعيها أثناء زرعها، أو تلك الوقائع التي استطاع فيها الأهالي الإمساك بمن قاموا ببعض عمليات التخريب والإتلاف للممتلكات العامة أو الخاصة.

ففي محافظة «الإسكندرية»:

- في شارع «الشركة العربية» في قسم ثاني الرمل، وبينما كان «محمد أحمد عيسي محمود خلف» (٢٩ عامًا ومقيم في سيدي جابر)، و«محمد السيد عبد العظيم قاسم» (صاحب ورشة تبريد وتكييف)، و«عليّ عاطف التهامي» (مقيم في قسم ثاني رمل) - بينما كانوا جميعًا يستقلون سيارة بيجو انفجرت فيهم قنبلة قبل زرعها؛ مما أدى إلى مصرع الأول، وإصابة الثاني والثالث إصابات بليغة، وهم معروفون بانتمائهم لجماعة الإخوان المسلمين عند كل المحيطين بهم مِن إخواننا وغيرهم.

- وفي منطقة «الورديان» أمسك الأهالي بـ«عاطف نعمان» (٢٨ سنة مِن كوادر الإخوان بمسجد الهدى بطابية صالح بالمفروزة بمينا البصل) بعد أن أحرق الترام «المترو» بصينية الورديان، وسلموه للشرطة بعد أن أوسعوه ضربًا.

وفي محافظة «المنوفية»:

انفجرت قنبلة في «أحمد عبد العظيم الكردي» (وهو مِن الكوادر الإخوانية مِن



قرية فيشا الكبرى مركز منوف) بينما كان يحاول زرعها بجانب محول مجاور لمطحن سرس الليان، فحوله الانفجار إلى أشلاء.

وفي محافظة «البحيرة»:

في مركز «كرداسة» انفجرت قنبلة داخل شقة تقع أمام مسجد عتابي فأدت إلى مصرع «فتحي سمير» في الحال، وإصابة «عبد الرحمن أحمد هلال»الذي تُوفي بعد ذلك، وهو طالب بكلية طب ووالده من كبار قيادات الإخوان بكرداسة، وكل منهما منتمٍ لجماعة الإخوان.

وفي محافظة «الشرقية»:

في مركز الإبراهيمية خلف المطافي بجوار محول كهرباء انفجرت قنبلة في كل مِن «مصعب عبد الكريم هنداوي» (١٩ عامًا ويقيم بقرية الخضارية، وهو طالب بالفرقة الأولى حقوق الزقازيق)، و«جهاد أحمد أبو الروس» (٢٤ عامًا مِن عزبة المطاوعة)، و«محمد حمد الله»(١٩ عامًا، دبلوم صنايع من قرية الحلوات)، انفجرت فيهم القنبلة أثناء قيامهم بزرعها، وجميعهم أبناء قيادات إخوانية، وهم أيضًا متابعون لآبائهم في نفس الانتماء.

وفي محافظة «قنا»:

بينما كان «محمد حامد فهمي» -يعمل في الجمعية الزراعية-، و«حسن حمادة فهمي» وهما مِن كوادر الإخوان المسلمين وأبناء عمومة مِن قرية العربات مركز نقادة - يقفان أمام المحكمة؛ فانفجرت فيهما قنبلة كانا يحملانها أدت لبتر ذراع أحدهما، وحاول الآخر الفرار، ولكن تمكنت الشرطة مِن اللحاق به.

وفي محافظة «أسوان»:

وقع انفجار كبير أطاح بشرفة وأثاث مكتب «هاي تك» لبيع وصيانة الكمبيوتر، والموجود بشارع المركز في إدفو، والذي يملكه الإخوانيان: «محمود ربيع علي حسن» (٢٧ سنة، بكالوريوس هندسة كهربية، مقيم بشارع الجيش - إدفو).

و«صلاح عبد الحق عبد الكريم» (٢٥ عامًا، بكالوريوس هندسة، مقيم بالكروم بحري إدفو)، وقد حدث ذلك الانفجار يوم الأربعاء (١١-٢-٢٠١٥م) في الساعة السادسة بعد صلاة المغرب، وتجمع الأهالي بعد الانفجار، وكان معهم «صلاح عبد الحق»، وكان منهارًا وباكيًا وهو يقول: «إن صديقي موجود بالمكتب!»، وألقت الشرطة القبض عليه بينما وجدوا جثة «محمود ربيع» بالمكتب، وقد تحول نصفه السفلي لأشلاء.

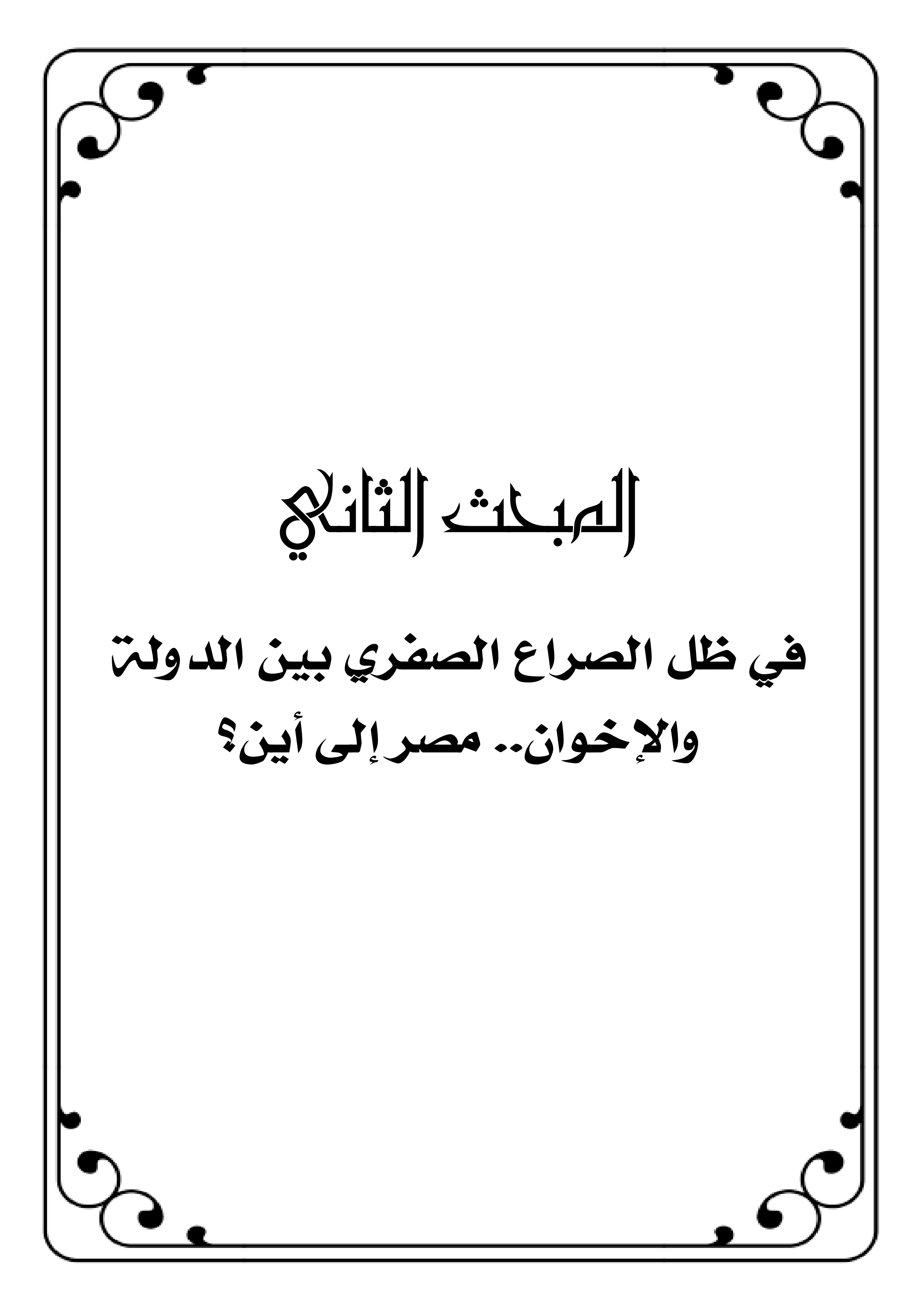
وفي محافظة «المنيا»:

ولعلها مِن أغرب الحوادث وأشدها ألمًا، وترجمة عملية للنظر للمجتمع أنه مجتمع جاهلي، أو الاعتقاد أن هؤلاء الناس ما هم إلا كتلة متميعة لا يحكم لها بإسلام أو كفر! ومِن ثَمَّ يتهاون في دمائهم؛ ففي «مسجد الشريعي» والواقع في شارع أبو زهران مركز سمالوط، قام كل مِن «خالد محمد زناتي»، و«محمد أحمد رجب»-وجميعهم من عائلات إخوانية- بزرع قنبلة عند الباب الغربي للمسجد، وزرعوا القنبلة الثانية عند كشك الكهرباء جوار المسجد، أما الثالثة فقد انفجرت فيهم قبل أن يتمكنوا مِن زراعتها فقتلت الأولين بينما أصيب الثالث وهرب، وتمكنت الشرطة مِن إبطال واحدة وفجرت الأخرى.

وكانت القنابل معدة للانفجار في توقيت خروج المصلين من صلاة الجمعة، ومسجد الشريعي يحيط به كتلة سكنية من الأقباط، ووقع التفجير بعد حادث ذبح ٢١ قبطيًّا في ليبيا، واختير هذا المسجد ليظهر وكأنه انتقام مِن الأقباط لقتلاهم فتشتعل فتنة طائفية في البلاد، فكل سبب يحوِّل الدولة إلى «ركام»يعتقد قيادات الإخوان أنه يقربهم للسلطة! ولكن لا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وكل هذه المعلومات جمعناها مِن الإخوة الثقات المعروفين تمامًا لدينا «ليسوا أمنجية، ولا إعلاميين خبثاء!»، وكلها معلومات بعد وقوع الأحداث، ومبذولة للجميع؛ حتى لا يخرج علينا أحد ممن يعيشون في «العالم الموازي» ويتهمنا بالإبلاغ عن الأموات!».





المبحث الثاني

في ظل الصراع الصفري بين الدولة والإخوان.. مصر إلى أين؟

المبحث الثاني:
في ظل الصراع الصفري
بين الدولة والإخوان.. مصر إلى أين؟

المعادلة الصفرية بوجه عام هي تلك الحالة التي يكون فيها ربح طرف ما مرتبط بالضرورة بخسارة الآخرين، بينما المعادلة غير الصفرية تتيح للطرفين أو للأطراف الربح معًا؛ الحالة الأولى يمثلون لها بالسرقة؛ فالذي يربحه السارق هو بالضبط ما يخسره المسروق منه، والحالة الثانية يمثلون لها بالبيع؛ فالإنسان لا يشتري شيئًا لا يظن أنه يعادل قيمة المبلغ الذي يدفعه لأجله، وكذلك البائع لا يبيع شيئًا دون أن يعتقد أن المال الذي يحصل عليه هو أفضل من البضاعة التي يبيعها.

تُرى هل يمكن لفصيل يريد أن يمارس السياسة ويحقق أهدافه بطرق سلمية أن يعمل وفق منطق المعادلات الصفرية، أم أن قواعد العقل والمنطق والسياسة وقبلهم الشرع تحتم عليه مراعاة المصلحة والمفسدة؟!

بالقطع طبيعة السياسي الراغبة في الحصول على الربح تحتم عليه دائمًا أن يُبقي على ما يمكن أن يغنمه في يوم من الأيام، وبالتالي فهو دائمًا ما يسعى للحفاظ على الكيان المؤسسي الذي يعمل بداخله سواء كان متوافقًا مع طريقة إدارته أم معارضًا لها.

وبناءً على ما تقدم، فإن أي مطلع على خط سير الأحداث في مصر خصوصًا في منعطفها الأخير يدرك تمامًا أننا أمام فصيل قرر أن يواجه الدولة حتى النهاية – نهايته هو أو نهايتها هي لا يهم – المهم أن قرارًا كهذا يكون أشبه بالانتحار الجماعي المنظم الذي يدفع صاحبه إلى الهلكة المحققة.

قد يكون من العبث الآن أن نتحدث عن حسنات النظام الحالي أوسيئاته، أو أن نتحدث عن النظام السابق هل كان ظالمًا أم مظلومًا، أو أن نتفق على شخص بعينه، أو نختلف على شخص آخر، **فالزمن والأحداث قد تجاوزت بنا هذه المرحلة منذ أمد.....**

ولكن واجب الوقت الآن أن نبصر أنفسنا وأبناء وطننا بمخاطر الولوغ في مسلسل دموي قميء يدفعنا جميعًا إلى الهاوية، وفيما يلي عرض لبعض هذه المخاطر إذا استمر الحال على ما هو عليه:

١- استمرار الصراع الداخلي بهذه الطريقة يتخذه بعض المغرضين – وقد كان – ذريعة لاستدعاء المجتمع الدولي من أجل التدخل في الشئون الداخلية للدولة، وغني عن الذكر أن الدول الاستعمارية الكبرى لها تاريخ طويل في هذه التدخلات، وفي حالة مثل مصر فإن حساسية جوارها لإسرائيل يجعل التحرك الدولي سريعًا ومبررًا من جانبهم.

٢ – استمرار الصراع ينهك حالة الاقتصاد، ويضعف من قدرة الدولة على تلبية احتياجات المواطنين مما يؤدي إلى حدوث كوارث اقتصادية وأزمات مالية في **بلد أرهقتها أوضاع مضطربة** على مدار خمس سنوات متتالية، ومع مواطنين يعانون من الجهل والفقر والمرض، والعجيب أن بعض الحمقى والمغفلين لا يُخفي أن ضمن أهداف استمرار الصراع هو **إسقاط الدولة من بوابة ثورة الجياع،** وأن سياسة إلهاء الدولة في أزمات يومية متتالية سوف يؤدي إلى سقوطها ولو بعد حين، ونسي هذا المسكين أن هذا الخراب الذي ينشده سوف يلحق بأتباعه أيضًا داخل البلاد، **حتى لو كان هو قد فر هاربًا ويعيش أرغد العيش ويقطن أفخم الأماكن، ولكنه لن يقوى على استقدام آلاف الأفراد بأسرهم إلى خارج البلاد.**

٣ – من عجيب أمر من يتنازع على السلطة الآن، أنه تُرك ليجرب مآسيها وهمومها لمدة عام كامل، وفشل في أن يسيطر على مقاليد الحكم في هذه الدولة –سواء كان الفشل من عند نفسه أو جاء من عدم تعاون الآخرين معه– فعلى ماذا يحارب إذًا والأمور على ما هي عليه بل ازدادت سواءً؟ بأي وجه يطلب العودة لما كان عليه وقد امتنع عن إجراء الانتخابات الرئاسية المبكرة في آخر عامه الأول خشية عدم النجاح؟ فكيف هو الحال الآن؟ هذا مع العلم أن من يتولى إدارة البلاد الآن من داخل أروقة الدولة ومع ذلك يعاني الأمرين من هذه الإدارة، فكيف لعاقل أن ينازع على سلطة هذه سماتها؟.

٤ - الحكام عبر التاريخ لا يقبلون أن يُمس ملكهم أو أن ينازعهم أحد على السلطة، لذا فحالة الصراع على الملك تجعل القائمين على الدولة في حالة من التحفز تجاه من يريد هذا الحكم، واستقر في وجدانهم أيضًا عبر التاريخ أنه عندما يتعرض أمن البلاد للخطر، فيلزم عندها استعمال الإجراءات الاستثنائية حتى وإن كانت ظالمة، فينتج عن ذلك مزيد من الظلم للناس والاعتداء على حرياتهم والتضييق عليهم في أمور حياتهم فضلًا عما هو أشد من ذلك، ولا يرغب في ذلك ولا يستفيد منه إلا طالبوا الفوضى والهياج، أما رجل الدعوة ورجل السياسة فلا يمكن أن يعملا في ظل هذه الإجراءات الاستثنائية ولا يمكن أن يحققا أهدافهما في ظل تهارش بين فصيل ينتهج العنف ودولة تواجهه بالقمع.

٥ - جو الصراع ينتج عنه – إذا طال – حالة من الاستقطاب الحاد، مما يهدد السلم المجتمعي للدولة، ومصر لا تحتمل أن ينمو فيها مثل هذا الاستقطاب، خصوصًا إذا كان هناك طرف جاهل تشرَّب معاني التكفير وتربي على معاني العزلة الشعورية والمخاصمة المجتمعية **فيعطي لأتباعه فتاوى من جنس: لا تصلي خلف هؤلاء، ولا تفطر معهم في رمضان حتى لو كانوا أقاربك، وإذا أردت أن تتزوج فاختبر ولاءهم في الموقف من فلان وعلان، ودعك من أن هذا يعد خطابًا تكفيريًا واضحًا،** ولكن يكفي أنه يبث الفرقة والكراهية في نفوس الشعب الواحد بل بين أفراد الأسرة الواحدة.

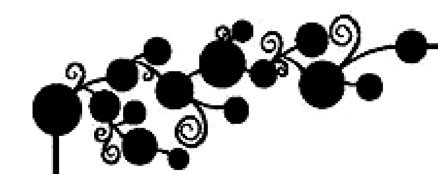
٦ - صراع أبناء الحركة الإسلامية على السلطة يجذر حالة من العداء بينهم وبين مؤسسات الدولة، خصوصًا تلك المؤسسات التي يكون لها احتكاك سلبي معهم وقت الصراع؛ مثل الشرطة والقضاء والإعلام وغيرها، الأمر الذي يضع فئات الإسلاميين تحت طائلة الاتهام المسبق وداخل دائرة الاشتباه المتكرر، ولا يخفى ما لهذا الأمر من تأثير مدمر على مسيرة الدعوة الإسلامية في البلاد.

٧ - تشويه صورة أبناء الحركة الإسلامية وارتباط فترة حكمهم عند الناس بالأزمات والمشاكل والدماء التي ملأت الشوارع من أجل الكرسي، مع إظهارهم في

مظهر العنف والتهور والعداء للمجتمع والوطن، بدلًا من أن يكونوا أصحاب رسالة رحمة وحاملين لمشاعل النور والهداية لأهليهم ولمجتمعاتهم.

٨ - ما يحدث من شأنه أن يعرقل مسار الإصلاح ويجهض أي محاولة لرأب الصدع، وهذا يعني القضاء على حلم هذا الفصيل في العودة إلى ممارسة أي أدوار مجتمعية دعوية كانت أو سياسية، خصوصًا بعدما أسفر عن ملامح تكفيرية ظاهرة وبعد أن كشرت الدولة عن أنيابها في مواجهته.





الفصل الخامس

إذًا: لماذا يتوجه النقد إلى جماعة الإخوان؟



الفصل الخامس:
إذًا: لماذا يتوجه النقد إلى جماعة الإخوان؟

بعد ما سبق من بيان التسلسل التاريخي للأفكار التي قامت عليها جماعة الإخوان يتبقى موضع سؤال، وهو أن بعض الناس يستشكل المغزى من وراء النقد الموجه إلى جماعة الإخوان في هذه المرحلة بالذات، ويستنكر التركيز على بيان أخطائهم وانحرافاتهم.

وموطن الاستشكال عندهم يكمن في أمرين، الأول يتمثل في أنهم يعتقدون أن الجماعة تمر بحالة من الضعف والتفكك، وليس من المروءة الإجهاز على جريح!، والأمر الثاني أننا – كأبناء للصحوة الإسلامية – لم نكنْ ننتقد مثل هذا النقد من قبل، بل إن أحد أهم فصائل الحركة الإسلامية – الدعوة السلفية وحزب النور – كانا من أهم داعمي الدكتور مرسي في الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية ٢٠١٣، وحتى آخر يوم في فترة رئاسته.

وسوف يتم توضيح هذه الاستشكالات من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: تساؤلات بلا إجابات!!

المبحث الثاني: لماذا يشتد النقد الآن ولم يكن قبل ذلك؟

المبحث الأوّل

تساؤلات بلا إجابات!!

المبحث الأول:
تساؤلات بلا إجابات!!

في الحقيقة هناك سيلٌ هادرٌ من الأسئلة الصعبة التي لا نجد لها جوابًا من أحد، هذه الأسئلة تتمحور حول السلوك الذي تبنته الجماعة في تعاملاتها مع الأحداث، والذي كشف كثيرًا من الأمور الغامضة في تاريخ الجماعة، وفسر - أيضًا - كثيرًا من الكتابات المبهمة التي حرصتِ الجماعة أن يظل كل فريق يتعامل معها بالطريقة التي يفهمها هو، بغض النظر عن مطابقة هذا الفهم لفهم الجماعة من عدمه.

وفي هذا المبحث نُقدم عددًا من التساؤلات المهمة التي توضح الصورة الكلية والخلفية العامة التي بسببها يتوجه النقد لجماعة الإخوان.

١- ما ارتكبته الجماعة – في الفترة الأخيرة – من أمور تستدعي الرد الحاد والحازم ديانة لله وتبرئة لساحة الدعوة من أنْ يلحق بها تُهم تلتصق بها طوال العمر، وإلا فكيف نفسر دعوات إسقاط الاقتصاد المصري، ودعوات منع الأضاحي عقوبة للشعب الذي وقف بجوار الانقلاب(١)، ودعوات تعطيل المرور(٢)، ودعوات الامتناع

---

(١) قامت الصفحات التابعة لجماعة الإخوان المسلمين بموقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» بتاريخ ٢٠١٣/٩/٢٦ بتدشين حملة «لا أضحية هذا العام»، للدعوة إلى انهيار الاقتصاد، وأنها إحدى دعوات العصيان المدني، وأنه للاستفادة من الأموال التي تنفق في شراء الأضحية في التبرع بها لأسر المصابين والمعتقلين من الإخوان المسلمين.

(٢) من تطبيقات هذه الدعوة أنهم أعلنوا عن خطة لشل حركة المترو من خلال ركوب عدد كبير يقدر بالآلاف من أعضاء الجماعة لعربات المترو على أحد الخطوط ويقوموا بالاحتشاد داخل العربات ويمتنعوا عن النزول في المحطات ويستمروا مع القطار في جميع رحلاته ذهاب وعودة أكبر وقت ممكن من اليوم وبالتالي يحدث شلل وتكدس للركاب على المحطات مما يؤدى إلى شلل مرورى بالقاهرة الكبرى وتعطيل لمصالح المواطنين. وحملت هذه الدعوة اسم «اتفسح وشوف معالم بلدك بجنيه».

ومن تطبيقاتها إطلاق هاشتاج «عطل عربيتك عالكوبرى». قائلين: «قف بسيارتك على كوبرى أكتوبر =وادعى أنها عطلانة لنقوم بشل الحركة، فلو طُبقّت في القاهرة فسوف تشلّ حركة المرور بشكل مميت؛ =

عن دفع فواتير الكهرباء [(١)] ومصروفات المدارس، ودعوات سحب الأرصدة من البنوك لشل دولة الانقلابيين[(٢)]، فضلًا عما آلت إليه الأوضاع بعد ذلك من محاولات تفجير أقسام الشرطة وأبراج الكهرباء ومباركة عمليات الاغتيال وتشجيع عمليات العنف والتفجير في أنحاء الوطن؟ [(٣)].

فكيف نفهم كل هذه التجاوزات؟ وكيف يمكن السكوت عنها؟ وكل ما سبق يُعد انحرافًا منهجيًا خطيرًا يهدد مستقبل الدعوة الإسلامية ككل إذا لم يجد الناس من يستنكر هذه التصرفات من داخل الصف الإسلامي.

٢- لا تريد جماعة الإخوان أن تعترف بموازين القوى بأي حالٍ من الأحوال، ولا تستجيب لقواعد المصالح والمفاسد، بل تُصر على استمرار المواجهة الحادة والعنيفة، مع التخلي عن الضوابط الشرعية والقواعد الأخلاقية شيئًا فشيئًا.

وسترُبك الدولة؛ فبحسب إحصائيات تسير في القاهرة ٢ مليون سيارة».

جاء في جريدة الشعب الالكترونية التابعة لجماعة الإخوان ما يلي: «بعد النجاح الذي حققته اليوم حملة» اتفسح وشوف معالم بلدك بجنيه «داخل مترو الأنفاق والتي أحدثت شللًا بالمرفق مما دفع بإدارة المترو إلى طلب دعم جديد من القطارات العاملة بالمترو في محاولة للسيطرة على الموقف.

وهذا الارتباك الأمني والمروري الواضح داخل المترو هو ما أثار شهية نشطاء الفيس بوك من «شباب ضد الانقلاب» إلى ابتكار فكرة جديدة للتصعيد السلمي «المبتكر» ضد الانقلاب وهي فكرة «عطل عربيتك» على كوبري أكتوبر».

http://www.elshaab.org/news/5 7363.

(١) حملة وقع شبكة لتعطيل الاتصالات والشبكات، وحملة إسقاط شبكة الكهرباء عن طريق تشغيل المكيف وجميع الكهرباء، وحملة افتح صنابير المياه.

(٢) حملة «لمّ الفكة»، أي تجميع العملات النقدية وعدم استعمالها

https://www.facebook.com/LmElfka.

وكذلك حملة لم الدولار، وحملة اسحب رصيدك.

(٣) كل هذه الأمور ليست تهمًا مجردة عن الأدلة، بل منسوبة لقياداتهم وموجودة بالصوت والصورة على قنواتهم، وقد ذكرنا بعضًا من هذه الأدلة فيما تقدم من فصول الكتاب.

وبالتالي فحالة الضعف والبكائية المزعومة من جانب الجماعة، هي في الحقيقة متعارضة تمام التعارض مع حالة العنترية والاستعراض التي يتقمصها إخوان الداخل والخارج، بل دائمًا ما يصرحون بأنهم على وشك الوصول إلى النصر وتصفية الحساب مع الخونة والعملاء ويرون أنَّ الانقلاب يترنح وهو في سبيله للانهيار وأنهم قاب قوسين أو أدنى من حسم المعركة، إلى غير ذلك من العبارات والتصريحات التي قِيلت على لسانهم، لذا يصعب جدًا على أي عاقل أنْ يستوعب هذا التناقض.

٣- جماعة الإخوان تحارب طواحين الهواء **ومن ليس معها فهو عليها،** فالدولة بكل أجهزتها ومؤسساتها ظالمة لهم ومعتدية عليهم، والشعب مستعبد وذليل ولاحس للبيادة وعبيد للعسكر، والأحزاب السياسية خائنة وعميلة وتتحرك بالريموت كونترول، والجماعات الإسلامية باعتْ دينها وتنكبتْ طريقها لأنها رفضت النزول لميدان رابعة وما بعده من فاعليات، والرموز الدعوية والدينية سواء انتموا إلى الأزهر أو إلى بعض الجماعات الدعوية أو حتى بعض أئمة الحرم، كل هؤلاء تنهش كتائب الإخوان الإلكترونية لحومهم وأعراضهم، والتهم معلبة والشبهات جاهزة والسب والطعن والتشويه جزاء كل من يحاول إعطاء النصيحة أو مناقشة الرأي، حتى طالت هذه الهجمات بعض عقلاء الجماعة ممن حاول إيقاف هذا الانتحار الجماعي الذي تدفع الجماعة شبابها إليه دفعًا[1].

٤ - الحقيقة الظاهرة أمامنا أنَّ جماعة الإخوان لديها مصالح عديدة من استمرار حالة الصراع مع الدولة وقد صرحوا بذلك في أكثر من مناسبة، لذلك هم يحرصون على إشعال الأزمات وإرباك المشهد الداخلي بكل وسيلة، وفوق كل ذلك يدفعون الشباب المسلم إلى الهلاك المحقق نصرةً لقضيتهم المزعومة، ثم لا يتورعون بعد ذلك

(١) حدث هذا مع الدكتور راغب السرجاني بعدما كتب نصيحته لهم تحت عنوان «ولكن لا تحبون الناصحين»، وحدث مع كل من حاول من قياداتهم السعي إلى الصلح، ورأب الصدع، فلا يكون جزاؤه إلا الاتهام بالعمالة والخيانة وبيع الدم والتخلي عن القضية.

عن المتاجرة بهذه الدماء البريئة والتي سيُسألون عنها يوم القيامة، فيم أخرجوهم؟ ولأي غرض؟ وبأي وسيلة؟ وما هو الهدف من وراء ذلك؟ أسئلة لا يعرف أحدٌ لها إجابة، اللّهم إلا إذا قرر التنظيم الدولي للإخوان أمرًا آخر، ووقتها ستخرج التبريرات والتحليلات، والغالب الأعم من الشباب غافل عن أن دمه أصبح لعبة في أيدي عددٍ من القادة، هم وحدهم من يقرر كم من الضحايا سيموت من أجل كم من المكاسب الموهومة سيتحقق[1].

٥ - السؤال الأكثر إلحاحًا، هل لدى جماعة الإخوان رغبة حقيقة في إنهاء الأزمة الحالية، وعصمة دماء الشباب الطاهر وإيقاف حالة النزيف الحاد الذي يستنزفون به البلاد والسلطات، وبما أن هذا سؤال مركب فإننا نردفه بعدد من الأسئلة التفصيلية التي تعود بنا إلى أصل القضية ومراحل الأزمة، حتى لا ننسى تطورات الأحداث وما يترتب عليها من نتائج:

ماذا لو ثبت الإخوان على موقفهم من عدم ترشح أحدٍ منهم لرئاسة الجمهورية، وتم التوافق على أحد الشخصيات الوطنية المحترمة التي لا تنتمي تنظيميًا إلى جماعة من الجماعات أو حزب من الأحزاب، وقد كان مطروحًا وقتها أسماء أخرى يمكن التوافق عليها؟

---

(١) من الناحية السياسية فإن تفسير هذا التصعيد في المواجهة مع الدولة ليس له هدف سوى تحسين شروط التفاوض وإجبار السلطة على الرضوخ لمطالب الجماعة عن طريق إنهاكها، وتفكيك قواها، وعرقلة أي مسار إصلاحي تقوم به الدولة طالما لم تحقق للإخوان ما يريدون، ولن أجد لتدعيم هذا التوجه أوضح ولا أصرح من كلمات حمزه زوبع المتحدث الرسمي باسم حزب الحرية والعدالة في فيديو بتاريخ ١٣ مارس ٢٠١٥ وهو يشرح إجابة عن سؤال: «ماذا تريد أمريكا؟» قال فيه ما يلي:

«إن أمريكا تريد بالفعل إضعاف الرئيس عبد الفتاح السيسي وإنهاكه للوصول لاتفاق سياسي جديد يضمن عودة الإخوان كجزء من الحركة السياسية والاجتماعية والإصلاحية في مصر، ولكن دون أن يكونوا في المقدمة، وقال إن هذا الكلام ليس بالجديد وعليه شواهد متمثلة في اتصال الأمريكان والأوروبيين ببعض الفصائل الثورية الموجودة خارج البلاد في الدوحة وتركيا ليشجعوهم على أن يسلكوا هذا المسار».

وكنوع من تجميل الصورة قال زوبع: «أن كلامه لا يعني أن أمريكا تحب الإخوان، لأنها بالفعل لا تحبهم ولا تريد وصولهم للسلطة لأنها لو كانت تريد ذلك لضغطت على السيسي والجيش ألا يفعلوا ما فعلوه».

ماذا لو انفصل الرئيس مرسي عن جماعته وصار رئيسًا لكل المصريين كما كان يَعِد، بدلًا من التبعية العجيبة لمكتب الإرشاد ورجاله؟ والتي جعلت هيبة الرئيس تسقط من عيون الكثيرين.

ماذا لو لم يصدر مرسي الإعلان الدستوري الذي أصدره إلا بعد مشاورة حقيقية وجادة مع القوى السياسية والمجتمعية؟ بدلًا من أن يتم إصداره بدون معرفة المستشارين، ولا المساعدين، ولا النائب، ولا كل من له اختصاص في ذلك، خصوصًا وأن الإعلان الدستوري كان بمثابة الشرخ الأكبر بين الرئاسة وباقي القوى السياسية، وساعد على ترسخ مبدأ الاستقطاب والاستقواء بالأتباع، مع العلم أن الرئاسة قد تراجعت عن بعض ما جاء فيه ولكن بعد فوات الأوان؟

ماذا لو لم تتبع جماعة الإخوان أسلوب إظهار القوة واللجوء إلى الشارع لمناصرة الرئيس عند كل احتجاج أو معارضة، فكان الحشد لمحاصرة المحكمة الدستورية، والحشد عند الاتحادية، والحشد عند مدينة الإنتاج الإعلامي مما كرس لمفهوم «أهلي وعشيرتي» الذي اتهم به من قبل معارضيه؟

ماذا لو استجابت الرئاسة لمبادرة حزب النور في بداية عام ٢٠١٣، وقد كانت تمثل في هذا الوقت إجماعًا وطنيًّا كاملًا من القوى السياسية، والأحزاب المختلفة، ومؤسسات الدولة، ورجل الشارع؟

ماذا لو تعاملت الرئاسة مع دعوات التظاهر ليوم ٦/٣٠ بالجدية الكاملة وقامت بإنقاذ الوضع قبل انفجار الناس في الشوارع، بدلًا من إيهام الأتباع بأنَّ نزول الجيش في الشوارع من أجل حماية الشرعية؟

ماذا لو استجاب الرئيس مرسي لمبادرة القوات المسلحة قبل إعلان المهلة الأخيرة، وقد كانت بمثابة طوق النجاة للإخوان عمومًا وللرئيس خصوصًا، وكانت ستجنبنا تكلفة صراع دموي ما زلنا نعاني من آثاره حتى الآن، والجدير بالذكر أنها كانت قريبة – بل تكاد تكون متطابقة – مع ما طرحه حزب النور من بنود قبلها بستة أشهر؟.

ماذا لو غَلَّب د/ مرسي مصلحة البلاد والعباد على مصلحته الشخصية ومصلحة حزبه، وقام بعمل انتخابات رئاسية مبكرة وفق جدول زمني محدد يكون هو أحد مرشحيها وقد كان لديه متسع من الوقت ليعيد تقديم نفسه إلى الجمهور بشكل مختلف، بدلًا من تصريحه بأنَّ الشرعية ثمنها رقبته، والتي أججت مشاعر الشباب وأشعلتْ حماستهم، ثم هيجتهم على الثأر والمقاومة؟.

ماذا لو كان هناك رئيس آخر غير الدكتور مرسي في الحكم، هل كان الإخوان سيقاتلون عنه بكل هذا العنف، أم كانوا سيطوون صفحته بسهوله، ثم يتعاملون مع الواقع الجديد وفقًا لمعطياته الجديدة؟[1].

ماذا لو تعامل حزب الحرية والعدالة مع الأمر الواقع، وقام بحضور اجتماع ٣/٧ مع القوات المسلحة، وتم الاتفاق على وضع جديد يضمن للإخوان المشاركة في الحياة السياسية مرة أخرى، مع الحفاظ على كيانهم وأفرادهم وكثير من مكتسباتهم؟ وقد كان متاحًا في هذا الوقت تحصين كثير من المكاسب، وفرض كثير من الضمانات.

ماذا لو لم يكن هناك حشد مضاد من جانب جماعة الإخوان في رابعة والنهضة وغيرها من الميادين، التي أشعرت الشعب بأنهم فصيل آخر ليس لهم علاقة به، خصوصًا بعد التصريحات العدائية والعنيفة التي أطلقتها منصة رابعة؟ وماذا لو جاءت زيارة المرشد العام – د/ محمد بديع – لميدان رابعة لتهدئ من حماسة الناس، ولتنصحهم بالانصراف إلى بيوتهم -**كما كان متوقعًا منه**- بدلًا من التأكيد على أنَّ الشرعية لا بد أن نفديها بدمائنا؟

ماذا لو نجح كل من د/ عمرو دراج، ود/ محمد علي بشر – وقد كان كل منهما يؤيد إنهاء الأزمة – في إقناع مجلس شورى الجماعة ومكتب الإرشاد بإتمام ملف المصالحة وفقًا للمعطيات الجديدة، والتنازل عن شرط عودة مرسي كشرط لبدء الحوار؟

---

(١) منطلقات الإخوان وتاريخهم يقطع بأنهم كانوا سيتعاملون مع الواقع الجديد وفق معطياته الجديدة بلا أدنى حرج.



ماذا لو استجاب الإخوان لأصوات كثير من الوسطاء العقلاء الذين كانوا رسل سلام بين المجلس العسكري والجماعة، وكان المجلس العسكري وقتها على استعداد كامل لإتمام المصالحة؟ وقد جاء رد بعض قيادات الجماعة وقتها أنهم على استعداد لتقديم **مائة ألف شهيد فداءً للشرعية**[1].

ماذا لو لم يقم الإخوان بهذا الشحن العاطفي والحماسي الهائل لأتباعهم بالدرجة **التي تعذر عليهم فيها بعد ذلك التراجع عن موقفهم**، حتى لا تأكلهم هذه الطاقة الكامنة في نفوس الشباب؟

ماذا لو لم يتم استخدام المساجد ساحة للصراع السياسي والهجوم منها والاحتماء بها، هل كانت المساجد ستتعرض لمثل ما تعرضت له من انتهاكات؟ **وماذا لو لم يتم استخدام النساء في المواجهة مع البلطجية ومع الشرطة**[2]، وتم الحفاظ عليهن وصون

---

(١) محاولات الوساطة عديدة، منها محاولة الدكتور محمد سليم العوا، ومبادرة الدكتور ياسر برهامي، ومبادرة الشيخ محمد حسان والتي أعلن عن تفاصيلها وما آلت إليه على قناة الرحمة الفضائية. [راجع الملحق رقم ١].

(٢) من أبشع صور اقحام النساء في المظاهرات خصوصًا التي يُعرف سلفًا بأنها ستنتهي بمواجهات مع الشرطة أوالبلطجية، تلك المظاهرة التي أقيمت داخل أحد الشوارع المتفرعة من شارع الترعة بمدينة المنصورة بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٠ والتي أسفرت عن ٤ قتيلات وعدد من المصابات، وقد حمل شباب الإخوان قياداتهم مسئولية ما حدث من سقوط ٤ ضحايا من أخوات الجماعة في مسيرة المنصورة، وذلك بعد إصرارهم على عبور المسيرة لأحد شوارع المدينة المعروف باحتوائه على عدد كبير من البلطجية الذين يحملون السلاح رغم تحذيرات شباب الجماعة، وقد تم نشر تفاصيل وخبايا هذه الحادثة على إحدى صفحات الفيس بوك تحت عنوان شهادة من إخواني حول أحداث المنصورة «كِبر القيادات في المنصورة.. القصة الكاملة» يقول:

«في يوم ٦/٢٦ الموافق يوم الأربعاء بدأ سلسلة سيلان دماء الإخوان على الأرض بسبب غباء القيادات من ناحية، والتكبر على الشباب وعدم الاستماع إلى نصائحهم من ناحية أخرى. في يوم ٦/٢٦ كانت هناك مسيرة تأييد للدكتور مرسي كانت بمنطقة «الشرعية» مسجد الجمعية الشرعية، واعتدى البلطجية على المسيرة، وارتقى أول شهيد في الأحداث «أبي»، وأصيب أكثر من ٢٠٠! وللجاهل بجغرافية مكان المسيرة، فالمكان واقع في «عزبة الشحاتين- عزبة ستوتة- مديرية الأمن- طلخا»، وأقسم لكم أن شباب لجنة الردع جلسوا مع المسئولين، وحاولوا إقناعهم بتغيير المكان، إلا أن الغباء والكبر كانا سببًا في وقوع مجزرة مكتملة الأركان. أول أمس وقعت اشتباكات بميت غمر كُنت أنا أحد ضحاياها كادت أن تودي بحياة الكثير من الإخوة =

كرامتهن في منازلهن كما أمر الله، هل كن سيتعرضن للإيذاء والاعتقال وكل أنواع الإهانات التي رأيناها؟

هل لو تم انصراف المعتصمين من رابعة قبل بدء اقتحامه من جانب قوات الجيش والشرطة، خصوصًا بعدما صرح أحد أعضاء التحالف الوطني[1] **أن التحالف كان على علم بموعد الهجوم قبله بست ساعات،** ومع ذلك تم السماح للقيادات أن تنصرف من الميدان، وتُرك العزل يواجهون الموت بصدورهم العارية؟.

ماذا لو تم للإخوان ما يريدون من إسقاط دولة الانقلاب كما يقولون، من الذي سيساعدهم للوصول إلى هذه الأمنية؟ ما هو المتوقع لمصر عندئذ؟ وما الذي سيتبقى لهم من البلاد لكي يحكموه، خصوصًا وأمامنا نماذج حية مثل سوريا وليبيا تؤكد على

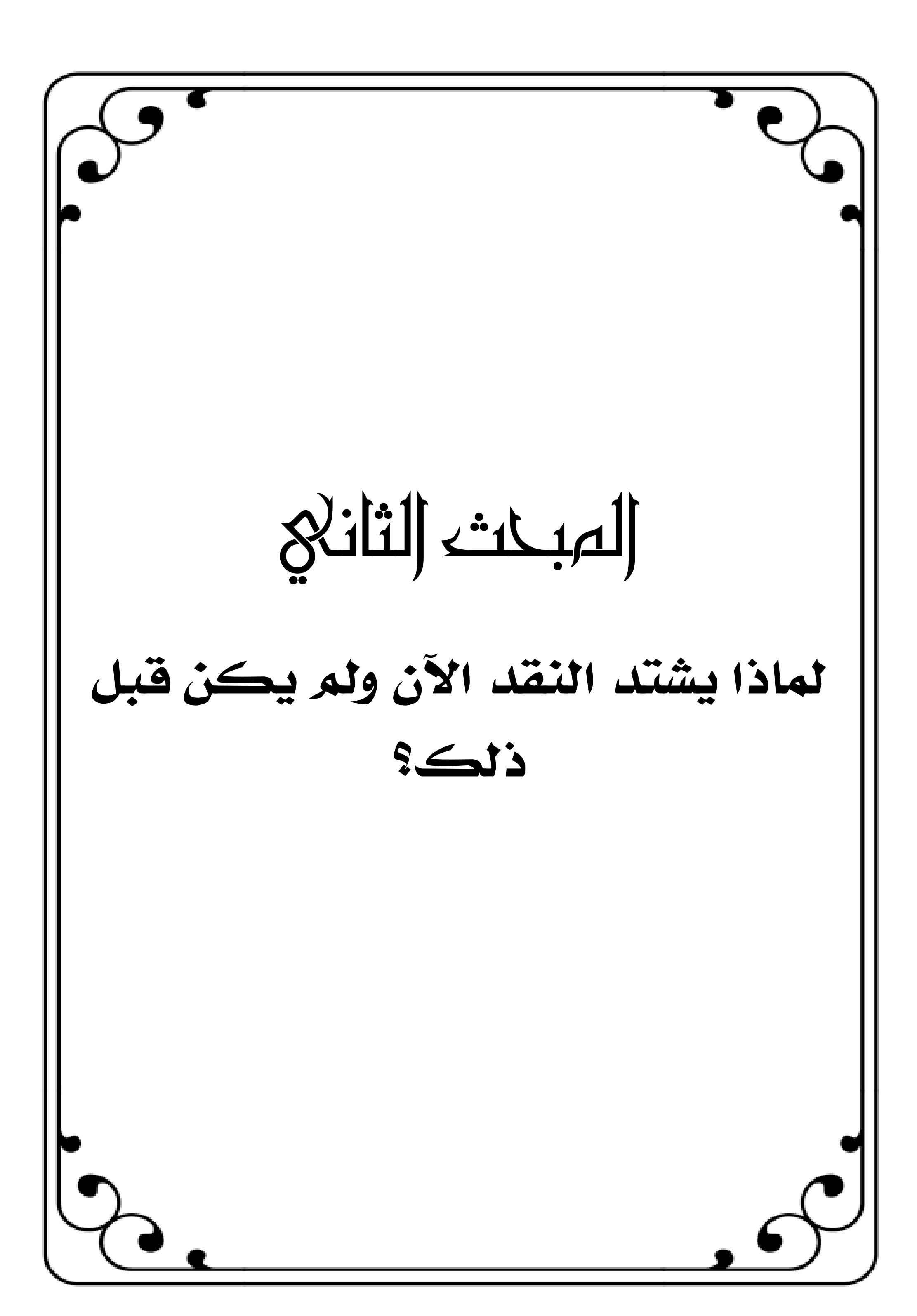
=بميت غمر، حيث وصل التبليغ الساعة ١٠ صباحا أن هناك مسيرة ستتحرك من أمام مقر الجماعة بشارع البحر في تمام الساعة العاشرة، وتواصل عدد من القيادات الشابة وعدد من القيادات داخل الجماعة مع الإخوة المسئولين لإلغاء المسيرة، نظرًا لعدم وجود عدد كاف للمسيرة، وعدم وجود لجان ردع! إلا أن الغباء والكبر سيطرا على الإخوة، وقاموا بتنظيم المسيرة التي انتهت بتكسير مقر الجماعة وسرقة محتوياته- حرق أستوديو عنارة، وسرقة محتوياته- اقتحام مقر جمعية نبع الخير- سرقة محلات الحاج حسين سبع- احتجازى أنا وطفل وأخ مصور آخر داخل إحدى البنايات لساعات متأخرة في صباح اليوم التالي! وتقدر الخسائر بما يقارب ١٠٠ ألف جنيه. واليوم تم الإعلان عن مسيرة ستتحرك من استاد المنصورة، ومنه إلى شارع عبد السلام عارف، ومنه إلى شارع الترعة:- في البداية طلب عدد من الشباب من الإخوة المسئولين عدم ذهاب المسيرة لشارع الترعة، لشهرته باحتوائه البلطجية، وتواجد عدد كبير من أنصار البلطجي وحيد فودة، إلا أن الطلب كالعادة قوبل بالرفض، وعندما وصلت المسيرة لشارع الترعة وجد الإخوة مجموعة من البلطجية يحملون أسلحة آلية وعددًا من الأسلحة، وتم تجديد الطلب بعدم دخول المسيرة للشارع، إلا أنه رُفض، وعبر تقريبًا ثُلثى المسيرة وعندما وصل الجزء الخاص بالأخوات اتعملت الكماشة، وحدثت المجزرة التي أدت إلى ارتقاء ٣ شهيدات، وإصابة أكثر من ٢٠٠ إصابات بالغة».

(١) وكالة الأناضول نقلًا عن مصدر مباشر من أحد أعضاء «التحالف الوطني لدعم الشرعية ورفض الانقلاب» – مع أن شهادة الشهود تثبت أن جميع القيادات انصرفت من الميدان، وكانوا في بيوتهم من مختلف المدن والقرى قبل موعد الفض بعدة ساعات، فالراجح أنهم كانوا يعلمون موعد الفض بمدة أكثر من ذلك قد تصل لأكثر من ٣٠ ساعة.

خطورة هذه الفرضية؟ وعلى الجانب الآخر ماذا لو لم يتم للإخوان ما يطمحون إليه من إسقاط الدولة، أي مصير مؤلم في انتظارهم؟، خصوصًا وأن هناك تجارب سابقة أكدت فشل هذا المسار وما نموذج الجزائر عنا ببعيد.

التساؤلات السابقة لم يكن الغرض منها حصر واستقصاء كل مَواطن الخلل أو مواضع النقد، ولكن كان الغرض من ذكرها توضيح حقيقة النقد الموجه إلى الجماعة، حتى لا يظن البعض أنه نقد متحامل أو منحاز، ولكن مما سبق يتضح أن الجماعة خرقت القواعد الكبرى التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة والمتمثلة في رفض التكفير ورفض العنف، وبالتالي لم يكن الخلاف مع الإخوان يقتصر فقط على نواح اجتهادية في باب السياسة، بل كان منشأ الخلاف هو مخالفتهم الصريحة لثوابت أهل السنة والجماعة في هذا الباب، فضلًا عن اللوثة الفوضوية التي تتبنى سياسة إسقاط الأنظمة وإثارة الأزمات وخلخلة المجتمع.





المبحث الثاني

لماذا يشتد النقد الآن ولم يكن قبل ذلك؟



المبحث الثاني: لماذا يشتد النقد الآن ولم يكن قبل ذلك؟

من الثابت تاريخيًا – كما أوضحنا – أنَّ جماعة الإخوان مارستِ العنف فترةً من الزمن، كان جزءٌ منه في حياة البنا نفسه، والأجزاء الأخرى كانت بعد وفاته، وقد بلغتْ أوجها عام ١٩٤٨، ثم كانت محاولات الإحياء في عهد عبد الناصر على يد تنظيم ٦٥، هذا العنف انطلق من خلال مجموعة من الكتابات المبهمة للبنا، ثم تحول إلى ممارسة عنيفة من جانب النظام الخاص ثم استقر كتنظير صريح على يد سيد قطب ومجموعته، وقد ظل هذا الصراع طوال فترة وجود عبد الناصر في الحكم، وما إن مات حتى تسارع الإخوان لعقد صفقة صلح مع خليفة عبد الناصر وشريكه السابق أنور السادات، وهنا حرص الإخوان على التخلص من إرث الماضي وأظهروا وجهًا جديدًا للجماعة قائمًا على الممارسة الدعوية والمشاركة السياسية والمجتمعية، بعيدًا كل البعد عن العنف وعن ممارسته، وتسارعتْ كتابات الإخوان تنفى صلتها بالماضي متذرعة بعلل مختلفة أغلبها غير مقنع،ولكنها تصب في خدمة هدف واحد وهو أنَّ الجماعة تلتزم بالخط السلمي الذي وضعه حسن البنا ومارسه طوال حياته، وما سوى ذلك فهو استثناء خارج عن القاعدة الأصلية.

ومن هنا لم يجد أحد رغبةً في أنْ يفتش عن تاريخٍ غابر تبرأ منه أتباعه، ثم أثبتوا عمليًا تخليهم عنه بدرجة واضحة خلال سنوات طويلة من حكم السادات ثم خلال فترة أطول من حكم مبارك، ومن هنا سكت المشايخ والعلماء عن هذا الأمر واكتفوا ببيان الأخطاء المنهجية العامة لجماعة الإخوان، ولم يشأ أحد منهم أن يفتش عن النيات أو يطعن في صدقها بلا مبرر ظاهر، إلا أنه ومن باب الإنصاف علينا أنْ نعترف بأنَّ الحركة الإسلامية وقعتْ في خطأين:

الخطأ الأول: أنها قبلتْ من الإخوان هذا التبرير المجمل والغامض لأحداث عنف امتدت على مدار سنوات كاملة وبطريقة فجة يصعب تقبل ما قيل عنها من

مبررات، حيث إن كثيرًا من أبناء الصحوة لم يدرسوا تاريخ الإخوان دراسة جيدة، وقبلوا بدعوى المظلومية في عهد عبد الناصر لما يرونه من الظلم البين الواقع عليهم من النظام.

الخطأ الثاني: أنَّ الإخوان لم يتخلوا قط عن أسلوب المظاهرات في التعبير عن معارضتهم، وهي طريقة قديمة للإخوان لهم فيها باع كبير، وهي غالبًا ما تؤول إلى استخدام العنف أو إلى مواجهة العنف أو إلى التعرض لمواجهات خطرة خصوصًا إذا كانت المواجهة مع النظام، ولم يكف الإخوان عن استخدام هذه الوسيلة رغم أنها تعتبر أولى درجات العنف لأنها لا تتم غالبًا إلا بمواجهات شرسة مع الشرطة، بالإضافة إلى أنَّ الإخوان كانوا يحرصون على النزول في الانتخابات ويواجهون البلطجية والشرطة وبعض الخصوم، وهذه الحالات كانت تتم فيها ممارسة عملية للعنف من جميع الأطراف، ولم تأخذ هذه القضية حظها من الدراسة وقتها وتم إدراجها ضمن بحث مفاسد دخول الانتخابات وفقط.

وجاءت الثورة، وصار هناك اشتراك في كثير من الأهداف ووجهات النظر بين كثير من التجمعات العاقلة على الأرض، إلى أن حان موعد الترشح للانتخابات البرلمانية، فأظهر الإخوان وجهًا متنمرًا لكل فصائل العمل الإسلامي وفضلوا قيادة تحالف مشوه في تكوينه مبعثرًا في توجهاته وأهدافه عن أن يدخلوا في تحالف يضم الأحزاب الإسلامية، ثم خاضوا حرب تكسير عظام تحت قبة البرلمان، إلى أنْ جاءتْ الانتخابات الرئاسية وخالف الإخوان وعدهم السابق بعدم النزول في الانتخابات والبحث عن شخصية توافقية، واجتهدت الدعوة السلفية في البحث عن هذا المرشح التوافقي فقامتْ بترشيح الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، ثم لما انحصر السباق بين الفريق شفيق والدكتور مرسي في الجولة الثانية قامت بترشيح الدكتور مرسي وقادت حملة انتخابية لدعمه بكل قوة، وظلت على عهدها معه بعد نجاحه إلا أنها فوجئت بتغيير كل الاتفاقيات والتنكر لكل من كان شريكًا لهم في نجاحهم سواء من الإسلاميين أم من غيرهم، ومع ذلك ظلت تنصح وتدعم رغم الجفاء والتجاهل، ولم

يتحملهم الشعب كثيرًا ولم تتقبلهم مؤسسات الدولة كذلك، فانقلب الجميع عليهم وانفجر الشعب في وجوههم، فطالبنا بإصلاحات عاجلة تُوقف تأزم الموقف لكن بلا مجيب، حتى جاءت أحداث ٢٠١٣/٦/٣٠ وما بعدها، والتي كانت علامة فارقة على تحول منهجي واضح في خط سير جماعة الإخوان، ولكن يبدو أن هذا لم يكن تحولًا بقدر ما كان حنينًا إلى الماضي، وهنا بدأتْ المواجهات الفكرية لتبصير شباب الحركة الإسلامية بأسرار الماضي، وحقيقة الحاضر لكي يستشرفوا المستقبل ويحسنوا التعامل معه.

في الحقيقة هذا السلوك الذي انخرطت فيه جماعة الإخوان مؤخرًا ليس جديدًا عليهم بل إن أصولهم الفكرية تسمح لهم بهذا التحول، ولعل الكلمة التي قالها الدكتور مرسي – الشرعية ثمنها رقبتي – هي تجسيد حي لما نقوله، فالرجل منذ اليوم الأول وقبل وقوع أي دماء أو ضحايا أعلن استعداده لِأَنْ تسيل الدماء من أجل الحفاظ على كرسي الحكم وزادت حدة هذا الخطاب على منصة رابعة بإعلانهم عن ١٠٠ ألف مشروع للشهادة[١]، هم للأسف من خيرة شباب الأمة ولكنهم وبمهارة فائقة استطاعوا أن يحرفوا كلمة «الشرعية» لتكون «الشريعة» ليتسنى لهم رفع رايات الجهاد والموت في سبيل الله ودفع الشباب للقتال من أجل الشريعة.

ومن هنا أقول إنَّ كلمة الدكتور مرسي لم تكن عفو الخاطر ولكنها كلمة مدروسة وموزونة – وإن كانت بميزان خاطيء – ومعلوم توابعها كما هو معلوم جذورها، وجذورها أن جماعة الإخوان قامت ببناء مشروعها الإصلاحي على فكرة «التغيير من خلال السلطة»، وبالتالي فهي تسعى طوال تاريخها لكي تكون هي البديل الأكثر جاهزية في حالة ما إذا سقط النظام أو تغير، وحتى المشروع الدعوي للجماعة هو عند التأمل موضوع لخدمة الأهداف السياسية، فالدعوة عند الإخوان عبارة عن قليل من النصائح والإرشادات الدينية التي تضمن الحصول على مواطن صالح مع تعبئة سياسية

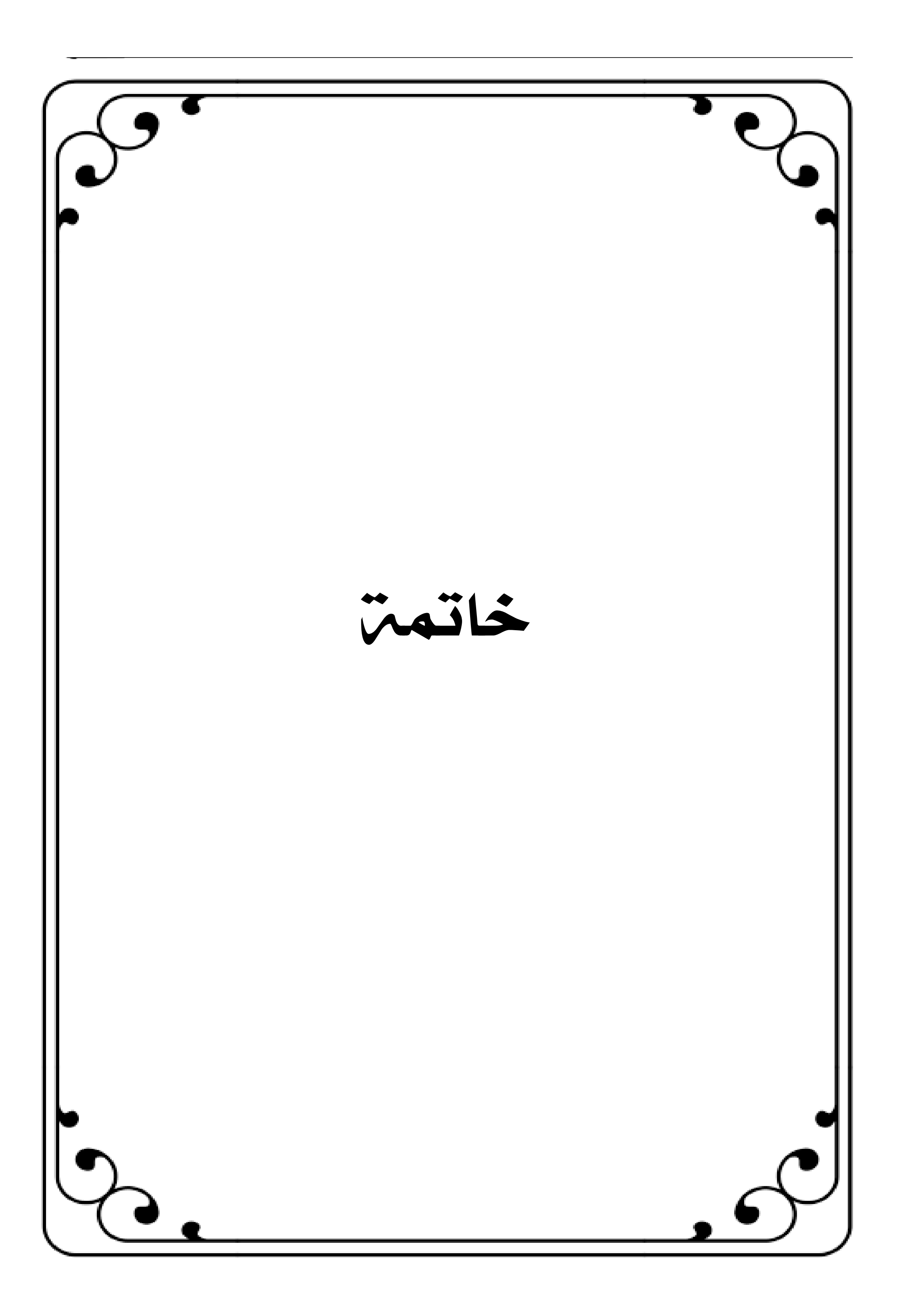
(١) اعتاد الإخوان في هذه الأحداث على المبالغة الشديدة في أعداد المعتصمين، ووصفها بالملايين، مع أن الأقرب للواقع وللقدرة الاستيعابية للمكان لا يمكن أن يقدره بأكثر من ٥٠ ألف.

لأبعد حد ولأقصى مدى بالإضافة إلى ولاء تام وحاد لمنهج الإخوان وللجماعة، وبالتالي فخطب الجمعة ودروس السيرة ومسابقات رمضان وكلمات الأفراح كلها عبارة عن شحن لفكرة وصول الإخوان إلى السلطة لإصلاح الأوضاع الفاسدة ولوضع حلول لكل المعضلات تحت شعار «الإسلام هو الحل».

وحدث ما لم يكن في الحسبان ووصل الإخوان إلى السلطة وتملكوا زمام كل الأمور ظاهريًا (**الرئاسة** + **الوزارة** + **البرلمان** + **النقابات**) مع شعبية ليست بالقليلة، وانتظر الجميع منهم أي وفاء بوعود الماضي لكن بلا جدوى، وكان الحمل أكثر من قدرتهم على التحمل فانفرطت منهم مقاليد الأمور، ومع سوء إدارة منهم للأزمة وفشل في ترويض الخصوم، قررت الدولة أنْ تستعيد الحكم منهم مرة أخرى – وبغض النظر عن كون هذه الخطوة من الدولة جائرة أو منحازة – إلا أنه كان من الممكن جدًا أن يتقبل الإخوان هذا التغير في موازين القوى وأنْ يعترفوا بقدر من الفشل يسمح لهم بالتراجع الآمن خطوات قليلة إلى الوراء لالتقاط الأنفاس ومراجعة الأوراق من أجل الانطلاق مرة أخرى بشكل أكثر عقلانية ومرونة.

ولكن مربط الأزمة أن منهج الإخوان لا يسمح لهم بهذا التراجع التكتيكي بعد كل هذه المكاسب الهائلة، فعادة ما تكون السلطة منزلقًا إلى العنف عند من يبني منهج التغيير على فكرة الوصول إلى القمة أولًا، حيث لا يتحمل أن تُسلب منه هذه السلطة بعدما وصل إليها، وهذا هو أقرب تفسير لتوجه جماعة الإخوان إلى العنف بعدما أُجبروا على ترك السلطة.





خاتمة

خاتمة

بعد هذا العرض الموجز للمراحل التاريخية التي مرت بها جماعة الإخوان منذ تأسيسها على يد الأستاذ حسن البنا وحتى الآن، نود التأكيد على أن هدفنا الأساسي من هذا البحث هو إظهار الحق، ونصرة الحقيقة، بلا تحيز أو تعصب أو حزبية، وأملنا أن يميط هذا البحث اللثام عن قضايا ظلت غامضة لسنوات طويلة، غابت فيها الحقائق وسط الزحام والضبابية.

ورجاؤنا من الله أن يوفق شباب الإخوان إلى تصحيح مسارهم الحركي، ومراجعة ثوابتهم المنهجية والفكرية، تلك الجوامد التي خسرت بسببها الجماعة ماضيها وحاضرها، ونأمل أن تستفيق قبل أن يضيع مستقبلها أيضًا.

أُمرنا ألا نيأس، ولكننا نجزم أنه طالما بقيت القيادة الحالية[1] على رأس الجماعة وطالما ظل المنهج الحالي حاكمًا عليها؛ فالأمل شبه منعدم في أن تتحول هذه الجماعة عن أفكارها أو أن تعود إلى رشدها، وذلك لأن الكيان الذي يلفظ كل من ناصحه أو اختلف معه حتى وإن كان من قادته ومن رموزه فلا خير فيه، ولأن القادة الذين يتاجرون بدماء الشباب ويخدعونهم باسم الدين من أجل أن يتحصلوا على مكاسب سياسية رخيصة، فلن يكون لهم أمان بعد ذلك، ولأن الشباب الذين عُبئت عاطفتهم بالغل والضغينة تجاه كل الناس، فهذا منافق، وذاك عميل، والآخر انقلابي، والشعب كله عبيد عسكر ولاحسي بيادة، فلن تستطيع هذه النفسية بعدما أُتلفت أن تتعامل مرة أُخرى بصفاء وسماحة، ولأن الشباب الذين صارت شتائمهم لا تخلو من السب والقذف وذكر المحارم والأعراض لا أمل في أن يكونوا صالحين مصلحين إلا بعد توبة حقيقية وتربية أخلاقية من جديد، ولأن الكيان الذي حرض على العنف وتبنى

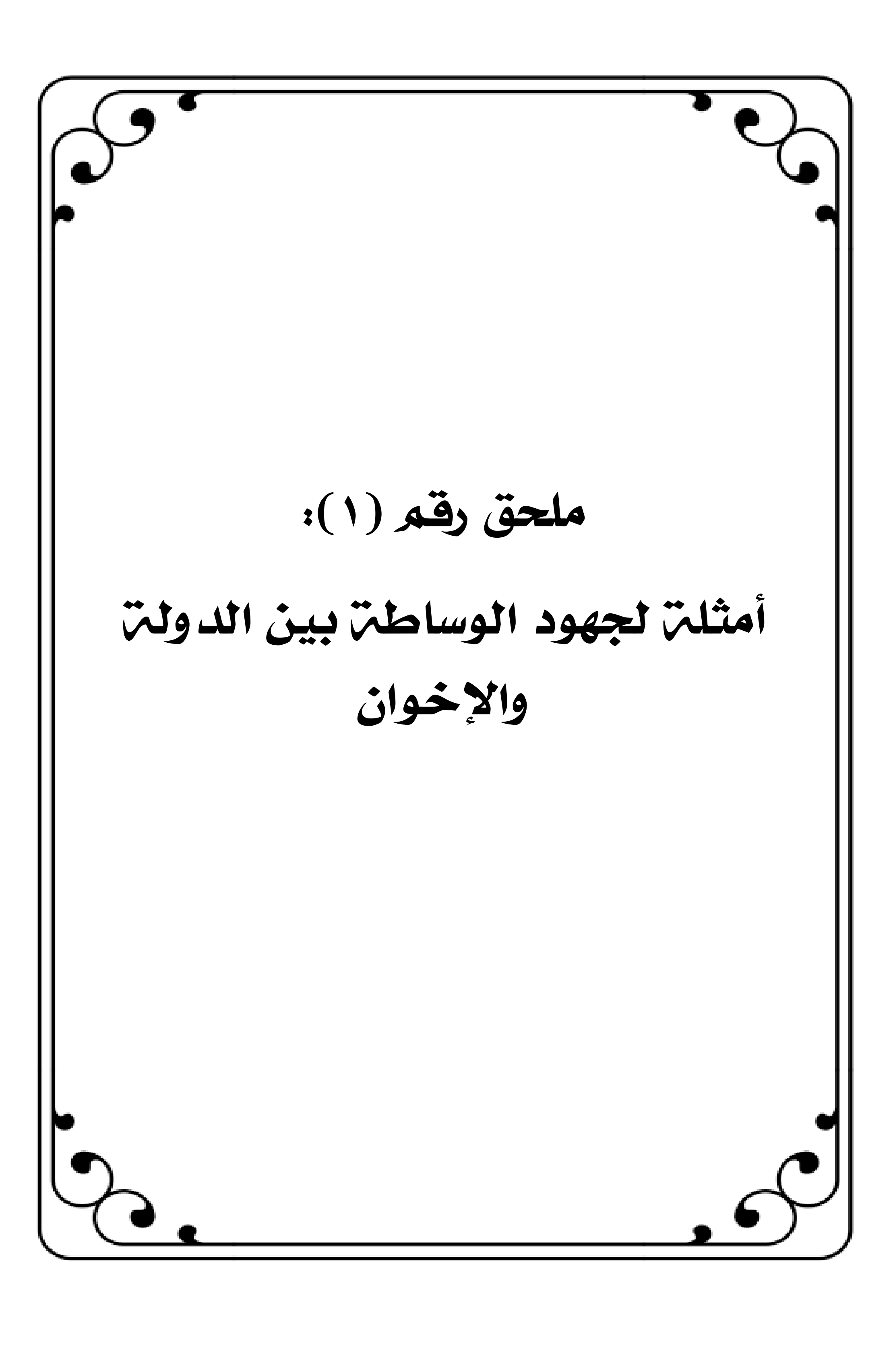
(١) هناك الآن جيل من الشباب أشد تطرفًا وغلوًا من القيادة الحالية، ونسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

التكفير وزرع القنابل والمتفجرات وصار بينه وبين المجتمع ثأر ودم، لا يمكن أن ينخرط في العباءة المجتمعية مرة أخرى.

إذًا فالخلاف هنا ليس حول مسائل اجتهادية في السياسة -كما ذكرنا- أو في التعامل مع أحداث الواقع، بل الخلاف في الحقيقة حول مسائل منهجية كبرى هي من صميم المباديء الحاكمة التي قامت عليها الجماعة، وهذا هو الموطن الحقيقي للاختبار، فإما أن نمتلك شجاعة الاعتراف بالخطأ ونقوم بمراجعة حقيقية لأفكارنا ومنطلقاتنا، وإما أن نكابر ونراهن على آفة النسيان وتبدل الزمان فنظل على ما نحن عليه بلا مصارحة ولا مواجهة.

ويبقى أن الأمل الحقيقي ينحصر في الخيِّرين من أعضاء هذه الجماعة ممن ما زالوا يحتفظون بشيء من العقل والحكمة والتدين، هؤلاء عليهم واجب أصيل في أن يثوروا على الموروثات المعوقة، والمفاهيم المغلوطة وإلا فكبِّر على هذه الجماعة أربعًا.





ملحق رقم (١):

أمثلة لجهود الوساطة بين الدولة والإخوان

ملحق رقم (١) : أمثلة لجهود الوساطة بين الدولة والإخوان.

المساعي التي بُذلت لكي تحول دون وقوع الصدام المروِّع بين الدولة والإخوان كثيرة جدًا، وجاءت من أطراف وطنية متعددة، حيث كانت تسعى لمنع نزيف الدم قبل ما يبدأ، ولكن وقف إصرار قادة الإخوان على المواجهة حائلًا دون نجاح هذه المساعي، حيث إن الإخوان ذكروا عدة مرات أنهم على استعداد لتقديم ١٠٠ ألف شهيد، وأنهم سيحمون الشرعية بدمائهم، وقد أدلى بعض الوسطاء بشهادتهم التاريخية حول الأحداث في تلك الفترة نذكر منها مثالين كما يلي:

مبادرة الشيخ محمد حسان:

بعد مرور ثلاثة أعوام على فض اعتصامي «رابعة والنهضة»، خرج في يوم ١٦أغسطس ٢٠١٦ ثلاثة من الشيوخ الذين قاموا بمبادرة للمصالحة بين «الجيش والإخوان»، خرجوا ليكشفوا كواليس وتفاصيل المصالحة التي سعَوا لها بين الإخوان والدولة، قبل فض اعتصام رابعة العدوية والنهضة بأيام، وقد ذكروا أسباب إعلان هذه الشهادة اليوم، ولماذا تأخرت ٣ سنوات، تحت عنوان «شهادة لله ثم للتاريخ»، وكشفوا فيها استجابة الدولة لمساعيهم ورفض الإخوان لها، ونحن هنا ننقلها مع اختصار يسير.

شهادة د. جمال المراكبي:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. **وبعد..**

فإنه في يوم الثلاثاء الموافق الثالث عشر من ذى القعدة عام ١٤٣٧ هـ الموافق السادس عشر من شهر أغسطس عام ٢٠١٦ م، كان هذا اللقاء وكان هذا البيان:

وهو بيانٌ ربما تأخر كثيرًا وتساءل الناس عنه كثيرًا!! ونحن نقوله اليوم إبراءً للذمة وشهادة لله ثم للتاريخ، تعلمون أننا شاركنا بالمناصحة كمجموعة من الدعاة والعلماء فيما عُرف بـ «مجلس شورى العلماء»، وكانت مهمة المجلس هي توجيه النصح لكل التيارات، وكل الأطراف حتى أننا وجَّهنا النصيحة، وجلسنا مع الكثير من التيارات

والأطياف، ثم حدثت بعد ذلك المناوشات التي حدثت بين التيارات المختلفة المتصارعة في الشارع المصرى، وما قُتل من الشباب عند نادى الحرس الجمهورى، عندها تساءلنا ماذا نصنع لنحقن الدماء الحرام؟ ماذا نصنع لنحمى أبناءنا وشبابنا من أن تسيل نقطة دم بغير حق؟ تواصلنا نحن المشايخ وكان المبادرهو الشيخ محمد حسان بارك الله فيه، كان في العمرة واتصل وقال «أنا لا أستطيع أن أصلي، ولا أن أقرأ القرآن لابد أن ندلي بدلونا في السعي في الصلح بين المختلفين بين المتخاصمين، وبالفعل جاء الشيخ من العمرة في العشر الأواخر من رمضان وجلسنا يوم ٢١ رمضان أو توافقنا يوم ٢١ رمضان على أن نجلس أولًا مع الممثلين لجماعة الإخوان وتيار تحالف دعم الشرعية، ونسمع من إخواننا، ماذا تريدون؟ وما هو المتاح؟ وما هو المأمول؟ وما الذي نستطيع أن نفعله في هذه الأزمة؟ وبالفعل جلسنا مع إخواننا - وأنا أذكِّر نفسي بالتواريخ- يوم الثلاثاء ٢٢ رمضان قبل فض رابعة بفترة طويلة، وحرصنا على أن نجلس معهم خارج رابعة وقلنا لهم: «جهزوا لنا مكانا، ومجموعة ليست من الإخوان فقط بل من تحالف دعم الشرعية، بالفعل جهزوا لنا شقة واجتمعنا، وكان معنا الدكتور عبد الله شاكر والشيخ محمد حسان وأخونا محمود حسان والدكتور محمد عبد السلام، وتحديدا التقينا بشخصيات آخرين أمثال الدكتور عبد الرحمن البر والدكتور عطية عدلان، والدكتور صلاح سلطان الذي جاء في أثناء الجلسة بعد قرابة نصف ساعة، والدكتور صفوت عبد الغنى، والمهندس أيمن عبد الغنى والمهندس إيهاب شيحة، هذه الجلسة استمرت تقريبًا من الساعة الواحدة والنصف ظهرًا إلى قرابة المغرب، كانت جلسة مطولة وتكلمنا معهم عن رؤيتهم للأحداث، فأنتم تمارسون السياسة ونحن نريد المناصحة ما هي رؤيتكم وتوقعاتكم للأحداث؟ وماذا تريدون؟ فقالوا: «إن كنتم تريدون أن تنصروا القضية فتعالوا اجلسوا معنا في رابعة، قلنا: نحن أتينا برؤية إصلاحية ليست رؤية حزبية ما جئنا لنتحزب أو نحكم على أحد إنما جئنا لنحقن الدم المسلم والدم المصرى بصفة عامة، وبدأ الحوار والتجاذب في الحوار حتى لما دخل

الدكتور صلاح سلطان قالها بكل وضوح وصراحة «عاوزين تنصروا القضية تأتوا لتجلسوا معنا في رابعة» رد عليه الشيخ / محمد حسان بشيء من الانفعال: **إن كنتُ أعلم أن نصرة دين الله في رابعة أو على المنصة لسبقتك إليها**، ولكن نحن جئنا نسمع منكم ونقبل منكم، وتخيَّلوا حوارا استمر قرابة الخمس ساعات انتهينا فيه أنهم أعلنوا عن الأزمة التي يعيشونها أنهم مهددون ولا يستطيعون الرجوع إلى بيوتهم ونحن الآن نأوى إلى رابعة ونعتصم بها لأننا نخشى من عمليات القمع العشوائي على الناس ونحن نريد تخفيف الاحتقان الإعلامى».

«أما نحن بالنسبة لنا كدعاة وعلماء كانت رؤيتنا أننا لا نريد أن نعرض الشباب لمواجهات مع تيارات أخرى أو مع الدولة الممثلة في الجيش والشرطة وكنا نريد من الساسة أن يجلسوا على موائد المفاوضات ويطرح كل منهم ما يحلوا له ويسمع ويرد، ونحن بعيدون عن هذا، ونحن لسنا ساسة، وكنا نسعى من أجل هذا، والحقيقة أن الإخوة بعد جهد توافقوا معنا أننا نذهب لملاقاة المجلس العسكرى في هذا التوقيت، وأننا نحاول معه ونعرض عليه بعض المطالب، التي هي حول تخفيف الاحتقان الإعلامى وعدم فض الاعتصام بالقوة وإخراج المعتقلين من السجون ونحن سمعنا من وزير الداخلية في هذا التوقيت أن صبره نفذ وسيفض الاعتصام بالقوة وكان الكلام أنه سيَحدُث دماء غزيرة، وانتهينا من أننا سنذهب لمقابلة المجلس العسكرى ونعرض مقترحات سواء كانت من عندنا أو نحملها من تحالف دعم الشرعية، وتم ترتيب لقاء مع المجلس العسكرى في هذا التوقيت أعتقد أنه مع اللواء/ العصار، والتقينا بالمجلس العسكرى يوم الخميس ٢٤ رمضان، وأنا أريد أن أقول لكم إنه في هذا اليوم أختي قد توفيت، وكلمت الدكتور/ عبد الله شاكر وأخبرته بحالة وفاة أختي وأنا لا أستطيع الذهاب معكم واتصل بى بعدها مباشرة وقال لى: إن الإخوة يقولون له إن الشأن العام أهم من الشأن الخاص فدفنت أختي وذهبت مباشرة من على المقابر إلى القاهرة وتوجهنا لمقابلة المجلس العسكرى بعد الإفطار كان معنا في هذه

المقابلة الدكتور محمد حسان، والدكتور/ عبد الله شاكر، والدكتور/ محمد مختار المهدى ﷺ، والدكتور محمد عبد السلام، الدكتور محمد حسن عضو مجمع البحوث، والأستاذ/ محمود حسان، وجلسنا في هذا اللقاء مع الفريق أول عبد الفتاح السيسى وتكلمنا معه، وخوّفنا الرجل بالله وقلنا له إن الدماء إذا سالت ستدفع الأمة ثمنًا غاليا، ونحن نخشى عليكم وعلى أبنائنا وعلى مصر أن تنزلق في مثل هذه الهوة، والحقيقة أن الناس سمعوا منا وكان هذا الكلام بعضه شديدًا وعنيفا لكنه كان تخويفًا بالله ﷻ وتحذيرًا مما كنا نراه أمامنا من صور الدماء التي كانت ستسيل، وامتد اللقاء قرابة الثلاث ساعات، في هذا اللقاء بعد جهد كانت الموافقة من الفريق أول عبد الفتاح السيسى - حينها- على مطالبنا وكان ردّه: عدم فض الاعتصام بالقوة ولو جلسوا سنة، بشرط يا مشايخ إحنا لنا شروط مش معقول نقفل الطرق المؤدية إلى مطار القاهرة كل يوم والطرق الأخرى فيبتعدوا عن الطرق الحيوية في مصر: فقلنا له: نحن نضمن لك هذا مقابل ألا يُفض الاعتصام بالقوة ابدًا، فنحن نريد أن نفتح مجالًا للتفاوض.

الأمر الثانى: طالبْنا بالإفراج عن المعتقلين بما فيهم الرئيس مرسي في هذا التوقيت وكان رد الفريق عبد الفتاح السيسى أن هذه المسائل بين يدى القضاء ورد الشيخ محمد حسان أن الأمر القانونى واضح ولن نتدخل فيه نحن نتكلم عن الاعتقالات والقبض الذي رآه الجميع بأنه عشوائى، وقال له معقول الدكتور سعد الكتاتنى المحترم العاقل الدكتور الجامعى رئيس مجلس الشعب السابق مقبوض عليه وتهمته سطو على شقة هل هذا معقول؟! لو كان هذا الرجل العاقل الدكتور/ سعد الكتاتنى حاضرًا الآن لكان له دور في هذه الأزمة بدلًا من المتهورين والمتحمسين، فردّ الفريق أول عبد الفتاح السيسى أن هذا الأمر سيُنظر فيه ويتم الإفراج هنا خطوة مقابل خطوة.

الأمر الثالث: بعد الإفراج عن المعتقلين وعدم فض الاعتصام بالقوة وضمان بقاء الاعتصام، أن يحدث الجلوس على مائدة التفاوض، وأشهد أنه قال: يجلسون على مائدة التفاوض باعتبار أنهم أكبر حزب سياسى في مصر وهذا الكلام أقوله للمرة الأولى

علنًا، وخرجنا من عنده مستبشرين مسرورين بهذا اللقاء شعرنا بعدم فض الاعتصام وشعرنا بأنه ستحدث مائدة للتفاوض لحل الأزمة فرحنا أيضًا بأنه سيخرج المعتقلون بعد هذا التفاوض، وبعدها ذهبنا للإخوان في اللقاء الثالث في يوم السبت الموافق ٢٦ رمضان ولكن للأسف لم أحضر هذا اللقاء بسبب استقبال المعزين في وفاة أختى، ولكن علمت بعد ذلك من إخوانى المشايخ بما حدث، حيث ذهب الشيخ محمد حسان والدكتور عبد الله شاكر والدكتور محمد عبد السلام والأخ محمود حسان، واندهش الجميع من الرد بعد هذا اللقاء المبشر بالخير مع المجلس العسكرى **بأن تحالف دعم الشرعية والإخوان قالوا للمشايخ شكرًا يا مشايخ واعتذروا عن ممارسة هذا الجهد وهذا السعي** بالرغم من ضياع ليالى العشر الأواخر من رمضان، لكننا كنا نعلم أن سعينا للمصالحة أعظم عند الله ﷻ من قيام ليلة القدر، ومن صدمتنا ذهبنا ولم نردَّ على أحد وكأنها غصة ابتلعناها، وقبلها أخذ الشيخ محمد حسان رأينا هل يظل الأمر سرًا أم نعلنه على الملأ في بيان مُقتضب؟ فكان رأينا بالاتفاق وبالإجماع أن الشيخ محمد حسان يتكلم في مسجد الحصري في الفجر، وأن يبشر الناس بهذه اللقاءات التي حدثت، وكان الناس يكبرون بعد سماع هذه الأخبار المبشرة بالخير، وبعد أن تكلم الشيخ حسان في المسجد هَمْهَمَ الشباب الذين يجلسون في رابعة وصعد الذين يتكلمون على المنصة ونفوا أنهم أرسلوا المشايخ ونفوا أنهم اتفقوا مع المشايخ على شيء، وأن هذه خطوة من المشايخ اتخذوها من قِبَل أنفسهم بدون ترتيب مع أحد، ووقتها قلتُ: إن هذا بسبب ضغوط الشباب عليهم ودعوت لهم أن يغفر الله لنا ولهم، فجلسنا في بيوتنا حتى تم الفض، ولما تم الفض أذكر أننى كنت في أسىً شديد وكنت اتقطع من داخلي وعلمت أن الشيخ محمد حسان، لم ينزل ليعتصم في رابعة، ولكنه نزل من أجل حقن الدماء وحماية الشباب بصدْرِه، ومُنع من الوصول إلى رابعة، ووصل إلى ميدان مصطفي محمود، وتم ضرب قنابل الغاز المسيلة للدموع، ونقل إلى المستشفي وكل هذا مسجل صوت وصورة على مواقع التواصل الاجتماعى.

كل هذا الكلام لماذا أقوله اليوم؟ ولماذا لم نقله للعامة بالرغم من الضغط علينا من القنوات لبيان ما حدث في السعي للمصالحة؟

لأننا لم نكن نريد أن نحكم على طرف دون طرف وهذا ما منعنا أن نتكلم ونعلم أننا كنا في فتنة عظيمة ونريد أن نخفف من وطأتها ونحمي شبابنا من أن تسيل دماؤهم من جميع التيارات (جيش، وشرطة، ومعتصمين، وشعب بصفة عامة) هذا هو منهجنا وهذا هو دافعنا: أن نحقن الدم المسلم في الأمة، ووقتها كنت أنظر إلى موقف الحسن بن على رضي الله عنهما الذي كان خليفة للمسلمين في يوم من الأيام وتنازَل عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ، ونحن كنا لا نريد أحدًا أن يتنازل لكننا كنا نريد أن يجلسوا على مائدة المفاوضات كلٌّ يدلو بدلوه ويتكلم بما يحلو له، وكنا لا نريد أن يُفَض الاعتصام حتى يجلسوا على مائدة المفاوضات احترامًا لاجتهاد إخواني من السياسيين ونحن في الأول وفي الآخر سعينا إلى المصالحة بوازع من ديننا بوازع من خوفنا من الله وخوفنا على هذا البلد الآمن وخوفنا على الشباب الذي ربما يدفع الثمن دمه وروحه رخيصًا بغير ثمن وغير مقابل ظنا منه أنه ينصر دين الله عَجَلَّ، أنا سُئلت في برنامج تليفزيونى من المخطئ «قلت: الكل مخطئٌ»، والكل يدفع الثمن الآن ونحن الآن ممنوعون من دعوتنا ومن مساجدنا.

وأتم: «ما أقول هذا الكلام في هذا التوقيت إلا لأبرئ نفسي وإخواني وهذا الرجلَ الذي يُطعن في عِرضه ليل نهار «الشيخ محمد حسان»، الذي يُتهم في عِرضه بسفهٍ على مواقع التواصل الاجتماعى، لا أريد أن أطيل أكثر من هذا أسأل الله العظيم أن يهيئ لنا أمر رشد يُعز فيه أهل طاعته ويُهدى فيه أهل معصيته وصلِّ اللّٰهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

الشهادة التاريخية للدكتورعبدالله شاكر رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية:

«أحمد الله جل وعلا وأصلي وأسلم على خير خلقه وعلى آله وصحبه.

وبعد..

إخوانى الكرام المشاهدين والمشاهدات: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد استمعتم إلى الكلمات التي تفضَّل بها أخي الدكتور جمال المراكبى حول الحدث الذي تم من بعض إخوانه خدمةً لهذا الوطن ورغبةً في الصلح بين أهل الإيمان وحفاظا على دماء المسلمين وحرصا على جَمْعِ كلمةِ الأمة ووحدتها لله وفي الله تبارك وتعالى، وكان التحرك لله ﷻ وكان الذي يُحرك الركب الذي اجتمع مع نفر من تحالف دعم الشرعية ومع المجلس العسكرى وقتئذٍ كان وراءه فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد حسان جزاه الله خيرا.

والكلمات التي استمعتم إليها الآن من أخي الدكتور جمال هي الحقيقة التي وقعت دون زيادة أو نقصان وقد شهدتُ وعاينتُ مراحِلَه، وأقول للذين يتهمون البعض بالكذب والتزوير والخيانة: قد أسأتم الظن بإخوانكم وافتريتم عليهم وستُسألون يوم القيامة بين يدي الله ﷻ عما قلتم.

إن العبد عندما يقول كلمة دون أن يعرفها أو أن يسمع قائلها أو لم يتبينها، أمره كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] كان التحرك لله ﷻ ومن أجل الحفاظ على أبناء هذه الأمة وعلى وطن هذه الأمة وعلى جيش وشعب وشرطة هذه الأمة؛ لأن الجميع يجب أن يعيش تحت مظلة واحدة في بلد واحد يرفرف عليه الأمن والسلام، كنا نود ونحن نتحرك أن تجلس كل الأطراف كما ذكر أخي الدكتور جمال للتفاوض والوصول إلى حل سلمي، وفي الحقيقة وجدنا من المجلس العسكري ترحيبا بهذه المقترحات، ثم وجدنا أطرافًا أخرى تتنكر لذلك ولا ترغب فيه وربما أقول اليوم: إن أمتنا تعاني الكثير جرَّاء هذه الويلات، ويجب علينا بعد هذا البيان أن نراجع أنفسنا وأن نتدارك مواقفنا وأن نتنازل عن الشخصنة التي يعيشها البعض أو الأنانية التي تتحكم في تصرفات البعض، يجب أن ننظر لله سبحانه وتعالي ثم في مصلحة هذه الأمة ثم في مصلحة هذا الوطن نحن بحاجة اليوم أن نتكاتف وأن نتعاون وأن نضع أيدينا في أيدي بعض؛ لكى نبني أمة تعبد الله تعالى وتوحده وتعيش في أمن وسلام ورقيٍّ وتقدم، ولا يكون ذلك إلا في ظل

وِحدة كاملة وأن نتعاون ونتناصر ونتكاتف ونكون كما قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

أسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفق المسلمين لكل خير وأن يجمع كلمة الأمة على كلمة سواء وأن يعلي دينه وأن يعز أولياءه وصلِّ اللّٰهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نص شهادة الشيخ محمد حسان تكشف المستور:

«الحمد لله رب العالمين وصلِّ اللّٰهم وسلِّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد....

حياكم الله جميعاً أيها الأخوة والأخوات

وبعدَ أن استمعنا إلى الشيخين الجليلين المباركين، إلى فضيلة الدكتور/ جمال المراكبي وإلى فضيلة الدكتور/ عبد الله شاكر، فهذه شهادة لله ﷻ ثم للتاريخ ثم لأجيالنا التي تعيش معنا وتشاهد هذه الأحداث المؤلمة وتشهد عليها ولأجيالنا القادمة، لكنني أود أن أبين - للحق - بعضَ الأمور: منذ ثلاث سنوات وإخواننا يأكلون لحمنا ويخوضون في أعراضنا ويطعنون في ديننا بل وأخواتنا أيضًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، قد استعلينا على الألم واستعنا بالله جل وعلا وصبرنا وأسأل الله ألا يحرمنا الأجر إنه ولى ذلك والقادر عليه، وربِّ الكعبة ليس رغبًا ولا رهبا وليس خوفًا من أحد ولا طمعًا فيما عند أحد، والله جل وعلا يعلم الصادق من الكاذب ويعلم المُفسد مِن المُصلح، بل لقد أساء إلينا حتى إخواننا من أهل العلم، وبفضل الله جل وعلا قلتُ: لقد عاهدنا الله ألَّا نكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه فلم نجرح أحدًا ولم نؤذ أحدًا ولم أُسئ إلى أحد ممن أساءوا إليَّ من إخوانى وأخواتى، وأسأل الله أن يفرج الكرب ويكشف الهم وأن يزيل الغمة إنه ولي ذلك والقادر عليه... أنا منذ ثلاث سنوات وأنا لا أتكلم، وقد طلب مني المشايخ أن أخرج في مؤتمر صحفيٍّ لأبين ما حدَثَ، لكنني قلتُ: لا، أنا متصدق بعرضي على إخواني وأخواتي



حقنًا للدماء وصيانة لبلدنا ولدعوتنا ولإخواننا، ثم لِندع فرصة أخرى لأيٍّ من الأفاضل أن يتحرك لعل الله ﷻ أن يرزقه التوفيق وأن يجعل الصلح على يديه، لكن منذ أيام - ولا حول ولا قوة إلا بالله وكل شيء بقدر - نشرتْ إحدى الصحف ما نشرته من هذا الحوار وأود أن أقول لله: بأنني لم أُجْرِ حوارًا للنشر مع أيِّ جريدة في الداخل أو في الخارج منذ أكثر من ثلاث سنوات، وهذا الحوار الذي نُشر: كانت دعوة على الإفطار في شهر رمضان الماضي في بيت أحد الإخوة ثم فوجئت بهذا الحوار في اليوم الذي نُشر فيه،أُشهد الله على ذلك ما عرفته وما قرأته إلا في اليوم الذي نُشر بعد صلاة الظهر، والله على ما أقول شهيد.

أُوضِّح لله بأن ما ذُكر في المقال وأنا أقول: لقد نقل الأخ الصحفي ما حدث في قضية الصلح بأمانة وأنا أقرُّ بكل ما جاء فيه ولا أُنكره وبفضل الله قد سمعتم من الشيخين ما ذكرته في هذه الجلسة وقد خرج بتقدير الله ﷻ، ذكر الشيخ ما ذكرته بفضل الله جل وعلا ونحن لا نكذب على الله ولا نكذب على أحد من الخلق وحاشا لله، أنا أقر بما جاء فيه لكن أوضح - للحق - بأنني ما قلتُ أبدًا بأن الدكتور عمرو دراج قال لي:....، أنا لم أقل هذا لأنني لم أشرف بسماعه قط ولا بلقائه قط وإنما قلتُ: لقد سمعت الدكتور عمرو دراج في حوار له مع الدكتور حمزة زوبع في برنامج «إنى أعترف» في شهر رمضان الماضي يقول بأنهم التقوا «كاثرين آشتون» ثلاث مرات في كل مرة كانت تقول لهم كلمة واحدة وقالت هذه الكلمة للدكتور محمد مرسي «**ارضوا بالأمر الواقع**»، هكذا قلتُ لكن لم أقل «قال لى» حاشا لله، ثم سمعتُ بأذنى أيضًا - بعدما سمعت الدكتور عمرو دراج - الدكتور القرضاوي في آخر لقاء له في برنامج «مراجعات» مع الدكتور عزام التميمي يقول: إن الإخوان لم ينظروا إلى الأمر نظرة متعمقة من كل جوانبه ونواحيه، وراجعوا واسمعوا الحلقة.. ثم قال أيضا: «وأنا أعجب كيف سمح الإخوان أن يواجهوا الجيش» هذا الكلام قاله الدكتور القرضاوي بعد ثلاث سنوات، نحن حذرنا منه قبل أن يقع بفضل الله جل وعلا، ثم سمعت أيضًا الدكتور حمزة زوبع

يقول: بأن اعتصام رابعة كان بهدف الضغط من أجل التفاوض!!، فنحن ما سعينا وما تحركنا إلا من أجل أن نفتح هذا الباب وقد قلتُ ذلك وهو مسجل في الكلمة التي أشار إليها الدكتور جمال المركبى لمن أراد أن يراجعها، قلتُ: نحن نفتح بابًا للصلح ثم نترك باب المفاوضات للساسة من الطرفين ليجلسوا على مائدة واحدة.

ثم قلتُ أيضًا: أحكام القتل لا اجتهاد فيها لأحد، قلتُ: القتل العمد فيه القصاص لكنْ مِن حقِّ وليِّ الدم أن يعفوَ وأن يقبلَ الدية، هذا ما قلته، قلت: المَخرج في كلمة واحدة من الحكيم الخبير الذي خلق وهو يعلم مَن خلق «القصاص في القتل العمد»، ومن حق ولي الدم أن يعفوَ عن القصاص وأن يقبل الدية، هذا قول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] قال ابن عباس العفو: الدية في القتل العمد، وهذا قول مقاتل ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير وعطاء وغيرهم من أهل الفضل العلم، راجع تفسير الحافظ ابن كثير[1]، وهذا ما قاله حفيد سيد الأمة الحسن بن على رضي الله عنهما، وها أنا ذا أُقدم المَخرج من الأزمة، ليس بكلمات من عندى ولكن بكلمات مَنْ حَقَنَ الله به دماء المسلمين، إنه الحسن بن على إنه السيد بشهادة الصادق الذي لا ينطق عن الهوى الذي قال «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[2]، ذلك أنَّ الحسن بن على رضي الله عنهما، لقيَ معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما بكتائب أمثال الجبال فماذا قال الحسن لمعاوية رضي الله عنهما: إن يكن الأمر لك فلا ينبغى لي أن أُنازعك

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (قَالَ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فَالْعَفْوُ: أَنْ يَقبل الدِّيَةَ فِي الْعَمْدِ، وَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَأَبِي الشَّعْثَاءِ، وَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ.) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢/ ١٦٤) طبعة دار عالم الكتب بالرياض، الطبعة الأولى.

(٢) رواه البخاري (٢٧٠٤).



فيه «الحكم والملك»، وإن يكن الأمر لي فقد تركته لك حقنا لدماء المسلمين ورغبة فيما عند الله ﷻ، وانتبهوا إلى المخرج إن أردتم المخرج، وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: إن هذه الأمة عاشت في دمائها – أي: قتل بعضها بعض- ولا يكفُّون عن ذلك إلا **بالصلح، والصفح عما مضى، والتألف بالمال تسكينا للفتنة**، هل سمعتم المخرج؟ هل سمعتم كلام الحسن؟

هذا ما ذكرته - بالعدل والحق - بل قلت: الصلح لا ينجح إلا بشروط لا بد للمصالحة حتى تنجح من شرطين - وهذا مسجل بصوتى لمن أراد من يرجع إليه- قلت: المصالحة لا تنجح إلا بشرطين:

الأول: صدق النيات بأن يتجرد أصحاب هذا النزاع من الطرفين معًا، وأن يكون الأمر والانتماء لله ثم للوطن ليس لحزب ولا لجماعة.

الثانى: العدل والحق، وهذا مسجل أيضًا حتى لا يظن أولئك الذين يُكذِبوننا في كل شيء أننا لم نقل ذلك إلا الآن، لا وربِّ الكعبة، ارجعوا إلى هذه الأشرطة وراجعوها لله.

قلت: فلا يجوز أن يفقد طرف كل شيء وأن يحقق طرف كل شيء، بل لا بد أن يتنازل كل طرف للآخر من أجل الوصول إلى مصالحة حقيقية، وقلت: أمور الناس لا تستقيم بالظلم إنما تستقيم بالعدل والحق فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة مِن خَلَاقٍ، وما لم يقم أمر الدنيا بالعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة، فالدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، فإن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، هذا ما أردنا أيها الأفاضل أن نوضحه وأن نبينه، فلا مخرجَ إلَّا بالعودة إلى الله، وإلا بالاعتصام بالله وبكتاب الله، وإلا بالحرص على الدماء التي حذَّرْنا منها مرارًا وتكرارًا، واللهِ ما خرج المشايخ جزاهم الله خيرًا إلا حقنًا للدماء وحفظًا للدعوة التي حُرِمْنَا منها ونُتَهم الآن بأننا أخذنا كل شيء لازالت «قناة الرحمة» ولازال البث

المباشر مقطوعًا عنها إلى يومنا هذا، وحُرِمْنا جميعًا من الدعوة إلى الله، وضُمَّت مساجدنا إلى الأوقاف، فليتق الله كل من يتكلم، ويعلم أنه مسئول بين يدي الله ﷻ، خرجنا للمصالحة حقنًا للدماء وحفظًا للدعوة وحفظًا لشبابنا ولبلدنا وحتى لا يدخل أبناء التيار الإسلامي في صراع مع الجيش والشرطة لا يستفيد منه إلا اليهود المتربصون بنا وبأمتنا، فالغنيمة الكبرى لهم هي مصر وإذا سقطت مصر ستسقط الأمة كلها، حين نقول ذلك - ونقول الحكمة دينٌ، انظروا إلى مآلات الأقوال والأفعال، وانظروا إلى المصالح والمفاسد - نُتَّهم في ديننا ونُتَّهم بالخيانة، ألم يقل ربنا ﴿**وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ**﴾ [النساء: ١٢٨] ألم يقل ﴿**وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ**﴾ [الأنفال: ١] ألم يقل ﴿**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**﴾ [الحجرات: ١٠] ألم يقل نبينا ﷺ في حق المشركين «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**» (١) أحببت أن أبين لإخواني وأخواتي الحقَّ في هذه المسألة، وأعِدُ الجميع بأنني إن شاء الله لن أخرج أبدًا عن ديني ولا عن خُلُقي وسأظل عَفَّ اللسان بإذن الله تعالى لا أعيب في أحد ولا أسيئ لأحد، ولا أنسى في الوقت ذاته أن أُطمئن شبابنا أنني وربِّ الكعبة نصحتُ لله وقلتُ ما لا يتوقع أحد منكم أنْ يسمعه!! إرضاء لله ولا زلت أنصح، ثم أنكرت على الملأ وأنكرنا القتل وتبرأنا إلى الله من القتل وحذرنا من الدماء وتبرأنا إلى الله من الدماء وأنكرنا التعذيب وأنكرنا الإهانة وأنكرنا انتهاك الحرمات وذكّرنا المسئولين بتحقيق العدل ورفع الظلم حتى لا يصل الناس من كبتهم هذا إلى حد الانفجار ولا زلنا نُذَّكر بالعزيز الغفار وبكلام النبي المختار ﷺ فنحن لا نملك إلا الكلمة فلا تحملونا ما لا نطيق، هذه شهادة لله ثم للتاريخ» (٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) تمت إذاعة هذا اللقاء مصورًا على قناة الرحمة الفضائية بتاريخ ١٧ اغسطس ٢٠١٦م.

وهو متوفر على الإنترنت لمن أراده:

https://www.youtube.com/watch?v=QzaCQ__39ik

جهود الدعوة السلفية وحزب النور:

بذلت الدعوة السلفية ممثلة في مجلس إدارتها وعبر حزب النور - الذراع السياسي لها - العديدَ من محاولات حقنِ الدماء، ومنعِ الصدام، وتقريبِ وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة، وقد سُجلت هذه المواقف من خلال بيانات مختصرة كانت تُصدرها الدعوة عقب كل خطوة من هذه الخطوات:

بيان الدعوة السلفية بشأن الأزمة السياسية الراهنة (٩ شعبان١٤٣٤هـ، ١٧يونيو- ٢٠١٣):

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، **أما بعد**؛

فترى الدعوة السلفية عدمَ المشاركة في مظاهرة «٢١/ ٦»، ولا غيرها من المظاهرات في هذه المرحلة؛ حذرًا من الاستفزاز السياسي، والحشد المضاد، وخطاب الإثارة، والعنف الداعي إلى تقسيم المجتمع إلى معسكرين: «إسلامي يريد الشريعة، وآخر علماني لا يريدها»، مع أن المستقر في ضمير الشعب المصري اعتقادُ مرجعيتها، وأكثر المعارضين لا يرفضها وإنما يعترض على أداء الحكومة ومؤسسة الرئاسة الذي لا يلبي احتياجات الشعب.

والدعوة السلفية تؤكد رفضها لخطاب التكفير والتخوين للمخالفين، وتحذر كذلك من استغلال هذه التجمعات لإحداث عنف وتخريب تُسفك فيه الدماءُ المحرمة، قال النبي ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» [رواه البخاري].

وتؤكد الدعوة السلفية على المواقف الآتية:

أولاً: موقفنا من الرئيس «محمد مرسي»:

١- نرى أن الرئيس «محمد مرسي» رئيس منتخب لمدة أربع سنوات، وأن الدستور قد حدد الحالات التي يُعزل فيها الرئيس، ولا ينطبق أي منها على الرئيس «محمد مرسي».

٢- نعترض على بعض سياسات الدكتور «مرسي»، وكذلك سياسات الحكومة، ونوجِّه النصح في ذلك ونعارض ما لا نراه محققًا للمصلحة في مجلس الشورى، وفي جلسات الحوار الوطني؛ إلا أن هذا لا يُخل بكونه رئيسًا منتخبًا.

ثانيًا: نصيحتنا للمعترضين على الرئيس:

نحن نرى أن الانتخابات البرلمانية سوف تفرز رئيس وزراء «معبرًا عن الأغلبية البرلمانية» وله صلاحيات دستورية يتقاسم بها الأعباء مع رئيس الجمهورية -إن لم تكن زائدة عليه-، وهو ما يعطي كل القوى السياسية والحركات الاحتجاجية فرصة دستورية قانونية سلمية لتغيير التركيبة السياسية؛ كلٌّ وفق درجة قبوله في الشعب.

ثالثًا: موقفنا من الانتخابات الرئاسية المبكرة:

الانتخابات الرئاسية المبكرة إجراء يلجأ إليه بعض القادة السياسيين إذا وجدوا أن شرعيتهم على المحك، والبعض يطالب الدكتور «مرسي» به، وإذا بقي في إطار المطالبة السلمية فلا توجد مشكلة بها في ذلك تعبير المطالبين به عن أنفسهم في شكل توقيعات أو تظاهرات سلمية، والرئيس وحده هو مَن يملك الاستجابة لهذه الدعوة مِن عدمه.

رابعًا: موقفنا من دعوات إسقاط الدستور أو تشكيل مجلس رئاسي مدني وما شابه ذلك من الدعوات:

إذا كنا قد التزمنا بالدستور الذي يمثِّل العقد الاجتماعي بين أفراد المجتمع ومِن ثَمَّ أقررنا بحق المتظاهرين المؤيدين للرئيس بالتعبير عن رأيهم بطريقة سلمية، وحق المخالفين كذلك بأن يطالبوا الرئيس بالانتخابات المبكرة؛ فهذا لا يعني مطلقًا ما ذهب إليه خيال البعض من إمكانية إسقاط الدستور أو تعديله بغير الطريقة المنصوص عليها فيه أو السطو على السلطة تحت مسمى «مجلس رئاسي» أو غيره!

ويجب أن يَعلم الجميع أن إسقاط الدستور أو القفز على السلطة بطريقة الحشود أمرٌ قد يجرنا إلى اتباع أسلوب الحشد والحشد المضاد، وهو الأمر الذي نتحاشاه قدر الإمكان، ونؤكد أنه لا يمكن إطلاقًا أن نقبل إسقاط الدستور الذي وافق عليه الشعب، ولا تغيير بعض موادِّه إلا بالطريقة التي وردت فيه.



كما نرفض أي مساس بمواد الهوية والشريعة الإسلامية، ووحدة البلاد وسيادتها على كامل أرضها.

اللَّهم احفظ مصر وأهلها من كل سوءٍ، وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

بيان من «الدعوة السلفية» بشأن الأزمة السياسية الراهنة (٣) «إياكم والسقوط في الفتنة» (١٦ شعبان ١٤٣٤هـ، ٢٤ يونيو٢٠١٣م):

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فقد حاولت «الدعوة السلفية» قدر طاقتها الوصول إلى حل سلمي للأزمة السياسية الحالية عن طريق التعجيل بالانتخابات البرلمانية أو إقالة الحكومة، وازداد أملها في ذلك بعد «بيان القوات المسلحة» الذي حضَّ الجميع على سرعة الوصول إلى توافق قبل «٦/٣٠».

إلا أن الجميع بدأ في حشد أتباعه في الشوارع قبل «٦/٣٠» بعدة أيام، وكأن كل فريق يحاول تقليص المدة المتاحة للحل السلمي!

ونحن نرى أن هذه الحشود رغم رفع كل منها لشعارات السلمية تجعل نسبة التناوش ثم التقاتل احتمالًا وشيكًا، وهو متى حدث فسيكون قتال فتنة لا يدري القاتل فيمَ قتل، ولا المقتول فيمَ قُتل؟! حيث يرى فريق أنه يدافع عن شرعية رئيس مع أن من هو أعلى منه شرعية يجب عليه متى خرج الناس عليه أن يستمع إليهم ويزيل شبهتهم، كما نص العلماء في حكم البغاة الخارجين على الإمام.

وفي المقابل: يخرج فريق آخر يرى أن له مطالب مشروعة تتعلق بوعود انتخابية وأحوال معيشية لم تفِ الحكومة الحالية بها، مع أنه يمكن تغيير الحكومة من خلال الانتخابات البرلمانية القادمة، وفي ذات الوقت يستثمر البعض هذه المطالب المشروعة لإظهار عداوته للدين!

وعبثًا حاولنا أن يعجِّل النظام بالاستجابة للمطالب ولو بتغيير الحكومة أو أن ينتظر المعترضون إلى أن يتم ذلك من خلال الانتخابات.

وزاد من خطورة الموقف: خطابُ تخوينٍ متبادل وتوعد بعنف لم يَبذل كل فريق جهده في التبرؤ الكافي منه، وتلويحٌ بتكفير لا يجوز في حق مسلم لمجرد خلاف سياسي، قال النبي ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**» [متفق عليه]، وقال: «**إذا قالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَهو كَقَتْلِهِ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» [رواه الطبراني في المعجم الكبير، وصححه الألباني].

وهذا هو وضع الفتنة التي أمرنا أن نفر منها؛ فحرمة المسلم عند الله عظيمة، قال النبي ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ ومالُهُ وَعرضه**» [رواه مسلم]، وقال: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» [رواه البخاري]، وقال: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» [رواه مسلم].

بيان حزب النور في المؤتمر الصحفي الصادر في ٢٠١٣/٦/٢٥ :

١- يعلن الحزب عن رفضه المشاركة في مظاهرات الأربعاء ٦/٢٦ والجمعة ٦/٢٨ والاعتصام بعدها التي دعت إليها بعض القوى الإسلامية وكذلك مظاهرات ٦/٣٠ التي دعت إليها حركة تمرد مما يؤدي إليه الحشد والحشد المضاد، وإلى التصعيد الذي لا يمكن التحكم فيه، ومخاطر الفوضى والصدام الدموي الذي يعرض الدولة والمجتمع لمخاطر جسيمة.

٢- يعلن الحزب رفضه الباتَّ لكل دعاوى العنف والتكفير واستباحة الدماء والأموال والأعراض التي صدرت في بعض المليونيات السابقة، وعلى الجانب الآخر نحذر التعرضَ للمتدينين وأصحاب السمت الإسلامي بالاعتداء عليهم على خلفية مواقف سياسية، وأن هذا أمر غريب تكرار الاعتداء على بعض أبناء الوطن ممن لهم سمت إسلامي مميز كاللحية والنقاب أمر غريب على طبيعة الشعب المصري الرافض لهذه الممارسات العدوانية، وحزب النور يحذر من تنامي هذه الظاهرة الخطيرة على أمن الوطن وسلامته.



٣- يعلن الحزب رفضه الشديد لزرع العداوة مع مؤسسات الدولة وعلى رأسها القوات المسلحة والأزهر والقضاء ونرفض إهانتها.

٤- بالنسبة لما حدث من الاعتداء على مقر حزب النور بالمحلة نستنكر ما وقع من الاعتداء غير المبرر ونؤكد على النقاط التالية:

أولاً: يحذر حزب النور من محاولات البعض لجر أبنائه إلى أتون صراع يقضي على الوطن بأسره ويدخل أبناء مصر في دائرة من فوضى ستأتي على الأخضر واليابس، ويؤكد على التزامه بضبط النفس لتفويت الفرصة على من يريد إحراق الوطن، رافعا شعار حقن الدماء داعيا إلى نبذ العنف، مقدمًا لمصلحة الوطن على كل المصالح الحزبية والشخصية.

ثانياً: إن علاقات حزب النور بكل القوى السياسية والحركات الثورية بالمحلة وغيرها جيّدة، ولن نستبق نتيجة التحقيقات الرسمية بتوجيه أصابع الاتهام لأي جهة من الجهات، والحزب يثمّن موقف العقلاء والأفاضل من أهالي المحلة الكرام من جيران الحزب في إنهاء الأزمة ولله الحمد.

٥- بالنسبة لأحداث أبى نمرس بالجيزة، نؤكد أن ما حدث لا يمكن أن نتبنى قبوله، ولا يمكن السماح للأفراد بعقوبة من ارتكب جريمة، بل هذا للسلطات المسئولة، ونؤكد أيضا أن هذه الأحداث تمثل باكورة انقسام في المجتمع المصري بسبب التوغل الشيعي في حالة تركه، وهو من أعظم المخاطر التي لابد من علاجها فكريا ودعويا وتشريعيا وأمنيا وقد سبق أن نبهنا على هذه المخاطر عدة مرات.

٦- بالنسبة لرؤية الحزب لحل الأزمة السياسية الراهنة وحالة الاحتقان يتلخص في الآتي:

أولاً: الانتخابات البرلمانية القادمة التي تأتي ببرلمان منتخب ورئيس وزراء منتخب تماثل صلاحياته صلاحيات الرئيس وربما تفوقها هو الحل الأمثل ولابد من ضمانات ضرورية لنزاهتها منها:

١- تشكيل حكومة محايدة تشرف على الانتخابات البرلمانية على أن تكون حكومة تكنوقراط تشترك في تشكيلها جميع القوى السياسية مشاركة حقيقية.

٢- إعداد قانون للانتخابات تشارك في وضع مواده جميع القوى السياسية ويتوافق مع ملاحظات المحكمة الدستورية في أسرع وقت ممكن.

٣- تحديد موعد الانتخابات بالتشاور مع كل القوى السياسية.

٤- إعادة النظر في جميع التعيينات التي تمت في المرحلة السابقة من محافظين وغيرهم ممن لهم تأثير مباشر على العملية الانتخابية.

ثانياً: إنهاء الصدام بين السلطة التنفيذية والسلطة القضائية والذي يتمثل في حل مشكلة النائب العام وإرجاء إصدار قانون السلطة القضائية لحين انتخابات البرلمان.

ثالثاً: يرفض الحزب رفضا باتًا دعاوى إسقاط الدستور أو تعيين هيئة تأسيسية لتغييره أو تعيين برلمان من النقابات وغيرها، وكذا تعيين رئيس جمهورية بدلا من الرئيس المنتخب أو رئيس وزراء من قِبل طائفة لا تمثل الشعب المصري ولم يفوضها أحد بذلك فهذا خطر على الشرعية، وهو ضرب من الدكتاتورية لم يبلغها نظام مبارك السابق ولن نسمح لأحد مهما كان باستعباد الشعب المصري.

٧- يرحب الحزب بتصريحات الفريق السيسي الداعية لإيجاد حل سياسي للأزمة قبل ٦/٣٠ وندعو الجميع لاستثمارها قبل فوات الأوان ودخول البلاد في فوضى لا يمكن قبولها.

٨- بالنسبة للدعوة لانتخابات رئاسية مبكرة يرى الحزب أن الدستور المصري قد تضمن في المادة رقم (١٥٠) وفيها لرئيس الجمهورية أن يدعو الناخبين لاستفتاء في المسائل المهمة التي تتصل بمصالح الدولة العليا، والشعب هو الذي يحدد في استفتاء شعبي ضرورة إجراء الانتخابات الرئاسية المبكرة وكل هذا تأكيدا منا على ضرورة احترام الدستور الذي وافق عليه الشعب في استفتاء ٢٠١٢/١٢/١٥ وأن أي تغيير لا يمكن أن يتم إلا بما ورد فيه لأنه العقد الاجتماعي بين أبناء الأمة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

بيان من حزب النور بشأن خطاب السيد رئيس الجمهورية ٢٨- ٦-٢٠١٣:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، ﷺ.. وبعد..

تضمن الخطاب بعض الجوانب المتعلقة بالصعوبات التي واجهته في خلال السنة الماضية وهي خطوة تأخرت كثيرا ونأمل أن تكون بداية لمزيد من الشفافية بين الرئاسة وعموم الشعب، وهو أمر ضروري بالإضافة للحوار مع القوى السياسية ولا يغني أحدهما عن الآخر.

وعلى مسار الإصلاحات السياسية والاقتصادية تضمَّن الخطاب بعض الأطروحات ولنا عليها عدة ملاحظات حتى تحقق أثرها وهذه النقاط هي:

١- الدعوة إلى لجنة مصالحة وطنية، وهي دعوة تحتاج وبسرعة إلى آليات واضحة وشفافة وضمانات حتى يَقبل بها الجميع ولا يكون مصيرُها مصيرَ جلسات الحوار الوطني السابقة.

٢- الدعوة إلى إقالة المسئولين عن معاناة الشعب المصري خطوة جريئة ولكن الحذر يجب أن يكون شديدا من أي إجراءات شمولية وغير قانونية قد تطول بعضَ المخلصين أو تعطي فرصة لبعض الرؤساء للتخلص من مرؤوسيهم أو تكرس لمخالفة أجهزة الدولة للدستور والقانون، وأنه لابد أن يكون ذلك بعد التحقيق وثبوت البينات وليس لمجرد رغبات الرؤساء أو ادعاءاتهم.

٣- الدعوة إلى سحب تراخيص محطات الوقود الممتنعة عن توزيع المنتج يجب أيضا أن يتم من خلال محاضر لمباحث التموين مع عرضها على النيابة وإعطاء كل متهم حقه في الدفاع عن نفسه مع تخصيص دوائر في النيابة والقضاء لسرعة الفصل في هذه القضايا.

٤- تمكين الشباب وهي أيضا خطوة عملية تأخرت كثيرا ولكنها تحتاج إلى آليات واضحة مثل إلزام الوزارات بعمل إعلانات عن الوظائف الشاغرة في الصحف مع وضع شروط مناسبة لكل وظيفة تعيد للشباب الثقة في وجود عدالة اجتماعية وفرصة حقيقية لخدمة بلده وفق الكفاءة والمهارة التي يمتلكها، وأن يكون الاختيار بناء على

الكفاءة وبعيدا عن الانتماءات الحزبية في الوظائف الإدارية وإتاحة الفرصة لجميع القوى السياسية للمشاركة الحقيقية بناء على معايير الكفاءة.

٥- ويؤكد الحزب على ما أعلنه الرئيس من أن أية اقتراحات لتعديل الدستور يجب أن يتم بطريقة دستورية.

٦- يرى الحزب أن الخطاب خَلَا من خطوات عملية لحل الأزمة السياسية الراهنة، وكنا نتوقع من الرئاسة الاستجابة لما قدم إليها من مبادرات من كافة القوى السياسية.

٧- وفي النهاية يؤكد الحزب على امتناعه عن المشاركة في أية تظاهرات مؤيدة أو معارضة اتقاء لحدوث أيٍّ مواجهة يراق فيها الدم الحرام والذي سبق أن حذرنا منه كما حدث في عدة أماكن ونطالب الداخلية والنيابة بالعمل الجاد على منع هذه الاحتكاكات وتقديم من يتورط فيها إلى المحاكمة، كما يؤكد الحزب رفضه القاطع لدعوات إسقاط الدستور الذي واقف عليه الشعب لأن هذا قفز على إرادة الأمة.

بيان حزب النور... بشأن الأزمة السياسية الحالية ١-٧-٢٠١٣:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

١- يُعرب حزب النور عن بالغ أسفه لسقوط ضحايا وجرحى وإراقة الدم الحرام وأن نسفك دمائنا بأنفسنا، ونود في ذلك الصدد أن نعيد على ما سبق بيانه من عِظم شأن الدماء عند الله وتذكير أن كل مشارك بفعل أو قول أو تحريض سوف يُسأل عن ذلك أمام الله ﷻ.

٢- يدعو حزبُ النور مؤسسةَ الرئاسة إلى النظر بعين الاعتبار إلى أعداد المتظاهرين والتنوع في توجُّهاتهم حتى تدرك أن هناك مطالبَ مشروعة للشعب المصرى لابد من الاستجابة لها، وأن وجود قوى ذات أجندات خاصة أو وجود مجموعات تتبنى العنف لا يُخل بمطالب الجموع الغفيرة من الشعب المصرى والذي يجب أن تضعها كل من الحكومة والمعارضة فوق رؤيتهم السياسية.

٣- ننتظر من الرئاسة خطوات عملية وجريئة وسريعة في رأب الصدع ومستعدون للمساهمة في أى حل يلقى قبولًا عامًا.

٤- ننتظر من شعب مصر العظيم أن تكون جموعُه غير المسيسة هي عنصر الأمان الذي يمنع اندساس المخربين ويرشد طيش الطائشين ويحافظ على وجهه الحضاري العظيم.

سائلين الله أن يحفظ دماء جميع المصريين وأن يرزقهم الأمن والأمان

بيان الدعوة السلفية وحزب النور رقم (٥) بخصوص الأزمة السياسية الراهنة الصادر في ٢٣ شعبان ١٤٣٤هـ، ٢ يوليو ٢٠١٣م:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.. وبعد..

تابعت الدعوة السلفية وحزب النور المستجدات على الساحة السياسية والتي كان من آخرها بيان القوات المسلحة الصادر عصر يوم الاثنين ١-٧-٢٠١٣م، وبعد الدراسة والتمحيص، وانطلاقًا من الحرص على المصالح العليا للبلاد، ومنعًا لسفك الدماء، واستجابة للجهود المبذولة لمنع حدوث حرب أهلية، ومنع صدام غير محسوب العواقب يضر أعظم الضرر بالعمل الإسلامي كله ويجعله في مواجهة غير مقبولة شرعًا وواقعًا مع جموع الشعب.

تعلن الدعوة السلفية وحزب النور عن المطالب الآتية للسيد رئيس الجمهورية:

١- إعلان موعد انتخابات رئاسية مبكرة، ونحن رغم دعمنا للشرعية إلا أنه لابد أن ترعى الشرعيةُ مصالحَ البلاد وتراعي خطورة الدماء، وتحرص على إعمال الموازنات الشرعية بين المصالح والمفاسد، والقدرة والعجز، ومنع الحرب الأهلية، وليس فقط الاستمرار في الحكم، وإعمال هذه الموازنات أمر له الكثير من الشواهد في سيرة النبي ﷺ، وسيرة خلفائه الراشدين.

٢- تشكيل حكومة تكنوقراط محايدة تكون قادرة على حل المشكلات الحياتية للشعب المصري وتُشرف على الانتخابات البرلمانية القادمة، والتي ينبغي أن تتم في أسرع وقت ممكن.

٣- تشكيل لجنة تبحث اقتراحات تعديل الدستور مع إصرارنا على عدم المساس بمواد الهوية، على أن يكون التعديل من خلال الآليات المذكورة في الدستور الذي وافق

عليه الشعب، والذي تعتبر أي محاولة لتعطيله هدمًا لما بناه الشعب من إنجازات ينبغي على كل مؤسسات الدولة أن تحافظ عليها.

و هذه هي خارطة الطريق التي تراها الدعوة السلفية وحزب النور للخروج من الأزمة الراهنة. حفظ الله مصر وشعبها من كل سوء.

بيان من «الدعوة السلفية» (٦) الصادر في ٢٠١٣/٧/٤ بشأن الأحداث الراهنة ٢٦شعبان١٤٣٤هـ، ٤يوليو٢٠١٣:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فقد ظلت «الدعوة السلفية» خلال أسابيع مضت تحذِّر من تقسيم المجتمع وخطاب الإثارة والعنف والتكفير والتخوين؛ خوفًا من مواجهة غير مقبولة بين الإسلاميين وجموع الشعب، وهذه المواجهة تَخصم من رصيد العمل الإسلامي خصمًا هائلًا يحتاج لسنوات من أجل إصلاحه بعد أن كان محل ثقة المجتمع بطوائفه ومؤسساته.

لكن الممارسات الخاطئة، والخطاب التكفيري الداعي للعنف باسم «الجهاد في سبيل الله» أدى إلى هذه اللحظات الأليمة في تاريخ الأمة، والتي تشهد عزلَ أول رئيس منتخب، وإيقافًا مؤقتًا للعمل بالدستور الذي بذلنا فيه أكبر الجهد نصرة لشريعة الله وإثباتًا لمرجعيتها فيه، وتمييزًا للهوية الإسلامية للأمة، وغيره مما **لابد من المحافظة عليه في أي تعديل قادم**، فلا يمكن أن يقبل شعب مصر المساس بهذه الثوابت، وهو الشعب المسلم الذي ندافع عنه وننحاز إلى مصالحه، ولا نقبل الاعتداء عليه في دم أو مال أو عرض.

وما يحدث في هذه اللحظات رغم ألمه... إنما نحتمله من أجل دفع ما هو أعظم ضررًا وفسادًا للدين والدنيا من الحرب الأهلية التي كادت أن تعصف بالبلاد، ومن سفكٍ للدماء المعصومة وتخريبٍ للاقتصاد، بل لو لم يكن إلا احتشاد الملايين في الميادين مما يعطل مسيرة العمل في كل نواحي الحياة، ويهدم الاقتصاد؛ لكان كافيًا في أن يفشل أي قائد للأمة في استكمال مسيرتها، فكيف مع وجود الانقسام الهائل والصدام الدموي الذي تسيل فيه الدماء التي حرمها الله؟!

وسفك الدماء قرين الفساد في الأرض بنص كتاب الله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

فمن أجل إحياء الأنفس خاصة الشباب المسلم الطاهر المحب للدين الذي يدفع البعض به إلى أتون صراع خاسر، ويُفقد الدعوةَ الإسلامية رصيدَها في قلوب الناس، كما أنه غير متكافئ بالمرة، والذي لو كان مع كفار - وحاشا للجيش المصري والشرطة المصرية وجموع الشعب أن يكونوا كفارًا - نقول لو كان مع كفار لم يكن مأمورًا به؛ لأنه لا يحقق إعلاء كلمة الله، ولا الحكم بشريعته، بل يبعدنا عن هذا الهدف العظيم الذي نسلك إليه السبل الشرعية، وسنظل نسلكها -بإذن الله-.

ورغم كل المُزايدات والتُّهَم التي تُوجَّه إلى «إدارة الدعوة السلفية» و«حزب النور» بالبهتان وبالباطل، فقد تحملتْ كل ذلك صابرة مُحتسبة مُبتغية وجه الله -بإذن الله-، تريد مصلحة العباد والبلاد.

في هذه اللحظات تتوجه الدعوة إلى أبناء الحركة الإسلامية جميعًا بأن يقدروا الموقف حق قدره، ويعرفوا حقيقة ما جرى من تغيير في الوضع السياسي، وأن يتحلوا بالصبر والاحتمال، وألا يلقوا بأيديهم ودعوتهم إلى التهلكة، وأن ينصرفوا من الميادين إلى مساجدهم وبيوتهم، فلا يزال أمامنا عمل طويل.

ولابد لنا من مصالحة مع المجتمع بطوائفه ومؤسساته، نعتذر فيها عما صدر من البعض منا أخطأ طريقه في التعبير والتصرف، لكننا نظن أنه أراد الخير والرفعة للدين والوطن، وليس من أراد الحق فأخطأه كمن أراد الباطل فأصابه.

ليس هذا خذلانًا للمسلمين ولا لوليِّ الأمر المسلم، بل تقليلًا لخسائر الدين والدنيا وجلبًا لأعظم المصلحتين ودفعًا لأكبر المفسدتين بعد أن وصلت البلاد إلى حافة الهاوية، ومن أجل ذلك كان حضورنا اجتماع «المجلس العسكري» مع الرموز الدينية والسياسية.

ما زالت أمامنا فرصة لكي تبقى مصر دولة متماسكة ذات جيش قوي وشعب متدين، وصحوة إسلامية ملزمة لكل العالم الإسلامي، فحذارِ من تضييعها جريًا وراء السراب.

إن جيش مصر الوطني عهدنا معه ألا يفرط أبدًا في «الشريعة وموادها في الدستور والهوية الإسلامية»، ولقد وفي دائمًا بما تعهد به منذ الثورة بعدم إطلاق رصاصة واحدة ضد الشعب، والحفاظ على حرمة الوطن والمواطنين بجميع طوائفهم الذين لا نقبل ولا يقبل جيشنا الوطني وشرطتنا أي تجاوز في حقوقهم وحرياتهم وحرماتهم حتى المخالفين لقرارات القوات المسلحة، فلن تعود أبدًا صورة العهد البائد من الظلم والعدوان على الشعب؛ خصوصًا أبناء العمل الإسلامي الذين تعرضوا للظلم والاضطهاد على يد نظام «مبارك»، فلن تعود عقارب الساعة إلى الوراء أبدًا -إن شاء الله-.

نهيب بشباب مصر المسلم أن يحفظ دماءه ودماء جيشنا الوطني وشرطتنا الوطنية، وأن يضع يده في أيدي كل طوائف الشعب لبناء مصر الجديدة القائمة على دينها ووطنيتها ووحدتها، وانشغلوا بالعبادة والدعوة والعمل.

حفظ الله مصر من كل سوء.نسأل الله أن يولي أمورنا خيارنا، ولا يولي أمورنا شرارنا.اللَّهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، وأخرجنا من الظلمات إلى النور.

بيان من حزب النور بشأن الأحداث الراهنة (٤-٧-٢٠١٣):

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.. وبعد..

كان حلم المصريين بعد ثورة شعبية عظيمة يتحرر بها من عهود الظلم والطغيان، أن ينجح أول رئيس منتخب من الشعب، ولكن للأسف الشديد تجربته انتهت إلى عزله وتعطيل مؤقت لدستور شارك المصريون في وضعه وبذل حزب النور جهدًا كبيرًا فيه.

مما لا شك فيه أن هذا الإخفاق كان نتيجة طبيعية لممارسات خاطئة تراكمت حتى وصلنا إلى هذه الحالة من الانفصام المجتمعي والقتال بين فئة مؤيدة وفئة معارضة، أُزهقت أنفسٌ وأُريقت فيه دماء، وقد تنبه حزب النور لهذا الخطر مبكرًا فقدم النصح للرئيس سرًّا وجهرًا، وتقدم الحزب بمبادرة تلو الأخرى، وفي كل مرة تَرفض الرئاسة،

وكلما تأخرت الاستجابة ارتفع سقف المطالب حتى خرجت المعارضة من طور المعارضة السياسية إلى طور المعارضة الشعبية، ثم انضمت إليها كل مؤسسات الدولة، وحتى اللحظات الأخيرة حاولنا التفاوض من أجل منح الرئيس فرصة جديدة ففشلنا، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

وكان علينا أن نسأل أنفسنا هل الأفضل أن نُدخل بلادنا في فوضى لا نعلم متى تنتهي، أم نعود إلى شعبنا فنصالحه ونعتذر إليه عن عدم تحقيق تطلعاته، لنمثله ثانية في تجربة جديدة أو على الأقل نحافظ على كوننا جزءًا من نسيج المجتمع ندعوه ونعمل على إصلاحه، بدلًا من أن نكون مجموعات منفصلة عنه، نريد أن نحكم على أشلائه؟

وقبل أن يقرر أحد أن يضحي بنفسه من أجل حكم الرئيس مرسي فعليه أن يفكر، فلعله يخسر الاثنين معًا، وأكثر من هذا أن يكتب التاريخ أن الحركة الإسلامية في مصر واجهت شعبها أو جزءًا كبيرًا منه على الأقل من أجل الحفاظ على كرسي الحكم ، ومن المفترض أننا لم نتطلع إليه إلا لخدمة الشعب وتحقيق مصالحه.

إننا على ثقة كبيرة في الجيش المصري الوطني الذي أخذ عهدًا على نفسه في بداية الثورة أنه لن يوجه سلاحه إلى صدور الشعب المصري. ونطالب القوات المسلحة ووزارة الداخلية بعدم ملاحقة أبناء التيار الإسلامي حتى ولو كانوا ممن يخالفونهم إذا لم يكن هناك خروج على القانون ، وكذلك عدم المساس بمساحة الحريات التي تعتبر من أهم مكتسبات الثورة المصرية.

بيان من حزب النور بشأن الأحداث الجارية رقم (٧) الصادر في يوم السبت ٦-٧-٢٠١٣:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، ﷺ.. وبعد..

لقد كانت تحركات ومواقف حزب النور طوال الفترة الماضية من منطلق الحفاظ على دماء المصريين وأرواحهم ووحدة النسيج المجتمعي المصري، وقد تحمل حزب النور ألم وصعوبة المشاركة في بعض المشاهد حرصًا منه على تحقيق هذا الهدف الذي هو مقصد شرعي ومطلب وطني، ولكن خلال المتابعة لما يجري على أرض الواقع في اليومين الماضيين لوحظ الآتي:

١- إراقة دماء متظاهرين سلميين في طول البلاد وعرضها.

٢- ملاحقة المعارضين السياسيين والقبض عليهم مما يتعارض مع مبدأ الحوار والمصالحة الوطنية.

٣- إعطاء غطاء عملي من قبل الداخلية للبلطجية لإعمال القتل والترويع والتحكم في الشارع وكذلك التعرض لأصحاب السمت الإسلامي.

٤- إغلاق بعض القنوات الإسلامية دون سند من القانون.

٥- البدء في إصدار إعلانات دستورية وقرارات مهمة دون تشاور مجتمعي أو سياسي.

٦- ظهور الانحياز تجاه تيار دون تيار آخر في حين أن المؤيدين والمعارضين هم أبناء وطن واحد.

وحزب النور إذ يعلن رفضه التام لكل هذه الممارسات وتبرؤه منها، فإنه يطالب بوقف هذه الممارسات فورًا، وسوف يواصل الحزب جهوده بالتواصل مع كافة القوى السياسية، والمجتمعية، والشبابية، والمؤسسات الدينية من أجل الوصول إلى مصالحة شاملة حقيقية، دون إقصاء لأحد والاتفاق على رؤية مشتركة للخروج من هذه الأزمة التي تمر بها البلاد.

ويقدر حزب النور بيان الأزهر الشريف الأخير، وننتظر منه المزيد من المساعي للمِّ الشمل وحفظ الدماء وعودة اللُّحمة للشعب المصري. حفظ الله مصر وأهلها.

مناشدة من الدعوة السلفية لجميع طوائف الشعب المصري: كونوا عباد الله إخوانًا (٧ يوليو ٢٠١٣ م):

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، ﷺ.. وبعد..

تناشد الدعوة السلفية جموع المصريين أن يُغلِّبوا المصلحة العامة، وأن يسعوا إلى توحيد الكلمة ورأب الصدع، وأن يعلموا أن سعيهم لتصحيح المسار في ٣٠ يونيو لا ينبغي أن يضيع المسار بالكلية أو ينسف مكتسبات ٢٥ يناير، فلا يجوز أن يفرح أحد بالانتقاص من حرية الآخرين ولو كانوا خصومًا سياسيين؛ لأن الاستبداد متى تقرر تضرر منه الجميع.

وإذا كنا نفرح بتعالي نداء «الجيش والشرطة والشعب إيد واحدة» فيجب أن يدرك الخصوم السياسيون أن «الشعب» تعني كل الشعب وليس مؤيديه فقط، فلا يجوز أن يطلب فريق من الجيش أو الشرطة أن ينحاز له، ولا يجوز للجيش أو الشرطة التمييز بين المواطنين على أساس لونهم السياسي، وأقبح من هذا أن يكون هناك تمييز ضد أصحاب السمت الإسلامي، وإذا كنا نُدين العنف من الشعب أيا ما كان مصدره فعنف الأجهزة الرسمية أولى بالإدانة.

ونطالب بتحقيقات شفافة حول كل مقاطع الفيديو المتداولة التي تثبت وتوثق أي انتهاكات وتجاوزات. كما نستنكر غاية الاستنكار تصوير بعض الرموز أثناء القبض عليهم مما يعد انتهاكًا صارخًا لحقوق الانسان ونطالب بمحاكمة من تورط في ذلك.

وأخيرًا ندعو الجميع إلى الدخول في المصالحة الوطنية الشاملة بقلب صافٍ وإرادة حقيقية؛ لإصلاح ذات البين، وتكريس التعاون بين أبناء الوطن الواحد؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، ونرجو الله ونحن ننتظر أن يدخل علينا شهر رمضان أن يهل هلاله علينا بالأمن والأمان والسلامة والإسلام. اللّهم آمين.

بيان الدعوة السلفية وحزب النور حول أحداث دار الحرس الجمهوري الصادر بتاريخ ٢٠١٣/٧/٨:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

فتستنكر «الدعوة السلفية وحزب النور» بكل شدة ما جرى من أعمال القتل التي حدثتْ أمام «دار الحرس الجمهوري» وغيرها... بالمخالفة لشرع الله، قال -سبحانه-: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال النبي ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**» [رواه البخاري].

حتى ولو كان رد فعل لمحاولة تسلق سور دار الحرس الجمهوري؛ فإنه رد فعل «فوق المبالغ فيه»، ونحن نناى بالجيش المصري عن المواجهة بهذه الطريقة التي تشعل الأزمة وتُدخِل البلاد في النفق المُظلم للحرب الأهلية التي طالما حذرنا منها، وكل ما حدث يؤكد صحة موقف الدعوة والحزب من هذه الفتنة وضرورة تجنبها، وتجنب سفك الدماء من جميع أبناء هذا الشعب؛ فكلهم دماؤهم معصومة في الأصل، ويكفينا أنه قد وصل عدد القتلى والجرحى منذ أحداث «٣٠- ٦» إلى الآلاف، وبالأمس فقط سقط ٥٥ قتيلًا وأكثر من ألف جريح؛ منهم من قُتِل أثناء الصلاة!

ونحن نؤكد على الجميع ضرورة التوقف عن التحريض والإثارة الدافعة إلى صدام يَخسر فيه الجميع، ويُهدم فيه الوطن؛ فهو صدام غير مشروع، ولا زلنا ندعو جميع الأطراف إلى إعمال صوت العقل والحكمة والدخول مباشرة في حوار وطني صادق من أجل مصلحة الوطن الحقيقية، والتي لا بد أن يعرف كل طرف أنه لن يأخذ كل ما يريد.

وندعو «الإعلام» إلى تجنب خطاب الهجوم على الثوابت الإسلامية والسعي إلى إقصاء فصائل وطنية بسبب فكرها السياسي المبني على مرجعية الشريعة الإسلامية التي ارتضاها الشعب كله، ولا يمكن أن يقبل التنازل عنها؛ فهذا الخطاب يصب الوقود على النار المشتعلة.

وندعو القضاء إلى التعامل بطريقة متساوية مع جميع المواطنين، وضرورة الإفراج عن المعتقلين السياسيين. وندعو جميع الأطراف إلى إعادة دراسة جميع المبادرات التي طُرحت منذ بداية الأزمة منذ «٦/٣٠»، وما قبلها وما بعدها.

فيا عقلاء الأمة... أدركوا البلاد قبل فوات الأوان. اللّهم احفظ مصر وأهلها من كل سوء، واجعلها آمنة مطمئنة رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

بيان حزب النور بالدعوة إلى تكوين لجنة حكماء الصادر في ٢٠١٣/٧/٨:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، ﷺ..وبعد؛

في محاولة من حزب النور لمنع إراقة الدماء المصرية والحفاظ على هوية الدولة قَبل

الحزب التعامل مع خارطة الطريق التي صاغتها القوات المسلحة (بعد سيطرتها الفعلية على مقاليد البلاد ووضع الرئيس المنتخب تحت الإقامة الجبرية)، وتم بناء عليها تنصيب رئيس المحكمة الدستورية رئيسًا مؤقتا للبلاد.

وفي خلال أيام معدودة لم تنجح تلك الخطوات في منع سفك الدماء، بل زادت وزاد عليها الكثير من الإجراءات القمعية والتصرفات الاستثنائية مثل غلق القنوات الإسلامية بدون سند قانوني، وانتهاك المحرمات، والقيام بمداهمات للبيوت، وتصوير للرموز أثناء القبض عليهم، والحملات الإعلامية التي انطلقت على كل من يطالب بمرجعية الشريعة الإسلامية.

ثم إن رئيس المحكمة الدستورية تصرف بطريقة شديدة الانفرادية والديكتاتورية والانحياز لتيار فكري لا يحظى بقبول في الشارع المصرى.

فقام رئيس المحكمة الدستورية بحل مجلس الشورى بخلاف ما تم الاتفاق عليه ألا يتم ذلك إلا بعد المناقشة المجتمعية، وكان من آخر ما قام به رئيس المحكمة الدستورية أنه أرسل لنا بمسودة إعلان دستوري يخالف ما تم الاتفاق عليه في الاجتماع الذي جرى قبيل إعلان بيان القوات المسلحة، وبإقرار الجميع من الحفاظ على مواد الهوية ونعني بها مواد (٢ و ٤ و ٨١ و ٢١٩).

ومع هذا وجدنا أن الإعلان الدستوري المزمع إعلانه قد دمج المادة ١ و ٢ في مادة واحدة حذف منهما الكلام على الانتماء للأمة العربية والإسلامية، وحذف النص على اللغة العربية كما حذفت مواد ٤ و ٨١ و ٢١٩.

بالإضافة إلى النص على آلية لتغيير الدستور تخالف ما تم الاتفاق عليه، ونص عليه في بيان القوات المسلحة مما يجعل رئيس المحكمة الدستورية يتحكم في كل آليات تعديل الدستور.

ثم زاد الطين بلة المذبحة التي تمت أمام الحرس الجمهوري، والتي لا يمكن قبولها أو تبريرها بأن القوات كانت في حالة دفاع عن النفس؛ حيث أثبتت الكثير من مقاطع

الفيديو وجود اعتداء سافر من جهة قوات الحرس الجمهوري على المتظاهرين السلميين، وعلى فرض صحة هذا الادعاء فمن المعلوم أن القوات التي تحرس منشآت في التجمعات السكنية يجب أن تلتزم بقواعد التعامل مع المدنيين والمتظاهرين السلميين، ومسئولية هذا تقع على عاتق جميع المسئولين الآن، ونذكِّر وسائل الإعلام أنها حمَّلت الدكتور مرسي مسئولية اعتداءات محدودة وقعت في عهده ولكن كيف بقتل العشرات وجرح الآلاف؟

إن كل الأزمات والمصائب قد تبدو هينة أمام مصيبة وضع الشعب والجيش في مواجهة، وهو ما يحتم على كل عاقل أن يسارع إلى وأْدِ هذه الفتنة في مهدها؛ ليبقى جيش مصر حاميًا لأرضها حارسًا لجميع شعبها.

وإذا كان شيخ الأزهر أحد أبرز رعاة خارطة الطريق التي أعلنتها القوات المسلحة قد أعلن استنكاره للانحراف في تطبيقها، ودعا العقلاء إلى تقديم مبادرات فإننا نتقدم بمبادرة تقوم فكرتها على تكوين لجنة مصالحة وطنية تتعامل مع المشكلة من بداية تفجرها بين د.محمد مرسي وبين القوى المعارضة له، على أن تتكون من حكماء وعقلاء يتمتعون بالمصداقية لدى الجميع وبرعاية الأزهر وتكون مهمتها:

١- عمل مصالحة وطنية حقيقية بين جميع القوى والمؤسسات، نطوي بها صفحة الماضي ونعيد اللُّحمة للشعب المصرى دون إقصاء لأحد.

٢- وضع خطة جديدة يتوافق عليها جميع القوى السياسية والقوات المسلحة، وبرعاية لجنة المصالحة.

وسوف يُجري الحزب اتصالاته بجميع الأطراف لتفعيل هذه المبادرة. نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويحفظ مصرنا ويحقن دماءنا.

بيان حزب النور الصادر في ٢٠١٣/٧/٢٤ بشأن دعوة الفريق السيسى لتفويضه بمواجهة الإرهاب:

١ - يدين حزب النور كل صور الاعتداء والترويع على المواطنين أو الجيش أو الشرطة ويحذر أى طرف يعتدي على دم حرام من عواقب ذلك الوخيمة في الدنيا

والآخرة ونذكر الجميع بقول النبي ﷺ: «**ما زال المسلم في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**» [رواه البخاري].

٢ – مسئولية الدولة هي حماية مواطنيها من أي اعتداء ولو من مواطنين آخرين وهذا يشمل جرائم البلطجة والترويع وإرهاب المواطنين بغض النظر عن دوافع هذا الاعتداء، ومنها سوء فهم البعض لنصوص الدين، وتكفيرهم لعوام المسلمين، وهي ظاهرة لا يخلو منها مجتمع.

٣ – مما تقدم يتضح أن الدولة ليست في حاجة إلى تفويض بأداء مهمتها في ذلك طالما كانت تقوم بذلك في حدود القانون، ومن هنا فإن الحزب يعلن رفضه التام للمطالبة بتفويض خاص وعبر حشود شعبية في هذا الشأن، ويؤكد الحزب على أن خرق الأفراد للقانون –مهما كان– يمكن أن تعالجه الدولة، وأما خرق أجهزة الدولة للقانون فيهدد بزوال الدولة.

٤ – ما زال الحزب يكرر لرفضه لفكرة الحشد والحشد المضاد، ويحذر من اندلاع حرب أهلية متى اتبعنا ذلك الأسلوب.

٥ – ويحذر الحزب جميع الأفراد من جمهور وجيش وشرطة أن كل فرد سوف يُبعث يوم القيامة وحده ويقف أمام الله وحده وسوف يُسأل عن كل شيء –لا سيما أمر الدماء– وحده ولن يستطيع حينئذ أن يستظهر بحشود أو يدعي إكراهًا؛ إذ لا يعتبر الإكراه في قتل معصوم الدم، كما لن يستطيع أن يحتجَّ بفتوى شاذة أو باطلة تبيح دمًا حرامًا ليس عنده من الله فيه برهان، ونحن نخاطب الجميع بهذا الكلام لا نستثني أحدًا.

٦ – يؤكد الحزب على ضرورة أن تلتزم القوات المسلحة بدورها في حماية الدم المصري ضد أعدائه وفي الحيلولة دون أن يُراق في صراع بين أبنائه، ونحذرها قادة وأفرادًا من التأثر بأصوات تحسد شعب مصر على تلاحم جيشه مع جميع أبناء شعبه.

٧ – نطالب جميع الأطراف المعنية والقوى الوطنية بعقد جلسة مصالحة عاجلة تحت رعاية فضيلة شيخ الأزهر لنزع فتيل الأزمة وتجنب العنف وحقن دماء المصريين.

نسأل الله تعالى أن يحقن دماءنا وأن يجنب مصر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

بيان حزب النور بشأن الحوار والمصالحة الوطنية الصادر بتاريخ ٢٧-٧-٢٠١٣:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلم. وبعد؛

بعد الأحداث الأخيرة وجريان مزيد من الدماء المصرية ظهر جليًا أنه لا سبيل إلى الخروج من الأزمة الراهنة إلا بالحوار والتفاوض للوصول إلي حل سياسي.

وقد صدرت أخيرًا عدة مبادرات تؤدي إلى حل سلمي وسياسي للأزمة منها مبادرة الدكتور محمد سليم العوا ورفاقه الأفاضل والذي يري الحزب أنها صالحة لأن تكون أساسًا للحوار مع احتمال الزيادة والنقصان أو التعديل في بعض بنودها.

ويدعو الحزب جميع الأطراف إلى إظهار شيء من المرونة وتغليب الصالح العام حفاظًا علي وحدة مصر وتماسكها وحقنًا للدماء وعودة اللُّحمة للشعب المصري تحقيقًا للاستقرار وانطلاقًا لمستقبل يحقق آمال الشعب.

بيان «حزب النور» بشأن تعثر الوساطة الدولية في المصالحة الوطنية (٧ أغسطس ٢٠١٣):

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

ففي ظل الأزمة السياسية التي تعيشها مصر، أرسلت كثير من الدول العربية والغربية والإفريقية مبعوثين تحت مسميات مختلفة من استكشاف الوضع إلى تقييم الوضع إلى القيام بجهود الوساطة.

وكانت الصدمة كبيرة أن جُل هذه الوفود كان يدفع في الاتجاه الذي يريده؛ لا الاتجاه الذي يُخرج مصر من ورطتها، كما أن الموقف داخليًّا كان انتقائيًّا بشكل ملفت للنظر؛ حيث رحبت النخب السياسية بالتصريحات التي تصب في صالحها بينما اعتبرت التصريحات العكسية تدخلًا في شئون الدولة المصرية!

وبعيدًا عن وصف كل وفد للمشهد كما رآه أو كما يحب أن يصفه يبقى أشد التصريحات ألمًا هو تصريح «جون ماكين» الذي قال فيه: «إن مصر أمامها أيام لتنزلق في حمام دم كامل!».

إن هذه الكلمة إن جاز أن تمر من فم «قيادي في الحزب الجمهوري الأمريكي»



مرور الكرام فلا نظن أبدًا أنها تمر على مصري، بل ولا عربي ومسلم هكذا دون أن ينزعج منها ويبادر إلى محاولة منع جريان ذلك الحمام الدموي.

إننا ندعو جميع أصحاب المبادرات الداخلية الذين هدأوا فترة ليُتيحوا الفرصة لأصحاب المبادرات الدولية أن ينشطوا، وأن ينسِّقوا فيما بينهم «وحبذا لو خرجوا بمبادرة واحدة».

وفي هذا الصدد نرحب بدعوة «شيخ الأزهر» لأصحاب المبادرات للاجتماع معه، ويجب أن يدرك جميع أطراف الأزمة أن الحل هو المصالحة،

قال الله -تعالى-: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ ﴾ [النساء: ١٢٨].

فلا يلزم أن يتمسك كل أحد بما يراه الحق، ولكن من الممكن بل من المطلوب أن يرضى ببعضه طلبًا للصلح طالما كان الأمر المتنازع عليه «قابلًا للتنازل».

بالطبع فإن أحدًا لا يجرؤ على الكلام في الحقوق الخاصة من الأنفس أو الأموال أو الدماء، ولكن تبقى المواءمة السياسية في الأمور العامة طلبًا للمصلحة العامة؛ وإلا فلن يستفيد مَن يؤيد هذا الفريق أو ذاك شيئًا بتطبيق الحل الذي يراه دون أن تستقر البلاد وتتحرك عجلة الاقتصاد.

فيا أهل مصر أسرعوا إلى صلح شامل متوازن، ولا تنتظروا من الغير حلولًا ولا تستبعدوا خطر حمام الدم الذي تحدث عنه مَن تحدث. نسأل الله أن يحفظ دماءنا، وأن يؤمننا في أوطاننا.

بيان الدعوة السلفية وحزب النور الصادر في ٢٠١٣/٨/١٤ بشأن أحداث فض رابعة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ.. وبعد...

إنا لله وإنا إليه راجعون. اللَّهم أجرنا في مصائبنا واخلف لنا خيرًا منها.

وقع ما حذرت منه الدعوة السلفية وحزب النور منذ مدة طويلة من خطر سفك الدماء، وخطر الحشد والحشد المضاد على وحدة المجتمع ووحدة البلاد التي لا يمكن أن تكون محلًّا للمساومة، وطالبنا إدارة البلاد الحالية بعدم فض الاعتصامات بالقوة

وضرورة الحل السياسي وتوافقنا على ذلك مع القوى السياسية العاقلة، كما طالبنا بمراعاة احتياجات أبناء الاتجاه الإسلامي في الطمأنة، وعودة بث قنواته الإسلامية، وعدم انفراد الفصيل الليبرالي واليساري بتشكيل الحكومة ولجنة تعديل الدستور، والسير في اتجاه علمنة الدولة وعسكرتها الذي لا يمكن أن يصب في مصلحة البلاد، وضرورة التصدي للوجه المتطرف في العلمانية الذي أطل في كثير من وسائل الإعلام الذي أدى إلى إقناع الكثيرين بأنها حرب ضد الإسلام؛ ففقدوا الثقة في جهود المصالحة حتى وقع الذي نكره وندين ونطالب بوقفه فورًا من إطلاق النار وقتل النفوس من الرجال والنساء والأطفال، واندفع البعض الآخر في اتجاه إحراق وتدمير منشآت الدولة التي هي ملك للشعب كله، ونحمِّل الحكومة المسئولية عن هذه الدماء والأنفس المحرمة، ونطالبها بضرورة إنهاء هذا الوضع القائم الذي يهدد بانقسام المجتمع بحل آخر غير سفك الدماء.

ونذكر الدكتور البرادعي بما سبق أن قاله: إن النظام الذي يعجز عن حماية معارضيه يفقد الشرعية، وكذلك الدكتور الببلاوي الذي سبق وأن قدم استقالته كوزير للمالية؛ احتجاجًا على عنف الشرطة في أحداث ماسبيرو، رغم عدم مسئوليته المباشرة عنها فكيف وهو رئيس الوزراء ؟! فنرى أن ما حدث اليوم أولى أضعافًا بتقديم الاستقالة من أحداث ماسبيرو، حتى يتسنى لحكومة أخرى أن تتحمل هذه المسئولية التي تحافظ على وحدة البلاد والدولة وبقائها، وتحافظ على حرمة النفوس التي قال الله تعالى في قتلها بغير حق ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ندعو جميع العقلاء من جميع الاتجاهات إلى الوقوف معنا في إحياء النفوس، وإحياء المجتمع، وإحياء الدولة بالجلوس معًا من أجل الوصول إلى حل سلمي للأزمة، ينسى فيه الجميع مصلحته الشخصية والحزبية ويعظم مصلحة الدين والوطن والشعب.

ونوصي جميع أبناء التيار الإسلامي بأن يُثْبِتُوا للمجتمع أنهم جزء منه، يحملون همه، ويقدمون مصلحته، ويريدون رفعته، ويحافظون على وحدته، وأن يحذروا من الخطاب التكفيري العنيف الذي استعمله البعض.

كما نهيب بأبناء الدعوة السلفية وحزب النور أن يدركوا أن مهمتهم الأساسية هي الدفاع عن هذه الرؤية وإقناع جميع الأطراف بها، وأن هذا هو آكدُ الواجبات في هذه المرحلة والطريقُ الوحيد لحقن دماء المسلمين.

تعازينا لجميع أهالي الضحايا ودعاؤنا لجميع المصابين بالشفاء. حفظ الله مصر وأهلها من كل سوء.

بيان من «الدعوة السلفية» و«حزب النور» بشأن أحداث العنف وتدخل «مجلس الأمن» (١٥ أغسطس ٢٠١٣):

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد؛

ففي هذه الأثناء التي عمَّ فيها الحزن على ضحايا فض اعتصامي «رابعة» و«النهضة» كنا نتوقع أن مناظر الدماء والأشلاء سوف تجعل أطراف الأزمة يندمون ويبادرون إلى أي حل من شأنه أن يوقف «حمام الدم»؛ إلا أن الأمور سارت في اتجاه المزيد من العنف!

وزاد الأمر خطورة... «بوادر التدخل الدولي في الشأن المصري»؛ حيث حدد مجلس الأمن جلسته في الثامنة والنصف مساءً بتوقيت جرينتش من مساء يوم الخميس لمناقشة الوضع في مصر، وهو ما يدق ناقوس خطر جديد يحتِّم على جميع الأطراف أن يقدِّم كل شيء من التنازل من جهته.

وفي هذا الصدد نؤكد على المعاني الآتية:

١- ما زالت «الدعوة السلفية» و«حزب النور» على موقفهما منذ بداية الأحداث، وهو الموقف الرافض لفكرة الحشد والحشد المضاد، والداعي للُّجوء إلى مائدة المفاوضات.

٢- ترى «الدعوة السلفية» أن آكد ما ننشغل به الآن هو التأكيد على الطابع المتدين المسالم للشعب المصري، والحرص على المصالحة الشعبية بيْن جميع أبنائه تحت هذه المظلة.

٣- يرى «حزب النور» أنه لن يمل من محاولات الوساطة، وتشجيع كافة مبادرات المصالحة وجهودها.

٤- ومع هذا، فإننا نؤكد على أن التظاهر السلمي لمن اختاره طريقًا للتعبير عن رأيه حق مشروع «شريطة الالتزام التام بسلميته» ودون التورط في العنف أو في حمل السلاح سواء الناري أو الأبيض «ولو على سبيل الردع»؛ لأن حمل السلاح يؤدي حتمًا إلى استعماله، وهو ما يزيد من حمام الدم، وهذا يعني أن الخروج في مثل هذه الحالات مفسدة شرعية تزيد على أية مصلحة يرجوها الخارج فيها من ورائها، ويستوجب النهي عن الخروج فيها؛ مراعاة لحرمة الدماء.

٥- نؤكد على أن هذا الالتزام بالسلمية هو التزام قانوني وأخلاقي بالنسبة لمعارضي الحكم الحالي، ولكن الحكومة مطالَبة وبشدة بنزع سلاح الجماعات المؤيدة لها، مثل: جماعات «البلاك بلوك»، وغيرها... كما ينبغي أن يُطبَّق هذا على أي تجمعات شعبية أخرى.

ونود في هذا الصدد أن نؤكد على إنكار بعض مظاهر العنف التي رأيناها في الأيام الماضية، فمن ذلك:

أ- استغلال بعض البلطجية فترة حظر التجول في ترويع المواطنين عامة وأصحاب «السمت الإسلامي» خاصة!

ب- استهداف قوات الجيش وأقسام الشرطة ومديريات الأمن، والمنشآت العامة والخاصة؛ مما يمثِّل عدوانا على دماء أبرياء يمارسون دورهم في هذه الأماكن، ولا يجوز أخذهم بجريرة غيرهم، وإذا كنا ننصح بالسلمية حتى في مواجهة تجاوزات بعض القوات؛ فكيف بمن يقومون بمهامهم في حفظ الأمن سواء الداخلي أو الخارجي؟!

ونذكّر الجميع بأن الجيش المصري هو الجيش العربي الوحيد المتماسك في المنطقة، والمصلحة الإسلامية والعربية والقومية العليا تحتم على الجميع الحفاظ عليه وعلى قواته، وطي أي خلاف سياسي أمام هذه المصلحة العليا.

ت- نحذر من انتشار موجات الغلو في التكفير، ونذكّر الجميع بقول النبي ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**» [متفق عليه]، وقوله: (**إِذا قالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**» [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

والغريب أن يلجأ البعض انتصارًا للدكتور «مرسي» إلى تكفير الجيش والشرطة بمبررات لو صحتْ لانطبقت عليهم في عهد الدكتور «مرسي»! بل لم نكن نكفرهم حتى في عصر «مبارك»! وهو الأمر الذي حفظ الله به مصر من مصير دول أخرى عانت -وما زالت تعاني- عشرات السنين.

ويجب أن يعلم الجميع: أن التكفير حكم شرعي، وليس عقوبة اجتماعية توقعها على خصمك مهما بلغت درجة خصومته معك، ومتى لجأ الناس إلى سلاح التكفير ضاع بينهم الأمن على دينهم ودمائهم وأعراضهم، وشاعت بينهم الفوضى.

ث- ويشبه التكفير «خطاب التخوين» الذي امتلأتْ به قنوات تزعم «الليبرالية»، ولكنها في ذات الوقت قد تخصصت في خطاب الكراهية والتخوين لأبناء التيار الإسلامي، بل لم يسلم د. «البرادعي» مِن هجمتهم؛ لمجرد أنه أراد الالتزام بالقانون في التعامل مع المظاهرات والاعتصامات السلمية!

ج- كما نستنكر «استهداف الكنائس» بالحرق أو بغيره، وهو ما يخالف ما يُلزم الإسلام المسلم به من الوفاء بالعقود، ومراعاة المصلحة العامة.

ونحن نؤكد على أن ما كان من هذه الأفعال منسوبًا إلى مجهولين لا ينبغي أن يُنسب أو يسارع البعض إلى إلصاق التهمة بفرد أو جماعة؛ لا سيما مَن تبرأ مِن ذلك، ونوصي الجميع أن يتبرؤوا من هذه الأفعال، ومِن كل صور العنف، وأن ينهوا أتباعهم عنه.

نسأل الله أن يحفظ مصر من شر الفتن، وأن يرزق أهلها الأمن والطمأنينة، وأن يجمع كلمتهم على الحق.

ملحق رقم (٢):
ملحق عن إرهاصات المصالحة بين النظام والإخوان

ملحق رقم (٢) : ملحق عن إرهاصات المصالحة بين النظام والإخوان

مقدمة :

كان الهدف الأساسي للبحث كما وَضَح من خلال العرض هو تقييم تجربة جماعة الإخوان منذ نشأتها على يد حسن البنا وحتى الآن في قضيتى التكفير والعنف على وجه التحديد وكان من تمام البحث أن يتم التعرض لتجربة حزب الحرية والعدالة الذراع السياسية لجماعة الإخوان، وفي القلب منها تجربة الإخوان في حكم مصر خلال عام من تواجدهم في قصر الرئاسة.

ولا تكتمل الرؤية الصحيحة لتقييم هذه التجربة إلا إذا تمت دراسة تجربة الدعوة السلفية وذراعها السياسي حزب النور خلال تلك الفترة من تاريخ مصر سواء قبل وصول الإخوان للحكم أو بعد ذلك، للأسباب التالية:

١ - حزب النور كان سببًا رئيسًا في وصول الإخوان للحكم فهو أحد شركاء النجاح، ومن ثم فتأثره بسقوط الإخوان كان له بالطبع بالغ الأثر عليه.

٢ - قام حزب النور بدعم الإخوان بعد وصولهم للحكم لفترة طويلة كان يُتهم فيها بأنه تابع لهم وأنه «إخوان بشرطة».

٣ - اعترض حزب النور على الإخوان في مواقف صريحة وجريئة اعتبرها الإخوان طعنة في ظهورهم.

٤ - وقع حزب النور في مرمى أسهم الجماعة منذ أن أعلن الحزب نوعًا من المعارضة لسياسات الإخوان في إدارة الدولة وإدارة الأزمات، وذلك منذ الإعلان الدستورى وما تلاه من أحداث جسام.

٥ - حزب النور متهم من جانب الجماعة بأنه أحد المشاركين في إسقاط حكم الإخوان، رغم أنه الفصيل شبه الوحيد الذي لم يشارك عمليًا في إسقاطه عبر المظاهرات والاعتصامات وغيرها من الفاعليات، ولكن اعتبَرت الجماعةُ أن وجود الحزب في مشهد الثالث من يوليو أحد دلالات ذلك، على الرغم من أن هذا المشهد كان بعد عزل الدكتور مرسي فعليًا، وما كان المشهد سوى تدشين لمرحلة جديدة تمامًا.

٦ – عدم مشاركة الحزب في فاعليات ما يسمى بـ «استرداد الشرعية»، والتي رأى الحزب أنها من باب الأحلام والأماني أكثر من كونها تحركات مدروسة وعملية، مما زاد من حدة الخصومة والمفاصلة.

٧ – حزب النور هو الخصم الأشد في نظر أبناء الجماعة وأتباعها، حيث رسخت الجماعة لديهم أنه باع الدين وخان الأمانة وارتمى في أحضان الظالمين، ومن هنا استحلوا أعراضهم بشكل مباشر وصريح، واستحلوا كذلك أموالهم ودماءهم في أحيان أخرى.

من أجل ذلك كان لزاما علينا أن نتعرض لكلٍّ من تجربة الحزبين بشكل مُوازٍ، حتى يكون البحث دقيقا وشاملًا، ولكن على الرغم من شدة الحاجة لتحقيق هذا الهدف إلا أننا أعرضنا عنه وفضلنا بسطه في كتاب مستقل حتى نحافظ على السمة الموضوعية للبحث، وحتى لا يدَّعي أحد أننا تعسفنا في نظرتنا التاريخية للجماعة لكي تتوافق مع الانتماء الحزبي للكاتب.

إلا أنه وفي أثناء مثول الكتاب للطباعة، طرأت على الساحة الإخبارية والإعلامية أنباء عن مصالحة إخوانية مع النظام الحاكم، ظهرت ملامحها من خلال عدد من التصريحات والحوارات الإعلامية الممنهجة، والتي تهدف إلى تهيئة شباب الجماعة للقبول بما ستسفر عنه المصالحة المرتقبة.

أولًا: التصريحات الصحفية والحوارات الإعلامية الموجَّهة:

١- مبادرة يوسف ندا:

كشف يوسف ندا، المفوض السابق للعلاقات الدولية في جماعة الإخوان المسلمين، عن استعداده «لاستقبال من يريد الخير لمصر وشعبها»، وذلك في إشارة منه على ما يبدو أنه مستعد للوساطة أو المصالحة لإزالة حالة الاحتقان بين الجماعة في مصر والسلطة القائمة.

وقال ندا في بيان صحفي له «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله»: وأنا جاهز ومستعد لاستقبال من يريد الخير لمصر وشعبها وقادر على ذلك إن شاء الله».

وخاطب المفوض السابق للعلاقات الدولية في جماعة الإخوان المسلمين، من سمَّاهم «المخلصين من أبناء الجيش المصري» قائلًا: «إن تمسكنا بالشرعية فهي لحمايتكم وحماية ذريتكم وأبناء مصر جميعًا من المصير الذي تجرفنا هذه الفئة إليه»، وتأتي الرسالة كرد على تصريحات راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة التونسية،التي قال فيها: «إذا قدرت الأطراف المعنية بالشأن المصري أننا يمكن أن نقوم بدور للمصالحة بين الأطراف المصرية فإننا سنكون سعداء بذلك»، متوقعًا أن «تقع وساطة سعودية في مصر لأن المنطقة في حاجة إلى تصالح، ومصر كذلك تحتاج إلى تصالح» على حد قوله[١].

٢ – تصريحات عز الدين دويدار:

أكد عز الدين دويدار – المخرج المنتمي للإخوان – وجود اتجاه لدى جبهة الدكتور «محمود عزت» – القائم بأعمال المرشد – للقبول بالمصالحة مع النظام الحالي، مقابل شروط وصفها بأنها بمثابة «الاستسلام». ونشر دويدار، وثيقة مجهولة المصدر قال فيها: «أول برنت لفقرة من وثيقة أعدت بمعرفة جبهة (د. عزت) ويتم تداولها في مستويات قيادية عليا.. بهدف تهيئة الجماعة لقبول مصالحة أوشكت، وتتوافق مع تهيئة على الجانب الآخر في معسكر (الانقلاب)، مضيفًا: «وزير الشئون القانونية والبرلمانية يصرح بأنهم أوشكوا على إصدار قانون يسمح بالمصالحة مع الإخوان الذين لم يتورطوا في (العنف)[٢]». وأضاف: «بخصوص وثيقة التهيئة للمصالحة التي نشرت منها برنت اليوم.. سأتابع نشر برنتات حول النقاط الكارثية فيها بإذن الله، ثم سأنشرها كاملة..

---

(١) جريدة الفتح بتاريخ ٢٠١٦/٦/١٢.

(٢) قال المستشار مجدى العجاتى وزير الشئون القانونية ومجلس النواب (إنه لا مانع من التصالح مع أفراد جماعة الإخوان المسلمين ممن لم تتلوث أيديهم بالدماء، وأن الدستور المصرى يلزم بالمصالحة، وأن نصوصه تحث على إنهاء تلك (المسألة الخلافية)، وأن نعود نسيجًا واحدًا، ليس هناك إخوان وغير إخوان، ومرسى وغير مرسى، فالإخواني مواطن في النهاية ما دام لم يُنسب إليه أى فعل إجرامى، «فلماذا لا نتصالح معه ويدخل ضمن نسيج الشعب المصرى. وأوضح أنه ليس من السهل التصالح، لكن ستستعين الدولة بتجارب من دول أخرى).

الوثيقة تحاول لصق صفة العنف على أصحاب فكرة الحل الثوري الذي في رأيهم يعوق المصالحة. وتقارنه بما تسميه الحل السلمي الذي سيمنحنا فرصة استحقاق المصالحة». وأضاف: «تستهدف الوثيقة إقناع المستويات القيادية بمحافظات جبهة (د. عزت) وتهيئتهم لخيار المصالحة الذي تكرر في الوثيقة مرات. ويعدد الأسباب التي تدفع للتخلي عن الحل الثوري (الذي يسميه العنف)».

واستدرك: «هذا ما تحدثت به من قبل مع اقتراب ٦/٣٠ وهو تاريخ انتهاء الفترة الرئاسية للدكتور محمد مرسي.. وعلى الجانب الآخر يستعد برلمان (الانقلاب) - حسب وصفه - لإصدار قانون المصالحة الذي يتسامح مع الإخوان الذين ينبذون العنف (جبهة د. عزت) وتصريحات العجاتي وزير الشئون القانونية (للانقلاب) بضرورة المصالحة و(إنهاء هذه المشكلة) على حد قوله..

مضيفًا: «مساعٍ أخرى تجري لصياغة مخرج سياسي لفكرة المصالحة من خلال مبادرات ومشروعات حل ستنطلق بعد ٦/٣٠ القادم.. كل هذه التحركات مجتمعة على فكرة عدم التسامح مع مَن يسمونهم (مؤيدي العنف والمتورطين فيه) بحسب قوله.

وفي تدوينة أخرى، رفض «دويدار» فكرة المصالحة قائلًا: «بعض الناس بتقول: طيب إيه المشكلة في المصالحة لو كانت هاتخرج المعتقلين؟ سيبونا بقى من الشرعية والكلام دا. انتوا مش حاسين بالمعتقلين؟.. وأجاب قائلًا: «الحقيقة إن مشكلتنا الحقيقية في إننا حاسين بكل المعتقلين والشهداء. لأن مشروع المصالحة اللي مطروح من (جبهة د.عزت) مش بيتكلم عن كل المعتقلين.. بل فيه توافق على تجاهل المعتقلين في قضايا العنف. اللي هو أكثر من نصف المعتقلين. دا غير إنه قفل باب القصاص تمامًا. يعني في النهاية هانستسلم تمامًا ونقفل صفحة الثورة مقابل خروج معتقلي التظاهر والرأي.. لو دا يرضيك.. بالتوفيق لكن بالنسبالنا دي مصالحة على الدم» بحسب تعبيره[1].

---

(١) جريدة المصريون بتاريخ ٢٠١٦/٦/١٦.

٣ - شهادة الدكتور محمد محسوب على الاحداث:

اعترف الدكتور محمد محسوب وزير الدولة للشئون القانونية والمجالس النيابية إبان حكم الرئيس الأسبق محمد مرسي، بخطأ جماعة الإخوان المسلمين قبل بيان ٣ يوليو، كاشفًا تفاصيل اجتماع ممثلي الأحزاب مع بعض القيادات بالقوات المسلحة. وقال «محسوب»، في بيان مطول له عبر صفحته الشخصية على موقع التواصل، «فيس بوك»، أن السيسى قد عرض على الإخوان تنحي الرئيس مرسي وعودته لبيته معززًا مكرمًا بمخصصات رئيس جمهورية، دون أي خسائر، والمشاركة في حكومة بعدد من الوزراء.

يقول محسوب: «يوم ٢ يوليو في لقاء جمع بعض ممثلي الأحزاب..

عرض الدكتور الكتاتني ما عرضه عليهم الجنرال (السيسى)..

تنحي الرئيس وعودته لبيته معززا مكرما بمخصصات رئيس جمهورية..

المشاركة في حكومة بعدد من الوزراء..

عدم المساس بالجماعة أو بحزبها..

طلب الرجل رأينا، فقلنا له جميعا إن هذا عرض مقدم لكم، وأنتم من يتحمل تبعات القبول أو الرفض أمام الشعب والتاريخ..

قال الدكتور الكتاتني: أنهم انتهوا إلى رفض الصفقة لأنهم لا يقبلون تسليم السلطة لانقلاب عسكري[١]..

فشكرناه.. وذكرنا أن موقفنا سيكون رفضا لما يجري لإداركنا أنه لا يستهدف فصيلا بل كل الشعب وكل مطالبه خصوصا التحول الديموقراطي ومكافحة الفساد..

وذكر الدكتور الكتاتني استعداد الرئيس للدعوة لانتخابات مبكرة، لكن الجنرال يشترط أن تجري خلال ١٥ يوما، وهو ما يعني فراغا في السلطة الذي لن يشغله سوى الجنرال نفسه وسيتحكم في نتائج أي انتخابات تجري في ظل سيطرته..

---

(١) ربما ما تُسفر عنه المصالحة، يكون أدنى بكثير مما كان معروضًا قبل بدء نزيف الدم، مع بقاء توصيف السلطة كما هو لم يتغير، فما هو الفرق إذن؟

وكان رأي الرئيس أن تأتي الانتخابات الرئاسية بعد البرلمانية مباشرة.. بحيث تجري الانتخابات الرئاسية بظل حكومة منحها البرلمان الثقة، وبرلمان اختاره الشعب.. وأن ذلك لا يحتاج لأكثر من ثلاث أشهر..

عرضنا وجهة نظرنا في وجوب إعلان ذلك للشعب ضمن مبادرة تشمل حلولا لكثير من المشكلات، منها حل الخلاف على بعض مواد الدستور بتشكيل لجنة من كافة القوى تحدد نقاط الخلاف وطريقة حلها، والدعوة لحوار وطني وتشكيل حكومة ائتلافية خلال أيام وإعادة النظر في تعينات المحافظين بحيث تشمل أعدادا من شباب الثورة ورموز العمل السياسي المعارض.. بالإضافة لانتخابات المبكرة بُعَيد أو حتى معاصرة للانتخابات البرلمانية..

كان الغرض أن لا تُترك السلطة السياسية شاغرة، لأن أي فراغ لن يملؤه إلا من يملك قوة السلاح إذا غاب من يمتلك قوة شرعية الإرادة الشعبية..

خرج الرئيس في نهاية اليوم بخطابه الشهير.. الذي رغم طوله تضمن خطة طريق معقولة، وإن كان لم يُكاشف الشعب بالدعوة مباشرة لانتخابات مبكرة لأسباب لا أعلمها.. وربما أنه قدّر أن الجنرال ربما استغل ذلك لتبرير عزله بصورة قانونية بزعم أنه لا يجب أن يكون حاضرا في أي انتخابات تجري، ومن ثمّ الوصول لحالة الفراغ الدستوري التي يبحث عنها..

فسحة من الوقت لعدة أيام كانت كفيلة بوضع تفصيل خارطة الطريق التي أعلنها الرئيس.. لكن قوى الانقلاب كانت متعجلة لجني ثمار ترتيباتها والاستفادة من الانقسام المجتمعي الذي كان قد وصل لذروته..

ربما أحمل كثيرا من وجهات النظر بشأن الأداء السياسي للرئيس مرسي وحكومته.. لكني لا أملك سوى أن أجدد ما قلته بشهادتي على العصر أن رفضه التماهي مع الانقلاب العسكري هو ما حفظ روح الثورة وضيَّق الخناق على الجنرال وجعله منقلبا.. وإلا لجاء رئيسا برضا عام.. بل وربما استند – وهو ما سعى لأجله – على دعم

الإخوان أنفسهم.. وربما نكل بالمعارضين أولا (وما قضايا ك٢٥٠ أمن دولة عليا إلا أمثلة لترتيبات التنكيل المستقبلي) قبل أن ينتقل للتنكيل بالإخوان لاحقا عندما يستغني عن دعمهم..

رفضُ الرئيس الاستجابة له.. ورفضُ الإخوان الدخول في تشكيل حكومته... هو ما جعله يُغير من استراتيجيته.. فيبدأ التنكيل بداعمي الشرعية ثم الانتقال لمن عارضهم..

فالنية كانت واضحة لكل ذي بصيرة.. ومبيتة لديه بأن يتخلص من كل ميراث ثورة يناير.. ممن شارك فيها ومن رفع مطالبها ومن حلم بحلمها..

بعد بيان الانقلاب بعدة أيام جرى دعوتي لحضور اللقاء مع من عُيّن رئيسا مؤقتا.. وإذ لم أستجب فقد حكى لي حامل الدعوة نفس ما حكاه الدكتور الكتاتني من أنهم عُرض عليهم الاستمرار مع حكومة الجنرال لكنهم «تكبروا ورفضوا» وفقا لتعبير الناقل.. بينما ما رآه كبرا، رأيته موقفا وطنيا يستحق الإشادة.. لأن التاريخ لا يرحم من وقف مع انقلاب أيا كانت مبرراته..

فلا أحد يذكر مبررات من يقف مع انقلاب.. لكنه يذكر بالثناء من رفض مساندته، مهما كان قلقه وأرقه وخوفه لحظة الرفض.. وهو ما شاهدته في ملامح الدكتور الكتاتني.. بل ملامح كل من حضر اللقاء ولا أستثني منهم نفسي..

وهو ما شاهده كل الشعب في ملامح الرئيس في خطابه بنهاية اليوم.. فلم تُخْفِ كلماته الشجاعة قلقَه البادي خلف كل كلمة..

حريٌّ بنا أن نرى الصورة كاملة.. حتى لا يذهب بعيدا من ينتقل من خانة النقد إلى خانة التخوين.. أو من خانة الاختلاف إلى تكريس الانقسام..

وحتى نتفرغ معا لبناء المستقبل الذي ينتظرنا جميعا لا فرادى ولا فِرقا.. متجاوزين كل ما وقع فيه أي من أطراف الجماعة الوطنية من أخطاء في الاجتهاد.. طالما لم يستطع أن يُحلق بعيدا عن ميدان الثورة فإنه يبقى شريكا فيها.. سواء من رفض الانقلاب عند الصدمة الأولى أو من تبرأ منه لاحقا عندما تبين له..» انتهي.

٤ – شهادة أبو العلا ماضي:

قام المهندس أبوالعلا ماضي رئيس حزب الوسط بإجراء حوار مطول مع جريدة العربي الجديد، فكان كما يلي:-

– كيف ترى المشهد السياسي الراهن؟

بالغ التعقيد وشديد الخطورة، فنحن لدينا مشكلات كثيرة سياسية واقتصادية، وكذلك على مستوى الحريات وحقوق الإنسان، بالإضافة لمشكلات على المستوى الإقليمي، ومشكلات متعلقة بالعلاقات الدولية على مستوى بعض الملفات.

– كيف ترى السبيل للخروج من هذا المشهد المتأزم؟

المدخل الأساسي هو السياسة، وواضح أننا نعاني من موت السياسة بالفعل، وحتى المشكلة الاقتصادية الضخمة مدخلها الوحيد هو الحلّ السياسي، فلا يمكن أن يكون هناك اقتراب ومعالجة إلا بحلّ سياسي شامل. ولأن كلمة «المصالحة»، أصبحت مبتذلة، فالأفضل استبدالها بكلمة: الحلّ السياسي الشامل. وهي تعني مصالحة شاملة، لأنه في بعض الأحيان عندما نقول مصالحة، يتبادر لذهن البعض أنها بين التيار الإسلامي والسلطة الحالية. وهذا اختزال لمشهد أكثر تعقيدًا في ظل أزمة مع قطاعات عديدة، وقوى أخرى بدأت تشعر بتغييبها عن المشهد وإقصائها وعدم تحمّلها، سواء كانت قوى سياسية أو نقابية. فضلًا عن وجود أزمات متعلقة بحرية الإعلام والصحافة، والاجتماع والتظاهر. بالتالي إن الحوار يجب أن يتّسع للجميع، ولا مخرج لِما نحن فيه إلا بحلّ سياسي شامل.

– الفترة الماضية شهدت مطالبة البعض بإجراء انتخابات رئاسية مبكرة، بدءًا من رئيس حزب «مصر القوية» عبد المنعم أبو الفتوح، وانتهاءً ببعض شركاء النظام الحالي في ٣٠ يونيو ٢٠١٣، مثل ممدوح حمزة هل تتفق مع تلك الدعوات؟

من حقّ الناس أن تدعو لما تشاء ولما تراه، ولكن إذا لم تكن مثل هذه التفاصيل مرتبطة بسياق أشمل وأوسع، فستظلّ في سياق ضغوط تُمَارَس لتغيير الوضع فقط.



ولكن الحلّ لا بد أن يكون مكتملًا على أساس ماهية الوضع السياسي الراهن، وما مدى الحريات الموجودة ومدى مشاركة الناس، ومدى إجراء عملية انتخابية مكتملة الأركان وتتم بنزاهة. إن الموضوع ليس فقط مجرد إجراء انتخابات، بل يجب أن يكون هناك سياق طبيعي، ويجب أن يكون هناك توافق من أغلب الأطراف الرئيسة على هذا السياق. في البداية لا بد من أن يكون هناك اتفاق بأننا نعاني من مشكلة، ثم أن يكون هناك رغبة في الوصول لحلول، ووقتها نفكر في حزمة من الإجراءات، ولكن القول إن مجرد إجراء انتخابات رئاسية سيحل المشكلة، أرى أن هذا في حد ذاته غير كافٍ.

– بعد خروجك من السجن، ما دوركم في الحياة السياسية خلال الفترة المقبلة، هل من الممكن أن تشاركوا كحزب في تقديم حلّ سياسي، وكذلك هل ستشاركون في انتخابات المحليات المقبلة؟

نحن لم نشارك في الانتخابات البرلمانية الأخيرة، وبالتالي لا تكمن الفكرة بالنسبة لنا في المشاركة في الانتخابات، خصوصًا أن انتخابات المحليات أقلّ تأثيرًا من الانتخابات البرلمانية، ولن نشارك فيها إلا إذا كانت جزءًا من منظومة، وحلًا شاملًا، فلا بد من تغيير المناخ الحالي حتى نقرر المشاركة أو عدمها. أما على صعيد الحلول، فلو أن الطرف المتواجد بالسلطة غير شاعر بأن هناك أزمة، فلن يكون هناك جدوى للحلول. على الطرف الرئيس المتواجد بالسلطة الاقتناع بأن هناك مشكلة تستوجب حلًا، أما عكس ذلك، فإن طرح أي حل سيكون من باب تسجيل المواقف، ونحن في حزب الوسط لسنا معنيين بتسجيل المواقف، مع التأكيد على رغبتنا بالوصول لحل، بغض النظر عمن يؤمّن الحلّ.

– النظام الحالي اصطدم بالصحفيين، ومن قبلهم المحامين والأطباء، ومن قبل ذلك كل شركائه بمعسكر ٣٠ يونيو، فإلى أين يسير النظام من وجهة نظرك مع إكماله لعامه الثاني في الحكم؟

هناك تفسيران لما يجري على الأرض في الوقت الراهن، أحدهما يقول إن هناك

صراع أجهزة بعضها يسعى لخلق مشكلات لإحراج الوضع وخلخلته، أما التفسير الآخر فيقول إن النظام الحالي لا يستشعر بأن هناك أزمة، وأن المشكلات بفعل أهل الشر، وأن الوضع بالنسبة له مازال تحت السيطرة.

- في تقديرك أي الحالتين تعيشها مصر الآن؟

للأسف في ظل غياب المعلومات الموثقة تظل المسألة تقديرية وليست يقينًا، ولكن هناك حوادث لا يمكن تفسيرها سوى بأنها صراع أجهزة هذا واضح للغاية، ورأيي أننا نمر بأزمة حقيقية ومرشحة أن تستمر وتزيد إذا لم يتم مواجهتها بحلول. نحن دائمًا نقول إنه في ظل حالة الاحتقان والتضييق ومحاولة السيطرة بالأجهزة الأمنية لا بد أن تتوقع أي شيء، إذا لم يتم تقديم حلول سياسية قد يحدث انفجار في الأوضاع لأي سبب. وهنا يجب أن أوضح أن لا أحد يطلب المعركة الصفرية، أي أن يكسب طرف كل شيء والطرف الآخر يخسر كل شيء، هذه طريقة غير صحيحة ولن تنجح، فلا بد أن يكون هناك تنازلات متبادلة لتقديم المصلحة الوطنية. وإذا شعر النظام بأن هناك مشكلة فسيدفعهم ذلك لتقديم تنازلات وإذا لم يفعل النظام ذلك فسيواجه مشكلة أكبر مما هو فيها الآن.

- هل ترى أن خيار الثورة ما زال مطروحًا أم أن المصريين أصابهم الملل من الثورات؟

لا يوجد مقولات مستقرة في هذا البلد، وما حدث في ثورة يناير خير دليل، فالجميع كان يؤكد أن ما حدث كان مفاجأة لأن المصريين ظلوا في خنوع لفترة طويلة. لا نستطيع القول إنه لن يكون هناك ثورة جديدة، ولا نستطيع أيضًا أن نجزم بالعكس، فالثورة عمل غير متوقع، ولا يوجد ثورة سابقة التجهيز، وإنما الظروف هي التي قد تؤدي لانفجار الأوضاع، والظروف ما زالت قائمة.

- ما مرت به مصر خلال السنوات الخمس الأخيرة دفع البعض لاسترجاع مقولة رئيس الاستخبارات الأسبق عمر سليمان، التي قال فيها إن الشعب المصري غير مؤهل



للديموقراطية، وكذلك ما ردده الرئيس عبد الفتاح السيسي أيضًا فهل تتفق مع وجهة النظر هذه؟

هذا كلام غير صحيح إطلاقًا ولا توجد شعوب في العالم استيقظت من النوم فوجدت نفسها مؤهلة للديموقراطية. إن الديموقراطية هي عملية تراكمية ومركّبة لابد أن تبدأ. وهذا ما كنا نعوّل عليه بعد يناير ٢٠١١، وهو التحضير للتطور الديموقراطي الطبيعي.

- مع نجاح الرئيس المعزول محمد مرسي في الوصول للحكم عام ٢٠١٢، ظهر مصطلح «الدولة العميقة»، في إشارة للأجهزة الأمنية ومجموعات المصالح، فهل ترى أن هذه الأجهزة ستقبل في أي وقت بممارسة ديموقراطية وحياة سياسية سليمة؟

الأجهزة التي تربّت على السيطرة والفساد لعقود طويلة، لن تسلم بالعملية الديموقراطية لأنها ضد مصالحها، وهذا صراع سيظلّ موجودًا. مع العلم أن هذا الصراع يحسم وجود حريات حقيقية وانتخابات حقيقية، وتأتي بسلطة كاملة الصلاحيات، ومعها رأي عام يساندها. إن هذه الأجهزة لم تنتصر في معاركها السابقة، إلا بسبب وجود انقسام قوي جدًا في الرأي العام، فمفتاح الحل يجب أن يكون في توافق وطني، وتلزم هذه الأجهزة به ويتم تطويرها رضيت أم أبت.

في الفترة الماضية كنا أمام نظام يرفض الحلّ السياسي، وطرف آخر هم الإسلاميون يواصلون النزيف على مستوى الاعتقالات وعمليات التصفية والقتل خارج إطار القانون. أمام هذا المشهد طالب البعض معسكر الشرعية بتقديم التنازلات من جانبهم فقط، لحلّ الأزمة. ليس مطلوبًا أن يُقدّم طرف واحد كل التنازلات لطرف آخر، فهذا ليس حلًا لأنه يفتح الباب أمام الغاضبين لسلوك طرق العنف، مثلما حدث في خمسينيات القرن الماضي بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، والتنظيم الشيوعي الذي حلّ نفسه ففتح الباب لتنظيمات أخرى تمرّدت عليه. المشكلة ليست بين طرفي الإسلاميين ومنهم الإخوان، أو السلطة ومنها الجيش، فإذا نظرنا لها بهذا الشكل تكون

نظرتنا خاطئة، لأن الأزمة أوسع من ذلك بكثير، ومختصة بقطاعات أخرى بالمجتمع. وتوصيف الأزمة على أنها خلاف بين الإسلاميين والنظام ليس توصيفًا صحيحًا.

أزمتي ليست التيار الإسلامي أو جماعة الإخوان المسلمين ولا حزب الوسط، ولكن مشكلتنا هي الوطن وحريات الناس ومصالحهم. في سبيل هذا تبقى جماعة الإخوان أم لا؟ يبقى حزب الوسط أم لا؟ الموضوع ليس هنا، فنحن نريد أن يكون الشعب هو صاحب القرار الحقيقي وهو الذي يختار من يحكمه ويشرع لنفسه ويضع دستورًا لنفسه، فنحن نبحث عن حل للوطن وليس عن حل للجماعة.

- هل من الممكن أن نرى تحالفًا أو تقاربًا جديدًا بين العائدين من معسكر ٣٠ يونيو، والعائدين من تحالف دعم الشرعية؟

حزب الوسط كان من الأوائل الذين سعوا للتوافق الوطني حتى من قبل ثورة ٢٥ يناير، والتوافق الوطني لا بد أن يكون مفتوحًا لكل العناصر المؤسساتية المكونة للوطن، وعدم التقليل من قيمة أي طرف. مشكلة التيار الإسلامي دائمًا أنه كان يرى نفسه الطرف صاحب العضلات والجمهور الأكبر، وهذه معلومة صحيحة ولكن ليس مصادر القوة فقط هي العضلات التنظيمية، فمن مصادرها: القِيمة الأدبية لدى الرأي العام، وقوة المال والتأثير الإعلامي، وقوة القبول والدعم الدولي وعناصر أخرى كثيرة. لا بدّ لهذه المكونات أن تتوافق على استعادة المسار الديموقراطي كاملًا مع الإصلاحات المطلوبة.

- وهل من الممكن أن تبادروا أنتم بخطوة الاتصال بالعائدين من معسكر ٣٠ يونيو؟

المناخ غير مناسب لخطوة مثل هذه، وبالتالي هذا الاقتراح غير مطروح في الوقت الراهن.

- أثارت خطوة زعيم حركة النهضة راشد الغنوشي جدلًا كبيرًا في صفوف الإسلاميين، بتحويل الحركة لحزب سياسي فقط والتخلي عن العمل الدعوي؟

أنا كتبت عن هذا الأمر مبكرًا، ونحن كحزب الوسط طبقنا هذا التفكير فعليًا، فأتذكر عندما كنا في الإخوان قبل أن نخرج بحزب الوسط، كان الخلاف الرئيس حول



الفصل الوظيفي بين الدعوي والسياسي، وأنه على الجماعة أن تقرر إما أن تكون جماعة دعوية فقط، أو حزبًا سياسيًا فقط، وعندما وصل الخلاف إلى ذروته خرجنا لنقول إننا حزب سياسي فقط. وسبق لي أن كتبت عام ١٩٩٧ مقالًا بعنوان فصل الدعوي والسياسي. ردّ عليّ وقتها عصام العريان معترضًا على كلامي، واستشهدت وقتها بكلام كان منشورًا للشيخ راشد الغنوشي، إلا أنه في هذه الفترة كان لاجئًا سياسيًا في لندن، وعندما رجع عقب ثورة تونس أخذ وقتًا في تهيئة الحركة للخطوة وإقناعها بها.

وحزب الوسط من الأحزاب الإسلامية القليلة التي لا تُشكّل ذراعًا لكيان آخر، فالإخوان مثلًا كان لهم حزب الحرية والعدالة، والجماعة الإسلامية، كان لها حزب البناء والتنمية، والدعوة السلفية كان لها حزب النور. أما نحن فتمردْنا على جماعة الإخوان لأننا طالبنا بحزب سياسي فقط. وللأسف كان على الإخوان أخْذ هذه الخطوة من فترة طويلة، واليوم نسمع بعض التصريحات بأنهم يفكرون في هذه الخطوة، وعليهم إعلان ذلك.

- القيادي الإخواني جمال حشمت قال إن هناك تفكيرًا في فصل الدعوي عن الحزبي في الوقت الراهن؟

هنا أود أن أقول معلومة جديدة، فقد قام بزيارتي أحد الإخوان أخيرًا، يسألني عن رؤيتي، فقلت له كلامًا قاسيًا، وعددت له الأخطاء، وطالبتهم بمراجعات شاملة حتى تقبل الناس بوجودكم مرة أخرى، وبعدها بشهر جاءني إخواني آخر، وقال لي نحن بالفعل بدأنا فيما قلته وأخذناه في الاعتبار. وهناك شبه قناعة في موضوع الدعوي والسياسي لدى الجميع داخل الجماعة، فطالبتهم بضرورة إعلانه.

وعندما يأتي وقت النقد سأقول رأيي واضحًا، فاليوم لا نستطيع أن نتكلم في العلن لأنهم موجودون في السجون ويتعرضون لظلم ويجب أن نعترف بذلك، ولكن يجب أن يعرف الجميع أن هناك نقطة محورية وهي أن انشغال الإخوان بالسياسة أثّر على الدعوة وقيم التديّن في المجتمع، ولم ينجحوا في السياسة، فالآن هم كإخوان لديهم نشاطان الأول كانوا ناجحين فيه وهو الدعوة، والآخر فشلوا فيه وهو السياسة. لا سبيل إلا أن

تأخذ جماعة الإخوان قرارًا تاريخيًا بعودتها للعمل الدعوي والتربوي فقط، ولا تؤسس كيانات أخرى تعمل بأوامر من وراء ستار، وهذه المراجعة ليس لها علاقة بالسجن أو الظرف الذي تمر به الجماعة ويجب ألا يتم ربط الأمرين ببعضهما.

- كخبير في شأن جماعة الإخوان المسلمين كيف ترى مستقبل الإخوان في مصر، في ظلّ المشهد السياسي الراهن، وكذلك في ظل الانقسام الذي تشهده الجماعة؟

في رأيي جماعة الإخوان لن تعود كما كانت، وفي حال لم يتدارك القادة الحاليون الممسكون بكل الخيوط هذه المسائل فستتفكك أكثر. وعليهم التفكير خارج الصندوق، وأول مفتاح لحل أزمة الجماعة هو فصل الدعوي عن الحزبي، ففي تونس استطاع الشيخ راشد بعقلانيته حماية الثورة التونسية بتقديمه بعض التنازلات، وبرأيي فإن حركة النهضة نجحت بمحافظتها على الثورة، والحياة الديموقراطية أولًا، في وقت أصبحت فيه مرشحة أن تصل للسلطة في تونس في أي وقت، لأنها ما زالت الكيان الأقوى في ظل أن الكيان الذي ينافسها غير متناسق.

الإخوان في مصر طوال التاريخ ثبت أنهم نجحوا دعويًا، ولكن لم يثبت أنهم نجحوا سياسيًا. بالتالي فمن مصلحتهم أن يختاروا اختيارًا تاريخيًا، بأن يكونوا إما جماعة دعوية أو سياسية للحفاظ على ما بقي من كيان الإخوان.

وهنا أقول للجماعة إن المدرسة الناجحة هي التي يتخرج منها طلابها لا أن يظلوا بها طوال حياتهم، فالطالب الفاشل هو فقط من يبقى في المدرسة ولا يتخرج منها.

- قضيتَ فترة مع قيادات الصف الأول للإخوان داخل سجن طره من خلال حديثك معهم هل يرون أنهم أخطأوا في شيء أم لا؟

بداية نحن كان يتم التضييق علينا ولا يسمح بالنقاش إلا في حدود ضيقة للغاية، وقاموا بتركيب كاميرات في كافة الطرقات لمنع التواصل، ولكن بشكل عام كانت تحدث مناقشات عابرة خلال فترات الرياضة، وخلال هذه المناقشات بعضهم كانوا مدركين أن هناك أخطاء ارتكبت والبعض الآخر كان لا يريد الاعتراف بأنهم أخطأوا، وأن ما يحدث معهم هو طريق الدعوات المحفوف بالابتلاء.

– القاعدة العريضة من الإسلاميين وغيرهم كانوا ينتظرونك أن تتكلم عن كواليس الفترة التي عايشتها بالقرب من السلطة خلال فترة الرئيس المعزول محمد مرسي؟

سيأتي اليوم الذي أتحدث فيه بتفاصيل أوسع، ولكن سأتحدث عن خطأ واحد فقط، وهو الأكبر من وجهة نظري، عندما استغنى الإخوان بأنفسهم عن بقية القوى السياسية في السلطة، وتصوروا أنهم يستطيعون إدارة الدولة وحدهم، وأن نجاح مرسي في الانتخابات الرئاسية أعطاهم تفويضًا بهذا. بالتالي شعروا بالاستغناء عن الشركاء الحقيقيين وكانت نصيحتنا المستمرة لهم بضرورة المشاركة.

وهنا أسرد موقفًا واحدًا، فعندما حدثت أزمة الإعلان الدستوري في نوفمبر ٢٠١٢ دعونا لحوار في قصر الاتحادية في اجتماع قمتُ بإدارته، وانتهينا بإلغاء الإعلان الدستوري. هدأ بعدها الرأي العام، وعندما انتهت الأزمة قمت بزيارة مرسي في قصر الرئاسة وبصحبتي وزير الشؤون القانونية السابق، محمد محسوب. وقتها قال محسوب: «يا دكتور مرسي ربنا وفقنا وعدينا الموجة العالية الخاصة بالإعلان الدستوري، ولكن ستكون هناك موجة أشد ولن نستطيع أن نواجهها إذا لم نبدأ في الاستعداد لها من الآن».

وطالبه بضرورة إشراك القوى السياسية في الحكم، واقترحنا عليه اسمين وهما محمد البرادعي، وعمرو موسى كي يختار من أحدهما رئيسًا للوزراء فرفض مرسي، بل وأخبرني قائلًا: «الرئيس الأمريكي باراك أوباما اتصل بي وقال لي استفِد بأحد هذين الشخصين معك ومستعد أكلمهما لك. وبعدها اتصل بي أيضًا وزير الخارجية الأمريكي جون كيري، وقال لي استعِن بأحدهما رئيسًا للوزراء. وأيضًا خلال زيارتي لألمانيا قالت لي المستشارة أنجيلا ميركل عليك الاستعانة بأحد منهما أي البرادعي وموسى رئيسًا للوزراء». هنا قلنا لمرسي «هذا يؤكد وجهة نظرنا وسيريح أطرافًا دولية كثيرة، فردّ مرسي رافضًا «لا» وذكر عددًا من الأسباب التي أتحفظ على ذكرها الآن.

بعدها تحدثت إلى المرشح الرئاسي السابق سليم العوا وكان يحضر معنا لقاءات قصر الاتحادية، وطالبته بأن يقترح على مرسي اختيار نائب الرئيس السابق المستشار

محمود مكي رئيسًا للوزراء، طالما أنه لا يريد البرادعي أو موسى. وبالمناسبة هنا، أذكر أن مكي قال إنه منذ الأسبوع الأول لاختياره نائبًا لرئيس الجمهورية كان يرغب في الاستقالة، إلا أنه قام بتأخيرها بسبب أحداث الإعلان الدستوري.

وطالبت الدكتور العوا أن يتصل أيضًا بالمستشار مكي ويأخذ رأيه قبل أن نقترح اسمه على الرئيس مرسي رئيسا للوزراء، فقال لي الدكتور العوا توكل على الله واقترح اسمه على الرئيس مرسي وأنا سأقنع المستشار مكي، فطلبت معادا للقاء الرئيس مرسي بعد اجتماع الحوار، ولكن أثناء الاجتماع للحوار فوجئنا أنه تم إعادة تكليف الدكتور هشام قنديل بتشكيل الحكومة فقام الدكتور محسوب بكتابة استقالته أثناء اجتماعنا لجلسة الحوار الوطني ومررها إليّ فوافقته عليها، وهذه كانت النقطة المحورية وهي أن تسمح بتمثيل للآخرين حتى وإن لم يكن لهم تمثيل كبير في الشارع.

– الحديث عن حزب العدالة والتنمية التركي لا ينفصل عن حركة النهضة والتيار الإسلامي بشكل عام، باعتبار أنه الأكثر نجاحًا في تجارب الإسلاميين؟ كيف رأيت التطورات الأخيرة على الساحة التركية، وانسحاب رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو بعد خلافات مع الرئيس رجب طيب أردوغان؟

أردوغان ومن قبله نجم الدين أربكان لم يكونا من الإخوان، حتى إن الإخوان كانوا دائمًا يوجّهون نقدًا لأربكان، بأنه لا يهتم بالتربية ويهتم بالسياسة، ولكنه كان يتعاون مع الإخوان. أنا قلق على التجربة التركية رغم أنها حققت نجاحًا باهرًا، وجزء من قلقي أن المجموعة المؤسسة لهذه التجربة كانت ثلاثة أشخاص، بترتيب الأهمية هم أردوغان والرئيس التركي السابق عبد الله غول، وأحمد داود أوغلو. انسحب أولًا غول، ولحق به داود أوغلو، وفي هذه اللحظة حزنت للغاية وبدأت ألمس أن الرئيس أردوغان بدأ يشعر بفكرة التفرد وبالتالي أصبح هناك نفس ديكتاتوري بدأ يظهر في الأحداث، وبدأت أشعر بالقلق على الرغم من أن النجاحات ما زالت مستمرة على المستوى العام.



- كنت واحدًا ممن شاركوا بالاجتماع الذي عقده مرسي، والمتعلق بسدّ النهضة الإثيوبي خلال فترة حكمه، وتمت إذاعته على الهواء مباشرة، في تقديرك ما الفرق بين الحديث عن حلول الأزمة في السابق والوقت الحالي؟

أولا دعنا نعترف أن ما جرى خلال الاجتماع الذي تقصده كان خطأ كبيرًا من رئاسة الجمهورية في عهد مرسي، أن يُدعى رؤساء أحزاب وشخصيات عامة للتداول في أمر خطير يمسّ الأمن القومي ويُذاع على الهواء من دون علم الحاضرين. أما بشكل عام فإن مسألة سد النهضة في الوقت الحالي، أمر في غاية الخطورة لأنه متعلّق بمصدر المياه الرئيس لمصر، وأعتقد أن محاولة استرضاء إثيوبيا طوال الفترة الماضية، أوصلنا إلى أمر واقع، بات من الصعب مواجهته. بالتالي بدأت تظهر عندنا مشكلة ضخمة في مسألة نقص المياه، وعبّر عنها مسؤولون كبار بوزارة الري، إذ أكدوا أننا مقبلون على كارثة مائية بسبب مشروع السد، وبسبب التعامل السيئ مع الأزمة الذي أدّى بنا لوضع شبه كارثي. وهذا من الملفات التي لن يتمّ حلّها إلا بحلّ سياسي شامل في الداخل المصري، حتى يكون هناك توافق على الحلول الخاصة بالقضايا القومية من هذا النوع، إذ لا يصح أن ينفرد بها طرف كان من كان. للأسف إن توقيع مصر لاتفاق المبادئ الثلاثي بين مصر والسودان وإثيوبيا كان خطأ كبيرا، لأننا سلمنا من خلاله لإثيوبيا ما يمكنها من استغلال الوقت لاستكمال البناء وتعطيل إجراءاتنا.

- هناك من يرى أنه في ظل الموقف الإثيوبي الرافض للتعاون يجب أن يظلّ الحلّ العسكري مطروحًا، هل تؤيد ذلك؟

دائما آخر العلاج الكيّ بالنار، فلو نحن وضعنا خطة متكاملة وجادة في وقت هذا المشروع بأساليب قانونية وإجراءات قانونية يمكن ألا نصل إلى الحل العسكري. وطول الوقت وفي التاريخ المصري لم يتم استبعاد الحل العسكري في قضايانا لا أيام الرئيس عبد الناصر أو أنور السادات أو حسني مبارك، وبالتالي أي طرف لو شعر أنه في مأمن من حل معين من الممكن ألا يستجيب. ولكن عندما يشعر بأن هناك خطورة،

وأن هذا الحلّ وارد، سيتغير موقفه في المفاوضات، بالإضافة لإجراءات أخرى قانونية منها التحكيم الدولي من الممكن اللجوء إليها، ولكن يظلّ دائمًا الحلّ العسكري مطروحًا في إطار توافق وطني، وعدم المكايدة السياسية.

– ما موقفكم من اتفاقية ترسيم الحدود المائية بين مصر والسعودية وما أثارته من أزمة داخلية بسبب التنازل عن جزيرتي تيران وصنافير للمملكة؟

موقفنا واضح وعبرنا عنه وهو أنهما مصريتان ولا يحق لأي أحد التنازل عنهما، ونؤكد أن القضايا القومية التي تمس السيادة لا يصلح فيها طريقة الصدمات ومفاجأة الرأي العام هذا في حال كان موقف النظام فيها صحيحًا، فما بالنا بقضية موقف النظام فيها غير صحيح، فلا بد من مناقشة الرأي العام. وفي هذه القضية تحديدًا ما تم ظهوره من وثائق وخرائط تؤكد أن الجزيرتين مصريتان وبالتالي لا يملك أحد حتى ولو باستفتاء التنازل عنهما، هذا كان واضحًا في دستور ٢٠١٢ الذي تم إلغاؤه، إذ نصّ على أن السيادة لا يمكن التنازل عنها حتى ولو باستفتاء، في وقت نرى فيه البعض يقول إنه وفقًا للدستور الحالي يمكن التنازل عن السيادة باستفتاء هذا غير صحيح، فلو ثبت أن الأرض مصرية لا يصلح فيها استفتاء ولا يمكن التنازل عنها، فنحن لم نرَ في سابقة تاريخية أن يستميت نظام سياسي لإثبات حق دولة أخرى في أراضي بلاده.

حرصنا على نقل الحوار بتمامه، رغم تطرقه لعدة مسائل خارجة عن إطار موضوع المصالحة، ولكن لأن هذا الحوار أثار زوبعة هائلة من الانتقادات الإخوانية التي وُجهت لأبو العلا ماضى، وجرَّت عليه اتهامات العمالة والخيانة كما جرَّت على غيره، مما دفع عصام تليمة لِأن يكتب مقالًا يصف فيه هذه الزوبعة تحت عنوان «وَأْد أبو العلا ماضي وأمثاله!!» جاء فيه:

هاجت الدنيا وماجت، وقامت وما قعدت، لكلمتين أدلى بهما المهندس أبو العلا ماضي رئيس حزب الوسط، في حوار مع جريدة العربي الجديد، بخصوص موقف تعيين البرادعي أو عمرو موسى رئيسا للوزراء في فترة حكم الدكتور محمد مرسي فك

الله أسره وأسر المعتقلين جميعا، ورأينا حملة أشبه بما كان يقوم به أهل الجاهلية من عملية (وأد البنات)، تحت زعم الخوف من العار والفضيحة، ناسيا هذا الأحمق أنها ابنته، وهي قطعة منه، وأن العار المجلوب إن حدث يوما، فسوف يكون بسببه لأنه لم يحسن التربية، ولم يحسن التعامل، وهو نفس ما يقوم به البعض الآن مع المهندس أبو العلا ماضي وأمثاله، فكل من تكلم بكلمة، كانت عبارة عن شهادة له بما رأى، قامت حملات التخوين والوأد والتشويه، مهيلين التراب على تاريخ الرجل، بخلق أصبح لا يشبه إلا بخلق يهود المدينة، في موقفهم الشهير من عبد الله بن سلام، الذين قالوا عنه قبل أن يسلم ويكون على غير دينهم: هو عالِمنا وابن عالمنا، وسيدنا وابن سيدنا، فلما خالفهم قالوا: هو جاهلنا وابن جاهلنا، وسفيهنا وابن سفيهنا!!

والحملة ليست موجهة ضد أبي العلا ماضي بشخصه، بل موجهة ضد كل مَن تسوِّل له نفسه نقد الإخوان، أو الكلام عن مرحلة حكم الإخوان، ومن يقود الحملة ليسوا أناسا مؤمنين بالفكرة إيمانا عن بصيرة، بل هم أشبه بمن يقوم في الأفراح البلدي بإطلاق بعض الأعيرة النارية، تحية لأهل الفرح، وغالبا ما تنتهي بعيار طائش يصيب أحد حضور الفرح، أو أحد المارة المتفرجين، فيسقط قتيلا، أو مصابا بإصابة خطيرة، وينقلب الفرح إلى مأتم، ويذهب أهل العريس إلى قسم الشرطة للتحقيق معهم، وإكراما لمن جاء ليحيي أهل الفرح بإطلاق النار، يقوم أهل الفرح بتقديم أنفسهم على أنهم الجناة، والجاني الحقيقي المستهتر، الذي لا يحسن إطلاق الأعيرة النارية في الهواء، يبقى حرا طليقا، ليمارس نفس الهواية في فرح آخر، فقد أصبح أكل عيشه هذه الهواية المفضلة التي يدفع ضريبتها أصحاب الفرح الذين تعبوا في إقامته، وللأسف يحاسبون على مشاريب لم يشربوها، ومصابين لم يقوموا بإصابتهم.

وبعض منتقدي الكلام مخلصون، ممن كان منهم على علاقة بالعمل مع الرئيس محمد مرسي، أو من يساعد في ملف في الإدارة في جماعة الإخوان قبل الانقلاب، وهؤلاء يظل على عاتقهم مسؤولية أكبر في توعية الناس في مثل هذه الأمور، فعلى كل

واحد منهم أن يقوم بكتابة شهادته وتجربته، ما له وما عليه، بكل إنصاف، فليس مقبولا أن كل إنسان يتكلم بما رأى، يخرج من يكذبه، أو يخرج من ينكر عليه، فليتفضل كل منكر أو من ينفي الكلام، فليكتب روايته كاملة، أو ليصمت، ويدع من يدلي بشهادته يقولها كما رأى بأم عينه.

وعلى كل ناقد للإخوان أن يستمر في نقده، ولا يهابنّ أحدا من المناضلين عبر الكيبورد على الفيس بوك، ووسائل التواصل الاجتماعي، إن كان نقده مخلصا لله، معبرا عن حقائق عايشها بنفسه، ورؤية يراها بفكره وعقله، فالناقد يتعبد لله بنصح الناس، ولا يتعبد الناس، ولا يبتغي رضاهم، فلو استسلم كل صاحب رأي مخالف، أو رؤية نقدية لهؤلاء المهاويس لظللنا طوال عمرنا في ظل هذا الانقلاب، ولم لا، وبعض هؤلاء مصدر نجوميتهم، ومصدر رخائهم، هو الانقلاب نفسه، فبعض الناس لم يتربح من سنة حكم الإخوان، بل ربح من الانقلاب، فمصلحته تدور مع بقاء الانقلاب لا انتهائه، فلا يفرق معه معتقل معذب، ولا أسرة شهيد تئِن، ولا مطارد يبيت في العراء متخفيا عن أعين مجرمي الانقلاب، فالانقلاب كان لفئة من الناس محنة، بينما كان لبعض آخر منحة، فعلى كل أصحاب المحن أن يقولوا ما لديهم، وأن يعملوا فكرهم فيما ينهي هذا الانقلاب، وينهي معه هذه الكائنات التي تضر ولا تنفع[1].

٥ – حوار ياسر علي:

تراجع القيادي الإخواني البارز ياسر عليّ، المتحدث باسم رئاسة الجمهورية، في عهد الرئيس محمد مرسي، عن موقفه عقب خروجه من السجن، قائلًا: «جماعة الإخوان لم تكن جاهزة للمشاركة في الحكم، وإن قرار ترشيحها لرئيس كان خاطئا، مشيرًا إلى أنه قد أجرى مراجعات فكرية داخل سجن العقرب خلال تواجده به.

وفيما يلي نص الحوار:

ياسر علي.. أين هو الآن بعد قرابة عام ونصف منذ خروجه من المعتقل؟

---

(١) الإثنين ١٣ يونيو ٢٠١٦ – موقع الجزيرة مباشر.

بعد براءتي من تهمة التستر على د. هشام قنديل ومكوثي في سجن العقرب قرابة عام (ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٣ - نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٤) عدت إلى ممارسة حياتي الطبيعية ورعاية أسرتي، كما أعكف على إنجاز أعمال خاصة بي.

باعتبارك أحد أعضاء الفريق الرئاسي لمرسي، كيف تنظر إلى تجربته في الحكم؟

منذ ثورة ٢٥ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١ بدأنا مرحلة جديدة في تاريخ مصر تطلبت من الجميع بمن فيهم حزب الحرية والعدالة (المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين) خوض تجربة غير مسبوقة في العمل السياسي، وبالتالي كان من المحتم وقوع أخطاء لأنه لم يحدث أن كان هناك سابقة تداول سلطة حقيقي في مصر تستطيع الأحزاب فيها ملامسة الواقع عند طرح برامجها، وهو أهم الأمور عند تداول السلطة.

جميع الأحزاب كانت مستغرقة في الاهتمام بما ينبغي فعله، ولم يكن لديها إدراك لما يمكن فعله، ولارتفاع سقف طموح الجميع كان هناك صراع حقيقي طوال هذا العام لإثبات القدرة على الفعل، لكنه كان محكوما بالإمكانيات والواقع، وهو ما أثر على تقييم قطاع من المجتمع المصري للتجربة.

تزايدت مؤخرا كتابات إعلاميين وسياسيين تتناول السنة التي قضاها مرسي في الحكم وتبرز ما تراه أخطاء وقع فيها ساعدت على الانقلاب عليه، كيف تراها؟

الموضوعية تقتضي أن نقول إن الرئيس محمد مرسي حاول أن يمر بالسفينة قدر المستطاع وفق الإمكانيات المتاحة، وكان يملك همة شديدة جدا في هذا الإطار، لكن ما يمكن كان أقل مما ينبغي، ولا ينفي ذلك الوقوع في أخطاء كانت نتاجا طبيعيا لكونها تجربة أولى.

الرئيس مرسي كسياسي وبرلماني سابق كان يملك رصيدا معقولا من التجربة يحتاج إلى صقل من خلال الزمن، وكان ككل البشر له إيجابياته وسلبياته، ولكنه لم يكن ذلك الدرويش الساذج الذي يراه البعض من خلال نقولات من هنا أو هناك، أو المتآمر كما يراه آخرون.

كان رجلا وطنيا يعشق تراب مصر وكان حريصا على دولة مدنية وفق وثيقة الأزهر التي كان يرى أنها أفضل ما تم بعد الثورة، ولكنها كانت في رأيه تحتاج إلى إجراءات ومسارات عمل حقيقي، كما كان حريصا على فكرة تداول السلطة إدراكا منه أن ذلك ما سينضج المجتمع السياسي المصري.

مرسي ظُلم ظلما بيّنا حتى من مقربين منه ممن ركزوا على ما ينبغي دون إدراك الممكنات، ومن يعمل على تشويه صورته بشكل متعمد فهو يدعم تبرير ما تم معه.

في بعض التعليقات والمقالات التي كتبت مؤخرا تغيب المعلومات الحقيقية نتيجة غياب معظم الذين صنعوا الأحداث في هذا التوقيت ومنهم الرئيس نفسه، فغيابهم يدفع البعض إلى أخذ معلومات من طرق غير صحيحة وبالتالي يكوِّن انطباعات سطحية.

انطلقت إحدى هذه الكتابات من أن أحد الزعماء العرب أوفد أحد كبار مسؤوليه إلى مصر للقاء مرسي في مارس/آذار ٢٠١٣، وحمل إليه أخبارًا فيها تفاصيل عن تدبير انقلاب عليه، فما حقيقة ذلك؟

هذا ليس صحيحا، وما يتم تداوله مبني على نقل شهادات غير دقيقة، فلم يُوفِد أي زعيم عربي أحدا إلى الرئيس مرسي في هذه الفترة، وإنما التقاه دبلوماسي عربي كان يقيم في القاهرة حينها، ونقل له تخوفاته وآخرين من أن يحل بمصر عشرية سوداء كما حدث في الجزائر.

وقال له بالنص «لتسمح لي سيادة الرئيس أن أنقل لك مخاوفي من مستقبل المسار الديمقراطي في مصر، وذلك لأسباب عدة منها قلق كثير من القوى الإقليمية نتيجة إصرار فخامتكم على عدم التواصل المباشر بالكيان الصهيوني وترك الاتصال للأجهزة الأمنية فقط».

كما أطلعه (الدبلوماسي العربي) على ضرورة التراجع عن بعض قراراته التي اتخذها في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٢ بشأن أحداث غزة ومنها إلغاء سحب السفير المصري من إسرائيل لكونه أحدث توترا إقليميا جعل من القيادة في مصر غير مرحب

بها، وهو ما يشكل ضغطا أيضا على المؤسسة العسكرية وربما يؤدي إلى ما هو أسوأ.

وأشار عليه بضرورة تقليل الدعم السياسي للفلسطينيين في غزة والعودة به إلى الحد الأدنى في هذه المرحلة، لافتا إلى أن أطرافا إقليمية باتت ترى تناقضا في الرؤى بين بعض مؤسسات الدولة وبين مؤسسة الرئاسة في التعامل مع ملف العلاقات المصرية الإسرائيلية.

السبب الآخر الذي ذكره الدبلوماسي العربي هو إصرار مرسي على دعم الثورة السورية ورؤيته المبنية على أن الرباعية المكونة من تركيا وإيران والسعودية ومصر هي السبيل لحل الأزمة السورية، وهو ما لا يرضي أطرافا إقليمية تملك رؤية مخالفة لترتيب أوضاع الإقليم خاصة أن الربيع العربي كان قد بدأ يحاصر بعض هذه القوى.

إذًا لم يكن هناك تحذير مباشر من قبل مسؤولين لمرسي من قيام المؤسسة العسكرية بانقلاب عليه؟

د. مرسي لم يكن ليسمح لأحد بأن يتحدث عن مؤسسات الدولة المصرية بشكل لا يليق، سواء كان مسؤولا عربيا أو غيره، انطلاقا من اعتباره إياها أصولا ثابتة للدولة وملكا للشعب. وهناك مفردات نُسبت مؤخرا لمرسي من نوعية «في بطني بطيخة صيفي» و«فلان في جيبي الصغير» هي مكذوبة عليه، ومن يعرفه يدرك أنها ليست من مفرداته ولا تصدر عنه.

الدبلوماسي العربي كلامه أظهر أن القوى الإقليمية غير مرتاحة وتُصَدِّر قلقا شديدا للداخل، وهذا القلق كان له تأثير على قوى سياسية وبعض مؤسسات الدولة، واستتبع ذلك حملات إعلامية شديدة التحيز أدت إلى انصراف بعض قطاعات المجتمع المصري عن مساندة التجربة الديمقراطية.

وماذا كان رد مرسي على ما ذكره الدبلوماسي العربي؟

استمع إليه، وقال له هذا كلام مهم سيُؤخذ بعين الاعتبار، وأشار في هذا السياق إلى أن معاهدة السلام المبرمة مع إسرائيل هي معاهدة للشعب المصري وتظل قائمة باسمه، وأنه لا يملك أي تغيير فيها إلا بأمره.

هل غيرت هذه التحذيرات من مواقف مرسي تجاه هذه القضايا؟

لا، لم يحدث، حيث ظل متمسكا بموقفه الرافض للتواصل المباشر مع الكيان الصهيوني، كما ظل متمسكا بدعم الثورة السورية ورؤيته لدور الرباعية.

كيف كانت رؤية الرئيس مرسي للعلاقة مع المؤسسة العسكرية فترة حكمه؟

الرئيس مرسي كان يرى أن مصر تحتاج إلى إعادة هندسة العلاقات المدنية العسكرية من أول يوم، فقد كان هناك توجس منذ البداية لدى الجميع من تشويه المشهد الديمقراطي الذي حصل في ثورة يناير، فالمخاوف لدى كل الأطراف كانت موجودة واستمرت، وبالتالي فالحديث عن أن محمد مرسي قد تفاجأ بما حدث في ٣ يوليو/تموز ٢٠١٣ هو كلام ساذج يفتقر إلى الإنصاف.

التحسس الشديد في التعامل بين المؤسسة العسكرية ومؤسسة الرئاسة كان موجودا من أول يوم، وما حدث من قرارات صادمة (إقالة المشير طنطاوي والفريق سامي عنان وغيرها) في أغسطس/آب ٢٠١٢ كانت تشير إلى ذلك، ولا يخفى أن قطاعات من المجتمع المصري كانت تتوقع حينها حدوث انقلاب، فجاءت قرارات مرسي لتحول دون ذلك.

إلا أنه حين وصلنا إلى يونيو/حزيران ٢٠١٣ كانت قطاعات كبيرة من المجتمع المصري -ونتيجة لأسباب كثيرة- بدأت تشعر بخوف حقيقي، لكن ما حدث في ٣ يوليو/تموز ٢٠١٣ هو نتاج أزمة إقليمية أكثر من كونه ناجما عن مشاكل اقتصادية وسياسية داخلية، وسببه ما أشار إليه حوار الدبلوماسي عن ملف العلاقات المصرية الإسرائيلية وملف دعم الثورة السورية وترتيب الإقليم وفق الرباعية.

لم يكن هناك ما يحول دون ما حدث في ٣ يوليو/تموز ٢٠١٣ إلا وجود مجتمع قادر على حماية اختياره، لكن تأثر المجتمع المصري بالحملات الإعلامية التي أربكت المشهد السياسي [الذي] حال دون حماية التجربة الديمقراطية وأدى إلى وأدها في سنتها الأولى.

البعض اعتبر قرارات أغسطس/آب ٢٠١٢ غير مستقلة، وكان هناك تدخل في اختيار عبد الفتاح السيسي وزيرا للدفاع؟



اختيار السيسي كان بناء على قواعد وظيفية، وكان قرار د. مرسي وحده ولم يتدخل فيه أحد، وكان مبنيا على تغيير الدماء في المؤسسة العسكرية لكن من داخلها. ونحن حين نتحدث عن إعادة هندسة العلاقات المدنية العسكرية فلابد أن ندرك أن دولا قد أخذت في ذلك سنوات وعقودا طويلة.

كان الاختيار حينها مبنيا على اقتناع لدى مرسي بأنه لا يوجد أحد في المؤسسة العسكرية يضمر شرا للتجربة الديمقراطية في مصر، ورغم إدراكه لحقيقة وجود خلاف في الرؤى فإنه كان يرى أنه ليس من مفردات المؤسسة العسكرية الاعتداء على التجربة الديمقراطية.

لماذا في رأيك تخلت قطاعات من الشعب المصري عن دعم المسار الديمقراطي مع نهاية عام حكم مرسي؟

في زيارتنا الأولى لتركيا أواخر سبتمبر/أيلول ٢٠١٢ وخلال احتفال خاص عقب المؤتمر العام لحزب العدالة والتنمية، أوضح أحد قيادات الحزب أن خلافهم مع نجم الدين أربكان انطلق من كون الأخير يرى أن مرحلة المجتمع تقتضي إدخاله في التنظيم، في حين كانت رؤيتهم في الحزب أن يصل المجتمع لمرحلة يكون فيها قادرا على حماية اختياراته، وهو ما رأى مرسي أنه متوفر في المجتمع المصري بعد الثورة وعزز ذلك لديه ما وجده من دعم شعبي لقراراته التي اتخذها في شهوره الأولى.

ظلت هذا الاقتناع موجود لدى مرسي، وهو أن المجتمع قادر على حماية خياراته، والثورة قادرة على الحيلولة دون أي تشويه للمسار الديمقراطي.

لكن ما لم يدركه الكثير منا أن محاولات خارجية وداخلية بذلت عبر وسائل الإعلام المختلفة وعبر أدوات أخرى لصرف قطاعات كثيرة من المجتمع المصري والنخب السياسية، أدت في النهاية إلى الانقضاض على التجربة الديمقراطية.

التجربة الديمقراطية الوليدة بعد ٢٥ يناير كانت تحتاج صبرا على الممارسة الناضجة، وحوارا صريحا بين المجتمع ورموزه وبين المؤسسة العسكرية لإعادة هندسة

العلاقات المدنية العسكرية بعد حقبة يوليو/تموز ١٩٥٢ وتأسيسا لشرعية جديدة هي شرعية يناير/كانون الثاني ٢٠١١.

هناك فرق بين المأمول وبين الواقع الذي كان لابد من اتخاذ ما يلزم إزاءه.

ذلك كان أدعى للحوار المباشر، ما حدث في ٣ يوليو/تموز ٢٠١٣ هو ذروة صراع بين شرعية يوليو وشرعية يناير، وهذا كان يستدعي من الجميع - حتى قبل الانتخابات الرئاسية وبعدها - فكرة البحث بشكل مباشر لإعادة هندسة هذه العلاقات بمنتهي الوضوح.

الرئيس مرسي كان يرى أن الحوار ممكن، وبدأ هذا الموضوع ولكن لم يستمر وخصوصا بعد قرارات أساسية تتعلق بالعلاقات الإقليمية لمصر، وقد كانت هناك سابقة إيجابية لمثل هذا الحوار تمت في برلمان ٢٠١١ والجمعية التأسيسية للدستور.

الحساسية كانت من جميع الأطراف، ثم التمنع بعد ذلك من قِبل القوى المدنية كان أحد أسباب ما حدث، وللأسف الكثير انحاز لحل واحد وهو انهيار التجربة وهدم المعبد والعودة مرة أخرى لشرعية يوليو.

في التجارب المشابهة كتجربة إسبانيا وتشيلي وغيرهما، انتهي الجميع إلى وضع قواعد حاكمة للعلاقات المدنية العسكرية وقاية للتجربة الديمقراطية التي صنعتها تلك الشعوب بتضحياتها وشهدائها.

البعض يرى أن تفاعل مؤسسة الرئاسة مع مؤشرات الانقلاب لم يكن على المستوى المطلوب، فما رأيك؟

حين أرادت مؤسسة الرئاسة التركية أن تتحرك لمواجهة محاولة الانقلاب الأخيرة، وبرغم كل الخبرة والإمكانيات وعمق التجربة، هل استطاعت أن تمنع حركة الجيش أو تناور أو تغير؟ الشعب والمجتمع من كانت له الكلمة، فكيف نلوم الرئيس على تحرك المؤسسة العسكرية.

اللوم لعدم الجاهزية وتوفر معلومة استباقية عن إمكانية حدوث ما حدث.

أؤكد لك أنه من أول يوم ومن قبل الرئاسة، والهواجس موجودة ومتابعة الحركة



على الأرض قائمة، لكن ما هي مساحة الحركة المتاحة في المقابل، ما الذي يمكن القيام به؟ وما هو البديل المطروح؟ هل هي انتخابات رئاسية مبكرة أم دعوة لاستقالة الرئيس؟ في النهاية أي أمر كان يتطلب حوارا، وهو ما ظل يدعو إليه الرئيس حتى بيانه الأخير.

مَن المسؤول عما كان يروجه بعض قيادات الإخوان عن وجود توافق مع الجيش وانتفاء أي تخوفات منه؟

الرئاسة كانت بعيدة تماما عن الاتصال بالإخوان كنخب في الجماعة والحزب، ولم يكن هناك اتصال يسمح بنقل رؤية الرئاسة وآرائها رغم كل ما كان يقال عن أن مكتب الإرشاد هو من يحكم، مرسي كان مستقلا إلى حد حدوث خلاف مع الإخوان في بعض القرارات التي اتخذتها الرئاسة.

ألم تستدع أحداث الاتحادية إجراءات شبيهة بإجراءات أغسطس/آب ٢٠١٢ مع تعزز التخوف من حدوث انقلاب؟

الضغوط الاقتصادية والسياسية والإعلامية الأخرى في هذا الوقت كانت كبيرة جدا وأخذت حيزا واسعا، وهو ما عزز رؤية الرئيس في أن حل القضية في الدعم المجتمعي والضغط في سبيل إعادة صياغة العلاقات المدنية العسكرية.

هل ترى في النهاية أن قرار الإخوان خوض تجربة الرئاسة لم يكن في محله؟

لم نكن في ٣١ مارس/آذار ٢٠١٢ في تمام الجاهزية لتولي المسؤولية، وأنا أقول ذلك بعد سنة من التفكير العميق والمراجعة في سجن العقرب، لم نكن جاهزين لملفات كثيرة ومنها ملف العلاقات الإقليمية، لكن لا يعني ذلك ظلم الرئيس مرسي واتهامه بالقصور، فقد تحمل المسؤولية بمنتهى الشرف والأمانة وكان حريصا على كل مؤسسات الدولة، ولآخر لحظة كان يريد ألا يدخل الجيش في صدام مع أي من قطاعات المجتمع المصري، كان يفكر بنبل، ومن الإجحاف اعتبار ذلك سذاجة فهو كان واعيا من أول لحظة لما كان سيحدث، واجتهد في عدم الوصول إليه[1].

---

(١) موقع الجزيرة القطرية.

ثانياً: تصاعد نبرة الاتهامات وحدة الانتقادات المتبادلة داخل الصف الإخوانى:

١ – تصريحات هيثم أبو خليل:

كشف القيادي السابق بجماعة الإخوان «هيثم أبوخليل»، خلال لقائه ببرنامج «إني أعترف»، مع حمزة زوبع، الذي يذاع على قناة «مكملين»،عن تقييمه لقيادات الإخوان، فدار بينهما الحوار التالى:

هيثم أبو خليل: الإخوان جماعة من الجماعات التي حافظت على الإسلام الوسطيِّ، وفيها شباب نبيل ومحترم، ولكن هناك تشويه حدث للمناهج – للأسف – وهناك قيادة فاشلة يجب أن يتم تغييرها فورًا.

حمزه زوبع: أليست كلمة فاشلة كلمة كبيرة، هل من السهولة إطلاق هذا الوصف؟!

هيثم أبو خليل: كلمة فاشلة كلمة محتشمة ومحترمة، الأفضل أن نقول قيادة مجرمة!!

حمزه زوبع: أنا ممكن أعمل «cut» لهذا الكلام.

هيثم أبوخليل: براحتك، ولكن بالطبع هي قيادة مجرمة، لا أعمم طبعًا، ولكنها أجرمت في حق الشباب، وفي حق الدعوة كلها.

٢ – تصريحات عصام تليمة:

شن عصام تليمة، عضو «مجلس شورى الإخوان المسلمين» سابقًا، هجومًا حادًا ضد الجماعة بسبب فض اعتصام رابعة، فقال في لقاء له على قناة «مكملين»، ببرنامج «سياسة فى سياسة»، إن الجماعة مختطفة من قِبل مجموعة أشخاص بعينها داخل التنظيم، مشيرًا إلى أنه رفَضَ استمرار اعتصام رابعة وأبلغ قيادات في الجماعة أنه لا يستطيع تحمل الدماء التي سوف تسيل.

وأنه خرج في ميدان «مصطفي محمود»، وطالب الإخوان بالانسحاب لما يقع من ضرر بالغ قبل الفض، لكنهم رفضوا واتهموه وتطاولوا عليه بالسب والشتم والضرب، لافتا إلى أن الإخوان فشلت في إدارة التنظيم، وأن الدماء التي وقعت تتحملها رقاب القيادات الكبرى بالجماعة، ثم قال: «قلت للإخوان: إن وظيفتنا

ستكون «عد الجثث» فقط حال استمرار الاعتصام وعلينا الانسحاب لكن قيادات الجماعة رفضت ذلك».

٣ – تصريحات جمال حشمت:

كما انتقد الدكتور جمال حشمت القيادي البارز في جماعة الإخوان المسلمين، استمرار سياسة قيادات الجماعة في إدارة التنظيم بشكله الحالي، حيث كشف «حشمت»، خلال لقائه ببرنامج «إني أعترف»، الذي يذاع على فضائية «مكملين» عن وجود حراك وثورة داخل الإخوان حاليا، نتيجة استمرار السياسة الخاطئة، **مؤكدا على ضرورة وجود مراجعة حقيقية خاصة فيما يتعلق بمسألة «التكفير»، لافتا إلى أن الإخوان تتحمل جزءًا في إدارة «فض رابعة».**

وأشار إلى أن بعض القيادات سمحت بتصعيد الخطاب الاستفزازي، موضحا أنها بحاجة إلى اتجاه للتغيير بشكل جذري، لاسيما فيا يتعلق بالاتجاه التربوى داخل الجماعة. واعترف «حشمت» بأن هناك جزءًا داخل الإخوان يتحدث عن الشعارات فقط حول مسألة «الجهاد»، مضيفا أن الإخوان تخلط بين ثوابت الإسلام وثوابت التنظيم، **كما أنها تتكلم عن أنها جماعة المسلمين وليست جماعة من المسلمين.** وأشار إلى أن الجماعة بحاجة إلى مراجعة في النظام الدعوي، وهذا أمر غاية في التمحيص والأهمية، لافتا إلى أن بعض مواقف الجماعة كانت تغيم عليها «الضبابية» في بعض الأحيان والمواقف.

٤ – مقالات أحمد منصور:

قام الكاتب الصحفي الأستاذ أحمد منصور بكتابة عدد من المقالات المختصرة على موقع جريدة الوطن القطرية، تحدث فيها عن بعض خواطره وانتقاداته لجماعة الإخوان المسلمين، منها المقال الآتى:

التربية التنظيمية الفاسدة!

تهتم كثير من الحركات الإسلامية بالتربية كجزء من إعداد الفرد وبنائه وهو منهاج رباني وهدي نبوي، غير أن التربية في كثير من الأحيان تنحرف عن ذلك المنهج وتنحو مناحيَ شتى تؤدي في النهاية إلى نتاج إنسانيٍّ مُشوه.

فالتربية التنظيمية الفاسدة **تنتج شخصيات مشوهة وعقولا منحرفة ونفوسا مريضة** تُؤثر ما عند الناس على ما عند الله، وتقدم الجماعة على الأمة والتنظيم على الوطن، تقدس القيادة ولا تسائلها ولا تحاسبها وتلغي العقول وتعمي العيون، تلغي الشورى أو تجعلها شكلية أو بالتمرير وتبرر الفردية والتسلط، تلغي المحاسبة وتختلق الأعذار للمخطئين، تطوع النصوص لخدمة مصالحها، وتزور التاريخ وتطمس حقائقه وأحداثه للتغطية على أخطائها، تحيط نفسها بهالات مصطنعة وتضفي عليها شيئا من القدسية والاستعلاء.

أصحاب التربية التنظيمية الفاسدة هم الذين **يتشبثون ويدافعون عن قيادات هزيلة ضعيفة، عاجزة غير مؤهلة،** لا تجيد إلا تكرار المحن وصناعة الأخطاء والتغني بالابتلاءات، وتتذرع بالمؤامرات والخيانات وأن ما يجرى هو سنة الدعوات.

التربية التنظيمية الفاسدة هي التي **تحول أغلب الجماعة إلى عميان وبكم، يرون الأخطاء فيُشيحون بوجوههم ويغضون أبصارهم** وتنعقد ألسنتهم مخافة اللوم أو خسارة المواقع والامتيازات والحظوة أحيانا ولكلٍّ مبرراته، ومداخل الشيطان لا نهاية لها وإذا رأوا من ينتقد لاموه أو من يصوِّب الأخطاء خوَّنوه.

التربية التنظيمية الفاسدة هي التي تُنتج بعد ثلاثين عاما أناسا لا يصمدون عندما يلوح لهم بمنصب أو يوزع عليهم مغنم، وارجعوا لشهادة الدكتور حسن الترابي على العصر الذي كان أول منصدم بفساد تلامذته، من قضوا في التربية ثلاثين عاما، وإذا هم يغرقون في الفساد بمجرد أن لاحت لهم الفرصة، حيث باعوا دينهم بعرض زائل من الدنيا، وإن شئتم راجعوا تجارب الحركات الإسلامية التي شاركت في السلطة في بلاد أخرى، لا سيما في مصر وتونس، وارصدوا من تصدروا المشهد، وما مؤهلاتهم وخبراتهم، وهل كانت لديهم مشروعات أو رؤى للحكم وسياسة الناس وقيادة الأمة أم أنهم اكتفوا بشرف انتخاب الناس لهم وثقة الجماهير فيهم، فغياب الحساب والعقاب والشفافية وتصويب الأخطاء قمة الفساد في الجماعات والدعوات.

التربية التنظيمية الفاسدة هي التي **تقدم أهل الطاعة العمياء على أهل الطاعة المبصرة وأصحاب الانقياد الأعمى والولاء المطلق** على ذوي العقول والأبصار والرأي والفهم والحزم والعزم.

التربية التنظيمية الفاسدة هي التي **تُبقي على القيادات العاجزة في مناصبها من المهد إلى اللحد، دون تغيير أو تبديل أو محاسبة** ثم يتساءل الناس لماذا لم يأت النصر؟

إن سنن الله غلابة وأقداره نافذة ولا يمكن أن يكتب نصرا أو يجلب عزا للأمة على أيدي ذوي التربية الفاسدة وإلا فُتن الناس عن الحق وزاغوا عن الصواب، فسنن الاستخلاف لها شروطها ولها أهلها..

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النور: ٥٥] [١].

٥ - عمرو أبو خليل واتهام الجماعة بالتدليس في قرار النزول لإنتخابات الرئاسة:

في منشور على صفحته الشخصية على الفيس بوك يقول القيادي الإخواني المستقيل:- «حتى لا نتوه وحتى لا نتحدث في تفاصيل تتوهنا عن السؤال الرئيس والذي أي حدث جاء بعده هو فرع عنه، لماذا انعقد مجلس شورى الإخوان ثلاث مرات من أجل مناقشة قرار النزول للرئاسة رغم أن قرار رفض النزول في المرة الاولى كان بنسبة تجاوزت ٨٠٪؟!

مَن وراء إعادة الدعوة لمناقشة نفس القضية ؟ ولِمَ لَمْ تحسم للمرة الثانية وتعدت نسبة الرفض٦٠٪....تمت الدعوة للمرة الثالثة وتم تمديد الاجتماع الثالث عدة مرات ولعدة ساعات مورست فيه ضغوط شديدة حتى وصل التصويت إلى ٥٢٪

لمصلحة مَن تمَّ هذا الامر؟ ومَن هي المجموعة التي أدارت هذا المشهد؟! ألم يطرح على الأعضاء سيناريوهات التفشيل والضغوط الدولية والإقليمية واحتمالات العشرية السوداء؟

(١) موقع جريدة الوطن القطرية، بتاريخ ٢٠١٦/٦/٣١.

ماهي معلومات أعضاء مجلس الشورى عن الدولة المصرية وكيفية التعامل مع الدولة العميقة وكم تقريرًا سياسيًا علميًا كتبه أهل الاختصاص ليتخذ بناء عليه الأعضاء قرارهم؟ لماذا يتهرب الإخوان من الحديث عن هذه الاجتماعات؟ لماذا لم يجرؤ أحد عن إعلان تفاصيل ما حدث؟

بعد القرار مباشرة تم الطلب من الأعضاء أن يصوتوا على اسم مرشح للرئاسة مع الإعلان أنه في حالة رفض المرشح من قبل لجنة الانتخابات فيفوض مكتب الارشاد في اختيار مرشح بديل، وكانت النتيجة التي تم الدفع في اتجاهها هو ترشيح خيرت الشاطر رغم علم الجميع أنه ممنوع قانونا من الترشح لعدم إسقاط الأحكام الصادرة ضده، يعني كان لابد من استبعاده أصلا من الأسماء المرشحة ولكن الخوف من بروز أسماء أخرى لا تطمئن الجماعة تماما لولائها لمكتب الارشاد تم الزج باسم خيرت الشاطر حتى يقطع الطريق على الجميع ليكون التالي هو الدكتور محمد مرسي، وليرشحه مكتب الإرشاد بديلا عند رفض خيرت الشاطر.

لماذا كل هذا العك؟ لماذا كل هذه المخالفات اللائحية؟ لماذا كل هذه الضبابية؟ حتى وصل الأمر أن أحد إخوان الإسكندرية تم تحويله للتحقيق وإيقافه لمجرد أنه أعلن نتيجة التصويت الثالثة.

هذه وقائع ثابتة، لابد أن يحاسب كل أصحابها، لابد أن يتم تقييمها، لابد أن يعلم الجميع تفاصيلها؛ حتى لا تتكرر الكارثة، كارثة استحواذ البعض على مُقدَّرات جماعة واختطافها»[1].

٦ – شباب الجماعة ووقائع حول الفساد المالي لبعض قادة الجماعة:

ينقل القيادي الإخواني السكندري عمرو أبوخليل عن بعض شباب الجماعة وقائع اتهام لبعض قيادات الجماعة بالاستيلاء على المال العام للجماعة، فيقول على صفحتة الشخصية على الفيس بوك ما يلي:

---

(١) منشور على صفحته الشخصية على الفيس بوك بتاريخ ٢٠١٦/٨/١.

لأن شباب الإخوان اقتنعوا أن أحوال جماعتهم شأنا عامًّا أصبحوا يتداولون ما يحدث داخل الجماعة على صفحات التواصل الاجتماعي اعتقادًا أن هذا أحد سبل تقويم الاداء.

بالأمس تابعت السجال الدائر بين أعضاء الإخوان في الإسكندرية حول حجب أموال المساعدات لأسر الشهداء والمعتقلين عقابًا لهم لانحيازهم لأحد أطراف الأزمة الداخلية وفي إطار ذلك السجال تداول الشباب فيما بينهم واقعة خطيرة جرت أحداثها في اسطنبول، وأنا أعرضها هنا للتساؤل وللحصول على توضيحات تشفي صدور الشباب المصدومين، نريد بيانًا رسميًا من إخوان اسطنبول حول حقيقة الواقعة.

الواقعة نقلاً عمن يثق الشباب في صدقه:

وصل تبرع للإخوان في اسطنبول قيمته ٢,٢ مليون دولار فقام الدكتور محمود حسين ومحمد البحيري مسئول إفريقيا والسودان ومحمود الإبياري أحد قيادات الإخوان في لندن بالاستيلاء على التبرع وشراء عقار باسمهم في منطقة كوجاتيبي في اسطنبول.

علم الشباب بالواقعة فتوجهوا إلى مدحت الحداد مسئول اسطنبول متسائلين فكان رد مدحت الحداد إن هذه هبة شخصية لهم ولذريتهم من بعدهم، لم يقتنع الشباب فتدخل مجلس شورى اسطنبول وقام باجراء تحقيق أثبت فيه صحة واقعة الاستيلاء على التبرع وشراء العقار باسم القيادات الثلاثة وأوصى بأن يتنازل الثلاثة عن العقار وتعود الأموال للجماعة.

لم ينفذ قرار مجلس الشورى ولم تعلن أي أوراق للتنازل بل وتداول البعض أن محمود الإبياري رفض القرار أصلا، وظل العقار مغلقًا منذ ما يقرب من سنة ولم يتم استغلاله لصالح الجماعة لسد احتياجات أسر المعتقلين والمطاردين، ليصبح السؤال المُلح هو: هل يكفي أن يكون القرار في واقعة استيلاء على أموال عامة هو مجرد إعادة الأموال والتي لم تثبت إعادتها حتى الان ؟! أم أن المنطقي أن يتم محاسبة هؤلاء المسئولين وعزلهم من مناصبهم ؟! أليس هذا فسادًا ؟! ألسنا نعيب على المصالحة التي تجريها الدولة في قضايا الفساد؟

أيصلح أن يتصدر منصب أمين عام الجماعة شخص أثبت التحقيق ضلوعه في الاستيلاء على أموال الجماعة خاصة وأن الشباب استفزهم مشهد السيارة BMW التي يصل سعرها إلى ٢٠٠ ألف دولار والتي يستخدمها في تنقلاته ويقودها ابنه أحمد ويقال إنها من أموال هذه الهبة أيضًا.

في بلاد الغرب إذا ذكر اسم مسئول في قضية فساد فإنه يستقيل على الفور رفعًا للحرج، وفي معرض المقارنة التي يتداولها الشباب لحالة التسيب المالي التي تسود الجماعة فإنهم أيضا يتحدثون عن حالة الإغداق في الرواتب لمناصب في الجماعة الأصل فيها التطوع، فيتحدثون عن راتب يصل إلى خمسة آلاف دولار شهريًا لكل من مسئول اللجنة السياسية ومسئول الملف الإعلامي في حين يتم مساومة أرملة شهيد أو زوجة معتقل على ألف جنيه مصري لأنها أبدت موقفًا مغايرًا.

هذا قليل من كثير يتم تداوله منذ الأمس في الإسكندرية، آثرت أن أقف عند أخطره لأطلب إعلان حقيقة ما جرى وما يجري لأن حالة الغضب والإحباط قد بلغت مداها، طلب الشباب أن يصل صوتهم إلى من يهمه أمر الجماعة، لأن الجو أصبح مليئا بمثل هذه الاخبار، والتي أرى أن الشفافية والمصارحة هي علاجها الناجع فلا تستر على فاسد مهما كان موقعه، فالشجاعة في كشف الفاسدين يقوي الجماعة أما التستر فيفتح المجال لمزيد من القيل والقال[1].

٧ - عمرو فراج يشرح فلسفة المواجهة:

في منشور على صفحته الشخصية على الفيس بوك يقول عمرو فراج مدير العلاقات العامة والمشاريع بشبكة رصد الإخوانية: - «لو إنت قائد لمجموعة من الناس، وقدرت تقنعهم إنهم على الحق، وإنهم لازم يحاربوا الباطل، وإن المعركة ديه هيروح فيها شهداء كتير بس الغاية أسمى والجهاد فرض!

---

(١) منشور على صفحته الشخصية على الفيس بوك بتاريخ ٢٠١٦/٧/٣١.



وأتباعك صدقوك ومشيو وراك وحاربوا معاك ومات منهم من مات، وبعدها وإنت في نص المعركة اكتشفت إن الجهاد بالطريقة دي غلط ومش هيحقق مكاسب وإن الصح كان إننا نقعد مع العدو ونتفاوض ونحقق مكاسب تدريجية ونلعبها سياسة على المدى البعيد. ياترى وقتها هتعمل إيه؟!

هتقف قدام أتباعك وتقولهم إننا كنا غلط؟ وأنا دخلتكم في معارك خاسرة؟ والحل إننا نتفاوض؟ أخلاقيًا ده الصح بس محدش هيعمل كده، ليه؟

لأنك أول ما هتقول لأتباعك كده هيقولوا لك: ده ولادنا ماتوا عشان صدقناك...ده انتا كده اللى قتلتهم بقى!

وعندها فورا هتفقد شرعيتك وتفقد زعامتك وتفقد كل حاجة وتتحول لمتهم قتل أتباعه بسذاجته. وحتى لو أتباعك هيتفاوضوا فعلًا، فهم هيختاروا حد غيرك يتفاوض عنهم وهيقولوا لك من فضلك على جنب شوية كده ومش عاوزين نشوف وشك تانى...ده على اعتبار أنهم مش هينتقموا منك وهيخلوك تروح لحال سبيلك!

عشان كده محدش من القيادات في أى جماعة وبالذات لو جماعة دينية بيعمل كده مهما كانت قراراته غلط... إنما اللى بيعمله هو أنه يفضل مصمم على خوض المعركة حتى لو اتقتل كل أتباعه فيها ويفضل يروج لهم كلام دينى عشان يقنعهم مثلا أنهم على الحق، زى مثلا قصة جيش طالوت وجالوت، إحنا مش بنخسر ياجماعة، إحنا ربنا بيمحصنا، شايفين كل الناس اللى سابونا ومشيو وقالوا إننا مش هننتصر بالشكل ده، دول اللى شربوا من النهر، ربنا بيمحصنا دلوقتى فاصبروا واثبتوا!

يعنى جيش طالوت ربنا أمره أمرًا مباشرًا بالقتال في المعركة ديه بوحيٍ من السماء، لكن أنت لا بينزل عليك وحى ولا ربنا قالك تخوض المعركة بالشكل ده، ربنا قالك شغل مخك عشان تكسب، ويمكن تشغيل المخ كان يقتضي أنك تتفاوض مش تنزل تتظاهر وأنت أعزل قصاد الرصاص، ياما مرات ناس انتصرت بحرب وياما ناس انتصرت بالتفاوض، وياما ناس حاربت وانهزمت واتفاوضت وانهزمت برضه..

مفيش حاجة اسمها قاعدة ثابتة في النصر، في حاجة اسمها كل معركة وليها استراتيجيتها، عشان كده تفهم ليه قيادات الإخوان متمسكة مثلا بعودة مرسي؛ لأنهم خلوا الناس تنزل تتقتل في معركة خسرانه عشان عودة مرسي، ورفضوا وقتها كل العروض اللى جت من أطراف مختلفة».

٨ - المفارقة بين معاناة شباب الإخوان بالسودان ورفاهية آخرين بتركيا:

شهدت مدينة بولو التركية، إقامة فعاليات «مخيم رابعة الأول»، التي تواصلت أنشطته لأربعة أيام، ضمن فعاليات إحياء ذكرى ضحايا فض اعتصام ميدان «رابعة العدوية» وقد ظهرت صور الشباب والفتيات وسط المناظر الطبيعية الخلابة في الحدائق وعلى متن أحد المراكب النهرية، وسط فقرات رياضية وموسيقية متنوعة، حيث ظهر الشباب وهم يعزفون على الجيتار، وقد شارك في المخيم الممثل المصري وجدي العربي، وصرح ل«الأناضول» قائلًا: «فكرة المخيم تختلف عن ما تم تقديمه لقضية رابعة العدوية طيلة الأعوام الماضية، وقد سعدت بالنقاشات والمحاضرات، التي شملها المخيم، والمراجعات الفكرية التي دارت حولها فكرة المخيم».

في المقابل كشف الدكتور محمد جلال - القيادي بالجبهة السلفية - تفاصيل ما سمَّاه إذلال شباب الإخوان الفارين من مصر على يد قيادات الجماعة بالسودان. وقال «جلال» في تدوينة عبر حسابه الشخصي بـ«فيس بوك»: «لما ولد عمره ١٦ سنة من الشباب اللي اتأذوا في مصر واتبهدلوا وطلع عينهم سجون وأحكام ومطاردة.. وأخيرا يخرج بره مصر في رحلة ممكن توصل لأسبوع في الصحراء بيشوف فيها الموت بعنيه ويجيلك السودان يبقى محتاج منك احتواء، محتاج منك معالجة نفسية لمشاكله، قعدات تربوية وتحفيز وتنظيم لحياته، هو في مرحلة ووضع مضطرب نفسيًا جدًا، مش ناقص يعني».. مضيفًا: «السودان صارت جحيم على الشباب هناك، أنا أعرف أكتر من واحد رجعوا مصر قالوا نتمسك وسط أهلنا أحسن ما يتحكم فينا حد، بعد اللي قدمه الشباب دول في مصر يجي واحد له سلطة يقولهم: (أنا بأكِّلْكم وأشربكم وملكوش حق



تتكلموا) (اللي يتقال لكم تسمعوه بدون نقاش)». وأضاف: «الشباب دول هربوا من استعباد السيسي في مصر عشان يروحوا لاستعباد الإخوان في السودان، الجيل ده أصلا جيل حر وعمره ما هيبقى تابع لحد عشان فلوس» مضيفًا: «الشباب بيفضلوا الموت في الصحراء دلوقتي عن إخوان السودان، بيفضلوا يرجعوا يقضوا الأحكام اللي عليهم في مصر عن إخوان السودان».

وأردف: «فيه شاب مسؤوله ضربه علشان اعترض، وفيه شباب كتير اتطردوا من السكن وباتوا ليالي في الشارع، وفيه شباب خَدوا جوازات سفرهم وحرموهم من السفر، وفي شباب اتهموهم أنهم هيسافروا داعش وكادوا يضيعوا مستقبلهم» مستدركًا: «مسئولين السودان دول لا شافوا ثورة ولا فاهمين نفسيات الشباب ولا عقولهم وفاكرين أنهم بالشدة هيسيطروا، لدرجة إنهم بيحققوا مع أي حد من الشباب كتب أي نقد على الإنترنت لهم زي السيسي تمام، افهموها بقى يا أغبياء، الجيل ده ملوش تبعية لحد، جيل بيفكر يا تفهموه بالعقل يا تتنحوا».

واستدرك: «ثم إن الفلوس دي من جيوب الإخوان وبتروح للإخوان تتحكموا فيها ليه، ده مال الله مش مال أبوكم، انتوا خربتوها مرة وبتخربوها تاني وتالت ومش مكتفين بكده لا كمان بتضيعوا ما تبقى لديكم من رأس مال.. شبابكم.. للأسف الشديد إخوان السودان الوجه الآخر للسيسي، أنقذوا شباب السودان قبل ما يموتوا في الصحراء أو يتدمروا نفسيا من ناس معندهاش ريحة المسؤولية»[١].

وقد دشن شباب جماعة الإخوان في السودان، هاشتاج جديد تحت مسمى قيادات الجماعة بالخارج تدبحنا، كشفوا فيه عن سوء معاملة قيادات الجماعة لهم، وطردهم من المنازل التي يتواجدون فيها، بسبب عدم تنفيذهم لتعليمات القيادات الكبرى بالتنظيم، واصفين الأمر بأنه نوع من الذل.

---

(١) جريدة المصريون – بتاريخ ٢٠١٦/٧/٢٨.

ملاحظات على ما سبق:

١ - بعد هذا السيل الهادر من التراشقات المتبادلة، يظهر أن هناك فريقان داخل الجماعة:

الفريق الأول: هو الفريق الداعي للمصالحة والذي أبدى قدرًا من التراجع، وقدرًا من الاعتراف بالخطأ، وأبدى كذلك قبولًا بالتماهي مع ظروف الواقع الجديد.

والفريق الثانى: هو الفريق المصرّ على استكمال ما يسمى بالحراك الثورى والمواجهة الشاملة لحين الوصول إلى الهدف، وهنا يبدو الهدف عندهم ضبابيًا ولكنهم يترجمونه في جملة مختصرة وهي «إسقاط الانقلاب».

السؤال هنا هل هذه المواجهة بين الطرفين مواجهة فعلية ظهرت على إثر خلاف حقيقى بينهما، أم أنها مواجهة تمثيلية تعتمد على فكرة توزيع الأدوار بين من يقومون بدور الصقور، وبين من يظهرون في ثوب الحمائم؟

٢ - حتى نجيب على السؤال السابق، نسأل: من الفريق الذي يوافق على المصالحة، ومن الفريق الذي يرفضها ؟

مِن خلال التصريحات والبيانات سنجد أن الفريق المؤيد للمصالحة هم من يسمونهم جبهة محمود عزت، وهو الفريق القديم فى مكتب الإرشاد وهم أيضًا قادة الجماعة الكبار، أما الفريق الرافض لها فهم فريق الشباب(١)، وهم أنواع بعضهم أعلن انشقاقه، والبعض يتهم القادة التاريخيين للجماعة بالخيانة وبيع دم الشهداء، وبعضهم يبدو في مظهر المغلوب على أمره الذي يشتكي عبر صفحات الفيس ومواقع التواصل من تسلُّط القيادة، وديكتاتورية المسؤولين الذين يهددونهم بحجب التدفقات المالية والمنع من المناصب القيادية وغيرها.

إذن فنحن أمام مفارقة عجيبة، تتمثل في أن القيادة التي أدارت المشهد في الفترة السابقة، والتي تعد مسئولة عن الشحن والتهييج والإثارة، وهي التي دفعت الشباب إلى ركوب منحنى اللاعودة في طريق العنف والتكفير والمواجهات المسلحة، هذه القيادة هي التي تطلب التهدئة، وتسعى للتقارب!!

---

(١) هكذا يسمونهم، والتسمية لا ترتبط بالضرورة بالمرحلة العمرية.

فلو أن الأمور تسير بشكل منطقي، فمن الطبيعي أن يرفض الشباب خطوات التراجع خصوصا أنها جاءت بعد ثلاث سنوات من المواجهة العنيفة مع النظام، وبعد خسائر فادحة تم تسديدها من فاتورة الوطن عمومًا، ومن فاتورة الجماعة خصوصًا، ففيم كانت المواجهة؟ وفيم كان التراجع؟ خصوصًا أن المحصلة صفر، فلم يتحقق أى من الأهداف التي أعلنها ما يسمى بتحالف دعم الشرعية منذ أن تم تدشينه.

٣ – ما الموقف المتوقع من الأتباع في الأُسر والشُعب ومكاتب الجماعة ولجانها؟ إن المحتك بهذه القطاعات يشعر أنها بمعزل تام عما يجرى، فهم دائما منتظرون لقرار القيادة الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يعتريه الشك، سواء كان بالمواجهة أو بالمصالحة، وإلا فقد تم عمل خفض تدريجي للحراك الثورى على الأرض ومع ذلك لم يسأل أحد عن السبب، ولم يعترض أحد على تغير السياسة، لذا فغالب الظن أن الأتباع سينصاعون للتوجه الجديد، وحالة الاعتراض الموجودة لن تتعدى كونها ظاهرة نِتِّية لن تجدها إلا على الجدران الفيسبوكية على أحسن الأحوال[1].

٤ – السؤال الأكثر إلحاحًا فى هذا الموطن يتعلق باعتبار هذه المصالحة من باب التراجعات أم من باب المراجعات؟ لأن التراجع قد يكون تكتيكى أو مرحلى، ولا يعبر بالضرورة عن تغير فى القناعات أو المباديء، وقد كنا نتمنى أن تخرج علينا الجماعة بمراجعات حقيقية تعترف فيها بمسئوليتها عن التكفير والعنف، وتقوم بمراجعة شاملة للمناهج والمباديء والأفكار، كما صرح غير واحد من قياداتهم بخصوص هذا الشأن، بدون هذا الأمر يبقى التراجع سياسي تكتيكى، وتبقى البيئة الحاضنة والمناهج المغذية والأفكار الدافعة كما هى، غاية ما هنالك أنها تكمن فترة من الزمن لتعود إلى الظهور فى الوقت المناسب.

---

(١) ومن أراد أن يختبر هذه الفرضية، فليراقب فاعليات الجماعة فى الذكرى الثالثة لأحداث فض رابعة، وليفسر حالة السكون والهدوء التى سادت أتباع الجماعة فى أكثر الأحداث سخونة فى تاريخهم.

٥ – تاريخ الإخوان يمتلىء بالصراعات مع السلطات الحاكمة، ثم يعقبها مصالحات مفاجئة، أحيانًا تأتى المصالحة مع نفس الأشخاص محل الصراع، وأحيانًا تأتى بعد رحيلهم، وبالتالى فى ماذا تختلف هذه المصالحة عن أخواتها في المرات السابقة؟ أم أنه تاريخ تكرارى، نكرر فيه نفس الأخطاء ونسلك نفس السبل، فكيف ننتظر نتائج مختلفة.

هنا، ربما يقول قائل، أليست المصالحة هي ما كنتم تسعون إليه وتطالبون غيركم به ؟ فلماذا الاعتراض الآن ؟ وما هو وجه النقد إذن؟

الحقيقة أننا كنا نطالب بالمصالحة منذ عدة سنوات قبل أن تسيل الدماء ويتولد الثأر، وينجرف الشباب إلى مربع المواجهات الصفرية المهلكة، ومع ذلك كانت الاتهامات بالعمالة والخيانة هي نصيب كل من حدث نفسه بالمصالحة فضلا عمن يعلنها ويدعو إليها. وإلا فهل يمكن أن نسمع منهم اعترافًا واضحًا بأن المسار الذي استهلك من عمر البلاد ثلاث سنوات كاملة كان مسارًا خاطئًا، وهل يمكن أن نسمع اعتذارًا صريحًا لكل من تم تخوينه والنيل منه وتجريح سمعته وهدم تاريخه؟!

ومع ذلك فإننا نفرح بوقف نزيف الصراع بلا شك، ولا يمكن لمخلص ألا يفرح بذلك، ولكن حتى لا يمر الحدث مرورا عابرا فلابد من عدة وقفات حتى تتعلم الأجيال من تجاربها ولا تكرر أخطاءها:

١ – لا يوجد في الواقع صراع أبدي، فكل صراع لابد له من نهاية، وهذه حقيقة نبه إليها كثير من العقلاء قبل إشتعال أتون المواجهة، بل قد اعترفت الجماعة نفسها بذلك على لسان أ. حمزة زوبع عندما أعلن أن الاعتصام لم يكن بمقدوره إرجاع الدكتور مرسي، وإنما كان الغرض منه الضغط على الجيش لإجباره على الخروج من المشهد ويتركهم ليبدأوا حركة مناورة لتحسين شروط التفاوض مع غرمائهم السياسيين فقال:

«هل كان بمقدور الاعتصام في رابعة أن يرد الرئيس إلى سلطته ؟ لا، طب ليه كنتو بتقولوا الرئيس جاى بكرة الرئيس جاى بعده، لأنه كان هناك نوع من الضغط الكبير لكى نعيد المشهد إلى منطقة التفاوض السياسى، يعنى كان الهدف أن الجيش يطلع من

المسألة وتعالوا يا سياسين انتو عملتو ٦/٣٠، على عنينا بس ميبقاش في ٧/٣ اللى هو إيه تعطيل العمل بالدستور، إزاحة الرئيس، الكلام الفارغ اللي حصل ده».

إذن الأمر في النهاية هو مواجهة من أجل تحسين شروط التفاوض، فهل كل من استُخدم وقودا في هذه المواجهة يعرف هذه الحقيقة، أم أنه تم تخديره بالشعارات الحماسية والخطب الرنانة والأهداف اللامعة، حتى إذا رأت القيادة أن مسار المواجهة وصل إلى نهايته سواء حقق أهدافه أم لا، سارعت لتخدره مرة ثانية وتوهمه بأنها حققت انتصارًا ساحقًا ونصرًا مبينًا، حتى لو كان هذا النصر مبذولًا أمامها قبل ذلك بلا تضحيات ولا خسائر.

٢ - هذا الصراع بهذه المعطيات هو صراع سياسي محض، ونزاع على الملك والحكم، والزج باسم الشريعة فيه نوع من المتاجرة بالدين، بل نوع من تعريض الشريعة للتشويه والامتهان، لأن من يدير المواجهة هو الذي يضفي على المواجهة الطابع الشرعى وهو الذي ينزع عنها ذلك، وفي سبيل تحقيق أهدافه لا يتورع أن يستخدم كل وسيلة مشينة طالما كانت ستحقق له ما يريد.

٣ - إدراك موازين القوى، فقه المآلات، فقه الأولويات، فقه الموازنات، فقه المصالح والمفاسد، فقه الخلاف، فقه الجهاد، فقه الدعوة، فقه الواقع، روشتة علاج عاجلة لأبناء التيار الإسلامى ينبغى أن تُقدم على أيدي علماء الأمة المتخصصين ممن لديهم دراية بالشرع ومعرفة بالواقع وقدرة على الربط بينهما، حتى يعود التوازن لكثير من العقول التى شُردت فى هذه الفتنة.

٤ - تحكيم الشرع وتعلم العلم، وعدم اتباع الهوى، وعدم تقديس القادة، رفض الطاعة العمياء، الحكمة والتأنى، رفض الطيش والتهور، مقاومة سطوة العاطفة، العدل والإنصاف، تعظيم حرمة الأعراض، النقد الذاتي، أدبيات مهمة يجب أن تكون ضمن برامج التثقيف الإجبارى لشباب الصحوة الإسلامية.

٥ - من جملة ما ينبغى أن يُوضع فى الحسبان، دراسة كيفية إعادة الثقة في المشايخ والعلماء الذين لاكت الألسن أمانتهم وديانتهم على المنصات وفي الميادين، وعلى الصفحات والمواقع، وفي كثير من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية.

٦ - لابد من تحديد موقفنا ممن يختلف معنا حول مسألة من مسائل الاجتهاد السياسى، فنفرق بين مسائل الديانة التى يقوم عليها رباط الولاء والبراء، ومسائل السياسة التى تتعدد فيها الآراء، وتتنوع فيها المشارب، والتى يجب أن تتسع فيها الصدور، ويحتمل فيها بعضنا بعضا بلا تجريح ولا تشويه، فضلًا عن إنزال الأحكام الشرعية من الكفر والفسق والنفاق والظلم على كل من خالفنا أو عارضنا، وكأن أحكام الشريعة صارت لعبة فى أيدينا نفعل فيها ما يحلو لنا.

٧ - من أهم ما ينبغى أن تُبذل فيه الأوقات والجهود هو كيفية استعادة الأخلاق التي انحدرت في معمعة الخلاف السياسي؟ وكيف يمكننا ترميمها والحفاظ عليها حتى لا تنهار وتتساقط عند أول خلاف قادم؟

وختامًا لذلك نود أن نقول:

المصالحة مصطلح سياسيٌّ بحت، ولكن ما يجب أن يتم تفعيله بالإضافة إلى ذلك هو مفهوم التوبة، وهى لها أركان ثلاثة:

النـدم: ويتعلق بما حدث فى الماضى، سواء من جانب السلطة أو من جانب الجماعة، فلكل منهما أخطاء يجب أن يعترفوا بها، ويعلنوها، ويصارحوا المجتمع بها، حتى يقف الشعب على حقيقة ما حدث، وحتى تنشأ الأجيال القادمة سالمة صدوروها من رغبات الإنتقام والثأر والتشفى، فلا سلام فى المجتمع بلا تصفير للمشكلات، وتصفية للنفوس.

العـزم: ويتعلق بتصحيح النوايا فى المستقبل، حتى لا تعود أسباب الصراع والشقاق مرة أخرى، فالدولة عليها أن تتخلص من فكرة اتخاذ الإسلاميين خصمًا، فتبادر برفع المظالم بكل صورها، والتمييز السلبى بكل أشكاله، فكم تمتلىء السجون

والمعتقلات من أبرياء شرفاء، زُج بهم في غياهب السجون ظلمًا وعدوانًا، وكم من شباب نابه مميز حُرم الوطن من إبداعه وتميزه بسبب الإقصاء والإبعاد والتهميش، ويجب أن تتوقف الحملات الإعلامية المجرمة التى تكب البنزين على النار، وتدفع الشباب إلى الإنفجار بسبب ما يشاهدونه ويسمعونه فى كثير من وسائل الإفساد.

ويجب على من اتخذ العنف من الإسلاميين مسلكًا له أن يبادر بمراجعه تراثه وتاريخه، وأن يضبط حركاته وسلوكياته بضوابط الشرع والدين، وأن يمتلك الشجاعة الكافية لتوجيه أتباعه ومحبيه لما أسفرت عنه مراجعاته، وقد قامت الجماعة الإسلامية قبل الثورة بمراجعات فكرية فقهية تخلصت فيها من كثير من التفسيرات المغلوطة والأفكار الصدامية، وأسهم ذلك فى الإفراج عن آلاف من المعتقلين وإعادة إدماج كثير منهم فى المجتمع مرة أخرى، فلتراجع مثل هذه التجارب علها تكون بوابة الأمل التى تُخرج المجتمع من هذه الأزمة.

التحلل: ونعنى به رد الحقوق إلى أصحابها، والتحلل من المظالم سواء كانت فى الدماء أو الأموال أو الأعراض، وقد وقع كل طرف من طرفى الصراع فى كثير من هذه المظالم، على تفاوت بينهما، فعليهم التخلص منها فى الدنيا قبل الآخرة، وإلا فالحقوق لا تسقط بالتقادم، والله عزوجل حكم عدل لا يُظلم عنده أحد، ولا يغفل عزوجل عن حقوق عباده، ولا يظلم ربك أحدا، وما كان ربك نسيا.





قائمة المراجع

قائمة المراجع

١ – مذكرات الدعوة والداعية – الأستاذ حسن البنا – الزهراء للإعلام العربى – عام ١٩٩٠.

٢ – مجموع رسائل حسن البنا – رسالة المؤتمر الخامس – نسخة الشبكة الدعوية.

٣ – مجموع رسائل حسن البنا – رسالة التعاليم – نسخة الشبكة الدعوية.

٤ – مجموع رسائل حسن البنا – رسالة الإخوان تحت راية القرآن – نسخة الشبكة الدعوية.

٥ – مجموع رسائل حسن البنا – رسالة إلى الشباب – نسخة الشبكة الدعوية.

٦ – أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين – الأستاذ جمعة أمين عبد العزيز – دار التوزيع والنشر الإسلامية – الطبعة الأولى.

٧ – الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ – الأستاذ محمود عبد الحليم – دار الدعوة – الطبعة الخامسة.

٨ – مع الإمام الشهيد حسن البنا – الدكتور محمود عساف – مكتبة عين شمس.

٩ – التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين – الأستاذ علي عشماوي – مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية.

١٠ – الإخوان المسلمون: ٧٠ عامًا في الدعوة والتربية والجهاد – الدكتور يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى.

١١ – النقط فوق الحروف.. الإخوان المسلمون والنظام الخاص – الأستاذ أحمد عادل كمال – الزهراء للإعلام العربى – الطبعة الثانية.

١٢ – المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين – الأستاذ سعيد حوى – مكتبة وهبة – الطبعة الثالثة.

١٣ – في آفاق التعاليم – الأستاذ سعيد حوى – مكتبة وهبة.

١٤ – من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث – الأستاذ محمد الغزالي – دار الصحوة بالقاهرة.

١٥ – من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث – الأستاذ محمد الغزالي – دار نهضة مصر.

١٦ – ذكريات لا مذكرات – الأستاذ عمر التلمساني – دار التوزيع والنشر الإسلامية – الطبعة الأولى.

١٧ – دعاة لا قضاة – الأستاذ حسن الهضيبى – دار التوزيع والنشر الإسلامية – عام ١٩٧٧.

١٨ – الشيخ الغزالي كما عرفته – الدكتور يوسف القرضاوي – دار الشروق.

١٩ – مذكرات سيرة ومسيرة – الدكتور يوسف القرضاوي – موقعه الشخصى على الإنترنت.

٢٠ – أيام من حياتي – زينب الغزالى – دار التوزيع والنشر الإسلامية – الطبعة الأولى.

٢١ – في قافلة الإخوان – الأستاذ عباس السيسي – دار التوزيع والنشر الإسلامية – الطبعة الأولى.

٢٢ – دراسات إسلامية – الأستاذ سيد قطب – دار الشروق.

٢٣ – حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين – الأستاذ / محمود الصباغ – دار الإعتصام.

٢٤ – صفحات من التاريخ.. حصاد العمر – الأستاذ / صلاح شادي – دار التوزيع والنشر الإسلامية – الطبعة الأولى.

٢٥ – الإخوان وأنا – اللواء فؤاد علام – المكتب المصرى الحديث.

٢٦ – الآن أتكلم – خالد محيي الدين – مركز الأهرام للترجمة والنشر.

٢٧ – الإخوان المسلمون والتنظيم السرى – الدكتور عبد العظيم رمضان – الهيئة العامة المصرية للكتاب.

٢٨ – من سلسلة المحاكمات التاريخية الكبرى.. قضية مقتل النقراشي باشا – الأستاذ لطفي عثمان.

٢٩ – فرسان تحت راية النبي – الدكتور أيمن الظواهري – نسخة منبر التوحيد والجهاد.

٣٠ – أرغمت فاروق على التنازل عن العرش – الأستاذ عبدالمنعم عبدالرؤوف – الزهراء للإعلام العربى.

٣١ – ٢٥عاما في جماعة الإخوان – الأستاذ حسن دوح – دار الإعتصام – الطبعة الثانية.

٣٢ – حقيقة الخلاف بين «الإخوان المسلمون وعبد الناصر» – الأستاذ محمد حامد أبو النصر.

٣٣ – حسن الهضيبي.. الإمام الأمين والمرشد الحارس – الأستاذ محمد حامد أبو النصر.

٣٤ – حسن الهضيبي.. الإمام الممتحن – الأستاذ جابر رزق الفولي.

٣٥ – ذكريات مرشد عن مرشد سابق – الأستاذ عمر التلمساني.

٣٦ – عمر التلمساني المرشد الثالث للإخوان المسلمين – الأستاذ محمد سعيد عبد الرحيم.

٣٧ – المرشد الرابع للإخوان المسلمين.. السيد محمد حامد أبوالنصر – بقلم / المستشار عبدالله العقيل.

٣٨ – الإخوان وعبد الناصر القصة الكاملة لتنظيم ١٩٦٥ – الأستاذ أحمد عبدالمجيد.

٣٩ – الإخوان في ميزان الحق – الأستاذ فريد عبدالخالق.

٤٠ – الشهيدان: حسن البنا وسيد قطب – الأستاذ صلاح شادي.

٤١ – مذكرات هارب – الأستاذ / حسن العشماوي.

٤٢ – الأيام الحاسمة وحصادها – جانب من قصة العصر – الأستاذ / حسن العشماوي.

٤٣ – الإخوان والثورة – الأستاذ / حسن العشماوي.

٤٤ – الإخوان المسلمون بين عبد الناصر والسادات من المنشية إلى المنصة ١٩٥٢ – ١٩٨١ – د. زكريا سليمان بيومي.

٤٥ – غرائب من عهد فاروق وبداية الثورة المصرية – الأستاذ أحمد مرتضى المراغي.

٤٦ – جمال عبد الناصر وحادثة المنشية بالإسكندرية ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ – الأستاذ عباس السيسي.

٤٧ – صفحات مجهولة من تاريخ الحركة الإسلامية المعاصرة من النكسة إلى المشنقة – طلال الأنصاري.

٤٨ – عمر التلمساني شاهدا على العصر... الإخوان المسلمون في دائرة الحقيقة الغائبة» – الأستاذ إبراهيم قاعود.

٤٩ – عبد المنعم أبو الفتوح: شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر – عبدالمنعم أبوالفتوح في الجزء الرابع من مذكراته.

٥٠ – حسن البنا.... مواقف في الدعوة والتربية – الأستاذ عباس السيسي.

٥١ – الإخوان المسلمون.. أوراق تاريخية – الأستاذ إبراهيم زهمول.

٥٢ – الفكر السياسي لحسن البنا – إبراهيم البيومي غانم.

٥٣ – الموتى يتكلمون – للأستاذ سامي جوهر.

٥٤ – الإقرار الشامل – على عشماوى.

٥٥ – لماذا أعدمونى – سيد قطب.

ملحوظة:

أود في هذا المقام، أن أوضح أمرًا يخص المصادر التي اعتمد عليها البحث، فنتيجة لندرة المصادر المطبوعة في هذا الموضوع، فقد اجتهدت في النقل عن المطبوع قدر الإمكان، وما عجزت عن الوصول إليه رجعت فيه إلى موقع «الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين» على شبكة الإنترنت، حيث إنها حوت كثيرًا من المصادر المذكورة في البحث، ولكن لأن أرقام الصفحات غير مذكورة في هذه المصادر، فقد اعتمدت طريقة موحدة في النقل والاقتباس: وهي الاكتفاء بذكر اسم المرجع واسم مؤلفه، دون الإشارة إلى رقم الصفحة، وذلك في كل مواطن النقل في الكتاب حتى يكون البحث كله على نمط واحد في هذا الأمر.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات



